في سبيل "الحوار الاسلامي المسيحي"



٢

القرآن دعوة "نصرانيّة"

الاستاذ الحداد

في سبيل "الحوار الاسلامي المسيحي"

٢

القرآن دعوة "نصرانية"

الاستاذ الحداد

«هذا بلاغ للناس»

« قلْ : **هذه سبيلي ، أدعو الى الله عن بصيرة ، أنا ومن** اتبعني ؛ وسبحان الله ؛ وما أنا من المشركين » (يوسف ١٠٨) .

●

نصرّح للناس أجمعين : ان الوحي والتنزيل قضية ايمانية لا تمس .

لكن القرآن نفسه يدعونا الى «تدبره» : «أفلا يتدبّرون القرآن» (٤ : ٨١ ؛ ٤٧ : ٢٤)؛ «أفلم يدّبروا القول» (٢٣ : ٦٩) ؛ «ليدّبروا اياته» (٣٨ : ٢٩).

ويحرّض بتواتر أهل العلم على البحث فيه والنظر .

فعملًا بــدعوة القرآن ندرس معنى انتسابه بتواتر الى الكتاب وأهله ، خصوصاً الى «أولي العلم قائماً بالقسط» (آل عمران ١٨) ، المحسنين منهم ، «الراسخين في العلم» (آل عمران ٧) ، «مَن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥)، لترى : هل القرآن دعوة «نصرانية» ؟

إن صح ذلك ، يكون **الأساس المشترك** للحوار الصحيح بين الاسلام والمسيحية. تلك «النصرانية» القرآنية هي **الجامع الموحّد** بين الاسلام والمسيحية.

●

في مواجهة الرأي :

« الضعيف يرتجف منه !
والجاهل يخالفه !
والحكيم يدرسه !
والحازم يقرّره » ! (حكمة شائعة)

«**هذا بلاغ للناس**» (ابراهيم ٥٢) .

☆☆☆

تمهيد

سر «النصارى» في القرآن

بحث اول

انوار كاشفة من الانجيل والقرآن

١) **في المؤتمر الاول للرسل، صحابة المسيح :**

«غير أن قوماً من الذين آمنوا، من مذهب الفريسيين، نهضوا وقالوا : إنه يجب أن يُختنوا (المسيحيون من الأميين) ويؤمروا بإقامة شريعة موسى» (سفر الأعمال ١٥ : ٥)

٢) **يعقوب، زعيم «النصرانية» يقول لبولس، زعيم المسيحية :**

« أيها الأخ، أنت ترى كم ربوة من اليهود قد آمنوا (بالانجيل) ؛ وكلهم ذو غيرة على الشريعة» — أي التوراة. (سفر الأعمال ٢١ : ٢٠)

فالنصارى من بني اسرائيل يقيمون وحدهم التوراة والانجيل.

٣) «قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى **تقيموا التوراة والانجيل**، وما أُنزل اليكم من ربكم». (المائدة ٧١)

٤) شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصينا به ابراهيم **وموسى وعيسى** : أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه» (الشورى ١٣)

٥) « لا نفرّق بين أحد من رسله » (البقرة ٢٨٥)

« لا نفرّق بين أحد منهم ، **ونحـــن له مسلمون** »

(البقرة ١٣٦ ؛ آل عمران ٨٤ قابل النساء ١٥١)

٦) « ومن **قوم موسى** أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون » (الأعراف ١٥٨) .

٧) « يا أيها الذين آمنوا ، كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ، ابن مريم ، للحواريين : من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله . فآمنت **طائفة من بني اسرائيل** ، وكفرت طائفة : **فأيدنا الذين آمنوا عـــلى عدوهم فاصبحوا ظاهرين** » . (الصف ١٤)

فالنصارى هم « طائفة مـــن بني اسرائيل » آمنت بالمسيح ؛ وهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

هؤلاء هم النصارى اليهود ، أو « النصارى » على الحصر والعلمية .

وصفتهم في القرآن : أولو العلم المقسطون ، المحسنون .

٨) « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم ، درجات » (المجادلة ١١)

٩) « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة ، **وأولوا العلم قائماً بالقسط** — لا إله إلا هو العزيز الحكيم — أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ و ١٩) .

فالنصارى هم « اولوا العلم قائماً بالقسط » ، وهم يشهدون : « أن الدين عند الله الاسلام » ؛ والقرآن يشهد للاسلام بشهادتهم . فهم « **المسلمون** » على التخصيص ؛ وهو يميزهم من « الذين آمنوا » :

١٠) « قلْ : نزّله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبّت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) .

فمن هم « النصارى » في القرآن ؟

وهم شائع ، منذ الدعوة القرآنية حتى اليوم ، ان النصارى هم المسيحيون المنتشرون في الارض ، قبل ظهور الدعوة القرآنية وبعدها .

وهذا الوهم الشائع هو مصدر الخلاف بين الاسلام والمسيحية : يظنون ان المسيحية هي « النصرانية » التي يذكرها القرآن .

وقد زاد هـــذا الوهم الشائع ترسيخاً ترجمة المستشرقين كلمة « نصارى » في القرآن ، بلفظة « مسيحيين » Chrétiens . فزاد البلبال .

ونحن اذا « تدبرنا القرآن » ، كما يدعـــونا هو الى ذلك (محمد ٢٤ ص ٢٩ المؤمنون ٦٨ النساء ٨١) وجدنا ان « النصارى » في القرآن هم غير المسيحيين . وهذا ما نتحقّقه ايضاً في مصادر الوحي الانجيلي ، « العهد الجديد » ؛ وما تثبته المصادر التاريخية ، في عهد الفترة ، ما بين الانجيل والقرآن .

فالظاهرة الاولى الكبرى أن القرآن ، الذي يميّز بين العقيدة النصرانية والعقيدة المسيحية ، لا يعرف أتباع المسيح من بني اسرائيل والأميين إلا باسم « نصارى » ! ولا يذكر اسم « مسيحيين » عـلى الاطلاق ، مع انه الاسم الشائع في الدنيا كلها على ايام الدعوة القرآنية والفتوحات الاسلامية ؛ والاسم الشائع في اطراف الجزيرة العربية نفسها من اليمن الى الشمال .

والظاهرة الثانية الكبرى أن القرآن يكفر اليهودية تكفير « النصرانية » لها ، و « يكفّر » المسيحية ايضاً تكفير « النصارى » لها : « قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عـن سواء السبيل — **لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل** ، على لسان داود ، وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ! (المائدة ٨٠ — ٨١) . فتكفير اليهودية جازم : إنه « لعن » ! وتكفير المسيحية دعوة

للاعتدال في أمر المسيح وأمه : «ولا تغلوا في دينكم غير الحق» ! فليس في القرآن من تكفير للمسيحية ؛ انما هناك تكفير لبعض انحرافات ، كفرتها المسيحية من قبل القرآن

والظاهرة الثالثة الكبرى أن ما بين القرآن والكتاب ، وما بين النبي العربي وأهل الكتاب انتساب ونسب ، يجعل أهل الكتاب وأهل القرآن أمة واحدة : «إن هذه امتكم امة واحـــدة ، وأنا ربكم فاعبدون» (الانبياء ٩٢) ، «وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون» (المؤمنون ٥٣) ؛ ويجعل الدعوة فيما بينهم تجاه المشركين واحـــدة : «اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكْم — (اي الحكمة) — والنبوة ، فإن يكفر بها هؤلاء ، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين؛ اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» (الانعام ٨٩ — ٩٠). فالقرآن يقوم على هدى الكتاب وأهله ، **بقطع النظر عن الوحي والنبوة ، فهما مسألة ايمانية فوق درس الدارسين.**

فالقرآن قريب من أهل الكتاب حتى وحدة الأمة والدعوة ، وبعيد عنهم حتى التكفير ، في آن واحد. وهذه هي **الظاهرة الرابعة الكبرى** فيه . فمن هم أهل الكتاب الذين على النبي العربي ان يقتدي بهداهم ؟ ومَن هم «الذين كفروا من بني اسرائيل» فلعنوا عـــلى لسان داود وعيسى ابن مريم ؟ ومَن هم أهل الكتاب الذين «يغلون في دينهم غير الحق» ؟ ومـن هم الامة من قوم موسى الذين يهدون بالحق : «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) ؛ ومَن هي الطائفة من اتباع المسيح التي يظاهرها القرآن حتى النصر المبين (الصف ١٤) ؟ — نعرف ذلك متى عرفنا سر النصارى في القرآن .

فمن هم «النصارى» في القرآن ؟

وما هو سر «النصارى» في القرآن؟

وما هي صلة «النصرانية» بالدعوة القرآنية ؟

* * *

بحث ثان

صلة القربى بين الاسلام والمسيحية عبر « النصرانية »

كل من يقرأ القرآن يشعر بأن بين الاسلام والمسيحية صلة قربى. والواقع القرآني شاهد عدل على هذه القربى .

لكن **ما مداها ؟ وما سرها ؟**

مصدر القرآن، في لغة الايمان ، النبوة والتنزيل . وهذه قضية ايمانية لا تُمس.

لكن لغة الايمان لا تمنع لغة العلم . وفي تفسير تلك القربى ، في القرآن ، بين الاسلام والمسيحية ، تشعبت **مذاهب العلماء** الى ثلاثة : قوم منهم وجدوا مصادر القرآن في **اليهودية وحدها**، بسبب انتساب القرآن الى الكتاب ، وتصريحه باصطفاء بني اسرائيل على **العالمين** : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم واني فضلتكم على العالمين » (البقرة ٤٧ و ١٢٢) . وقوم وجدوها في **المسيحية وحدها**، بسبب دعوة القرآن للمسيح وأمه «آية للعالمين» (الانبياء ٩٢ ، المؤمنون ٥٣) ، وإيمانه بأن « المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) . ومن هؤلاء من خصّص فوجدها في المسيحية النسطورية . وقوم تزندقوا فجعلوا مصادر القرآن تلفيقاً مقتبساً من اليهودية والمسيحية .

ومن الحق ان يقال : بأن **هذه المذاهب كلها قاصرة** لا تشرح إلا جانباً من الدعوة القرآنية ؛ ولا تفسرها كلها تفسيراً كاملاً مقبولا .

فالقرآن، مع قوله بتنزيله، ينتسب انتساباً مطلقاً الى الكتاب . فقد جاء يشرع للعرب دين موسى وعيسى بـــلا تفريق (الشورى ١٣) ؛ ويعلمهم « الكتاب والحكمة » — التوراة والانجيل (البقرة ١٢٩ و ١٥١ ؛ آل عمران ١٦٤ ؛ الجمعة ٢) ؛ وشعاره : « لا نفرق بين احد من رسله » (البقرة ٢٨٥) .

لكنه في انتسابه المطلق الى الكتاب وأهله، ينتسب خصيصاً الى جماعة منهم يؤمن بإيمانهم ويدعو بدعوتهم : « وأمرت ان اكون من المسلمين ، وان اتلو القرآن » (النمل ٩١) فالمسلمون موجودون من قبله وهو ينتمي اليهم .

وهؤلاء المسلمون مـــن قبله يصفهم بأنهم « اولو العلم » المقسطون الذين يشهدون مع الله وملائكته بأن الدين عند الله الاسلام : « شهد الله ان لا إله إلا هو ، والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين اوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران ١٨ و ١٩) .

فهؤلاء المسلمون الذين يشهد القرآن بشهادتهم ليسوا جمـــاعته من العرب « الذين تابوا معه » ، « والذين آمنوا » كما يسميهم بتواتر . فهو يميّز بينهم وبين أولي العلم المقسطين الذين يجعلهم في منزلة واحدة مـن الرفعة : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين اوتوا العلم ، درجات » (المجادلة ١١) . فهما **اصطلاحان في القرآن** يجعلان جمـــاعة محمد واولي العلم فريقين متميزين ولكن متفقين في الدعوة القرآنية .

في اصطلاح القرآن ، إنما « المسلمون » ، « اولو العلم » المقسطون ، هم جماعة « من قوم موسى » و « طائفة من بني اسرائيل » آمنت بالمسيح ، وكانوا للمتقين من العرب مع محمد إماماً ، باسم « عباد الرحمن » . في تلك المترادفات الخمسة **مفتاح السر** في الدعوة القرآنية . فهو يقول : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) . ويقول : « وعباد الرحمان . . . الذين يقولون .. واجعلنا للمتقين إمامـــاً » (الفرقان ٦٣ و ٧٤) — والمتقون ، في

اصطلاحه المتواتر ، هم « الذين آمنوا » من العرب المشركين ، كما هو اصطلاح متواتر عند أهـل الكتاب في « الذين آمنوا » من الأميين او الأميين (بحسب النسبة الى الجمع او الى المفرد) . وهؤلاء الجماعة ، « عباد الرحمان » ، الامة من قوم موسى ، هم الطائفة مـــن بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، والتي قامت الدعوة القرآنية لنصرتهم عـلى الذين كفروا بالمسيح من بني اسرائيل : « يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : مَن انصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن انصار الله ! **فآمنت طائفة مـــن بني اسرائيل ، وكفرت طائفة** : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . لاحظ الترادف بين انصار عيسى وكلمة نصارى ؛ فقد نقل القرآن عنهم تفسير اسمهم « نصارى » بأنصار عيسى . ففي اصطلاح القرآن ، **ان بني اسرائيل طائفتان** : النصارى من بني اسرائيل الذين آمنوا بالمسيح على دعوة الحواريين ، انصاره ؛ واليهود من بني اسرائيل الذين كفروا بالمسيح . والقرآن يكفر اليهود ، ويؤيد النصارى مـــن بني اسرائيل عليهم « حتى اصبحوا ظاهرين » في الحجاز والجزيرة . **فالقرآن دعوة لتأييد هؤلاء النصارى من بني اسرائيل . وهو يحصر حصراً اسم « نصارى »** بالطائفة مـــن بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، وبالامة من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون ، عباد الرحمان الذين جعلهم « للمتقين إماماً » . فهم « **الامة الوسط** » **بين اليهودية والمسيحية** التي ينادي بها في وجه المشركين : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً » (البقرة ١٤٣) .

لذلك نقول بحق : إن القرآن دعوة « نصرانية » .

وهذا ما نراه في هذا الكتاب .

سنرى ان « النصرانية » بالنسبة للمسيحية ، في منزلة **الشيعة من السنّة** ، بين أهل الانجيل . ان أهل « شيعة النصارى » يقيمون التوراة والانجيل معاً ، من

دون أهل « السنّة المسيحية » الذين يكتفون بأحكام الانجيل وحدها ، بناء على قرار مؤتمر الرسل عام ٤٩ م (أع ١٥) .

« فالنصرانية » هي صلة القربى بين الاسلام والمسيحية .

في كتاب لنا سابق (القرآن والكتاب — القسم الثاني : اطوار الدعوة القرآنية) رأينا تطورها الى خمسة عهود : العهد المسيحي ، فالعهد الاسرائيلي ، فعهد الامة الواحدة ، فعهد الامـــة الوسط ، فالعهد الاسلامي . تلك ظواهر الدعوة القرآنية . أما الحقيقة الكامنة فيها جميعاً أن القرآن كله دعوة « نصرانية » . وقد « درس » محمد (الانعام ١٠٥) هذه الدعوة مدة خمس عشرة سنة بعد زواجه من خديجة ، ثربة مكة ، عـــلى يد ورقة بن نوفل ، قسّ مكة النصراني ، وعم خديجة ؛ **واخيراً تراءى له ملاك من الله** ، في رؤيا غار حراء ، وأمره بالايمان بها والدعوة لها (الشورى ٥٢) : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم » (الشوري ١٥) ؛ « وأمرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن » (النمل ٩١) اي قرآن الكتاب ؛ فهو تصديق له وتفصيل (يونس ٣٧) ، بحسب « المثْل » الذي عند النصارى من بني اسرائيل (الاحقاف ١٠) .

فالقرآن دعوة « نصرانية » برزت شيئاً فشيئاً في اطوار الدعوة القرآنية .

وهذه هي الصلة الجوهرية بين الاسلام والمسيحية . فالقرآن ، بعد التوحيد الكتابي ، **دعوة صريحة للمسيح والانجيل** ، في « أمـــة وسط » بين اليهودية والمسيحية ، كما كانت « النصرانية » التي يشهد بشهادتها (آل عمران ١٨ و ١٩) ، والتي جاءت الدعوة القرآنية « تأييداً » لها (الصف ١٤) . ان « نصرانية » الدعوة القرآنية هي **جوهر القربى** بين الانجيل والقرآن ، **ومحور الحوار** الواجب الوجود بين الاسلام والمسيحية .

***

بحث ثالث

انوار قرآنية هادية ، ما بين « النصرانية » والدعوة القرآنية

في القرآن اشارات عديدة الى صلة الدعوة القرآنية « بالنصرانية » . اذا ما استجمعناها ظهر لنا ان تلك الصلة هي **صلة انتساب ونسب** ، في « أمة واحدة» ، هي « الامة الوسط » ، بين اليهودية والمسيحية .

١ — هداية محمد وبعثته .

« وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً ، او من وراء حجاب ، أو يرسل رسولًا ، فيوحي بإذنه ما يشاء ، انه عليّ حكيم . وكذلك اوحينا اليك روحاً من أمرنا : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ؛ ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا . وانك لتُهدَى[1] الى صراط مستقيم ، صراط الله » (الشورى ٥٢) .

لقد أرسل الله الى محمد ، وهو معتكف في غار حراء ، « رؤيا» بواسطة « روح من أمره » اي ملاك ، فأوحى اليه « الايمان بالكتاب » ، الصراط المستقيم ، صراط الله ؛ فاهتدى الى صراط الكتاب وآمن به : « وقلْ : آمنتُ بما أنزل الله من كتاب ، وأُمرتُ لأعدل بينكم» (الشورى ١٥) .

---

(١) قراءة « لتُهدَى » أصح من قراءة « لتَهدِي » لانها تنسجم مع السياق الذي يذكر هداية الله لأنبيائه بالوحي اليهم ، على ثلاث طرائق .

وهذا هو الاسلام الذي اهتدى اليه ، واليه يهدي : « **وأُمرتُ ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن** » (النحل ٩١ — ٩٢) . فالاسلام موجود قبل القرآن ، والمسلمون موجودون قبل محمد وهو ينضم اليهم ، ويتلو معهم « القرآن » ، قرآن الكتاب بلسان عربي مبين .

●

٢ — القرآن يميّز بين « المسلمين » وبين « المتقين » من العرب .

مصادر الوحي الانجيلي تسمي « متقين » اولئك الذين آمنوا بالتوحيد الكتابي ثم بالمسيح من الأميّين . وهذا هو المعنى الذي نجده في القرآن ، فهو يميز بين « المسلمين » وبين « المتقين » « الذين آمنوا » مع محمد ، الذين « تابوا معه » من بين المشركين العرب الذين يسميهم « الناس » ؛ قال : « هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين » (آل عمران ١٣٨) ؛ « فاستقم كما أمرت ، ومَن تاب معك » (هود ١١٢) .

والقرآن ، كما هو « هدى وموعظة للمتقين » الذين آمنوا من العرب ، هو ايضاً « بشرى المسلمين » : « قل : نزّله روح القدس من ربك بالحق ، **ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين** » (النحل ١٠٢) . فالدعوة القرآنية تثبيت « للذين آمنوا » من العرب ، « وبشرى للمسلمين » . فالمؤمنون بمحمد من العرب ، و « المسلمون » ، هم فريقان متميزان ، لكن متحدان في الدعوة القرآنية . « فالمسلمون » هم اذن في الاصل غير جماعة محمد « الذين آمنوا » ، والذين « تابوا معه » من العرب . والقرآن « بشرى للمسلمين » اي انجيل لهم ، بحسب الترجمة الحرفية لكلمة انجيل .

●

٣ — المسلمون هم الامة الهادية من قوم موسى ، الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح .

محمد يؤمر بأن يقتدي بهدى اهل الكتاب : « اولئك الذين آتيناهم الكتاب

والحكم[1] والنبوة — فان يكفر بهـــا هؤلاء، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين — اولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتدهْ » (الانعام ٨٩ — ٩٠) .

وهدى اهل الكتاب الذي يؤمر محمد بالاقتداء به هـــو هدى أمة معلومة من قوم موسى : « **ومـــن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون** » (الاعراف ١٥٨) .

وما هي هذه الامة المهدية الهادية مـــن قوم موسى ؟ انها الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح مع الحواريين صحابته : « يا أيها الذين آمنوا، كونوا انصار الله كما قـال عيسى ابن مريم للحواريين : مَن انصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن انصار الله ! **فآمنت طائفة مـــن بني اسرائيل، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** » (الصف ١٤) .

لقد حصر القرآن الامة الهادية العادلة من قوم موسى، التي بهداها يجب على النبي ان يقتدي، بالطائفة مـــن بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح . وهي امة « النصارى » في لغة القرآن ولغة الانجيل . **والنصارى، في عرف القرآن، هم حصراً الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح** ؛ فهم اليهود النصارى، الامة الهادية العادلة من قوم موسى، الطائفة الصحيحة من آل عيسى . فالقرآن يحصر اذن اسم « نصارى » بالمؤمنين بالمسيح من اليهود، لا بالمؤمنين بالمسيح من غير اهل الكتاب اي من الاميّين .

وقد عرّب القرآن معهم اسم « نصارى » بأنصار : فالنصارى مـــن بني اسرائيل هم « أنصار الله »، وهم « الذين آمنوا » ؛ وعـــلى مثالهم يجب ان تكون جماعة محمد من العرب « انصار الله الذين آمنوا » : وحدة في الاسم، ووحدة في الايمان .

•

---

(١) الحكم تعبير عبراني نقله بحرفه يعني الحكمة، كما يتضح من وضعه بين الكتاب والنبوة .

٤ — « النصارى » مـــن بني اسرائيل ، و « المتقون » من العرب هم « أمة واحدة » في التوحيد الكتابي والايمان بالمسيح :

« ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون . وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، إني بما تعملون عليم . **وان هذه أمتكم امة واحدة ، وانا ربكم فاتقون** » (المؤمنون ٥٠ — ٥٣) . فالمتقون من العرب مع محمد هم امة واحدة مع المؤمنين بالمسيح وامه من أهل الكتاب ، من بني اسرائيل .

ثم يذكر انبياء الكتاب ويختم ذكرهم بقوله : « والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين . **وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » (الانبياء ٩٠ — ٩٢) . فمحمد والذين «تابوا معه» من العرب هم أمة واحدة مع النصارى ، الطائفة مـــن بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح وأمه آية للعالمين .

فالأمة الواحدة التي يشيد بها القرآن والتي ينتمي اليها محمد ومن معه من المتقين العرب ، ليست اليهودية التي تكفر بالمسيح وأمه ؛ وليست المسيحية التي « تغلو في دينها » بالمسيح وأمه ؛ بل الأمة « النصرانية » ، « أمة من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون » ، « طائفة من بني اسرائيل » آمنت بالمسيح فصارت مع الحواريين أمة « النصارى » ، أنصار الله والمسيح .

فالنصارى من بني اسرائيل ، والمتقون مـــن العرب هم « **امة واحدة** » في التوحيد الكتابي والايمان بالمسيح وامه آية للعالمين . لكنها « **أمة وسط** » ما بين اليهودية والمسيحية .

•

٥ — ما بين « النصارى » المسلمين ، والعرب « المتقين » وحدة شاملة كاملة :

وحدة في « الامة الواحدة » (الانبياء ٩٢ ؛ المؤمنون ٥٣) .

وحدة في الاسم ما بين « نصارى » و « انصار » (الصف ١٤) .

وحدة في العقيدة: فهم « يؤمنون بالكتاب كله » اي بالتوراة والانجيل معاً، لا بالشريعة الموسوية من دون الانجيل كاليهود، ولا يعملون بالانجيل من دون الشريعة كالمسيحيين ؛ بل يقيمون التوراة والانجيل معاً : « **قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء ، حتى تقيموا التوراة والانجيل** » (المائدة ٧١) . فالذين يقيمون التوراة والانجيل هم المسلمون حقاً ، المؤمنون « بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحـــن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ آل عمران ٨٥) . فشعاره : « لا نفرّق بين أحدٍ من رسله » (البقرة ٢٨٥)

فالمسلمون هم النصارى من بني اسرائيل الذين يهتدي محمد بهداهم ، ويقتدي بعقيدتهم وهو معهم « امة واحدة » في الدعوة والجهاد .

●

٦ – فما بين الدعوة القرآنية و « النصرانية » وحدة في الدعوة :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن – إلا الذين ظلموا منهم **وقولوا : آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون** » (العنكبوت ٤٦) .

يقسم القرآن أهل الكتاب في الحجاز الى محسنين وظالمين : فمع « الظالمين » منهم ، وهم اليهود ، يصح الجدال بغير الحسنى اي بالجهاد ؛ ولكن مع « المحسنين » منهم اي النصارى – الأمة الهادية مـــن قوم موسى ، الطائفة من بني اسرائيل المؤمنة بالمسيح – لا يصح الجدال إلا بالحسنى ، وهذه الحسنى هي التسليم معهم بأن الاله الذي يعبده الفريقان واحد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد . فوحدة الاله ، ووحدة التنزيل ، ووحدة الاسلام ، بين « النصرانية » والدعوة القرآنية ، دليل وحدة الأمة ووحدة الدعوة .

●

٧ — فاسلام القرآن هو اسلام « النصارى » مـــن بني اسرائيل ، اولي العلم المقسطين :

يقسم القرآن العرب الى أهل الكتاب والاميّين : « وقل للذين أوتوا الكتاب والاميّين : أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا » (آل عمران ٢٠) .

ويسمي القرآن أهل الكتاب ، على العموم ، « الذين يعلمون » ؛ أما العرب المشركون ، اي باصطلاح اهل الكتاب والقرآن ، الأميون ، فصفتهم : « الذين لا يعلمون » (البقرة ١١٢ و ١١٩) .

ويقسم القرآن أهل الكتاب ، أولي العلم ، الى فئتين : اولي العلم « الظالمين » اي اليهود (العنكبوت ٤٦) ، وأولي العـــلم « المقسطين » او « المحسنين » اي النصارى من بني اسرائيل . فهؤلاء النصارى المحسنين المقسطين هم الذين يدعون الى الاسلام :

« شهد الله انه لا إله إلا هو ، والملائكة ، واولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله الا هو العزيز الحكيم : **ان الدين عند الله الاسلام** . ومـــا اختلف الذين اوتوا الكتاب — (اي اليهود) — إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ؛ ومن يكفر بآيات الله ، فان الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ، ومن اتبعني ! وقل للذين أوتوا الكتاب — (اليهود) — والاميّين : أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد . ان الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، **وليقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ، فبشرهم بعذاب أليم » (آل عمران ١٨ — ٢١) .

فاليهود ينكرون ان الدين عند الله الاسلام . والنصارى أولو العلم ، اي من كان « قائماً بالقسط » من اهـــل الكتاب ، يشهدون مع الله ومع الملائكة « ان الدين عند الله الاسلام » . ولذلك يقتلهم اليهود كما كانوا يقتلون النبيين بغير حق : « ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، اي الذين يشهدون مع القرآن « أن الدين عند الله الاسلام » .

فهؤلاء النصارى من بني اسرائيل ؛ الامة من قوم موسى يهدون بالحق ، وبه يعدلون (الاعراف ٥٨) ؛ الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح (الصف ١٤) هم في عرف القرآن أولو العلم المقسطون ؛ وشهادتهم للاسلام من شهادة الله والملائكة . فهم المسلمون ، وهم الداعون للاسلام الذي يتنكّر له اليهود . **فاسلام القرآن هو اسلام « النصارى »** ، اولي العلم المقسطين من اهل الكتاب . **لذلك فهم في منزلة واحدة** : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

●

٨ — فالاسلام من قبل القرآن ؛ ومحمد ينتمي اليه ، ويدعو بدعوته :

فالاسلام من قبل القرآن : «**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**» القرآن (الحج ٧٨) .

ومحمد يؤمر بالانضمام الى هؤلاء المسلمين : «**وأمرت ان اكون من المسلمين ، وان اتلو القرآن**» (النحل ٩٠ — ٩١) .

فالقرآن يحصر الاسلام والمسلمين بالنصرانية والنصارى ، لا بسائر أهـــل الكتاب من بني اسرائيل ، ولا بالمسيحيين من الاميين ، إلا اذا تركوا « الغلو في الدين » بأمر المسيح وامه .

فالدعوة النصرانية بين العرب أخذت اسم « الاسلام » ؛ ومحمد في هدايته وبعثته (الشورى ٥٢ و ١٥) انضمّ الى هذا الاسلام النصراني : « وأمرت ان اكون من المسلمين » ، ودعا بدعوته في القرآن : « وأن اتلو القرآن » .

فالاسلام القرآني هو الاسلام « النصراني » اسماً ومعنى ودعوة .

●

٩ — وهذا الاسلام « النصراني » هو الدين الذي يشرعه الله للعرب :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصينا

ابراهيم وموسى وعيسى: أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » (الشورى ١٣) .

الاسلام النصراني القرآني هو الايمان بموسى وعيسى معاً، بإقامة التوراة والانجيل معاً: « قل يا أهـــل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة ٧١) . وهذا ما لا ترضاه اليهودية التي تكفر بالمسيح والانجيل، وما لا ترضاه المسيحية التي تقيم الانجيل وتنسخ شريعة موسى . وهذا ما تقول به النصرانية التي تؤمن بالانجيل وتقيم شريعة موسى . وما تقول به النصرانية اليهودية هو دعوة القرآن : فالقرآن يشرع للعرب دين ابراهيم وموسى وعيسى، دين التوراة والانجيل معاً، **« ما اوتي موسى وعيسى** ، والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ ، آل عمران ٨٥) . فهذا الاسلام « النصراني » الذي يقيم التوراة والانجيل معاً، ولا يفرّق بين موسى وعيسى ، هو الدين الذي شرعه الله للعرب في القرآن .

●

١٠ – هذا الاسلام « النصراني » القرآني هو « الدين المقيم »، « دين الحق ».

« إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النحل ٧٦) .

اختلف بنو اسرائيل في أمر عيسى ، فآمنت طائفة به أنه المسيح ، وكفرت طائفة (الصف ١٤) . والطائفة التي آمنت بالمسيح من بني اسرائيل هي « أمة من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) . ومحمد يؤمر ان يقتدي بهدى هذه الطائفة النصرانية الهادية العادلة (الانعام ٩٠) ؛ ومعها يقص القرآن على بني اسرائيل من اليهود أكثر الذي هم فيه يختلفون (النحل ٧٦)، وما اختلفوا إلا على المسيح : فالقرآن يدعـــو اليهود الى الايمان بالمسيح ، الى « الدين القيّم » . فطلبوا منه البينة :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب – اي اليهود – والمشركين

منفكين حتى تأتيهم البينة: رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة، فيها كتب قيمة. وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب — اي اليهود — إلا من بعد ما جاءتهم البينة!... **وذلك دين القيمة»** (البينة ١ — ٥) .

فدين القيّمة ، الدين القيّم — ترجمة حرفية « للارثذكسية » — هو ما ينكره اليهود والمشركون على محمد والنصارى : التوحيد النصراني القرآني الذي يؤمن بالله والمسيح . فيقول : « كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » (الشورى ١٣) ؛ ويقول : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النحل ٧٦) ، وأكثر الذي هم فيه يختلفون هو الايمان بالمسيح ؛ مع انه « الدين القيّم » ، « دين الحق » الذي يدعو اليه القرآن بين العرب : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » (٩ : ٣٤ ؛ ٤٨ : ٢٨ ؛ ٦١ : ٩) .

●

١١ — الدين القيم، الاسلام النصراني القرآني، هـــو « امة وسط » بين اليهودية والمسيحية .

ان اليهودية تكفر بعيسى المسيح ، والمسيحية « تغلو » في امره ؛ لكن النصرانية من بني اسرائيل تؤمن بالمسيح ، ولا « تغلو » فيه ؛ فالنصرانية امة وسط بين اليهودية والمسيحية . وعلى مثال هذه الامة النصرانية الوسط أنشأ القرآن امته :

« وكذلك جعلناكم امة وسطاً، لتكونوا شهداء على الناس »! (البقرة ١٤٣). فأهل القرآن مثل النصارى ، لا يكفرون بالمسيح مثل اليهود ، ولا « يغلون » في أمره مثل المسيحيين ؛ بل هم « امة وسط » بين اليهودية والمسيحية . فأمة القرآن « امة وسط » مع « النصرانية » ، وهم « الامة الواحدة » التي تؤمن بالمسيح عيسى وأمه آية للعالمين (المؤمنون ٥٣) .

●

١٢ — أخيراً ما بين الدعوة القرآنية والنصرانية وحدة في الجهاد والرسالة

هذا هو التصريح الضخم الذي يكشف لنا سر النصارى وسر الدعوة القرآنية:

«فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح)، وكفرت طائفة: فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤).

فالدعوة القرآنية تأييد للنصرانية من بني اسرائيل على اليهودية حتى الظهور والنصر! فالقرآن يدعو ويجـــاهد مع «أمة من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨)، مع طائفة من بني اسرائيل آمنت بعيسى المسيح (الصف ١٤)، مع النصارى، حتى السيطرة التامة على اليهود في الحجاز والجزيرة.

فما بين النصرانية والدعوة القرآنية وحدة في العقيدة، ووحدة في الدعوة، ووحدة في الجهاد حتى النصر المبين: «**ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الارض، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين**» (القصص ٥)؛ «واجعلنا للمتقين إماماً» (الفرقان ٧٤).

يقول ذلك بحق النصارى من بني اسرائيل الذين وقعوا بين نارين، نار بني قومهم اليهود، ونار بني دينهم المسيحيين، فاستُضعفوا في الارض، ولجأوا الى الحجاز. وأتت الدعوة القرآنية انتصاراً لهم «على عدوهم، فاصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤). فانتصرت النصرانية، «الامة الوسط» على اليهودية وعـــلى المسيحية في الحجاز والجزيرة بفضل الدعوة القرآنية: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون»

(٩: ٣٤؛ ٤٨: ٢٨؛ ٦١: ٩).

فهل الدعوة القرآنية هي «النصرانية»؟

على هدى تلك الانوار القرآنية نرى الجواب، في هذا الكتاب.



الفصل الأول

« النصارى » في مصادر الوحي الانجيلي

بحث اول : يسوع الناصري ، ويسوع المسيح

بحث ثانٍ : انقسام اتباع المسيح في الاسم
الى نصارى ومسيحيين

بحث ثالث : انقسام أهل الانجيل الى سُنّة وشيعة

بحث رابع : « شيعة النصارى » في « العهد الجديد »

بحث اول

يسوع الناصري — ويسوع المسيح

انها لسُنّة شرقية مألوفة تسمية معلم او زعيم بالنسبة الى بلدته ، او مسقط رأسه . فلما ظهر يسوع يدعو بين اليهود بدعوته، لقبه أتباعه الاولون، فالشعب، فالسلطات اليهودية والرومانية : « **يسوع الناصري** » نسبةً الى بلدته ، الناصرة ، التي نشأ فيها . وهذا اللقب ، « الناصري » لا احراج فيه لمن لا يؤمن بدعوة يسوع أنه « **المسيح** » الموعود. وصحابة يسوع الناصري كانت تؤمن انه المسيح، وترادف بين اللقبين : فتدل بالاول على قوميته ، وبالثاني على عقيدتهم فيه .

والانجيل بحسب متى ، الذي دُوّن في البيئة الاسرائيلية ، ولها قبل غيرها ، ينقل في مطلعه اللقب الذي اشتهر به يسوع ؛ فيقول : « جاء وسكن في بلدة تسمّى الناصرة ، ليتم ما قيل : **انه يدعى الناصري** » (متى ٢ : ٢٣) . فيسوع يُعرف بالناصري حتى عند الذين يؤمنون انه المسيح .

وباسم «الناصري» عُرف المسيح يسوع في سيرته ورسالته في البيئة الاسرائيلية.

فتلاميذه الأوائل يعرفونه ويعرّفون به ، بنسبته الى الناصرة : « وصادف فيلبس نثنائيل فقال له : إن الذي كتب عنه موسى في التوراة ، وكتب عنه الانبياء ، قد وجدناه : إنه يسوع ، ابن يوسف ، من الناصرة» (يوحنا ١ : ٤٣ — ٤٥). يسميه « ابن يوسف » لانه لا يعرف شيئاً بعد عن اصله ، وعن مولده المعجز من أمّ بتول .

وفي ختام دعوته ، عند دخول يسوع الى اورشليم ، عاصمة الدين والدولة ، حيث يجتمع اليهود لعيد الفصح من اطراف بلدهم ومن اقطار المسكونة ،

دخولَ المسيح الموعود، الفاتح الوديع كما وصفه الانبياء (زخريا ٩ : ٩)، تساءل الناس من الغرباء الذين لم يعرفوه : «مَن هذا ؟ فكانت الجموع تقول : هذا هو النبي، يسوع الذي من الناصرة في الجليل» (متى ٢٠ : ١٠ — ١١).

ولمّا قرّر السنهدرين، مجلس اليهود الاعلى، اعــدام يسوع لدعواه انه المسيح، ابن البشر النازل من السماء، أرسلوا جنودهم لتوقيفه في بستان الزيتون، في ضيعة جتسماني، قرب اورشليم، «بمصابيح ومشاعل وأسلحة . فخرج يسوع، وهو عالم بكل ما كان موشكاً أن يحدث له، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصري ! فقال لهم : أنا هو ! — وكان يهوذا مسلمه واقفاً ايضاً معهم — فلما قال لهم : «انا هو» ارتدوا الى الوراء وسقطوا على الارض . فسألهم أيضاً : مَن تطلبون ؟ قالوا : يسوع الناصري ! . . .» (يوحنا ١٨ : ٣ — ٨).

وفي محاكمة يسوع الدينية، كان الخدّم في بلاط الحبر الاعظم يلقبون يسوع : الجليلي او الناصري : «واما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار، فتقدمت اليه جارية وقالت : أنت ايضاً كنت مع **يسوع الجليلي** ! فأنكر قدام الجمع، قال : لا ادري ما تقولين ! ثم توجه نحو البوابة، فرأته جــارية اخرى فقالت للذين هناك : هذا كان مع **يسوع الناصري**» (متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٥). ففي الاوساط الشعبية والرسمية كان اسمه : يسوع الناصري .

وفي الاوساط الحاكمة كان يعرف كذلك؛ وبهذا اللقب كتب الوالي الروماني سبب اعدام المسيح : «وكتب بيلاطس لوحة ووضعها على الصليب؛ وكان مكتوباً فيها : يسوع الناصري، ملك اليهود» (يوحنا ١٩ : ١ — ٢٠).

ففي نظر أتبــاعه وأنصاره ورسله، وفي نظر الشعب كله، وفي نظر السلطات الدينية والمدنية كان يسوع يُعرف باسم : يسوع النــاصري، بحسب العوائد الشرقية .

وليس في هذا اللقب عند المؤمنين من تنكّر لدعوة يسوع انه المسيح، وقد

اعترفوا بذلك صريحاً ، عندمـــا سألهم : « مَن تقول الناس اني هو ؟ . . . وفي نظركم أنتم مَن أنا ؟ فأجاب بطرس ، قال : انت المسيح » (مرقس ٨ : ٢٧ — ٣٠) .

فبحسب الوطن والقومية : هو « يسوع الناصري » ، كما تشهد دعوة الرسل الحواريين له (سفر الاعمال ٢ : ٢٢ ؛ ٣ : ٦ ؛ ٤ : ١٠ ؛ ٦ : ١٤ ؛ ٢٢ : ٨ ؛ ٢٤ : ٥ ؛ ٢٦ : ٩) .

وبحسب الدعوة والرسالة : هو يسوع المسيح .

فلا غرابة اذن أن يُسمّى أتبـــاع يسوع في البيئة الاسرائيلية : **نصارى** او نصرانيين ؛ وفي البيئـــة الهلنستية الأممية ، حيث تعنيهم دعوته أكثر من قوميته : **المسيحيين** ، كما سنرى في البحث التالي .

واليهود الذين لم يؤمنوا بيسوع انه المسيح فضلوا في اوساطهم لقب « يسوع الناصري » ، واسم « نصارى » لأتباعه منهم ، لانه لا يدل على اعتراف بعقيدة.

ولم يتحرّج اليهود المتنصرون من اسم « نصارى » لأنه من عوائد بيئتهم ، ولأن ليس فيه استثارة لبغض اليهود ليسوع ولهم . ويسمون يسوع عـــلى السواء : يسوع الناصري ، ويسوع المسيح .

* * *

بحث ثان

انقسام اتباع يسوع في الاسم الى « نصارى » و« مسيحيين »

بعد ارتفاع يسوع حيّاً الى السماء ، ونزول الروح القدس على رسله وصحابته ، اندفعوا بالدعوة للانجيـــل . وطالما بقيت الدعوة محصورة في فلسطين

كانوا يسمون « **نصارى** » ؛ فلما انتشرت الدعوة المسيحية في سوريا أخذ الناس يسمونهم « **المسيحيين** » .

في الدعوة ليسوع المسيح في اورشليم قال بطرس ، زعيم الرسل ، في خطابه الاول لبني اسرائيل : « يا بني اسرائيل اسمعوا هذه الكلمات : ان **يسوع الناصري** ، الرجل الذي ايده الله بين ظهرانيكم بالخوارق والآيات والمعجزات التي اجراها على يديه في وسطكم كما تعلمون ؛ ذاك الذي أسلم بحسب قضاء الله ، وعلمه السابق ، فقتلتموه انتم صلباً بأيدي الظالمين ، قد أقامه الله ، ساحقاً قيود الموت ، اذ لم يكن في طاقة الموت ان يضبطه . . . فليعلم يقيناً جميع آل اسرائيل ان الله قد جعل يسوع ، هذا الذي صلبتموه أنتم ، **ربا ومسيحاً** » (سفر الاعمال ١ : ٢٢ — ٣٦) .

فيسوع الناصري هو ، في دعوة الرسل الاولى ، المسيح الرب .

ثم جرت معجزة عظيمة على يد بطرس ، زعيم الدعوة ، بشفاء مقعد مشهور كان يجلس عند باب الهيكل يستعطي . شفاه بطرس «باسم يسوع المسيح الناصري» (أع ٣ : ٦) . فأوقفه السنهدرين ، مجلس اليهود الاعلى ، مع يوحنا الرسول رفيقه لاستجوابهما في دعوتهما وفي المعجزة التي سببت ايمان المئات من اليهود بيسوع المسيح (أع ٤ : ٤) : « فأجاب بطرس ، وهو ممتلئ من الروح القدس : يا أحبار الشعب وشيوخه ، اننا نسأل اليوم عن معروف الى رجل سقيم ، وباسم مَن بُرِئ . فليكن معلوماً عندكم أجمعين ، وعند شعب اسرائيل كله ، أنه باسم **يسوع المسيح الناصري** ، الذي صلبتموه أنتم ، وأقامه الله من بين الاموات ، أجل به وقف ذاك متعافياً . فهو الحجر الذي ازدريتموه ، ايها البنّاؤون ، وهو الذي صار رأساً للزاوية : فما من خلاص بأحد غيره ! وليس تحت السماء اسم آخر أُعطي للناس ، به يخلصون » (أع ٤ : ١ — ١٢) .

فصحابة المسيح ورسله ، في بيئتهم اليهودية ، يجمعون في ألقاب يسوع اللقب النبوي الذي به يؤمنون ، المسيح ؛ واللقب القومي الذي به يُعرفون ، الناصري .

فلا بدّ اذن من ان يسمي اليهود الجاحدين مسيحية يسوع أتباعه : ناصريين او نصارى (بحسب صيغة الجمع الآرامية) .

نرى ذلك لمّا قبض اليهود على بولس الرسول في اورشليم لتقديمه للمحاكمة المدنية لدى الوالي الروماني فيلكس . فرفع الدعوى عليه باسم المجلس اليهودي الاعلى المحامي ترتلّس الشهير عندهم ، قال : «ايها الشريف فيلكس ، لن أزعجك بالكلام طويلاً . بل ارجوك أن تسمع لنا بحلمك قليلاً . لقد تبيّن لنا أن هذا الرجل وباء . فإنه يثير الفتن بين يهود المسكونة جميعاً . وهو امـــام لشيعة **النصارى** . وقد حاول ايضاً ان ينجّس الهيكل . فقبضنا عليه في الجرم المشهود . وها هوذا بين يديك . فتستطيع انت نفسك ، اذا سألته ، ان تتحقّق جميع ما نشكوه به . وأيده اليهود : ان الامر كذلك» (أع ٢٤ : ١ — ١٠) .

ففي البيئة اليهودية اسم اتباع المسيح هو : «النصارى»؛ وهم من بني اسرائيل .

ثم انتشرت الدعوة المسيحية خارج فلسطين . وقام بها كطلائع للرسل ، صحابة المسيح ، اليهود الهلّينيون الذين وُلدوا في المهاجر ونشأوا على الثقافة اليونانية ، ثم آمنوا بالمسيح . وبسبب ثقافتهم والحرية الدينية التي تعودوا عليها في مهاجرهم ، كانوا أجرأ الناس دعوة للمسيحية ، حتى في اورشليم ، فثارت عليهم السلطات اليهودية وقتلت زعيمهم اسطفان (أع ٧ : ٥٤ — ٦٠) ، وشتتوهم خارج فلسطين ، «فاجتازوا حتى فينيقية وقبرص وأنطاكية ، وهم لا يدعون بكلام الله إلا اليهود فقط . بيد ان بعضاً منهم كانوا قبرصيين وقيروانيين ، فهؤلاء لمّا دخلوا أنطاكية طفقوا يكلمون الهلّينيين ايضاً مبشرين بالرب يسوع ، وكانت يد الله معهم ، فآمن عدد كثير ورجعوا الى الرب» (أع ١١ : ١٩ — ٢١) .

وهنا يذكر سفر اعمـــال الرسل ، وهو تاريخ تأسيس المسيحية : **«وفي انطاكية اولاً دُعي التلاميذ مسيحيين»** (اع ١١ : ٢٧) . ومنذئذٍ شاع هذا

الاسم مع الدعوة في اقطار الدولة الرومانية ، ثم في اقطار الارض كلها. فالمسيحيون هم من الاميين.

وهكذا صار اسم تلاميذ المسيح من بني اسرائيل : نصارى. وصار اسمهم من الاميّين : « مسيحيين ».

وهذا الانقسام في الاسم، بسبب البيئة المختلفة، سيجر الى انقسام في العقيدة.

***

بحث ثالث

انقسام أهل الانجيل الى سُنّة وشيعة

اختلاف الأمة الواحدة في البيئة والثقافة قد يجر الى اختلاف في العقيدة. وهذا ما جرى للمسيحية منذ تأسيسها، كما جرى لغيرها.

كان أتباع المسيح في اورشليم وفلسطين كلهم من اليهود ، في بدء الدعوة. وكما كان المسيح ، مع دعوته بالانجيل ، يمارس الشريعة الموسوية ، كان الرسل صحابته في دعوتهم للمسيحية يمارسون الشريعة الموسوية؛ فيترددون على الهيكل، ويحفظون الاعياد اليهودية ، ويحافظون على الختان والسبت والصوم وسائر احكام التوراة ، لانها أمست جزءاً من قوميتهم.

فكانوا كل يوم يلازمون الهيكل بنفس واحدة (أع ٢ : ٤٦)؛ ويصعدون الى الهيكل للصلاة في اوقاتها (أع ٣ : ١) ؛ وخارج اورشليم يقيمون الصلاة الاسرائيلية في اوقاتها (اع ١٠ : ٩) ؛ وكان المتحررون منهم مثل بولس يحافظون على عوائدهم كالنذر التوراتي (أع ١٨ : ١٨) . وكانوا يعيّدون مع

اليهود اعياد الفصح (اع ٢٠ : ٦) والعنصرة (أع ٢ : ١ ؛ ٢٠ : ١٦) . وهذه صورة كاملة للحياة النصرانية اليهودية ، في حوار يعقوب ، اسقف اورشليم ، مع بولس الرسول الذي كان يدعو الى التحرير من الشريعة الموسوية. قال يعقوب ، زعيم النصرانية ، لبولس ، زعيم المسيحية :

« ايها الاخ ، انت ترى **كم ربوة من اليهود آمنوا . وكلهم ذوو غيرة على الشريعة** . ولقد بلغهم عنك انك **تردّ عن موسى** ، بتعليمك ، جميع اليهود الذين بين الامم (في مهاجرهم) قائلاً لهم **أن لا يختنوا اولادهم ، ولا يجروا على تقاليدهم** . فما العمل اذن؟ انهم ، ولا بدّ ، سيسمعون بقدومك ؛ فافعل ما نقول لك : ان عندنا ههنا اربعة رجال عليهم نذر ، فخذهم معك ، وطهّر نفسك معهم ، وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم ؛ فيعرف الجميع ان ما بلغهم عنك ليس بشيء ، بل انك انت ايضاً **تسلك محافظاً على الشريعة . . . وفي الغد** أخذ بولس الرجال وتطهّر معهم ، ودخل الهيكل ، وبيّن أجل أيام التطهير ، الذي فيه يقرّب القربان عن كل واحد منهم » (اع ٢١ : ١٧ — ٢٧) .

هذه الصورة تظهر لنا ان أتباع المسيح من اليهود ، وعلى رأسهم آل البيت ، كانوا يقيمون التوراة والانجيل معاً ؛ وينادون بالايمان بموسى وعيسى معاً ؛ ويرفعون شعار العماد والختان معاً . هذا محور عقيدتهم ، الذي يظهر **تشيّعهم « النصراني » لاهل بيت المسيح وتوراة موسى** ، على حساب الرسل ، صحابة المسيح ، وعلى حساب حقيقة الانجيل ، كما نرى في رسائل العهد الجديد اليهم .

مع ذلك فقد كان اتباع المسيح في اورشليم **أمة مستقلة في الامة اليهودية** : فهم يتميّزون بإيمانهم بيسوع انه المسيح (أع ٢ : ٤٢ ؛ ٤ : ٢ ؛ ٥ : ٤٢) . ويختصون بالعماد لتكريس ايمانهم بالمسيح ، ونيل الروح القدس الموعود للمعمود : « توبوا ، وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا ، فتنالوا موهبة الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨) . وكانت لهم خلواتهم للتعليم وتناول القربان : « كانوا مواظبين على تعليم الرسل ، والشركة ، وكسر الخبز (القربان)

والصلوات » المسيحية الخاصة (اع ٢ : ٤٢) . ويخرجون من خلواتهم وصلواتهم ممتلئين غيرة على الدعوة الانجيلية (اع ٤ : ٣١) ، « وكان الرسل بقوة عظيمة يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع » (أع ٤ : ٣٣) ، « وكانوا كل يوم في الهيكل وفي البيوت ، لا ينفكون يعلمون ويبشرون بيسوع أنه المسيح » (اع ٥ : ٤٢)

•

لكن بدأت المشاكل تظهر عندما آمن بعضهم من الأميّين المشركين . وشريعة التوراة ، قبل القرآن : « انما المشركون نجس » ! وعلامة شركهم أنهم غير مختونين ! فهل يصح لليهودي النصراني ان يجتمع بالمسيحي من أصل وثني ، ويدخل بيته ، ويأكل معه ؟ فاحتاج بطرس الى رؤيا معجزة وامر رباني حتى تجرأ عــلى دخول بيت القائد الروماني كرنيليوس في قيصرية لهدايته وتعميده (اع ١٠) . مع ذلك فقد خاصمه نصارى اورشليم قائلين : « انك دخلتَ على أناس قلف وأكلت معهم » ! (اع ١١ : ١ — ٣) . فشرح لهم انه فعل ذلك بأمر رباني ، وثبته الله بحلول الروح القدس على المهتدين من الاميّين ، كما حل على الرسل انفسهم ! « فلما سمعوا ما قال اطمأنوا ومجدوا الله . قالوا : ان الله اذن قد أعطى التوبة للأمم ايضاً ليكون لهم نصيب في الحياة » (أع ١١ : ١٨) .

فالمشكل الاول الذي واجه الجماعة المسيحية هو المؤالفة بين أهل الكتاب والاميّين في الايمان بالمسيح : هل المهتدي الى المسيح من الامم عليه ان يتهوّد مع ايمانه بالمسيح حتى تصح مسيحيته ؟

وانتشرت الدعوة المسيحية بين الأميّين ، وتكاثر عدد المسيحيين من الامم حتى فاق عدد أهل الكتاب من اليهود المتنصرين . واستناداً الى مثل بطرس مع كرنيليوس ، كانوا يهتدون دون ان يتهوّدوا ويخضعوا لشريعة موسى والختان . فظهر بين اتباع المسيح سلوك في الحياة المسيحية متعارض : النصارى اليهود ظلوا يقيمون شريعة موسى مع العماد والايمان بالمسيح ؛ والمسيحيون من

الامم يعتنقون المسيحية من دون اليهود وشريعتها . وسرعان ما ذرّ الشقاق قرنه بين العنصرين المؤمنين ايماناً واحداً : **ما هو موقف الدعوة المسيحية من الشريعة الموسوية؟** هذا هو **السؤال الضخم** الذي هزّ المسيحية في مطلع دعوتها، على عهد الرسل ، والذي يملأ مصادر الوحي الانجيلي ، بعد الاناجيل .

وجاء الجواب مختلفاً ، باختلاف البيئة ؛ فالنصارى اليهود يقولون **بإقامة التوراة والانجيل معاً** بلا تفريق ؛ والمسيحيون من الاميّين يقولون **بالانجيل وحده** من دون الشريعة الموسوية والختان .

وتزعم مقالة النصارى آل بيت المسيح ، وعلى رأسهم أبناء قلوبا ، عمّ المسيح بحسب البشرية ، الذين كانوا يسمونهم لهذه القرابة « اخوة الرب » ؛ وكانت منزلتهم عندهم تضاهي منزلة الرسل ، صحابة المسيح . ولذلك أمّروهم اساقفة عليهم في اورشليم من دون الرسل انفسهم . فكان زعيمهم وزعيم آل بيت المسيح ، يعقوب[1] ، « أخو الرب » اول اسقف على اورشليم ، بوجود الرسل انفسهم . **وبدأ يظهر تشيعهم للشريعة ولآل بيت المسيح** ، على حساب المسيحية العامة ، عند هداية جماعة الفريسيين (اع ١٥ : ٥) .

وتزعم مقالة المسيحيين من غير اهل الكتاب بولس الرسول، رسول الامم، منذ هدايته وبعثته . فكان في رسالاته ورسائله ، إيلافاً للدعوة المسيحية بين الامم غير الكتابية، يدعو الى تحرير المسيحية من اليهودية وشريعتها وختانها .

وكان اليهود في مهاجرهم – ويسمونهم « اليهود الهلّينيين » — اقرب الى موقف بولس ، لتعوّدهم على الحياة بين المشركين من الاميّين ، وعلى التسامح

---

(١) كان يعقوب في نظر النصارى من بني اسرائيل ، بحسب التقليد الشرقي ، خليفة المسيح ، وعلى هذا الاساس كانت منزلته منزلة اول خلق الله . جاء في انجيل توما المنحول المؤلف من ١١٤ قولاً للمسيح : « قال التلاميذ ليسوع : نعلم انك ستفارقنا ، فمن هو العظيم علينا من بعدك ؟ قال لهم يسوع : حيثما كنتم، تذهبون الى يعقوب الذي بسببه كانت السماء والارض » (القول ١٢) .

الديني معهم . وكانوا عنصراً اساسياً في الكنـــائس التي أسسها بولس في العالم السوري والاغريقي .

وكان الرسل ، صحابة المسيح ، القيّمون على دينه يراقبون **الصراع الناشب** بين فريق النصارى اليهود المحافظين ، بزعامة يعقوب ؛ وفريق المسيحيين من اليهود الهلّينيين والاميّين الاحرار بزعامة بولس . وانتظر الرسل المناسبة ليفتوا في المشكل الضخم ، والصراع المتأزم .

وانفتحت **معركة تحرير المسيحية** من الموسوية وشريعتها وختانها .

●

وكان لكل فريق حججه في تأييد نظريته .

فريق النصارى اليهود ، المحافظين ، يستند الى عوامــــل عديدة في فهم المسيحية فهماً اسرائيلياً توراتياً يهودياً .

انه يعتمد على وعد الله لابراهيم ان بنسله ، تتبارك أمم الارض كلها . والمسيح ، نسل ابراهيم الاعظم ، كان في نظرهم يهودياً ؛ فعلى كل مسيحي ، نسبته الى المسيح ، نسل ابراهيم ، ان يتهوّد .

وشريعة موسى ، في عرفهم ، أزلية لا تُنسخ : فلا تصح مسيحية بدونها .

والمسيح عاش كيهودي ، والرسل صحابته ، يسلكون مع ايمانهم بالمسيح والدعوة له ، كيهود : فعلى كل مسيحي ان يقتدي بهم ، ويتهوّد في سلوكه ، لتصح مسيحيته .

وكنيسة المسيح كلها في اورشليم ، وعلى رأسها الرسل انفسهم ، كانوا يقيمون احكام التوراة مع احكام الانجيل ؛ واورشليم هي أمّ الكنائس ، فما على سائر الكنائس الا ان تقتدي بالكنيسة الأم .

وبولس نفسه ، زعيم الدعوة للتحرير من الموسوية ، كان يمارس شريعة موسى فيما بين اليهود ، خصوصاً عندما يحضر الى اورشليم (اع ٢١ : ١٧ — ٢٧) . فليست دعوته للتحرير من شريعة موسى ، في نظرهم سوى تملّق للاميّين ، لايلافهم .

وكان الرسول متى في هـــذه الاثناء يدّون الانجيل في البيئة الاسرائيلية الفلسطينية. ونقل في خطاب المسيح التأسيسي مبدأه: «لا تظنوا أني أتيت لأنسخ الشريعة والنبيين! إني لم آت لانسخ، بل لاتمّم» (متى ٥ : ١٧). ففهم النصارى اليهود من هذا المبدإ أن الموسوية وشريعتها أساس، والانجيل تكميل ولا يقوم تكميل بدون أساس: فلا تصح مسيحية بدون شريعة موسى.

فماذا يزعم، بعد هذا كله، دعاة التحرير المسيحي، مثل بولس ؟!

وكان فريق المسيحيين الاحرار، بزعامة بولس رسول الامم، **ينادون بنسخ الشريعة بالانجيل**؛ فالخلاص المسيحي هو بالايمان، لا بأعمال الشريعة: «نحن بحسب الطبيعة يهود، ولسنا من الخاطئين الأميين. مع ذلك، لعلمنا أن الانسان لا يبرّر بأعمال الشريعة، بـــل بالايمان بيسوع المسيح، آمنا نحن ايضاً بالمسيح يسوع، لكي نبرّر بالايمان بالمسيح لا بأعمال الشريعة؛ وما من إنسان يبرّر بأعمال الشريعة»! (غلا ٢ : ١٥ — ١٦).

أجل شرع المسيح في الانجيل: «ما أتيت لأنسخ الشريعة والنبيين، بل لأتمّم»؛ ولكن تكميل الشريعة بالانجيل كان في الواقع نسخاً لها؛ لاننا بدعوة الانجيل دخلنا «في عهد التجديد» الذي ذكره المسيح (متى ١٩ : ٢٨)، وهو «العهد الجديد» الذي فتحه في العشاء الوداعي، قبل استشهاده (متى ٢٦ : ٢٨). فالمسيح ما نسخ الشريعة على حياته، لكنه نسخها بدمه على الصليب: فالخلاص بدم المسيح، لا بشريعة موسى. ومبدأ المسيح ان الانجيل تصديق وتفصيل التوراة لا ينطبق إلا على الكلمات العشر، كما نرى المسيح نفسه يطبق المبدأ عليها (متى ٥ — ٦) ونراه ينسخ شرعة الطلاق (متى ١٩) والتحريم في الاطعمة (مرقس ٧).

فالشريعة كانت المربّي الهادي الى المسيح المصطفى؛ فلما جاء المسيح تمّ ملء الزمان، وتمت كلمة الله صدقاً وعدلاً، فما مـــن حاجة بعد الى مربّ يقودنا الى المسيح (غلا ٣ : ٢٣ — ٢٩)؛ لقد استنفدت الشريعة اغراضها، وحل عهد

النعمة محل عهد الشريعة : « إن الشريعة نزلت بموسى ، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (يوحنا ١ : ١٧) .

والعهد القديم في سيناء كان أمانة بيد آل موسى ؛ فلمّا جــــاء العهد الجديد بالمسيح بلغ العهد كماله ، وانتقلت أمانته الى المؤمنين من العالمين : فلا حاجة بعد الى احكام العهد العتيق : « فبقوله « عهد جديد » أعلن الاول عتيقاً ؛ وما عتق وشاخ فهو على شفا الزوال » (عبر ٨ : ١٣) .

والوعد بالنسل المبارك المصطفى على العالمين ليس لليهود وحدهم ، بل للعالمين ؛ بينا الشريعة كانت لليهود وحدهم ؛ فلما تحقق الوعد بمجيء المسيح للعالمين ، تخطى الوعد الشريعة . والوعد كان قبل الشريعة ، فلما تحقق اغلق عليها ونسخها (غلا ٣ : ١٥ — ١٨) .

أجل لقد اقتصر المسيح دعوته ، في حياته على الارض ، على « الخراف الضالة من آل اسرائيل » . لكنه جعل مركز دعوته خصوصاً في الجليل ، لانه « جليل الامم » ، فيتصل بهم ويسمعون صوته (متى ٤ : ١٥ — ١٦) ؛ « فتبعته جموع كثيرة من الجليل ، والمدن العشر (من البتراء الى دمشق) واورشليم واليهودية وعبر الاردن » (متى ٤ : ٢٥) . ومن الجليل كانت رحلاته المتواترة الى ارض المشركين . وقبل ارتفاعه الى السماء أمر صحابته بالدعوة بالانجيل « الى الخليقة كلها » (خاتمة مرقس) ، « لكي يجعلوا جميع الامم تلاميذ للمسيح » (خاتمة متى) ، « في كل مكان » (خاتمة لوقا) . فالمهتدون بالانجيل هم تلاميذ عيسى ، لا تلاميذ موسى !

وحصر المسيحية في الموسوية يجعلها ديناً قومياً كغيرها ، ويحد من فعالية الانجيل في العالمين . فالمسيحية دين عالمي لا يتقيد بشريعة قومية كشريعة موسى .

●

واحتدم الجدال والصراع بين النصارى اليهود ، بزعامة يعقوب ، زعيم آل بيت المسيح واسقف اورشليم ، وبين المسيحيين من الاميّين بزعامة بولس وبرنابا . وكان مركز نشاط النصارى في اورشليم ، ومركز نشاط المسيحيين في انطاكية .

« وانحدر من اليهودية قوم (الى انطاكية) يعلمون الاخوة ، ويقولون : إنكم **إن لم تختتنوا بحسب شريعة موسى** ، فلا تستطيعون أن تخلصوا ! واذ جرت بينهم وبين بولس وبرنابا منازعة ومباحثة حادة ، جزموا ان يصعد بولس وبرنابا مع نفر آخرين منهم الى الرسل والكهنة للنظر في هذه المسألة » (أع ١٥: ١–٢).

وكانت المناسبة التي ينتظرها الرسل للبت في الجدال القائم .

فانعقد مجمع الرسل ، بحضور يعقوب وسائر آل بيت المسيح من الاساقفة ، وحضور الوفدين المتنازعين . فكان المجمع المسكوني الاول في تاريخ المسيحية ، وذلك عام ٤٩ ميلادية : «فاجتمع الرسل والكهنة لينظروا في الامر . وفي مطلع الجلسة الاولى ، نهض « قوم من الذين آمنوا ، وهم على مذهب الفريسيين وقالوا : انه يجب أن يختتنوا (المهتدون من الاميين) ويؤمروا بإقامة شريعة موسى » (أع ١٥ : ٥) . فتهويد المسيحية بـــدأ بدسّ الفريسيين المتنصرين . فجرت «**مباحثة عظيمة** » (أع ١٥ : ٦ — ٧) . فحسم بطرس ، زعيم الرسل ، الجدال ، وأفتى بتحرير المسيحيين من غير اليهود من شريعة موسى . « فسكت الجمهور كله » . وانتصرت نظرية بولس (أع ١٥ : ٦ — ١٢) ، وتحـــررت المسيحية من الموسوية .

لكن جماعة المحافظين حرّضوا يعقوب ، «أخا الرب» ، على التوسط في الامر للتعايش السلمي بين أهل الختان من النصارى اليهود وبين المسيحيين من الاميين ، لان اليهود ، وان تنصّروا ، فقد ظلوا بسبب رواسب قوميتهم التوراتية ، يأنفون من معاشرة غير المختونين وان كانوا على ايمان واحد معهم بالمسيح والانجيل .

فتوسط يعقوب في الامر ، وانعقدت جلسة ثانية ، خطب فيها يعقوب اسقف اورشليم وزعيم آل بيت المسيح : « ايها الرجال الاخوة ، اسمعوا لي . لقد اخبر سمعان (اسم بطرس الارامي) كيف افتقد الله الامم ، منذ البدء ، ليتخذ منهم شعباً لاسمه . وفي هذا تتفق أقوال الانبياء... لذلك أرى أنا أن لا يثقّل على من

يرجع الى الله من الامم. إنما يرسم لهم ان يمتنعوا عن نجاسات الاصنام والفحشاء، والمخنوق والدم . فإن موسى ، منذ الاجيال القديمة ، له في كل مدينة دعاته يتلونه في المجامع كل سبت » . فوافق المجمع على هذا **الحلّ العملي الوسط** الذي يسهل التعايش السلمي بين الفريقين ؛ وكتبوا بذلك الى انطاكية :

« لقد رأى الروح القدس ونحن ، أن لا نحمّلكم إصراً فوق هذه التي لا بدّ منها : ان تمتنعوا عمّا ذبح للاصنام ، وعن الدم ، وعن المخنوق ، وعن الفحشاء . اذا صنتم أنفسكم عنها، فنعمّاً تفعلون . والسلام عليكم » (أع ١٥ : ١٣ — ٣٠).

فمجمع الرسل والاساقفة يشرع باسم الله وبسلطـــان الروح القدس فيهم . وكانت شرْعته الاولى تحرير المسيحيين من الاميين من الشريعة الموسوية ، إلا في أكل الدم والمخنوق ، لامكان التعايش السلمي بين النصارى والمسيحيين .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المجمع لم يتطرّق الى بحث قضية ضرورة الشريعة الموسوية **للمتنصرين من اليهود** ، او عدمها . **فظل النصارى اليهود يقيمون التوراة والانجيل معا** ؛ وتحرّر المسيحيون مـــن الاميين من التوراة واحكام الشريعة ، واكتفوا بالايمان بالمسيح واقامة الانجيل .

وهذا السلوك المختلف في الجماعة الواحدة ، شقّ المسيحية منذ تأسيسها الى **سنّة وشيعة** : سنّة المسيحيين الذين يتبعون شرْعة الرسل في مجمـــع اورشليم ؛ وشيعة النصارى اليهود الذين ظلوا يقيمون التوراة والانجيل معاً ، بزعامة آل بيت المسيح ويعقوب اسقف اورشليم ، الذين أمّروهم اساقفة عليهم ، منذ تأسيس الكنيسة في اورشليم حتى طرد اليهود وكل مختون نصراني منها عام ١٣٥ ، في الحرب اليهودية الرومانية الثانية .

●

وتظهر ذيول هذا الانقسام الى سنّة وشيعة ، **في تمرّد غلاة النصارى اليهود** على شرعة مجمع الرسل ، ومحاولتهم فرض الشريعة الموسوية على المسيحيين في العالم السوري والاغريقي والروماني؛ وملاحقة بولس في كنائسه من انطاكية الى

فيلبي الى كورنثس الى رومة ، والانتقاص من حقه في الرسالة المسيحية، وتشويه سمعته . فكانوا بذلك مثل « الاخوة الكذبة » الذين يعملون عمل اليهود لخنق المسيحية في مهدها .

بعد مجمع الرسل جـــال بطرس الزعيم يتفقّد الكنائس حتى وصل الى انطاكية . وكان يخالط المسيحيين من الاميين غير المختونين ، ويصلي فيهم ، ويأكل معهم ، ويستضيفهم . فبلغ ذلك الى مسامع المتطرفين من اورشليم ، فأوفدوا الى انطاكية مراقبين ، « من عند يعقوب ». فلاموا بطرس على مخالطة غير المختونين ، وان كانوا مسيحيين . فامتثل لهم حسماً للنزاع . « وأخذ ينسل ويتنحّى خوفاً من أهل الختان . وتظاهر معه سائر اليهود ايضاً . بل برنابا نفسه انجرّ لتظاهـــرهم » . وكاد سلوك بطرس المتردّد يجرّ الى القطيعة بين النصارى والمسيحيين في عاصمة سوريا، لأن سلوك زعيم المسيحية شرع ، يثبت النصارى في تشيعهم لشريعة موسى ، ويوهم المسيحيين ان الايمان بالمسيح لا يكفي وحده للخلاص بدون الشريعة ، وقد قرر مجمع الرسل تحرير المسيحية من اليهودية . ويقول بولس في تقريره عن الحادثة : « فلمّا رأيت أنهم لا يسيرون على الصراط المستقيم ، بحسب حقيقة الانجيل ، قلت لكيفا (لقب بطرس بالأرامية) امام الجميع : إن كنت ، انت اليهودي ، تعيش كالاميين ، لا كاليهود ، فلم تلزم الاميين أن يتهوّدوا » ! (غلا ٢ : ١١ — ١٤). وفي خطاب ناري في الكنيسة ، أعلن بولس حقيقة الانجيل أن الخلاص بالايمان بيسوع المسيح ، لا بأحكام الشريعة الموسوية (غلا ٢ : ١٥ — ٢١) . فكسب بولس الجـــولة ، وانصاع بطرس للوم بولس . ثم أكمل سفره الى رومة يرأس الدعوة فيها . ولحقه في ما بعد بولس أسيراً ، واستشهدا معاً في سبيل المسيحية المتحرّرة المحرّرة .

لكن صراع غلاة النصارى مع بولس لم يتوقف . فاندس قوم منهم في كنيسة غلاطية ، وكادوا يردّون المسيحيين فيها الى انجيل غير انجيل المسيح الذي دعاهم اليه بولس . وكان بولس منهمكاً في تدريس المسيحية في مدرسة أفسس ،

عاصمة آسيا الرومانية . فكتب رسالته النارية الى أهـــل غلاطية ، يحذرهم من تحريف النصارى اليهود لانجيل المسيح مبشرين بانجيل آخر يقول بضرورة الشريعة للخلاص بالمسيح (غلا ١:٦ — ١٠) . واعلن لهم نسخ الانجيل للشريعة، وفضل الايمان على أحكام الشريعة ، لان البنوة لله هي في الايمان بالمسيح ، لا في شريعة موسى (غلا ٤: ١ — ٨): «إذ ليس الختان بشيء» بل الخليقة الجديدة» في الايمان بالمسيح ، هي كل شيء (غلا ٦ : ١٥) . ثم يدعوهم الى **مقاطعة النصارى اليهود** الذين يحرّفون انجيل المسيح : «ايها الاخـــوة ، أنتم أبناء الموعد مثل اسحاق . فكما كان حينئذ المولود بحسب الجسد (عيسو) يضطهد المولود بحسب الروح (اسحاق) ، كذلك الآن ايضاً . لكن ماذا يقول الكتاب ؟ « **اطرد الأمة وابنها** » ، فإن ابن الامة لا يرث مع ابن الحرة . فمن ثَمّ ايها الاخوة ، لسنا نحن ابناء الامة ، بل ابناء الحـــرة : لقد حرّرنا المسيح لكي ننعم بهذه الحرية ! فاثبتوا فيها ولا ترجعوا ترتبطون بنير العبودية» (غلا ٤ : ٢٨ — ٥ : ١) . فربح بولس الجولة الثانية في تحرير المسيحية .

وبلغ غلاة النصارى اليهود الى بلاد اليونان ، وبلبلوا كنيسة كورنثس بدعوتهم وشقوها ثلاث فرق: حزب بولس ، وحزب أبولس ، وحزب كيفا اي بطرس . في غير مكان تستروا باسم يعقوب ، وفي كورنثس يتسترون باسم بطرس . ويعلون فصاحة أبولس على بساطة بولس . وكان البلبال عظيماً في كورنثس ، فأوفد بولس اليهم مبعوثيه ومعهم رسائل منه . وما هدأ البلبال حتى حضر بولس بنفسه اليهم وردّهم الى انجيل المسيح الصحيح . فربح الجـــولة الثالثة في تحرير المسيحية .

فانتقل غلاة النصارى الى مكدونية ، وفتنوا كنيسة فيلبي . حينئذ طفح الكيل مع الرسول بولس وكتب الى أهل فيلبي: «احذروا الكلاب[1] المفسدين !

(١) كانت عند اليهود كناية عن غير اليهود ، فردها بولس عليهم في شخص اليهود والنصارى اليهود الذين يتعاونون عليه .

احذروا أهل البتر (الختان) ! فأهل الختان إنما هم نحن ، العابدين بحسب روح الله ، المستمدين الفخر من المسيح يسوع !» (فيل ٣ : ٢ — ٣) . فربح بولس الجولة الرابعة في تحرير المسيحية .

وبعدما انتهى بولس من الدعوة في الشرق ، أراد حمل الرسالة الى الغرب . فكتب رسالته العظيمة الى أهل رومة يهيء بها قدومه الى عاصمة المسكونة . ويعرض فيها فضل الانجيل على التوراة ، وموقف المسيحية من الشريعة الموسوية : إن الخلاص بالايمان في المسيح لا بشريعة موسى . وربح بولس الجولة الخامسة في تحرير المسيحية ، وذلك في رومة ، عاصمة المسكونة .

وهكذا انتصرت **سنّة الرسل** في مجمع اورشليم ، على **تشيع النصارى اليهود** للشريعة الموسوية ولآل بيت المسيح ، بفضل جهاد بولس ودعوته .

لكن النصارى من بني اسرائيل ، وغلاتهم من الفريسيين المتنصرين (أع ١٥ : ٥) جمدوا على **تشيعهم لشريعة موسى ولإمامة أهل البيت ، حتى النهاية** . هذا ما نراه في حديث يعقوب ، زعيم النصرانية ، لبولس ، زعيم المسيحية ، لمّا حمل الى فقراء اورشليم تبرعات المسيحيين من الاميين ؛ وفيه يحمله على ممارسة شعائر الموسوية في اورشليم . وقد نقلناه (أع ٢١ : ١٧ — ٢٧) :

وهكذا على عهد الرسل ، صحابة المسيح أنفسهم ، انقسم اهل الانجيل الى **سنة وشيعة** : «سنّة المسيحيين» (أع ١١ : ٢٦) ، «وشيعة النصارى» (اع ٢٤ : ٥) من بني اسرائيل .

فالمسيحيون من الاميين يسلكون بحسب «سنّة» الرسل في مجمع اورشليم ، فيقيمون الانجيل من دون التوراة .

والنصارى من بني اسرائيل يقيمون الانجيل والتوراة معاً ، **فيتشيعون** لشريعة موسى ، ولامامة اهل البيت الذين أمروهم أساقفة عليهم من دون الرسل وبحضورهم ، وعلى حياتهم .

وهذا الفصل الاول كله كان **الصراع على الشريعة الموسوية**. وقد وقعت احداثه قبل اسر بولس في فلسطين ثم في رومة.

والفصل الثاني كان **الصراع على العقيدة في المسيح**، مـــدة اسر بولس حتى استشهاده، عام ٥٧ — ٦٧ م.

لمّا أسر بولس ظن الفريسيون المتنصرون ان الفرصة واتتهم للجهر بعقيدتهم في المسيح. فاعتمدوا الغنوص — اي «العلم» — الهلنستية واليهودية، في الكلام النصراني لتفصيل الانجيل؛ واخذوا يدعون ان المسيح هو ابن الله على المجاز، لا على الحقيقة، فهو مخلوق لا رب معبود. ومنذئـــذ اتصف **الكلام النصراني باسلوب الغنوص**، اي «العلم».

وبلبلوا كنائس بولس في آسيا الرومانية ومكدونية. فردّ عليهم بولس في رسائله الغنوصية الثلاث: سر المسيح في ذاته الى اهـــل فيلبي؛ سر المسيح في الكون الى أهل كولوسي؛ سر المسيح في الكنيسة الى اهل أفسس. فانتصرت بها العقيدة المسيحية على «النصرانية».

لكن **البدعة** ذرت قرنها في «النصرانية»، وظهرت فيها **طلائع الردّة**. فهرع أئمة «النصرانية» من آل البيت انفسهم، لبيان العقيدة الانجيلية في المسيح، وتحذير «النصارى» من البدعة والردّة، في تشيّعهم للتوراة والتوحيد الكتابي، على حساب الانجيل، والايمان الصحيح في المسيح.

***

بحث رابع

شيعة « النصارى » في « العهد الجديد »

لقد رأينا انقسام اهل الانجيل بالاسم ، منذ مطلع الدعوة ، الى نصارى من بني اسرائيل ، والى مسيحيين من الأميّين ؛ ثم انقسامهم في الشريعة الى سُنّة وشيعة ؛ ونرى الآن انقسامهم في العقيدة ، بظهور البدعة والردّة عند النصارى من بني اسرائيل ، وذلك بسبب تشيّعهم للتوراة والتوحيد الكتابي ، على حساب الانجيل والعقيدة في المسيح .

اولاً : رسالة يعقوب

كان **يعقوب** ، المسمّى « أخا الرب » لانه ابن عم المسيح ، زعيم آل البيت ، وبهذه الصفة اسقف اورشليم والنصارى من بني اسرائيـــل . ولما نجمت البدعة فيهم ، كتب اليهم في مهاجرهم « رسالة يعقوب » ، « الى الاسباط الاثني عشر في الشتات » (١ : ١) . وهي موجز انجيل النصارى .

كتبها تفسيراً لتعليم بولس : « إن الانسان يُبرّر بالايمان ، بدون أعمال الشريعة » (رومية ٣ : ٢٠ و٢٨) ؛ فيقول : « ان الانسان يُبرّر بالاعمال ، لا بالايمان وحده » (يع ٢ : ١٤ الخ ٢ : ١٥ — ٢٦) . ويعقوب يقصد أعمال الايمان المسيحي وأعمـــال الشريعة الموسوية معاً ؛ وهو يصف هذه الشريعة بأسمى الاوصاف :

« إنه (أبا الانوار) ولدنا بكلمة الحق (اي **دين الحق**) ، لنكون باكورة خلائقه . . . فاقبلوا بوداعة الكلمة (الانجيل) التي غُرست فيكم ، وفي وسعها ان تخلص نفوسكم . . . أما من يدقق في **الشريعة الكاملة** ، شريعة الحرية ، **ويداوم عليها** — لا كمن يسمع فينسى ، بل كمن يكب على العمل — فهذا يكون

سعيداً في عمله (١ : ١٨ — ٢٥) . فإن كنتم تتمون **الشريعة الملكية** على حسب الكتابة القائلة : (احبب قريبك كنفسك[1]) فنعما تفعلون . وأما إن حابيتم الوجوه ، فإنكم آثمون والشريعة تحجّكم كمعتدين . فإن مَن حفظ الشريعة كلها ، وزلّ في وصية واحدة ، فقد صار مجرماً في الكل : لان الذي قال : (لا تزنِ) ، قال ايضاً (لا تقتل) ؛ فإن لم تزنِ ، ولكن قتلت ، فقد صرت متعدّياً للشريعة . **فتكلموا واعملوا كأنكم مزمعون أن تدانوا بحسب شريعة الحرية** (٢ : ٨ — ١٢) : « تلك هي الديانة الطاهرة الزكية » (١ : ٢٨) .

ظن بعضهم ان يعقوب يقصد « بالشريعة الكاملة » ، « الشريعة الملكية » ، « شريعة الحرية » : الانجيل . وفاتهم ان تلك الشريعة هي شريعة الوصايا العشر (٢ : ١٠ — ١١) ، شريعة موسى ؛ كما يستشهد بوصية المحبة للقريب بحسب التوراة ؛ ويعطي مثالاً « الانبياء الذين تكلموا باسم الرب » (٥ : ١٠) ومثال أيوب (٥ : ١١) ومثال ايليا (٥ : ١٧) . فهو يدعو باسم التوراة اكثر من الانجيل ؛ ونعرف ان يعقوب هو الذي حمل بولس على ممارسة الشريعة في اورشليم (أع ٢١ : ٢٠ — ٢٦) .

فيعقوب ، زعيم آل البيت والنصارى ، يدعو المؤمنين من الاسباط الاثني عشر الى **إقامة الانجيل والتوراة** ، « كلمة الحق » وشريعة موسى (١ : ٨ و٢١) .

ومن المذهل ، بعد الانجيل ، ان يعلن يعقوب ان الدينونة في اليوم الآخر ستكون ايضاً لاهل الانجيل بموجب شريعة موسى : « فتكلموا واعملوا كأنكم مزمعون ان تدانوا بحسب شريعة الحرية » (٢ : ١٢) .

إن **إقامة الانجيل والتوراة** ، في نظر يعقوب ، هي « الديانة الطاهرة الزكية » (١ : ٢٧) . تلك هي ميزة النصارى من بني اسرائيل . **وهذا هو مصدر تشيعهم** ، وسبب صراعهم المستميت مع بولس الرسول ، الداعي الى تحرير الانجيل من وصاية شريعة موسى .

---

(١) يستشهد بسفر اللاويين ١٩ : ١٨

والظاهرة الثانية في رسالة يعقوب هي الدعوة للتوحيد (٢ : ١٩) . **فلا نرى فيها تعليماً في التثليث** . وجلّ ما فيها الايمان « بالرب يسوع المسيح » (١ : ١)، « الايمان في ربنا يسوع المسيح ، رب المجد » (٢ : ١) ، وذكر « الله الآب » (١ : ٢٧) ، « ربنا وأبينا » (٣ : ٩) . وهـــذا التعليم قد يفسّر تفسيراً مسيحياً او « نصرانياً » .

فتعليم الرسالة توراتي أكثر مما هو انجيلي ، في العقيدة والشريعة ، وما أن انقضى عهد الرسل الحواريين ، حتى كان **تشيّع النصارى** من بني اسرائيل ، في الشريعة والعقيدة والإمامة ، أمراً مقضياً .

•

ثانياً : رسالة يهوذا

في عام ٦٢ م استشهد يعقوب ، واستلم امامة النصارى من بني اسرائيل مكانه أخوه سمعان (٦٢ — ١٠٢ م) .

ونعلم انه بعد الحرب السبعينية التي قضت عـــلى الدولة والأمة والمدينة المقدسة والهيكل ، انضم الى « النصرانية » عدد غفير **من الاسينيين** ، ورهبانهم من دير قمران . وهؤلاء زادوا في **تهويد العقيدة المسيحية** ، فمال النصارى من بني اسرائيل الى البدعة ، وأخذوا ينكرون سيدنا وربنا يسوع المسيح » (٤) . وتحول الايمان المسيحي الصحيح عندهم **من التشيّع الى النفاق** .

فكتب اليهم ، باسم أخيه ، وبصفة كونه أحد مجلس الاساقفة عليهم : « لقد رأيتني مضطراً أن أكتب اليكم لأجل **الجهاد في سبيل الايمان**، الذي سُلم دفعة واحدة للقديسين . فإنه قد اندسّ بينكم أناس كتب عليهم القضاء من قديم ، **منافقون** يحوّلون نعمة إلهنـــا الى عهارة . **وينكرون سيدنا وربنا الاوحد يسوع المسيح** » (٣ — ٤) .

في لغة الانبياء الكفر زنى وعهارة . والذين تنصّروا حديثاً آمنوا بيسوع أنه المسيح ، النبي الاعظم « مثل » موسى ؛ لكنهم أنكروا ربوبيّته وسيادته ؛

وزعموا ان الملائكة — ويسمّونهم «الامجاد» — أفضل من يسوع المسيح ؛ وهم منزلو التوراة على موسى ، والنبوة على الانبياء . (قابل النساء ١٧١) .

ويهوذا ، أحد «السيّاد[1]» من آل البيت ، يصفهم في نفاقهم وشقاقهم : فهم «أناس لا يفترون عن التذمر والشكوى ، ويسلكون في شهواتهم ، وتنطق أفواههم بالكلام الطنّان ، ويتملقون الناس في سبيل مصلحتهم (١٦) .» ينسون **الاقوال التي نطق بها من قبل رسل ربنا يسوع المسيح** ، اذ كانوا يقولون : سيكون في آخر الزمان أناس **مستهزئون** يسلكون بحسب **شهواتهم الكفرية** . فهؤلاء هم المشاقّون الحيوانيون ، الذين ليس لهم **الروح**» (١٧ — ١٩) .

بعد الحرب السبعينية ، والعهد الرسولي ، فقد تفشى بين النصارى من بني اسرائيل ، بعـــد تشيّعهم للتوراة ، **الاستهزاء والنفاق ، والكفر والشقاق** ؛ لانهم نسوا «أقوال رسل ربنا يسوع المسيح» ، التي تعلم ان يسوع هو «سيدنا وربنا الاوحد يسوع المسيح» .

•

ثالثاً : رسالة بطرس الثانية

في مطلع اضطهاد نيرون (٦٤ — ٦٨ م) للمسيحية ، جمع سلوانس ومرقس (١ بطر ٥ : ١٢ و ١٣) ثلاث عظات لبطرس في رومة ، برسالة واحـــدة ، وأرسلوها بأمره الى «المغتربين في الشتات» والى «المختارين» من الأميّين في «البنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا بثينية» من أقاليم آسيا الصغرى ، في «محنة الايمان» (١ : ٧) و«الحريق المضطرم في ما بينكم لاختبـــاركم» (٤ : ١٢) . وفيها تعليم صريح في إلهية المسيح ، وعقيدة التثليث . تلك هي رسالة بطرس الاولى .

وبعد الحرب السبعينية ، قامت فتنة بين النصارى من بني اسرائيل بسبب

---

(١) نقل اوسابيوس (تاريخ الكنيسة ك ١ ف ٧ ع ١٤) ان الناس يسمون آل بيت المسيح : δεσποσύνοι اي السياد . فانظر الى اي حد بلغ تطبيق الواقع المحمدي عـــلى الواقع «النصراني» .

عدم رجوع المسيح وظهوره ربا بعيداً ، كما كانوا يربطون ذلك بخراب الهيكل والمدينة المقدسة . وأخذوا يشكون «في معرفة الله ويسوع ربنا» (٢ بطر ١ : ٢ ؛ ٣ : ١٨) . فجمع احد تلاميذ بطرس تعليمه بروما ، ودمج فيه **نسخة من رسالة يهوذا** ، في الفصل الثاني (٢ : ١ — ٣ : ٢) . فصار تعليم بطرس بروما كأنه موجه خصيصاً الى النصارى من بني اسرائيل ، في عنوانها «**الى الذين نالوا إيماناً ثميناً كإيماننا** ، في برّ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح» (١ : ١) . فإيمان النصارى في أصله كإيمان المسيحيين «في برّ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح» .

تلك هي رسالة بطرس الثانية ، والرسالة تركز تعليمها على «معرفة ربنا يسوع المسيح» (١ : ١ و ٨ و ١١ ؛ ٢ : ٢٠) . وتفتتح «بمعرفة الله وربنا يسوع» (١ : ١) ، وتختتم بها : «فانموا في النعمة ، وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ، له المجد الآن والى يوم الابد» (٣ : ١٨) .

والرسالة تصرّح بأنها شهادة تجاه **أهل الردة** (٢ : ٢١) من النصارى المستهزئين (٣ : ٣) المنافقين (٣ : ٧) .

ففي رسالة بطرس الثانية نرى ان **النفاق في التشيّع** ، لدى النصارى من بني اسرائيل ، أمسى «**ردّة**» ، بها «**تركوا الصراط المستقيم**» (٢ : ١٥) :

«إنّا لم نتّبع خرافات مدسوسة ، إذ أعلمناكم بقدرة ربنا يسوع المسيح ورجوعه (١ : ١٦) . لقد كان في الشعب (الاسرائيلي) أيضاً **أنبياء كذبة** ، كما سيكون فيكم **معلمون كذبة يدسّون بدع هلاك . وبإنكارهم السيد الذي افتداهم** يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً . وسيتبعهم كثيرون في فجورهم ، فيُجدَّف بسببهم على **صراط الحق** (٢ : ١ — ٢) : فهم **يحتقرون السيادة** ويتجاسرون معجبين بأنفسهم ، فلا يهابون ان يفتروا على الامجاد — اي الملائكة — (٢ : ١٠) . يصطادون النفوس المقلقلة ، وقلوبهم مروّضة على الحرص : انهم **بنو اللعنة ! لقد تركوا الصراط المستقيم** ، وضلوا مقتفين سبيل بلعام بن بعور (٢ : ١٤ — ١٥) .

«فإن كانوا قد نجوا من نجاسات العالم **بمعرفة الرب المخلص يسوع المسيح**، ثم عادوا فارتكسوا فيها، وانقادوا لها، فإن آخرتهم قد صارت شرًّا من أولاهم. فقد كان خيراً لهم ان لا يعرفوا صراط البرّ، **من ان يرتدوا بعد ما عرفوه**، عن الوصية المقدسة التي سلمت اليهم (٢ : ٢٠ — ٢١).

«هذه رسالة ثانية اكتبها اليكم ... لكي تتذكروا الاقوال التي نطق بها الانبياء القديسون، **ووصية الرب المخلص** على أيدي رسلكم (٣ : ١ — ٢). فاعلموا قبل كل شيء أنه سيأتي في الايام الاخيرة أناس **مستهزئون**، مفعمون سخرية، يسلكون على هوى شهواتهم، ويقولون: **أين موعد رجوعه**؟ فإنه منذ رقد الآباء ما زال كل شيء على ما كان عليه منذ بدء الخليقة» (٣ : ٤ — ٥).

فالقوم، بسبب سوء فهمهم لنبوءة المسيح في خراب اورشليم وفي رجوعه الثاني بالمجد، قرنوا رجعة المسيح بخراب أورشليم. وها قد خربت اورشليم وهيكلها، وقامت «رجاسة النجاسة» **اي الاعلام الوثنية** وأصنامها **مكان هيكل الله**، ولم يظهر المسيح كما وعد. فانطلقوا من هنا بالدس على التعليم المسيحي الرسولي، بالاستهزاء والنفاق حتى **ارتدوا** عنه (٢ : ٢١)، واستمالوا «كثيرين الى فجورهم وتجديفهم» (٢ : ٢). وردتهم تقوم على «انكار السيد الذي افتداهم» (٢:١) اي كون المسيح هو «الرب المخلص» (١ : ١١؛ ٢ : ٢٠؛ ٣ : ٣ و١٨).

فالردّة «النصرانية» موضوعها: الكفر بإلهية المسيح، والكفر بالفداء في صلبه. وينتج عن ذلك الكفر بالتثليث، والكفر بالتجسد. هذه هي عقيدة «النصارى» في المسيح. وسيقومون عليها، طوال عهد الفترة، ما بين الانجيل والقرآن.

والباحثون الذين يشكون في ذلك بسبب بعض التعابير المتشابهة في كتب النصارى من بني اسرائيل، ما عليهم الا الرجوع الى صريح رسالة بطرس الثانية وايضاح الرسالة الى العبرانيين.

ففي رسالة بطرس الثانية الى النصارى من بني اسرائيل، نرى ان « **الصراط المستقيم** » (٢ : ١٥) ؛ « صراط الحق » ، « صراط البر » — بحسب تعبيرهم المتواتر حتى القرآن — هو « في بر إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح » (١ : ١) .

فالرسالة تعلن للنصارى من بني اسرائيل، « الذين نالوا ايماناً ثميناً كإيماننا » (١ : ١) اي كإيمان المسيحيين، ان « **الصراط المستقيم** » هو الايمان بإلهية المسيح (١ : ١ و ٨ و ١٤ و ١٦) ، وبأنه هو « **الرب المخلص** » (١ : ١١ ؛ ٢ : ٢٠ ؛ ٣ : ٣ و ١٨) ، « السيد الذي افتداهم » (٢ : ١) .

وتعلن لهم ان « **أهل الردّة** » (٢ : ٢١) هم « أهل اللعنة ! اذ قد تركوا الصراط المستقيم » (٢ : ١٤) : « فقد كان خيراً لهم ان لا يعرفوا صراط البر ، **من ان يرتدوا ، بعد ما عرفوه** » (٢ : ٢٠) .

هذه هي شهادة الوحي الانجيلي في ردّة النصارى من بني اسرائيل . ان « شيعتهم » ردّة ، عن « برّ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح » (١ : ٢) : « لقد تركوا الصراط المستقيم » (٢ : ١٤) .

●

رابعاً : الرسالة الى العبرانيين

كان اليهود ، والنصارى منهم على اثرهم ، يقسمون انفسهم الى « عبرانيين » مقيمين على اخلاق الكتاب في الوطن فلسطين ؛ والى « **هلينيين** » مقيمين في المهاجر كلها على الاخلاق الهلينية .

وهذه الرسالة هي « الى العبرانيين » اي الى النصارى من بني اسرائيل الفلسطينيين . وقرائنها الذاتية تدل على انها كتبت اليهم ، في اثناء هجرتهم الى شرق الاردن ، مدة الحصار الروماني لاورشليم عام ٦٦ — ٧٠ م .

ومناسبة الرسالة هي حال الهجرة ، والفتنة التي اخذت تعصف بهم بسبب فقدانهم طقوس الهيكل الاسرائيلي وكهنوته وذبائحه . وتلكما **الهجرة والفتنة** تحمل هؤلاء النصارى « العبرانيين » على **البدعة والردّة** .

ففي الرسالة الى العبرانيين نرى ان «الردة» عن حقيقة الايمان المسيحي بدأت تعم النصارى «العبرانيين» — كما رأينا في رسالة بطرس الثانية — بتأثير الروح التوراتي والكهنوت اللاوي فيهم. فجاءت الرسالة العبرية معالجة لاهوتية كلامية رائعة لتلك الردة. فهي افضل دفــاع لاهوتي عن المسيحية في البيئة الاسرائيلية، كما ان الانجيل بحسب متى افضل دفاع تاريخي، وهما من حيث الاسلوب البياني افضل أسفار العهد الجديد.

في الرسالة العبرية نرى النصارى من بني اسرائيل في حالة هجرة (١٠: ٣٢ — ٣٦)، لاجئين (٦: ١٨) وليس لهم من مدينة يلجئون اليها (١٣: ١٤) وقد شملهم جميعاً الاضطهاد (١٢: ٨) بسبب «عار المسيح» (١١: ٢٦؛ ١٣: ١٣). فوقعوا تحت تأثير **المحنة والفتنة**، وصارت «أيديهم مسترخية، وركبهم واهنة»، **وتاهوا عن الصراط المستقيم** شاردين كالأعرج (١٢: ٤ — ١٢). **وكثرت فيهم الردة والمرتدون** (١٣: ١٢؛ ١٠: ٢٦ — ٢٧) خصوصاً بين الاحبار واللاويين المهتدين الى المسيح، وبــدأوا يحنون الى كهنوتهم القديم وذبائحه التي كانوا يعبدون الله بها، ويعيشون منها (٦: ٤ — ٦) ونسوا **الشهادة للمسيح** (٢: ١: ٤ و ١٤؛ ١٠: ٢٣).

فتبيّن الرسالة العبرية للنصارى العبرانيين أفضلية العهد الجديد عــلى العهد القديم، بوسيطه «الابن» (١: ١)، وبكهنوته الروحي لا الجسدي، وبذبيحته الخالدة، بدم المسيح، التي بدأت على الارض، وتتم الآن في السماء أمام عرش الله، فهي أفضل بكثير من دم تيوس وعجول.

ومن حيث التنزيل، فكلام «الابن» أفضل من كلام الانبياء «عبيد الله» (١: ١ — ٣): «فاذا كانت الكلمة التي أنزلها الملائكة قد ثبتت، وكل تعد ومعصية قد نال جزاء عدلاً، فكيف نفلت نحن، إن أهملنا خلاصاً مثل هذا الذي **نطق به الرب اولاً**، ثم ثبّته لنا الذين سمعــوه، **والله يؤيد شهادتهم** بالآيات والخوارق وشتى المعجزات، وبتوزيع مواهب الروح القدس، على حسب

مشيئته» (٢ : ١ — ٤) . فالشهادة المسيحية قائمة بكلام الابن نفسه، وبشهادة شهود العيان؛ وبراهينها من الخارج أنواع المعجزات، ومن الداخل مواهب الروح القدس التي تخلق المسيحيين خلقاً جديداً.

ويدخل الى صلب العقيدة المسيحية في شبهتين لهم على منزلة المسيح الازلي: بشريته التي اتخذها في تأنسه، وصلبه في استشهاده! فليست بشرية المسيح، ولا صلب المسيح، بشبهة على **أفضلية المسيح على الملائكة**، **لأن** «اشتراك المسيح باللحم والدم» مع اخوته البشر خلاص لهم من سيطرة الخطيئة، ومن عبودية الموت، وممن له سلطان الموت عليهم اي ابليس؛ فالله باستشهاد المسيح قد جعل «رائد الخلاص بالآلام كاملاً، لذلك نراه الآن في الاعالي، عن يمين عرش الجلال مكللاً بالمجد والكرمة، وقد أخضع كل شيء تحت قدميه» (٢ : ٥ — ١٨) . فليس في بشرية المسيح ولا في استشهاده صلباً شبهة على ربوبيته.

فالردّة عن هذه الشهادة، وعن الايمان بالمسيح، ابن الله (٤ : ١٤) «الابن» على الاطلاق (١ : ٣) تنبعث من الفتنة في المحنة: «ايها الاخوة احذروا من أن يكون لأحد منكم قلب **ماكر وغير مؤمن**، **فيرتد عن الله الحي**... فقد صرنا شركاء في المسيح، إن نحن أقمنا على الايمان ثابتاً حتى النهاية، كما في البداءة (٣ : ١٢ — ١٤) . واذ لنا الحبر الاعظم الذي اجتاز السماوات، **يسوع ابن الله، فلنثبت على شهادة الايمان** (٤ : ١٤) . فإنه من المحال على المستنيرين الذين ذاقوا الموهبة السماوية واشتركوا في الروح القدس، وتذوّقوا كلمة الله الطيبة، وقوات الدهر الآتي (اي الاسرار المسيحية)، ثم **ارتدوا**، أن يجدّدوا ثانية بالتوبة: **فهم يعيدون في انفسهم صلب** ابن الله، ويشهّرونه» (٦ : ٤ — ٦)، لكفرهم بإلهيته، وفدائه في استشهاده.

فالردة عن الشهادة للمسيح بأنه ابن الله، والكفر بصلب المسيح، صلب جديد له.

«ومن ثمّ، ايها الاخوة، بما أن لنا بدم المسيح ثقة بالدخول الى المقادس

(السماوية) **من هذا الصراط الجديد الحي** الذي فتحه لنا من خلال الحجاب ، **جسده**؛ وبما ان لنا هذا الكاهن الاعظم على بيت الله ، فلندنُ بقلب صادق ، وفي كمال الايمان . . . **ولنتمسك بالشهادة** لرجائنا ، على غير انحراف . . . **لاننا إن كفرنا بعد ما نلنا معرفة الحق** ، فليس بعد من ذبيحة عن تلك الكبيرة ! بل هناك ما ينتظر من هول الدينونة ، وغضب نار **تلتهم المرتدين**. وان كان من يتعدّى شريعة موسى يُقتل قتلاً ، على شهادة اثنين أو ثلاثة ، فكم ترون يستوجب عقاباً أشد **من يدوس ابن الله ويحتقر دم العهد** الذي تقدس به » ؟ ! (١٠ : ١٩ — ٣٠) . إنها شهادة صريحة بردة « النصارى » عن المسيحية .

فالردّة « النصرانية » التي تحذرهم منها الرسالة ، تقوم على الكفر بيسوع انه ابن الله ، وعلى الكفر بمعنى الفداء في صلبه وسفك دمه .

وهذا **الكفر المزدوج بإلهية المسيح ورسالته الفدائية** بصلبه هـــو ما يميّز شيعة «النصرانية» ، من سنّة المسيحية ، طوال عهد الفترة ما بين الانجيل والقرآن. وهذه هي الصورة الصادقة الناطقة التي نجدها في القرآن نفسه ، للنصارى من بني اسرائيل .

●

خامساً : رسالة يوحنا الرسول الاولى

آخر صحابة المسيح انتقالاً الى الرفيق الاعلى ، كان يوحنا الرسول ، في آخر القرن الاول الميلادي . وقبل وفاتـــه دوّن سفر الرؤيا في سر الكنيسة من التاريخ ، والانجيل بحسب يوحنا في سر المسيح ، وذلك في بيئة تحكمت فيها الغنوص الهلنستيّة واليهودية و « النصرانية » . وكتب رسالته لتقديم الانجيل الى العالم المسيحي .

وفي الفترة ما بين الحرب السبعينية وآخـــر القرن الاول ظهرت في « النصرانية » الاسرائيلية النزعة الغنوصية ، فأدت فيها الى حركتين على طرفي

نقيض: الابيونية التي تميل الى تهويد المسيحية، والكيرنثية التي تميل الى العقلانية بتسلط الغنوصية عليها.

والحدّ من هـــذه النزعات الانحرافية في «النصرانية» يشهر بها يوحنا في رسالته التي بها يقدّم الانجيل ويوجز عقيدته. وفيها نرى أن **اهل البدعة والردة** من النصارى اليهود قد أمسوا، في آخر القرن الاول الميلادي «**خوارج**» على «الصراط المستقيم في المسيح» (٢ : ١٨).

ويوحنا يكتب للمسيحيين معرّضاً بهم، ويكتب بصفة **الشاهد العيان** «الذي كان من البدء الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا، الذي تأملناه ولمسته أيدينا: **كلمة الحياة الذي كان في الآب وظهر لنا**» (١ : ١ — ٤). ويقول: «لقد كتبت اليكم، لا لانكم لا تعرفون الحق، بل لانكم تعرفونه، ولانه ما من كذب يصدر عن الحق. ومن الكذّاب إلا الذي ينكر ان **يسوع هو المسيح**؟! ذاك المنكر هو المسيح الدجال! **الذي ينكر الآب والابن**! وكل من ينكر الابن ليس له الآب؛ ومن يشهد للابن فله الآب أيضاً» (٢ : ٢١ — ٢٣).

فمنذ آخر القرن الاول، استقر النصارى من بني اسرائيل على الكفر بالهية المسيح الابن، والكفر بالتثليث الانجيلي. لذلك يسميهم يوحنا الرسول **خوارج**: «يا أولادي الصغار، ها هي ذي الساعة الاخيرة! لقد سمعتم ان مسيحاً دجالاً سيظهر فيها: وها **مسحاء دجالون** كثيرون . . . **لقد خرجوا منا**، بيد أنهم لم يكونوا منّا، لانهم لو كانوا منا لاستقاموا معنا» (٢ : ١٨ — ١٩). **فهو يصم** أئمة «النصرانية» بالمسحاء الدجالين الخوارج على العقيدة المسيحية.

ويوجز لهم الشهادة المسيحية بقوله: «فهـــا هي ذي وصية (الله ربنا) أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح (٣ : ٢٣). فيا ايها الاحباء لا تركنوا الى كل روح: لان **أنبياء كذبة كثيرين** قد خرجوا الى العالم! بل اختبروا الارواح هل هي من الله. بهذا تعرفون روح الله: **كل من يشهد بأن يسوع المسيح أتى في الجسد هو من الله**؛ وكل روح لا يشهد ليسوع بهذا فليس من الله، انما هو روح

المسيح الدجال (٤ : ١ — ٣) . ونحن قد عاينا ونشهد أن الآب قد ارسل ابنه مخلصاً للعالم : فمن شهد بأن يسوع المسيح هو ابن الله ، فالله يقيم فيه ، وهو يقيم في الله » (٤ : ١٤ — ١٥) .

فالتثليث والتجسد والفداء هي الشهادة المسيحية الصحيحة ، كما يعلنها شاهد العيان منذ الساعة الاولى لسيرة المسيح ودعـــوته ورسالته . وهذا ما تنكره « النصرانية » الاسرائلية؛ لذلك يسمي أئمتها «أنبياء كذبة»، « مسحاء دجالين»: ويدمغهم بسمة « الخوارج » على العقيدة المسيحية الصحيحة . ويقول : « ذلك ما أكتب به اليكم بشأن الذين يضلونكم » (٢ : ٢٦) : فلئن كنا نقبل شهادة بشر (موسى والانبياء) ، فشهادة الله اعظم : وهذه هي شهادة الله التي شهد بها لابنه : فمن يؤمن بابن الله ، فله هذه الشهادة في نفسه ، ومن لا يصدق الله فقد جعله كاذباً ، اذ انه لا يؤمن بالشهادة التي شهد بها الله لابنه» (٥ : ٥ — ١٠). والنصارى من بني اسرائيل ، وقـــد أمسوا بالبدعة والردة خوارج، ينكرون الشهادة المسيحية : أن المسيح هو ابن الله أتى بالجسد ، وصلب بالجسد ، لخلاص العالم . فهم يفسرون الانجيل بالتوراة ، لا التوراة بالانجيل .

وهذه هي بدعة النصارى اليهود الخوارج ، كما اعلنها زعيمهم كيرنثس على أيام يوحنا الرسول ! ان المسيح «روح منه» تعالى ، حلّ على يسوع يوم عماده ، وفارقه قبل استشهاده . فمـــا قتل اليهود المسيح نفسه ، وما صلبوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه . انما قتلوا يسوع الناصري لا غير .

نقل لنا اوسابيوس[1] ، ابو التاريخ الكنسي ، حادثاً طريفاً وقع ليوحنا الرسول مع كيرنثس « النصراني » . دخل يوحنا الحمـــام البلدي . فقيل له : كيرنثس ههنا ! فهرول للحال مسرعاً في الخروج من الحمام ، وهو يقول للذين معه : « لنهرب ، خوفاً من ان يقع الحمام علينا : ههنا كيرنثس عدو الحقيقة » .

---

(١) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ١٨ ع ٦ .

تلك هي «النصرانية» في مصادر الوحي الانجيلي : بدأ النصارى من بني اسرائيل ، في فلسطين ، — لا نقول في البيئة الهلنستية ، حيث ذابوا مع الزمان في المسيحية — بدأوا شيعة في الشريعة والامامة ؛ وتطور تشيّعهم مع الحرب السبعينية الى نفاق في الدين والعقيدة ؛ وبعد الحرب السبعينية صار النفاق ردة؛ وانتهى أولئك النصارى الفلسطينيون ، في مهاجرهم بسوريا الكبرى ومصر ، الى خوارج على الشهادة المسيحية ، منذ اواخر القرن الاول الميلادي .

تلك هي «شيعة النصارى» في «العهد الجديد» . وهي تغنينا عن شهادة التاريخ في عهد الفترة ، ما بين الانجيل والقرآن ، لكننا سنستقرىء التاريخ لنرى كيف وصلت الى عهد القرآن ، وذابت في الاسلام .



الفصل الثاني

«النصارى» في التاريخ

طوطئة : تاريخ «النصارى» في «عهد الفترة»

بحث اول : موجز تاريخ «النصارى»

بحث ثان : هجرة «النصارى» الى الحجاز

بحث ثالث : انجيل «النصارى»

بحث رابع : علم الكلام عند «النصارى»

بحث خامس : اسلوب الدعوة عند «النصارى»

بحث سادس : عقيدة «النصارى»

بحث سابع : الشريعة والصوفية عند «النصارى»

كلمة الختام : النصارى «أمة وسط» بين اليهودية والمسيحة

توطئة

تاريخ النصارى في « عهد الفترة »

لقد ثبت لنا ، من مصادر الوحي الانجيلي في « العهد الجديد » ، ان اسم « النصارى[1] » محصور بأتباع المسيح من بني اسرائيل[2] ؛ بخلاف أتباع المسيح من جميع الامم الذين عرفوا منذ تأسيس المسيحية باسم « مسيحيين » (أع ١١ : ٢٦ ؛ قابل اع ٢٦ : ٢٨ ؛ ١ بطر ٤ : ١٦) في كل زمان ومكان .

وثبت لنا ايضاً ، خصوصاً من سفر اعمال الرسل ورسائل بولس ، أن النصارى من بني اسرائيل كانوا « **شيعة** » بالنسبة « للسنة » المسيحية ، وذلك بسبب تشيّعهم لشريعة موسى ولإمامة آل البيت عليهم . ولاظهار حق آل البيت بالامامة على الرسل صحابة المسيح كانوا يسمون أبناء عم المسيح « اخوة الرب » ، أو « السيّاد » . وكانوا يعتبرون يعقوب ، زعيم آل البيت ، وأول اسقف على اورشليم ، **خليفة المسيح** ، بحسب التقاليد الشرقية .

وثبت لنا اخيراً ، من « الرسائل الكاثوليكية » ، أن تشيّعهم أدّى بهم في آخر العهد الرسول الى **بدعة وردّة** .

والآن نرى ان تاريخ النصارى في « **عهد الفرّة** » ما بين الانجيل والقرآن ، يؤكد كيف جرهم تشيّعهم الى البدعة والردة في العقيدة المسيحية .

●

---

(١) وبعض الاحيان يسمون « نصرانيين » بحسب اختلاف صيغة النسبة . والعلامة ايريناوس الذي عرفهم وكتب عنهم يسميهم بالاسمين معاً .

(٢) وهذا ما يؤكده القرآن أيضاً (الصف ١٤) .

بحث اول

موجز تاريخ « النصارى »

نرى في تاريخ النصارى بعهد الفترة **ثلاث مراحل** : من ارتفاع المسيح الى الحرب السبعينية ؛ ثم ما بين النكبتين عام ٧٠ — ١٣٥ ؛ أخـيراً تشتتهم في الامبراطورية الرومانية حتى اعلان المسيحية دين الدولة ، في دولة الروم ، في منتصف القرن الخامس .

١ — النصارى من ارتفاع المسيح الى النكبة اليهودية الاولى عام ٧٠ م

تلك الفترة من اربعين سنة تسمى « العهد الرسولي » . وهو عهـد دعوة الرسل ، صحابة المسيح ، وتأسيس المسيحية في الامبراطورية الرومانية .

في هذا العهد الرسولي ، ظل « النصارى » على الصراط المستقيم في العقيدة الانجيلية ، مع تشيّعهم بإقامة الانجيل والتوراة معاً ، طالما يعقوب ، زعيم آل البيت على رأسهم .

حادثان خلقـا **النزاع الاول** في المسيحية ، فشقّاها الى شيعة وسنّة : الى « نصرانية » ، ومسيحية .

الحادث الاول هو دعوة بولس للمسيح بين الأميّين . وكان يبني دعوته على استقلال المسيحية عن الموسوية .

والحادث الثاني هو دخول الفريسيين في الدعوة الانجيليـة ، ومحاولتهم تهويدها ، وفرض الشريعة الموسوية على المهتدين من الأميين : « ان قوماً من الذين آمنوا ، من مذهب الفريسيين ، نهضوا وقالوا : انه يجب ان يُختنوا ويؤمروا بإقامة شريعة موسى » (اع ١٥ : ٥) . ويرى بولس في هداية هؤلاء الفريسيين حركة مشبوهة : في مؤتمر الرسل والكهنة بأورشليم عام ٤٩ م ،

« ان تيطس الذي كان معي ، وهو هلّيني ، لم يُضطرّ الى الختـــان ، رغماً عن **الدخلاء، الاخوة الكذبة،** الذين **اندسوا** خلسة في ما بيننا، **ليتجسّسوا حريتنا،** تلك التي لنا في المسيح يسوع ، بقصد ان يستعبدونا . غير أنا لم ننقد لهم في شيء ، ولا لحظة ، لتدوم لكم **حقيقة الانجيل** » (غلا ٢ : ٣ — ٥) .

وبما ان مركز الدعوة الانجيلية بين الأميين كان في انطاكية ، فقد حضر وفد من الفريسيين المتنصرين اليها وأثار النزاع في ضرورة شريعة موسى للمهتدين الى المسيحية من الأميين : « وانحدر من اليهودية قوم يعلمون الاخوة قائلين : إنكم انْ لم تختتنوا بحسب شريعة موسى فلا تستطيعون أن تخلصوا . واذ جرت بينهم وبين بولس وبرنابا منازعة حادة في المباحثة، جزموا ان يصعد بولس وبرنابا ونفر آخرون منهم الى اورشليم ، الى الرسل والكهنة ، للنظر في هذه المسألة » (أظ ١٥ : ١ — ٢) .

فانعقد المؤتمر الاول في المسيحية من الرسل وآل البيت والكهنة والشيوخ. وجرت مباحثة في المسألة . فحسم القضية بطرس زعيم الرسل بتحرير الأميّين المهتدين الى المسيح من شريعة موسى والختان . وأيده زعيم آل البيت، يعقوب. « فسكت الجمهور كله » (اع ١٥ : ٢ — ١٨) .

وترك المؤتمر أهل الكتاب المتنصرين احراراً في إقامة الانجيل والتوراة معاً . فأقاموا على إقامة التوراة مع الانجيل ، على مثال يعقوب وآل البيت .

كان هذا **الفصل الاول من النزاع** في سبيل شريعة موسى .

ونرى عقيدة النصارى مصورة في رسالة يعقوب ، « الى الاسباط الاثني عشر في الشتات » : إنها الانجيل بلغة توراتية .

وكان يعقوب في نظرهم **خليفة المسيح** بينهم . وكان من أولياء الله بالزهد والقداسة ، والمواظبة على شعائر الهيكل الاسرائيلي ، مع تكميل الانجيل .

فكان بهذا السلوك المزدوج المثال الاكبر للنصارى من بني اسرائيل ، حتى كانوا يسمونه « سور الشعب[1] » .

مع ذلك لم يسلم يعقوب ، زعيم آل البيت ، من اضطهاد اليهود . في عام ٥٩ كان بولس أسيراً في قيصرية فلسطين ، فاستأنف دعواه ، كمواطن روماني ، الى محكمة قيصر برومة . ولمّا أفلت بولس من يد اليهود ، وبدأت تردهم الاخبار من رومة بتبرئته ودعوته الكاسحة ، ارتد غضبهم على يعقوب ، اسقف اورشليم ، لانه ربما ساعد على نجاة بولس من قبضتهم . وأخذوا يتربصون به الدوائر ، حتى خلت فلسطين من والٍ روماني ما بين موت الوالي فستس ، الذي ارسل بولس الى محكمة قيصر في رومة ، مع توصية حسنة به ، ومجيء الوالي ألبينوس خلفاً له . فجمع الحبر الاعظم حنّان الثاني السنهدرين ، مجلس اليهود الاعلى ، واستصدر فتوة بقتل يعقوب لايمانه بيسوع انه المسيح . فحملوه الى قمة سور الهيكل وطرحوه الى الوادي ، حيث اجهزوا عليه بالرجم[2] .

وباستشهاد يعقوب عام ٦٢ م ، وفي أسر بولس برومة ، انتقل الحزب الفريسي النصراني الى **الفصل الثاني** من تشيّعه : بجعل المسيح من منزلة موسى ، النبي الموعود « مثله » . وقد رأينا الرد عليهم في رسائل بولس ، وفي « الرسائل الكاثوليكية » مع الرسالة الى العبرانيين .

ولمّا قامت ثورة اليهود على الاستعمار الروماني عام ٦٦ — ٧٠ م كانت المسيحية قد انشقت الى **سنّة وشيعة** : سنّة المسيحيين من الأمميّين ، وشيعة النصارى من بني اسرائيل .

●

---

(١) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٢ ف ٢٣ ع ٧ .

(٢) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٢ ف ٢٣ ؛ قابل يوسيف : الآثار اليهودية ك ١٨ ف ٣ ع ٣

٢ – النصارى ما بين النكبتين (٧٠ – ١٣٥ م)

اندلعت الثورة اليهودية على الدولة الرومانية عام ٦٦ م. فجاء الجيش الروماني بقيادة فسبسيانس وابنه تيطس لتأديب اليهود. وحاصروا اورشليم.

وقبل الحصار قام احد الانبياء وحذّر النصارى من الحصار المقترب؛ وذكرهم بكلمة المسيح ووصيته بالهرب من اورشليم عندما يحيط بها من بعده جيوش الغزو، لان ساعتها تكون قد حضرت[1].

فهرب النصارى من اورشليم واليهودية الى شرق الاردن. وأقاموا في بلّة وفي كوْخَبة. وهكذا سلموا من الحصار ومن الدمار.

وكان الحصار وحشياً، حتى أكل الناس بعضهم بعضاً. وقد نقل أوسابيوس وصفه عن المؤرخ اليهودي يوسيف[2].

فمحى الرومان اورشليم محواً، ولم يتركوا فيها حجراً على حجر! فتمت بذلك نبوءة المسيح فيها. وكان ذلك عام ٧٠ م، اي نحو اربعين سنة من نبوءة المسيح.

وبعد سحق الثورة، وخراب المدينة المقدسة وهيكلها العظيم، واستتباب الامر للرومان، سمحوا بإعادة البناء فيها، لكنهم لم يسمحوا بإعادة بناء الهيكل الذي تحوّل الى حصن أخير أثناء الحصار. بل بنى الرومان على انقاضه معبداً لجوبيتر. فسقطت ممارسة الديانة عندهم، كما سقطت دولتهم.

وفي هذه الحرب اليهودية دمر الرومان أيضاً أديرة قمران، للرهبان الاسينيين من اليهود. فخبّؤوا كتبهم في اكناف مغاور الدير، فجاء الحريق عليها، وسلم منها ما سلم حتى اكتشفوه حديثاً.

---

(١) اوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٥ ع ٣.

(٢) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٥ و ٦؛ قابل يوسيف: الحرب اليهودية ك ٥ و ٦.

وعام ٧٦ م رجع معظم «نصارى» اورشليم اليها، والى اليهودية ، مع سمعان أخي يعقوب على رأسهم . وكانوا قد انعظوا بما جرى للمدينة المقدسة ، وللهيكل عنوان فخرها . لكنهم ازدادوا انعزالاً ، بإقامة التوراة مع الانجيل ، عن سائر العالم المسيحي ؛ بالرغم من الرسالة الى العبرانيين ، التي جاءتهم مدة الهجرة والحصار ، تحذّرهم من البدعة والردة .

وكانت العبرة اكبر عند رهبان قمران الذين صعقهم تتميم نبوءة المسيح بأمتهم ودولتهم وهيكلهم . وسارع الكثيرون منهم ومن جماعاتهم العلمانية ، الى الدخول في « النصرانية » . لكنهم دخلوها بروحهم التوراتية وتزمتهم الرهباني . فزادوا « النصرانية » تشيّعاً للتوراة عن حقيقة الانجيل . وتسمّت حركتهم النصرانية الاسينية القمرانية **بالأبيونية**، من قول المسيح الذي اتخذوه شعاراً لهم : « طوبى للمساكين – (وبلغتهم : طوبى للابيونيين) – فإن لهم ملكوت السماوات » .

وشيئاً فشيئاً صبغت حركتهم النصرانية كلها، على درجات متفاوتة، وبحسب التيارات المتعارضة فيها من علم الكلام . قال عالم في تاريخ الكنيسة الحديث[١] : « ان اسم أبيونيين قام مقام، أو صار صفة ، لاسم « نصارى » الذي تسمّى به من قبل اتباع المسيح من اليهود » .

ويصف أوسابيوس ، اسقف قيصرية فلسطين، الذي كانت مكتبته الاسقفية تحوي على مر الزمان مؤلفات الاولين كلها، التأثير الأبيوني على النصرانية الاسرائيلية . قال[٢] :

« منذ البدء سموهم بحق أبيونيين (اي فقراء) لانه كان لهم في المسيح اراء فقيرة حقيرة . فكانوا يعتبرونه بشراً سوياً، **بشراً لا غير** ، تقدّس بممارسة

---

(١) Fliche et Martin. Livre I p. 394

(٢) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ .

الفضيلة. **وقد ولد من رجل ومريم**. وكانوا يتمسكون بإقامة الشريعة، لانه على زعمهم لا خلاص بالايمان بالمسيح وحده، بل بإقامة الشريعة ايضاً.

«لكن الى جانب هؤلاء كان آخرون يحملون اسمهم من دون حماقتهم. فهؤلاء لا ينكرون مثلهم مولد المسيح من بتول بمعجزة من الروح القدس. لكنهم مثلهم لا يعترفون بأزليته، مع أنه الرب والكلمة والحكمة. **وهكذا يرجعون الى كفر الاولين**. وكانوا مثلهم يغارون على إقامة أحكام الشريعة الجسدية (اي الموسوية). وكانوا يقولون برفض رسائل الرسول، ويسمّونه «المرتدّ». ولا يقبلون **إلا الانجيل بحسب العبرانيين** (اي انجيل النصارى). وقد لا يكترثون بغيره. وكانوا **يحفظون السبت**، ويسلكون بحسب اليهودية، مع انهم يقيمون الاحد مثلنا، ذكرى لقيامة المسيح المخلص.

«لذلك استحقوا اسم «أبيونيين» **الذي** يُظهر فقر ذهنهم، **فإن هذا هو** معنى الفقراء عند العبرانيين». هذا هو التعريف الوافي «بالنصرانية».

وهذه أصح فذلكة تاريخية لتطور العقيدة «النصرانية» حتى **القرن الرابع** الذي فيه وضعهـــا مؤرخ الكنيسة أوسابيوس، الذي عرفهم عن كثب وكان بين ظهرانيهم. وقوله شهادة الشاهد العيان.

فبتأثير الاسينيين المتنصرين، الذين نصّروا رهبانيتهم القمرانيـــة معهم فتسموا «أبيونيين»، سيطرت الروح التوراتية على «النصرانية» وانحرفت عن «حقيقة الانجيل» كما لحظ بولس منذ تنصّر الفريسيين (غلا ٢ : ٥). فعند عامتهم ان السيد المسيح وُلد من بتول لم يمسسها بشر، لكنه ليس بإله، وان سموه على المجاز والاصطفاء «ابن الله». فإن تعابير «ابن الله» و«كلمة الله» و«حكمة الله» تعني في كلامهم الغنوصي الناشئ أوصاف «الروح» زعيم الملائكة.

وهذا التيار الأبيوني في «النصرانية» هو ما يثور عليـــه **نداء يهوذا أخي** يعقوب وسمعان، من مجلس اساقفتهم، في «رسالة يهوذا».

ونحو العام الثمانين حرم السنهدرين «النصارى» من مخالطة اليهود في صلاتهم، بتأثير رابي جماليل الثاني. فصار «النصارى» — **ومعهم بطبيعة الحال** المسيحيون — بدعة كافرة، بنظر اليهود، يجب لعنهم مع «المِيْنيم» المشركين كل يوم في صلاة «شمونه عشْره». فالبركة الثانية عشرة تقول:

«لا يكن للمرتدين رجاء! ولتُستأصلْ دولة الظلم سريعاً، وعلى ايامنا! وليضمحلْ في لحظة النصارى والمشركون! وليمحوا من سفر الحياة! ولا يكن لهم حظ مع الصالحين. الحمد لك، أدوناي، مذلّ المتجبرين»!

هذا الحرم اليهودي، من جهة؛ واستقلال النصارى عن المسيحيين في اقامة احكام التوراة مع الانجيل؛ جعلا «النصرانية» كياناً وعقيدة «**أمةً وسطاً**» بين اليهودية والمسيحية، منذ اواخر القرن الاول.

وعبثاً حاولت رسالة بطرس الاولى، وخصوصاً الثانية التي جُمعت من بعده مع ادماج رسالة يهوذا فيها، جلبهم الى الصراط المستقيم في المسيحية. فأصرّوا أنهم في «نصرانيتهم» على الصراط المستقيم، وعلى دين الحق.

وفي أواخر القرن الاول ميلادي ومطلع الثاني، في عهد الامبراطور ترايانس، نجم في النصرانية، بتأثير علم الكلام الطالع المبني على **الغنوص** — التفسير «العلمي» للعقيدة الانجيلية — وعلى **اسلوب الرؤيا**، حركتان على طرفي نقيض: **الكيرنثية** الموغلة في الغنوصية، والتي تقول بجنة حسية عند رجوع المسيح[1]؛ ثم **الكسائية** الموغلة في التهويد[2]. وكان الكسائي يأمر بالقبلة الى اورشليم في الصلاة[3] على خلاف المسيحيين الذين يصلون الى الشرق.

حينئذٍ كتب يوحنا الرسول، آخر صحابة المسيح على قيد الحياة، في ختام

---

(١) اوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٨.

(٢) ابيفانس: الشامل في التاريخ ك ٩ ف ١ ع ٥.

(٣) ابيفانس: الشامل في التاريخ ك ١٩ ف ٣ ع ٦ — ٧.

القرن الاول، رسالته الاولى المسيحيين ينعت فيهـــا أولئك المتكلمين من « النصارى » بالخوارج .

في هذه الاثناء كان سمعان، رئيس اساقفـــة النصارى في اورشليم يقود الكنيسة « النصرانية » على هدى أخيه وسلفه يعقوب، بإقامة الانجيل والتوراة معاً . وعاش سمعان حتى عهد القيصر ترايانس . وفي ولاية أتكُس وُشي به فحُكم عليه بالموت صلباً . وقاسى في استشهاده عذابات طويلة وكثيرة أثارت اعجاب الوالي حتى كان يقول : كيف يستطيع ابن مائة وعشرين سنة ان يتحمل كل هذه الآلام المبرحة[1] !

فخلفه على امامة النصارى يُستس، وربما هو يوسى اخو يعقوب وسمعان، يعاونه مجلس اساقفة يعدهم اوسابيوس خمسة عشر[2] .

وفي ايام القيصر ترايانس وُشي « **بالسيَّاد** » من آل بيت المسيح، كمطالبين بالعرش الاسرائيلي، فاقتيد أحفاد يهوذا الى رومة . فلما رآهم القيصر من عامة الناس تركهم وشأنهم . فاعتبروا مجاهدين، « وحكموا كنائسهم[3] » .

وتعاقب « السيَّاد »، من آل بيت المسيح على امامة النصارى حتى اندلعت **الثورة اليهودية الثانية** على الدولة الرومانية عام ١٣٢، على ايام هدريانس قيصر.

قام بالثورة رجـــل من كوزبة سمّاه الربَّان عَقِبَة : « ابن كوكب » ـ بركوكبا ـ فادّعى انه المسيح الموعود الذي أتى لتحرير اسرائيل من الأميين . فلم يشترك النصارى معه بالثورة، بسبب هذا الادعاء وبسبب ولائهم للدولة، مما أثار حفيظة اليهود عليهم وجعلهم عرضة للاضطهاد اليهودي على الصعيدين القومي والديني ؛ فعملوا في النصارى ذبحاً وتقتيلاً[4] .

---

(١) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ١١ و ٢٠ و ٣٢ .

(٢) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٢ .

(٣) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ١٩ و ٢٠ .

(٤) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٤ ف ٦ .

فكانت ضربة رومة هذه المرة الضربة القاضية على الأمة والدولة والمدينة المقدسة . وفي عام ١٣٥ محى الرومان حتى اسم اورشليم . وسموا المدينة الجديدة التي قامت على أنقاض اورشليم « ايلياء » من اسم القيصر « ايليوس هدريانس » . وحرموا دخولها على كل يهودي . فطال المنع النصارى من بني اسرائيل . فقامت كنيسة مسيحية من الاميّين في اورشليم بـــدل كنيسة النصارى ؛ وتزعمهم بطريرك من الروم حتى أيامنا .

في هذه النكبة الثانية القاضية ، تشتت النصارى من بني اسرائيل في سوريا الكبرى وفي مصر ، جماعات جماعـــات يعيشون مستقلين على هامش الكنائس المسيحية .

●

٣ — النصارى من تأسيس ايلياء حتى قيام المسيحية ديناً للدولة (١٣٥-٤٢٥) .

من هجرة النصارى عن اورشليم عام ١٣٥ ، وتشتتهم في الولايات الشرقية من الامبراطورية الرومانية ، حتى هداية الدولة الرومانية الى المسيحية عام ٣١٣ ، وقيام المسيحية فيها ديناً للدولة على ايام ثاوضوسيوس الكبير وابنائه عام ٤٢٥ ، ليس لدينـــا في المصادر التاريخية الباقية سوى شذرات تذكر وجودهم وعقيدتهم وانجيلهم .

فهذا يستين ، الفيلسوف النصراني الكاثوليكي ، من نابلس ، وصاحب مدرسة في رومة ، يكتب في مطلع هجرة النصارى الى الامبراطور ومجلس الشيوخ دفاعين عن المسيحية . وفي (الحوار مع تريفون[١]) — متكلم يهودي يقاوم الدين المسيحي — يعتبر النصارى المحافظين — وهو أصلاً منهم — عـــلى صراط مستقيم في نصرانيتهم بإقامة التوراة والانجيل معاً ، شريطة أن لا يفرضوا طريقتهم على غيرهم و يُلزموا المسيحيين بالتهويد .

---

(١) قابل مجموعة الآباء اليونان ك ٤١ ص ٣٨٨ .

وفي أواخر القرن الثاني، يشهد فيهم الاسقف العلامة ايرناوس الشهادة عينها[1].

وفي القرن الثالث نرى عند العلامة أوريجين ان النزعة الابيونية قد سيطرت على «النصرانية» حتى صار اسم (ابيونيين) مرادفاً لاسم (نصارى). في (الرد على كلسس) يقول اوريجين[2]: «يظهر ان كلسس لا يعرف ان الذين آمنوا بالمسيح من اليهود لم يتركوا شريعة آبائهم، **بل هم يسلكون بموجب أحكامها حتى اليوم**. واسمهم (الابيونيون) مشتق من فقر تلك الشريعة: فالفقير يقال له في لغة اليهود (أبيون)؛ واليهود الذين يؤمنون ان يسوع هو المسيح قد اتخذوا اسم أبيونيين».

ولنا عند اوريجين شهادة قيمة على تضاؤل **عدد النصارى** في القرن الثالث. فهو يقول[3] على تفسير الآية (٧ : ٤) من سفر الرؤيا: «ان عدد (١٢٤٠٠٠) لا ينطبق على النصارى لانهم لا يبلغون هذا العدد، بل علينا نحن المسيحيين». فهكذا نرى ان عدد النصارى أخذ يتضاءل لانكماشهم على أنفسهم، وسط بغض اليهود لهم، ونفور المسيحيين منهم. «وبقي حتى القرن الثالث في الاوساط النصرانية من أولئك (السيّاد) من آل المسيح الذين ظلت لهم حرمة كبرى[4]». والعلامة اوريجين يميّز بين النصارى المحافظين، والابيونيين المنحرفين: «النصارى بعضهم على رأي الارثذكسيين، وبعضهم يعلم ان يسوع ولد كسائر الناس[5]». ويقول أيضاً: «إن النصارى الابيونيين فئتان: **فئة تقول بمولد المسيح المعجز**، وفئة تقول بمولده الطبيعي. **ولكن الفئتين تنكران أزليته**» وبالتالي الهيته.

هذا ما انتهى اليه تطور «النصرانية» في العقيدة التي وصلت الى القرآن.

---

(١) الرد على الهرطقات ك ١ ف ٢٦ ع ٢

(٢) مجموعة الآباء اليونان ك ١١ ص ٧٩٣ : الرد على كلسس ٢ : ١

(٣) مجموعة الاباء اليونان ك ٢١ ص ١٢٧٨ : الرد على كلسس ٥ : ٦١

(٤) Fliche et Martin : Histoire de l'Eglise L I p. 394

(٥) مجموعة الاباء اليونان ك ١١ ص ١٢٧٧ : الرد على كلسس ٥ : ٦١

وفي القرن الرابع لدينا أولاً الشهادة القيمة للعلامـــة جيروم الذي اعتنى بالنصارى وترجم انجيلهم الى اليونانية واللاتينية . فقد كتب الى القديس العلامة اغسطين[١] في رسالة : « وماذا أقول في الابيونيين ؟ . . . انهم هم الذين تسميهم العامة : النصارى » . يظهر من هذه الشهادة ان اسمهم الشعبي (نصارى) واسمهم العلمي (أبيونيون) .

ويكتب اليه في عقيدتهم[٢] : « يؤمنون بالمسيح انه **ابن الله المولود** من العذراء مريم . ويقولون فيه انه استشهد على عهد بنطيوس بيلاطس وقام . ونحن ايضاً نؤمن بذلك . ولكن بما انهم يريدون أن يكونوا يهوداً ومسيحيين ، **فهم ليسوا يهوداً وليسوا مسيحيين** » — انهم « أمة وسط » بين اليهود والمسيحيين .

وبمقارنة شهادة اوريجين بشهادة جيروم يتضح ان تسمية النصارى للمسيح « ابن الله » هي على المجاز . وهذا التعبير المجازي سيذوب هو نفسه .

ويقول جيروم ايضاً[٣] : ان الانجيل الذي يقبله النصارى والابيونيون واحد : « هذا موجود في الانجيل الذي يقبله النصارى والابيونيون » .

ومن القرن الرابع عندنا ثانياً شهادة المطران ابيفان ، وهو يذكر في فصل النصارى وفي التالي الابيونيين . يقول في النصارى[٤] : « ان النصارى من اليهود ؛ ونزعتهم التهويد . قضية واحدة تميّزهم عن المسيحيين وعن اليهود على السواء :

---

(١) الرسالة ٨٩ : ١٣ في مجوعة الآباء اللاتين ك ٢٢ ص ٩٢٤

(٢) مجوعة الاباء اللاتين ك ٢٢٧ ص ٩٢٤ . وهذا هو النص اللاتيني :

«qui credunt in Christum, Filium Dei, natum de Virgine Maria, et Eum dicunt esse qui sub Pontio Pilato passus est et resurrexit, in quem et nos credimus. Sed dum volunt et Judei esse et Christiani, non Judei sunt nec Christiani».

(٣) جيروم تفسير الانجيل بحسب متى ك ١٢ ف ١٣ :

«in Evangelio quo utuntur Nazarei et Ebionitac»

(٤) الشامل في الهرطقات ك ٢٩ ف ٧ . قابل مجوعه الاباء اليونان ك ٤١ ص ٤٠١

يتميّزون عن اليهود بإيمانهم بالمسيح ؛ ويتميزون عن المسيحيين بإقامة الشريعة والختان والسبت وسائر الاحكام التوراتية . فهم ليسوا مسيحيين ! انما هم يهود ، لا أكثر مـــن ذلك » . ويضيف : ان لغة الصلاة عندهم لا تزال العبرانية اي الارامية السورية . ذاك التعريف المتواتر يجعل منهم «الامة الوسط» بين اليهودية والمسيحية .

نختم اخيراً بشهادة جامع التاريخ المسيحي ، العلامة اوسابيوس (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ ع ١ — ٦) . وقد نقلناها سابقاً : إن النصارى يقيمون التوراة والانجيل ؛ ويؤمنون بمولد المسيح المعجز من بتول ، ويقولون بأنه ابن الله ، وكلمة الله ، وحكمة الله ، لكن لا يعترفون بإزليته اي بإلهيته : فهو اذن عندهم «ابن الله» على المجاز . ونعرف ان الابيونية الطاغية على «النصرانية» تنكر عليه حتى هذا اللقب المجازي . وسنرى ان تفسيرهم الملائكي لعقيدة التثليث هو الذي حملهم على انكار ازلية والهية المسيح ، كلمة الله .

فما كان في مصادر الوحي الانجيلي تحذيراً من البدعة والردة ، نراه في أطوار تاريخهم حقيقة واقعة تشهد بها كل المصادر المعروفة .

وسيطرت المسيحية عـــلى الدولة الرومانية مع قسطنطين الكبير . ومن المجمع المسكوني الاول عام ٣٢٥ الى الثالث عام ٤٣١ والرابع ٤٥١ وقع النصارى بين نارين : نار بني قومهم اليهود ، ونار بني دينهم المسيحيين . وكان عددهم يتضاءل بانكماشهم على أنفسهم .

وفي منتصف القرن الرابع صدر الدستور التيوضوسي يفرض المسيحية ديناً للدولة . وجرى الضغط لفرض الايمان المسيحي على الكافرين . فهاجر اليهود الى دولة الفرس ، فكانوا عيوناً لهم وطابورهم الخامس بين العرب وبين الروم . وانطفى خبر النصارى في المصادر المسيحية .

ماذا حلّ بالنصارى ؟ هذا هو السؤال الذي حار فيه المؤرخون حتى اليوم . هل زالوا بقدرة قادر فذابوا في المسيحية أو في اليهودية ؟ لا يرى المؤرخـــون

سوى هذا الواقع المشبوه. فالعالم (زيلر) في تاريخ الكنيسة الكبير[١]، يعتمد على العلامة (دوشين[٢]) ليقول:

«يظهر ان تقارباً حصل بين النصارى وبين الكنيسة العظمى، على نطاق افرادي، فليس من اتحاد جماعي. ويجوز ايضاً ان قسماً منهم عاد الى اليهودية. وهكذا **تنتهي النصرانية اليهودية في الظل والحقارة**. فالكنيسة المسيحية كلما ازدهرت في العالم الاغريقي الروماني، كانت تبتعد عن مهدها، بتحرّرها من النصرانية اليهودية، كتحررها من اليهودية نفسها».

ونحن نرى ان النصارى من بني اسرائيل لم يذوبوا في يهودية ولا في مسيحية؛ ولم ينتهوا في الظل والحقارة. إنما كانت لهم هجرة ثانية مـن دولة الروم الى الحجاز الحاجز بصحاريه من دولة الروم ودولة الفرس؛ لان اطراف الجزيرة العربية قد دانت بالمسيحية على شيعها المختلفة، قبل هجرة النصارى الى الحجاز. سنتحقق وجودهم في الحجاز **يمهدون لظهور الاسلام بالنهضة الجاهلية** في التجارة والأدب والدين التي بعثوها في مكة، أم القرى. هـذا ما نراه في القرآن والسيرة والحديث.

* * *

بحث ثانٍ

هجرة «النصارى» الى الحجاز

لما فرض الدستور التيوضوسي المسيحية ديناً للدولة لم ير اليهـود بدّاً من

---

(١) Jacques Zeiller, dans Fliche et Martin: Histoire de l'Eglise I p. 395

(٢) Duchesne: Histoire ancienne de l'Eglise I p. 127-128

الهجرة، فهاجروا بمعظمهم الى دولة الفرس، عدو الروم، ليكونوا عوناً وعيوناً لهم على الروم. وهذا شأن اليهود عبر التاريخ، فهم يعيشون كطفيليات يعششون في جسم كل دولة كبرى قامت في الشرق أو الغرب. والتاريخ المعاصر شاهد على التاريخ الغابر. وتوغل اليهود الى اليمن، وحاولوا تهويده، بانتزاعه من سلطان الحبشة المسيحيين الى تاج الشاه. والصراع في القرن الخامس بين المسيحية الحبشية واليهودية للسيطرة على اليمن، وعلى طرق المواصلات بين الشرق والغرب، معروف ومشهور. وكان من نتائج ذلك الصراع الديني والسياسي شهداء نجران الذين أشاد بهم القرآن (سورة البروج).

والنصارى الواقعون بين نارين، نار اليهود ونار المسيحيين، لم يبق لهم من ملجإ سوى الحجاز المحجوز عن الروم وعن الفرس بصحاريه وحياده السياسي، فهاجروا اليه، واستوطن الاكثرون منهم مكة، أم القرى، لان اليهود كانوا قد تغلغلوا الى الطائف والى يثرب (المدينة).

ولنا دليل على هجرة النصارى الى الحجاز القرآن والسيرة والحديث.

رأينا في كتابنا (القرآن والكتاب ص ٤٦) ان المسيحية كانت سائدة في شمال الجزيرة من نجد الى الحيرة الى غسّان، حتى بادية الشام: « إن قبائل عربيّة كثيرة كانت تنزل الشام، بل تشارك دولة الروم في الاحكام. وأشهرها غسان في الجنوب، وتنوخ في الشمال، وتغلب في الشرق. وكانت هذه القبائل العربية قد دانت بالنصرانية » اي بالمسيحية[1]. وما نقلناه في كتابنا المذكور يتعلق بالمسيحية على مختلف شيعها في الجزيرة العربية.

وهنا نحاول ان نبرهن استيطان النصارى من بني اسرائيل في الحجاز، وفي مكة نفسها. ومن أثر هجرتهم الى مكة ان « **تنصّر من أحياء العرب قوم من قريش** »[2].

●

---

(١) محمد كرد علي: خطط الشام ١ : ١٠٥

(٢) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٨

اولاً : شهادة القرآن بوجود النصارى بمكة والمدينة

واقعان في القرآن يستلفتان الحسبان : لا يعرف القرآن اسم « مسيحيين » على الاطلاق ، ولو أشار اليهم، مع انه الاسم الوحيد الذي يعرفون به في جميع مواطنهم . فلا يذكر القرآن إلا اسم « النصارى » المخصوص بشيعة كما رأينا .

والقرآن كله حوار متواصل مع أهل الكتاب من يهود ونصارى . وفي مواقف الاستشهاد بالنصارى ، وتأييدهم للدعوة القرآنية ، واندماجهم بها ، **لا يمكن ان يعني القرآن إلا النصارى من بني اسرائيل** — بسبب موقفه من التثليث والهية المسيح .

ان النبي العربي يؤمر بأن يقتدي بهدى « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . . . اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠) . وان أهل « الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » هم « النصارى » لا اليهود .

من هم هؤلاء « النصارى » ؟

يقول : « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٠٧). وبما ان اليهود هم مع المشركين « أول كافر به » ، وهم « شر البرية » : فهؤلاء العلماء من بني اسرائيل هم النصارى من بني اسرائيل . وشهادتهم للدعوة القرآنية تكفي محمداً حجة وبرهاناً: « ويقول الذين كفروا: لست مرسلاً ! — قل: كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) . « من عنده علم الكتاب» هم «أولو العلم قائماً بالقسط» الذين يشهدون مع الله ملائكته : « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٧ — ١٨) . وهؤلاء « العلماء » ليسوا اليهود ، ولا المسيحيين ، كما تشهد سائر القرائن القرآنية . انما هم النصارى من بني اسرائيل .

هذا ما يصرح به بقوله: « ومن **قوم موسى** أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) . هذه الامة من قوم موسى المهدية الهادية هي التي يسميها

الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، وجاء القرآن يؤيد دعوتها في مكة والحجاز والجزيرة كلها : « فآمنت **طائفة من بني اسرائيل** (بالمسيح) وكفرت طائفة (اليهود): فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين »(الصف ١٤).

هذه الشهادة القرآنية واضحة صريحة ، **بوجود النصارى من بني اسرائيل في مكة** ، وتأييد القرآن لدعوتهم في أم القرى ثم في المدينة . هـــذا واقع قائم ، بنص القرآن القاطع .

•

ثانيا : شهادة السيرة النبوية بهجرة «النصارى» الى الحجاز

في السيرة النبوية الهاشمية والحلبية والمكية ، **خبر سلمان الفارسي** . يروونه قاصدين منه الدلالة على ان رهبان النصارى تنبأوا بمجيء محمد النبي العربي . وهذا هدف مشبوه لان رهبان النصارى لم يكونوا أنبياء . أما نحن فنأخذ واقع الخبر دليلًا على انسحاب النصارى من بني اسرائيل مـــن الشام والعراق والانضوال الى الحجاز .

جاء في السيرة النبوية لابن هشام[1] ، «وهو أقدم كتاب في سيرة الرسول» : ان سلمان كان مجوسياً بفارس ، ومن عائلة شريفة . فمرّ بكنيسة «للنصارى» فتطلع الى النصرانية؛ وعرف من رهبانها ان أصل هذا الدين بالشام(١ص٢٢٨).

واتفق سلمان والرهبان عـــلى الهرب الى الشام . «فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علماً . قالوا : الاسقف في الكنيسة . فجئت فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلّي معك . قال : ادخل . فدخلت معه» (١ ص ٢٢٩) .

كان ذاك الاسقف — أو بالحري القس ، بلغة النصارى — سيئاً ، فهلك . وخلفه اسقف صالح . «فأقمت معه زماناً طويلًا . ثم حضرته الوفاة . فقلت له :

---

(١) مصطفى السقا ورفيقاه . مطبعة الحلبي بمصر . عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

يا (فلان) اني قد أحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك . وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أي بني ، **والله مـــا اعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه : فقد هلك الناس** (جماعة القس) ؛ وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلًا بالموصل ، وهو (فلان) ، **وهو على ما كنت عليه** فالحق به » (١ ص ٢٣٠) .

ـ ان السيرة تشهد بأن النصاوى بالشام قـــد انتهوا ؛ وغيرهم – اي المسيحيون – « بدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه » . ولم يبق في الشام أحد على مذهب القس النصراني . فارسل تلميذه سلمـــان الى القس النصراني بالموصل . والتاريخ العام يشهد أن أهل الشام كانوا في القرن السابع جميعاً مسيحيين ، على ثلاث فرق الملكية واليعقوبية والنسطورية ، وكانت الفرقة السائدة بدمشق الملكية . وظلت المسيحية هي السائدة مع الفتح الاسلامي . فكيف تقول السيرة بأن ذلك الاسقف هو آخر اسقف «على ما كان عليه » ؟ فالشهادة مزدوجة : اولًا بأن ذاك الاسقف كان « نصرانياً » لا مسيحياً ، لان الاساقفة المسيحيين ظلوا على رأس طوائفهم بدمشق ؛ وثانياً بأنه بوفـــاة القس الدمشقي النصراني قد انقطعت « النصرانية » من الشام .

وصل سلمان الى الموصل . ووجد الاسقف النصراني الذي بعث اليه . «فأقمت عنده . فوجدته خير رجل عـــلى **امر صاحبه** ، فلم يلبث ان مات فلما حضرته الوفاة ، قلت له : يا (فلان) إن (فلاناً) أوصى بي اليك ، وأمرني باللحوق بك ؛ وقد حضرك من أمر الله ما ترى : فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني **والله ما اعلم احداً على مثل مـــا كنا عليه** ، إلا رجلًا بنصيبين ، وهو (فلان) فالحق به » (١ : ٢٣١) .

ونعلم ان الموصل ، والعراق كله ، كان على المسيحية . والملة السائدة فيه كانت النسطورية المسيحية ، حتى بعد الفتح الاسلامي : فعدم وجود « رجل على ما

كنا عليه » دليل على ان ذاك القس كان « نصرانياً » ، وعلى ان « النصارى » قد انقرضوا في العراق وانسحبوا منه .

نصيبين مدينة من الجزيرة السورية ، ما بين الفرات والخابور .

يقول ايضاً سلمان : « فلما مات وغيّب لحقت بصاحب نصيبين . فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحبي . فقال : أقم عندي . فأقمت عنده . **فوجدته على امر صاحبه** . فأقمت مع خير رجل . فوالله ما لبث ان نزل به الموت . فلما حضر قلت له . يا (فلان) ان (فلاناً) كان أوصى بي الى (فلان) ثم أوصى بي (فلان) اليك : فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني ، **والله ما اعلم بقي احد على امرنا** أمرك ان تأتيه ، إلا رجلًا بعمورية من ارض الروم ، **فانه على مثل ما نحن عليه** ، فإن احببت ، فأته ، **فإنه على امرنا** » (١ ص ٢٣١) .

— كذلك ، كانت الجزيرة السورية على المسيحية قبل سلمان وقسّه ، ومن بعدهما . فحصر المسيحية « على أمرنا » دليل انها كانت « النصرانية » التي يشهد سلمان انسحابها .

ويضيف : « لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري . فقال : أقم عندي . فأقمت عند خير رجل **على هدي اصحابه وأمرهم** . . . ثم نزل به أمر الله تعالى . فلما حضر قلت له : . . . الى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : **أي بني** ، **والله ما اعلم أصبح اليوم احد على مثل ما كنا عليه** ، **من الناس** ، آمرك به أن تأتيه . ولكنه **قد أظل زمان نبي** ، وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجره الى أرض بين حرتين ، بينهما نخل . به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ؛ **وبين كتفيه خاتم النبوة** . فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل » (١ ص ٢٣١ — ٢٣٢) .

هذه هي الشهادة على انسحاب « النصارى » الى الحجاز ، « أرض العرب ، بين حرّتين » . كانت بلاد الشام والموصل والجزيرة السورية والاناضول كلها على المسيحية ، بفرقها الثلاثة المعروفة ، قبل سلمان وبعده . فقول آخر راهب

نصراني لسلمان: «**والله ما اعلم اصبح اليوم احد على مثل ما كنا عليه من الناس**» دليل على انقراض النصارى في تلك الأقاليم المسيحية. وإشارة آخر راهب نصراني على سلمان الفارسي بالتوجه الى الحجاز، حيث «**أظل زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم**» برهان على تجمع النصارى في الحجاز، وعلى «نصرانية» النبي العربي: ولولا ذلك ما أمره الراهب النصراني أن يأتيه.

●

يؤيد ذلك **خبر الراهب بحيرى**، في بصرى حوران، وصلة محمد به، كما نقلته السيرة ايضاً. كانت حوران مثل سائر الشام كلها على المسيحية. وبصرى كانت مركز رئيس أساقفة حوران. فسفر محمد يافعاً، ثم تاجراً، في رحلة الصيف الى ديار الشام، ولقاؤه في كل رحلة للراهب النصراني — من دون غيره من الرهبان ورجال الدين المسيحي — بعد الاجتماع الدائم الى ورقة بن نوفل، قس النصارى بمكة، مدة خمس عشرة سنة من زواج محمـــد حتى مبعثه، دليل أيضاً على «نصرانية» بحيرى، الراهب النصراني الوحيد على طريق القوافل، ودليل على ميل محمد الى «النصرانية» بتأثير ورقة بن نوفل كما سنرى. وعند البعثة، فإن لجؤ السيدة خديجة الى ورقة بن نوفل في مكة، والى بحيرى في بصرى، للاطمئنان على ما حدث لمحمد في غار حراء — من دون علماء المسيحية كلهم — دليل آخر على أن زعماء النصارى ومن كانوا معهم قد استوطنوا مكة، وبحيرى الراهب النصراني الوحيد الذي بقي على أطراف الحجاز.

وقصة بحيرى في السيرة النبوية «صحيحة، فقد أخرجها الترمذي (٤ / ٢٩٦) من حديث أبي موسى الاشعري. وقال: (هذا حديث حسن). قلت: واسناده صحيح، كما قال الجزري»[١].

●

(١) محمد الغزالي: فقه السيرة ص ٦٨ حاشية

ثالثا : ورقة بن نوفل ، « رئيس النصارى » ، بحسب الحديث الصحيح .

بخبر ورقة بن نوفل ، وابنة عمه خديجة ، تتم الشهادة في المصادر الاسلامية بهجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز .

نعرف من تاريخ اليعقوبي (١ : ٢٩٨) : « وأما من تنصّر من أحياء العرب **فقوم من قريش** » . هـــذه شهادة بغزو النصرانية قبيلة قريش ، سيدة مكة والحجاز .

وكانت السيدة خديجة ابنة عم — بعضهم يقول : ابنة أخ — ورقة بن نوفل . وقد استشارته في زواجها من محمد ، فوافق عليه وحرّضها بقوله : « سيكون نبي هذه الامة » كما نقلت السيرة الهاشمية . فهل كان ورقة نبيًّا حتى يتنبأ بنبوءة محمد ، وذلك قبل خمسة عشر عاماً مـــن المبعث ؟ أم ان الحادث يشير الى تهيئة محمد لمهمته ؟

وكانت السيدة خديجة سيدة تجار قريش ، « ثم خرج محمد على تجارة خديجة التي كانت قيمتها تعادل قيمة تجارة قريش مجتمعة[1] » .

وتقول السيرة الهاشمية : ان ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى « كان **نصرانياً** قد تتبّع الكتب ، وعلم مـــن علم الناس » (١ ص ٢٠٣) . فقد كان عالماً نصرانياً . وكان قسًّا كما يشهد الحديث : « رأيت القس في الجنة » .

وتقول السيرة الحلبية (١ : ٢٦٣) : « انه كان على دين موسى ، ثم صار على دين عيسى عليهما الصلاة والسلام . اي كان يهودياً ثم صار نصرانياً » . نقول : ما كان لعالم يهـــودي ان يصير نصرانياً ، لكن نصرانيته الاسرائيلية هي التي اشتبهت عليهم ، فجاؤوا بما وصفوه به . وتقول ايضاً (١ : ٢٧٤) : **ان ورقة كان قساً** . والقس في لغتهم ، بحسب الناموس « **رئيس النصارى** » . ليس بحسب

---

(١) عبد الرزاق نوفل : محمد رسولا نبياً ص ٩٧

الناموس يصير النصراني قساً ، « رئيس النصارى » بل بحسب الانجيل . وهذا التشابه في التعبير يدل عـــلى ان ورقة كان **قس النصارى** بمكة . والقس بلغة النصارى الارامية السريانية ، يرادف الاسقف بلغة الروم : فقد كان ورقة « رئيس النصارى » اي مطرانهم بمكة .

فتأمل هذا الواقع التاريخي : **مطران نصراني مـــع جماعته بمكة** . هذه هي الشهادة بهجرة النصارى الى مكة ، ونجاح دعوتهم فيها .

والشهادة الثانية كامنة في الانجيل الذي يترجمه ورقة الى العربية . ففي صحيح البخاري (١ : ١٨ — ١٩) وفي صحيح مسلم (١ : ٩٧ — ٩٨) جاء عن عائشة حديث بدء الوحي . وفيه : « فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل — وكان امرءاً **تنصر في الجاهلية**، وكان يكتب الكتاب العبراني ، **فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب** » .

اذن كان ورقة ينسخ الانجيل بالعبرانية ، ويترجمه الى العربية .

ولم يدون بالعبرانية سوى الانجيل بحسب متى . ونعرف من شهادات الاباء والعلماء الذين عرفوه، خصوصاً من شهادة العلامة جيروم[١] الذي نقله الى اليونانية والى اللاتينية ، ان الانجيل بحسب متى كان مكتوباً بلغة أرامية سريانية ، لكن بالحرف العبراني المقـــدس عندهم ؛ وأنه كان **الانجيل الوحيد الذي يعترف به النصارى** .

وهكذا تتضافر الشهادات الاسلامية والمسيحية على هذه النتيجة الحاسمة : ان ورقة بن نوفل، « رئيس النصارى » بمكة كان يكتب ويترجم انجيل النصارى، لجماعته . فالنصارى موجودون بمكة مع مطرانهم وانجيلهم .

ومحمد، مدة خمس عشرة سنة، ما بين زواجه من خديجة ومبعثه، كان بجوار

---

(١) تفسير الانجيل بحسب متى (١٢ : ١٣) قابل مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٦ ص ٧٨ . كذلك في الحوار مع بيلاجيوس (٣ : ٢) قابل مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٣ ص ٥٧٠ .

ورقة يحضر كتابة الانجيل وترجمته الى العربية . ونعرف تأثير ذلك عليه من حديث عائشة الذي تختمه بهذه الكلمة : «**ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي**» . فالوحي يفتر بوفاة ورقة !

فسيرة محمد ، بناء على حديث عائشة ، تدور منذ زواجه حتى مبعثه وفتور الوحي ، في كنف قس النصارى ، ورقـــة بن نوفل . وفتور الوحي دليل على يد ورقة في الدعوة القرآنية .

فخبر ورقة بن نوفل ، وحديث بدء الوحي ، يشهدان بوجود النصارى بمكة وعلى رأسهم «رئيس النصارى» . ومن لغة انجيلهم وحرفه ، ومن صفه ورقة في السيرة ، نجزم بأنهم كانوا **النصارى من بني اسرائيل** ، ومن «تنصّر» معهم من العرب .

وهذا سر استخدام القرآن لاسم «النصارى» . فالاسم في القرآن — وهو لا يذكر اسم «المسيحيين» على الاطلاق — يدل على ان الدعوة القرآنية تقوم بمؤازرة «النصرانية» من بني اسرائيل .

فالمصادر الاسلامية ، القرآن والسيرة والحديث ، تشهد بهجرة النصارى الى الحجاز ، وبإقامتهم بمكة ، حتى «نصّروا قوماً من قريش» ، ونصّروا محمداً نفسه حين زواجه من خديجة ، ابنة عم ورقة بن نوفل ، «رئيس النصارى» بمكة . وما كان قس مكة ، ولا سيدة تجار قريش ، ابنة عمه ، ليقبلا بزواجه لو لم ينضم اليهما . والقول الفصل في هذا الاستنتاج للقرآن نفسه ، كما رأينا : ان الدعوة القرآنية تأييد للدعوة «النصرانية» حتى النصر المبين (الصف ١٤) .

●

رابعاً : التفسير الصحيح لمتشابه القرآن في «بني اسرائيل»

ان اليهود من بني اسرائيل وقفوا من الدعوة القرآنية موقف الكفر والعداء في مكة والمدينة ، ما عدا نفر يعدون على أصابع اليد ؛ وكان هذا النفر من الذين دسوا الاسرائيليات على الاسلام .

تكفينا على ذلك شهادة السورة الاخيرة تقريباً بمكة ، العنكبوت : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — **إلا الذين ظلموا منهم** — وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون» (٤٦). فمن هم «الذين ظلموا» من أهل الكتاب ، والذين يصح جدالهم بغير الحسنى ؟ إنهم اليهود ، باصطلاح القرآن . يعلن بصراحة نهائية مطلقة : «مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً : بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم **الظالمين** . قلْ : يا أيها الذين هادوا ، إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ؛ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت ايديهم ، والله عليم **بالظالمين**» (الجمعة ٥ — ٦) . كذلك قوله : «وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل ، وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (النحل ١١٨) . ففي مكة والمدينة كان اليهود يلقبون «بالظالمين» لكفرهم بمحمد بعد المسيح . . . أما النصارى فلا يصح جدالهم إلا بالحسنى ، وهي الأمر الصريح باعلان وحدة الاله ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام بين النصارى وجماعة محمد . واليهود الظالمون يُشهّر بهم منذ سورة البقرة : «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم . . . وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ، ولا تكونوا **اول كافر به**» (٤٠ — ٤١) .

وتكفينا أيضاً شهادة السورة الاخيرة تقريباً بالمدينة ، المائدة : «لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا : **اليهود** والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنّا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون» (٨٥) . فالعدو الاول للاسلام هم «اليهود» . لاحظ قوة التعبير في اطلاقه : «اليهود» ، فهو لا يستثني منهم احداً . لذلك فهو يعتبرهم «اول كافر به» (البقرة ٤١) ، و «شر البرية» (البينة ٦) .

فالموقف في آخر العهد المكي وآخر العهد المدني واحد : **كفر اليهود المطلق** بمحمد والقرآن ودعوته . هذا هو **المبدأ الاول** للتفسير الصحيح لمتشابه القرآن في «بني اسرائيل» .

والمبدأ الثاني : ان النصارى من بني اسرائيل هم وحدهم المؤمنون بالمسيح ومحمد معاً ، كما هو واضح من هذا الاعلان : بدعوة الحواريين للمسيح «**آمنت طائفة من بني اسرائيل** وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤) . كفرت طائفة اليهود بالمسيح ، وآمـــن به طائفة النصارى من بني اسرائيل ؛ وجاء القرآن تأييداً لهذه الطائفة المؤمنة بالمسيح على الطائفة التي كفرت به، حتى النصر المبين؛ فكان النصارى من بني اسرائيل انصار المسيح ، وهم ايضاً انصار محمد ، والقرآن يؤيدهم على عدوهم اليهود .

فالطائفة النصرانية من بني اسرائيل هي التي يقول فيها: «**ومن قوم موسى امة** يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) . فهذه الامة من قوم موسى ليست يهودية الدين ، لان اليهود على الاطلاق «اول كافر به» ، واول عدو للاسلام (المائدة ٨٥) : فهم النصارى من بني اسرائيل الذين آمنوا بالمسيح ، ويؤمنون بمحمد .

وفي منطق القرآن جاء المسيح «رسولاً الى بني اسرائيل» فآمن به الحواريون انصار الله (آل عمران ٤٨ و ٥٢) فكان النصارى من بني اسرائيل الطائفة التي آمنت بالمسيح (الصف ١٤) .

والمبدأ الثالث : ان أولي العلم المقسطين هم في اصطلاح القرآن النصارى من بني اسرائيل ، وأُولي العلم الظالمين هم اليهود، لانهم كفروا بالمسيح ويكفرون بمحمد . والنصارى «اولوا العلم قائمـــاً بالقسط» هم الذين يشهدون مع الله وملائكته : «ان الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم» (آل عمران ١٧ — ١٨) . فالقرآن يشهد للاسلام بشهادة النصارى أولي العلم المقسطين من بني اسرائيل ، تلك الأمة «من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨).

المبدأ الرابع : الامة التي يؤمر محمد ان يقتدي بهداها ، ليست اليهود ، ولا المسيحيين ؛ إنما هم النصارى من بني اسرائيل : «أولئك الذين آتيناهم الكتاب

والحكم (الحكمة) والنبوة. . . اولئك الذين هـــدى الله ، **فبهداهم اقتده** » (الانعام ٩٠). «الحكم» تعبير عبري أخذه على حرفه، وهو يعني الحكمة؛ وهي في اصطلاحه مرادف للانجيل: «ويعلمه الكتاب والحكمة — والتوراة والانجيل» (آل عمران ٤٨) . والذين يقيمون احكام التوراة والانجيل ليسوا اليهود ، ولا المسيحيين، إنما هم النصارى مـــن بني اسرائيل : فهم الذين يؤمر محمد ان يقتدي بهداهم .

لذلك فقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب : فلا تكن في مرية من لقائه ، وجعلناه هدى لبني اسرائيل ، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة ٢٣ — ٢٤) يقصد النصارى من بني اسرائيل ، لا علماء اليهود ، « اول كافر به » . فهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق » وعلى محمد ان يقتدي بهداهم .

المبدأ الخامس : الدعوة لاقامة احكام التوراة والانجيل معاً : «قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم» (المائدة ٧١) . فليس اليهود، ولا المسيحيون، هم الذين يقيمون احكام التوراة والانجيل معاً؛ انما النصارى من بني اسرائيل .

المبدأ السادس : القرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً : « شرع لكم من الدين . . . وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى ١٣). ليس هذا دين اليهودية ، ولا المسيحية، انما هو دين النصارى من بني اسرائيل، الذين يجمعون موسى وعيسى ديناً واحداً.

المبدأ السابع : عدم التفريق بين الانبياء : « قولوا : آمنا بالله . . . وما أوتي **موسى وعيسى** ، وما اوتي النبيون مـــن ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فإنما هم في شقاق » (البقرة ١٣٦ — ١٣٧ قابل ٣ : ٨٤ ؛ ٤ : ١٥١) . فالمسلمون حقاً هم الذين يؤمنون بموسى وعيسى معاً ويقيمون شرعهما معاً ؛ وهم وحـــدهم النصارى من بني اسرائيل ، الذين أمر محمد ان يقتدي بهداهم .

تلك هي المبادىء السبعة التي بموجبها يجب تفسير متشابه القرآن في « بني اسرائيل » .

وجهل مفسّري القرآن بوجود النصارى من بني اسرائيل ، قبل الاسلام ، وقد آزروا دعوته وذابوا فيه ، هو ما جعلهم يتخبطون في تفسير متشابه القرآن في « بني اسرائيل » .

فكل تأييد او استشهاد بأهل الكتاب او ببني اسرائيل هو للنصارى من بني اسرائيل . **وكل تكفير** لاهل الكتاب او لبني اسرائيل هو لليهود . اما المسيحيون فليسوا من بني اسرائيل ، وهم أهل « الغلو » في شأن المسيح ، بحسب لغة القرآن ، وإن سماهم ايضاً أهل الكتاب .

بناء عليه ، فالقرآن يقصد النصارى من بني اسرائيل في قوله :

— « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) : انهم علماء النصارى من بني اسرائيل ، لا علماء اليهود الذين كانوا « اول كافر به » .

— « وهو آيات بينات في صدور **الذين اوتوا العلم** » (العنكبوت ٤٩) : انهم النصارى من بني اسرائيل ، اولو العلم المقسطون .

— ومتشابه القرآن « ما يعلم تأويله إلا الله ، **والراسخون في العلم** يقولون : آمنا به ، كلٌّ من عندنا ربنا » (آل عمران ٧) . والراسخون في العلم اصطلاح مثل « اولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) : انهم النصارى من بني اسرائيل ، الطائفة من بني اسرائيل المؤمنة بالمسيح والتي يؤيدها القرآن على عدوها ، اليهود (الصف ١٤) .

— « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) . هذا الشاهد الاسرائيلي ليس يهودياً ، انما هو نصراني من بني اسرائيل . فما من احد ممن كانوا « اول كافر به » يشهد بأن عندهم مثل « القرآن » الذي يشهد للمسيح ! او يشهد لمحمد !

— والنصارى ، « اولوا العلم قائماً بالقسط » هم « **من عنده علم الكتاب** » ، وشهادتهم للقرآن تكفي مع شهادة الله (الرعد ٤٥) .

اهل الذكر المحسنون هم النصارى من بني اسرائيل الذين يستشهد بهم — لا باليهود « اول كافر به» — « واسألوا اهل الذكر، ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣) .

وهكذا ففي منطق القرآن، إن الذين كفروا من اهل الكتاب هم اليهود؛ والذين آمنوا من اهل الكتاب هم النصارى من بني اسرائيل : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ، على لسان داود، وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون » (المائدة ٨١)

هذ الواقع هو الذي اشكل على المفسرين فاستنتجوا منه ما ليس بصحيح ، كالاستاذ دروزة في كتابه (سيرة الرسول ١ : ٣٠٨ و ٣١٢) ، قال :

« والآيات — باستثناء آية الاحقاف[1] — لا تذكر هوية الكتابيين حيث تذكرهم مطلقين . أما الآية المذكورة ، فإنها تذكر صفة المؤمن الشاهد صراحة « **وهو اسرائيلي** » . هـذا ما وهم فيه حضرة الاستاذ : ان الشاهد المذكور اسرائيلي نصراني ، لا يهودي ، لأنه من جملة « من عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ، وبهم يستشهد : « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) النصارى ، لا اليهود، « أول كافر به » ، لأن القرآن « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » مقسطين (العنكبوت ٤٩) .

من هذا الوهم نتج خطأه : « وقد استدللنا بها وبقرائن قرآنية أخرى في كتابنا (عصر النبي وبيئته) على **احتمال وجود جالية يهودية في مكة** ، أو على

---

(١) آية الاحقاف المذكورة هي: « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم» (١٠)؛ وهو فرد من الذين قيل فيهم : «أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧) فهم النصارى ، لا اليهود ، « أول كافر به » ،« شر البرية » ، أهل العداوة .

الأقل على تردّد يهود المدينة على مكة ، ووجود علاقات تجارية او غير تجارية بينهم وبين أهلها » . — هذا الاستدراك هو الصحيح : الجالية اليهودية كانت بالمدينة ولذلك استأصلها الرسول . ولا يذكر القرآن ولا الحديث ولا السيرة استئصال اليهود من مكة .

ونتيجة الاستاذ دروزة الصحيحة هي : « والمعروف **بإلهام القرآن** ، على ما شرحناه في كتابنا الآنف الذكر ، أنه كان **عدد غير يسير من جوالي النصارى مستوطنين مكة.** ولقد ذكرت **روايات السيرة ، وكتب التراجم** اسماء كثيرين من الكتابيين الذين اندمجوا في الدعوة في مكة تحمل طابع الاسماء النصرانية. كما ان بعض الروايات ذكرت قدوم وفد نصراني الى مكة بعد البعثة مستطلعاً نبأ النبي العربي واعلـــن ايمانه به » . تصوروا هذا الوفد في صدد آية القصص : «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به **يؤمنون**، واذ يتلى عليهم قالوا: آمنا به، انه الحق من ربنا ، **إنا كنا من قبله مسلمين**» (٥٣) . قال الجلالان: «نزلت في جماعة اسلموا من اليهود كعبدالله بن سلمان ، وغيره مـــن النصارى قدموا من الحبشة او من الشام» . وهذا وهم عظيم : لم يُسلم من اليهود «**جماعة**» ؛ وأهل الحبشة والشام كانوا مسيحيين مثل وفد نجران الى النبي في المدينة ، الذي باحثه ورجع ولم يؤمن . إن الذين يخاطبهم القرآن ويشهدون : « إنا كنا من قبله مسلمين » **هم النصارى من بني اسرائيل المقيمون بمكة** ، والذين أمر محمد بأن ينضم اليهم : « وأُمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » (النمل ٩٠ — ٩١)؛ لأنهم هم « أولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٧ — ١٨) .

أما النتيجة غير الصحيحة عند الاستاذ دروزة فهي في قوله : « وهكذا يصح أن يقال : إن أهـــل الديانتين الكتابيتين ، **اليهود والنصارى** قد قابلوا الدعوة النبوية في مكة مقابلة ايجابية ، فشهدوا بصدقها وصدق التنزيل القرآني وآمنوا بها. وننبّه الى ان الصيغ القرآنية تلهم **ان الكتابيين في مكة اطلاقاً** وقفوا

هذا الموقف ، وهذه المقابلة كانت من كافتهم . وروايات السيرة لم تذكر فيما اطلعنا عليه أنه ظل في مكة كتابيون متمسكون بأديانهم ولم يندمجوا في الدعوة الاسلامية » ــ هذا وهم الاستاذ دروزة واضرابه ؛ وسبب الوهم هـــو **جهلهم لوجود النصارى من بني اسرائيل** ، واشتباه معنى «علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧) و «شاهد من بني اسرائيل» (الاحقاف ١٠) ، «من عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) عليهم . ويقضي على هذا الوهم ، وعلى الاستنتاج منه بإيمان اليهود بمكة بالدعوة القرآنية ، آية العنكبوت في آخر العهد بمكة (٤٦) : ان القرآن يبيح الجدال مع «الظالمين» من أهـــل الكتاب بغير الحسنى — وهم اليهود باصطلاح القرآن المتواتر — ولا يبيح الجدال إلا بالحسنى مع المقسطين، الراسخين في العلم ، من أهل الكتاب ، وهم النصارى من بني اسرائيل — لا اليهود ولا المسيحيون من كل الامم ، لأن هؤلاء النصارى وحدهم مع القرآن «أمة واحدة» على وحدة الاله ووحـــدة التنزيل ووحدة الاسلام . وهؤلاء النصارى من بني اسرائيل بمكة هم الذين اندمجوا اندماجاً مطلقاً بالدعوة القرآنية ، لانها دعوتهم : فهم وحدهم من دون اليهود ولا المسيحيين قالوا للنبي العربي عند تلاوة القرآن عليهم : «آمنا به ، انه الحق من ربنا : إنا كنا من قبله مسلمين» (القصص ٥٣) ؛ فهم المسلمون حصراً قبل القرآن وقد أمر محمد في بعثته ان ينضم اليهم : «وأمرت أن اكون من المسلمين» (النمل ٩٠) .

والنتيجة الاخرى غير الصحيحة هي قول الاستاذ دروزة أيضاً : «ولعل من الحق ان يقال : انه كان لهذه التقريرات والدعوة القرآنية أثر فيما كان من تنبّه الكتابيين في مكة ، في مبدإ الامر ، الى ما وصل اليه أمرهم من خلاف ونزاع وانقسام لا يمت في أصله الى مبادئ الدين وأهدافه السامية ؛ **وفي اقبالهم على الاسلام** ، ورؤيتهم في التقريرات القرآنية علاجاً شافياً لما هم فيه ، وفي الاسلام **عهداً جديداً** يستقبلونه برضى وطمأنينة نفس . هذا ما كان من مطابقة بين التقريرات القرآنية ، وما كان عليه **بعض الفرق** النصرانية من عقائد ومذاهب ،

أو من مقاربة ؛ اذ من المحتمل كثيراً **ان تكون الجاليات النصرانية في مكة من هذه الفرق** . فكان ذلك عاملاً في اقبال الذين أقبلوا منهم على الاسلام بيسر وارتياح واخلاص » — نقول : أجل كانت الجزيرة العربية موئل الهاربين اليها من دين الدولة عند الروم. لكن كل الفرق المسيحية في مطلع القرن السابع م . كانت مسيحية ، لا نصرانية : فالملكية واليعقوبية والنسطورية كلها تؤمن بإلهية المسيح من حيث هو كلمة الله القاها الى مريم ، مهما اختلفت في التفكير والتعبير على صيغة تلك العقيدة . ولعل الاستاذ دروزة وغيره يشيرون في تلك «المطابقة أو المقاربة » بين « بعض الفرق النصرانية » والقرآن، الى **النسطورية** ، كما يقول بذلك فريق كبير من المستشرقين[١] . ومن المعروف ان بعض النصارى من بني اسرائيل قـــد استوطنوا قبل هجرتهم الى الحجاز ، في سوريا الشرقية وأثرت عقيدتهم في المسيح بالمسيحية الشرقية التي انتهت الى النسطورية التي تؤمن بأن في المسيح طبيعتين وأقنومين ؛ وعيسى بن مريم بشر محض اتحد بالمسيح ، كلمة الله . هنا نقطة القرابة . لكن النسطورية حتى اليوم تؤمن بإلهية المسيح ، فليس هو فقط « روحاً منه » تعالى ، كما يقول القرآن . فليس من قرابة جوهرية بين القرآن والفرق المسيحية . انما القرابة و « الامـــة الواحدة » هي بين القرآن والنصارى من بني اسرائيل المقيمين في مكة ، الذين يشهدون : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) .

ولنا على ذلك شاهد ، من عام الوفود ، في اوج سلطان محمد على الجزيرة كلها؛ من حضور وفد نجران المسيحي الى محمد في المدينة يباحثه في ايمانه بالمسيح ، ابن الله . وكان خلافهم على بنوة المسيح من الله . وهي القصة التي تملأ سور آل عمران والنساء والمائدة . وحملة القرآن عليهم تدل عـــلى انهم كانوا يؤمنون بإلهية المسيح ، بخلاف النصارى من بني اسرائيل ، كما سنرى .

فاليهود في الحجاز لم يؤمنوا بمحمد والقرآن على الاطلاق ؛ والمسيحيون في

Tor Andrae : Les Origines de l'Islam et le Christianisme (١)

نجران وادعه وفدهم ورجع غير مؤمن . إنما آمن بها النصارى من بني اسرائيل وحدهم ، الذين يقيمون التوراة والانجيل معاً ، في مكة والحجاز ، لان الدعوة القرآنية كانت دعوتهم في «أمة واحدة» هي «الأمة الوسط» بين اليهودية والمسيحية . وهذا المزيج من اليهودية والمسيحية ، في «النصرانية» هو الذي حيّر المستشرقين فما اهتدوا الى حل سوي . ولقب «بني اسرائيل» و«من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» ، قد حيّر مفسريّ القرآن من أهله ، فما اهتدوا الى حقيقتهم . مع ان القرآن صرّح بها وبسره ، في قوله : «فآمنت **طائفة من بني اسرائيل** (بالمسيح) ، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤) : إن الدعوة القرآنية هي تأييد للنصارى من بني اسرائيل . وهذه هي الشهادة القرآنية على وجودهم بمكة والحجاز ، وعلى وحدة الدعوة والامة والاسلام بينهم وبين النبي العربي .

●

خامساً : «الحنفاء» بحسب القرآن

في كتابنا (القرآن والكتاب ١٤١ — ١٥٤) ، فصلان في الحركة الحنيفية في مكة والحجاز قبيل الاسلام؛ الحنيفية والاسلام ؛ وصفنا فيها **الحنيفية** بأنها حركة توحيدية عربية مستقلة ، قد تكون كتابية على هامش اليهودية والمسيحية .

واليوم نكشف عن هوية الحنيفية ، من القرآن ، أصدق المصادر لمعرفتها . والسيرة تعتبر ورقة بن نوفل احد الحنفاء ؛ بينما صحيح البخاري وصحيح مسلم يعتبرانه «امرءاً تنصّر في الجاهلية» ، وهذه هي الحقيقة التاريخية التي أظهرنا بعض التردّد فيها في كتابنا المذكور .

يظن بعض الناس ان الحنفاء كانوا **افراداً مستقلين** ، لا جماعة . والقرآن يصفهم بكونهم «**ملة ابراهيم حنيفاً**» في خمسة مواضع (٢ : ١٣٥ ؛ ٣ : ٩٥ ؛ ٤ : ١٢٤ ؛ ٦ : ١٦٢ ؛ ١٦ : ١٢٣) . فهم «**ملة**» أي مذهب وجماعة . يقول

الاستاذ دروزة[١] : بأنهم «لم يكونوا عدداً قليلاً . فلو لم يكونوا **كثرة محسوسة** لما عدّهم القرآن **فئة خاصة**، وأشار اليهم بهذه الحفاوة وسلكهم مع أهل الكتاب والمؤمنين، ثم مع اهل الاديان المستقلة عامة، في سلك واحد وتحت اسم مستقل».

وقد كانوا « ملة ابراهيم حنيفاً » . فهل هم ملة مستقلة عن أهل الكتاب من يهود ومسيحيين؟ إن القرآن صريح في هوية دينهم : « وقالوا : كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ! قلْ : بل ملة ابراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين » (البقرة ١٣٥) ، فالحنيف على مثال ابراهيم ليس يهودياً ولا مسيحياً — وهنا يأخذ « نصراني » بمعنى مسيحي .

والحنيف غير اليهودي وغير المسيحي ، على مثال ابراهيم ، كيف يكون؟ يكون حنيفاً مسلماً : « ما كان ابراهيم يهودياً ، ولا نصرانياً (اي مسيحياً) ، ولكن كان **حنيفاً مسلماً** — وما كان من المشركين » (آل عمران ٦٧) . فملة ابراهيم، الحنيفية التي يتبعونها هي الاسلام. **فقد كان الحنفاء مسلمون قبل القرآن .**

وهذا هو **التعريف الوافي** للحنيف على ملة ابراهيم : « ومن احسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله ، وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفاً ، واتخذ الله ابراهيم خليلاً » (النساء ١٢٥) . **فالحنيف هو المسلم** ، الذي « أسلم وجهه لله » . ولكن المسلم ، بنوع عام ، هو كل كتابي يقول بالتوحيد المنزل . فمن هو بين أهل الكتاب جميعاً الحنيف المسلم ؟ في آية (النساء ١٢٥) **صفـــة تميّزه عنهم جميعاً** : « وهو محسن»؛ يزيدها بياناً في قوله : « ومن يُسلم وجهه لله، وهو محسن، فقد استمسك بالعروة الوثقى » (لقمان ٢٢) ؛ « وباركنا عليه (ابراهيم) وعلى اسحاق ؛ ومن ذريتهما **محسن وظالم لنفسه** مبين » (الصافات ١١٣) . فتعبير « محسن وظالم » في ذرية ابراهيم من اسحاق ، ليس تعبيراً لغوياً ، انما هو اصطلاح متواتر يعني اليهود الظالمين (الجمعة ٥ — ٦ ؛ النحل ١١٨) ، والنصارى من بني اسرائيل المحسنين. فصفة «المحسن» للحنيف المسلم تدل على انه من النصارى من بني اسرائيل.

---

(١) عصر النبي وبيئته ص ٤٣٢ .

يؤيد هذا التخريج الصادق قوله بأن القرآن «هدى ورحمة للمحسنين» (لقمان ٣)، «بشرى للمحسنين» الاحقاف ١٢)، بالترادف مع كونه «هدى وبشرى للمسلمين» (النحل ١٠٢). وقد رأينا ان «المسلمين» من قبل القرآن هم النصارى من بني اسرائيل. يؤيده ايضاً قوله بالتمييز الصريح: «وهـــذا كتاب مصدق لساناً عربياً: لينـذر **الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين**» (الاحقاف ١٢)، فهو انذار لليهود الظالمين وبشرى للنصارى المحسنين. وذلك مثل قوله ايضاً: «قل: نزّله روح القدس من ربك بالحق: **ليثبت الذين آمنوا**، وهدى وبشرى للمسلمين» (النحل ١٠٢). فالمحسنون والمسلمون هم غير «الذين ظلموا»، وغير «الذين آمنوا».

فالمسلمون المحسنون، المسلمون على الاطلاق قبل القرآن، هم النصارى من بني اسرائيل. فهم الحنفاء الذين يشيد بهم القرآن ويفضلهم عـــلى اليهود، وعلى النصارى المسيحيين.

والامر الذي جـــاء محمداً في بعثته: «وأمِرتُ ان اكون من المسلمين» (النمل ٩٠) **يفسّر الامر المتواتر بأن يكون حنيفاً**: «ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين» (النحل ١٢٣)؛ «وأن أقم وجهك للدين حنيفاً، ولا تكونن من المشركين» (يونس ١٠٥)؛ «فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، **ذلك الدين القيّم**، ولكن اكثر الناس لا يعلمون» (الروم ٣٠)، فالحنيفية هي دين الفطرة، وهي الدين القيّم اي الاسلام: «قل: انني هـــداني ربي الى صراط مستقيم، ديناً قيّماً، ملة ابراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين» (الاعراف ١٦١): فالصراط المستقيم، والدين القيّم، والحنيفية ملة ابراهيم، هي كلها الاسلام، اسلام المحسنين، لا «الذين آمنوا» مع محمد من العرب، ولا «الذين ظلموا» من اليهود، ولا الذين «غلوا» في دينهم من المسيحيين، بل النصارى من بني اسرائيل.

وهذه هي النتيجة الحاسمة لتدبّر القرآن : ان النصارى من بني اسرائيل عند هجرتهم الى مكة ، سموا انفسهم « الحنفاء » ، ملة ابراهيم ؛ وذلك **إيلافاً لاخوتهم العرب من وُلدْ اسماعيل** .

ولم يبتدعوا الاسم ، بل حملوه معهم ، من دولة الروم . كان **أهل السُنّة** من المسيحيين يسمون « شيعة النصارى » حنفاء اي هراطقة ، منحرفين على الدين القيّم . فأخذوا هم اللقب وجعلوه عنواناً لهم على دينهم القيّم . وصاروا يسمّون حنيفيتهم الدين القيّم بين العرب[1] .

ففي هجرة النصارى من بني اسرائيل ، الى مكة والحجـــاز ، في منتصف القرن الخامس م . أطلقوا على أنفسهم لقبهم الذي حملوه معهم إيلافاً لبني عمومتهم . وقد نجحوا في هذه **المحاولة الاولى** ، فأخذت حنيفيتهم النصرانية تستميل العرب ، فكان الحنفاء العرب . وهذه المحاولة الاولى كانت للتغلب على **شرك العرب** . لذلك نجد لقب الحنيف ، في القرآن ، يقترن بنفي الشرك ، في كل الآيات .

وطريقة الحنفاء من « نصارى » وعرب كافة واحدة كانت التوحيد والزهد ، « مما حمل اكثرهم (الحنفاء العرب) — **وهم في الغالب من مكة واطرافها** — على الفرار من بلدتهم الى اطرافهـــا المنعزلة الآمنة ليكونوا في أمان من ايذاء قومهم لهم[2] » .

وحياة الزهد عند الحنفاء « كان من مظاهرها تلك **الرياضات والاعتكافات الروحية السنوية في رمضان** ، وفي غار حراء خاصة[3] » . فعزلة رمضان للرياضة

---

(١) وهذا التبديل في معنى اللقب جرى بعدهم للملكيين : جعله خصومهم صفة لانحرافهم الى دين ملك الروم ، فأخذوه عنواناً لهم على ارثذكسيتهم ، اي الدين القيّم .

(٢) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٣) دروزة : سيرة الرسول ١ : ٣١ .

الروحية السنوية هي عادة رهبان النصارى في الاجيال الاولى. فصوم رمضان على تلك الصورة كان صوم النصارى من بني اسرائيل قبل ان يشرعه القرآن .

وفي مطلع حركة الحنيفية كان العرب المهتدون اليها يقصدون الى اخوانهم في ديار «النصرانية» قبل ان تتم هجرتهم الى الحجاز : «وقد جعلوا وجهة اكثرهم أعالي الحجاز ، وبلاد الشام وأعالي العراق اي المواضع التي كانت غالبية أهلها على النصرانية يومئذ ، وجعلوا اكثر كلامهم وسؤالهم مع الرهبان[٣]» . وهذا ما رأيناه في خبر سلمان الفارسي في طوافه على مواطن النصارى من بين اسرائيل.

ونتيجة حركة النصارى باسم الحنيفية كانت **القضاء على روح الشرك** بـين العرب . والشعر الجاهلي ، زهرة العصر ، ليس من الشرك في شيء . بل هو يميل الى التوحيد ، والتوحيد الكتابي .

ولمّا استتب الامر للنصارى من بني اسرائيل ، قاموا **بالمحاولة الثانية** وهي **الدعوة لحنيفيتهم باسم الاسلام** ، للتمييز عن اهـــل الانجيل في دولة الفرس ، ودولة الروم ، وعن اليهودية ، للوقوف على الحياد السياسي والديني ، في الصراع الدائم بين الدولتين ، بالشعارين اللذين نقلهما القرآن : «لا تتخذوا إلهين اثنين» (النحل ٥١) مثل الفرس ؛ «ولا تقولوا ثلاثة» (النساء ١٧٠) مثل الروم ؛ «انما هو إله واحد» .

ولا نعرف ان اليهود أخذوا اسم الاسلام في تاريخهم ؛ ولا المسيحيون في جميع فرقهم انتحلوه . ونشهد من القرآن ان النصارى من بني اسرائيل ، أولي العلم المقسطين ، هم الذين يشهدون مع الله وملائكته «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٧ — ١٨) . لذلك فقوله : «هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨) لا يشير الا الى النصارى من بني اسرائيل : فهم الحنفاء ، وهم المسلمون ، الذين انضم اليهم محمد نفسه ، بأمر الله ، في حنيفيته وفي اسلامه .

●

---

(٣) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ : ٣٩٩ .

سادسا : هجرة « النصارى » الى الحجاز ، والنهضة الجاهلية

في منتصف القرن الخامس ، في الدستور التيوضوسي ، اصبحت المسيحية دين الدولة عند الروم . فكان على اليهود ان يرحلوا منها ، فهاجروا بمعظمهم الى دولة الفرس ، عدو الروم ، ليكونوا في أمن عندهم ، وعوناً وعيوناً لهم بين العرب وبين الروم . والنصارى من بني اسرائيل ، « الحنفاء » شيعةً عن بني دينهم ، والواقعون بين نارين ، نار بني قومهم اليهود وقد سبقوهم الى فارس ، ونار بني دينهم في دولة الروم ، لم يجدوا سبيلاً لأمنهم الا في الهجرة الى الحجاز المحجوز عن الفرس والروم بصحاريه ، فهاجروا الى مكة نفسها ، أم القرى في الحجاز ، واستوطنوها واستعربوا .

وكانت هجرة « النصارى » الى الحجاز مبدأ النهضة الجاهلية فيه .

فسر قيام النهضة الجاهلية في الحجاز منذ منتصف القرن الخامس م . لم يزل مغلقاً على الباحثين . ولم نطّلع على سبب كافٍ وافٍ من الاسباب التاريخية والاجتماعية والسياسية يحق ان يكون اساساً للنهضة الجاهلية في القومية والتجارة والادب والدين التي تتميز بها .

لقد ظل الحجاز المحجوز بالصحاري عن اليمن وعن الشمال **مغموراً حتى منتصف القرن الخامس** : فمن أين جاءته فجأةً نهضته القومية والتجارية والادبية والدينية ؟

قد هدتنا أبحاثنا ، وفي هذا الفصل موجزها ، الى ان هجرة « النصارى » الى مكة والحجاز هي الاساس الذي قامت عليه النهضة الجاهلية : فبدؤها كان مع بدء هجرة « النصارى » الى مكة ؛ ولا نعرف حدثاً آخر رافق مبعثها .

فهجرة « النصارى » الى الحجاز كان بدء **نهضة قومية** تقوم على الحياد بين الجبارين . وكل جبار اصطنع له دويلة في الحيرة أم في بصرى ، لصدّ هجمات الاعراب عن ارض المملكة . وقد حاول الجباران اقتحام الحجاز من الجنوب

ومن الشمال، ففشلا بسبب يقظة القومية العربية. وبنو اسماعيل وبنو اسرائيل، متى تنصّروا، كانوا ابناء عمومة في القومية والدين.

وهجرة «النصارى» الى مكة كانت بدء **نهضة تجارية** سيطرت على طريق القوافل بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب. ونعرف من الآثار والاخبار ان رأس تجار العرب، المهيمنين على طريق القوافل في النهضة الجاهلية كانوا من قريش؛ وأن سيدة تجار قريش كانت خديجة بنت خويلد، ابنة عم ورقة ابن نوفل، «رئيس النصارى»، وكانت تجارتها وحدها تعدّل تجارة قريش كلها. فكان لآل نوفل «النصارى» زعامة الدين والتجارة بمكة. والقرآن يشيد بهذه النهضة التجارية، في رحلتي الشتاء والصيف، الى اليمن والشام، كأكبر نعم الله على اهل مكة، «لايلاف قريش». وهذا التذكير القرآني اشارة لطيفة الى مصدر النعمة عند «الطائفة من بني اسرائيل» التي تؤيدهـــا الدعوة القرآنية (الصف ١٤). ولمّا دعاهم القرآن الى الهدى، على طريقة «الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة»، «قالوا: إن نتّبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا — اوَلم نمكّن لهم حرماً آمناً يُجبى اليه **ثمرات كل شيء** رزقاً من لدنا، ولكن اكثرهم لا يعلمون» (القصص ٥٧).

وهجرة «النصارى» الى مكة والحجاز كانت مبعث **النهضة الادبية في** الشعر الجاهلي، وتنشيط اسواق الادب في مكة والحجاز. والنهضة الثقافية لا تقوم إلّا على نهضة قومية وتجارية تمهّد لها وتحتضنها. والواقع التاريخي ان الشعر الجاهلي خلو من الشرك العربي. ولم يكن في مكة والحجاز **طائفة** تعمل لتحويل شعر العرب **شطر التوحيد الانجيلي** الا النصارى من بني اسرائيل. فالتعابير الدينية التي تتخلله كلها «نصرانية»، مع ما لتأثير اليهودية من يد؛ ولتأثير المسيحية من اليمن او من الشمال في الحيرة وبصرى، وفي نجد نفسه مع آل كندة، من عوامل ودوافع.

وهجرة «النصارى» الى مكة والحجاز كانت خصوصاً مصدر **النهضة الدينية.**

ان « النصرانية » بمكة هي التي حولت العرب فيها من الوثنية الى الشرك ، حتى أمسى هذا الشرك ظاهرياً ، لا جوهرياً ، بنص القرآن القاطع : « الا لله الدين الخالص ! — والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (الزمر ٣). فالشركاء في نظر القرآن الداعي الى التوحيد الخالص، كانوا في نظر العرب حين الدعوة القرآنية «أولياء» لهم عند الله يتقربون بهم اليه تعالى ، عن طريق الزلفى ، لا عن طريق العبادة . وعبادة « الغرانيق العلى ، اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى » أمست زلفى ملائكية ، لا عبادة وثنية : « أفأصفاكم ربكم بالبنين ، واتخذ من الملائكة إناثاً — إنكم لتقولون قولاً عظيماً » (الاسراء ٤٠) ، « أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون . . . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين » (الصافات ١٤٥ — ١٥٧) ، « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثاً . . . وقالوا : لو شاء الرحمان ما عبدناهم ! — ما لهم بذلك من علم ، إنْ هم إلا يخرصون ! أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون؟ بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنّا على آثارهم لمهتدون » (الزخرف ١٩ — ٢١) . لقد أمسى العرب الوثنيون على شرك أقرب الى التوحيد ؛ لذلك تقتصر دعوة القرآن لهم الى « التوحيد الخالص » . يقول الدكتور جواد علي[١] : « فعبادة أهل مكة هي عبادة محمد ، وتوحيدهم توحيد اسلامي ، او توحيد قرب من التوحيد الاسلامي » . وهذا بفضل الدعوة « النصرانية » خصوصاً ، في مكة والحجاز .

وقد توصلت « النصرانية » الى هذه النهضة الدينية اولًا بحركتها الحنيفية — التي كانت شبيهة بمؤسسة « الموعوظين » في المسيحية استعداداً للايمان الكامل — التي عاش فيها محمد نفسه مدة خمس عشرة سنة ، منذ زواجه من خديجة الى مبعثه ، يتحنّف في غار حراء شهر رمضان من كل عام ، حتى جاءه اليقين ، والامر بالهداية الى ايمان الكتاب (الشورى ٥٢ و ١٥) والدعوة له بين العرب ، « على شريعة من الامر » هي امر الدين عند « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » الذين

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ٤٢٨ .

«آتيناهم بينات مـــن الامر» (الجاثية ١٦ — ١٧). **ثم بحركتها الاسلامية**، فقد اطلقوا على دعوتهم اسم «الاسلام» لمَّا استتب لهم امر الدين بمكة، تمييزاً لها من اليهودية ومن المسيحية.

وهذه الدعوة الاسلامية «النصرانية» انتشرت «باسم الله الرحمان الرحيم» المتواتر عن اهل الكتاب، كما يشهد كتاب سليمان الى ملكة سبأ: «إنه من سليمان، وانه باسم الله الرحمان الرحيم» (النمل ٢٠). وهذا النص شاهد على ان هذه الصيغة **من قبل القرآن**، وعليها قام القرآن كله، فقد ورثها عن «الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة» الذين أُمر محمد بأن يقتدي بهداهم (الانعام ٩٠). وهذه الدعوة الاسلامية «النصرانية» قد سيطرت على عباة الكعبة نفسها، فلم يبق هُبَل اله البيت العتيق، بل صار الله، إله النصارى المسلمين، كما جاء في الامر الى محمد: «إنما أُمرت ان اعبد **رب هذه البلدة** الذي حرّمها وله كل شيء؛ وأمرت ان اكون من المسلمين» (النمل ٩٠). فعبادة رب البيت عند محمد ناجمة عن انضمامه الى «النصارى» المسلمين؛ فقد تحول الشرك فيها الى التوحيد، «باسم الله الرحمان الرحيم»، قبل الدعوة بالقرآن الكريم. ولنا في آخر آي نزلت منه شهادة على وحدة الدعوة «بالتوراة والانجيل والقرآن» يقوم بها رهبان النصارى «**السائحون**»: «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم بأن لهم الجنة... وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن... (كما يقول) التائبون العابدون الحامدون السائحـــون الراكعون، الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله. وبشر المؤمنين» على مثالهم (التوبة ١١٢ — ١١٣). هـــذه صورة صادقة عن نشاط الرهبان «السائحين» للدعوة للاسلام «النصراني».

والى هذا الاسلام «النصراني»، أمر محمد ان ينضم: «وأُمرت ان اكون من المسلمين وأن أتلو القرآن» (النمل ٩٠) قرآن الكتاب بلسان عربي مبين، يفصله للعرب عن الاصل الاسرائيلي، كما «شهد شاهد من بني اسرائيل **على مثله**» (الاحقاف ١٠).

« فالنصرانية » هي التي اعدت عـــرب الحجاز ، وهيأت محمداً ، للدعوة القرآنية ، حتى جاءه أمر الله في رؤيا غار حراء . هذا هو سر النهضة الدينية في الجاهلية ، والتي أدّت الى نشر الاسلام . يقول دروزة[1] : « ان ظهور هؤلاء (الحنفاء) في غير مكان واحد ، وربما في غير وقت واحد ، **يحمل معنى ظهور فكرة جديدة** اخذت تقوى في أدمغة المستنيرين من العرب ، في عصر النبي ص وبيئته ؛ وهي فكرة الاتجاه الى ما هو اقرب الى الحق والسداد في أمر العقيدة والتقاليد الدينية . وبكلمة اخرى ، ان هذا يمكن أن يعدّ **خطوة أخرى عظيمة** من خطوات التطور الديني والفكري التي أدت اليها **الحركة العقلية والدينية التي ظهرت قبل البعثة النبوية ، وقويت قُبيلها** » .

لقد كانت هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة ، على أساس النهضة الجاهلية بالحجاز ، في القوميـــة والتجارة والادب والدين ، فأدت الى قيام الدعوة القرآنية ، تأييداً للدعوة « النصرانية » (الصف ١٤) .

☆☆☆

بحث ثالث

انجيل « النصارى » هو « الانجيل بحسب العبرانيين »

ان القرآن لا يذكر الانجيل إلا بالمفرد المعلم ، وهذا دليل على انه واحد لا يتعدّد (٣ : ٣ و ٦٥ و ٤٨ ؛ ٥ : ٤٩ و ٥٠ و ٦٩ و ٧١ و ١١٣ ؛ ٧ : ١٥٦ ؛ ٩ : ١١٢ ؛ ٤٨ : ٤٩ ؛ ٥٧ : ٢٧) .

والحديث في صحيح البخاري (١ : ١٨ — ٢٣) وصحيح مسلم (١ : ٩٧ —

---

(١) عصر النبي وبيئته ٤٣٢

٩٨) عن عائشة نفسها في قصة بدء الوحي ان « ورقة بن نوفل — وهو ابن عم خديجة — كان امرءا تنصر في الجاهلية ، **وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية** ما شاء الله أن يكتب ». وقوله « يكتب الكتاب العبراني » هو مصدر كالكتابة ، أي الكتابة العبرانية. وشهادة الحديث الصحيح ان ورقة نصراني ويكتب الانجيل بالعبرانية ، ويترجمه الى العربية . فالانجيل الذي بيد ورقة بن نوفل ، « رئيس النصارى » بمكة هو **الانجيل بالحرف العبراني**. ولا نعرف من الاناجيل القانونية انجيلًا دوّن بالعبرانية إلا الانجيل بحسب متى الذي تُرجم الى اليونانية . وسنرى من شهادة الآثار المسيحية أن هذا الانجيل كتب بالحرف العبراني المقدس ، لكن باللغة الارامية السريانية ؛ وهـو **انجيل «النصارى»** . وهذه هي الشهادة الأثرية التاريخية التي لا ترد بأن أهل الانجيل بمكة كانوا النصارى من بني اسرائيل .

فالمصادر المسيحية كلها ، في عهدة الفترة ، تشهد بأن النصارى من بني اسرائيل كانوا وحدهم يتلون ولا يقبلون إلا « الانجيل بحسب العبرانيين » ، أو « الانجيل العبراني » ، أو « الانجيل السرياني » ؛ وهو انجيل النصارى الذي اكتسب تلك التسمية بحسب المتعبدين به ، أو بحسب حرفه ، أو بحسب لغته . والنصارى من بني اسرائيل وحدهم كانوا يستخدمونه ، من دون غيره ، وهو الانجيل بحسب متى ؛ أما المسيحيون فكانوا يستخدمونه بترجمته اليونانية القانونية ، مع الانجيل بحسب مرقس ، وبحسب لوقا ، وبحسب يوحنا ، لأن الانجيل واحد عندهم ، لكن بأحرفه الاربعة . وبسبب تشيّع النصارى من بني اسرائيل ، كان انجيل النصارى موضع شبهة عند المسيحيين ، فلم يتعبّدوا بتلاوته .

وهذه هي شهادة الآثار والاخبار ، بعهد الفترة ، في انجيل النصارى .

١ — منذ مطلع القرن الثاني لدينا **شهادة هجسيب** ، نصراني من بني اسرائيل : « انه ينقـل اشياء من الانجيل بحسب العبرانيين ، الانجيل السرياني ،

الذي هو بالحرف العبراني »[1] . هذا هو الوصف الكامل لانجيل النصارى كما سيتواتر من بعده .

٢ — في منتصف القرن الثاني، لدينا شهادة العلامة الشهيد **يستين**، وهو من نابلس عاش في رومة وأسس فيها مدرسة لتعليم الفلسفة، وكتب فيها «حوارات» لهداية المثقفين برومة . فهو يذكر انجيل النصارى، ويقول انهم يتميزون عن المسيحيين بأنهم يقيمون أحكام التوراة والانجيل معاً[2] .

٣ — في أواخر القرن الثاني، شهادة العالم **ايريناوس**، اسقف ليون، وهو من المشرق . يقول في الابيونيين، فرقة مـــن النصارى المتهودين : « **انهم يستخدمون الانجيل بحسب متى وحده** . وينكرون الرسول بولس، ويعتبرونه (المرتد) عن الشريعة[3] » . ويضيف : « ان الابيونيين يستخدمون الانجيل بحسب متى وحده، لكنهم لا يعتقدون الاعتقاد الصحيح في الرب بوجبه[4] ».

٤ — في القرن الثالث تأتي شهادة العلامـــة أوريجين . فهو يذكر الانجيل بحسب العبرانيين في تفسيره على يوحنا (ك ٢ ف ١٢) وفي تفسيره على ارميا (الحديث ١٥ ع ٤) وذلك بمناسبة الانجيل بحسب متى : « وأخذه ابليس الى جبل عالٍ » (٤ : ٨)، فيقول : « من يقبل الانجيل بحسب العبرانيين يجد هذه الآية فيه : «ان أمي، الروح القدس، خطفني بشعرة من شعر رأسي الى الجبل، الى ثابور العظيم » .

ويعلق الاستاذ الكتابي لاغرنج عليـــه بقوله[5] : « ان أوريجين لا يعتبر الكتاب المذكور مشبوهاً، ولا مخصوصاً بأهل البدعة » ففي نظره انه انجيل صحيح.

---

(١) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٤ ف ٢٢ ع ٨ .

(٢) الحوار ٤٧ في مجموعة الآباء اليونان ك ٦ ص ٥٧٦ .

(٣) الرد على الهرطقات ك ١ ف ٢٦ ع ٢ .

(٤) الرد على الهرطقات ك ٣ ف ١١ ع ٧ .

(٥) Revue biblique 1922; T 31 p. 173

٥ — في اوائل القرن الرابع نجد شهادة **أوسابيوس** ، أبي التاريخ الكنسي الذي جمعه من مؤلفات العلماء المحفوظة في مكتبة المطرانية .

أولًا في (تاريخ الكنيسة) الذي انتهى منه عام ٣٢٤ يذكر انجيل النصارى الذي بحسب العبرانيين ثلاث مرات :

في (ك ٣ ف ٢٥ ع ٢) يجعل الانجيل بحسب العبرانيين من الكتب المختلف فيها ، مع أنه « الاصح في نظر العبرانيين الذين آمنوا بالمسيح » . ويعلق عليه لاغرنج بقوله[١] : « ان بعضهم اذن لا يعتبرونه بدعاً ، وهم وان لم يضعوه في مرتبة الاناجيل الاربعة القانونية ، فأنهم ينزلونه منزلة الكتب المعتبرة في الكنيسة » .

وفي (ك ٣ ف ٢٧ ع ١ — ٢) يقسم الابيونيين الى متطرفين ومعتدلين — وهؤلاء هم النصارى ، ويقول : « ان المتطرفين — وهم الابيونيون حصراً — يعتبرون المسيح بشراً مولوداً ولادة طبيعية من رجل ومريم ، ويعتبرون ان الخلاص يقوم ، لا على الايمان بالمسيح وحده ، بل على إقامة شريعة موسى ايضاً . ولكن الى جانب هؤلاء ، هناك غيرهم يحملون اسمهم ، لكنهم يتبرؤون من حماقتهم : فلا ينكرون ان المسيح الرب ولد من بتول ، بالروح القدس. لكنهم مثل أولئك لا يشهدون بأزليته ، مع انه الاله والكلمة والحكمة ؛ وهكذا يرجعون الى كفر الاولين . ومثلهم كذلك يغارون على اقامة أحكام التوراة الجسدية . ويرون انه يجب نبذ رسائل الرسول (بولس) الذي يسمونه (المرتد) عن الشريعة . **فيستخدمون فقط الانجيل المسمى بحسب العبرانيين ؛ وقلما يكترثون بالآخرين** . وهم يحفظون السبت وسائر العادات اليهودية ، مثل أولئك ؛ لكنهم يكرمون الاحد مثلنا تقريباً ، ذكرى لقيامة المسيح .

---

(١) Revue biblique 1922 ; T 31 p. 175

والبحاثة لاغرنج[١] يعلق على قوله « قلما يكترثون بغيره » بهذا الاستنتاج : « هذا يعني أنهم **لا يستعملون غيره** في صلاتهم ، **وما كانوا يعتبرون غيره منزلاً** . فهم في موقف متقابل على طرفي نقيض مع المسيحيين الذين يعتبرون انجيلهم من الكتب المختلف فيها. فاذا كان اوسابيوس يذكر الانجيل بحسب العبرانيين بتلك الاوصاف ، فهذا يعني انه كان ينص عـــلى المولد المعجز لذلك يعتبره اوسابيوس كتاباً كنسياً ، وإن لم يكن قانونياً . وهذه شهادة بصحته التاريخية.

وفي (ك ٤ ف ٢٢ ع ٨) يقول عن هجسيب : « وكتب اشياء اخرى كثيرة نقلناها آنفاً بحسب سياق الرواية. وينقل اشياء من الانجيل بحسب العبرانيين ، الانجيل السرياني ، وهو بالحرف العبراني » . فإن اوسابيوس الذي عنده في مكتبة المطرانية نسخة من انجيل النصارى يوافق عـــلى شهادة هجسيب فيه قبل قرنين ونيف .

وفي كتاب (التجليات) من العام ٣٣٣ يقول (ك ٤ ف ١٢) : ان المسيح ذكر الشقاق الذي ستتعرض له النفوس في العائلات ، كما نجده في الانجيل بحسب العبرانيين ، وبالحـــرف العبري ، حيث يقول : « إني أختار لي الأخيار الذين يعطيهم لي أبي الذي في السماوات» . يعلق عليه لاغرنج: «كان اوسابيوس يميل الى اعتبار الانجيل بحسب العبرانيين **أصل الانجيل بحسب متى** اليوناني القانوني » .

٦ — ومن القرن الرابع شهادة المطران ابيفان من فلسطين في (الشامل الهرطقات) فهو يميّز بين انجيل النصارى الذي يعتبره « **كاملاً**[٢] » وأنه الانجيل بحسب متى الارامي ؛ وبين انجيـــل الابيونيين الذي يعتبره « **غير كامل**[٣] » ، ويسميه الانجيل بحسب العبرانيين ، وهو في نظره ايضاً الانجيل بحسب متى . ومعروف ان الأبيونيين اي النصارى المتطرفين ينكرون مولد المسيح المعجز ،

---

(١) Revue biblique 1922 T 31 p. 176

(٢) كامل πληρέστατον (ك ٢٩ ف ٩ ع ٤) . قابل مجموعة الآباء اليونان ك ١٢ ص ٤٠٥ .

(٣) غير كامل οὐχ ὅλω δε πληρεστάτον (ك ٣٠ ف ١٣ ع ٢) . قابل مجموعة الآباء اليونان ك ١٢ ص ٤٠٥ .

فلا غرو اذا أسقطوا من الانجيل قصة المولد المعجز . ويعلق لاغرنخ على ذلك بقوله : « انه الانجيل الاصيل ، كما وضع منذ البدء ، محفوظاً بالحرف العبراني » . ويضيف : قد يسقط منه الابيونيون قصة النسبة والمولد المعجز .

على كل حال فشهادة ابيفان لانجيل النصارى ثلاثية : انه الانجيل الاصيل بحسب متى ، وهو بالعبراني في خطه ، وهـــو كامل . فالنصارى بحسب ابيفان يملكون الانجيل بحسب متى كاملاً في لغته الاصلية الأرامية ، بحرف عبراني ، ولا يستخدمون غيره . هذا ما نراه في الانجيل الذي يستخدمه ويترجمه بمكة ورقة بن نوفل .

٧ — وفي أواخر القرن الرابع لدينا **شهادة جيروم** الجامعة ، خاتمة المحققين . فهو أكثر الآباء استشهاداً بإنجيل النصارى . وعلى هامش الانجيل بحسب متى ينقل القراءة العبرية من « الانجيل العبراني »[١] . وهو في نظره ايضاً الانجيل بحسب متى في حرفه العبراني ولغته الارامية . والشواهد منه عديدة :

في تفسير الرسالة الى الافسيين[٢] ، مـــن عام **٣٨٧** يفسر الآية (٥ : ٣) ويضيف : « كما نقرأ في الانجيل العبراني ايضاً : قال الرب لتلاميذه ، لا تفرحوا إلا متى حزنتم مع أخيكم حباً به » . فهو يستشهد به كمن يقبله .

في تفسير ميخا من عام **٣٩٢** يصرح لاول مرة انه ترجم الانجيل بحسب العبرانيين ، « وفيه يقال عن شخص المخلص : حملتني أمي ، الروح القدس ، بشعرة من رأسي » تفسيراً لقول الانجيل بحسب متى في (٤ : ٨) . والروح بالعبرانية مؤنث ، لذلك جعلوا الروح انثى بمنزلة أم للمسيح . ولعلَّ في هـــذه النظرية « النصرانية » سر آية القرآن : « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله » (المائدة ١١٩) في استنكار الهية المسيح والروح مع الله .

---

(١) يسميه τὸ Ἰουδαϊκόν ، وعن ترجمة جيروم نُقل الى بعض المخطوطات اليونانية للانجيل .

(٢) مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٦ ص ٥٢٠ .

في (مشاهير الرجال) يذكر مراراً الانجيل بحسب العبرانيين ، ويقول انه ترجمه الى اليونانية واللاتينية ، ويشهد بأنه يستشهد به مراراً .

ينقل[١] عنه ان المسيح « ظهر ليعقوب . وكان يعقوب قد أقسم أنه لن يأكل خبزاً منذ تلك الساعة التي فيها شرب كأس الرب ، حتى يراه قائماً من بين الموتى . فقال له الرب : قرّب المائـــدة والخبز . (ويضاف للحال) أخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطى ليعقوب الصديق ، وقال له : يا اخي كلْ خبزك لان ابن البشر قام من بين الراقدين » .

وفيه[٢] أيضاً يذكر : « ان متى أول من دوّن انجيل المسيح ، وفي بلاد اليهود ، لاجل المؤمنين من أهل الختان ، بالحروف العبرية . **وهذا الانجيل نفسه موجود الى اليوم في مكتبة قيصرية** التي جمعها بنشاط الشهيد بمفيلوس . وقد سمح لي كذلك نصارى بيريه (حلب) ، مدينة في سوريا ، أن أنسخ النسخة التي يستعملونها » . هذه شهادة قيمة : ان الانجيل بحسب متى ، المكتوب باللغة الارامية السريانية ، وبالحرف العبراني ، ظل موجوداً حتى آخر القرن الرابع ؛ وكانت منه نسخة في مكتبة قيصرية المسيحية ، وجيروم نسخ نسخة أخرى عن نسخة النصارى بحلب .

وفيه[٣] ايضاً ينقل : « وفي الانجيل بحسب العبرانيين يقول : ولما جاء الى بطرس والذين معهم قال لهم : هـــذا أنا ، جسّوني ، وانظروا أني لست شبحاً شيطانياً لا جسم له . وللحال جسوه وآمنوا » . وهو تفسير لكلمة « روح » عند لوقا (٢٤ : ٣٧ و ٣٩) . فإن جيروم يفسر ما تشابه من الانجيل في اللغة اليونانية بانجيل النصارى باللغة السريانية .

---

(١) مشاهير الرجال ف ٢ ؛ مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٣ ص ٦١٣ .

(٢) مشاهير الرجال ف ٣ ؛ مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٣ ص ٦١٣ .

(٣) مشاهير الرجال ف ١٦ ؛ مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٣ ص ٦٣٣ .

لكن أكثر استشهادات جيروم وشهاداته في انجيل النصارى نجدها في تفسيره للانجيل بحسب متى ، وقد ألفه قبل الفصح عام ٣٩٨ .

في (ك ١ ف ٢ ص ٢٦) ينقح لفظ الانجيل اليوناني « في اليهودية » بلفظ « يهوذا » كما نقرأ في النص العبراني نفسه » .

وفي صلاة (أبانا) يقول : « ان الانجيل بحسب العبرانيين يضع كلمة (مهر) بدل (الجوهري) اي : خبزنا الآتي أعطنا اليوم » .

وفي تعليقه على معجزة اليد اليابسة (ك ٢ ف ١٢) يقول : « **في الانجيل الذي يستعمله النصارى والابيونيون**، الذي نقلناه مؤخراً الى اليونانية من اللغة العبرية؛ والذي يعتبره الاكثرون الانجيل بحسب متى الصحيح[١] » .

ان جيروم يعترف بصحة انجيل النصارى التاريخية . وبخلاف ابيفان يقول بأن النصارى والابيونيون يستعملونه واحداً . هذا لا يمنـــع ان يُسقط منه الابيونيون قصة المولد المعجز ، ولذلك يعتبره « غير كامل » . فالشهادتان لا تتعارضان .

وفي تفسير آية (متى ٢٣ : ٣٥) : « زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين المذبح والهيكل » — وهي من المضائق التاريخية — يقول جيروم[٢] : « ان الانجيـــل العبراني بدل (ابن برخيا) يذكر (ابن يهويدا) .

وفي تفسير اسم « بار عبّاس » يقول : « هو في الانجيل المكتوب بحسب العبرانيين : ابن معلّم ، منهم » .

---

(١) هذا هو نصه اللاتيني في مجموعة الآباء اللاتين (ك ٢٦ ص ٧٨) :

«In Evangelio quo utuntur Nazarei et Ebionitae, quod nuper in grecum de hebraïco sermone transtulimus, et quod a plerisque Matthei authenticum».

(٢) تفسير متى ك ٤ ص ٢٣ ؛ مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٦ ص ١٧٤ .

وفي التفسير نفسه[١] يقول : «في الانجيل بحسب العبرانيين الذي ذكرناه مراراً» فالعلامة جيروم يستشهد مراراً بانجيل النصارى لتفسير ما اشتبه من الانجيل بحسب متى اليوناني. وهذا دليل ثقته بصحة انجيل النصارى التاريخية والعلمية .

وفي تفسير أشعيا من العام ٤٠٨ ، يستشهد جيروم «بالانجيل العبراني ، أو بالانجيل بحسب العبرانيين **الذي يتلوه النصارى**»؛ كقوله ايضاً : «هذا مدون في النص العبراني الذي يتلوه النصارى : نزل عليه كل ينبوع الروح القدس[٢]» . هنا يذكر النصارى من دون الابيونيين ، ويعتبر النص العبراني كأنه أصل النص اليوناني ، للانجيل بحسب متى .

وفي تفسير المزمور ١٣٥ من العام ٤١٠ يقول : «في الانجيل العبراني بحسب متى نجد هذا : خبزنا الآتي أعطنا اليوم[٣]» . ففي اواخر حياته يسمي جيروم انجيل النصارى بكل بساطة وصراحة : الانجيل بحسب متى .

وفي تفسيره على أشعيا (٤٠ : ٩) يقول جيروم مرة اخرى : «لكن في الانجيل المكتوب بحسب العبرانيين ، يقرأ النصارى» . . .

وفي تفسيره على حزقيال — وهو من العام ٤١٠ — ٤١٢ — يؤكد ايضاً ما صار عنده عقيدة : «وفي انجيل العبرانيين ايضاً ، الذي يتلوه النصارى[٤]» . . .

اخيراً في (الرد على بيلاج) ، من عام ٤١٥ ، قبل وفاته عام ٤١٩ ، نجد

---

(١) تفسير متى ك ٤ ف ٢٧ ؛ مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٦ ص ٢١٣ .

(٢) تفسير اشعيا (ك ١٤ ف ١١) ؛ مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٤ ص ١٤٤—١٤٥. وهذا نصه:
«quod hebreo sermone conscriptum legunt Nazarei: descendit super eum omnis fons spiritus sancti».

(٣) «In hebraïco Evangelio secundum mattheum ita habet: panem nostrum crastitum da nobis hedie»

(٤) مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٥ ص ١٣٧ .

الشهادة الاخيرة عند جيروم : « ان الانجيل بحسب العبرانيين ، المكتوب باللغة الكلدانية والسريانية كذلك ، لكن بأحرف عبرانية ، والذي يستخدمه الى اليوم، **النصرانيون**، وهو بحسب الرسل ، او كما يفكر الاكثرون بحسب متى ، والموجود في مكتبة قيصرية » يُعلم ان الخطايا المكتسبة بعد العماد تُغفر[١] . هنا يستعمل اسم « نصرانيين » بدل نصارى ، وهي صيغة نسبة اليهم — وهـذه الاضافة قد أضلت كثيرين من الغربيين ، كأنهما طائفتان — ونلاحظ ان الاسم يرد ايضاً بلهجة « نصورو » او بلهجة « نصورى » كما ينطق بها حتى اليوم بعضهم في جبال القلمون ، شمال دمشق .

ففي شهادة جيروم المتواترة ، ان انجيل النصارى هو الانجيـل بحسب العبرانيين ، (وقد يقول بعضهم بحسب الرسل) ؛ ولكنه في الحقيقة هو الانجيل بحسب متى ، بالحرف العبراني واللغة الأرامية السريانية .

يقول العلامة الكبير لاغرنج : ان الخلاف قائم على **هوية انجيل الابيونيين،** « وبين النظريتين المختلفتين ، ان النظرية التي لا يمكن بحال قبولهـا هي التي تطابق بين انجيل العبرانيين — الذي اعتبره بعضهم قانونياً صحيحاً — وبين انجيل الابيونيين ، وهو نص موصوف بالانحراف والبدعة[٢] » .

ويضيف احد العلماء ان انجيل الابيونيين الذي يذكره ابيفـان[٣] يصح

---

(١) الرد على بيلاج (٣ : ٢) في مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٣ ص ٥٧٠ وهذا نصه :

« In Evangelio juxta Hebreos, quod a chaldaïco quidem syroque sermone, sed hebraïcis litteris scriptum est, quo utuntur usque hodie Nazareni, secundum apostolos, si ut plerique autumant juxta Mattheum, quod et in Caesariensi habetur Bibliotheca, narrat historia...»

(٢) Revue biblique 1922 T 31 p. 164 — cf. Supplément au Dictionnaire de la Bible T I p. 474

(٣) الشامل في الهرطقات ف ٣٠ ، مجموعة الآباء اليونان ك ٤١ ص ٤٠٥ قابل :

Supplément au D. B. T I p. 474

اعتباره انجيل الاثني عشر رسولًا . وفيه تحريف مكشوف : لانه يسقط الفصلين الاولين من الانجيل بحسب متى في قصة المولد المعجز ، ويرى في المسيح مصلح الموسوية لا غير الذي بدّل الذبائح بالعماد ، وهو حلّ على عيسى ابن مريم يوم عماده وفارقه قبل استشهاده وارتفع الى السماء ، فلم يقتل اليهود سوى عيسى بن مريم لا مسيح الله . وفي ذلك توجيه لفهم قصة الرفع وقصة الشبه وقصة عبودية المسيح لله مثل الملائكة المقرّبين ؛ لكن القرآن يتميّز بقصة المولد المعجز ، كما في انجيل النصارى .

●

من الشواهد التي نقلها علماء المسيحية نرى ان **الفوارق طفيفة** بين انجيل النصارى ، والانجيل بحسب متى عند المسيحيين :

انجيل النصارى يذكر ان المسيح بعد قيامته ظهر اولاً ليعقوب — وهذه إشارة الى منزلة يعقوب الاولى بين صحابة المسيح . وفي تحقيق لوقا لا نرى هل ظهر اولاً ليعقوب الذي كان مـــع والده قلوبا على طريق عماوس ، أم لبطرس (لوقا ٢٤ : ١٨ و٣٤) ؛ وسكوت لوقا عن ذكر رفيق قلوبا مقصود . وبولس يضع الحق التاريخي في نصابه عند ما يعلن ان المسيح ظهر اولًا لبطرس ، واخيراً ليعقوب (١ كو ١٥ : ٤ و ٧) .

انجيل النصارى بتوكيداته المتواترة ان الانجيل **تصديق وتفصيل** للتوراة يشعر بضرورة التوراة مع الانجيل ، لاقامة احكام الانجيل والتوراة معاً (قابل سورة المائدة ٧١) .

في انجيل النصارى يسوع يقبل العماد من يوحنا المعمدان ، يحيى بن زكريا ، بتحريض من أمه وذويه ؛ بينما في الانجيل بحسب متى ، يسوع نفسه يحمـــل المعمدان على تعميده ، « اذ هكذا يليق بنا أن نتم كل برّ » (متى ٣ : ١٥) .

في تجربة ابليس للمسيح يقول الانجيـــل بحسب متى : « اخذه ابليس الى

المدينة المقدسة . . . الى جبل عال » (متى ٤ : ٥ و ٨) ؛ بينما انجيل النصارى يقول « حمله الروح القدس » .

في خبر قيامة المسيح ، لا ينقل انجيل النصارى ما يحدّده الانجيل بحسب متى (١٢ : ٤٠) من مكوث المسيح في جوف الارض ثلاثة ايام . ويصرّح انجيل النصارى بأن حراس القبر كانوا من الجند الروماني ، بينما متى لا يفصح عن هويتهم (٢٧ : ٦٥) . وفي ظهور المسيح ظن صحابته انهم « يرون روحاً » ، بينما انجيل النصارى يحدد « روحاً شيطانياً » .

انجيل النصارى يزيد على الانجيل بحسب متى كثرة الاستشهاد بالانبياء . فلا يكتفي بنقل خبر انشقاق حجاب الهيكل عند موت المسيح مثل متى (١٥ : ٣٨) ، بل يضيف الاستشهاد بأشعيا (٦ : ٤) .

انجيل النصارى يضيف الى شرعة المحبـــة **شرعة الزكاة** ، بينما متى يذكر الصدقة . ويوغل في الدعوة الى الزهد أكثر من متى . ويقتصر في تكرار الغفران الاخوي الى سبع مرات ، بينما الانجيل بحسب متى « الى سبعين مرة سبـــع مرات » (١٨ : ٢٢) .

وهكذا نرى ان الفوارق اسلوبية ، لا موضوعية ؛ نجد أمثالها بين الاناجيل الصحيحة المؤتلفة ، كما نجدها بين سور القرآن في القصة الواحدة .

•

بعد هذا الاستقراء للمصادر المسيحية ، في انجيل النصارى ، نستنتج هذه الحقائق الثابتة :

اولاً : للنصارى من بني اسرائيل انجيل خاص بهم ، يسميه جيروم ، خاتمة المحققين : الانجيل العبراني ، بحسب حرفه ؛ او الانجيل السرياني ، بحسب لغته ؛ او الانجيل بحسب العبرانيين ، بسبب اهله . وهذه هي صفة الانجيل الذي يترجمه ورقة بن نوفل ، كما في الحديث .

ثانياً: النصارى لا يقبلون رسمياً الا هذا الانجيل ؛ **وينكرون ما عداه. فالانجيل واحد عندهم**. يقول ابيفان فيهم: «يستعملون انجيلاً وحيداً، هو الذي بحسب متى[١]». وهذا هو موقف القرآن.

ثالثاً: انجيل النصارى من بني اسرائيل كان مكتوباً باللغة الأرامية السريانية، لكن بالحرف العبراني المقدس عندهم. لذلك ترادف المصادر بين اللغة الأرامية السريانية التي بها يتكلمون، وبين اللغة العبرية لان المتكلمين من العبرانيين، وانجيلهم مكتوب بالحرف العبري. **فاسم الانجيل المتواتر يدل على ان اهله هم النصارى من بني اسرائيل**، الذين ينطقون بالأرامية السريانية، مع لغة مهاجرهم.

رابعاً: كان الأبيونيون من النصارى يستعملون انجيل النصارى نفسه بحسب شهادة جيروم. لكنهم يسقطون منه فاتحته في قصة المولد المعجز الذي لا يؤمنون به — كما أسقط بعضهم من القرآن فاتحته وخاتمته، المعوذتين. وربما كان للأبيونيين تأويلات او قراءات هامشية دخلت النص مع الايام، حتى كأنه صار انجيلاً آخر.

خامساً: يؤكد النصارى من بني اسرائيل ان انجيلهم هو الانجيل بحسب متى عند المسيحيين، لكنه في **نصه الاصلي**[٢]. ونقل عنهم علماء المسيحية هذا الاعتقاد، كما يشهد اوسابيوس وابيفان وجيروم. يقول لاغرنج[٣]: «في نظر

---

(١) Panarion (30 : 16) : « Solo autem eo, quod est secundum Mattheum evangelio utuntur».

(٢) كما يصرّح ابيفان: الشامل في الهرطقات ك ٢٩ ف ٩ ع ٤ ؛ قابل: Bardy: Revue : mélanges de science religieuse 1949 «l'Evangile selon les Hébreux».

(٣) Revue biblique 1922 T 31 p. 163

جيروم ، انه الانجيل بحسب متى الاصيل » . ويفخر جيروم مراراً بأنه نقله عن نسخة حلب الى اليونانية واللاتينية . لكن هذه الترجمة مفقودة ، كما فقد الاصل.

سادسا : يؤكد ابيفان ، وهو مطران مسيحي من فلسطين ، ان انجيل النصارى « كامل » غير منقوص . ويعلّق العالم بَرْدي[١] : « ان ابيفان ينقل ان النصارى يملكون بالعبرية الانجيل الكامل بحسب متى » ؛ ثم يضيف : « ونستغرب ان علامة بيت لحم (اي جيروم) يقبل بدون تردّد ويجزم بأن الانجيل بحسب العبرانيين هو الانجيل الاصيل بحسب متى . ويقول ذلك كأنه شيء طبيعي » . نشير بأنهم كانوا في وضع يمكنهم من الحكم الصحيح أكثر منا اليوم لمخالطة النصارى وامتلاك انجيلهم . ويقول لاغرنج[٢] : «ان انجيل النصارى له طابع خاص ، لكنه يعتمد على النص العبراني الاصيل للانجيل بحسب متى ... وقراءاته لها غالباً صيغة أقدم من الحرف اليوناني بحسب متى » .

سابعاً : ليس تشيّع النصارى من بني اسرائيـــل سبباً وجيهاً للطعن في صحة انجيل النصارى ، التي يعترف بها علماء المسيحية في القرن الرابع . فالمسيحيون أنفسهم على اختلاف فرقهم يعتمدون نصّاً واحداً للانجيل بحسب متى ، ومع ذلك فهم يختلفون في التأويل بحسب اختلافهم في العقيدة .

والنتيجة الحاسمة ان انجيل النصارى تنطبق اوصافه على وصف الانجيل **الاوحد** في القرآن ، وعلى وصف الحديث للانجيل الذي يملكه بالعبرية ، ويترجمه الى العربية ، ورقة بن نوفل ، « رئيس النصارى » بمكة . فانجيل ورقة بن نوفل شاهد على وجود النصارى من بني اسرائيل في مكة .

* * *

(١) Revue: mélanges de science religieuse 1949 p. 18

(٢) Revue biblique 1922 T. 31 p. 163.

بحث رابع

علم الكلام عند « النصارى »

علم الكلام هو الاجتهاد في الاعتقاد. والصراط المستقيم فيه هو الاقتصاد في الاجتهاد. وهذا ما يميّز عامة النصارى من بني اسرائيل عن سائر فرقهم ما بين افراط في التهويد، وتفريط بتأثير الغنوصية الهلنستية.

وعلم الكلام عند النصارى من بني اسرائيل يتطور بحسب أطوار تاريخهم. فلا بدّ من عودة لهذا التاريخ في عهد الفترة، لنستطلع فيه تطور علم الكلام عندهم.

تسرّبت الغنوص الهلنستية الى بني اسرائيل، لانهم أرادوا استخدام الحكمة لبيان سمو الوحي الكتابي عليها بواسطة الغنوص الاسرائيلية. وورث النصارى من بني اسرائيل ذلك عنهم. وكانت الغنوص مزدهرة عند الأسينيين في قمران، كما نعرف من فيلون ومن مخطوطاتهم؛ فلمّا تنصّر اكثرهم تسلطت الغنوص على علم الكلام « النصراني ».

ويشهد هجسيب[1] في مطلع القرن الثاني بأن الغنوص ظهرت على ايام سمعان، اسقف اورشليم، خليفة يعقوب أخيه عام ٦٢؛ على يد **ظبوتس** « الذي اتى من الفرق القائمة في الشعب اليهودي ».

ومن فلسطين اتى **سيمون** الذي يعتبره جميع مؤرخي الهرطقات في المسيحية أبا الغنوص الطارئة عليها.

وظبوتس يمثل الغنوص « النصرانية » القويمة عندهم، وسيمون يمثل الغنوص المنحرفة في المسيحية.

---

(١) اوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٤ ف ٢٢ ع ٥ .

فالغنوص كانت عندهم مرادفاً لعلم الكلام وعلم السر في الوحي والرؤيا . وموضوعها علم الكونيات والأخرويات، كما نرى صورة عنها في كونيات القرآن وأوصاف اليوم الآخر؛ وعلم سر المسيح في الكونيات والأخرويات ، كما ذكر القرآن بأنه « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » ؛ و « انه لعَلَمٌ — لعِلْم — للساعة » .

فالظاهرة العامة هي في الغنوص « النصرانية » ، علم الكلام والوحي في الالهيات والكونيات والاخرويات . وهذه الظاهرة صبغت « النصرانية » بصبغتها تجاه المسيحية .

فالظاهرة الكبرى على الاجتهاد في الاعتقاد عندهم انه يقوم على الغنوص — اي « **العلم** » -- المسيطرة على العالم الهلنستي حينئذٍ ، وقد تسرّبت الى اهل الكتاب . فما انقضى العهد الرسولي ، عهد صحابة المسيح ، حتى كانت الغنوص مسيطرة على النصرانية ، وباسمها يلاحقون المسيحية كما علمها بولس في كنائسه. فكانت رسائله الصوفية الثلاث ردّاً على الغنوص الهلنستية واليهودية و « النصرانية »، قائلاً ان « الغنوص السامية » — اي « العلم » المطلق — هي في المسيحية ؛ لكن المسيحية تبني كلامها على الكتاب والسُنّة الرسولية ، أما « النصرانية » **فبنت كلامها منذ البدء على الغنوص اي « العلم »** بحسب اصطلاحها، وقام هذا الاصطلاح **شعار الكلام « النصراني »** حتى القرآن ، الذي يشيد به وبأهله : « او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » النصارى (الشعراء ١٩٧)؛ « قلْ : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) ؛ والقرآن نفسه هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) .

●

اولاً : الاجتهاد في الاعتقاد، على عهد الرسل الحواريين

١ — لم يكن الرسل ، صحابة المسيح ، من علماء الكلام ؛ انما كانوا حملة الانجيل والدعوة اليه . وفي عهد الرسل الحواريين ، قبل الحرب السبعينية ،

ظلت العقيدة الانجيلية على الصراط المستقيم، بحسب «حقيقة الانجيل» (غلا ٢ : ٥). وكان لا بدّ من نشوب **المشكل الاول** في العقيدة الانجيلية: هل شريعة التوراة لازمة لاهل الانجيل أنفسهم؟

فتضاربت الآراء بين النصارى من بني اسرائيل، وبين المسيحيين من الاميين. قال النصارى بإقامة التوراة والانجيل معاً. ونادى المسيحيون بتحرير المسيحية من الشريعة الموسوية. واستقطب الخـــلاف بين الفريقين يعقوب، أسقف اورشليم، زعيم آل البيت، والنصارى من بني اسرائيل؛ وبولس، «رسول الأمم» زعيم الدعوة المسيحية بين «الأمّيين».

واحتكم الفريقان الى مؤتمر الرسل في اورشليم عام ٤٩ م. وبعد الشورى حسم بطرس، زعيم الرسل الخـــلاف، وأفتى بتحرير المسيحيين من الشريعة الموسوية؛ وأبقى النصارى من بني اسرائيل احراراً في إقامة التوراة مع الانجيل، فلم يتطرق المؤتمر لهذه الناحية. وأيده يعقوب وبولس، «فسكت الجمهور كله» (اع ١٥ : ١٢).

لكن غلاة النصارى من بني اسرائيل، بزعامة الفريسيين المتنصرين، ظلوا على موقفهم بفرض الشريعة الموسوية على المسيحية (اع ١٥ : ٥)، او عـــلى الاقل بفرضها على اهل الانجيل من بني اسرائيل (اع ٢١ : ١٧ — ٢٦). وكان همهم ملاحقة بولس لتعطيل دعوته. فكان على بولس ان يجاهد من داخل على جبهتين، ضد الفريسيين المتنصرين، «الاخوة الكذبة» (غلا ٢ : ٥) وضد اليهود، «أهل البتر» (فيل ٣ : ٢)؛ ومن خارج على جبهتين ايضاً ضد الحكمة اليونانية، وضد الغنوص — «العلم» — الهلنستية.

٢ — في **معركة تحرير المسيحية من اليهودية**، نرى اربع نزعات: اثنتين متطرفتين ما بين افراط وتفريط، واثنتين معتدلتين ما بين يمين ويسار.

كانت **النزعة المتطرفة الاولى** عند بني اسرائيل «**الهلينيين**»، من المسيحيين في المهاجر، الذين تذمروا عـــلى بني اسرائيل «**العبرانيين**» من النصارى

الفلسطينيين ، في الحياة المشتركة . وكانت بزعامة الشهيد الاول اسطفان ، ورفاقه الثمانية (أع ٦ : ١ و ١١) ، القائلين بهجر الهيكل ، عنوان الأمة ، وترك الشريعة روح الدين والدولة ، بعد زوال مبرّراتها بظهور المسيح . وقد زالت هذه النزعة اليمينية المتطرفة باستشهاد اسطفان .

وكانت **النزعة المتطرفة الثانية** ، على نقيض الاولى يسارية تتشيّع لشريعة موسى ، وترغب فرضها على المسيحيين من الأميّين . فهدفهـا الصريح تهويد المسيحية . وقد أفتى الرسل باجماع مجمعهم في اورشليم بتحرير المسيحية من الموسوية ، وترك النصارى من بني اسرائيل ، أحراراً في إقامة التوراة والانجيل معاً . فظلت هذه النزعة قائمة عند النصارى من بني اسرائيل وتصلّبت وتجمدت بعد تنصّر الاسينيين ورهبانهم من قمران ، فولدت الطرق المتطرفة في الكلام « النصراني » كما سنرى .

والنزعة الاولى المعتدلة كانت نزعة يعقوب ، زعيم آل البيت ، والنصارى من بني اسرائيل الفلسطينيين ، الذين يؤمنون بالمسيح والانجيل ، ويقيمون احكام التوراة ، دون فرض سلوكهم على المسيحيين من الاميين . وظلت هذه النزعة المعتدلة شعار النصارى من بني اسرائيل ، طول عهد الفترة حتى القرآن ؛ فجعلهم « شيعة النصارى » تجاه المسيحيين ، أهل السُنّة الرسولية .

والنزعة الثانية المعتدلة كانت نزعة بولس وأعوانه وانصاره المنادين بتحرير المسيحيين من الاميين مـن نير الشريعة الموسوية ، ويسلكون بحسب احكام الانجيل وحده . لكنهم يحترمون الشريعة لأهلها ، فلو يلتزمون بها ، ولا يلزمون بها أحداً . وكان شعارهم : « ليس الختان بشيء ، ولا القلف ، بل الخليقة الجديدة » (غلا ٦ : ١٥) ؛ « اذ لا قوة ، في المسيح يسوع ، للختان ، ولا للقلف ، بل للايمان العامل بالمحبة » (٥ : ٦) . وكان اعتمادهم على **سنة الرسل** في مجمع اورشليم عام ٤٩ م . فكان المسيحيون من الاميين ، ومن « الهلينيين » الاسرائيليين .

المندمجين معهم «أمة واحدة» : **أهل السنة المسيحية** ، بالنسبة لشيعة النصارى من بني اسرائيل .

٣ — **ومصدر الخلاف** على «حقيقة الانجيل» كان تعليم المسيح في مطلع دعوته ، في الخطاب التأسيسي لملكوت الله : «لا تظنــــوا أني أتيت لأنسخ الشريعة والنبيين ؛ اني ما أتيت لأنسخ بل لأكمّل» (متى ٥ : ١٧) . **فهل هذا التكميل تعديل أم تبديل ؟** هل هو تكميل يرقى من الحرف التوراتي الى المعنى المقصود ، أو تكميل على الحرف المعهود ؟

لقد فهم المسيحيون ان **التكميل في الانجيل تبديل** ، من عهد قديم الى عهد جديد (متى ١٩ : ٢٨ ؛ ٢٢ : ٢٧) . فقد فسّر يسوع دعوته بتطوير الكلمات العشر من شرعة العدل الى شرعة المحبة ، ونسخ التحريم في الاطعمة ، ونسخ الطلاق وتعدد الزوجات في الزواج المسيحي ؛ أخيراً في نقل ملكوت الله «الى أمة أخرى تؤدي ثماره» (متى ٢١ : ٤٣) ، قائلًا «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (متى ٢٣ : ٣٨) . وفسر النبوءة لصحابته بقوله : «الحق أقول لكم : انه لا يُترك ههنا حجر على حجر إلا ينقض» (متى ٢٤ : ٢) . وحدّد الزمن بحصار الاميين الآتي لأورشليم في الجيل الحاضر .

لكن النصارى مـــن بني اسرائيل ، في فلسطين ، ومن دار في فلكهم في مهاجرهم ، فقد فهموا ان **التكميل في الانجيل تعديل** ؛ فما الانجيل سوى **تصديق للتوراة وتفصيل** . وذلك بسبب رواسبهم القومية والتوراتية ، وبسبب مزجهم الدين والامة في القومية والدولة : فالشريعة الموسوية باقية مهيمنة على الانجيل . فعليهم أن يقيموا التوراة والانجيل معاً ، والختان والعماد معاً ، والسبت والاحد معاً . ومتى طرأت عليهم نزعات كلامية متطرفة أقاموا التوراة على حساب الانجيل . وهذه العقيدة «النصرانية» بأن الانجيل تصديق التوراة وتفصيل هي التي **عبرت الى القرآن** : «وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ، مصدقاً لما بين يديه من التوراة» (المائدة ٤٦) ؛ «واذ قال عيسى ابن مريم : يا بني اسرائيل

اني رسول الله اليكم ، مصدقاً لما بين يدي من التوراة» (الصف ٦) ؛ «ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ، **ولاحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم**» (آل عمران ٥٠) ؛ «قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل» (المائدة ٧١) .

وفي آخر العهد الرسولي ، بعد أسر بولس (٥٨ — ٦٣)، واستشهاد يعقوب عام ٦٢ ، تطور الخلاف من الشريعة الى العقيدة في المسيح . وعبثاً حاول بولس في رسائل الاسر ، وخلفاء يعقوب في «الرسائل الكاثوليكية» تثبيت التطور الثاني في العقيدة ، عـلى «حقيقة الانجيل» . فلما وقعت الواقعة في الحرب السبعينية ، كان أتباع المسيح قد انقسموا نهائياً الى سنة وشيعة: **سنة المسيحيين** من الاممين ، العاملين في العقيدة والشريعة بحسب سنة الرسل ؛ **وشيعة النصارى** من بني اسرائيل الذين يقيمون التوراة والانجيل معاً ، متشيعين للتوحيد التوراتي ، والشريعـة الموسوية ، تحت زعامة آل البيت ، ويرون لهم في ذلك فضلاً على المسيحيين .

•

ثانياً : ما بين النكبتين (٧٠ — ١٣٥) ، نشوء مدارس الكلام «النصراني»

بعد العهد الرسولي ، وما بين النكبتين العظيمتين اللتين حلتا ببني اسرائيل عام ٧٠ وعام ١٣٥ ، فقضتا عـلى بني اسرائيل في أمتهم ودولتهم ومدينتهم وهيكلهم ، توطّد الانقسام الى سُنّة وشيعة بين أتباع المسيح ، وسار الشقاق في خطين متوازيين يتباعدان رويداً رويداً ، بتأثير السنة الرسولية والثقافة الهلنستية على المسيحيين من الاممين ، وبتأثير القومية والثقافـة اليهوديتين ، وطغيان الغنوص الهلنستية ، من دون السنة الرسولية ، على النصارى من بني اسرائيل ، فترسّخت فيهم روح الشيعة والنزعة التورانية .

١ — في هذه الفترة ، بعد خراب أديرة قمران الاسينية ، تنصّر كثيرون منهم ، وحملوا معهم الى «النصرانية» نظرياتهـم اليهودية في التوحيد التوراتي ، وفي

الشريعة الموسوية، وفي الكهنوت اللاوي. فازداد التيار الفريسي في «النصرانية» تهويداً بالتيار الاسيني القمراني. **وظهرت الابيونية في النصرانية**، بتأثير كلام فيلون عليها، وبتأثير علم الغنوص الذي غزاها.

وصاروا يفسرون التثليث الانجيلي بتعابير الكلام والغنوص، تفسيراً «ملائكياً»: فالمسيح، كلمة الله هـو روح منه تعالى اسمه ميكائيل؛ وروح القدس هو روح منه تعالى اسمه جبرائيل، كما سنرى تفصيل ذلك. وصبغوا أحكام الانجيل بأحكام التوراة، فقرنوا العماد بالختان، والاحد بالسبت، والصلاة الربية بالقبلة الى اورشليم على مثال بني قومهم، لا الى الشرق على مثال المسيحيين. ويقيمون الفصح المسيحي مع الفصح اليهودي. وقرنوا خصوصاً تكريم المسيح بتكريم موسى حتى كادوا يساوون بينهما. وأقاموا نهائياً على اقامة التوراة والانجيل معاً.

٢ — وتميّزوا خصوصاً بأمرين في مصادر الوحي الانجيلي.

إنهم اعتمدوا، كما رأينا، الانجيل بحسب متى وحـده — من دون سائر اسفار العهد الجديد الذي تمّ جمعه وتدوينه في هذه الفترة — لانه كتب لهم اولاً ونزل بلغتهم، ودوّن بحرفهم العبراني المقدس، ولغتهم الأرامية السريانية. **وقد اجمعت الشهادات على هذه الظاهرة** التي تميزهم عن المسيحيين. وقد نقل ابيفان في القرن الرابـع شهادة إيريناوس فيهم منذ منتصف القرن الثاني: «يستعملون انجيلاً وحيداً، هو الذي بحسب متى»[١]. وأهملوا الاناجيل الثلاثة الاخرى لأنها موجهة لغيرهم، وبلغة الاميين؛ وأهملوا حتى «الرسائل الكاثوليكية» الموجهة اليهم، مع «الرسالة الى العبرانيين».

والظاهرة الاخرى، تنكّرهم المطلق لبولس وتعليمه ورسائله، وكانوا

---

(١) الشامل في الهرطقات (٣٠ : ١٦):

«Solo autem eo, quod est secondum Mattheum, evangelio utuntur»

يسمونه «**المرتد**[١]» . وأخذوا يؤلفون في أصله وسيرته قصة خيالية زرية : فهو عندهم ابن جندي روماني ولد من زنى ، ثم صار دخيلاً في اسرائيل . ولما طلب يد ابنة الحبر الاعظم ردّه رداً غير جميل ، فارتد هو عن اليهودية ، وانتحل المسيحية ، وصار يحارب اليهودية ، ويشنّع على الشريعة . انه مرتدّ يستحق القتل شرعاً . وهذا ما حاولوه مراراً بإثارة المشركين عليه ، وأخيراً لما أمسكوه في هيكل اورشليم كادوا يبطشون به (أع ٢١ : ٢٧ — ٣١) .

وتلكما الظاهرتان في « النصرانية » بتأثير الابيونية ، قد رافقتا النصارى حتى الحجاز ، وعبرتا الى القرآن : فهو لا يعرف إلا الانجيل على المفرد المطلق ، من دون إشارة الى سائر العهد الجديد .

٣ — وتميز النصارى من بني اسرائيل أخيراً ، بتأثير الابيونية ، بالجمع بين **موسى وعيسى** على صعيد واحـــد ، كما أقاموا التوراة والانجيل معاً . فأنزلوا المسيح منزلة موسى لقوله فيه « النبي مثلي » (التثنية ١٨ : ١٥) .

ونرى مطلع هذا التطور في رسائل العهد الجديد اليهم ، حيث يحاول أصحابها الملهمون الوقوف بوجه تيار الفتنة فالبدعة فالردة ، لكن بدون جدوى .

ونرى ختام هـــذا التطور ، في منتصف القرن الثاني ، عند يستين العالم الشهيد ، ابن نابلس ، والفيلسوف المسيحي في رومة . ففي (**الحوار مع تريفون**) يجادله في التوراة والانجيل ، ويقول : «يحق لليهودي المتنصر ان يعمل بالشريعة ، شريطة ان لا يفرضها على المسيحيين من الامم[٢]» . وهذه سنة الرسل في مجمع اورشليم (أع ١٥ : ١ — ٣٤) . ويصف تدهور العقيدة في المسيح عندهم بقوله : « من بني قومك من يعترفون بالمسيح ، لكنهم يعلنون أنه **بشر من بين البشر** . وأنا لست من رأيهم ، وكثيرون من الذين يفكرون مثلي لا يرضون برأيهم

---

(١) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ ؛ مجموعة الاباء اليونان ك ٢٠ ص ٢٧٣

(٢) يستين : الحوار مع تريفون ٢٧ : ١ — ٣

لان المسيح نفسه أمرنا ألا نطيع تعاليم بشرية[1] » . فالمسيح عند النصارى من بني اسرائيل بشراً ، وصار مسيحاً على الاصطفاء[2] . ويضيف الكلام الابيوني ان المسيح نزل على عيسى يوم عماده وفارقه قبل استشهاده .

هذه شهادة قيمة على عقيدة النصارى من بني اسرائيل في المسيح ، منذ منتصف القرن الثاني . وكان الحوار مع تريفون غداة النكبة الثانية . وهذه العقيدة « النصرانية » في المسيح هي التي انتقلت مع هؤلاء النصارى الى الحجاز وعبرت الى القرآن .

وفي أواخر القرن الاول ومطلع الثاني بدأ تياران آخران، **بتأثير الغنوص**، ينحرفان بالنصرانية : **دعوة الكيرنثية** التي تجنح الى التهويد المتطرف ، **والكسائية** المتطرفة التي تجنح الى الهلنستية . لكن في هذه الفترة كان التأثير الاقوى للأبيونية فصبغ النصرانية بصبغته .

والتيارات الثلاثة، في الكلام النصراني ان المسيح «**بشر بين البشر**» كما ينقل يستين عنهم في منتصف القرن الثاني ، وان سموه كالمسيحيين « ابن الله » فهذا على الاصطفاء والمجاز .

هذا ما انتهى اليه الكلام النصراني بتأثير الروح التوراتية والغنوص الهلنستية ، في نشوء مدارس الكلام النصراني .

●

ثالثاً : من هجرة النصارى من اورشليم ، حتى هجرتهم الى الحجاز (١٣٥ — ٤٥٠)

العدو الاكبر والاول للمسيحية كانت الغنوص الهلنستية — « العلم » بحسب

---

(١) يستين : الحوار مع تريفون ٢٨ : ٩

(٢) يستين : الحوار مع تريفون ٢٩ : ١

اصطلاحهم — التي غزت الكلام اليهودي ، وعبرت الى الكلام النصراني منذ أوائله. وسيطرت الغنوص على الكلام النصراني في جميع فرقه، باتجاهات مختلفة.

وفي هذه الفترة الطويلة ، مـــن هجرة النصارى من اورشليم حتى هجرتهم الجماعية الى الحجاز (١٣٥ — ٤٥٠) ، **تبلورت مدارس الكلام المختلفة في «النصرانية»** .

بدأت النصرانية المتشيعة للتوراة وإمامـــة آل البيت ، تصطبغ بالصبغة الأبيونية ، بتأثير الكلام الابيوني والغنوص الهلنستية، حتى أخذ الناس يطلقون على النصارى من بني اسرائيل **صفة «أبيونيين»** .

ظن بعضهم قديماً وحديثاً أن أسمهم يأتي من «أبيون» ، اسم شخص صاحب البدعة، مثل كيرنثس أو الكسائي، مؤسّسي الكيرنثية والكسائية. لكن «أبيون» اسم لغة ، لا اسم شخص. وهو يعني في اللغة الارامية السريانية «الفقير» ، كما كان يعيش «أبيونيو» — فقراء — قمران على مثال فقراء الهند. وفي تنصّرهم اتخذوا اسم «ابيونيين» شعاراً لهم ، من كلمة المسيح : «طوبى للفقراء» اي بلغتهم «طوبى للأبيونيين» . فزعموا انهم يحققون المثال الانجيلي .

وتأثير الروح القمرانية الرهبانية فيهم يظهر من دعوتهم الى تحريم الذبائح الموسوية، مع إقامتهم لاحكام التوراة مع الانجيل ؛ ولممارستهم الوضوء الكامل اليومي مثل الصابئين ، تلاميذ يحيى المعمدان — وكلا الفريقين متأثر بطريقة رهبان قمران ؛ ولاستعمالهم الماء بدل الخمر ، مع الخبز الفطير ، في القربان[١] . فهل **في تحريم القرآن للخمر** — مـــع ان التوراة والانجيل يبيحانها — صدى لتحريم النصرانية الابيونية لها ؟

وعلى تطور النصرانية الى الابيونية ، لدينا في القرن الثالث شهادة اوريجين

---

(١) قابل ابيفان : الشامل في الهرطقات (٣٠ : ١٦)

في (الرد على كلسس[١]) : « ان كلسس لا يعرف ان الذين آمنوا بالمسيح من اليهود لم يتركوا شريعة آبائهم ، بل هم يسلكون بموجب أحكامها حتى اليوم. واسمهم (ابيونيون) مشتق من فقر تلك الشريعة . فالفقير يقال له عند اليهود : أبيون . واليهود الذين يؤمنون ان يسوع هو المسيح اتخذوا اسم أبيونيين » . ويضيف : « بعضهم على رأي الارثذكسيين ، وبعضهم يعلمون ان يسوع ولد كسائر الناس[٢] » . ويقول فيهم أيضاً : « ان النصارى الابيونيين فئتان : فئة تقول بمولد المسيح المعجز ؛ وفئة تقول بمولده الطبيعي من رجل ومريم . ولكن الفئتين تنكران أزليته » اي الهيته[٣] . لذلك يميزهم ابيفان بصراحة الى نصارى وأبيونيين كما سنرى . ألا ترى ان عقيدة النصارى من بني اسرائيل في المسيح هي **عقيدة القرآن** نفسه ؟

في القرن الرابع يصفهم علماء المسيحية خير وصف . ونحن نكرر هنا نقل شهادتهم تتميماً للوحة التاريخية في تطور علم الكلام « النصراني » .

عقد أوسابيوس[٤] فصلاً في الابيونيين ، حيث يُغرق فيهم النصارى ، — وهذا دليل على سيطرة الكلام الابيوني على النصرانية — جاء فيه : « منذ البدء سموهم بحق أبيونيين ، لان لهم في المسيح آراء فقيرة وحقيرة . فهم يعتبرونه كسائر الناس رجلاً بشراً ، تزكى بالنمو في الفضيلة. **قد ولد من رجل ومريم.** وهم يقيمون شريعة موسى ، لأنه ، في عرفهم ، لا خلاص بالايمان بالمسيح وحده ، مع السلوك بموجب هذا الايمان . لكن الى أولئك ، هناك قوم آخرون — (هم النصارى) — **يحملون اسمهم من دون حماقتهم**. فهؤلاء لا ينكرون ان الرب **ولد من العذراء**

(١) الرد على كلسس (ك ٢ ف ١) ، مجموعة الاباء اليونان ك ١١ ص ٧٩٣

(٢) الرد على كلسس (ك ٥ : ف ٦١) ، مجموعة الاباء اليونان ك ١١ ص ١٢٧٧

(٣) الرد على كلسس (ك ٥ : ف ٦٥) ، مجموعة الاباء اليونان ك ١١ ص ١٢٨٨

(٤) تاريخ الكنيسة (ك ٣ ف ٢٧)

والروح القدس . مـــع ذلك فهم على مثالهم لا يشهدون بأزليته ، مع انه اله والكلمة والحكمة . وهكذا يرجعون **الى كفر الاولين** . ويزيد ذلك بياناً أنهم على مثالهم يجعلون غيرتهم كلها في إقامة أحكام الشريعة الجسدية (اي التوراتية) بدقة . . . فهم يحفظون السبت وسائر الاحكام اليهودية ، لكنهم يحتفلون بالأحد مثلنا تقريباً ، ذكراً لقيامة المخلص . فبسبب هذا السلوك أطلق عليهم اسم (أبيونيين) الذي يُظهر فقر عقلهم . وهذا معنى كلمة فقراء عند العبرانيين » . ان اوسابيوس يجمع النصارى المحـــافظين والابيونيين المنحرفين تحت اسم الابيونيين ، وهذه ظاهرة البدعة المسيطرة .

والعلامة جيروم من بعده يرادف ايضاً بين النصارى والابيونيين مع تمييز لطيف . كتب الى اغسطين[1] : « وماذا أقول في الابيونيين؟ . . . انهم كما تسميهم العامة النصارى » . فالاسم الشعبي : نصارى ؛ والاسم العلمي : أبيونيون . ويقول فيهم[2] : « إنهم يؤمنون بالمسيح ، ابن الله ، الذي ولد من العذراء مريم ، ويقولون انه هو الذي تألم على عهد بنطيوس بيلاطس وقام . وهذا عينه ما نؤمن به . لكنهم ، بما انهم يريدون ان يكونوا في الوقت عينه يهوداً ومسيحيين ، **فهم ليسوا يهوداً وليسوا مسيحيين** » — بل « **أمة وسطاً** » كما سيقول القرآن . واذا ما سمّوا المسيح « ابن الله » فهذا على سبيل المجاز ، لا على سبيل الحقيقة والواقع . وجيروم يميز بينهم عند التدقيق ، كقوله[3] : « هذا موجود في الانجيل الذي نقلناه حديثاً مـــن **العبرانية الى اليونانية** ، والذي يستعمله **النصارى والابيونيون** . ويعتقد الكثيرون انه الانجيل الاصيل بحسب متى » .

وابيفان ، الاسقف من فلسطين ، يعقد في (الشامل في الهرطقات) فصلاً في

---

(١) الرسالة (٨٩ : ١٣) . وهذا حرفها اللاتيني :

«Quid dicam de Ebionistis?... quos vulgo Nazaraeos nuncupant

(٢) الرسالة ١١٢ الى اغسطين ، مجموعة اباء اللاتين ٢٢ ص ٩٢٤

(٣) في تفسير الانجيل بحسب متى (١٢ : ١٣)

النصارى (٢٩) وفصلاً في الابيونيين (٣٠). فهو يميز بعضهم عن بعض تمييزاً صريحاً . ويقول في النصارى[1] : « ان النصارى من بني اسرائيل **نزعتهم التهويد.** قضية واحدة تميزهم عن المسيحيين وعن اليهود : انهم يتميزون من اليهود بايمانهم بالمسيح، ويتميزون عن المسيحيين بإقامة الشريعة والختان والسبت وسائر الاحكام التوراتية » — فهم كانوا كما سيقول القرآن « **أمةً وسطا** » بين اليهودية والمسيحية. ولكنه يتساءل في الموضع نفسه ، هل هم يعتبرون المسيح مولوداً بشراً كما يقول كيرنتس وميرنثس ، أم كما هي الحقيقة مولوداً من الروح القدس بواسطة مريم . ونعرف من سائر الشهادات ان النصارى يقولون بالمولد البتولي المعجز ، بخلاف الابيونيين . والقرآن على مقالة النصارى .

وهكذا سيطر الكلام الابيوني على العقيدة « النصرانية » فصبغها بصبغته التوراتية الغنوصية ، ولغته « الملائكية » في التثليث المسيحي : فما كلمة الله ، وروح القدس ، عندهم سوى روحين من الملائكة المقربين ؛ وكلمة الله هو روح من أمره تعالى القاها الى مريم فولدت المسيح مولداً معجزاً ، فكان عيسى ابن مريم . وتلك هي عقيدة القرآن في المسيح .

ووصلت هذه العقيدة الى علماء رومة فنقل عنهم هيبوليت[2] : « انما سمّي مسيحاً ، والهاً ، تسميةً » اي على سبيل المجاز . ووصلت الى المغرب ، فقال فيهم ترتليان[3] : « **المسيح في نظرهم بشر محض ، لكنه أسمى من الانبياء جميعاً، لان فيه روحاً ملائكياً** » — وهذا أصح وصف لعقيدة القرآن في المسيح .

وعلى هامش الكلام الابيوني في «النصرانية» ،كانت الكيرنثية والكسائية

---

(١) الشامل في الهرطقات (٢٩ : ٧) ، مجموعة الاباء اليونان ك ٤١ ص ٤٠١

(٢) هيبوليت : الفيلسوف ٧ : ٣٣ — ٣٤

(٣) ترتليان : في جسد المسيح ف١٤ ، مجموعة اباء اللاتين ك ٢ ص ٨٢٣

تتزعزعان كبدعتين في النصرانية نفسها . لكنه كان يتسرب منها شيء الى النصرانية ذاتها ، ويتفاعل معها في العقيدة الشعبية .

•

رابعاً : الفرق الكلامية النصرانية قبل الهجرة الى الحجاز

قبل هجرة النصارى الى الحجاز في منتصف القرن الخامس ، بعد اعلان المسيحية دين الدولة ، كانت تتنازع النصرانية ثلاث فرق مختلفة في علم الكلام المبني على الغنوص : الابيونية المعتدلة نسبياً ، والكيرنثية الموغلة في التهويد ، والكسائية الموغلة في الغنوصية . وهذه لمحة عن عقائد كل فرقة .

١ — الابيونية

تمثل الابيونية صيغة الكلام الاول المعتدل في انحـــرافه ، الاقتصاد في الاعتقاد عند النصارى من بني اسرائيل . هذا الانحراف المقتصد ، في الابيونية ، نشأ كما رأينا من تنصر بعض الفريسيين ، ثم بعض الأسينيين القمرانيين ، ومن تشيعهم المفرط للتوراة ولامامة أهل البيت . وقد بنوا كلامهم « النصراني » على الغنوص التي نقلوها معهم من اليهودية[1] . واجماع العلماء ان الابيونية ظهرت مع تنصّر الاسينيين ، بعد الحرب السبعينية .

ففي **عقيدة الخلق والخليقة** ، يرون ان الله منذ البدء خلق عنصرين متضادين ، عنصر الخير وعنصر الشر ؛ وقسم الخليقة الى دهرين ، الدهـــر الحاضر وسيده ابليس ، والدهر الآتي وسيده المسيح . وهذه النظرية تمتد من الغنوص الهلنستية الى اليهودية فالنصرانية .

وأصل الشر في الانسان ، ليس من آدم ، بل من زواج أبناء الله (بعض الملائكة) ببنات الناس . فهم ينكرون بصراحة وراثة خطيئة آدم ، ويجعلونه النبي **الاول**

---

(١) Culmann: Christologic du Nouveau Testament p. 126-127

في سلسلة أنبياء الله : « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين» (آل عمران ٣٣٥). وعقيدة **عصمة آدم ونبوءته** قد انتقلت مع النصارى الى الحجاز وعبرت الى القرآن : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم » (البقرة ٣٧) ، « وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (طه ١٢١ — ١٢٢) . فالابيونية تنكر خطيئة آدم ، لكن النصرانية تقول بخطيئته وتوبته مثل القرآن .

والنبوة وجدت منذ آدم . والنبي الحق ظهر في آدم ونوح وآل ابراهيم ، وآل عمران ، حتى استقر في المسيح[١] . لذلك ، لكل قوم هاد ، ولكل أجل كتاب ، كما يقول القرآن ايضاً . لكن المسيح هو خاتمة النبوة والكتاب ، فهو النبي الاعظم[٢] كما وعد موسى (التثنية ١٨ : ١٥) . فالنبوة كلها واحدة ، والكتاب واحد مع النبيين (قابل البقرة ٢١٣) .

والدين والتوحيد والاسلام واحد من آدم الى نوح ، الى ابراهيم ، الى موسى الى عيسى المسيح . لذلك ما شرعه الله من الدين ، مع آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ، يلزم أهل الكتاب ، كما يلزم المتقين من الاميّين (قابل الشورى ١٣).

ففي نظر النصارى الابيونيين ، يسوع هو ختام النبوة والكتاب ، لكن يظل موسى بشريعته إماماً ورحمة للعالمين (قابل هود ١٧ ، الاحقاف ١٢) .

وبشأن **مولد المسيح** حافظت النصرانية على الايمان بمولده المعجز من أم بتول لم يمسها بشر ؛ أما الكلام الابيوني فقال بمولده الطبيعي من أب وأم كسائر البشر . وقد نقلنا شهادة اوسابيوس وابيفان في موقف الفريقين . وعقيدة القرآن هي شهادة النصارى.

ففي مولد المسيح المعجز ، كما يقول النصارى ؛ أو في عماده كما يقول الكلام

---

(١) ابيفان : الشامل في الهرطقات ٣٠ : ٣

(٣) قابل بلاغات بطرس ، Kerygmata Petrou وهو كتاب نصراني .

الابيوني ؛ اتحد كلمة الله بابن مريم . **فالمسيح في شخصيته هو كلمة الله وروح منه** تعالى ، سيد الارواح العلوية حلّ فيه ، كما نقل عنهم اوريجين الذي عرفهم في مصر وفلسطين وسوريا[1] وهذه هي عقيدة القرآن (النساء ١٧٠) .

ويرون في **موت السيد المسيح** وقيامته استشهاداً ورفعاً الى السماء ، أكثر منه فداء من الخطيئة .

ويفسرون **التثليث الانجيلي** بلغة ملائكية تقلب التثليث الى توحيد توراتي . فروح القدس هو عندهم جبرائيل ، ملاك الروح القدس ؛ و كلمة الله هو عندهم ميخائيل ، ملاك كلمة الله ، زعيم الملائكة المقربين . وهذه هي صفة روح القدس ، وصفة كلمة الله ، في القرآن (النحل ١٠٥ ؛ النساء ١٧٠) . بهذا التعبير الملائكي ، ذاب التثليث الانجيلي في التوحيد التوراتي .

لذلك كان ايريناوس يقول فيهم : « إنهم منحرفون في عقيدتهم بالمسيح[2] » . فالمسيح هـــو النبي الاعظم على « مثل » موسى ، لكن ليس له صفة المخلص والفادي[3] . فلا بنوة حقيقية ولا الهية صحيحة في المسيح ، انما هو ابن الله ، واله ، على سبيل المجاز[4] .

ففي عرف الكلام النصراني الابيوني ، ليس من تثليث انجيلي يأنف منه التوحيد التوراتي ، ولا من بنوة حقيقية لله في المسيح تجعله « الهاً من اله » ؛ ولا من فداء وخلاص بصلبه يغني عن ذبائح الشريعة . فنبوءة المسيح تصديق وتفصيل لنبوءات الكتاب ، وإن كان المسيح النبي الاعظم ؛ ورسالته تكميل رسالات

---

(١) اوريجين : الرد على كلسس (٥ : ٦١) ، مجموعة الآباء اليونان ك ١١ ص ١٢٧٧

(٢) الرد على الهرطقات (ك ٤ ف ١١ ع ٧) ، مجموعة الآباء اليونان ك ٨ ص ٨٨٤

(٣) الرد على الهرطقات (ك ٤ ف ٣٣ ؛ ك ٥ ف ٨) ، مجموعة الآباء اليونان ك ٧ ص ١٠٧٤ و ص ١١١٢

(٤) الرد على الهرطقات (ك ٣ ف ٢١) ، مجموعة الآباء اليونان ك ٧ ص ٩٤٦

الكتاب، وان كان الرسول الاعظم. لقد أفرغ الكلام الابيوني في النصرانية الانجيل من عقائده الثلاث، **التثليث والتجسد والفداء**، كما تنادي بها المسيحية. وتلك هي «النصرانية» التي ينسبها القرآن الى المسيح.

يأخذ المسيح اسم «**المصطفى**» عند النصارى من بني اسرائيل: «في الجنة رأت عيوني مصطفى العدل والصدق. رأيت مقامه تحت أجنحة سيد الارواح[١]».

ويذكر الكلام النصراني **سجود الملائكة لآدم**، ورفض ابليس وملائكته السجود له، وطرد الله لهم من الجنة[٢]. وترد هذه القصة سبع مرات في القرآن (٢: ٢٤؛ ٧: ١٠؛ ١٥: ٣٠؛ ١٧: ٦١؛ ١٨: ٥١؛ ٢٠: ١١٦؛ ٣٨: ٧٣).

وكان الابيونيون على العموم **يحرّمون التبتّل**، ويحرضون على الزواج[٣]. وقد رشح هذا الاستنكار الى القرآن في «رهبانية ابتدعوها» (الحديد ٢٧).

وكان الابيونيون مثل كل النصارى من بني اسرائيل يمارسون الوضوء اليومي، والغسل من الجنابة، كما جاء في القرآن: «وان كنتم جنباً فاطهروا» (المائدة ٧).

وسنتوسع في باب العقيدة والشريعة في هذه المطابقات.

نختم بهذه **الصورة للابيونية** كما وصفها ابيفان في أواخر القرن الرابع: «إنهم يقبلون **الانجيل بحسب متى** وحده، ويستعملونه من دون غيره، ويسمونه **الانجيل بحسب العبرانيين**. وهو ناقص[٤]. وعندهم، مع العماد، وضوء شامل كل يوم للتطهير[٥]. ويعيدون كل سنة لبعض الاحداث والاسرار مثل الكنيسة

---

(١) كتاب «أخنوخ» ٣٩: ٣

(٢) كتاب «آدم وحواء» ١٢: ١٦

(٣) ابيفان: الشامل في الهرطقات (٣٠: ٢)، مجموعة الآباء اليونان ك ٤١ ص ٤٠٨

(٤) لان الابيونيين يسقطون منه فاتحته اي الفصلين الاولين في قصة المولد المعجز، لكن النصارى من بني اسرائيل على العموم يحتفظون بها، ويؤمنون بالمولد المعجز، مثل القرآن نفسه.

(٥) وهذا يقربهم من المندائية المغتسلة اي الصابئة، جماعة يوحنا المعمدان

والمسيحيين. وفي قداسهم يستعملون الخبز الفطير، مع الماء القراح (بدل الخمر[١]). ويقولون : ان الله خلق منذ البدء كائنين ، المسيح وابليس ؛ للاول أخضع الدهر الآتي ، وللثاني أخضع الدهر الحاضر[٢] . ويقولون أيضاً : ان المسيح ولد من زرع بشري[٣] ، ثم اصطفاه الله ، فسمي بهذا الاصطفاء « ابن الله » لان روح القدس نزل على يسوع شبه حمامة . لذلك يقولون ايضاً : **ان يسوع المسيح ليس مولوداً من الله ، بل مخلوقاً كأحد الملائكة المقربين وعظيمهم** . أتى الى العالم وعلم قائلاً : اني أتيت الى العالم لانقض الذبائح ، فإن لم تمتنعوا عن الذبح فغضب الله لا يتحول عنكم » (الشامل في الهرطقات ٣٠ : ١٦) .

فموجز عقيدة الابيونيين ، مثل سائر النصارى من بني اسرائيل ، أن المسيح هو رئيس الملائكة المقربين ألقي الى مريم ، « المسيح عيسى ابن مريم ، رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . . . لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ — ١٧١) . فهم ينكرون التثليث ، والهية المسيح ، والفداء بصلبه . فرسالة المسيح هي التعليم فقط بتفصيل التوراة .

•

٢ — الكيرنثية التهويدية

على هامش الابيونية ، نمت حركة تهويدية للنصرانية ، هي الكيرنثية . قام بها كيرنثس من فلسطين الى أفسس ، عاصمة آسيا الرومانية . فكان العدو الاكبر لتعليم بولس ، ثم لتعليم يوحنا . كان كيرنثس قبل تنصّره تلميذاً لفيلون ولأفلاطون .

---

(١) هذا دليل على تحريم الخمر اطلاقاً عندهم ، كما جاء في القرآن

(٢) وهذا برهان سيطرة الغنوص على كلامهم

(٣) وهذا تنكره النصرانية الشائعة

فالكيرنثية تطرّف في الابيونية ، **لتهويد النصرانية** . هذه هي ميزتها الكبرى . يقول فهم ايريناوس[١] : «ما يعتقده الابيونيون بشأن الرب (اي المسيح) يشبه اعتقاد كيرنثس وكربوكراتس فيه» . وينقـــل هيبوليتس وتيودوريتس ما يقوله ايريناوس من وحدة العقيدة ما بين الكيرنثية والابيونية المتطرفة . وابيفان[٢] يجمع معاً كيرنثس وأبيون، ويجعل كيرنثس زعيم التهويد في كنيسة أورشليم على عهد الرسل ، وخصم بولس الاكبر يتعقبه ، مع قرينه طيبوتس ، في كل مكان[٣] . ويذكر ابيفان وحدة العقيدة بين الكيرنثية والابيونية المتطرفة[٤] ويقول : انهم يعتمدون جميعاً انجيلاً واحداً ناقصاً[٥] يسمونه (الانجيل بحسب الاثني عشر رسولاً)[٦] . وهـــو في الاصل الانجيل بحسب متى العبراني[٦] . لكن هذه التسمية مختصة بالكيرنثية .

ينقل اوسابيوس في (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٨ ع ٦) عن ايريناوس ان كيرنثس في آخر حياته وصل بدعوته الى أفسس ، وكان خصم يوحنا الرسول وزعيم الكافرين بتجسد كلمة الله، وعليه يرد يوحنا في الانجيل والرسالة ، وكان يأنف من حضوره ، فلا يدخل مكاناً فيه كيرنثس .

ولم تتميز الكيرنثية عن الابيونية إلا في القرن الثالث[٧] ، حيث أوغلت في التهويد . وأول مـــن نوّه بذلك كان ديونيسيوس الاسكندري ، كما نقل عنه

---

(١) الرد على الهرطقات (١ : ١٦) مجموعة الآباء اليونان ك ٧ ص ٦٩٥

(٢) الشامل في الهرطقات (٥١ : ٦) ، مجموعه الاباء اليونان ك ٤١ ص ٨٩٨

(٣) الشامل في الهرطقات (٢٨ : ٢ و ٤) ، مجموعة الآباء اليونان ك ٤١ ص ٣٨٠

(٤) الشامل في الهرطقات (٣٠ : ١٨ ؛ ٥١ : ٦ ؛ ٦٩ : ٢٣) مجموعة الاباء اليونان ك ٤١ ص ٤٣٦ و ٨٨٧ ؛ ك ٤٢ : ٢٣٧

(٥) الشامل في الهرطقات (٣٠ : ٣) مجموعة الاباء اليونان ك ٤١ ص ٤٠٩

(٦) الشامل في الهرطقات (١٩ : ٣ ؛ ٦ — ٧

(٧) قابل D. T. C. T VIII p. 1703-1707

أوسابيوس[١] . فلم يكن كيرنثس من مواليد مصر ، ولا من دعاة الغنوص ، كما توهّم بعضهم . انما هو نصراني متطرف أراد تهويد النصرانية مع « الغيورين » من اليهود الذين تنصّروا معه[٢] . فهؤلاء « الغيورون » نقلوا معهم نظريتهم اليهودية الى النصرانية ، في المسيح رسولًا قومياً يخضع العالم لسيطرة اسرائيل . وهذا لم يفعله يسوع في مجيئه الاول ، لكن سيفعله في مجيئه الثاني **وحكمه الف سنة** مع الصديقين قبل يوم الدين .

فتتميّز الكيرنثية عن الابيونية بعقيدة **ملكوت المسيح الارضي** ، مدة ألف سنة ، عند مجيئه الثاني . ويتصورونه جنة غناء ، فيها من كل فاكهة زوجان ، مع الحور العين كاللؤلؤ والمرجان ، كما نقل اوسابيوس[٣] عن ديونيسيوس الاسكندري . يقول ايضاً[٤] : « وهذا موجز تعليمه : **ملكوت الله سيكون ارضياً** . وبما انه هو نفسه يحبّ جسده ، وكان شهوانياً ، فهو يحلم ان هذا الملكوت يقوم على الاشياء التي يشتهيها ، أي الطعام والشراب ولذة الجسد » . **فجنة الله في ارضه** ، مثل قوله : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كلّ الثمرات ، ومغفرة من ربهم » (محمد ١٥) ؛ « إن اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون » (يس ٥٥ — ٥٧) ؛ « إن المتقين في مقام أمين ، في جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين » (الدخان ٥١ — ٥٤) . فجنتهم هي جنة القرآن .

---

(١) تاريخ الكنيسة ك ٧ ف ١٥

(٢) قابل Daniélou: Théologie du Judéo-Christianisme p. 80

(٣) تاريخ الكنيسة ك ٧ ف ٢٥ ، ٢٥ مجموعة الاباء اليونان ك ٢٠ ص ٢٧٦

(٤) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٨ ع ٤

وكان أتباع كيرنثس يحيون رجعة المسيح بولائم رمزية صاخبة . وقد قصدهم يهوذا الرسول بقوله : « لقد اندسّ منافقون يحوّلون نعمة الهنـــا الى عهارة . وينكرون سيدنا وربنا يسوع المسيح . . . ان أولئك قوم دنسون ، في مآدبكم الحبيّة التي تقيمون ، حيث في وقاحة يرغدون ، وأنفسهم يعلفون » (١٤و١٢).

وعقيدتهم في المسيح يهودية : إنه رجل عادي كسائر الناس ، حل المسيح على عيسى في عماده وفارقه قبل استشهاده ، كما يبدو لهم من قول يسوع على الصليب : « الهي ! الهي ! لماذا تركتني؟ » . فالمسيح حي لا يموت ، وما قتله اليهود وما صلبوه ، إنما صلبوا وقتلوا يسوع ، ابن يوسف ومريم . تلك نظرة اليهود التي يرد عليها الانجيل بحسب يوحنا : قال يسوع لليهود « وأنا متى رُفعت عن الارض جذبتُ إلي الجميع . فأجابه اليهود : لقد علمنا من الشريعة ان المسيح خالد الى الابد ، فكيف تقول أنت : ينبغي أن يرفـــع ابن البشر ! فمن هو ابن البشر هذا؟ » (٢: ٣٢ — ٣٣). فنشعر ان يوحنا الرسول يرد بهذا التعليم على كيرنثس وقصة الشبه في موت المسيح نفسه .

تلك كانت بدعتهم منذ ظهورهم كما نقل عنهم يستين[1] في منتصف القرن الثاني . ينقل عنهم أيضاً ايريناوس[2] : « يسوع لم يولد من بتول — هذا الامر يظهر له مستحيلًا . بل كان ، على زعمه ، ابن يوسف ومريم ، شبيهاً بسائر البشر ، لكنه يفوقهم بقداسته وفطنته وحكمته . وفي عماده حلّ المسيح عليه شبه حمامة ، نازلًا من المجد الاسمى . فبشر حينئذ بالآب المجهول ، وعمل المعجزات . لكن في ختام دعوته ارتفع المسيح من يسوع ، وقاسى يسوع الآلام والموت ، ثم قام . بينما المسيح ، وهو كائن روحي ، لم يكن عرضة للآلام والموت » . ففي الكيرنثية « النصرانية » مصدر قصة الشبه في موت المسيح (قابل النساء ١٥٧) .

---

(١) الحوار مع تريفون (ف ٤٧) ، مجموعة الاباء اليونان ك ٦ ص ٥٧٦

(٢) الرد على الهرطقات ك ٣ ف ٣ ع ٤

ونقل عنهم أيضاً ابيفان[1] في أواخر القرن الرابع: يوم عماد يسوع حلّ عليه روح القدس شبه حمامة، فصار «ابن الله» بالتبني، على سبيل المجاز، اي المسيح. وروح القدس، أمه، تقول له: «انت ابني، فيك رضاي، اليوم ولدتك»! ففي العبرية والارامية الروح مؤنث؛ وبإسناد هذا القول للروح القدس، يظهر الروح القدس أماً للمسيح في عماده. ولعل في هذه العقيدة الكيرنثية مصدر قوله: «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله» (المائدة ١١٩)؛ فيكون المسيح المخلوق وروح القدس، أمه، الهين من دون الله.

وكان الكيرنثيون لا يقيمون القربان، عشاء الرب، إلا مـــرة واحدة في السنة، مع الفصح الموسوي، وللذكرى فقط، لا للتجديد، وبالخبز والماء بدل الخمر. فتحريم الخمر يعم «النصرانية» قبل القرآن.

وهكذا تظهر الكيرنثية أكثر النزعات «النصرانية» تهويداً: فهم يوحدون بين موسى وعيسى، وبين التوراة والانجيل، وبين الختان والعماد، والسبت والاحد، والفصح الموسوي والفصح المسيحي، في اليوم نفسه، ١٤ نيسان القمري. ففي عرفهم كتاب موسى هو الامام، وما الانجيل سوى تصديق له وتفصيل.

فالكيرنثية تهويد كامل للانجيل. لذلك لم تسيطر على «النصرانية». لكنه تسرّب منها «للنصرانية» اشياء. وخمدت حدتها قبل هجرة النصارى من بني اسرائيل الى الحجاز.

●

٣ — الكسائية الغنوصية

جاءت الكسائية، معتمدة على الغنوص الهلنستية، ردّة فعل على الكيرنثية المتطرفة في التهويد.

---

(١) الشامل في الهرطقات (٣٠ : ١٣)، مجموعة الاباء اليونان ك ٤١ ص ٤٢٩

كان الكسائي « نصرانياً » من شرق الاردن . نقل هيبوليت[1] : ان الكسائي يصوّر الحياة المسيحية على صورة الشريعة الموسوية ؛ ويقول بأن على المؤمنين ان يختتنوا ، وان يسلكوا بموجب أحكام التوراة . ويقول ابيفان[2] : ان الكسائي خرج من النصارى اليهود ، وهو يفكر على طريقتهم . وكان يأمر أتباعه باتخاذ اورشليم قبلة لهم في الصلاة ، على مثال اليهود ، لكنه يتميز عنهم بتحريم الذبائح ضحية لله ، ويجيزها للطعام .

وعقيدة الكسائية **في النبوة** تقوم على الظهور المتواتر عبر الدهور للنبي الحق ، منذ آدم حتى المسيح . نفخ الله من روحه في آدم فكان **النبي الاول** على الدين الحق ، لان روح الله سكن فيه[3] . لكن الجنس البشري من بعده ، بتأثير المادة الفاسدة — وهذه نظرية غنوصية — أفسد تلك الديانة . والمادة الفاسدة في الانسان تمثلت خصوصاً **في المرأة**، علة الشهوة والضلال والاثم. من هنا كان القول المأثور : المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بدّ منها

لكن الله ، كأب حنون للجنس البشري ، أنزل روحه على أنبيائه لعصمتهم وحفظ دين الحق ، فظهر بشكل هابيل وأخنوخ وادريس وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى . وموسى سلّم تعليمه لسبعين رجلاً كي يبلغوه لبني اسرائيل ، وكان يُحفظ بالحديث . وبعد موسى بزمن طويل دوّن في الكتب ، بعد ان تشوه بالنقل الشفوي ، حتى لا يعرف صحيحه إلا الامة الناجية من بني اسرائيل ، وهي **جماعة الاسينيين**. فهم وحدهم حفظوا تعليم موسى الصحيح ؛ أما سائر بني اسرائيل فلم يفهموا دين الحق ، بل غرقوا في المحسوسات ، وحوّلوا الدين الى طقسيات ، مثل ذبائح الهيكل ، ورماد العجلة ، وهو منها براء .

أخيراً أرسل الله الآب روحه القدس **فحلّ على عيسى ابن مريم فصار المسيح.**

---

(١) المختارات ٩ : ١٤

(٢) الشامل في الهرطقات ك ١٩ ف ١ ع ٥ ؛ ك ١٩ ف ٣ ع ٦ — ٧

(٣) الشامل في الهرطقات ك ٥٣ ف ١ ع ٨

يقول هيبوليت[١] : « بحسب الكسائي ، إن المسيح بشر كسائر البشر » . وقد جاء ليطهر شريعة موسى من الجسديات وينقلها الى الروحانيات ، عبادة « بالروح والحق » . فما النصرانية عندهم سوى اسينية روحية . هكذا يبرّرون تنصرهم ، ويحولون الدعوة المسيحية الى اسينيتهم الغنوصية .

وبما ان المسيح فارق يسوع قبل استشهاده ، فليس لموت يسوع ابن مريم معنى الفداء في شيء . انما هو استشهاد النبي الأعظم الذي له يعيّدون في فصحهم مع الفصح الموسوي . وسيرجع المسيح في يسوع القائم من بين الاموات ، ليقيم ملكوت الله في ارضه مدة ألف سنة مع المتقين ، قبل يوم الدين ؛ وهؤلاء هم النصارى الأسينيون ، أتباع موسى وعيسى الحقيقيون . وفي ذلـــك تتفق الكسائية مع الكيرنثية .

لكن الكسائية ترتد على الكيرنثية في السلوك ، فتقول بالتزمت التي تدعو اليه الغنوص : ان السلوك الحق ، حتى رجعة المسيح ليملك على الارض فيملؤها عدلاً بعد أن امتلأت جوراً ، يقوم على إزالة الشهوة بالنسك الصارم ، لأن الشر هو في المادة والجسد — وهذه نظرية غنوصية — وما سمحوا بالزواج إلا للنسل بحسب وصية الله لآدم . وروح « النصرانية » هو الولاء بين أفراد الجماعة .

هكذا كانت الكسائية ردّاً عـــلى الكيرنثية . لكن السبب الاكبر في ظهورها أنها جاءت جواباً على السؤال الضخم الذي تعرّضت له « النصرانية » في بني اسرائيل ، في ثورة ابن كوكب على الاستعمار الروماني ، واضطهادها للنصارى لأنهم لم يثوروا معه ولم يعترفوا به انه المسيح الموعود . فكثر المرتدون بين النصارى . ولما قضت رومة على الثورة وعلى الدولة وعلى الأمة وعـــلى المدينة المقدسة ؛ ورجع الناس الى ضمائرهم برز المشكل الضخم : هل من توبة للمرتد ؟

كان الميل العام ان المرتد كافر فلا توبة له بعد العماد ، ولا يُقبل في الجماعة .

---

(١) المختارات ٩ : ١٤

وهذا المشكل واجهته المسيحية ايضاً في الاضطهادات الرومانية ؛ وكلما كان الاضطهاد يفتر ، ويظهر عدد المرتدين الهائل ، الذين يطلبون الرجوع الى دين الحق ، كانت تبرز المشكلة من جديد تطلب حلاً .

ففي النصرانية عند بني اسرائيل ، بعد ثورة ابن كوكب ، جاء الكسائي بالحل المنشود . فكما يوجد عماد للتنصير ، فهناك ايضاً **عماد للتطهير والتبرير** . بهذا العماد الثاني وجد الكسائي الحل لقبول توبة المرتدين .

في كتاب منزل عليه ، كما ادعى ، يقول بغفران الخطايا بعد العماد ، وبقبول توبة المرتد ، بشهادة الشهود السبعة : « السماء والماء والارواح القدسية ، وملائكة الصلاة ، والزيت ، والملح ، والارض[1] » . فالسماء والارض هما الشاهدان المكانيان . والماء والزيت والملح من عناصر العماد . والروح اشارة الى العماد « بالماء والروح » . وملائكة الصلاة يحملون صلاة المؤمنين الى عرش الله .

هكذا نزل على الكسائي **كتاب الغفران** . إنه **نبوءة في اسلوب رؤيا ؛ وتنزيل كتاب بواسطة ملاك** . فقد رأى ، كما يقول ، رؤيا سلمه فيها روح من الله كتاب الغفران . وكان طول الملاك ٩٦ ميلاً . « وكان مصحوباً بكائن أنثى مقياسه كذلك كما ذكرنا . الكائن الذكر هو ابن الله ، والكائن الانثى هو روح القدس[2] » . فابن الله ملاك ذكر ، وروح القدس ملاك أنثى ، يرافقه كأمه كما جرى في عماد المسيح . ربما من هنا يأتي قوله : « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » (المائدة ١١٩) ، حيث « أمي » لا تعني السيدة مريم ، بل « روح القدس » التي حلت على المسيح في العماد ، وجعلت عيسى ابن مريم مسيح الله وكلمة الله ، كما في كلامهم .

ففي الكلام « النصراني » يظهر روح القدس تارة أنثى ، أماً للمسيح ؛

---

(١) هيبوليت : الاشارات ٩ : ١٥ .

(٢) هيبوليت : الاشارات ٩ : ١٣ .

وتارة ذكراً هو جبريل الذي يؤيد المسيح ، كقوله : « وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و ٢٥٣) .

ذاك الكلام للكسائي يلتقي مع الكلام النصراني العام في فهم **التثليث الانجيلي** ، والتعبير عنه **بلغة ملائكية** تحفظ التوحيد التوراتي الخالص : فكلمة الله هو ملاك ، وروح القدس ملاك ايضاً ، وهما من المقربين . فالله والكلمة والروح « ثلاثة » ، لكن الكلمة والروح مخلوقان لله . وهكذا يأتلف في نظر النصارى من بني اسرائيل التثليث الانجيلي مع التوحيد التوراتي . وهذه هي أيضاً نظرية القرآن ، الذي يعتبر روح القدس جبريل ، وكلمة الله روحاً منه تعالى ، « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) .

في هذه النظرة الغنوصية الكسائية للنبوة ، تظهر وحدة النبوة ما بين الكتاب والانجيل ، ووحدة التوحيد والتثليث ما بين التوراة والانجيل ، في إمامة واحدة لموسى وعيسى .

في الكسائية عناصر غنوصية ظاهرة . وهي ايضاً لم تسيطر على النصرانية ، خصوصاً في اعتبار المسيح بشراً من بشر ، وان تسرّب منها الى النصرانية بعض العناصر ، كنظريتها في النبوة ، وفي التثليث .

●

تلك هي الفرق الكلامية في « النصرانية » ، كما نعرفها من المصادر « النصرانية » والمسيحية على السواء ، قبل هجرة النصارى من بني اسرائيل الى الحجاز ، هرباً من دين الدولة عند الروم .

ظاهرتان تصفان الفرق الكلامية في « النصرانية » ، وهما على طرفي نقيض : **ظاهرة التشيّع للتوراة ؛ وظاهرة الغنوص** — « العلم » — وتلكما الظاهرتان نالتا من « حقيقة الانجيل[١] » ، بشهادة سائر الرسل بين بولس وجماعة يعقوب ؛

(١) James A. Robinson: Le kérygme de l'Eglise et le Jésus de l'Histoire p. 39 note : « le Judéo-christianisme a atténué ou déformé l'héritage reçu, parce qu'il lui apparaissait trop hardi».

فحولتنا « النصرانية» الى شيعة، بالنسبة للسُنّة المسيحية، لكن الرسل الحواريين أيدوا بولس وبرنابا في مؤتمر اورشليم ، عام ٤٩ .

نقل اوسابيوس في (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٣ ع ٣) أنه « بعد زوال الرسل أخذ هؤلاء المنحرفون يتّحدون جهراً **بالغنوص** ، ذات الاسم الخلّاب ، دعوة الحق » . ودامت هذه الظاهرة حتى هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز .

وفي هجرتهم الى مكة والحجاز ، ابتعدوا عن مراكز علم الكلام الهلّنستي واليهودي والمسيحي، وانحصروا على ذواتهم، **فانصهرت التيارات المختلفة عندهم، في عزلة الحجاز** ، مدة قرنين تقريباً ، يطابقان نهضة الجاهلية قبل الاسلام .

وهكذا يظهر النصارى من بني اسرائيل قبل هجرتهم الى الحجاز « **أمة وسطاً** » بين اليهودية والمسيحية :

فهم يؤمنون بموسى وعيسى على السواء .

ويدينون بالتوراة والانجيل على السواء .

ويقيمون أحكام التوراة واحكام الانجيل على السواء .

ويمارسون الختان والعماد على السواء .

ويعيّدون السبت والاحد على السواء .

ويصلون الصلاة النصرانية في قبلة الى بيت المقدس .

ويقيمون الفصح المسيحي مع الفصح الموسوي .

فهم بحق « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية . لذلك فهم يكفّرون اليهودية والمسيحية على السواء . وينادون مع القرآن : « قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة ٧١) .

٭٭٭

بحث خامس

اسلوب الدعوة عند « النصارى »

يقوم الكلام « النصراني » ، والدعوة « النصرانية » على أساليب البيئة الاسرائيلية التي فيها يقيمون . وهذه الاساليب هي **الغنوص** في الكلام اي « **العلم** » على الاطلاق ، ويسمّى « **علم الكتاب** » ؛ وعلى اسلوب **الرؤيا** في كتب الدعوة ؛ وقمة الرؤيا هي **الاسراء** الى عالم الغيب .

أولاً : « العلم » في الكلام النصراني

منذ نشأته اعتمد الكلام النصراني الغنوص اي « العلم » اسلوباً له وميزة . وكثيراً ما تسمّي المصادر النصرانية **علم الكلام عندهم « العلم » على الاطلاق** ، وأهله « العلماء » او « أولي العلم » .

وهذه هي الاوصاف التي بها يميزهم القرآن عن سائر اهل الكتاب .

فالكلام النصراني هو « علم الكتاب » ، كما يستشهد القرآن بالذي « عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ؛ وما الاسلام القرآني سوى شهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) ؛ والقرآن نفسه « هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) .

فالكلام « النصراني » هو الغنوص اي « العلم » على الاطلاق[١] ، كما نتحققه من مصادره ، في مؤلفاتهم .

في كتاب « الذيذخي » اي « تعليم الرسل » نقرأ : « ايها الآب ، لك الحمد على **الحياة والعلم** اللذين اعطيتنا بيسوع عبدك » (٩ : ٣) : « نحمدك ، ايها

---

(١) Daniélou: Théologie du Judéo-christianisme p. 65

الآب القدوس على العلم والايمـــان والقيامة التي أوحيت الينا بيسوع عبدك » (١٠ : ٢) .

وفي كتاب (مواثيق الاجداد) نقرأ في (ميثاق لاوي) : « **نور العلم** يشع منك (المسيح) ؛ وستكون شمساً لذرية اسرائيل كلها » (٤ : ٣) ؛ « سيعلو نجم كنجم ملك في السماء ، يشع **بنور العلم** مثل شمس النهار » (١٨ : ٣) . وفي (ميثاق بنيامين) نجد : « في الأيام الاخيرة يقوم حبيب الرب ، من أصل يهوذا ولاوي ، منيراً الامم كلها **بالعلم الجديد** » (٩ : ٢) .

وفي (رسالة برنابا) نرى ان العلم هو الكلام النصراني : « أكتب اليكم لكي تحصلوا مع الايمان على **العلم الكامل** » (١ : ٥) ، فهو ميزة أهل الصراط المستقيم : « يستحق الهلاك من كان عنده **العلم بالصراط المستقيم** ، صراط الحق . وهو يسلك في صراط الضلال » (٥ : ٤) .

وكتاب (أناشيد سليمان) «نصراني» كله حمد على نعمة « العلم » في المسيح : « ان الرب وسّع العلم ، وهو يحرص بغيرة عـــلى ان نعلم الاشياء التي آتانا بنعمته » (٦ : ٥) . **وعهد « النصرانية » هو عهد « العلم »** بالنسبة للجاهلية : « لقد انقضى عهد الجاهلية ، وجاء العلم بواسطة الرب » اي المسيح (٧ : ٢٤) . فالسيد المسيح هو الذي جاء « بالعلم » ، وهذا العلم المنزل في الانجيل لا يناله إلا أتباع المسيح الحقيقيون (٨ : ٩ — ١١) . وهذا العلم ينالونه من العهاد ، لذلك فهم يسمون العهاد الاستنارة (١١ : ٤) . والعلم هو سبيل المؤمن بالمسيح الى الحق والنور : « في صراط النور ، نلت **وحي العلم** . . . وهجرت سبيل الضلال ، وحصلت على العلم » (٥ : ٥ و ٦) .

فالعلم — الغنوص — هو الوحي الانجيـــلي ، و « علم الكتاب » كله والكلام النصراني المبني عليه . وكل كتب النصارى من بني اسرائيل تعرض العقيـــدة والكلام باسم « العلم » ، وتسمّي أهله « أولي العلم » او « العلماء » على التخصيص .

وهذا « العلم » هو ما يميز النصرانية عن اليهودية وعن المسيحية . فالاسم والاسلوب والموضوع يختص بالنصارى من بني اسرائيل ، الأمة الوسط ، بين اليهودية والمسيحية اللتين تتنكران لهذا « العلم » .

وهذا ما نجده في القرآن نفسه . ففيه **الهدى** كناية عن اليهودية، **والعلم** كناية عن النصرانية ، **فعلماء النصرانية هم « الذين أوتوا العلم »** على التخصيص ، « الراسخون في العلم » (٣ : ٧ ؛ ٤ : ١٦١) كما يسميهم بتواتر : « قال الذين أوتوا العلم » (١٦ : ٢٧ ؛ ٢٨ : ٨٠ ؛ ٣٠ : ٥٦) ؛ « ان الذين أوتوا العلم » (١٧ : ١٠٧) ، « وليعلم الذين أوتوا العلم » (٢٢ : ٥٤) ؛ « في صدور الذين أوتوا العلم » (٢٩ : ٤٩) ؛ « ويرى الذين أوتوا العلم » (٣٤ : ٦) ؛ « يرفع الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » (٥٧ : ١١) . فهم **« علماء بني اسرائيل »** على التخصيص (الشعراء ١٩٧) .

ومحمد يرى وحيه وقرآنه في هذا « العلم » : « بعد الذي جاءك من العلم » (٢ : ١٢٠) ، « من بعد ما جاءك من العلم » (٢ : ١٤٥ ؛ ٣ : ٦١) ؛ « بعد ما جاءك من العلم » (١٣ : ٣٩) ؛ « اني قد جاءني من العلم » (١٣ : ٤٣) . وهذا « العلم » الذي أوتيه محمد هو علم أولي العلم الذين بهم يستشهد : « قلْ : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومَن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ؛ « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » النصارى (الرعد ٤٥) ؛ والقرآن نفسه « هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) .

« وما اختلف الذين ، أوتوا الكتاب — من اليهود — إلا من بعد ما جاءهم العلم ، بغياً بينهم » (٣ : ١٩ ؛ ٤٢ : ١٤ ؛ ٤٥ : ١٦) .

وهكذا « فالعلم » واحد بين القرآن والنصارى من بني اسرائيل . وبهذا « العلم » تتميّز الدعوة القرآنية والدعوة النصرانية عن اليهودية وعن المسيحية .

فالعلم على التخصيص هو الكلام النصراني الذي لم يصل منه الى القرآن إلا القليل : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الاسراء ٨٥) . هذا « العلم » يجعل القرآن دعوة « نصرانية » .

●

ثانيا : اسلوب الدعوة «النصرانية» ، تنزيل كتاب في رؤيا

منذ (رسالة برنابا) ، بعد العهد الرسولي مباشرة[١] ، نعرف ان مؤلفات النصارى من بني اسرائيل كان هدفها تعليم النصارى البالغين «**علم الاسرار**» اي الغيب بالوحي والكشف ، في رؤيا يخطف فيها الرائي الى السماوات العلى ، ويطلع بواسطة ملاك على «الالواح» او «الكتب» السماوية . هذا ما تسميه (رسالة برنابا) «**العلم**» (ف ٢ ع ٣) . وهذا «العلم» هو كشف «السر» الذي تنبّأ به الانبياء ، ويتم في عهد المسيح والنصرانية ، التي هي «معرفة العلم» (١ : ٦) .

ان كتاب (الراعي) الذي وضعه هرْمسْ بعد العهد الرسولي هو مثال الدعوة النصرانية . اسلوبه كله اسلوب الرؤيا . وغايته تنزيل كتاب الغفران من السماء . في الرؤيا الاولى يرى روحاً بشكل سيدة عجوز ، رمزاً للكنيسة في تصميم الله ، تحمل بيدها كتاباً تقرأه على هرمس ، وفيه الكشف عن سر الكون وسر الكنيسة . في الرؤيا الثانية يراها وبيدها كتاب صغير ، تقول له : «هل تقدر ان تنقل الكلمات الى أصفياء الله ؟ أجبت ، يا سيدتي لا أستطيع ان أتذكر كل هذه الاشياء ، فاعطني هذا الكتاب الصغير لأنسخه . قالت : خذه وردّه الي . فأخذته . واعتزلت الى البرية ونسخته كله ، حرفاً حرفاً ، لأنني لم أستطع أن أميّز الحروف . ولما انتهيت من نسخ الحروف كلها ، خُطف الكتاب من يدي فجأةً . فمن خطفه ؟ هذا ما لم أره» . وبعد خمسة عشر يوماً من صوم متواصل كشف الوحي لهرمس موضوع الكتاب . فكان بلاغاً في التوبة .

هنا يبلغ التنزيل نسخ الكتاب المنزل في رؤيا ، ثم يأتي الوحي فيكشف معناه .

في كتاب (أخنوخ الثاني) ، «نادى الله إفرافيل ، أحد رؤساء الملائكة

---

(١) لقد اجمع العلماء على ان رسالة برنابا كتبت بين عام ٧٠ وعام ١٠٠ ؛ لكن الاشارة فيها الى تجديد بناء الهيكل يجعلها من العام ١٢٠ على عهد القيصر هدريانس .

ــ أي احد الملائكة المقربين ــ وكان نشيطاً يكتب اعمال الرب كلها . وقال الله لإفرافيل : خذ الكتب من محفوظاتهـــا ، واعطِ قلماً لأخنوخ ، ولقنه الكتب... فكان يقول لي كل اعمال السماء والارض والبحر (١٣ : ٤ ــ ١٠). فالتنزيل عندهم نسخ الكتب السماوية؛ وهذا يتم بواسطة ملاك التنزيل الى الرائي.

وينقل اوسابيوس في (تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ٣٨) ، وكذلك هيبوليت في كتاب (الاشارات ٩ : ١٣) ان الكسائي «كان عنده كتاب منزل بواسطة ملاك» . وكان «ملاك كلمة الله» ، يكشف له علم الكتاب والانجيل .

ويبلغ اسلوب الدعوة النصرانية ذروته في **اسلوب الاسراء** . ومثـــاله في (اسراء اشعياء) كتاب نصراني يكشف باسلوب الاسراء والرؤيا سر المسيح كله (ف ٦ ــ ١١) . ملاك الاسراء يقود اشعياء في السماوات السبع ، حتى يصل الى الحضرة الالهية ويرى «ملاك كلمة الله» عن يمين المجد الاعظم «وملاك روح القدس» عن شماله، يتمتعان بعبادة المخلوقين، لكن «الرب وملاك الروح يعبدان الله ويحمدانه» (٩ : ٤٠) . وهذه شهادة أخرى عندهم على ان الكلمة والروح هما ذروة المخلوقين . واشعياء يشاهد رفع المسيح الى مجد الله : « ورأيت كيف صعد الى السماء السابعة ، فيما كل الصديقين والملائكة يمجدونه . حينئذٍ رأيته يجلس عن يمين المجد الاعظم ، الذي قلت لكم عنه أني لم أكن أطيق سنـــاه . ورأيت ملاك الروح القدس يجلس عن شماله . وهذا الروح قال لي : يا أشعيا ابن عاموص ، اني اصرفك . ارجع الى لباسك (اي جسدك) حتى تتم ايامك . وحينئذٍ ترجع الى هنا» (١١ : ٣٢ ــ ٣٥) .

وهكذا نرى ان الدعوة النصرانية في كتبها تقوم عـــلى اسلوب الرؤيا والاسراء ، حيث ملاك الوحي يُري الرائي «من آيات ربه الكبرى» ، ويملي عليه تنزيل الله فينسخه نسخاً .

وهذا هو الاسلوب الذي نشاهده في الدعوة القرآنية : « إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ، ذو مِرّة فاستوى ، وهو بالأفق الاعلى . . . فأوحى

الى عبده ما أوحى . . . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (النجم ١ — ١٨) ؛ « إنا أنزلناه في ليلة القدر» (القدر ١)؛ «نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين» (الشعراء ١٩٣) ؛ « قلْ : نزّله روح القدس» (النحل ١٠٢) ؛ « ونزّلناه تنزيلاً » (الاسراء ١٠٦) ؛ « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنـــا » (الاسراء ١) ؛ «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» (البروج ٢١ – ٢٢) ؛ « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون » (الواقعة ٧٧ — ٧٨) .

فقد جاءت الدعوة القرآنـــية باسلوب الدعوة « النصرانية » : من رؤيا وتنزيل كتاب بواسطة ملاك « أوحى الى عبده ما أوحى » من كتاب « في لوح محفوظ » في السماء. إنها اساليب دعوة في التفكير والتعبير لا يلزم منها صحة الواقع بحسب حرفها؛ يؤيد ذلك متشابهات القرآن في متشابه ألفاظ الوحي والتنزيل فيه .

●

ثالثاً : تفصيل الكتاب في لغة أخرى : « الترجوم »

منذ هجرة اليهود الى العراق ، في جلاء بابل في القرن الخامس قبل الميلاد ، وتشتت اليهود في مهاجرهم ، واستبدال العبرية بالأرامية السائدة في المشرق كله حتى فلسطين ؛ شعر اليهود ثم النصارى منهم ترجمة الكتاب الى اللغة الحديثة التي ينطق بها الشعب . فقامت فيهم مهمة « الترجوم » اي الترجمة ، وكانت كتب « الترجوميم » اي الترجمات الى الارامية ، والى اليونانية .

ويلاحظ العلماء ان تلك الترجمات لم تكن حرفية اللفظ والمعنى ، بل احياناً ما كانت تفسيراً توسّعياً أي تفصيلاً للكتاب[1] .

نجد هذه الظاهرة في الترجمات العلمية نفسها — فكم بالأحرى في الترجمات

---

(١) Daniélou: Théologie du Judéo-christianisme p. 102 sq.

الشعبية ! هكذا تتحول الترجمة الى تفسير في السبعينية . لم تكن الدعوة لليوم الآخر ظاهرة في التوراة والنبيين قبل تدوين كتاب دانيال . مع ذلك نراها ظاهرة في الترجمة السبعينية (أيوب ٤٢ : ١٧؛ أشعيا ٢٦ : ١٩؛ دانيال ١٢ : ٢). تتضح فيها خصوصاً عقيدة الملائكة . في سفر التثنية يصير « بنو ايل » ملائكة الله (٣٢ : ٨) . يقول المزمور : « أنقصته قليلاً عن الله» (٨ : ٦) فترجموا : «أنقصته قليلاً عن الملائكة » .

وقد وضع الابيونيون ترجمة جديدة في اليونانية ، هي ترجمة سيمَّاك ؛ تظهر من خلالها عقيدتهم . هكذا قد ترجمت السبعينية نبوءة أشعيا : « ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً ، تدعو اسمه عمانوئيل » (٧ : ١٤) ؛ فترجم سيمَّاك : « ها ان الفتاة » ، وهذا يزيـــل صفة المعجزة في مولدها . يقول ارميا : « اختتنوا في قلبكم » (٤ : ٤) ، فيترجم سيمَّاك : « طهّروا قلوبكم » .

نجد هذا الاسلوب في العهد الجديد نفسه ، خصوصاً في الانجيل بحسب متى . فليست استشهاداته بحسب الحرف العبراني ، ولا دائماً بحسب الحرف اليوناني في السبعينية الشهيرة . قابل (متى ٤ : ١٥ مـــع اشعيا ٨ : ٢٣؛ متى ١٢ : ١٧ مع أشعيا ٤٢ : ١) .

وقد وضع اليهود ، وتابعهم النصارى منهم ، مجموعات من الاستشهادات الكتابية ، في مواضيع مختلفة . وقد أثبت ذلك اكتشاف مخطوطات قمران . فالمسيح يُكنى عنه باستعارة « الصخر » او « الحجر » الاساسي (متى ٢١ : ٤٢ ؛ لوقا ٢٠ : ١٧ — ١٨ ؛ أعمـــال ٤ : ١١ ؛ رومية ٧ : ٣٢ ؛ أفسس ٢ : ٢٠ ؛ ١ بطرس ٢ : ٦) حيث جمعوا في استشهاد واحد (اشعيا ٢٨ : ١٦ ؛ ٨ : ١٤ ؛ المزمور ١١٧ : ٢٢) . ورسالة برنابا تجمع في نص واحـــد « صخرة الشك » (أشعيا ٨ : ١٤) وحجر الزاوية (اشعيا ٢٨ : ١٦) . نجد استشهاداً جامعاً في (مرقس ١ : ٢—٣) حيث يجمع آية ملاخيا (٣ : ١) الى آية اشعيا (٢٩ : ٣)

باسم المشهور منها اشعيا . واسلوب جمع الاستشهادات الكتابية في واحـــد مضطرد في كتب النصارى من بني اسرائيل. وهذا يسمى ايضاً «تفصيل الكتاب» .

هكذا نرى ان «تفصيل الكتاب» ليس ترجمة ، بل **قراءة جديدة في لغة أخرى** ، تأخذ اسم «مقرا» بالعبرية ، «قريانا» بالسريانية ، قرآن بالعربية . وهذه القراءة الجديدة في لغة أخرى قد تسمى تنزيلاً ، لانها تفصيل التنزيل .

وهكذا نرى القرآن يسمي «تفصيل الكتاب» بلسان عربي مبين تنزيلاً . فقوله «أنزل اليكم الكتاب مفصّلاً» (الانعام ١١٤) يعني «انه لتنزيل رب العالمين ، بلسان عربي مبين . وانه لفي زبر الاولين» (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧) . وقوله : «أوَلَم يكن لهم آية ان يعلم علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٨) شاهد على ان القرآن يتبع اسلوب النصارى أولي العلم في «تفصيـــل الكتاب» (يونس ٣٧) . فالقرآن العربي : «كتاب أحكمت آياته (في أمّ الكتاب) ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير : ألا تعبدوا الا الله ، انني لكم منـــه نذير وبشير» (هود ١ — ٢) . «وكذلك نفصّل الآيات» (٦ : ٥٥ ؛ ٧ : ٣١ ؛ و ١٧٣ ؛ ١٠ : ٢٤ ؛ ٣٠ : ٢٨) . فالقرآن يجمع شهـــادة الكتاب للتوحيد وللمسيح في سوره ، على مثال «المِثْل» الذي عند النصارى من بني اسرائيل : «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠) . هـــذا القرآن «تفصيل الكتاب» .

•

رابعاً : الكتب السماوية ، والكتاب المنزل

إن نظرية القرآن في الكتب السماوية ، وفي الكتـــاب المنزل ، هي نظرية النصارى من بني اسرائيل .

فالكلام النصراني يقول **بوحدة النبوة** من آدم الى نوح ، الى ابراهيم ، الى موسى ، الى عيسى ؛ **وبوحدة الكتاب** في النبوءات المتعاقبة المتواترة .

ويوجز القرآن النظرية بقوله : «كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين

مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » (البقرة ٢١٣) ؛ كما هُدي محمد نفسه : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به مَن نشاء من عبادنا، وانك لتُهدى الى صراط مستقيم » (الشورى ٥٢) ، على طريقة النصارى أولي العلم المقسطين الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران ١٧ — ١٨) .

وهذا الكتاب المنزل على النبيين أجمعين هو نسخة عن الكتب السماوية . وهي ثلاثة : **كتاب القضاء والقدر** ، حيث اعمال البشر مقدَّرة ؛ **وكتاب الحياة** ، حيث اسماء الخالصين مسجلة ؛ **وكتاب الاعمال** حيث يسجل الملائكة اعمال المخلوقين . يضاف اليها **كتاب الوحي والتنزيل** .

ففي كتاب (أخنوخ الثاني) ثم في (اسراء أشعيا) نجد ان الوحي والتنزيل هو نسخة عن هذه الكتب السماوية ، يقوم بتنزيلها على الرائي ملاك من الله . وقد نقلنا نصها سابقاً . ففي (عهود الاسباط الاثني عشر) نقرأ في (عهد أشير) : « لقد علمت من **ألواح السماء** أنكم ستكونون عصاة وكفرة » (٧ : ٥) . وفي (عهد لاوي) نقرأ : « لقد أتممتُ في حينه الانتقام من بني عمون ، على حسب ما هو مكتوب في ألواح السماء » (٥ : ٤) . كذلك في (اسراء اشعيا) يدخل النبي الى السماء السابعة ، وهناك « أراني احد الملائكة المقيمين فيها الكتب ثم فتحها . وكانت الكتب مسطورة ، لكن لم تكن على مثل كتب هذا العالم . ودفعها إليَّ ، وقرأتها ، فإذا فيها : ان اعمال بني اسرائيل مكتوبة فيها ، وكذلك اعمال الذين لا تعلمهم . قلت : بالحقيقة ، لا يجري شيء على الارض ، ويخفى على السماء السابعة » (٩ : ٢٢ — ٢٣) . وبما ان اعمال الانسان تجري بحسب ما هو مكتوب ، « فلكل أجل كتاب » (الرعد ٤٠) .

نجد هذه النظرية في العهد الجديد. يقول السيد المسيح : « افرحوا بأن اسماءكم مكتوبة في السماوات » (لوقا ١٠ : ٢٠) . ويقـــول بولس : « سائر معاوني الذين أسماؤهم في كتاب الحياة » (فيل ٤ : ٣) . والنظرية متواترة في رؤيا يوحنا : « وسيسجد له (للوحش رمز المسيح الدجال) جميع سكان الارض، كل من لم يُكتب اسمه ، منذ إنشاء الكون ، في سفر الحياة ، للحمل المذبوح » (١٣ : ٨ قابل ١٧ : ٨) . ولا يدخـــل الجنة « إلا الذين كُتبوا في سفر الحياة للحمل » (٢١ : ٢٧) .

وكتاب الوحي والتنزيل له المقـــام الاول في تصوّرهم . فهو تارة كتاب مفتوح يقرأه النبي الرائي ؛ وتارة درج مبسوط يريه المسيح لصحابته ؛ وهو طوراً لوح تقدمه يد مبسوطة من السماء ؛ وطوراً درج ينزل على صحابة المسيح من السماء .

وتلك النظرية النصرانية في الكتب السماوية نجدها في القرآن نفسه : « وما من غائبة في السماء والارض إلا في كتاب مبين » (النمل ٧٥) ؛ « لا يغرب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر ، إلا في كتاب مبين » (سبأ ٣) ؛ « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة من ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس ، إلا في كتاب مبين » (الانعام ٥٩) ؛ « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل ، إلا كنّا عليكم شهوداً ، اذ تفيضون فيه ؛ وما يغرب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا في كتاب مبين » (يونس ٦١) .

والقرآن هو كتاب الوحي والتنزيل : « انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسّه إلا المطهّرون ، تنزيل من رب العالمين» (الواقعة ٧٧-٨٠)؛ « بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ » (البروج ٢١ — ٢٢) . وهذا القرآن ، « انه لقول رسول كريم . . . ولقد رآه بالأفق المبين ، وما هو عـــلى الغيب

بضنين . . . ان هو إلا ذكر للعالمين » (التكوير ٩ — ٢٧) ؛ « علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الاعلى . ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين او أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى . . . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (النجم ٦ — ١٨) .

مع ذلك ، « **انه لفي زبر الاولين** ، أوَلم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » من النصارى (الشعراء ١٩٦ — ١٩٧) . فقد جاء محمد « رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم **ويعلمكم الكتاب والحكمة** ، ويعلمكم ما لم تعلمون » (البقرة ١٥١ قابل آل عمران ١٦٤ ، الجمعة ٢) . والكتاب والحكمة هما التوراة والانجيل (قابل آل عمران ٤٣ ، المائدة ١١٣) .

فالقرآن « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦) على طريقة النصارى من بني اسرائيل ، « اذ هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) ؛ ومعهم « مثْل » القرآن الذي يفصله : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) .

●

فالقرآن نفسه شاهد عدل على ان دعوته للاسلام هي دعوة النصارى أولي العلم المقسطين (آل عمران ١٧ — ١٨) . لذلك فهو يمنع الجدل معهم إلا بالحسنى اي الامر بالتسليم معهم بوحدة الاله ، ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام (العنكبوت ٤٦) .

وفي هذا البحث الموضوعي لاسلوب الدعوة رأينا ان الكلام النصراني والكلام القرآني هو « **العلم** » نفسه الذي عليه يقومان ؛ وأن اسلوب الدعوة النصرانية في الرؤيا وتنزيل كتاب بواسطة ملاك هو اسلوب الدعوة القرآنية ؛ وأن « تفصيل الكتاب » بلغة أخرى هو « ترجمة » على اساس قراءة جديدة للكتاب ؛ وأن نظرية القرآن للكتب السماوية ولكتاب الوحي والتنزيل هي نظرية الكلام النصراني .

فواقع القرآن ، وشهادته الصريحة ، يشهدان بأن أسلوب الدعوة القرآنية هو اسلوب الدعوة « النصرانية » : « قلْ : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومَن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ؛ « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) .

والنتيجة الحاسمة ان اسلوب الدعوة عند النصارى من بني اسرائيل يقوم على نبوّة في رؤيا وتنزيل ، من دون ان يكون ذلك حقيقة الواقع والتاريخ . وهذا هو اسلوب الدعوة القرآنية التي أمر بها محمد في « رؤيا » غار حراء الصحيحة الموجهة ، حيث « جعلناك على شريعة من الامر » (الجاثية ١٧) ، « فبهداهم اقتدهْ » (الانعام ٩٠) : فاقتدى بهداهم في الدعوة وفي اسلوبها ، من نبوّة في رؤيا وتنزيل .

٭٭٭

بحث سادس

عقيدة « النصارى »

كانت « النصرانية » ، بسبب تشيعها للتوراة مع الانجيل ، ولإمامة أهل البيت من دون صحابة المسيح ، الرسل الاثني عشر ؛ وبسبب سيطرة الغنوص – اي « العلم » – على الكلام « النصراني » فتهوّد في الابيونية ، وتفرّق ما بين تفريط الكيرنثية المتهوّدة ، وافراط الكسائية الغنوصية ؛ **كانت تهويداً للمسيح والانجيل** ، كما يقول فيهم جيروم ، قبيل هجرتهم الى مكة والحجاز : « بما إنهم يريدون ان يكونوا يهوداً ومسيحيين معاً ، فهم ليسوا يهوداً ، وليسوا مسيحيين » . إنهم « **شيعة النصارى** » ؛ « **الامة الوسط** » بين اليهودية والمسيحية ، كما نرى ايضاً في عقيدتهم وفي شريعتهم .

نقدر ان نستخلص **عقيدة النصارى** من كتب أجمع العلماء على مصدرها

« النصراني »[١] . وقد كتبها علماء الكلام والدعوة منحولة الى بعض الانبياء الاقدمين، مثل كتاب أخنوخ، واسراء اشعيا ، أو الى بعض الرسل الحواريين، مثل « انجيل بطرس » و « بلاغات بطرس » و « اسراء بطرس » ، و « انجيل يعقوب » ، و « انجيل توما » ، و « انجيل الاثني عشر رسولاً » ؛ مع رسالة برنابا ، والذيذاخي اي تعليم الرسل . ونجـــد استشهادات منها عند علماء المسيحية الاقدمين المعاصرين لها .

●

اولاً : عقيدتهم في النبوة والكتاب — المسيح هو « النبي »

في « الانجيل بحسب العبرانيين » ، وهو انجيل النصارى من بني اسرائيل ، مصدر دعوتهم وكلامهم ، تظهر **وحدة النبوة والكتاب** من آدم الى يسوع المسيح ، لانهم جميعاً بأسماء مختلفة ، في عهود مختلفة ، دعوا دعوة واحدة لله الاحد . فكان « لكل أجل كتاب » و « لكل أمة رسول » كما سيقول القرآن بقولهم .

تلك هي **نظرية « النبي الحق[٢] »** التي يقول بها كتاب « بلاغات بطرس » ، الذي تجسّد اولاً في آدم ، ثم حلَّ على النبيين من بعده ، واستقر في الختام على النبي الاعظم ، المسيح ، باسم « ابن البشر » الموعود .

منذ الفصل الاول ، تشبه « بلاغات بطرس » العالم والبشرية بغرفة ملأى بالدخان حيث الجميع يطلبون الحقيقة والعلم . ولا أحـــد يستطيع ان يزيل عنها الديجور . وحده ، النبي الحق ، يقدر ان يفتح الباب ويدخل الحقيقة الى ظلمة الغرفة . وهذا « النبي الحق » هو المسيح ، الذي ظهر أولا في آدم ، وعبر الاجيال في أخنوخ (أدريس) ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى . موسى جدّد الشريعة الازلية التي نزلت على آدم ؛ وسمح لهم بالذبائح الحيوانية ؛ وبشر برسول

---

(١) Daniélou: Théologie du Judéo-christianisme p. 17-55

(٢) ὁ ἀληθὴς προφήτης

ياتي من بعده في اخر الزمان . وهنا تنقل « البلاغات » نبوءة موسى فيه : « سيقيم لك الله الهك من وسطك ، من بين اخوانك ، **نبيا مثلي** ، له تسمعون » (التثنية ١٨ : ١٥) . هذا النبي الاعظم ، « النبي الحق » ، ظهر أخيراً في شخص المسيح ، وصدّق النبوة والكتاب ، وفصّل شريعة موسى بنسخ الذبائح الحيوانية .

ولما ظهر عيسى ابن مريم على ضفاف الاردن ، حل عليه روح القدس ، قائلًا له : « لقد انتظرتك في كل الانبياء حتى تأتي وأستريح فيك[١] » . فـــإن انجيل النصارى يرى في المسيح **النبي الاعظم** ، **خاتمة النبيين** . ويرى في **رسالته نبوة الحقيقة** ، لا رسالة الفداء ، فقتل المسيح استشهاد ، لا فـــداء ؛ ولا يشكل محور رسالته[٢] .

هاتان النظرية العامة في النبوة والكتاب ، والنظرية الخاصة في المسيح كنبي « رسولاً الى بني اسرائيل » ، لا كفـــادي ومخلّص ، هما التعليم الذي سنجده في القرآن .

•

ثانيا : صورة الكون عند « النصارى »

كان اليهود يتصورون الكون **ثلاث سماوات** : سماء الذهب ، وسماء النجوم ، وسماء الله حيث العرش والمجد الالهي .

وقد جاراهم بولس في اسرائه الى السماء الثالثة ، الفردوس ، حيث رأى مجد الله « وسمع كلمات معجزة لا يحق لانسان ان يبوح بها » (٢ كور ١٢ : ١ - ٦) . وجرت المسيحية القديمة على هذه النظرية في ان السماوات ثلاث .

وحدها « النصرانية » تعتبر الكون **سبع سماوات** ، بخلاف اليهودية والمسيحية .

---

(١) الانجيل بحسب العبرانيين (انجيل النصارى) ؛ كما نقل عنه جيروم في تفسير أشعيا (ك ٤ ف ١١ ع ٢) .

(٢) Culmann: Christologie du Nouveau Testament p. 47

كتاب (اسراء اشعيا) النصراني المنحول، يذكر هذه النظرية في قصة اسراء أشعيا ، وفي نزول المسيح الى الارض ، وفي صعود المسيح الى السماء السابعة ، الى عرش الله . فالكون عنده سبع سماوات ، اعلاها سماء الله ، والملائكة يسكنون السماوات السبع حسب منزلتهم ووظائفهم . ففي سماء الله يحف بالعرش الملائكة المقربون السبعة . وتحت السماء الدنيا يوجد الهـــواء ، مسكن الارواح الشريرة ، والشياطين .

وسفر أخنوخ الثاني (ك ٢ و ٩) ، وهـــو نصراني منحول أيضاً ، يعرض النظرية نفسها بتفصيل اوسع : السماء الدنيا فيها المياه العالية ، ومستودع المطر والثلج مع الملائكة الذين يقيمون عليها ، **وفيها النجوم مـــع الملائكة الذين يسيّرونها** . والسماء الثانية مسكن الملائكة الخاطئين الذين هبطوا من السماء الخامسة . السماء الثالثة فيها **الفردوس** حيث نفوس الصديقين تنتظر القيامة ، وفيها **الشيئول** حيث الكافرون ينتظرون يوم الدين . السماء الرابعة مكان الشمس والقمر والملائكة الذين يقيمون عليها . السماء الخامسة مسكن الملائكة الساهرين . السماء السادسة مسكن الملائكة الاعظمين ، حيث سبعة رؤساء ملائكة ، وسبعة كروبين ، وسبعة سروفين ، وسبعة سفنكس . السماء السابعة هي مقام الله .

وفي سفر (عهود الاسباط الاثني عشر) ، نجد النظرية ذاتها في (عهد لاوي): السماء الدنيا حزينة لانها ترى آثام البشر . السماء الثانية والثالثة مسكن الملائكة المعدّين لعذاب البشر والملائكة الآثمين. السماء الرابعة والخامسة مسكن الملائكة الذين يشفعون بالبشر . السماء السادسة مسكن العروش والقوات . السماء السابعة مقام مجد الله .

تلك هي نظرة **السماوات السبع** التي تقول بهـــا «النصرانية» وترفضها المسيحية كما نرى عند اوريجين في ردّه على كلسس (ك ٦ ف ٢١) . ومصدرها الغنوص الهلنستية .

وهذه النظرية « النصرانية » لا نجدها **إلا في القرآن والاسلام** ومن دون تفصيل : « فسواهن سبع سماوات » (٤١ : ١٢) ؛ « الذي خلق سبع سماوات » (٦٥ ؛ ١٢ ؛ ٦٧ : ٣)؛ «خلق الله سبع سماوات» (٧١ : ١٥) ، «سبعاً شداداً» (٧٨ : ١٢) ؛ « تسبح له السماوات السبع » (٢٣ : ٨٧) .

ونجد فيه أيضاً صـــدى لنظرية «النصارى» في وظيفة السماء الدنيا ، سماء الشهب والكواكب : « إنا زيّنا السماء بزينة الكواكب » (٣٧ : ٦) ، « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين، واعتدنا لهم عذاب السعير» (٦٧ : ٥) . فإبليس وملائكته هم « من المنْظَرين لعذاب السعير الى يوم يبعثون» (٧ : ١٤ — ١٥) . فهم ينتظرون مع البشر يوم الحشر والحساب : « فوربك لنحشرنهم والشياطين، ثم لنحشرنّهم حول جهنم جثيًّا . . . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً» (مريم ٦٨ و ٧٢) .

فنظرية القرآن في تأليف الكون ووظيفة السماء الدنيا مثل نظرية النصارى من بني اسرائيل .

•

ثالثا : عقيدة « النصارى » في الملائكة

لقد ورثت «النصرانية» عقيدة الملائكة والروح عن الكلام الاسرائيلي ، كما نراه عند فيلون ، وعن الكلام الاسيني كما نراه في مخطوطات قمران . ونعرف ان كثيرين من الاسينيين قد تنصروا بعد الحرب السبعينية، وشكلوا«الابيونيين» بين النصارى من بني اسرائيل .

لقد وصلت عقيدة الملائكة عند اليهود حتى **التربيب** . وقد كفرتها المسيحية في مجمع اللاذقية ، وسمتها « الخرافة اليهودية[١] » ، قبل ان يكفرها القرآن : « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً: أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون»

---

(١) في منتصف القرن الرابع ، القانون ٣٥ يسميها superstitio judaïca

(آل عمران ٨٠). لذلك لم يتسرب ترتيب الملائكة الى « النصرانية » ، لكنها ورثت التعليم في طبيعتهم ووظائفهم .

فالملائكة ليسوا أرواحاً مجردة عن الجسد والهيولى اي المادة . **طبيعتهم من نار** : لما خلق الله الكون ، « من الحجار فجّرت ناراً ، ومن النار برأت الجند السماوي كله ، وكل جند النجوم ، والكروبيم والساروفيم والاوفانيم » (أخنوخ الثاني ك ١٦ ف ٢ ع ٤) . فالملائكة من نار مثل النجوم .

وهذه هي نظرية القرآن في طبيعة الملائكة : « قال (الله لابليس) : ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ قال: أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين » (الاعراف ١٢ قابل ص ٧٦) ؛ « خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار » (الرحمان ١٤ — ١٥) .

بينما المسيحية كانت تصف الملائكة الاخيار والاشرار في زمـــن الدعوة القرآنية : الارواح المجردة ، اللّاجسدية ، اللامادية [1] .

وميزة الملائكة الثانية هي **طول قامتهم** الاسطورية . ففي (انجيل بطرس ف ٤٠) المنحول ، رأس الملاكين اللذين يرفعان المسيح عند بعثه ، « رأسهما يصل الى السماء [2] » . وفي (عهد رأوبين) المنحول ، طول الملائكة كطول السماء (ك ٥ ف ٧) . وعند الكسائية يبلغ طول ملاكي القيامة في بعث المسيح « ٩٦ ميلًا » وهذه الصفة الملائكية نقلوها معهم من الاسينية كما نرى في مخطوطات قمران [3] . وهذه هي الصفة التي نجدها في كتب الحديث والقصص والتفسير .

والملائكة مراتب ووظائف ، ملائكة الحضرة في السماوات الثلاث العليا ، وملائكة الخليقة في الاربع الدنيا . ووظيفتهم جميعاً التسبيح بحمد ربهم : « إن

---

(١) باليونانية : ἀσώματοι .

(٢) هيبوليت : المختارات ٩ : ١٣

(٣) C D C, II, 19

الامجاد (كناية عن الملائكة) يقدسون له ، ولا يتحولون ليل نهـــار ، ماثلين بحضرة الرب » ؛ « وكل جند الكروبين حول العرش يرغون بحضرة الرب » (٢ أخنوخ ١١ : ٩ — ١٠ ؛ و ١١ — ١٢) ؛ كما في القرآن : « والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض » (٤٢: ٥) ؛ الذين يحملون العرش، ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا » (٤٠ : ٧) ؛ « ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك » (البقرة ٣٠) . و (عهد لاوي) يخصص جماعة من الملائكة للاستغفار للبشر ؛ كما يخصص سفر أخنوخ جماعة الملائكة «الساهرين» للسهر على حفظ الانسان ، كقول القرآن : « ويرسل عليكم حفظة » (الانعام ٦١). وفي (عهد لاوي) نجد الملائكة المعدين لعذاب الهالكين، كقول القرآن: « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ، يضربون وجـــوههم وأدبارهم ، وذوقوا عذاب الحريق » (٨ : ٥٠) ، « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة » (٧٤ : ٣١) . وهذه نظرية خاصة بالنصرانية والقرآن . ونقل معهم الاسينيون الذين تنصروا نظرية الروحين، الصالح والشرير، اللذين يلاحقان الانسان يحملانه على الخير او على الشر ، كما في رسالة برنابا (١٨ : ١) وراعي هرمس (ك ٦ ف ٢ ع ٢ — ٥). هذا ما يقول به القرآن أيضاً: « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » (٥٠ — ١٧) . ونظرية أخرى خاصة بالنصرانية أن الملائكة ، خصوصاً « ملائكة السلام » يقودون النفوس الى الجنة (عهود الآباء ك ٦ ف ١ ع ٥) ؛ كما في القرآن : « الذين تتوفاهم الملائكة طيّبين يقولون : سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » (النحل ٣٢) .

وفي النصرانية ، يمتاز « **الملائكة المقربون** » بالمرتبة والقربى من الله . ففي (اسراء أشعيا) المنحول نرى الملائكة المقربون السبعة مع الله في السماء السابعة. وهرمس في كتابه (الراعي ٩ : ٧ — ١٢) يعطينا اسماءهم ؛ فهم « غفريل ورنيل وأوريل — وإخثيس — وميخائيل وجبرائيل وعزائيل » . انهم ملائكة الحضرة الالهية . نلاحظ ان أسماءهم كلها آرامية ، إلا الاسم الذي يتوسطهم فهو يوناني :

« إخثيس » . ونعرف ان « إخثيس » يعني لغةً « السمكة » وكان النصارى في زمن الاضطهاد الروماني قـــد اتخذوه اصطلاحاً لمجموعة حروف متقطعة تعني : « يسوع المسيح ، ابن الله ، المخلص » . فهو يتوسط الملائكة المقربين ، ويمتاز عنهم باسمهم كناية عن شخصيته : فهو سيدهم ، لكنه منهم لانه محشور معهم ، فهو اذن مخلوق مثلهم . ونجد صدى لهذه العقيدة القرآنية في قوله : « لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧١) . فهي عقيدة نصرانية قرآنية .

وعقيدة نصرانية قرآنية أخرى هي **سجود الملائكة لآدم** ، ورفض ابليس وملائكته أمر الله بالسجود له . نجد تفصيلها في (سيرة آدم وحواء ك ١٢ ف١٦) : وقال ابليس متنهداً : يا آدم ، كل عداوتي وحقدي وألمي تتجه اليك ، فإنه بسببك طُردت ، وانتزعت مني كل العظمة التي كنت أتمتع بها بين الملائكة ، وبسببك اسقطت الى الارض . أجاب آدم : ماذا عملت لك ؟ ما هو ذنبي معك ؟ لماذا تلاحقني أنا الذي لم أهنك ولم أجرحك في شيء ؟ أجاب إبليس : لما كوّنت ، نُفيت من حضرة الله ، ورذلت مـــن صحبة الملائكة . لما نفخ الله فيك نسمة الحياة ، وخلق وجهك ومثالك على صورة الله ، جاء بك ميخائيل وأمر بعبادتك بحضرة الله . وقال الله : هوذا آدم ، لقد خلقتك على صورتي كمثالي ! وصعد ميخائيل وقال للملائكة : اعبدوا مثال الله الرب ، كما أمر الرب . وميخائيل هو الاول عبد ؛ ثم صرخ بي قائلاً : اعبد مثال الله الازلي . فأجبت : ما لي ان أعبد آدم ، انه أصغر مني وأحدث مني ؛ قبل خلقه ، كنت مخلوقاً ، فهو الذي عليه ان يعبدني . ولمـــا سمع الملائكة الذين أحكمتهم أقوالي أبوا ان يعبدوه . فقال ميخائيل : اعبد مثال الله ! واذا لم تفعل ، يغضب الله عليك . فقلت : اذا غضب عليّ ، أنصب عرشي فوق نجوم السماء ، وأصير عديل العلي ! فغضب الله الرب عليّ وطردني من سنائه ، مع ملائكتي . فهكذا بسببك ، طردنا من مـا كنا ، وسقطنا الى الارض[١] » : نجد القصة نفسها في (٢ باروخ ك ٥٦ ف ١٠) .

(١) نقـلاً عن Martiniano Roncaglia: Histoire de l'Eglise Copte T I p. 297

وهذه هي قصة سجود الملائكة لآدم وثورة ابليس عليها في القرآن . ترد سبع مرات (٢ : ٣٤ ؛ ٧ : ١١ ؛ ١٥ : ٢٨ – ٤٣ ؛ ١٧ : ٦١ ؛ ١٨ : ٥٠ ؛ ٢٠ : ١١٦ ؛ ٣٨ : ٧١) . ونجد تفصيلها في سورة الحجر (٢٨ – ٤٣) وفي سورة ص (٧١ – ٨٥) بتعابير متقاربة ؛ وفي غيرهما موجزة .

ولا ذكر لهذه القصة في اليهودية ولا في المسيحية ، وهذا دليل من دلائل الوحدة بين النصرانية والدعوة القرآنية .

فتلك النظريات النصرانية تسربت اليها من الغنوص الهلنستية في الاسينية ، وعبرت من النصرانية الى الدعوة القرآنية . وبها تتميزان عن اليهودية وعن المسيحية .

•

رابعاً : المسيح في العقيدة «النصرانية»

في قصة المولد ، حافظت النصرانية على مولد المسيح المعجز من أم بتول ، بشهادة جيروم التي نقلناها . بينما الكلام النصراني في الابيونية والكيرنثية والكسائية انحرف الى القول بأنه بشر مولود من أب وأم كسائر البشر ، ولو كان سيد الخلق .

وفي شخصية المسيح ، نرى من مصادر الوحي الانجيلي انحراف النصارى من بني اسرائيل «العبرانيين» بأنه سيد الملائكة المقربين ، فهو مثلهم مخلوق ، لا مولود من الله كما تقول المسيحية عن المصادر الانجيلية .

ان هرمس في (الراعي ك ٩ ف ١٢ ع ٧) يقول بصراحة : «ان الله ، لما أراد ان **يخلق** الملائكة المقربين **من نار** ، على عدد سبعة ، قضى ان يجعل احدهم ابنه» . فالمسيح عندهم هو «ابن الله» على المجاز ، وعلى الاصطفاء ، لا على الولادة والبنوة الذاتية .

هذا ما يردده ابيفان[1] في اواخر القرن الرابع: «المسيح عندهم ليس مولوداً من الله الآب ، بل مخلوقاً ، وهو **أحد رؤساء الملائكة** ، المالك على الملائكة وعلى كل اعمال القدير» .

فالمسيح ، في عقيدتهم ، مع كونه سيد الخلق ورب العالمين ، هو مخلوق ، لا مولود[2] . فهو كما رأينا عند هرمس «**احد الملائكة السبعة المقربين**» . وفي (المؤلفات الكليمنتية) المنحولة : ليس المسيح سوى **ملاك** (العظة ٨ : ٤٢) ؛ إنه «أول رؤساء الملائكة» (التعريف ٢ : ٤٢) .

وفي القرآن نجد العقيدة «النصرانية» ذاتها في المسيح ، في التعريف به على التخصيص : «انما المسيح ، عيسى ، ابن مريم : رسول الله و كلمته القاها الى مريم **وروح منه** ... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله، **ولا الملائكة المقربون**» (النساء ١٧٠ – ١٧١) ، فكان «وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين» (آل عمران ٤٥) . فالمسيح هو «من المقربين» على الاطلاق، بل من «الملائكة المقربين» . تلك هي **الازدواجية** القائمة في شخصية المسيح بحسب القرآن . انه «عيسى ، ابن مريم» ؛ وانه أيضاً من الملائكة المقربين (النساء ١٧١) ، فهو «كلمته القاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠) . قال الرازي: «قوله (روح) أدخل التنكير في لفظ (روح) ولذلك يفيد التعظيم . فكان المعنى : **روح من الارواح الشريفة القدسية العالية**» ، اي من الملائكة المقربين . فالمسيح بحسب القرآن هو ملاك أسمى وبشر أسمى معاً . وهذه هي العقيدة «النصرانية» عينها؛ بخلاف العقيدة اليهودية ، والعقيدة المسيحية .

فعقيدة القرآن في المسيح هي عقيدة «النصرانية» عينها .

●

---

(١) الشامل في الهرطقات ك ٣٠ ف ٦ ع ٤

(٢) وعنهم ورث الاريوسيون عقيدتهم ، كانوا يتحدون الارثذكسيين بالتلاعب على حرف واحد من كلمة واحدة ، فيقولون : المسيح γεννητός مخلوق ، لا γενητός مولود . وقد حدّد المجمع المسكوني الاول في المسيحية انه «مولود غير مخلوق» ضد الاريوسيين .

خامسا : اسماء المسيح الحسنى في الكلام « النصراني »

هناك بعض تعابير متواترة بين الموسوية والنصرانية والاسلام ، لها دلالتها على شخصية المسيح : الاسم ، الناموس ، العهد ، المبدأ .

١ — المسيح هو « الاسم »

في التوراة ، « الاسم » كناية عن الله ، اسم الجلالة ؛ بديلًا من « ياهو » أو « يهوه » اي « هو الله » كما ترجم القرآن (سورة الاخلاص). ورد في لغة التنزيل (الخروج ٢٣ : ٢١) ، وفي « سكينة » الله في الهيكل (التثنية ١٢ : ١١) ، وفي صفات الله من قداسة وجلال (طوبيا ٨ : ٥) . وانتهى التعبير فصار في الكلام العبري **كناية عن ذات الله** : « فالاسم » هو الله ذاته .

وتطور فصار عند فيلون كناية عن « كلمة الله » .

وبهذين المعنيين ورد تعبير « **الاسم** » **في العهد الجديد** . « فالاسم » كناية عن ذات الله ، كما في الصلاة الربية : « **تقدس اسمك** » ، اي تقدست في ذاتك ؛ وكما في الانجيل بحسب يوحنا : « اني اعلنت اسمك للناس » (١٧ : ٦) ، أي ذاتك وشخصيتك . و « الاسم » كناية ايضاً عن المسيح ، كما في قوله : « ايها الآب مجّد اسمك » (يوحنا ١٢ : ٢٨) اي « ايها الآب مجدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل إنشاء الكون » (يوحنا ١٧ : ٥) . وجاء في سفر الاعمال : « فرحين أنهم حسبوا أهلًا لان يهانوا **لاجل الاسم** » (١٥ : ١٤) . ومن هنا درج تعبير « الاسم » كناية عن المسيح في الكلام النصراني . قال بولس : « وآتاه **الاسم الاعظم** . . . الرب » (فيل ٢ : ٦ — ١١) .

فصار تعبير « الاسم » تارة كناية عن الله ، وطوراً كناية عن المسيح .

ويرد ذكر « اسم الله » مراراً في القرآن ؛ ولا يرد كناية عن المسيح ، لان في ذلك شبهة في الهيته .

٢ — المسيح هو «البدء» او «المبدأ».

في الانجيل بحسب يوحنا: «في البدء كان الكلمة» (١ : ١). وفي سفر الرؤيا: المسيح هو بدء — مبدأ كل خليقة» (٣ : ١٤). وعند بولس، المسيح: «هو المبدأ» اي «بكر كل خليقة»، و «بكر المبعوثين من الموت» (كولوسي ١ : ١٥ — ٢١). وهذا كله تطبيقاً لقول سفر الحكمة: «الحكمة هي البدء — أو: المبدأ» لكل شيء (٨ : ٢٢). فالمسيح هو بدايات الخليقة وبدايات تجديدها.

ويرد في القرآن مراراً: «انه يبدأ الخلق ... من يبدأ الخلق؟ الله يبدأ الخلق» (يونس ٤ و ٣٤)؛ «الله يبدأ الخلق ثم يعيده» (الروم ١١)، «انه هو يبدئ ويعيد» (البروج ١٣). ولكن لا يرد التعبير كناية عن المسيح، لان في ذلك شبهة في الهيته.

٣ — المسيح هو «العهد»

في الكتاب يرد مراراً تعبير «عهد الله». ويرد في اشعيا كناية عن المسيح في قوله: «جعلتك عهداً للشعوب» (١٤ : ٣)

فصار تعبير «العهد» في النصرانية كناية عن المسيح نفسه. قال الشهيد يستين: «من هو عهد الله ... انه المسيح[١]».

وفي القرآن يتواتر تعبير «عهد الله». لكن التعبير لا يرد بحق المسيح.

٤ — المسيح هو «الناموس»

لفظ «الناموس» يوناني، وهو ترجمة: توراة اي شريعة. وصار عندهم كناية عن كتاب موسى. وفي تشخيصهم المتصاعد للتوراة، صار «الناموس» عندهم ذاتاً اكثر منه كتاباً. فكان الناموس تجسد كلام الله في حرف التوراة، مثل تنزيل كلام الله في حرف القرآن.

---

(١) يستين: الحوار ٢٢ : ٤ و ٥؛ ١٢٨ : ٣.

وفي الكلام اليهودي والنصراني، صار الناموس ايضاً كناية عن «كلمة الله». فعند فيلون[1] صار «الناموس» كناية عن «كلمة الله». فالناموس هو الكلمة، والكلمة هو الناموس، استناداً الى قول اشعيا: «من صهيون يطلع الناموس — الشريعة — ومن اورشليم كلمة الله» (٢ : ٣).

وفي النصرانية يصير «الناموس» كناية عن المسيح. قال هرمس[2]: «ترى هذه الشجرة التي تظلّل السهول والجبال والارض كلها، انها **ناموس الله** المعطى للعالم أجمع. وهذا الناموس هو ابن الله، المبشر به الى أقاصي الارض». ونقل ايضاً اكليمنضوس الاسكندري[3]: «في (بلاغات بطرس) يسمى المسيح: الناموس، والكلمة».

وانتقلت كنـــاية المسيح «الناموس» الى الحديث الاسلامي. ففي حديث عائشة عن بدء الوحي، يقول قسّ مكة، ورقة بن نوفل، في السيرة الهاشمية «لقد جاءه الناموس الاعظم» اي ناموس عيسى، كما يفسرون.

ونفهم من ذلك مذهب ورقة النصراني، ومعنى هداية محمد في غار حراء.

●

سادساً: التثليث الانجيلي، في عقيدة «النصارى»

لم يكن النصارى من بني اسرائيل يقبلون سوى الانجيـــل بحسب متى، المسمى «الانجيل بحسب العبرانيين». وفي خاتمته جاء أمر المسيح قبل رفعه الى السماء: «وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩). فكان ذلك لاهل الانجيل عقيدة وشريعة وصوفية.

ولم يكن لدى النصارى من بني اسرائيل لصياغة هذا التثليث الانجيلي

---

(١) مسائل التكوين ٤ : ٢٤٠.

(٢) كتاب الراعي : المشابهة السابعة ٣ : ٢.

(٣) في كتاب Stromates I. 29

سوى لغـــة « الروح » ، فصاغوه بتعبير ملائكي ، فقالوا : **« ملاك كلمة الله » ، وملاك روح القدس »** .

وفي الاصل لم يكن هذا التعبير « الملائكي » للتثليث الانجيلي ، انحرافاً في العقيدة ، لان مصدره يرتقي الى الكتاب نفسه الذي يسمي الله في ظهوره « ملاك الله » ؛ والنبي ملاخيا يسمي المسيح الموعود : « ملاك العهد » (٣: ١—٢). وكلام النصرانية الأولى في تسمية « ملاك كلمة الله » ، و « ملاك روح القدس » يدل على الروحانية في شخصيتها ، لا عـــلى خلقها . لكن التعبير متشابه ، وسيجرّهم الى القول بخلقها .

وساعد النصارى من بني اسرائيل في اطلاق اسم « ملاك » عـــلى المسيح والروح القدس ، تعبّد اليهود للملائكة ، الذين يسميهم الكتاب مجازاً « ابناء الله » . فصار ذلك عندهم حقيقة ، كفرتها المسيحية ، ثم القرآن من بعدها .

وكان فيلون سيد علم الكلام في عصر المسيح عند بني أسرائيل . فنقـــل الفريسيون ثم الاسينيون القمرانيون الذين تنصّروا كلامه الى « النصرانية » . وكان فيلون يسمي كلمة الله « الملاك الاول » ، و « رئيس الملائكة » : فصار « ملاك كلمة الله » عندهم ملاكاً مخلوقاً ، وصار « ملاك الروح القدس » عندهم ايضاً ملاكاً مخلوقاً .

وظلت حيرة النصارى من بني اسرائيل في الهية الكلمة والروح ، او خلقهما ، سائدة طوال عهد الفترة ، حتى الدعوة القرآنية ، فقال : « ويسألونك عن الروح ؟ قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الاسراء ٨٥) .

●

١ — « ملاك كلمة الله » هو ميكال

يتطور معنى « كلمة الله » من صفة الهية الى صفة ملائكية شيئاً فشيئاً ، في الكلام النصراني . ففي (الراعي) لهرمس ، يمتاز « كلمة الله » على سائر الملائكة

« الامجاد » . عنـــده « كلمة الله » هو « الملاك المجيد[1] » ، « الملاك المجيد[2] » ، « الملاك القدوس[3] » .

والشبهة على شخصيته تأتي من قوله تارة : « أنت الذي ألبسه **الملاك القدوس** القوة ، لماذا لا تطلب منه نعمة الصـــلاة ؟ لماذا لا تطلب الى **الرب** الفهم » (ك ٥ ف ٤ ع ٤) ؟ حيث يرادف بين الملاك القدوس والرب ، وطوراً من قوله : « يجب ان تشقى ، هكذا قضى الملاك المجيد » (٧ : ١) ، « يجب ان تتعذب ، هكذا أمر **ملاك الرب** الذي ائتمنني عليك » (٧ : ٤) . فكلمة الله هو حيناً الرب ، وحيناً ملاك الرب : فالصفة الملائكة عنـــد هرمس آخذة في التغلب على الالهية .

يظهر ذلك من الاوصاف المتواترة التي يصف بها وفيها « كلمة الله » . فهو تارة يسميه بين الملائكة المقرّبين السبعة ، باسم يختلف عنهم وطول يتميّز عليهم وسلطان يسمو عليهم[4] . وهذا يدل على أنه ، وان كان فيما بينهم ، فهو اسمى منهم . يؤيد ذلك دوره في ادخال الخالصين الى الجنة : « وأراني الراعي (ملاك الوحي) صفصافاً عظيماً يغطي السهول والجبال . وكان ملاك الرب المجيد ، ذو الطول الباسق ، يقف تحته . وهو يحمل بيده منجلاً كبيراً يقطع به الاغصان ويوزعها على الجمهور المحتشد » (ك ٨ ف ١ ع ١ — ٢) . ثم يطلب الاغصان ، فيأخذها ويفحصها . « ثم أمر **ملاك الرب** ان يُؤتى بالاكاليل . فجيء بها ، كأنها من سعف النخل . فكلّل بهـــا الذين قدموا اغصاناً موشاة بالسعف والثمار ، ثم ادخلهم البرج . أما الآخرون الذين قدموا اغصاناً خضراء ، لكن بدون ثمر ، فقد ارسلهم الى البرج ، بعد ما ختمهم بختم . فكل الداخلين الى البرج

---

(١) هرمس : الراعي ٧ : ١ و ٢ و ٣ ؛ ك ١١ ف ١ ع ٣ .

(٢) هرمس : الراعي ٥ : ٢ ؛ ٧ : ٢ و ٣ ؛ ٩ : ١ و ٣ .

(٣) هرمس : الراعي ٥ : ١ و ٧ .

(٤) هرمس : الراعي ك ٩ ف ١٢ ع ٧ .

كانوا يلبسون الحلل نفسها ، بيضاء كالثلج » (ك ٨ ف ٢ ع ١ — ٢) . هنا يظهر ملاك كلمة الله ملك يوم الدين ، وهذه صفة الهية ، كما نراها في رؤيا يوحنا حيث الاكليل (٢ : ١٠) والختم (٧ : ٣) والسربال الابيض (٧ : ٩) وسعف النخل (٧ : ٩) علامات الخالصين بدم الحمل .

لكن عند هرمس ، الملائكة المقربون الستة ، هم « الملائكة القديسون اول المخلوقين » (ك ٣ ف ٤ ع ١ — ٢ ؛ ك ٣ ف ١٠ ع ١) ، ويجعل منهم صراحة « ابن الله » : « لما خلق الله الملائكة من نار ، على عدد سبعة ، **قضى ان يكون احدهم ابنه** . هو الذي يسميه اشعيا : الرب الصبئوت» . فنرى انه يبقى ستة ملائكة **مخلوقين مع الابن** (ك ٩ ف ١٢ ع ٧) . هنا يصرح بخلق كلمة الله ، الابن ، ابن الله . يؤيد ذلك **الوحدة القائمة بين « كلمة الله » وبين الملاك ميخائيل**. فعلى دوره في يوم الدين يعقب بقوله : « الملاك الضخم المجيد هو ميخائيل الذي له السلطان على الشعب ويحكمه » (ك ٧ ف ٣ ع ٣) .

وهكذا يصير « كلمة الله » الملاك ميخائيل ، كما نرى ذلك ايضاً في (أخنوخ الثاني ك ١٢ ف ٤ ع ١٦) : « ناداني الله بفمه وقال لي : تشجّع ، يا أخنوخ ، ولا تخف . قف بحضرتي الى الابد . حينئذٍ ، ميخائيل الملاك الزعيم العظيم لدى الرب أقامني وقادني الى حضرة الرب . فسجد الامجاد (الملائكة) وقالوا : ليصعد . وقال الرب لميخائيل : خذْ أخنوخ وانزع عنه ثيابه الارضية ، وادهنه بالزيت الطيب ، وألبسه ثياب المجد » . وهذا هو الدور الذي يلعبه « كلمة الله » في اسراء اشعيا (ك ٩ ف ٤ ع ٥ ؛ ك ٩ ف ٣٩) حيث « ملاك الرب » ، « الملاك العظيم » هو ميخائيل . يؤيد ذلك (عهد دان) الكتاب النصراني المنحول : « فتقربوا من الله ، من الملاك الذي يشفع فيكم ، لانه الوسيط بين الله والناس » . فكلمة الله هو الملاك ميخائيل الوسيط بين الله والناس . بينما عند بولس هذه الوساطة الانسانية دليل الهيته : « فالله واحد ، والوسيط بين الله والناس واحد ، وهو المسيح يسوع من حيث هو انسان » (١ تم ٢ : ٥) لانه « المسيح يسوع ربنا » (١ تم ١ : ٢) .

وفي الكلام الابيوني تصير الوحدة بين «كلمة الله» والملاك ميخائيل مطلقة. فالمسيح عندهم «روح من الله»، ملاك. نقل عنهم ترتليان[1] : «يجعلونه بشراً سويًّا، لكنه اعظم من الانبياء، اذ يقولون ان فيه ملاكاً». وابيفان يقول بصراحة : «انهم ينكرون ان الكلمة مولود من الآب، لكنهم يقولون بأنه مخلوق كأحد رؤساء الملائكة، وهو يحكم على الملائكة وعلى كل ما صنعه القدير». فكون المسيح كلمة الله ورب العالمين لا يجعله إلهاً، انما هو زعيم الملائكة، ميخائيل؛ انه بشر رسول، «يسكنه ملاك»، على حد تعبير ترتليان.

وهكذا، بسبب التفسير الملائكي للتثليث الانجيلي عند النصارى من بني اسرائيل، يصير «كلمة الله»؛ «ملاك كلمة الله» ميكال (كما يقولون بالحرف العربي)؛ فهو «روح منه» تعالى، أحد الملائكة المقربين وزعيمهم.

وهذه العقيدة النصرانية هي التي عبرت الى القرآن: «انما المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله: وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون» (النساء ١٧٠ — ١٧١). فالشبهة التي تجعل عيسى بن مريم بشراً وملاكاً في آن واحد، قد سرت من «النصرانية» الى القرآن. وهذه الازدواجية هي التي جعلت «النصرانية» شيعة، بالنسبة للسنة المسيحية.

●

٢ — «ملاك الروح القدس» هو جبريل

جبريل، له في الكلام النصراني كما في القرآن، صورتان.

١) **في الصورة الاولى هو «ملاك الروح القدس».**

إن (اسراء اشعياء) المنحول يسمي جبريل «ملاك الروح القدس» بتواتر. ويظهر أنه يجعل الروح القدس ملاكاً، كما جعل «كلمة الله» ملاكاً

---

(١) في جسد المسيح ١٤ : ٥.

(٣ : ١٥ — ١٦) . فهو يصرح : « أفرح فرحاً عظيماً لان الذين يودّون العلي وحبيبه يصعدون الى هنا (السماء السابعة)، في آخرتهم، بواسطة ملاك الروح القدس » (٧ : ٢٣) . وفي نص آخر (٩ : ٢٧ — ٣٦) يضع « ملاك الروح القدس » عن شمال الرب العلي، مقابل الكائن المجيد الذي عن يمينه، ويسميه « الرب » بلقب المسيح المتواتر .

والدور الذي يقوم به ملاك كلمة الله، في (اسراء اشعياء)، يقوم به جبريل في (٢ أخنوخ ٩ : ١٥ — ١٢ : ١٣) : « ارسل الرب احد الامجاد لديه، جبريل، فقال لي : تشجع يا أخنوخ، ولا تخف . قم واتبعني، وقف بحضرة الرب الى الابد . فأجبته : آه يا ربي، لقد ذابت نفسي فيَّ من الهلع . نادِ لي الذين قادوني الى هذا المكان . فخطفني جبريل واقامني بحضرة الرب . ورأيت الرب، ووجهه المجيد الرهيب . . . والرب ذاته، بفمه نفسه، ناداني وقال لي : تشجّع يا أخنوخ ولا تخف، قف وقم بحضرتي الى الابد » . فوحدة الدور تدل على ان « ملاك الروح القدس » هو جبريل . وكما يجلس « ملاك الروح القدس » عن شمال الله، في (اسراء اشعياء) يجلس جبريل عند (أخنوخ الثاني) : « ناداني الرب، وأقامني عن شماله، قرب جبرائيل، واخذت اعبد الرب» (١٤:٣ — ٤). والمقصود عندهم جميعاً ان **الروح القدس هو جبريل**، قوله (اسراء اشعياء) في البشارة المنسوبة دائماً الى جبريل : « وظهر **ملاك الروح** في هذا العالم، وبعد ذلك لم يبعد يوسف مريم، بل احتفظ بها » (١١ : ٤) . لاحظ تعبير « الروح » على الاطلاق ؛ ولاحظ صفة الخلق عليه بإضافته الى الملاك .

هذا ما يفسر لنا تعبير « الروح » المطلق في القرآن : « ويسألونك عن **الروح** ؟ — قل : الروح من أمر ربي » (الاسراء ٨٥)، فقد يعني « الروح » هنا الملاك، لانه « من أمر ربي » اي من عالم المخلوق . والقرآن يسمي « روح القدس » الذي نزّل القرآن على محمد (النحل ١٠٢) جبريل (البقرة ٩٧) . فعقيدة القرآن هي العقيدة « النصرانية » .

٢) في الصورة الثانية ، جبريل هو ايضاً « كلمة الله » نفسه

في (رسالة الرسل) — كتاب نصراني منحول — يقول المسيح الكلمة : « في صورة **الملاك جبريل** ، ظهرتُ انا نفسي للعذراء مريم ، وخاطبتها فخفق قلبها . وآمنت وضحكت . حينئذٍ **انا الكلمة** دخلتُ فيهـــا وصرت بشراً . فكنت انا ذاتي سفيراً لذاتي . وعملتُ ما عملت في هيئة ملاك . ثم رجعت الى أبي » (ف ٢٥) . هنا يصير جبريل كلمة الله ، وكلمة الله يظهر بهيئة جبريل ويتأنس من مريم العذراء .

وفي كتاب نصراني آخر منحول[١] نجد : ان الكلمة « نزل الى الارض في الايام الاخيرة ، ولما تنازل نَفَخَ (أو : نُفِخ) في رحم مريم العذراء نوراً جديداً . فبنزوله من السماوات اتخذ صورة مائت . فظهر أولاً في جبريل بصورة منزهة قديرة . وكملاك رئيس خاطب الفتاة بهذه الكلمات : يا عـــذراء اقبلي الله في حشاك البتولي » .

كأننا نقرأ قصص البشارة في القرآن : « فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً ... قال : إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً ... قال : (هو) كذلك ! قال ربك : هو عليّ هيّن ... وكان أمراً مقضيّاً » (مريم ١٥ — ٢٠) . فروح الله هو الذي يهب لمريم غلاماً زكياً ، كأنه هو نفسه ، وكان أمراً مقضياً . هذا ما أوجزه بقوله : « والتي أحصنت فرجها ، فنفخنا **فيها** من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الانبياء ٩١) ؛ « ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا **فيه** من روحنا » (التحريم ١٢) ؛ كأن النافخ في مريم ، والمنفوخ فيها هو روح الله الواحد . وهذه الصورة تختلف عن صورة البشارة في آل عمران . فكأن الصورتين في « النصرانية » عبرتا الى القرآن .

●

---

(١) Oracles sybillins VIII p. 456-461

٣ ـ صيغة التثليث المتشابهة في «النصرانية»

كان تصوير النصارى من بني اسرائيل للتثليث الانجيلي، **بتعابير ملائكية**، على نور التوحيد التوراتي، تذويباً تدريجياً للعقيدة المسيحية، وتشبيهاً في التنزيه، حتى أمسى «كلمة الله» و «الروح القدس» ملاكين، وروحين من «الملائكة المقربين» في الحضرة الالهية.

لكن هذا التطور في الكلام النصراني ترك في الآثار الباقية آثار التردد بين صورتين متعارضتين: فتارة نرى «كلمة الله» و «الروح القدس» معبودين مع الله؛ وتارة نراهما عابدين.

في (اسراء اشعياء) النصراني المنحول، يرى النبي صعود المسيح الى السماء، وجلوسه على العرش عـــن يمين القدرة: «ورأيت كيف صعد الحبيب الى السماء السابعة بينما كان يسبح بحمده الصديقون والملائكة أجمعون. ورأيت كيف جلس عن يمين المجد الاعظم، ذاك الذي قلت عنه اني لم أكن لاتحمّل سناه. ثم رأيت **ملاك الروح القدس** يجلس عن الشمال. فقال لي **هذا الملاك**: يا أشعيا بن عاموص اني اصرفك الآن، فعدْ الى ثوبـــك (اي بشريتك) حتى تتم أيامك، وحينئذ تعود الى ههنا» (ك١١ ف ٣٢ ع٣٥). فقيام «الحبيب» — وهو لقب المسيح، كلمة الله — عن يمين المجد الاعظم؛ وقيام الروح القدس عن شمال المجد الاعظم، بين تسابيح الملائكة والبشر الخالصين، برهان على ان كلمة الله والروح القدس يشتركان في المجد الالهي وعبادة المخلوقين. هذا تصوير صحيح للتثليث المسيحي. لكن التعبير عنه بلغة ملائكية يـــدخل التشبيه في التنزيه؛ وهذا الاسلوب مرتعه وخيم.

وفي لوحة اخرى من (اسراء أشعياء) يرى النبي صورة التثليث المسيحي: «ورأيت ثمة (في السماء السابعة) كائناً واقفاً، مجده يعلو على كل مجد، لانه المجد الاعظم الاسنى. وكل الملائكة تقدموا لديه وعبدوه وسبحوا بحمده. وقال لي الملاك: هذا هو رب الايات الكبرى التي شاهدتها. وفيما هو يخاطبني، رأيت

كائناً آخر، **مثله في المجد**، فتقدم الملائكة ايضاً لديه وعبدوه وسبحوا بحمده. أما الكائن الآخر الذي رأيته فكان قائماً عن شمال الرب فسألت: من هذا؟ فقال لي الملاك: اسجد له، فهو **ملاك الروح القدس** الذي نزل عليك كما نطق في سائر الصديقين» (ك ٩ ف ٢٧ ع ٣٦). هذه أيضاً صورة شعبية للتثليث المسيحي نشاهد فيها كلمة الله والروح القدس معبودين مع الله. لكن وصفها **بصفة ملاك يحمل على التشبيه في التنزيه**، ويقود الى الاعتقاد بخلقهما مع رفعهما.

وهذا ما نراه في فصل لاحق من (اسراء اشعياء): «**والرب وملاك الروح يعبدان الله ويحمدانه**» (ك ٩ ف ٢٧ ع ٤٠).

فهذا تثليث مشبوه ثار عليه الكـــلام الابيوني: فلا يكون كائن معبود وعابد معاً اي خالق ومخلوق معاً. أجل ان التعبير بلغة ملائكية عن ذات كلمة الله، وذات الروح القدس، لا يقتضي القول بالخلق والتشبيه، فالكتاب يسمي الله في ظهوره «**ملاك يهوه**». لكن تسمية كلمة الله والروح القدس باسم «ملاك»، وتمثيلها يعبدان الله، بعد عبادة الخلق له، دليل التشبيه في التنزيه، والتجسيد في التجريد. **والنتيجة الحاسمة** ان عقيدة النصارى من بني اسرائيل في «الروح» كانت متشابهة، ودامت حيرتهم حتى القرآن الذي جـــاء بها: «ويسألونك عن الروح؟ قل: **الروح من أمر ربي**، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» (الاسراء ٨٥). فالقرآن لا يعرف من أمر «الروح» إلا أنه «من أمر ربي» اي مخلوق.

لذلك وصل اليه الكلام النصراني بأن كلمة الله وروح القدس هما روحين من الملائكة: فسمى «روح القدس» (النحل ١٠٢) جبريل[1] (البقرة ٩٧)؛ ووصف كلمة الله بأنه «روح منه» (النساء ١٧٠)؛ وقد نجد اشارة الى ان اسمه «ميكال» في قوله: «قل: من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله... من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال، فـــإن الله عدو

---

(١) جبريل «بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبه بياء (جبرائيل) وبدونهـــا (جبرائل)» (الجلالان).

للكافرين» (البقرة ٩٧ — ٩٨). فجبريل هو روح القدس، ملاك الوحي؛ وبالمقارنة يكون ميكال كلمة الله، اذ لا يسمي القرآن سواهما من الملائكة أجمعين. وهو هنا يكفر الكفر بهما أو بأحدهما، كما يكفر تربيبهما (آل عمران ٨٠). هذه هي **الصيغة الكلامية الملائكية** التي يكفرها القرآن.

وبما ان «الروح» في العبرية والارامية مؤنث، فقد رأى بعض النصارى من بني اسرائيل في الروح القدس الذي حلّ على المسيح يوم عماده **أمه الملائكية**[1]. وفي انجيل النصارى نفسه[2] يخاطب الروح يسوع في عماده: «انت ابني الحبيب»، بما يدل على اعتقاد النصارى بالروح القدس أمًّا للمسيح. فكان التثليث «النصراني» في **صيغة أخرى شعبية**: الله والمسيح ابن الله، والروح القدس امه. فثارت ثائرة الكلام الابيوني على هذا التصور، وبلغت الثورة الى القرآن: «أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي الهين من دون الله» (المائدة ١١٩).

هذا هو التثليث الانجيلي، بالتعبير الملائكي، في صيغته الكلامية، وفي صيغته الشعبية، كما قال به النصارى من بني اسرائيل، وكما نراه في القرآن. وهو ليس من التثليث الصحيح في شيء. إنه تثليث «شيعة النصارى» التي فهمت الانجيل على ضوء التوراة، كأن كلمة الله الذاتية لم يُنزل لنا معه كلمة الله المنزلة الاخيرة، بل جاء «مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة» (آل عمران ٥٠).

●

سابعا: تجسد «كلمة الله» بحسب الكلام «النصراني»

يتميز الكلام «النصراني» عن الكلام المسيحي، بأنه يأخذ تعابيره من الكتاب والغنوص؛ بينما يأخذها الكلام المسيحي من الكتاب والفلسفة الهلنستية.

---

(١) كما نقل عنهم جيروم في تفسير الانجيل بحسب يوحنا (٢ : ١٢).

(٢) كما نقل عنهم جيروم في تفسير اشعيا (١١ : ٢).

ولنا مثال على الكلام المسيحي الجامع للكتاب والحكمة في تعريف الانجيل بحسب يوحنا بسر تجسد كلمة الله. وتعبير «الكلمة» أفلاطوني هلنستي فيلوني انجيلي؛ لكن يمتاز في الانجيل بإلهية «الكلمة» وتجسده: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان في الله، والله كان الكلمة، فهو منذ البدء في الله... والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا» (١: ١ و ١٤). فنزول «الكلمة» في الانسان هو تأنس وتجسد، وهذا تعبير فلسفي؛ وهو ايضاً «سكنى» — بالعبرية «شخينة» — وهو تعبير كتابي.

أما النصارى من بني اسرائيل فيعبرون عنه بلغة «النزول» أو «التنزيل»[١]. وهذا التعبير سيقودهم الى شبهتين ضخمتين في تحريف العقيدة.

الشبهة الاولى، مقابلة تأنس «كلمة الله»، بتنزيل «كلام الله». وهذا يقودهم الى اعتبار «كلام الله» المنزل في الكتاب غير مخلوق، كما جرى في الكلام اليهودي و«النصراني» والاسلامي. وينتج عن ذلك شبهة على حقيقة التأنس تؤدّي الى انكار الهية «كلمة الله» في تأنسه. يزيد في ذلك اعتبارهم «كلمة الله» ملاكاً، «وروحاً منه» تعالى. فصار المسيح «بشراً يسكنه ملاك» على حد تعبير ترتليان عن عقيدة النصارى من بني اسرائيل؛ كما جاء في القرآن. «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠) اي البشر عيسى ابن مريم يسكنه «ملاك كلمة الله».

الشبهة الثانية، اعتبار التأنس حالة طارئة وظاهرة عابرة، على يسوع؛ لا حقيقة قائمة، وحالة دائمة. وتوغل الشبهة في التشبيه في اسلوب وصفهم «النزول» كلمة الله: في نزوله الى الانسان تدرّع صورة جميع المراتب الملائكية في السماوات الخمس الدنيا، حتى وصل الى الارض فتدرع بالطبيعة البشرية من مريم. فكان ملاكاً مع الملائكة، وبشراً مع البشر. يقول في (اسراء اشعياء ١١:

---

(١) باليونانية καταβασις

١٧) : «كان مخفياً عن كل السماوات وكل السلاطين . ورأيته في الناصرة يوضع كطفل ، بحسب الفطرة العامة ، كي لا يكون معروفاً » . ونقل عنهم ايريناوس[١] قولهم : « المسيح يتغير بحسب رضاه » .

هـــذا الاسلوب في التعبير يقود الكلام « النصراني » المتطرف الى نظرية « التشبّه » في شخصية المسيح وسيرته وآخرته ، لا في صلبه فقط .

كان في الكلام « النصراني » ، في أمر نزول الروح القدس ، مدرستان : فالشرقية السورية تقول بحلوله عـــلى مريم في المولد المعجز ؛ والمدرسة المصرية الايطالية تقول بحلوله على المسيح نفسه يوم عماده[٢] . جاء في خبر النصارى الابيونيين عند ابيفان[٣] انهم يقولون : بأن « يسوع سمي ابن الله على الاصطفاء لان المسيح حل عليه من علُ في هيئة حمامة . فهو ، كما يقولون ، ليس مولوداً من الله الآب ، بل مخلوقاً كأحـــد رؤساء الملائكة ، لكن اعظم منهم » . وفي انجيلهم : ان الروح القدس نزل بهيئة حمامة على يسوع ودخل فيه فصار المسيح . لكنه فارقه قبل استشهاده ، فما قتل اليهود إلا يسوع ، ابن مريم .

فقصة « الشبه » تتناول عند فريق من « النصارى » شخصية المسيح وسيرته كلها . لكنها تتضح في قصة الصلب .

•

ثامناً : قصة « الشبه » في صلب المسيح

كان المسيح ، في نظر الكلام اليهودي الذي ورثه النصارى من بني اسرائيل ، خالداً لا يموت ، كما أشار يوحنا الى ذلك (١٢ : ٣٤) . لذلك يميل الكلام

---

(١) الرد على الهرطقات ك ١ ف ٢٤ ع ٤ .

(٢) كتاب « المختارات » ك ٦ ف ٣٥ .

(٣) الشامل في الهرطقات ك ٣٠ ف ١٦ .

النصراني الى القول بأن المسيح فارق يسوع قبل استشهاده. يقول باسيليذ أحدهم: «بما أن المسيح يتحول برضاه من صورة الى صورة، فقد القى في صلبه شبهة على سمعان، وصلب سمعان بدلاً عنه؛ في ما هو يرتفع حياً الى الذي ارسله، هازئاً بجميع الذين مكروا به للقبض عليه، لانه كان غير منظور للجميع».

كأننا نقرأ في هذا النص القرآن نفسه: وقولهم (اليهود): إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم! — وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شبّه لهم. وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله اليه، وكان الله عزيزاً حكيماً» (النساء ١٥٦ — ١٥٧). فقصة «الشبه» في القرآن ارث «نصراني».

فالصليب، في «النصرانية» لم يبق قضية تاريخ وعقيدة فداء، بل **مسالة رمزية**: إنها صليب المجد، يتبع المسيح في مجـــده كأن الصليب كائن حي: انه «**الصليب النوراني**» كنجم المجوس في المولد، أو كالنار الملتهبة فوق الاردن تحل مع الروح على المسيح؛ انه رمز **قدرة المسيح** الشاملة؛ انه **الصليب الكوني** الذي يرون مظاهره في جنبات الكون. أما الصليب الخشبي رمز صلب المسيح واستشهاده فلا عبرة له عندهم.

جاء في كتاب (أعمال يوحنا ف ٩٩) المنحول: «هذا الصليب المنير الذي تراه ليس بصليب الخشب الذي ستراه عند رجوعك الى الارض. على ذاك الصليب الخشبي لم أكن إياي، الذي تسمعه الآن ولا تراه: لقد أخذوني من لست إياه، اذ لم أكن حينئذ من كنت بين الجماهير». من هنا كان نفور النصارى من بني اسرائيل من الصليب الخشبي للمسيح. **وقـــد ورث الاسلام عنهم هذا النفور**.

وعقيدة «**شبه المسيح في صلبه**» نظرية «نصرانية» متأصلة في كلامهم كما نراها في كتبهم مثل (اعمال يوحنا) و (انجيل بطرس) المنحولين.

وهذه العقيدة لها صيغتان: الاولى ان المسيح، كلمة الله، فارق يسوع ابن مريم قبل استشهاده، **فصلب يسوع نفسه**؛ لكن المسيح ذاته لم يصلب ولم يقتل.

والثانية ان يسوع المسيح رُفع الى السماء، فلم يصلب ولم يقتل؛ انما أُلقي شبهه على غيره من تلاميذه، سمعان أم يهوذا، فصلب هذا الغير المشبوه بدل يسوع.

فكان عندهم «الصليب النوراني[١]» المعبود، والصليب الخشبي المنبوذ.

وكان النصارى من بني اسرائيل يعيدون لذكرى صلب يسوع، لا لذكرى صلب المسيح؛ ولبعث يسوع، لا لبعث المسيح.

وفي يوم القيامة رجع المسيح الى يسوع فقام حياً وارتفع الى السماء.

فقصة الشبه في صلب المسيح، في القرآن، موروثة عن الدعوة «النصرانية».

●

تاسعاً: قصة «رفع المسيح» الى السماء في الدعوة «النصرانية»

إن «النصرانية» والمسيحية تؤمنان على السواء بقيامة المسيح ورفعه حياً الى المجد الالهي، كما يشهد بذلك ايريناوس[٢] وجيروم الذي يقول: «إنهم يؤمنون بابن الله الذي ولد من العذراء مريم. ويقولون بأنه استشهد على عهد بنطيوس بيلاطس. وهذا عينه ما نؤمن به نحن[٣]». ولكن لا يذكر ان لقب «ابن الله» كان عندهم مجازاً لاصطفائه على العالمين، وقد سقط في الاستعمال الكلامي.

لكن «النصرانية» تركّز على **رفع المسيح أكثر من قيامته**. فهم يرون البعث والرفع عملاً واحداً، ويصرحون بالرفع وحده. فكما سمّوا التجسد «نزولاً» يسمون القيامة الى المجد الالهي «رفعاً[٤]» بحرف واحد في اليونانية، مع تبديل أوله بأداة مختلفة. وفي هذا التعبير لفظاً ومعنى يُطوى على الصلب والقيامة؛ فلا

---

(١) كما يسميه كيرلس الاورشليمي (١٥ : ٢٢) : φωτοειδής

(٢) الرد على الهرطقات ك ١ ف ٢٦؛ مجموعة الآباء اليونان ك ٧ ص ١٨٦.

(٣) الرسالة ٨٩ : ١٣ الى اغسطين؛ مجموعة الآباء اليونان ك٢٢ ص ٩٢٤

(٤) وبالحرف اليوناني: κατάβασις - ἀνάβασις أي Catabase-anabase

يظهر إلا «نزول الكلمة» و «رفع الكلمة». وقد يكون هذا هو التعبير الموجز للحقيقة الانجيلية، كما ورد عند بولس: «فكونه (ارتفع) هل يعني إلا انه (نزل) أيضاً الى اعماق الارض» (أفسس ٤ : ٩). والنشيد الفيلبي عند بولس أيضاً لأمجاد المسيح، لا ينص إلا على النزول في حال عبد، والرفع الى المجد الالهي مع الاسم الاعظـــم (فيل ٢ : ٦ — ١١). وزادت النصوص «النصرانية» في التركيز على «النزول» وعلى «الرفع» وحدهما. وهذه هي **الصورة القرآنية في** القاء كلمة الله الى مريم، ورفعه اليه تعالى (النساء ١٧٠ و ١٥٧).

نجد في «النصرانية» **صورتين لآخرة المسيح**. الاولى تدمج القيامة بالرفع ولا تذكر إلا الرفع؛ ففي (عهد بنيامين[1]) نقرأ: «لما صعد من «الهادس» ارتفع من الارض الى السماء، فعلمت كيف كان وديعاً على الارض، رفيعاً في السماء». كذلك في (انجيل بطرس ك ٣٦ ف ٤٠) المنحول، حيث يصف مشهد القيامة والرفع كأنه فعل رفع الى السماء فقط: «انفتحت السماوات ونزل منها رجلان نورانيان. ورأيت ثلاثة يصعدون من القبر، والشابان يرفعان الآخر؛ ورأس المرفوع كانت تتجاوز السماوات». فما القيامة سوى رفع المسيح الى السماء على المركبه الملائكية، كما يحمل عرش الله ثمانية من المقربين. والصورة الثانية تؤكد القيامة والرفع معاً مع فاصل زمني بينهما، كما في (رسالة برنابا ١٥ : ٩) المنحولة: «إننا نحتفل في الفرح باليوم الثامن، لان يسوع المسيح فيه قام وظهر وارتفع الى السماوات»؛ لكن الاعمال الثلاثة في يوم واحد. هذا ما يوجزه أرستيد في (الدفاع ١٥): «بعد ثلاثة ايام قام وارتفع الى السماء». وفي صلاة عيد الفصح عند الشرقيين، حفلة تعرف (بالهَجْمة) تمثل على باب الكنيسة البعث والرفع والدخول الى السماء في آن واحد، صبيحة عيد القيامة. وهذا هو الأثر الذي تتركه مصادر الوحي الانجيلي. وبما ان البعث والرفع والدخول الى

---

(١) عهود الاسباط: عهد بنيامين ك ٧ ف ٥.

المجد الالهي في السماء، تتم كلها في آن واحد، أو يوم واحد؛ فنرجع الى موجز الصورة الاولى: **آخرة المسيح كانت رفعا الى الله في السماء**[١] .

وهذه هي **الصورة القرآنية** لآخرة المسيح كما وردت عند النصارى مـــن بني اسرائيل: «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً» (مريم ٣٣)؛ «اذ قال الله، يا عيسى اني متوفيك ورافعك إليّ» (آل عمران ٥٥)؛ «وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه» (النساء ١٥٧). فليس بعد الوفاة والموت إلا البعث والرفع حياً الى الله في السماء.

•

عاشراً: رجعة المسيح واليوم الآخر في عقيدة «النصارى»

يذكر الانجيل للمسيح رجعة الى الارض ليوم الدين في اليوم الآخر.

وجاء سفر الرؤيا، فذكر في اسلوب رمزي، للمسيح حكم ألف سنة مع الصديقين على الارض، بعد انتصار المسيحية على الوثنية الرومانية، باسم «بابل العظيمة». ومدة ألف سنة تعني في الاسلوب الرمزي مدة طويلة غير محدودة. ويتضح ان الرؤيا تقصد سيطرة المسيحية ما بين اضطهادها الاول عند نشأتها، واضطهادها الآخر في اليوم الآخر بواسطة المسيح الدجـــال، من قولها برجعة المسيح بعد حكم ألف سنة، لقيام الساعة ويوم الدين. ويسمي السفر حكم الالف سنة من سيطرة المسيحية «القيامة الاولى» تنويها بخلاص المسيحية من الاضطهاد الاكبر الذي جعلها كائنة، وذلك على سبيل الاستعارة والرمز. أما القيامة الحقيقية ليوم الدين فهي «القيامة الثانية» للحياة الابدية، و «الموت الثاني» للهالكين في جهنم مع ابليس من شياطين الجن والانس (الرؤيا ٢٠: ٤ — ١٥).

---

(١) ولا عبرة باختلاق الصوفيين من «النصارى» فترة مـــا بين القيامة والرفع الى السماء، تدوم اياماً أو شهوراً أو أعواماً، يعطي فيها المسيح لتلاميذه تعاليم سرية ينقلونها لنا. وربما هذا ما حدا بيوحنا الى نقل حديث يسوع لتلاميذه قبل رفعه، ودمجه بحديثه في العشاء الفصحي قبل استشهاده (يوحنا ف ١٥ — ١٦ بين ١٤ و ١٧)

لكن النصارى من بني اسرائيل ، في دعـــوتهم ، قرنوا حكم الالف سنة الرمزي للمسيح والمسيحية برجعة المسيح في اليوم الآخر ؛ وجعلوهما « القيامة الاولى » الحقيقية الى جنة على الارض ، كجنة آدم ، تعود فيها البشرية في آخرتها كما كانت في أولاها : فاختلطت أوصاف جنة الأرض بأوصاف جنة السماء .

نقل جيروم[1] نظريتهم في قوله: «إن اليهود والابيونيين (مرادف للنصارى)، الوريثين لضلال اليهود — والذين اتخذوا اسم أبيونيين (اي فقراء) عن تواضع — يفهمون بالمعنى الحرفي كل لذات الالف سنة » ، في رجعة المسيح لليوم الآخر . وهكذا صارت عند هؤلاء النصارى **اللذات الرمزية في حكم الالف سنة لذات حسية حقيقية للجنة في اليوم الآخر** .

واستخدموا لذلك أوصاف الكتاب لليوم الآخر، بنقل المعنى من الرمزية الى الواقعية المحسوسة؛ مثل خصب الارض المفرط الذي يفيض على الصديقين خيرات ولذات لم يحلموا بها (عاموص ٩ : ١٣) ؛ ومثل بهاء سني لا حدّ له في الشمس والقمر ينير أهل هذا النعيم (أشعياء ٣٠ : ٢٦) ؛ ومثل مصالحة الحيوانات في ما بينها ، ومع الانسان (أشعياء ٦٥ : ٢٥) .

وقد نقل ايريناوس[2] مثلاً مـــن ذلك من بابياس : « سيأتي يوم ينبت فيه الكروم بشكل عجيب : كل جفنة يكون لها عشرة آلاف غصن ؛ وكل غصن عشرة آلاف فرع ؛ وعلى كل فرع عشرة آلاف عنقود ؛ وفي كل عنقود عشرة آلاف حبة ؛ وكل حبة تقطر خمسة وعشرين برميلاً من الخمر » ! هذه هي أنهار الخمر لذةً للشاربين !

وفي تلك الجنة يبقى الزواج قائماً، لكن بدون حدود ولا قيود كما في الدنيا؛ ويكون مع خيرات حسان كـــأنهن اللؤلؤ والمرجان . وكلمة « حورية » ،

---

(١) في تفسير ارامیا ٦٥ : ٢٠ مجموعة اباء اللاتين ك ٢٤ ص ٨٢٣ .

(٢) في الرد على الهرطقات ك ٥ ف ٣٣ ع ٣ .

«حوريات» أرامية من لغتهم. جاء في تعليم كيرنتس[1] انه يقول: «بعد القيامة، ملك المسيح سيكون أرضياً، والجسد يكون اسير الشهوات واللذات. وكعدو لكتب الله، يقول انه يكون حينئذ فترة الف سنة في عرس بهيج». ويكون اليوم الآخر لهم «مائدة هيأها الله لهم ليطعمهم من كل ما يشتهون[2]».

فبينما كان اليوم الآخــر عند اليهود حكم المسيح في اورشليم الجديدة المسيطرة على العالم. نرى اليوم الآخر عند النصارى من بني اسرائيل حكم المسيح مع الصديقين في تجديد جنة آدم بما لم يكن يحلم به آدم نفسه. كأن الجنة عند النصارى من بني اسرائيل، قبل هجرتهم الى مكة والحجاز، عرس دائم في غوطة دمشق التي كان يحن كل بدوي الى رؤيتها وقطف لذتها.

وهذا التصوير الحسي «النصراني» لليوم الآخر، نجد صداه وصورته في القرآن. وصلة الوصل هي ان اليوم الآخر يكون في **جنات عدن**، اسم جنة آدم المتجددة: «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم» (التوبة ٧٣). فالقرآن ينتهي في وصف جنة اليوم الآخر، كما بدأ؛ فالملائكة من السماء يطلبون: «ربنا، وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، انك انت العزيز الحكيم» (غافر ٨). هذه هي البشرى بها: «هذا ذكر، وان للمتقين لحسن مآب، جنات عدن مفتحة لهم الابواب، متكئين فيها، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب. وعندهم قاصرات الطرف اتراب. هذا ما توعدون ليوم الحساب» (ص ٤٩ — ٥٣). إنها «جنات عدن تجري من تحتها الانهار» (طه ٧٦؛ البينة ٨). فالثواب على الايمان هو **جنات عدن**: «اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون

---

(١) ايريناوس: الرد على الهرطقات ك ٣ ف ٣ ع ٤.

(٢) ايريناوس: الرد على الهرطقات ك ٥ ف ٣٣ ع ٢.

فيها من اساور من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق[1] متكئين فيها على الارائك. نعم الثواب وحسنت مرتفقاً» (الكهف ٣٠). قال الجلالان: « الارائك جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي بيت يزيّن بالثياب والستور للعروس». إنها « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ، ولباسهم فيها حرير» (فاطر ٣٣). هذا هو الفوز العظيم: «ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار، ومساكن طيبة، في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم» (الصف ١٢). وبما انها جنات عدن، «مثل الجنة التي وُعد المتقون: فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنها من خمر لذة للشاربين، ولهم فيها من كل الثمرات، ومغفرة من ربهم» (محمد ١٥).

ونقطة التلاقي الثانية هي رجعة المسيح لليوم الآخر: «وانه (ابن مريم) لعَلَم — لعِلْم — للساعة فلا تمترن بها» (الزخرف ٦١). فالقرآن يقرن رجعة المسيح قبل قيام الساعة باليوم الآخر؛ ويجعل رجعته علماً لها، وعلْماً بها. فهو الرسول الاعظم في اليوم الآخر يقود المتقين الى الجنة.

وتعبير «اليوم الآخر» يشير ايضاً الى النظرية «النصرانية» التي تقسم أيام الخليقة، كأيام الخلق، الى سبعة أيام، كل يوم «بألف سنة مما تعدون»؛ واليوم الآخر هو اليوم السابع الالفي الذي يقضيه المتقون الخالصون مع رسول «الساعة»، بتدبير الله: «الله خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش ... يدبر الامر من السماوات الى الارض، **ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**» (السجدة ٤ — ٥). فاليوم الآخر، اي السابع، مقداره الف سنة؛ به تتم أيام الخليقة السبعة، الاسبوع الكوني، كأيام الخلق.

---

(١) «السندس: فارق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه؛ وفي آية الرحمان: بطائنها من استبرق» (الجلالان).

تلك التصوّرات الثلاثة : رجعة المسيح لقيام الساعة ، واليوم الآخر الذي مقداره الف سنة ، في جنات عدن ، تجعل بدء الآخرة في القرآن ، كما نراها عند النصارى مـــن بني اسرائيل : التصورات واحدة ، والعقيدة واحدة ، بخلاف اليهودية والمسيحية .

* * *

بحث سابع

الشريعة والصوفية عند « النصارى »

هذا هو مبدأ القرآن في تشريعه : « يريد الله ليبيّن لكم ، ويهديكم سُنن الذين من قبلكم... يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً » (النساء ٢٥-٢٧). فمبدأه في التشريع الهداية الى « سنن الذين من قبلكم » اي « الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم » (الجلالان) ؛ لكن مع تخفيف قرآني لأحكامها .

وبما ان القرآن « يقتدي بهدى » « الأمة الوسط » في العقيدة وفي الشريعة ، نرى فيه احكام « النصرانية » بين اليهودية والمسيحية ، مع تخفيف قرآني لها .

اولاً : بعض الاحكام الشرعية

١ — التبنّي :

إن اليهودية لم تعرف التبني في التوراة . ولمـــا انتشرت المسيحية قالت بالتبني بين الناس ، بناء على عقيدة التبني الالهي للمؤمنين بالمسيح (غلاطية ٤ : ٦).

لكن النصارى من بني اسرائيل ، الذين يقيمون أحكام التوراة والانجيل معاً ، اذ لم يجدوا في التوراة والانجيل حكماً شرعيًّا بالتبني ، لم يقولوا به . ونقلوا هذا الموقف السلبي معهم الى مكة والحجاز .

فلما قامت الدعوة القرآنية على آثار « النصرانية » **ألغت التبني الذي كان** شائعاً بين العرب : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ويهدي السبيل » (الاحزاب ٤) . فسّره الجلالان : « ادعياءكم جمع دعي : وهو ما يُدعى لغير أبيه ابناً له . قال اليهود والمنافقون لما تزوج النبي ص امرأة زيد بن حارثة **الذي تبنّاه النبي ص** ، قالوا : تزوج محمد امرأة ابنه ! فأكذبهم الله تعالى » . فرجع محمد في دعوته الى شرعة « النصرانية » .

٢ — تحريم الخمر

كان الخمر مباحاً في اليهودية ، وفي المسيحية ، من دون السكر منه . لكنّ النصارى من بني اسرائيل بتأثير الاسينيين المتنصرين ، قالوا بتحريمه ؛ حتى انهم حرّموا استعماله في القربان من خبز وخمر ، فقالوا باستعاضة الخمر بالماء في القربان. نقل عنهم ايريناوس[1] : « ان الابيونيين يحرمون مزج الخمر السماوي بالماء ، ويريدون فقط ماء هذا الدهر » .

وكتاب (اعمال توما) المنحول يقول : « ان القربان من خبز وماء ، لا خمر فيه » . كذلك في كتاب (اعمال بطرس) . بينما العادة المسيحية تجعل القربان من خبز وخمر . وهذه هي شهادة اكليمنضوس الاسكندري[2] التي تميّز بين عادة المسيحيين وعادة النصارى : « ان بعض الخوارج يستعملون في القربان الخبز والماء ، بدل الخبز والخمر ، وذلك على خلاف قانون الكنيسة » .

وكانت الخمر مباحة عند العرب ايضاً . لذلك ظلّ تحريمها « النصراني » في القرآن يتطور مدة الدعوة القرآنية كلها ، حتى تمكن في آخر أمره من تحريمها . ابتدأ فاعتبر « السّكر » — وهو لفظة عبرية تعني المسكر ؛ وهذا دلالة على مصدر تشريعه « النصراني » — آية من الله : « ومن ثمرات النخيل والاعناب

---

(١) الرد على الهرطقات ك ٥ ف ١ ع ٣ .

(٢) السترومات ك ١ ف ١٩ .

تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً ، ان في ذالك لآية لقوم يعقلون» (النحل ٦٧)، «سكراً : **خمراً يُسكر** ، سميت بالمصدر ؛ وهذا قبل تحريمها» (الجلالان) . كان هذا طول العهد بمكة . ولما تحرَّر في المدينة أخذ يميِّز فيها : «يسألونك عن الخمر والميسر ؟ — قلْ : فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس ؛ وإثمهما اكبر من نفعهما» (البقرة ٢١٩) . لاحظ انه بدأ يقرن الخمر بالميسر اي القمار . وتطور الى تحريمها عند الصلاة : «يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» (النساء ٤٢) . كتبوا «الصلوة» بحرفها الارامي دليلاً على مصدرها الارامي السرياني ، وهذا ايضاً دليل على مصدر التحريم . ودليل آخر معنى «الصلوة» هنا : وهو الصلاة نفسها او موضع الصلاة اي المسجد ؛ واللفظة العربية لا تحمل معنى مكان الصلاة ، إلا في هذا التشريع القرآني «النصراني» . وفي آخر العهد بالمدينة ، لما تمت السيادة للاسلام ، تمّ التحريم القرآني «النصراني» : «يا ايها الذين آمنوا ، انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه» (المائدة ٩٣) . قال الجلالان : «الانصاب ، الأصنام ، الأزلام ، قداح الاستقسام ، **الخمر ، المسكر الذي يخمّر العقل**» ، إذن فهو يحرّم السكر من الخمر ، لا الخمْر في حد ذاتها على الاطلاق . فتحريم الخمر أثر «نصراني» وهذا هو التشريع القرآني للخمر .

٣ — تحريم الخنزير

كان النصارى من بني اسرائيل — بخلاف المسيحيين — يقيمون أحكام التوراة والانجيل معاً . وكان الخنزير رجساً في احكام التوراة ، فأخذوا هم ايضاً بتحريمه ، وتحريم كل لحم يُقدّم للاصنام اي يُذبح لغير الله .

وبعد تحرير المسيحيين من شريعة موسى ، قام النصارى من بني اسرائيل بتبليغ جماعتهم : «بما رسمنا ان يجتنبوا ما ذُبح للاصنام ، والدم ، والمخنوق ،

والفحشاء[1] » (الأعمال ٢١ : ٢٥) . والحقوا هذا القرار ، بقرار مؤتمر الرسل ، صحابة المسيح : « فلقد رأى الروح القدس ونحن ان لا نحمّلكم إصراً فوق هذه التي لا بدّ منها : أن تجتنبوا ما ذُبح للأصنام، والدم، والمخنوق، والفحشاء» (الاعمال ١٥ : ٢٨ - ٢٩) . أما بولس فكان يعلّم : « إن كل خليقة الله مباحة، ولا شيء رجس مما يُتنـــاول بشكر ، لانه يقدّس بكلمة الله وبالصلاة » (١ تيم ٤ : ٢) ؛ وهذا تعليم المسيح نفسه في إباحـــة كل طعام (مرقس ٧ : ١٤ - ٢٣) .

وانك لتسمع التشريع « النصراني » في التشريع القرآني : « قلْ : لا اجد في ما أوحي إليّ محرّماً عـــلى طاعم يطعَمُه إلا ان يكون ميتةً ، او دماً مسفوحاً ، او لحم خنزير فإنه رجس ، او فسقاً أهّل لغير الله به . فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد ، فإن ربك غفور رحيم » (الانعام ١٤٥) . فالتعبير واحد في التحريم ، مع تحديد اوفى للشرع[2] : أضاف القرآن تحريم « الميتة » وهو متواتر عند اليهود والنصارى ؛ وأسقط ذكر « الفحشاء » لانه تشريع كتابي عـــام ؛ وحدّد « الدم المسفوح » تمييزاً له من « المخنوق » ؛ ووصف لحم الخنزير بصفته المتواترة عنـــدهم : « فإنه رجس » . والجميع يأتي بلفظ التحريم « النصراني » : « اجتنبوه » اي « امتنعوا عنه » .

---

(١) الفحشاء ، لا تعني الزنى فقط ، فهذا بدهي ؛ قد يراد بها كل علاقة نكاح غير شرعية ؛ ويحسب بعضهم عدم الاغتسال من الجنابة بعد الجماع .

(٢) هذا التحديد الاوفى للشرع يأتي ايضاً في قوله : « انما حُرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهّل به لغير الله : فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، ان الله غفور رحيم » (البقرة ١٧٣) كذلك (النحل ١١٥) . فهذه الصيغة أقرب الى صيغة « النصارى » . والتكرار دليل التعليم الموروث المتواتر . ويفصّل احوال « الميتة » بقوله : « حرّمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير وما أهّل لغير الله به، والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ، إلا ما ذكّيتم » اي ادركتم فيه الروح فذبحتموه (المائدة ٤) .

٤ — الغسل من الجنابة والوضوء للصلاة

كان الغسل لكامل الجسم من الجنـــابة شرعة توراتية (الاحبار ٨ : ٦ ؛ ١٦ : ١٤ ؛ ١٧ كله) والوضوء لليدين والرجلين قبل كل صلاة ايضاً شرعة توراتية : «اصنع مغتسلاً ... فيغسل هارون وبنوه ايديهم وأرجلهم ، اذا دخلوا خباء المحضر ، فليغتسلوا بماء لئلا يموتوا ... فليغسلوا ايديهم وأرجلهم لئـــلا يموتوا . يكون ذلك لهم رسم الدهر ، له ولبنيه مدى اجيالهم» (الخروج ٣٠ : ١٧ — ٢١) . وعمّم الاسينيون الغسل والوضوء على اتباعهم ؛ ولما تنصّروا عمّت الشرعة «النصرانية» .

إن الاغتسال من الجنابة ، بإيلاج او بإنزال ، كانت شرعة عند النصارى من بني اسرائيل ، خصوصاً الأبيونيين[١] منهم والكسائيين . ويرى بعضهم ان المقصود «بالفحشاء» في نص التحريم السابق (الاعمال ١٥ : ٢٨ ؛ ٢١ : ٢٥) هو عدم الاغتسال بعد الجنـــابة . وكانوا يسمونه «الطهور» ، تمييزاً له من «الوضوء» للصلاة . وكان الغسل بعد الجماع فرضاً عند النصارى . ولم يكن ذلك فرضاً في المسيحية ؛ ونرى اكليمنضوس الاسكندري[٢] يحمـــل على عادة التطهير اليهودية بعد الجماع عند المسيحيين .

وجاء القرآن بالتشريع «النصراني» في ذلك : «يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة ... ولا جُنباً — إلا عابري سبيل — حتى تغتسلوا... او لمستم (لامستم) النساء ، فلم تجدوا ماء ، فتيمّموا صعيداً طيّباً فامسحوا بوجوهكم وايديكم ، ان الله كان عفوًّا غفوراً» (النساء ٤٢) . فسّره الجلالان : «جُنباً : بإيلاج او انزال ، وهو يطلق على المفرد وغيره ... لامستم وفي قراءة بـــلا ألف ، وكلاهما بمعنى اللمس اي الجسّ باليد ، قاله ابو عمرو الشافعي ؛ وألحق به الجسّ

---

(١) قابل ابيفان : الشامل في الهرطقات (ك ٣٠ ف ١٦) .

(٢) Stromates III, 33.

بباقي البشرة ؛ وعن ابن عباس **هو الجماع** . (فتيمّموا صعيداً طيّباً) اي تراباً طاهراً ، ميّز بعضهم بين الجنب واللمس ، وابن عباس لم يميّز بينهما . ولضرورة الاغتسال بعد الجنابة ، أمر بالتيمّم بتراب طاهر ، اذا تعذّر الماء .

وكرّره في قوله : « يا ايها الذين آمنوا ، اذا قمتم الى الصلاة ، **فاغسلوا وجوهكم** وايديكم الى المرافق ؛ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين ؛ **وان كنتم جنبا فاطهروا** . . . او لمستم النساء ، فلم تجدوا ماء ، فتيمّموا صعيداً طيّباً ، فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ؛ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهّركم » (المائدة ٧) . هنا يعطى سبب الاستعاضة عن الماء بالتيمم . وتكرار التشريع بحرفه تقريباً دليل على انه متواتر موروث بحرفه . وتشريع الغسل من الجنابة ، التطهير ، توراتي (الاحبار ف ١٥ كله) عبر مع النصارى من بني اسرائيل الى الدعوة القرآنية .

وقد حفظ القرآن التعبير « النصراني » نفسه : « والله يحب المطهّرين » (التوبة ١٠٩) ؛ « ويحب المتطهّرين » (البقرة ٢٢٣) ؛ وهو باليونانية الشائعة في كتبهم : καθαροι

٥ — تحريم « الرهبانية » عند « النصارى »

كان الزواج سُنّة توراتية . ونادى بها الانجيل بعد تعديلها لجهة منع التعدّد ومنع الطلاق ؛ مع الدعوة الى البتولية عند الذين يتخصصون بالدعوة « الى ملكوت الله » ؛ وهذه هي الرهبانية .

وكان الأسينيون من اليهود ينادون بالبتولية ، ولا يفرضونها إلا على المريدين من رهبانهم في اديرة قمران . ولما تنصّروا أدخلوا معهم دعوتهم الى البتولية في « النصرانية » . فظهرت عند النصارى من بني اسرائيل نزعتان : احداهما معتدلة تقول بالزواج وتحرّض على البتولية ! والثانية متزمتة متطرفة تريد فرض البتولية على الجميع . وهذه النزعة المتطرفة هي التي يقاومها بولس الرسول في آخر عهده : « والروح يقول صريحاً : ان بعضاً سيرتدون عن الايمان

في الأزمنة الاخيرة ، ليتّبعوا أرواحاً مضلة **وتعاليم شيطانية** ، من رئاء أناس متخرصين ، ضمائرهم موسومة . فإنهم **يمنعون عن الزواج** ، وعن أطعمة خلقها الله لكي يتناولها في شكر المؤمنون والعارفون للحق » (١ تيم ٤ : ١ — ٥) .

وقد حدّدت « النصرانية[1] » الشرعة الصحيحة : « **ان النبي الحق قد شرع الزواج ، وأذن بالامساك عنه** » . ومع الزمن وتناقص عدد « النصارى » ، فرضوا الزواج ، ومنعوا من الامساك عنه — إلا ما شذّ عن مجتمعهم من رهبانهم ؛ لكنّ القسّ عندهم ، حتى برتبة اسقف ، كان متزوّجاً . وهذه هي الصورة التي نقلها عنهم ابيفان[2] ، في ختام تطورها : « اليوم يحرّمون البتولية والامساك عن الزواج ، كما في سائر الشيع التي تشبههم . ولكن قديماً كانوا يحترمون البتولية ، لا شك على غرار يعقوب ، أخي الرب ، الذي ينسبون اليه كتباً الى القسيسين والعذارى » . ويضيف[3] بأن التبتّل محرّم عند الكسائيين منهم ، والزواج فرض .

هكذا قبل هجرتهم الى مكة والحجاز ، كان شعارهم : **لا رهبانية في « النصرانية »** ! في هذا الزمن كانت ديار المسيحيين تغص بالرهابين . ومعروف ان رفض الرهبانية في اليهودية — ما عدا الاسينية — كان فطرة وشريعة .

وفي هجرتهم بمكة والحجاز أشاع «النصارى» شعارهم، حتى عبر الى الاسلام، فقيل : **لا رهبانية في الاسلام**[4] . فكان الاسلام ، على مثال « النصرانية » « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية .

---

(١) Homélies Clémentines III, 26

(٢) الشامل في الهرطقات ك ٣٠ ف ٢ ع ٦ .

(٣) الشامل في الهرطقات ك ١٩ ف ١ ع ١ .

(٤) حديث شريف في مسند أحمد بن حنبل ، الجزء السادس ، صفحة ٢٢٦ .

٦ — الختان عند « النصارى »

كان الختان شعار اليهودية والتهويد؛ ويقسمون العالم الى « أهل الختان » و « أهل القلف » .

ولما بدأت الدعوة الانجيلية تغزو الأميين في سوريا والعالم الهلنستي، من « اهل القلف »، تنصر بعض الفريسيين وأرادوا فرض الختان على المسيحيين من الأميين، على خلاف تعليم بولس وبرنابا (اعمال الرسل ١٥ : ٥). فأفتى مجمع الرسل، صحابة المسيح، بتحرير المسيحيين من الختان ومن سائر احكام التوراة (اعمال الرسل ١٥ كله) .

لكن النصارى من بني اسرائيل ظلوا يمارسون الختان مع العماد، كما رأينا في كل الاخبار المدونة عنهم . جاء في (رسالة برنابا) ان الختان عادة شائعة « بين السوريين والعرب، وكهان الاصنام انفسهم . والمصريون أنفسهم يمارسون الختان » .

وبما ان الختان كان عادة عربية سامية، فلم يجدوا جهداً في ممارسته وإشاعته بدعوتهم في مكة والحجاز . وسرت العادة الى الاسلام، بدون تشريع قرآني لها؛ لكنه سُنّة عن الرسول : « الختان من خصال الفطرة[1] »؛ « الختان سُنّة للرجال، مكرمة للنساء[2] » .

وبهذا يتميز الاسلام، على غرار « النصرانية »، عن المسيحية .

٧ — الصيام عند « النصارى »، من تشريع القرآن نفسه

شرعة الصوم في القرآن شرعة كتابية : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، اياماً معدودات» (البقرة ١٨٣ — ١٨٤). وهي

---

(١) صحيح البخاري ك ٧٧ ب ٦٣ ؛ ك ٧٩ ب ٥١ ؛ صحيح مسلم ك ٢ الحديث ٤٩ و ٥٠ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : الجزء الخامس، صفحة ٧٥ .

ايضاً شرعة «نصرانية» في قوله: «شهر رمضان الذي أنزل فيـــه القرآن» (البقرة ١٨٤). قال البيضاوي: «أياماً معدودات: موقتات بعدد معلوم! او قلائل... والمراد بها شهر رمضان، او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به: وهو عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر... وقيل صومكم كصومهم في عدد الايام، لما روي ان **رمضان كتب على النصارى**، فوقع في برد او حرّ شديد، فحوّلوه الى الربيع، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله».

كان صيام النصارى الاول «اياماً معدودات» مختلف فيها، بشهـــادة ايرناوس[1]. ثم تطور الى الوضع الباقي. فرجع القرآن الى عادة «النصارى».

يمزج البيضاوي بين صوم «النصارى» شهر رمضان؛ وصوم المسيحيين أربعين يوماً في مدة خمسين لامتناعهم عن الصوم من دون القطاعة في يومي السبت والاحد. وفي تحويل رمضان الى الربيع يخلط بين رمضان النصارى على حساب الشهر القمري؛ وصيام المسيحيين على الحساب الشمسي.

وقرينة أخرى على ان النصارى كانوا يصومـــون على طريقة قومهم بني اسرائيل هي الاشارة الى بدء الصوم كل يوم: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر، ثم أتموا الصيام الى الليل»، الى المغرب (البقرة ١٨٧). وهذا تشريع تلمودي عمل به اليهود، والنصارى من بني اسرائيل: «أول النهار (للصيام) هو الوقت الذي يقدر فيه المرء ان يتبين الخيط الابيض من الخيط الازرق» (المشنة: برخوت ١ : ٢).

وقرينة تاريخية، أن الصيام عند أهل الانجيل كان مفصولا عن أسبوع الآلام قبل الفصح، والفصح ثابت؛ والصيام القمري متنقل. فجمع المسيحيون الصيام والاسبوع؛ وظل النصارى على التفريق: فكان صيامهم شهراً قمرياً.

---

(١) عند اوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٢٤ ع ١٢ — ١٣.

هكذا يظهر لنا أن تشريع صيام رمضان تشريع « نصراني » عبر الى القرآن لقوله: « كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم.. أياماً معدودات... شهر رمضان » . بدأ بالاختيار ، ونسخه بالوجوب ، لما تمّ له السلطان .

●

ثانيا — الحياة الاجتماعية

١ — المجتمع « النصراني » : الحجر على الابنة والمرأة في البيت .

كان المجتمع « النصراني » ، بحسب العقلية التوراتية الموروثة ، مجتمع رجال في ظاهره ، لا مكان ولا مكانة للمرأة فيه . فكان على الاسرائيلي ان يصلّي ثلاث مرات في النهار ليشكر الله « لانك لم تخلقني وثنياً ولا عبداً ولا امرأة[1] » .

وفيلون[2] ، المتكلم اليهودي ، الذي عاصر بدء « النصرانية » يقول في مجتمع اليهود والنصارى من بني اسرائيل : « الحياة العامة للرجال ، فيليق ان تبقى النساء في البيوت ، ويعشن محتجبات » . وفي (المكابيين) ، الكتاب الرابع المنحول (١٨ : ٧) تقول أمهم : « كنت فتاة عذراء لا أجتاز عتبة البيت الوالدي » . والمرأة المتزوجة لا تخرج الى الشارع إلا بحجاب يحجب وجهها .

مرتان في السنة كان الفتيات يخرجن الى الكروم ويرقصن ، في الخامس عشر من آب ، وفي يوم التكفير بعد الصلاة . وكانتا الفرصتين الوحيدتين التي يسمح فيهما باختلاط الشبان والصبايا للتعارف في سبيل بناء بيت . وفي عيد الخيام كان النساء والفتيات يقتحمن ساحة النساء في الهيكل ، لكن بدون اختلاط مع الرجال . وبديهي انه في الريف كان النساء والبنات يشاركن الزوج والاب في الحقل والسوق ؛ مع الحظر الشديد في أن يكلمن الغريب . ويذكر التلمود[3] ان

---

(١) التلمود : فرقة الآباء ٢ : ٦ .

(٢) في الشرائع ك ٣ مقطع ١٦٩ .

(٣) سفر الخطوبة ٧ : ٦ .

كشف المرأة عن رأسها في الشارع سبب طلاق لها ، بدون دفع المؤجل من المهر ؛ كذلك هرولتها في الشارع ؛ كذلك محادثة العابرين ؛ كذلك اذا لعنت اولاد زوجها بحضوره ؛ كذلك اذا صاحت وسمع الجيران صوتها ! خمس حالات طلاق لا مؤجّل فيها .

هذا المجتمع المغلق يفسر لنا لماذا استغرب التلاميذ ان يتحدث يسوع الى سامرية عند بئر يعقوب (يوحنا ٤ : ٢٧) . وعلى هذا المجتمع المغلق ثار السيد المسيح ، فاصطحب مع صحابته بعض النساء ، « وكنّ يبذلن من أموالهن في خدمته » (لوقا ٨ : ١ — ٣) . لكن هذه الثورة الانجيلية على المجتمع المغلق خفّفت من الاحكام التلمودية عند النصارى من بني اسرائيل ، لكنها لم تتغلب عليها .

ومع التخفيف الذي جاء به القرآن، كان **المجتمع الاسلامي صورة عن المجتمع « النصراني »** . **فالحجر في البيت شرعة** : « وقرن في بيوتكن ، ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الاولى » (الاحزاب ٣٣) ، اي قبل هجرة النصارى الى مكة والحجاز . « وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ... » (النور ٣١) .

لذلك كانت **ولادة الابنة** سبب هم وغم للأب في التلمود[١] كما في القرآن : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يعملون » (النحل ٥٨ — ٥٩) . وثورة القرآن على ذلك كثورة النصارى عليها[٢] .

وفي (تعليم الرسل ف ٢) ايضاً — وهو كتاب نصراني منحول — يقول :

---

(١) ك ٦ ف ٧ في « الندة » ع ٣١ .

(٢) تعليم الرسل ف ٢ .

«**لا تقتل أبداً أولادك**، بإسقاط، أو بعد الولادة». وهــذا هو ايضاً تعليم القرآن: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم واياكم، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً» (الاسراء ٣١، الانعام ١٥١). وهذه العادة كانت قائمة خصوصاً في وأد البنات (التكوير ٨). تلك هي صورة المجتمع «النصراني» القرآني.

٢ — الحجاب على النساء

كان النساء العربيات في الجاهلية سافرات: «ولا تبرجــن تبرّج الجاهلية الاولى» (الاحزاب ٣٣).

ولا تشرع التوراة الحجاب او الخمار. لكنه ظهر أخيراً بينهم، بشهادة المؤرخ اليهودي يوسيف[1]. وانتقل الى النصارى من بني اسرائيل. وقد حاول بولس ادخاله في المجتمع الهلنستي (١ كو ١١: ٥)، فلم يفلح لانه ليس من الدين في شيء. فكان الحجاب فارقاً بين نساء النصارى مــن بني اسرائيل، والنساء المسيحيات في العالم الهلنستي.

وانتقلت عادة الحجاب الى مكة والحجاز، مع هجرة النصارى من بني اسرائيل؛ ونزل بها القرآن. والحجاب في لغة القرآن يعني حجاب الباب (٣٣: ٥٣؛ ٤٢: ٥١؛ ٣٨: ٣٢). وحجاب الوجه، أو العنق والصدر، يسمى الخمار: «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن... ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن»! (النور ٣١). ويجب ذلك على نساء النبي وبناته، قدوة نساء المسلمين وبناتهن: «يا أيها النبي، قل لازواجك وبناتك، ونساء المؤمنين، يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى ان يعرفن، فلا يؤذين» (الاحزاب ٥٩). وإن لم يكن الوجه بعورة في الشرع فالآية تشير الى غطاء الوجه نفسه، لانها بالوجه تعرف: «ذلك أدنى ان يعرفن». فالحجاب او الخمار، في القرآن، من رواسب «النصرانية».

---

(١) العاديات اليهودية ك ٣ ف ١١ ع ٤ .

٣ — أحكام الزواج

١) **سن الزواج** للابنة كان بعد بلوغها الثانية عشرة ونصف السنة، عند بني اسرائيل. وقد يرتقي عندهم الى سن السابعة لظروف خاصة. وهذا ما جرى للنبي العربي في زواجه من عائشة بنت أبي بكر.

لا تتزوج الفتاة إلا بولي ومهْر في «النصرانية» وفي القرآن. وتعبير «المهر» لفظة عبرية (موهر) توراتية (التكوين ٣٤ : ١٢؛ الخروج ٢٢ : ١٦؛ صموئيل الاول ١٨ : ٢٥)، عبرت الى القـــرآن بلفظها ومعناها. وفي التلمود يرادف المهر «الخطوبة».

وتقسيم المهر الى معجّل ومؤجّل شرعة تلمودية[١] غايتها التضييق في الطلاق: «يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ» (النساء ١٩).

٣) **تعدد الزوجات** مباح في التوراة. وفي تطور التشريع في التلمود رأى بعضهم الاقتصار على أربع معاً: «لا يحق له اكثر من اربع[٢]». وكانت فرقة الاسينيين تثور على تفسير اليهود لاباحة الطـــلاق «لعيب أنكره عليها» (التثنية ٢٤ : ١)؛ ويعتمدون في تحريمه على آية التوراة (التكوين ١ : ٢٧) التي يعتمد عليها الانجيل (مرقس ١٠ : ٦؛ متى ١٩ : ٣٤). ولما تنصّر بعض الأسينيين، عمد النصارى من بني اسرائيل الذين يقيمون التوراة والانجيل معاً الى الحل الوسط الذي يقول به بعضهم في التلمود: «لا يحق له اكثر من اربع». فجاء في القرآن: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثـــلاث ورُباع» (النساء ٣).

---

(١) قابل ك ٣ في النساء؛ ف ١ «يبموت» ع ٦٣.

(٢) التلمود: ك ٣ «في النساء»؛ ف ١ «يبموت»؛ ع ٤٤؛ يلقوت شموني ١ : ٨٢.

(٣) قابل (وثيقة دمشق) ٤ : ٢١.

لكن التلمود كان يسمح **للملك بالجمع بين ثماني عشرة معا**. ويظهر ان النبي العربي أخذ بهذه الرخصة في تجاوز العدد المحدود في القرآن.

٤) الرجل وحده سيد الطلاق، فهو «الذي بيـــده **عقدة النكاح**» (البقرة ٢٣٧). انها شرعة توراتية، تلمودية، «نصرانية»، قرآنية.

وكان الانبياء يحرّضون على الاقلال منه، كقول ملاخيا: «وهو (الله) يبغض الطلاق» (٢: ١٦). فجاء في الحديث الشريف: «ابغض الحـــلال الى الله الطلاق[1]».

٥) كان للزوجة **حق التملك** لما تأتي به من أبيها، أو وليها (يشوع ١٥: ١٩؛ القضاة ١: ١٥) ولما تحصل عليه من هبات وإرث. لكن لم يكن لها **حق التصرّف فيه**.

ويعدد التلمود سبعة حقوق للزوجة على زوجها، لقاء ذلك: حق الغذاء، وحق اللباس، وحق المسكن، وحق الدواء، وحق الزوجية، وحق الفدية في غزو او أسر، وحق الدفن. سبعة حقوق لقاء خدمته وخدمة اولاده، لكن اجرة عملها كانت لزوجها.

وفي الشرع، للزوجة المسلمة كذلك حق التملك، لا حق التصرف.

تلك الاحكام في الحياة الاجتماعية تظهر القربى بين التشريع «النصراني» والقرآني، في «أمة وسط» بين اليهودية والمسيحية.

•

ثالثاً: الحياة الدينية والصوفية

أركان الدين في الكتاب والقرآن واحدة، وهي هـــذه الخمسة: الشهادة بالتوحيد (مع الايمان بالنبوة والكتاب)، الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج الى بيت الله على من استطاع اليه سبيلاً.

---

(١) سنن ابي داود كتاب ١٣، باب ٣؛ سنن ابن ماجه، كتاب ١٠، باب ١.

١ ــ الايمان الجامع بين « النصرانية » والاسلام

الايمان الجامع بين « النصرانية » والاسلام، في « أمة وسط » بين اليهودية الكافرة به، والمسيحية « المغالية » هو الايمان بالمسيح، كلمة الله وروح منه: « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق: انما المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله، **وكلمته** ألقاهـــا الى مريم **وروح منه** . . . لن يستنكف المسيح ان يكون **عبداً لله**، ولا الملائكة المقربون» (النساء ١٧٠–١٧١).

فالمسيح، مع كونه كلمة الله وروحاً منه، هو عبد مثل الملائكة المقربين.

وهذه المقابلة مع « الملائكة المقربين » تجعـــل المسيح « من المقرّبين » (آل عمران ٤٥).

والقرآن يجمع في التكريم الى المسيح امه، فقد « اصطفاك عـــلى نساء العالمين » (آل عمران ٤٢)؛ « وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الانبياء ٩١). وهذه هي عقيدة « النصارى » كما رأينا.

٢ ــ الصلاة عند « النصارى »

الصلاة شعار الدين، وهي التي تدل على ميزته عن سواه.

كان اليهود يفتتحون النهار بصلاة الصبح ويختمونه بصلاة المغرب. وقد اشار القرآن مراراً الى هذه العادة: « يا ايهـــا الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلا » (الاحزاب ٤١ – ٤٢)؛ « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » (ق ٣٩) . . .

وجاءت فرقة الاسينيين، ورهبانهم في أديرة قمران، فاستنّوا لأنفسهم « الصلاة الوسطى » عند الظهر. نقرأ عندهم في (كتاب السلوك[١]): « تقام

---

(١) Manuel de discipline 15:1

الصلاة عند فجر النهار ، وعندما تتوسط شمس النهار ، وعند مغرب الشمس في مقرّها المعدّ لها .

ولما تنصّر قسم من الأسينيين ورهبـانهم أدخلوا في « النصرانية » عادة « الصلاة الوسطى » . جاء في (أخنوخ الثاني ك ١٦ ف ١ ع ٣) ، وهو نصراني منحول : « ينبغي علينا ان نذهب الى بيت الرب عند الصبح ، وعند الظهر ، وعند المغرب ، لحمد الرب على كل شيء » .

فاستنّ القرآن في المدينة الصلاة الوسطى : « حافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين » (البقرة ٢٣٨) .

ومع الصلوات النهارية أخذ صحابة المسيح عنه **قيام الليل** للصلاة وترتيل الكتاب والزبور (الاعمال ٢١ : ٧) . وكانت ايضاً عادة رهبـان قمران الاسينيين[1] : «يقوم بعض اعضاء الجمعية الليل للصلاة وتلاوة الكتاب وتكبير الله» . فجلبوا معهم عادتهم لما تنصّروا . وتخبرنا (سُنّة الرسل[2]) أن النصارى الاولين أخذوا عن الرسل ، صحابة المسيح ، سُنّة قيام الليل للصلاة .

وقد بدأ محمد بقيام الليل وترتيل قرآن الكتاب : « يا ايهـا المزمّل ، قم الليـل . . . ورتّل القرآن ترتيلاً » (المزمّل ١ — ٤) . ثم نُسخ الامر (المزمل ٢٠) . وظل قيام الليل نافلة للنبي : « ومن الليل فتهجد به **نافلةً لك** ، أعسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » (الاسراء ٧٩) . ولم يكن قيام الليل عادة عربية ولا يهودية .

وكانت **قبلة النصارى** في صلاتهم الى بيت المقدس ، بخلاف المسيحيين الى الشرق . هذا ما يشهد به ايرنياوس[3] . وفي مكة اعتمد النبي العربي قبلة النصارى

---

(١) Manuel de discipline 6-7

(٢) Hyppolite de Rome: Tradition apostolique 35

(٣) الرد على الهرطقات ك ١ ف ٢٦ ع ٢ .

الى بيت المقدس؛ لكن في المدينـــة اقتضت مصلحة الدعوة لايلاف العرب وتحريض المهاجرين والانصار على فتح مكة، الى تحويل القبلة الى كعبة مكة؛ وقد أثار هذا التحويل جدلاً كثيراً (البقرة ١١٥ — ١٤٥).

وكانت **لغة الصلاة** عند النصارى لغتهم القومية، الأرامية السريانية، لا اليونانية كما عند المسيحيين، بشهادة ايريناوس[١]. فكانت صلاة العرب المسلمين بلغة القرآن القومية، **وفاتحته**، كما كان النصارى يتلون «**الصلاة الربية**» ثلاث مرات في النهار[٢].

واستقر اتقياء اليهود على الصلاة ثلاث مرات في النهار؛ ورهبان المسيحيين على سبع مرات بحسب إشارة المزمور: «سبع مرات في اليوم أسبح بحمدك» (١١٨ — ١٦٤)؛ واستقر المسلمون على الصلوات الخمس، بناءً على بعض اشارات في القرآن، فكانوا مثل النصارى أمة وسطاً بين اليهودية والمسيحية.

٣ — العماد والختان عند «النصارى»

نعرف ان النصارى من بني اسرائيل كانوا يقيمون العماد والختـــان معاً؛ وبذلك يتميزون عن اليهود وعن المسيحيين.

والقرآن نفسه لا يشرع الختان، لكنه سُنّة نبوية، كما رأينا.

فهل من ذكر للعماد في القرآن؟ في جدال «قالوا: كونوا هوداً او نصارى تهتدوا» (البقرة ١٣٥). فأجاب إن الهداية هي في الايمان بموسى وعيسى معاً، «لا نفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقـــد اهتدوا، وإن تولّوا فإنما هم في شقاق (اي هراطقة)؛ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» (البقرة ١٣٦ — ١٣٧). ويأتي قوله: «**صبغة الله، ومن أحسن**

(١) الرد على الهرطقات ك ٢٩ ف ٧.

(٢) La Didaché ch. 8

من الله صبغة، ونحن له عابدون. قلْ : أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم، ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم، ونحن له مخلصون» (البقرة ١٣٨ — ١٣٩) .

فسّره البيضاوي : « **صبغة الله** اي صبغنا الله صبغته، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ... او للمشاكلة : فإن النصارى كانوا يغمسون اولادهم بماء أصفر[١] يسمونه **المعمودية**، ويقولون : هو تطهير لهم، وبه تتحقّق نصرانيتهم. ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله (آمنا) ؛ وقيل على الاغراء؛ وقيل على البدل من (ملة ابراهيم) . (ومن أحسن من الله صبغة) لا صبغة أحسن من صبغته . (ونحن له عابدون) تعريض لهم ... وهو عطف على (آمنا) وذلك يقتضي دخول قوله (صبغة) في مفعول (قولوا) . ولمن نصبها على الاغراء والبدل ان يضمر (قولوا) معطوفاً على (الزموا واتبعوا ملة ابراهيم، وقولوا : آمنا، بدل اتبعوا) حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب » .

فنرى الخلاف القائم في فهم نصب « صبغة الله » . فالبدل بعيد؛ والاضمار غريب؛ وادخالها في مفعول (قولوا) بعيد ايضاً. فلا يبقى الا (**الاغراء**). ونحن نرى ان « صبغة الله » **جواب معترض من النصارى** ؛ فأجابهم : « ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون»؛ ويؤيد ذلك بقوله: ان اختلاف الاعمال التعبدية لا يمنع وحدة الايمان بالله، وهو ربنا وربكم (١٣٨ — ١٣٩) فالقرآن يكتفي **بصبغة الايمان من دون صبغة العماد** .

لقد اتبع محمد صيام النصارى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » (البقرة ١٨٣) ؛ وخفف في القصاص : « ذلك تخفيف من ربكم » (البقرة ١٧٨) . فقد رأى لحكمة تخفى علينا **التخفيف في العماد** الذي تذكره الآية (١٣٨)، كما حوّل قبلة الصلاة من بيت المقدس الى كعبة مكة

---

(١) ليس الماء اصفر، لكنه مصبوغ بزيت يُسكب عليه، مأخوذ من شجرة الزيتون « تنبت بالدهن وصبْغ » (المؤمنون ٢٠) .

(البقرة ١١٥ — ١٤٥) . ربما كان ذلك لاخفاء «نصرانية» الدعوة القرآنية، تأليفاً للعرب كلهم؛ وجمعهم على شعار الختان الذي يمارسونه كلهم.

٤ — المائدة والقربان، ما بين «النصرانية» والقرآن

لما قضى الرومان على هيكل سليمان، انقضى عند اليهود قربان الضحايا. وباتوا ينتظرون المسيح الذي سيأتيهم «بقربان تأكله النار» (آل عمران **١٨٢**).

وكانت فرقة الاسينيين تقول بفضل ذبائح الحمد على ذبائح الدم. ولما تنصّروا وجدوا في قربان «النصرانية» تحقيق مقالتهم.

وكان أهل الانجيل يردّدون لليهود بأن الله تعالى، بواسطة السيد المسيح، قد ابدل قربان الدم بقربان الخبز والخمر، كما يقول المسيحيون؛ او الخبز والماء، كما يقول النصارى.

وكان صحابة المسيح والتابعين لهم بإحسان يقدّمون القربان في حفلة «عشاء المحبة» على مثال المعلم. ويسمونه «الافخارستيا» اي «الحمد»، او «المائدة المقدسة»، او «مائدة الرب» (١ كو ١٠ : ٢١) . وكانت الافخارستيا تقام في حفلة تسمّى «عشاء الرب» (١ كو ١١ : ٢٠) . لكن المسيحيين أقلعوا عن عادة العشاء «للشقاقات» التي كانت تجري فيها، منذ تنديد بولس بها (١ كو ١١ : ١٧ — ٢٢) . لكن العادة ظلت سارية المفعول عند النصارى، وغلب عليها اسم «مائدة الرب»، ومع انحراف ايمانهم «بالرب يسوع» اسم «**المائدة**» على العلمية والاطلاق. وكانت حفلة العشاء، بعد تقديم القربان، تقتصر على الحليب والعسل والفواكه، كما نرى في المصادر «النصرانية[1]».

ونرى في القرآن ان الصراع على حقيقة المسيح الموعود، وعلى دلالته بشعار القربان لم يزل قائماً: فهم ينتظرون النبي الآتي «بقربان تأكله النار»

(آل عمران ١٨٢) ، **والنصاوى مع القرآن** يرون ان المسيح هو عيسى ابن مريم، وان آيته الكبرى هي قربان المائدة (المائدة ١١٥ — ١١٨) . ونشعر من قول عيسى ابن مريم : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً ، لأولنا وآخرنا ، وآية منك » ، انه يشير الى القربان الذي يعيّد به النصارى كلّ أحد ؛ وأن هذا القربان وهذه المائدة لم يزالا يتجدّدان الى يوم : « آخرنا » .

لكن ، بما انه يحتفي بسر المائدة تلك الحفاوة البالغة التي تجعله آية المسيح العظمى ، كيف اختفى من الاسلام ، والقرآن « يقتدي بهداهم » ؟ إن الحكمة الخفية التي املت نسخ العماد ، هي نفسها ألغت القربان الروحي ، للاعتماد عـــلى الضحية السنوية على عرفات في موسم الحج . إنها تعريب « النصرانية » أكثر مما فعل النصارى من قبله . وإلغاء القربان والعماد يقوم على إلغاء الكهنوت .

☆☆☆

خاتمة الابحاث السابقة

« النصرانية » هي « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية

منذ نشأتها ، انقسمت الدعوة الانجيلية الى سُنّة المسيحيين من الأمميين ، والى شيعة النصارى من بني اسرائيل ، للخلاف الاكبر والاول بينهم على صلة الانجيل بالتوراة وشريعتهـــا . وزاد الخلاف باختلاف القومية فيما بينهم ، واختلاف الثقافة .

لقد حسم مؤتمر الرسل ، صحابة المسيح ، الخلاف بتحرير المسيحيين من الشريعة والختان ، وترك النصارى من بني اسرائيل احراراً في **إقامة التوراة والانجيل معا** . فأقاموا التوراة والانجيل معاً ، معتبرين موسى وعيسى واحداً في الدعوة . ورأوا في الانجيل **تصديقاً للتوراة وتفصيلاً** : بخلاف المسيحيين الذين

رأوا فيه **تأويلاً وتعديلاً** ، يطوّرها من السلبية الى الايجابية ، ومن الظاهرية الى الباطنية ، ومن الحرفية الى الروحية ، ومن التشريعية الى الحياتية .

١ — ولانحراف النصارى من بني اسرائيـــل عن سُنّة الرسل في مؤتمر اورشليم عام ٤٩ ، أصبحوا في نظر اهل الانجيل بجميع فرقهم «**شيعة النصارى**». فهم يهود بحسب قوميتهم ، ونصارى بحسب دينهم . لذلك يعرفون بالتاريخ باسم «**اليهود النصارى**» . فلا اليهود اعترفوا بهم ، ولا المسيحيون شهدوا لهم . قال فيهم جيروم ، علامة القرن الرابع ، كما نقلنا : «ارادوا ان يكونوا يهوداً ومسيحيين : فلا هم يهود ، ولا هم مسيحيون» ! وأيده ابيفان الاسقف ، كما نقلنا ايضاً : «انما هم يهود ، لا غير» ! وذلك بسبب التهويد المتواتر والمتصاعد للانجيل ، في العقيدة والشريعة والصوفية .

هكذا عرفتهم الدعوة القرآنية : انهم «طائفة من بني اسرائيـــل آمنت بالمسيح» (الصف ١٤) ؛ «من قوم موسى ، أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) . وبما ان القرآن ، في انتسابه المطلق الى الكتاب وأهله ، يكفر باليهودية ، وينعت المسيحية «بالغلو في دينكم» ، فهو ينتسب الى هذه «الامة الوسط» بين اليهودية والمسيحية ، النصارى من بني اسرائيل . **وجاءت الدعوة القرآنية تأييداً لها** : «فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤) . لذلك يسميهم بإطراء «الراسخين في العلم» (آل عمران ٧) ، «أولي العلم قائماً بالقسط» (آل عمران ١٨) ، «المقسطين» ، «المحسنين» في العلم والايمان — وأساء مَن فهمها تعابير لغوية ؛ انها تعابير اصطلاحية . ومصدر آخر ، من متشابه القرآن : فهو يسمي النصارى من بني اسرائيل ، والمسيحيين من الاميين جميعاً «نصارى» ؛ لكن الفرق يُعرف من القرائن ، حيث يأتلف معهم ، او يختلف . ومصدر ثالث للتشابه في فهم القرآن هو انه يسمي اليهود والنصارى جميعاً «بني اسرائيـــل» ، ويتضح المعنى من القرائن ، بحسب التنديد او التأييد . وتلك المتشابهات الثلاث في فهم القرآن فاتت المفسرين والمستشرقين على السواء .

٢ — وفي دولة الروم ، قبل هجرة النصارى الى الحجاز ، **كانوا بين نارين :** نار اليهود ، بني قومهم؛ ونار المسيحيين، بني دينهم . فانزووا على انفسهم يتمادون في تهويد الانجيل . وزادهم في ذلك النكبات التي حلت بهم .

فبعد نكبة بني اسرائيل الاولى عام ٧٠ ميلادية ، رأى الاسينيون من اليهود تحقيق نبؤة المسيح في خراب الهيكل والمدينة المقدسة ، فتنصر اكثرهم. وجمعوا معهم الى « النصرانية » علم الكلام الذي يميّزهم ، الغنوص ، « العلم » على الاطلاق — كما ثبت من مخطوطات قمران — وصار النصارى يقرنون « العلم والايمان[1] » كما في القرآن الذي يسمّيهم « **الذين أوتوا العلم والايمان** » (الروم ٥٦) .

وبعد النكبة الثانية عام ١٣٥ ، وتحريم بيت المقدس على جميع بني اسرائيل من يهود ونصارى ، تشتتوا في الدولة الرومانية ، خصوصاً في سوريا ومصر والاناضول . وزالت عند اليهود دولة الفريسيين ، وقامت دولة الربانيين الذين جمعوا التلمود . فزاد البغض والحقد على النصارى من بني اسرائيل — ومن ورائهم على المسيحيين. وقد وضع أهل التلمود في الصلاة اليومية ، «الثاني عشرة» **لعنة خاصة بهم** ، كما نقلها الكاتب اليهودي سيمون[2] : إن النصارى — ومن ورائهم المسيحيين — هم من أنجس الامم : فخبزهم خبز السامريين ؛ وخمرهم خمر الفريسيين؛ وكتبهم كلها سحر ! **فلا يحق التعامل معهم على الاطلاق** . فلا بيع ولا شراء ! لا اخذ ولا عطاء ! لا تعلّم ولا تعليم ! لا تطبّب ولا تطبيب ! وعند الحاجة القصوى ، يمكن أكل ذبيحة المشركين ، اما ذبيحة النصراني فلا تحلّ على الاطلاق . وهذا التحريم المطلق الذي ينم على الحقد المطبق ، يفسّر لنا — بالاضافة الى موآمراتهم على الدعوة القرآنية — عداء القرآن الساحق الماحق لليهود ، في تأييده المطلق « للنصرانية » (الصف ١٤) .

---

(١) Clément d'Alexandrie: Stromates III, 4, 26

(٢) M. Simon: Verus Israël, Paris 1948

مع ذلك فقد تأثر النصارى من بني اسرائيل بالتلمود وربّانييه، بسبب مبدئهم في اقامة الانجيل والتوراة معاً. ففي عهد الهيكل، كان الكهنوت وعلم الكتاب محور الدين، ولكن بعد خراب الهيكل، وتحريم ايلياء (اورشليم القديمة) على بني اسرائيل جميعاً، **صارت الشريعة التوراتية محور الدين والقومية**، وصار فقهاء التلمود حملة الشريعة وحماتها. وسيطرت على القوم من يهود ونصارى الروح الفقهية في الشريعة. فقد تسرّبت تلك الروح الفقهية التشريعية الى «النصرانية»، فجعلت أحكام التوراة تسيطر على ايمان الانجيل، حتى التهويد. وحمل القوم معهم الى الحجاز تلك الروح الفقهية التشريعية التي نرى آثارها في القرآن.

هكذا وجدت «النصرانية» نفسها بين نارين، نار اليهودية ونار المسيحية. وبسبب تأثير النصرانية على المسيحية، كما يظهر من الجدل الديني في القرنين الرابع والخامس، عندما أعلنت المسيحية دين الدولة بين الروم، بالدستور التيوضوسي، في منتصف القرن الخامس، اضطر النصارى من بني اسرائيل — وقد سبقهم اليهود الى دولة الفرس حيث صاروا عيوناً لها واعواناً — الى **الهجرة الى مكة والحجاز**، ملجأ جميع الفارين من دين الدولة. هذا ما سنراه بعد الآن **في المصادر الاسلامية**.

٣ — فكل الابحاث التي تقدمت أظهرت لنا ان **النصرانية «أمة وسط»** بين اليهودية والمسيحية، تقيم بخلافها الانجيل والتوراة معاً، باعتماد عيسى وموسى معاً، في ايمان واحد وشرع واحد، في عقيدتها وشريعتها وصوفيتها.

فاعتبر النصارى الانجيل تصديقاً للتوراة وتفصيلاً؛ لا تأويلاً وتبديلاً.

وجمعت الايمان بموسى وعيسى على صعيد واحد، بلا فرق ولا تفريق.

وفهمت التثليث الانجيلي على ضوء التوحيد التوراتي؛ وفي تعبيرها عنه **بلغة ملائكية** صار الروح القدس جبريل؛ وكلمة الله «روحاً منه»، من «الملائكة المقربين»، يسمونه احياناً ميكال.

وصلّت لله ، بالمسيح ، في قبلة الى اوورشليم ، بخلاف المسيحيين ، الى الشرق .

وتلك « الامة الوسط » بين اليهودية والمسيحية كانت تعتبر نفسها أمة عيسى الناصري ، وتتسمّى « النصرانية » باسمه ، خير أمة أخرجت للناس . ومنذ هجرتهم الى مكة والحجاز ، بدأوا بالدعوة ، فكانوا على أساس نهضة الجاهلية في التجارة والادب والدين ، حتى انتهوا الى الدعوة القرآنية .

والنبي العربي « أمر بأن يكون من المسلمين » من قبله (النحل ٩٠) ، « وبهداهم اقتده » (الانعام) ؛ فكانت الدعوة القرآنية تأييداً لهذه النصرانية حتى الظهور المبين (الصف ١٤) . وقد وارى عن تلك **« الامة الوسط »** بمكة بالدعوة **« للأمة الواحدة »** التي تؤمن بالمسيح وأمه آية للعالمين (الانبياء ٩٢ ؛ المؤمنون ٥٣) . ولما استتب الامر في المدينة ، صرّح « بالأمة الوسط » في الدعوة القرآنية « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » (البقرة ١٤٣) ، مع النصارى من بني اسرائيل ، أولي العلم قائماً بالقسط ، الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) .

تلك هي « النصرانية » ، « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية ، كما سنراها في المصادر الاسلامية ، القرآن والحديث والسيرة .



الفصل الثالث

«النصرانية» في مكة والحجاز، قبل الاسلام

(من وحي القرآن والحديث والسيرة)

توطئة

المسيحية و« النصرانية » في جزيرة العرب قبل الاسلام

زعم حسين هيكل في (حياة محمد ص ٤١) انه « قد بقيت بلاد العرب كلها، واليمن معها ، على الوثنية ، دين آبائها وأجدادها، إلا قليلاً من القبائل التي لانت للدعوة المسيحية » . وهذا زعم متواتر عند القوم . وقد يجاريهم في ذلك بعض المستشرقين[1] ، بأنه لم ينفذ الى مكة إلا نفر قليل من المسيحيين .

والشاهد الاكبر على هذه الفرية التاريخية هو **الشعر الجاهلي** ، ديوان العرب، والمبتدأ والخبر عنهم: فالشعر الجاهلي لا أثر للوثنية فيه. وهو أقرب الى التوحيد منه الى الشرك نفسه[2] .

فالدعوة الكتابية كانت مسيطرة على الجزيرة كلها، وعلى الحجاز نفسه. وقد ختم الدكتور جـــواد علي ، عضو المجلس العلمي العراقي ، كتابه القيّم « تاريخ العرب قبل الاسلام » بهذه النتيجة الحاسمة : « **فعبادة أهل مكة هي عبادة محمد ، وتوحيدهم توحيد اسلامي ، او توحيد قريب من التوحيد الاسلامي**[3] » .

وفي الجاهلية التي سبقت الاسلام كان **الصراع بين اليهودية والمسيحية** ، للسيطرة على الجزيرة العربية ، قائماً على قدم وساق ، بين اليهودية ، تؤيدها دولة الفرس ، وبين المسيحية، تؤيدها دولة الروم من الشمال ، مستعينة بالحبشة من الجنوب . هذا الصراع الذي يروي التاريخ ظواهره في اليمن ، كان قد انتقل قبيل الاسلام الى الحجاز نفسه .

---

(١) Blachère:le Probléme de Mahomet p. 25

(٢) قابل كتابنا : القرآن والكتاب ـ القسم الاول : بيئة القرآن الكتابية ص ١١١—١١٧.

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ٤٢٤ و ٤٢٨ .

فسيطرت الدعوة اليهودية في يثرب (المدينة) ثم في منطقة خيبر وفدك؛ وسيطرت المسيحية في مكة نفسها، وأنشأت في نجد الحجاز دولة آل كندة، أسرة امرئ القيس المالكة. وتطاول الصراع حتى جاء الاسلام وحسمه لصالح «النصرانية»، تلك الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحيـــة، كما نراه في هذا الكتاب.

١ – سيطرة المسيحية على أطراف الجزيرة

قبل الاسلام، كانت المسيحية مسيطرة على الجزيرة العربية من الشمال مع دولة الغساسنة في بصرى، ودولة المناذرة في الحيرة، ومن الجنوب في اليمن مع الحكم الحبشي. وكان على الساحل الشرقي من الجزيرة خمس اسقفيات. ودخلت اليهودية الى الجزيرة من الشمال ومن اليمن لتنافس المسيحية، بحماية الفرس. وكان المشهد الاول من الصراع، في اليمن؛ والمشهد الثاني في الحجاز مع الدعوة القرآنية.

نرى صدى ذلك في القرآن نفسه. فقد خلّد، في سورة (البروج) ذكرى شهداء نجران من المسيحيين عام ٤٢٣. ويذكر القرآن ايضاً محاولة الحبشة غزو مكة في عام الفيل ٥٧٠، فقاوم أهلها بدافع العصبية القومية، ولا شك ايضاً بتحريض «النصارى» فيها، وكانوا هاجروا اليها من دولة الروم. فأمطر الله عليهم برداً، كأنه «حجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول» (سورة الفيل).

ويذكر القرآن أيضاً، في سورة (الروم) فرح المشركين بانتصار الفرس على الروم، ويعد بانتصار الروم عـــلى الفرس، «وحينئذ يفرح المؤمنون». فالنفوذ المسيحي يخيّم على الحجاز من أطراف الجزيرة.

وعن المسيحية في اليمن وتغلغلها في قبائله، لدينا شهادة اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٨): «وأما من تنصر من اليمن فطيء وبهـــراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم».

وقد امتدت المسيحية من الامصار الى الاعراب. يذكر المؤرخ الرومي

سوزومين[1] أنه منذ القرن الرابع «كان في بعض قرى العرب ودساكرهم أساقفة» . ولا يقصد سوزومين الولاية العربية الرومانية التي قامت محل دولة الانباط ، فحسب ؛ بل الاعـــراب الضاربين في الصحراء العربية ؛ وكان الروم يسمونهم «اساقفة المضارب»[2] . وقد وقّع بعضهم على اعمال المجامع المسكونية الاولى ؛ في زمن الجاهلية باسم «فلان اسقف أهل الوبر» ، أو «فلان اسقف القبائل الشرقية المتحالفة» ، أو «فلان أسقف عرب البادية». وهذا يعني اوساطاً مسيحية منظمة بين اعراب الصحراء أنفسهم .

وتلك القرائن التاريخية والقرآنية تدل على أن المسيحية المسيطرة على أطراف الجزيرة ، بدأت تتغلغل في الحجاز ، وتتحفز للسيطرة عليه ، قبل اليهودية ، التي كانت في القرن السادس تتداول الحكم في اليمن مع الحبشة. لكن «النصرانية» كانت هاجرت الى مكة والحجاز ، ودخلت «أمة وسطاً» بين اليهودية والمسيحية، وتغلبت عليهما بفضل الدعوة القرآنية .

٢ — «النصرانية» في مكة والحجاز ، تبعث النهضة الجاهلية

بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة عند الروم ، هاجـــر اليهود الى دولة الفرس يعتصمون بها ، ويعملون لها بين العرب. ووقع النصارى من بني اسرائيل بين نارين ، نار بني قومهم اليهود ، ونار بني دينهم المسيحيين ؛ فلم يبق لهم من ملجإ سوى الحجاز الذي تحميه صحاريه من استعمار الدولتين ، كما عصمته حكمة بنيه في وقوفهم على الحياد الايجابي بين العملاقين ؛ وهذا الحياد هو الذي حمل أهل مكة على ردّ الدعوة القرآنية : «إن نتبع الهدى معك ونتخطف من أرضنا» (القصص ٥٧) ؛ لأن الدين والدولة متلازمان في عرف الاقدمين ، والناس على دين ملوكهم ، فالولاء الديني دليل الولاء السياسي .

---

(١) تاريخ الكنيسة ، في مجموعة آباء اليونان ك ٦٧ ص ١٤٢٦ .

(٢) باليونانية ἐπίσκοποι τῶν παραμβολῶν ؛ واسمهم يدل عـــلى تنقلهم مع عربهم في مضاربهم .

لقد صادفت هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز، في منتصف القرن الخامس، **بدء النهضة الجاهلية**. ولا نعرف سبباً في التاريـــخ، ولا في الادب العربي، يفسّر لغز النهضة الجاهلية في الحجاز: فلا ولادة ولا مخاض بدون سبب. فكل الاثار والاخبار عند العرب انفسهم تدل على نوم أهل الحجاز نومة أهل الكهف، قبل هجرة النصارى من بني اسرائيل اليهم. ولا سبب في التاريخ يدل على يقظتهم ونهضتهم إلا هجرة هؤلاء النصارى: فكانوا على أساس النهضة الجاهلية في السياسة والتجارة والثقافة والديانة.

ومن القرائن القرآنية نرى ان النصارى من بني اسرائيل أطلقوا في مكة والحجاز لنشر دعوتهم **ثلاث حركات**:

اولاً: الحركة الحنيفية. كان المسيحيون في سوريا يسمون النصارى من بني اسرائيل «**حنفاء**» اي منحرفين عـــن دين الامة، بلغة السريان. فاتخذوا هم اللقب شعاراً لهم على «دين الحق» الذي يزعمونه لانفسهم. فأطلقوا في الحجاز الدعوة «النصرانية» باسم «الحنيفية»، وربطوها باسم ابراهيم جدّ اسرائيل واسماعيل، وأسموها «ملة ابراهيم». ونرى «نصرانية» الحركة الحنيفية، وتخبط الناس في موضوعها ومعناها، بما يقولونه في زعيمها ورقة بن نوفل، قس مكة. فتارة يجعلونه يهودياً، وتارة مسيحياً، واخرى مستقلاً. وكان ذلك كله لانه «تنصّر» مع النصارى من بني اسرائيل. فتاه الناس بين القومية والمذهب في تعبير «النصارى من بني اسرائيل». فكان «الحنفاء» العـــرب متنصرين، مستقلين عن اليهودية والمسيحية، في «امة وسط» بينهما.

ثانياً: الحركة الاسلامية. ثم سمى النصارى من بني اسرائيل دعوتهم «**الاسلام**»، وذلك قبل القرآن الذي يشهد: «هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨). وذلك في محاولة منهم **لتعريب** «**النصرانية**» باسم الاسلام، وتأليف العرب اليها، بحجة أنها ليست اليهودية، ولا المسيحية؛ فلا يتعرضون فيها لغضب الفرس مع اليهود، ولا لغضب الروم مع المسيحيين.

ونرى اقتران الصفتين بتواتر في القـــرآن ، في إمامة ابراهيم : « ماكان ابراهيم يهودياً، ولا نصرانياً (مسيحياً) ولكن كان **حنيفاً مسلماً**، وماكان من المشركين» (آل عمران ٦٧) . ومحمد في هدايته يقول عن نفسه : «وأمرت أن اكون من المسلمين» الموجودين قبله (النمل ٩٠) ، كما جاءه الامر : «أقم وجهك للدين حنيفاً » (يونس ١٠٥؛ الروم ٣٠) . فالحنيفية والاسلام صيغتان « للنصرانية ».

ثالثا: الدعوة القرآنية. سنرى في هذا الكتاب ان الدعوة القرآنية هي دعوة النصارى من بني اسرائيل ومَن « تنصّر » معهم من العرب ؛ فهم « اولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) . والدعوة القرآنية « تأييد » **للطائفة من بني اسرائيل** التي آمنت بالمسيح ، على « عدوهم » الطائفة اليهودية التي كفرت به : « فأيدنا الذين آمنو على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . واليك تفصيل ذلك .

٭٭٭

بحث اول

الدعوة الانجيلية في الحجاز
من وحي القرآن والتاريخ

مصادرنا ، لمعرفة شيوع الدعوة الانجيلية في مكة والحجاز ، ثلاثة : التاريخ والشعر الجاهلي والقرآن.

لم يحفظ لنا **التاريخ** ، الذي ذهبت آثاره في غمرة الثورات والفتوحات ، إلا النذر اليسير عن حقيقة الوضع في الجاهلية العربية . والصورة القاتمة التي تذكرها **المصادر الاسلامية** عن الجاهلية القائمة على الشرك الحاكم المتحكم فيها ، شرك

الوثنية وعبادة الاصنام ، صورة مغرضة غير صحيحة . وقد نقلنا شهادة الدكتور جواد عليّ في ختام كتابه القيم «تاريخ العرب قبل الاسلام» ان توحيد اهل مكة كان قريباً من التوحيد الاسلامي» . وهذا بفضل الدعوة الكتابية ، من مسيحية ويهودية و « نصرانية » التي نقلتهم من الوثنية الى التوحيد . واذا سمى القرآن توحيدهم « شركاً» بالله ، فما ذلك إلا لانهم كانوا يتخذون الملائكة « شفعاء » او « اولياء » لهم ، « زلفى » الى الله (الزمر ٣) .

والشاهد الاول على توحيد اهل مكة والحجاز هو الشعر الجاهلي ، الذي « يُهمل ذكر الاصنام فيه »[1]. وحديث شريف يقول : « أصدق كلمة قال شاعر كلمة لبيد» : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » . فالنزعة التوحيدية هي الظاهرة الدينية التي تظهر عليه ، متى حضرت .

أما **الشاهد الاكبر** فهو القرآن . وبيئة القرآن نفسه بيئة كتابية : فحديث القرآن المتواصل مع أهـــل الكتاب شهادة قاطعة على وجودهم بمكة ، وعلى استعلائهم على العرب بالتوحيد الكتابي . والقرآن ينتسب انتساباً كاملاً مطلقاً الى الكتاب وأهله ، حتى ليعدّ نفسه «تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب» (يونس ٣٧) .

وهدف القرآن ، بعد تعليم العرب « الكتاب والحكمة » ، بشرعه لهم دين « ابراهيم وموسى وعيسى » ديناً واحداً بلا تفريق (الشورى ١٣) هو انه «يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦) اي المسيح والانجيل. وهذا اشعار بأنه يدخل فريقاً في الصراع الديني بين أهل الكتاب .

كان الصراع بين اليهودية والمسيحية . فاستقلت اليهودية بيثرب (المدينة) ؛ وعبرت المسيحية الى مكة ، حتى **استولت على الكعبة نفسها** . والذين يجهلون التاريخ يستغربون هذا التصريح . فقد نقل الاصفهاني في (الاغاني ١٣ : ١٠٩)

---

(١) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ٤١٥

ان البيت الحرام ، على أيام عبد المسيح بن باقية بن جـــرهم ، سادس ملوكهم في مكة ، « **كان يومئذ لاسقف عليه** » .

ولما هاجر النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز **تحوّل الصراع الأكبر** الى بني اسرائيل انفسهم ، فكان بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل . هذا هو الصراع الذي نرى مشاهده في القرآن بمكة والمدينة . فإن الدعوة القرآنية قامت لتأييد النصرانية على اليهودية (الصف ١٤) ، ومن بعد في آخر العهد المدني على المسيحية العربية كما نرى من جدال وفد نجران ، ومن غزوتي مؤتة وتبوك ضد عرب الشمال المسيحيين، وكان اولاء وأولئك أهل بدعة في المسيحية الرسمية ، في دولة الروم .

هذا الواقع التاريخي **لسيطرة الدعوة الانجيلية في مكة والحجاز** ، قبل الاسلام ، نرى آثارها في القرآن نفسه. لقد استخلص الاستاذ دروزة ، من الآثار الاسلامية ، والقرائن القرآنية ، هـــذه الشهادة التاريخية لانتشار النصرانية في الجزيرة العربية حتى بلغت الحجاز ومكة — وهو لا يميّز بين المسيحية ، والنصرانية الاسرائيلية .

قال في كتابه (عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة) : « أما النصرانية فقد وصلنا في الاستدلال الى القول: **بوجود جالية أعجمية نصرانية في مكة، واحتمال وجود جالية أعجمية نصرانية في يثرب** ؛ وبترجيح **وجـــود عرب متنصرين** مستقرين في بيئة النبي ص وعصره أيضاً » (ص ٤٥٢) . وسنرى عن قريب تفصيل هذا التعميم .

وقال : « اذا كان مدى انتشار النصرانية في **بيئة النبي ص الخاصة ضيّقاً** ، فإن هذا لا يعني أن تأثيرها كان ضعيفاً فيها. فنحن نعتقد ان النصرانية — كاليهودية — كانت مصدراً من **مصادر المعارف والافكار الدينية** التي كانت عند عرب الحجاز ، والتي استدللنا عليها من آيات عديدة أوردناها . . . دلائل على ما كان عند عرب الحجاز ، **وعرب مكة خاصة** ، من إلمام غير يسير بالنصرانية وعقائدها وقصصها

واشكالات ولادة المسيح ص وبنوته وصلبه ، وما كان فيها من مذاهب وآراء .
وطبيعي أن يكون لهذا كله ردّ فعل في نفوسهم ومعارفهم وعقولهم وعقائدهم...
وان مشركي مكة ذهبوا الى ان النبي ص نفسه قـــد تعلّم وتأثر بهم على ما
حكته آيتا (النحل ١٠٣) و (الفرقان ٤) .

« ولا ننسى كذلك تلك **الالوف المؤلفة من متنصرة العرب** ، الذين كان
الحجازيون خاصة يفدون ويروحون اليهم في اسفارهم ورحلاتهم ، ويخالطونهم
مخالطة الشقيق ، ويتفاهمون معهم بلسانهم العربي المشترك . ولا ننسى ان كثيراً
منهم كانوا يشاهدون موسم الحج وأسواقه ، ومنهم من كان يبشر ويخطب
كقس بن ساعدة .

« وان الصلات والتقاليد القبلية كانت تجمع النصراني من العرب برابطة
الآباء والاجداد جمعاً وثيقاً تتصّل أواصره وتستمر مظاهره . وأنه كان كثير
من العرب غير النصارى ، وخاصة الحجازيون ، يصهرون الى العرب النصارى ،
وبالعكس ، فتزداد هـــذه الاواصر والمظاهر قوة ولحمة . وان كل هذا من
شأنه أن يهيء **لعرب الحجاز** الفرص الكثيرة للاطلاع والاستماع والدرس
والتأثر » (ص ٤٥٧) .

« ولقد استلهمنا من ذلك **ان** من بين الذين اتصلوا بالنبي ص عرباً ، كما ان
غير العرب كانوا يفهمون العربية . والقرائن القرآنية تلهمنا من جهة ، والتاريخ
المتصل بالمشاهدة من جهة أخرى ، يخبرنا بأن **الآفاً مؤلفة من العرب كانوا نصارى** ،
ومنهم البدو ومنهم الحضر . **وانهم كان لهم دول** وشأن على مسرح بلاد الشام
والعراق ؛ **ولهم أساقفتهم ورهبانهم وقسيسوهم وكنائسهم وأديارهم الكثيرة** .

« واستتباعاً لذلك ، فإن من السائغ أن يقال أنه لا بدّ من ان يكون بعض
أسفار العهد القديم والجديد ، وان لم يكن جميعها ، **قد ترجمت الى العربية قبل
الاسلام** ، وضاعت فيما ضاع من آثار عربية مدوّنة ، في غمرات الثورات والفتن
والفتوح . . . ونرى أن **هـــذا هو الذي يستقيم مع وجود عشرات ألوف**

النصارى، وآلاف الرهبان والقسيسين العرب، ومئات الكنائس والاديار العربية» (ص ٤٦٨).

نزيد على الاستاذ ان الحديث الصحيح للشيخين يؤكد بأن ورقة بن نوفل، قس مكة، كان يترجم الكتاب والانجيل من العبرانية الى العربية، وذلك بجوار محمد وحضوره. وسنرى تقييم هذه الشهادة. لذلك نستغرب ان يكرّر في الطبعة الرابعة لكتابه (روح الدين الاسلامي) السيد عفيف عبد الفتاح طبارة، بكل جهل للتاريخ والحديث والقرآن نفسه قــوله: «ومن ناحية أخرى فقد ثبت تاريخياً أنه لم تكن توجد هناك ترجمة عربية للانجيل والتوراة في عصر النبي ص» (ص ٤٣١). ألا يستحي من شهادة القرآن، وهو يتحدى اليهود: «قل فأتوا بالتوراة فاتلوها، إن كنتم صادقين» (آل عمران ٩٣). فهل يتحداهم ان يتلوها أمام العرب بالعبرية أم بالعربية؟ لا شك بالعربية، وإلا لم يكن التحدي حاسماً مفحماً. وعدم بقاء ترجمة عربية من قبل الاسلام، لا يدل على انها لم تكن، فقد ذهبت «في غمرات الثورات والفتن والفتوح»، كما يقول دروزة.

وفي عدد النصارى بمكة، أم القرى، عاصمة الشرك العربي، يضيف دروزة: «ونرجح ان **عددهم لم يكن يتجاوز المئات القليلة**». سنأتي على تقييم هذه الشهادة. هنا نقول: هل كان عدد أهل مكة يتجاوز آلافاً قليلة جداً؟ وعدد «مئات قليلة» من نصارى صناع وتجار ومبشرين، وعلى رأسهم اسقفان أو قسّان، ورقة بن نوفل، وعداس مــن نينوى، كما تشهد جميع السير النبوية؛ يؤيدهم الحصار المسيحي للحجاز، من أطراف الجزيرة كلها؛ كما يؤيدهم قيام دولة آل كندة المسيحية في نجد؛ كما يعزز دعوتهم وجود الاحابيش، اولئك الجنود المرتزقة؛ ألا يكفي لعمل انقلاب اجتماعي ديني نصراني في مكة والحجاز مع الوقت؟ بلى، وقد تمّ هذا الانقلاب الديني أولاً بتغلغل المسيحية؛ وثانياً وخصوصاً بهجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز، على مراحل، حتى تسلم محمــد نفسه إمامة «النصارى» بمكة، خلفاً لنسيبه قس مكة،

ورقة بن نوفل، فكان «أول المسلمين»، ففرض «النصرانية» على العرب، بالدعوة القرآنية.

هذا الواقع الثلاثي يدعم صحته **الوضع السياسي في الحجاز** — والناس على دين ملوكهم عند الاقدمين. كانت عمارة البيت العتيق في بني جرهم. وفي زمن عبد المسيح بن باقية، سادس ملوكهم بمكة، كانت عمارة البيت «يومئذٍ لاسقف عليه» (الاغاني ١٣ : ١٠٩). فالوالي الزمني بمكة اسمه عبد المسيح؛ والوالي الديني على الكعبة اسقف. وأهل التواريخ يغفلون عن هذا الواقع التاريخي.

ثم غلب بنو قريش على عمارة البيت. وهنا ننقل عن ابن خلدون[1] الاشارات السياسية التي تدل على سيطرة المسيحية على مكة والكعبة على زمن قريش. قال: «إن ولاية الغوث بن مرة على البيت كانت من قبل ملوك كندة». **وكان والي الحجاز للتبابعة حجر آكل المرار** (ص ٥٨٠).

والتبابعة من حمير، ما بين الغزو الحبشي الاول، والغزو الحبشي الثاني عام ٥٢٣ لليمن على دين سادتهم من الحبشة، اي على المسيحية. كان الحارث الرائش جدّ الملوك التبابعة (ص ٨٩)؛ وكان يسمى تبعاً (اي امبراطوراً بلغة العصر)؛ «**وكان مؤمنا**، فيما قال السهيلي» (ص ٩٥). وتبّع الآخر، تبان أسعد، هو حسّان تبّع، وهو أول من كسا الكعبة، وجعل لها باباً ومفتاحاً (ص ١٠٠). وكان حسان تبع قد زوج بنته من عمرو بن حجر آكل المرار، من ملوك كندة، في شرقي اليمن؛ فولدت له الحارث بن عمرو. «وملك بعده تبع بن حسّان، وهو الذي بعث ابن أخيه الحارث بن عمرو الكندي الى ارض بني معد بن عدنان بالحجاز فملك عليهم» (ص ١٠٩).

«وكان التبابعة يصاهرون بني كندة، ويولونهم على بني معد من عدنان بالحجاز. فأول من ولي منهم حجر آكل المرار، ابن عمرو بن معاوية الاكبر.

---

(١) التاريخ : نشر دار الكتاب اللبناني، المجلد الثاني.

ولاه تبع بن كرب الذي كسا الكعبة. وولي بعده ابنه عمرو بن حجر. ثم ابنه الحارث المقصور، **وهو الذي أبى ان يتزندق مع قباذ ملك الفرس**. فقتل في بني كلب، ونُهب ماله. وكان قد ولى أولاده على بني معد، فقتل أكثرهم. وكان على بني أسد منهم حجر بن الحارث. فجار عليهم فقتلوه. وتجرّد للطلب بثأره ابنه امروء القيس. وسار الى قيصر» يستنصره (ص ٥٧٦). وامروء القيس، صاحب المعلقة الاولى، ينضح شعره بالتوحيد والميل الى المسيحية؛ واستنصاره بقيصر يؤيد ذلك. وقيل بأن قيصر ولاه على فلسطين ومات فيها.

فكل تلك الاشارات تدل على مسيحية ملوك كندة، وهم ملوك الحجاز؛ وولاية البيت العتيق كانت من قبل ملوك كندة (ص ٥٨٠). **فكانت الحالة السياسية تؤيد سيطرة المسيحية على الكعبة**. وآخر برهان هو تجديد صور الملائكة والانبياء والمسيح وامه على جدرانها الداخلية، عند تجديد البناء قبل البعثة بخمسة أعوام.

تلك هي **الصورة التاريخية الحقيقية** التي يدل عليها القرآن نفسه، والمصادر الاسلامية الموثوقة، والتاريخ المقرون بالمشاهدة العيان، لسيطرة الدعوة الانجيلية على مكة والحجاز، قبل الاسلام.

☆☆☆

بحث ثان

« النصرانية » في مكة والمدينة والحجاز — من وحي السيرة

رأينا ان أهل الانجيل قد انقسموا الى **سنة وشيعة**: سنّة المسيحيين من الاميين، بجميع فرقهم من ملكية ويعقوبية ونسطورية، وشيعة النصارى من بني اسرائيل الذين تشيعوا للتوراة فأقاموا أحكامها مع الانجيل، ولإمامة آل

بيت المسيح فأمروهم قسيسين عليهم من دون الرسل صحابة المسيح وخلفائهم.
ورأينا ان المسيحية قد احاطت بجزيرة العرب من أطرافها احاطة السوار بالمعصم، تجهد في اقتحام الحجاز، تارة بالغزو كحملة الحبشة على مكة في عام الفيل، وتارة بالتغلغل التبشيري، من اليمن في نجران، أو من الشمال في بصرى والحيرة. ورأينا ان النصارى من بني اسرائيل، الواقعين بين نارين، نار اليهود بني قومهم، ونار المسيحيين بني دينهم، لم يبق أمامهم سوى الحجاز، ملجإ الهاربين من دين الدولة، بعد اعلان المسيحية دين الدولة عند الروم — وقد سبقهم اليهود الى دولة الفرس فكانوا اعواناً لها وعيوناً على الروم والعرب — فهاجروا الى الحجاز واستوطن أكثرهم مكة. وهذه هي الدلائل، من وحي السيرة، على تغلغل الدعوة الانجيلية الى يثرب ونجران والطائف ومكة أم القرى.

أولاً: «النصرانية» والمسيحية في يثرب (المدينة)

تأسست يثرب أولاً بهجرة الاوس والخزرج اليها من اليمن؛ ثم بهجرة بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع من اليهود، بعد اعلان المسيحية دين الدولة عند الروم: «واليهود الذين استقروا في المدينة وأرباضها، هبطوا صحراء الجزيرة، فارين بدينهم من الاضطهاد الصليبي الذي عمل — من قديم — على تنصيرهم أو افنائهم، ذلك لان رأي اليهود في عيسى وأمه شنيع... وقد ألفوا انفسهم قلة بين اصحاب البلاد، وخشوا ان يفنوا اذا اشتبكوا معهم في صراع سافر فاحتالوا حتى زرعوا الضغائن بين الاقرباء... وقبل الهجرة ببضع سنين وقعت بين الأوس والخزرج معركة (بعاث)، كان النصر فيها للخزرج ثم عاد للأوس... وكان أهل يثرب يمتازون عن سائر العرب بجوارهم لليهود وإلفهم عقيدة التوحيد. وربما حاورهم اليهود في شؤون الاديان، ونعوا عليهم عبادة الاوثان»[1].

(١) محمد الغزالي: فقه السيرة ١٥٣ و ١٥٠

نقل الشهرستاني[١] : « والفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب والاميون — والامي من لا يعرف الكتابة — **فكانت اليهود والنصارى في المدينة** ، والاميون بمكة » . ان تفسيره « الامي من لا يعرف الكتابة » يصح لغة ، ولا يصح اصطلاحاً ؛ فالامي في اصطلاح القرآن من ليس له كتاب منزل . وشهادته على وجود « اليهود والنصارى في المدينة » قيمة ، قائمة .

فقد توطن النصارى من بني اسرائيل المدينة ، بعد مكة وكان في المدينة ايضاً جماعة مسيحية ، يقيمها ويقودها الراهب أبو عامر صاحب « مسجد الضرار » (التوبة ١٠٨) . وسنرى انه قد يكون من النساطرة ؛ الذين تقرب عقيدتهم في المسيح من « النصرانية » ، ولذلك وقفوا على الحياد من الدعوة القرآنية ، حتى ظهر لهم خطرها عليهم آخر الامر .

١ — « النصرانية » في المدينة ، من خبر سلمان الفارسي

لقد فصلناه سابقاً للاستشهاد به على هجرة «النصارى» الى الحجاز . ونوجزه هنا للاستدلال به على وجود « النصارى » بيثرب ، وقد كان سلمان قسّهم .

جاء في السيرة الهاشمية[٢] والحلبية[٣] والمكية[٤] خبر سلمان الفارسي . ويعنينا منه رمزه أكثر من تاريخيته كما يفصلونها : فهو في نظرنا دليل على لجوء « النصارى » من الديار المسيحية الى الحجاز .

قالوا : ان سلمان قد تنصّر على يد رهبان دير من النصارى في بلدته ، بدولة الفرس . وكان ذلك سبب جلائهم معه عن البلاد . فالتحق سلمان بقسّ دمشق ، فالموصل ، فنصّيبين ، فعمورية . وفي كل بلد ، عند وفاة استاذه الذي « انتهى

---

(١) الملك والنحل ص ١٦٣

(٢) السيرة الهاشمية ، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١ : ٢٢٨ — ٢٣٦ .

(٣) السيرة الحلبية ، نشر مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١ : ٢٠٥ .

(٤) السيرة المكية ، بهامش السيرة الحلبية .

اليه علم النصرانية» فيه — **وهي كلها في الشام والعراق والانضول على المسيحية** — يقول سلمان لآخر راهب نصراني يحتضر : «لقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصيني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم أحداً **على ما كنت عليه** . ولقد هلك الناس ؛ وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه» . هذا القول المتواتر في خبر سلمان دليل على انقراض «النصرانية» في الديار المسيحية ، وانسحابها منها .

وآخر قسّ تتلمذ له سلمـــان ، في عمورية ، لما وافته منيته ، وسأله السؤال المتواتر ، قال لتلميذه سلمان : «اي بني ، والله ما أعلم أحداً أصبح **على ما كنا عليه** من الناس ، آمرك ان تأتيه» . ونصحه بالذهاب الى ديار العرب في الحجاز ، فقد أظل زمان محمد . وهذه النصيحة دليل على انسحاب «النصارى» ، من بين المسيحيين ، الى الحجاز ؛ ودليل عـــلى اعتبارهم محمداً نبياً لهم يوجهون اليه من اطراف البلاد .

وختم صاحب السيرة الحلبية بقوله : «وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم سلمان من النصارى على دين عيسى أربعـــة . وفي كلام السهيلي (الروض الأنف) أنهم ثلاثون. وفي (النور) أنهم بضعة عشر. وان هذا أظهر. والله اعلم» . فلم يبق الى زمن سلمان إلا هؤلاء . وقد عاصر سلمان انقراضهم وانسحاب آخر «النصارى» الى الحجاز .

والقوم يوردون الخبر ليجعلوا من أولئك الراهبين أنبياء يدلون سلمان الفارسي عـــلى النبي العربي قبل مبعثه . والتهافت على هذا التفسير ظاهر على الرواية : فما كان الرهبان انبياء ليطّلعوا على الغيب . لكن دلالته التاريخية لانسحاب النصارى من بين المسيحيين الى الحجاز بادية قائمة . فأتى سلمان مثل سائر النصارى الى الحجاز، واستقر بالمدينة ، واتصل بمحمد ، وانضم الى صحابته . ويبرز دوره في وقعة الخندق التي كادت تودي بالاسلام المحاصر، لولا الخندق الذي أشار سلمان بإقامته حول المدينة من الجنوب لحمايتها من غزو مشركي مكة . و (اسباب النزول) تشير مراراً الى دوره في الدعوة القرآنية .

والذي يعنينا هنا من خبر سلمان قول السيرة الحلبية (١ : ٢١٥) فيـــه : « ونقل بعضهم **الاجماع على ان سلمان كان حبراً عالماً فاضلاً زاهداً متقشفاً ، على النصرانية دين عيسى** ». فسلمان كان « حبراً عالماً » **أي قسّ النصارى بالمدينة .**

وشهادة القرآن على وجودهم بالمدينة ، وجهادهم في سبيل الدعوة القرآنية حتى اضطهاد اليهود لهم ، متواترة (آل عمران ١٨ — ٢١ ؛ ١١٣ ؛ المائدة ٨٥ — ٨٨) . والقرآن المدني كله حوار متواصل مع اليهود والنصارى ، فهو القول الفصل في وجودهم بالمدينة .

فمن القرآن والسيرة يصح ان نستنتج انه كان في المدينة جماعة من النصارى وعلى رأسهم القس سلمان ، « الحبر العالم » الذي يعيش عيشة الرهبان . هؤلاء النصارى كانوا أهل « المودة » لجماعـــة محمد ، المتقين من العرب ، « ترى أعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق . يقولون : ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٦) .

ووجود « النصارى » بالمدينة كان ذا أثر فعّال في الناس ، ينبثق من كيان قائم منظّم ، مع عدد كبير من القسيسين والرهبان ، كما يشهد القرآن المدني نفسه .

في مقاومة الدعوة القرآنية منذ بدئهـــا بالمدينة ، « قالوا : كونوا هوداً او نصارى تهتدوا — بل ملة ابراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين . . . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم فقد اهتدوا ؛ وان تولوا ، فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » (البقرة ١٣٥ — ١٣٧) . لم يكن « النصارى » على شقاق مع النبي ؛ انما المسيحيون . وكان هؤلاء مع اليهود يتحدّون محمداً بصحة الهداية ، لكن على طرفي نقيض .

ويصف مثال « النصارى » الرائع في المدينة . فبعد ذكر جمـــاعة محمد (آل عمران ١١٠) ، وذكر اليهود (١١١) ، يقول : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون : يؤمنون بالله واليوم

الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؛ ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين » (آل عمران ١١٣ — ١١٥) . « المتقون » في اصطلاح القرآن هم جماعة محمد من العرب ؛ أما أهل تلك الصلاة وتلك الدعوة اللتين يشيد بهما القرآن فهم « أمة من أهل الكتاب » (١١٣) ؛ وليسوا اليهود الذين « ضربت عليهم الذلة والمسكنة » (١١١ — ١١٢) فهم النصارى بالاجمال . لكن قوله : « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم : **منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون** » (١١٠) يجعل المؤمنين بمحمد من اهل الكتاب ، النصارى من بني اسرائيل ؛ والفاسقين ، اليهود .

فهم كانوا اهل « المودة » من دون اليهود والمشركين (المائدة ٨٤) ، ولا المسيحيين اهل الشقاق ، واهل « الغلو في دينهم » : « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : (إنا نصارى) ذلك بأن منهم **قسيسين ورهباناً** ، وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (آل عمران ٨٥ — ٨٦) . فوجود قسيسين ورهبان في المدينة ، يدل على قيام كنيسة « نصرانية » منظمة ذات أثر فعّال في المدينة . وهي التي تشهد للدعوة القرآنية ، لانها دعوتها .

●

٢ — المسيحية في المدينة ، من خبر الراهب أبي عامر ، و « مسجد الضرار »

يقول الاستاذ دروزة[١] : « وفي الآيات المدنية[٢] ، جاء ذكر النصارى

---

(١) عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٢) البقرة ١١١ و ١١٣ و ١٢٠ و ١٣٥ ؛ آل عمران ٥٩ — ٦٢ ؛ النساء ١٧١ — ١٧٢ ؛ المائدة ١٥ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٥١ و ٧٢ — ٧٦ و ٨٢ — ٨٣ و ١١٦ ؛ الحديد ٢٧ ؛ التوبة ٢٩ — ٣٤ .

استطراداً او تعبيراً عن لسان حال ، فإن أكثرها يحتوي دلالة قوية وصريحة على ان النبي ص **قد التقى في المدينة ايضا بطوائف مختلفة من النصارى** ، في اوقات متفاوتة ، ودعاهم . فمنهم من بدا منه من مشهد تصديقي رائع (المائدة ٨٤ — ٨٥) ، ومنهم من جادل وكابر[1] . واذا كان من المرويات ان وفوداً نصرانية قدمت الى المدينـــة من نجران واليمن ، ومن الحبشة ، ومن الشام ، واتصلت بالنبي ص ، ومنها مَن تناظر معه وبقي على دينه ، ومنهم مَن آمن ؛ فإن **ذكر اقوال ومواقف وعقائد النصارى في هذه الفصول** ليسوغ القول بأنه كان **في المدينة طائفة مستقرة من النصارى** ، ومنهم من كان **عربا متنصرين** من أهل المدينة او عرباً من غير أهلها ، ومنهم من هو أجنبي الجنس . واذا كانت ظروف الشام قد حملت **بعض النصارى غير العرب على النزوح الى مكة** فالاقامة فيها ، فالمتبادر ان لا يكون هذا قاصراً على مكة ، لاسيما والمدينة أقرب الى الشام من مكة ، واقليمها أكثر احتمالًا على النازحين من الشام من اقليم مكة . وقد كانت هذه الميزات مما جعل الاسرائيليين النازحين عن الشام يفضلون الاقامة فيها » .

ويضيف : « أما النصرانية فقد وصلنا في الاستدلال (في الفصل الثالث) الى القول بوجود **جالية اعجمية نصرانية في مكة**، وباحتمال وجود **جالية أعجمية نصرانية في يثرب** ايضاً ؛ وبترجيح وجود **عرب متنصرين** مستقرين في بيئـــة النبي ص وعصره » .

نقول : إن وجود جالية نصرانية في يثرب ، وطائفة نصرانية من العرب ، ليس مجال احتمال وترجيح فحسب ، انما هو واقع يشهد به القرآن المدني الذي هو حوارمتواصل بين القرآن واليهود والنصارى . وكان اليهود « اول كافر به » (البقرة ٤١). وقوله في النصارى : « فمنهم من بدا منه من مشهد تصديقي رائع (المائدة ٨٤ — ٨٥)، ومنهم من جادل وكابر »، يعود الى خلط الاستاذ دروزة،

---

(١) خلط المسيحيين بالنصارى جعل الاستاذ يفرق هذه التفرقة . اما من جادل وكابر فهم المسيحيون ؛ اما النصارى فكلهم مسلمون ، لشمول آية المائدة .

مثل غيره من المفسرين ، بين النصارى والمسيحيين : فالمسيحيون « منهم من جادل وكابر » ؛ أما النصارى من بني اسرائيل فقد اعلن القرآن المدني بتواتر انضمامهم الى النبي العربي ، واحتمال الأذى من اليهود في سبيل تأييد الدعوة القرآنية ، ووحدة الدعوة بينهم وبين القرآن : « فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٥) ؛ والقرآن « تأييد » للنصرانية على اليهودية (الصف ١٤) .

وقد نجحت الدعوة « النصرانية » بالمدينة ؛ لكن الدعوة المسيحية كانت اقلّ نجاحاً . يظهر لنا حالها من خبر الراهب ابي عامر ، وقصة مسجد الضرار (التوبة ١٠٨) .

ان الراهب أبا عامر كان اسمه النعمان، ابن الصيفي[1] . وتورد كل التفاسير قصته بمناسبة بناء « مسجد الضرار » الذي أوعز ببنائه ، لمنافسة مسجد قباء الذي بناه محمد عند هجرته الى المدينة . تروي السيرة الهاشمية[2] ، و (أسباب النزول) للسيوطي ، أن اثني عشر رجلًا من عرب المدينة ، بتوجيه الراهب أبي عامر ، بنوا مسجداً ينافسون به مسجد محمد «**حتى اذا قدم الراهب يكون امامهم فيه**».

ويروي ايضاً كتاب (روح المعاني ٩ : ١١١ — ١١٢) جدال الاسقف[3] المسيحي ، النعمان ابن الصيفي ، ابي عامر ، مع محمد ، في صحة انتساب كل منهما الى الحنيفية الحقة ، في مطلع الدعوة القرآنية بالمدينة : « قال النعمان لمحمد : ما هذا الذي جئت به ؟ قال : الحنيفية دين ابراهيم . قال : فأنا عليها . فقال : لست عليها ، ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها . فقال : أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً — فمات النعمان في الشام طريداً وحيداً » .

---

(١) كتاب : روح المعاني ٩ : ١١١ — ١١٢ .

(٢) السيرة لابن هشام ٤ : ١٧٣ — ١٧٥ ؛ قابل كتابنا : أطوار الدعوة القرآنية ص ٩٥٩

(٣) يسمونه « الراهب أبا عامر » : والراهب لا يكون متزوجاً ، واقبه (ابو عامر) يدل على انه كان كاهناً او اسقفاً عربياً ؛ ونرجح انه كان اسقفاً من جرأته على الذهاب الى قيصر يستعديه على حركة محمد قبل ان تستفحل وتقضي على المسيحية .

فمحمد يجادل « الراهب أبا عامر » بجدال النصرانية للمسيحية . وقد رفض الاسقف المسيحي الدعوة القرآنية بسبب « نصرانيتها » .

فقد كان اذن في المدينة نواة كنيسة مسيحية يرأسها الاسقف نعمان الصيفي ، الملقب بالراهب أبي عامر . وكان لهم مسجد يضاهي مسجد جماعة محمد .

ولما استفحل أمر محمد في المدينة والحجاز ، وتحوّل بعد ظهوره على اليهودية ، تأييداً « للنصرانية » (الصف ١٤) ، الى منازلة المسيحية في مشارف الشام ؛ خشي نعمان الصيفي على نفسه وعلى جماعته ، فذهب الى القسطنطينية ، الى قيصر ، يستنصره على محمد ، قبل ان يكتسح المسيحية في جزيرة العرب ، كما تروي كل التفاسير وكل السيَر . لكنه عند رجوعه الى الشام وجد ان الامر قد استتب لمحمد في الجزيرة ، فمكث بالشام « ومات طريداً وحيداً » .

أما محمد ، فعند رجوعه من غزوة تبوك ، نزل « بذي أوان » ، على ساعة من المدينة ، وبعث برجال من جماعته ، فهدموا « مسجد الضرار » المسيحي في المدينة ، وأحرقوه . وقد لقبه القرآن « مسجد الضرار » (التوبة ١٠٨) ، لا مسجد الكفر ، لانه كان ضرراً على الدعوة القرآنية .

وفي تقويم قديم للكنيسة المسيحية النسطورية ، إن النساطرة أقاموا اسقفاً في يثرب ، **اذ كان لهم فيها ثلاث كنائس** على اسم ابراهيم الخليل ، وموسى الكليم ، وأيوب الصديق . ووجود ثلاث كنائس في بلدة صغيرة كيثرب **برهان على انتشار المسيحية فيها** بين العرب بتأثير الجالية النسطورية ، الهاربة من دين الدولة عند الروم . ولعل اسقف يثرب هو الراهب ابو عامر .

ولا غرابة في ذلك فقد كان في الحيرة اسقفان وديران ، اسقف ودير الكنيسة اليعقوبية ، واسقف ودير الكنيسة النسطورية ، يعيشون بعيداً عن دين الدولة عند الروم ، في حماية الفرس والعرب .

ولنا ايضاً خبر من أثر ، في شعر حسان بن ثابت يرثي به النبي العربي :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد!

وكلمة « نصارى » في هذا الشعر تعني المسيحيين، جماعة « الراهب أبي عامر »، الذين افرحهم موت محمد؛ لا « النصارى » ، جماعة سلمان الفارسي ، أحد صحابته.

فعند وفاة محمد بقي اذن في المدينة جماعة من المسيحيين ، وجماعة من اليهود، ذوي عدد وشوكة ، حتى يتظـــاهروا بالفرح لوفاة النبي العربي. لذلك يجب تنقيح جميع المعلومات التي ينقلونها في كتب الادب والتفسير والتاريخ عن المسيحية وعن النصرانية ، في المدينة والحجاز ، في عصر الدعوة القرآنية .

●

ثانياً : « النصرانية » والمسيحية في نجران

كما كان في المدينة طائفة « نصرانية » ، وأخرى مسيحية، قبل البعثة؛ كذلك كان في نجران على حدود اليمن والحجاز. وكانتا على صلة متواترة بمكة .

يقول الاستاذ دروزة[١] ، من مستلهمات القرآن والمصادر الاسلامية ، « وأن لا ننسى كذلك تلك **الالوف المؤلفة من متنصرة العرب** الذين كان الحجازيون خاصة يفدون ويروحون اليهم في اسفارهم ورحلاتهم ، ويخالطونهم مخالطـــة الشقيق ، ويتفاهمون معهم بلسانهم القومي المشترك . . . وأن لا ننسى ايضاً ان كثيراً منهم كانوا يشهدون موسم الحج وأسواقه ، ومنهم من كان يبشر ويخطب كقس بن ساعدة . . . وان الصلات والتقاليد القبلية كانت تجمع النصراني من العرب ، برباط الآباء والاجداد ربطاً وثيقاً تتصل أواصره وتستمر مظاهره . . . وأنه كان كثير من العرب ، وخاصة الحجازيين يصهرون الى عرب النصارى ، وبالعكس فتزداد هذه الاواصر والمظاهر قوة ولحمة . وان كل هذا من شأنه ان يهيء لعرب الحجـــاز **الفرص الكثيرة الوافية** للاطلاع والاستماع ، والدرس والتأثر » . ويضيف : « والقرائن القرآنية تلهمنا من جهة ، والتاريخ المتصل

---

(١) عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص ٤٥٦ — ٤٥٨ مع ٤٦٨ .

بالمشاهدة من جهة أخرى يخبرنا بأن **آلافاً مؤلفة من العرب كانوا نصارى، ومنهم البدو، ومنهم الحضر**؛ وأنهم كان لهم دول وشأن على مسرح بـــلاد الشام والعراق؛ ولهم اساقفتهم ورهبانهم وقسيسوهم وكنائسهم وأديارهم الكثيرة».

كان «النصارى آلافاً مؤلفة» ليس فقط «على مسرح الشام والعراق». إنما أكثر من ذلك في اليمن، لعلاقاته التاريخية المتواصلة بالحبشة.

١ — الكنيسة المسيحية في اليمن ونجران[1]

في بحث عن المسيحية والنصرانية في الحجاز، نخص بالذكر نجران لانها تقع على حدود اليمن والحجاز. وموقعها دليل شأنها في الحجاز قديماً وحديثاً.

دخلت اليهودية الى اليمن قبل المسيحية. وفي القرن الثالث بدأ التبشير المسيحي باليمن. وينقل الاخباريون ان حامل الانجيل الى نجران سوري اسمه «فيميون[2]». وتذكر سيرة ابن هشام (١ : ٣٥ — ٣٦) ان عبد الله بن التامر «كان يسمع من فيميون حتى أسلم ووحد الله، وعبده، وجعل يسأل عن شرائع الاسلام. فجعل عبد الله بن التامر يدعو الى دين الله... **واستجمع اهل نجران على دين عبد الله بن التامر**. وكان على ما جاء به عيسى، ابن مريم، من الانجيل والحكمة» وازدهرت المسيحية في نجران ايّما ازدهار. وكان بنو الحارث بن كعب رؤساء المسيحيين في نجران. ويذكر الاخباريون[3] ان بني عبد المدان بن الديان الحارثي أقاموا «**كعبة نجران**» مضاهاة لكعبة مكة. وكعبة نجران كانت كنيسة لان سدنتها اساقفة ورهبان. فنشطت اليهودية وتهوّد تبّع معدي كرب، ملك الحميريين.

---

(١) راجع كتابنا: القرآن والكتاب؛ القسم الاول: بيئة القرآن الكتابية ص ٥٣ — ٥٧.

(٢) ابن هشام في السيرة ١ : ٣٢؛ الطبري: تاريخ الملوك ١ : ٩١٩، ويسميه «فيمثون»؛ والروض الأنف: «ايمثون».

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٨ : ٢٦٢؛ قابـــل جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ١٧٥.

فقام الصراع الاول بين المسيحية واليهودية في القرن الثالث . فكان غزو الحبشة الاول لليمن . وانتشرت المسيحية في طول البلاد وعرضها .

وفي القرن الخامس، لما أعلنت المسيحية دين الدولة عند الروم، بدأت هجرة اليهود والنصارى من بني اسرائيل . فهاجر اليهود بكثرتهم الى فارس، ووصل قسم منهم الى اليمن . كما هاجر النصارى الى مكة والحجاز، وبلـــغ بعضهم نجران . فتجدد الصراع بين المسيحية واليهودية للسيطرة على اليمن . حينئذٍ تهوّد يوسف، ذونواس، ملك الدولة التبعية، الحميرية الثالثة، واشتعلت نار الاضطهاد للمسيحيين (٥١٠ — ٥٢٣) . فقامت مذابح صنعاء وظفر ونجران . وكان اشهرها مذبحة نجران في تشرين الاول عام ٥٢٣ . فذهب ضحية الاضطهاد العنصري والديني أكثر **من عشرين ألف شهيد، ونحو أربعة آلاف راهب**، كما تذكر سيرة ابن هشام (١ : ٢٧)؛ وفي نجران وحدهـــا نحو ٤٢٧ راهباً بحسب سيرة الشهداء في المصادر المسيحية . وذاعت بطولة شهداء نجران بين العرب، باسم «أصحاب الاخدود» . وقد شهد لهم القرآن الشهادة الجميلة في (سورة البروج ١ — ٩)؛ «قيل لما تنصّر نجران غزاهم ذونواس اليهودي من حميَر فأحرق في الاخاديد مَن لم يرتد» (البيضاوي)؛ كما سيقتل محمد في خنادق المدينـــة بني قريظة، بعد غزوة الخندق . فكان غزو الحبشة الثاني لليمن عام ٥٢٥ .

وابتنى عامل النجاشي، ابرهة الاشرم، كاتدرائية في صنعاء، من أفخم الكنائس، سماها بحرف يوناني معرب «القليص» . وكتب فيهـــا الى مليكه الحبشي[1] : «اني قد بنيت لك، ايها الملك، كنيسة لم ين مثلها لملك كان قبلك؛ ولست بمنته **حتى اصرف اليها حج العرب**» . وهذا يدل على عزم الحبشة والمسيحيين من العرب على هداية العرب كلهم، حتى الحجاز .

---

(١) السيرة لابن هشام ١ : ٤٤ .

وسيطرت المسيحية الحبشية علـــى اليمن في القرن السادس . وحاولت السيطرة من اليمن على مكة والحجاز ، في عام ٥٧٠ . فقصد أبرهة بجيش كبير مكة ، راكباً على فيله . فابتدره وجيشه الجدري وفتك بهم فتكاً ذريعاً . تقول السيرة (١ : ٥٦) : « ان اول ما رُؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ، ذلك العام » . ويظهر انه اصابهم برَدٌ مثل « حجارة من سجيل » ، فارتحلوا عن مكة والبيت العتيق . وخلّد القرآن الحدث في (سورة الفيل) . وكان ذلك العام سنة مولد محمد ، الذي ربطته السيرة به . ولا نشك بأن « نصارى » مكة قد اشتركوا في رد الحملة المسيحية عن مكة والحجاز لتسلم السيطرة لهم .

ثم قامت الدعوة القرآنية ، واشترك فيها النصارى من بني اسرائيل ومَن تابعهم من العرب كالقس ورقة بن نوفل ، وابنة عمه خديجة ، التي كانت « تجارتها تعدل نصف تجارة قريش[١] » ، فلاقى اولئك النصارى من بني اسرائيل ، من اليهود عنتاً كبيراً واضطهاداً مريراً ، أدّى ببعضهم الى الاستشهاد : « إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، **ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ، فبشرهم بعذاب أليم » (آل عمران ٢١) . واهل القسط هم « اولوا العلم قائماً بالقسط ، الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عنـــد الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) اي النصارى من بني اسرائيل . فالاشارة صريحة الى استشهاد بعض هؤلاء « النصارى » في سبيل الدعوة القرآنية ، بالمدينة ، وسائر الحجاز .

ولما سيطر الاسلام القرآني « النصراني » على الحجاز ، وكان عام الوفود ، تنبّه اهل نجران المسيحيون لمصيرهم ، فقرروا الاتصال بالنبي العربي الذي أخذ يسيطر على الجزيرة . فألفوا اضخم وفد أمّ المدينة ، في عام الوفود ، ليباحثوا محمداً في المسيح ويطلعوا على حقيقة دينه في دعوته للمسيح والانجيل . وقد ذكر

---

(١) السيرة لابن هشام ٤ : ١٧٦ .

القاسم بن سلام في (كتاب الاموال ص ٩٨) ان **نصارى نجران هم عرب من بني الحارث بن كعب**. وكان وفدهم مؤلفاً من ستين شخصاً، منهم أربعة وعشرون من اشرافهم[1]، وثلاثة من رؤساء دينهم، الاسقف والسيد والعاقب وياقوت الحموي[2] يسمي الاسقف ابا حارثة، والسيد وهباً، والعاقب عبد المسيح. وابن العربي يسمي الاسقف: يشوع. فيكون يشوع الملقب «ابا حارثة بن علقمة، أحد بني بكر وائل، وكان اسقفهم وحبرهم وإمامهم» كما تقول السيرة لابن هشام. وكان عليهم «الحبرات» شارات رجال الدين. فاجتمعوا الى النبي في في مسجده بالمدينة. وأدركتهم الصـــلاة، فصلوا في مسجد النبي، وبحضرته وحضرة صحابته ــ يا لها من عبرة للأجيال القادمة! ــ ثم باحثوا النبي في إلهية السيد المسيح وبنوته لله التي يؤمن بها المسيحيون. فجادلهم محمد بجـــدال «النصرانية» لها، في التعريف الذي نقله القرآن: ان المسيح «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه... لن يستنكف المسيح ان يكون عبـــداً لله» (النساء ١٧٠ — ١٧١): **فهو وإن يكن كلمة الله** وروح الله، فهو عبد الله أي مخلوق، لا مولود. وهذه عقيدة النصارى من بني اسرائل. ففهموا معنى دعوته واختلفوا فيها. فدعاهم الى المباهلة (آل عمران ٦١). فاعتذروا، ووادعوه، وقالوا له[3]: «يا ابها القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وان نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، فإنك عنـــدنا رضى». ونفهم من التكفير الذي عقّب به القرآن على هذا الحوار بقوله: «لقد كفر الذين قالوا: ان الله هو المسيح ابن مريم» (المائدة ١٩ و ٧٥) أنهم كانوا على مذهب «اليعقوبية» (الجلالان).

---

(١) السيرة لابن هشام (٤ : ١٦٥ — ١٦٧) تسمي بعض هؤلاء الاشراف: أوس والحارث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلة وعمرو وخالد وعبد الله وعبـــد المسيح. وهي، كما ترى اسماء عربية خالصة.

(٢) معجم البلدان ك ٨ ص ٢٦٢ — ٢٦٤.

(٣) السيرة لابن هشام.

وكان هذا الحوار هو الوحيد بين القرآن والمسيحية العربية «اليعقوبية»؛ لا حوار غيره مع المسيحية العامة. ولخطورته، عند جمع القرآن في زحمة الفتوحات الاسلامية، نثروا فصوله في سور القرآن (آل عمران والنساء والمائدة).

هذا هو الجدال الاكبر بين القرآن والمسيحية، وبما أن «اليعقوبية» بدعة في المسيحية، فالقرآن لم يتصل بالمسيحية الصحيحة، ولم يكفّرها. فكم يرتكب أهل القرآن من خطإ بحق المسيحية، باسم القرآن، وهم لا يعلمون؟! وعذرهم في ذلك ان الاقباط بمصر وهم على مذهب «اليعقوبية» يمثلون المسيحية، بجوار الازهر؛ فظن علماؤه وتلامذتهم في الاقطار الاسلامية، ان مقالتهم في المسيح هي المسيحية كلها؛ وسها عنهم ان يطلعوا على عقيدة مليار من المسيحيين في العالم، وهم على غير عقيدة بضعة ملايين. ليس ان العدد هو فيصل الحق؛ إنما هو التواتر والاجماع منذ حرمت المسيحية تلك المقالة عام ٤٥١ م، قبل القرآن بنحو مئتي سنة.

هكذا تدل احداث القرن السادس على سيطرة المسيحية على الجزيرة العربية من اطرافها، وهي تتحفز لغزو الحجاز بدين المسيح:

منها مذابح اليمن بالألوف، ومذبحة نجران سنة ٥٢٣ التي ذهب ضحيتها فيها وحدها من الرهبان أربعماية ونيّف.

ومنها مذابح الحيرة، بعد «يوم حليمة» سنة ٥٥٤، التي ذهب ضحيتها أربع مئة راهبة ونيف.

وهذا الجيش من الرهبان والراهبات، والقسيسين وأساقفتهم، ألا يكفي وحده لفتح الحجاز للمسيح، لو أمهلهم الزمن؟

وتأتي السياسة لدعم الحركة الدينية، فيقوم غزو ابرهة الاشرم للحجاز ومكة، عام ٥٧٠. لكنه فشل.

فقامت الدعوة «النصرانية»، وجاءت تدعمها الدعوة القرآنية، في مكة والحجاز. فانقلبت الموازين، كما رأينا مع وفد نجران المسيحي الى النبي العربي.

وقد خلّد القرآن تلك الاحداث، في سورتي (البروج والفيل). وظلّت نجران في مخيلة العرب معقل المسيحيين فيما بينهم. فنقلوا عن النبي العربي هذا الحديث[1]: «القرى المحفوظة أربع: مكة والمدينة وإيليــــاء (بيت المقدس) ونجران. وما من ليلة إلا ينزل على نجران سبعون ألف ملاك يسلمون على أصحاب الاخدود، ولا يرجعون اليها ابداً».

وكان آخر من خضع للاسلام، بسيف علي وخالد، المسيحيون في اليمن. ثم كانوا أول مَن ثار في حروب الردَّة، حتى أخضعوهم من جديد. وعام ٦٣٥ أجلى الخليفة عمر بن الخطاب الى العراق من لم يعتنق منهم الاسلام[2]. وقال غيره: في نجران «كثروا حتى بلغوا **أربعين ألف مقاتل**؛ فكره عمر ان يميلوا على المسلمين فيفرّقوا بينهم... فأجلاهم الى الشام[3]». وظل المسيحيين في اليمن، حتى سنة ٩٤٠، اسقف في صنعاء، يدعى مار بطرس.

فتلك القرائن القرآنية والتاريخية تدل على انه كان في اليمن، خصوصاً في صنعاء وظفر ونجران، كنائس مسيحية منظمة كامل التنظيم، قبل الاسلام. وكانت نجران تسعى لهداية الحجاز.

●

٢ — «النصرانية» في نجران

كانت المسيحية هي المسيطرة في نجران، منذ شهداء نجران عام ٤٢٣ م. لكن ألا يدلّ الصراع المحتدم الذي قام بين اليهودية والمسيحية باليمن،

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ك ٨ ص ٢٦٤.

(٢) البلاذري: فتوح الشام ١٠١.

(٣) أبو جعفر النحاس: الناسخ والمنسوخ ١٦٢.

في اوائل القرن الخامس على أن افواجاً جديدة من اليهود والمسيحيين والنصارى قد أمّت اليمن ، فأشعلت النار ؟

نرى ان القرآن ما كان ليحتفي ذاك الاحتفاء الكبير بشهداء نجران ، أهـــل الاخدود ، في (سورة البروج) ، لو لم يكن بينهم « نصارى » على مذهبه في المسيح .

ولنا دليل على وجود « النصارى » بنجران ، خبر **القس بن ساعدة الايادي .** واياد قبيلة من عرب اليمن دخلتها « النصرانية » مع ابن ساعـــدة . ويسمونه « القس » بلغة النصارى ، اي الاسقف بلغة المسيحيين . فهم يصفونه يخطب وعلى صدره صليب ، وهو يتوكأ على عصا : وهذه شارات الاسقفية حتى اليوم .

كان القس ابن ساعدة يغشى سوق عكاظ ، في موسم الحج ، على جمله ؛ ويقف بين الحجيج يخطب العرب في اشهر سوق لهم ، وفي اكبر موسم لهم ؛ ويدعو الى التوحيد « النصراني » . وكان النبي العربي يقول[1] لوفد عبد القيس ، ولوفد اياد : « ما انساه بعكاظ وهو يقول : « ايها الناس . . . ان لله ديناً أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه . . . كلّا ، بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولوداً !» . وهذاهو توحيد القرآن في (سورة الاخلاص) ؛ « قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

ان خبر القس ابن ساعدة يدل على ان « النصارى » في هجرتهم بلغوا الى اليمن . وما كان ابن ساعدة ليكون «قس» **النصارى** بين بني اياد وبني عبد القيس ، لو لم يكن فيهم متنصرون .

وجرأته على اقتحام سوق عكاظ والدعوة فيه — ولا تذكر الاخبار ولا

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢١٦ — ٢١٧ .

الآثار ان محمداً في أوج عظمته وقف موقفه في عكاظ[1]؛ ربما كي لا ينزل بالدعوة القرآنية منزلة النـــاس والادب — قد تدل على استنصاره بنصارى مكة بني مذهبه .

واستماع محمد، وهو شاب، الى القس ابن ساعدة، والحفظ له ، على ما يروون ، دليل ايضاً على ميل محمد منذ شبابه الى « النصرانية » وأهلها .

وكان أثر « النصرانية » بين العرب من نجران ، الى الطائف ، الى مكة ، الى يثرب ، الى وادي القرى في الشمال ، كبيراً ، بسبب **وحدة الختان** بين العرب واليهود و « النصارى » .

والدعوة لإله التوحيد ، المشتركة بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل ، باسم « **الرحمان** » قد امتدت من اليمن ، الى الحجاز ، الى الشمال . وفي مدائن صالح ، كما في تدمر ، وعند الانباط ، تحمل الآثار اسم « **رب العالمين** » .

كان الانباط ، ومعهم العرب ، يعتمدون الحساب الشمسي . لكن بتأثير النصارى من بني اسرائيل اعتمد اهل القرآن الحساب القمري .

وكل هذه دلائل على شيوع « النصرانية » بين العرب قبل الاسلام .

يقول الاستاذ دروزة[2] : « ومما يلوح لنا من اسلوب الآيات القرآنية من جهة ، ومن الروايات التي ذكرت ان الدعوة الاسلامية قد لاقت عند افراد الجالية الكتابية النصرانية قبولاً حسناً ، كما لاقت مثـــل ذلك في الاوساط النصرانية الاخرى ، وخاصة في الحبشة ، من جهة اخرى : ان هذه الفرق **لم تكن قليلة العدد ، او شاذة ، وانها كانت تشغل حيّزاً غير يسير** . ولعـــل

---

(١) وقف موقفاً اعظم منه يوم فتح مكة . لكنها خطبة الفتح ، لا خطبة الدعوة في سوق عكاظ . ووقف محمد موقفاً أعظم يوم حجة الوداع ، بين الالوف المؤلفة ، لكنها وقفة الامام في الحج الاكبر ، لا دعوة في عكاظ .

(٢) عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص ٤٦١ .

هذا مما يفسّر لنا اقبال النصارى في بلاد الشام ومصر على الاسلام، في الادوار الاسلامية الاولى».

•

ثالثاً: هل دخلت المسيحية أو «النصرانية» الى الطائف قبل الاسلام؟

الطائف، في شرق الحجاز، على منتصف الطريق بين نجران والحيرة المسيحيتين. وكان على ساحل الخليج الفارسي – كما كانوا يقولون – أو كما نقول الخليج العربي، **اربع كراسي اسقفية**: البحرين والهفوف وقطر ومسقط. وهذه كلها تحيط بالطائف وتتعامل معها. ولا شك أنها حملت هداية الطائف الى المسيحية، قبل الاسلام.

ظهور التوحيد في الطائف عند بني ثقيف أمر ثابت من آثار **أمية بن أبي الصلت**، مهما كان فيها من انتحال[1]. إننا نشك بتوحيد مستقل في ذلك الزمان: فإلى اي توحيد كان أمية بن ابي الصلت يدعو؟ كان تاجراً يذهب مع القوافل في تجارته، في رحلتي الشتاء والصيف، ويعود منها غنياً بالمال والدين. وفي أسفاره كان يأوي مراراً الى الأديرة يسأل الرهبان عن التوحيد والمعاد. وكان واسع الاطلاع على الكتاب وأخبار الامم. ويحسن فهم العبرانية ولغة بني أرَم (الأرامية). جاء في السيرة لابن هشام (٢: ٤٠١): «**كان قد قرأ الكتب القديمة**، وعلم ان الله تعالى موسل رسولاً، فرجا أن يكون هو **ذلك الرسول**. فاتفق ان خرج الى **البحرين**، وتنبأ رسول الله ص، **فأقام هنالك ثماني سنين**».

ونعرف ان في البحرين، وسكانها من قبائل ربيعة، التي منها تميم وبكر، كنيسة مسيحية على رأسها أسقف. وهذه قرينة قوية على أن توحيد أمية كان مسيحياً. ورجع بعد ثماني سنوات من البحرين الى الطائف يدعو الى التوحيد المسيحي.

---

(١) راجع كتابنا: القرآن والكتاب – القسم الاول ص ١٣٦ – ١٣٧.

ثم أتى مكة، وقابل فيها محمداً. لكنه اتفق سراً مع ابي سفيان بن حرب على مفاتحة الروم بالاستيلاء على السلطة في مكة، لذلك كان جوابه المبهم لاهل مكة في أمر محمد. وسافر أمية مع ابي سفيان الى الشام[1]. وربما التقوا بوفد الراهب ابي عامر هناك.

ولنا قرينة أخرى على **اتصال أمية بمحمد**. جاء في سيرة ابن هشام ايضاً (٢ : ٤٠١) : «ثم قدم (أمية) ولقي رسول الله ص في جماعة من أصحابه. فدعاه الى الاسلام وقرأ عليه سورة يسن حتى اذا فرغ منها وثب أمية يجرّ رجليه، فتبعته قريش تقول: ما تقول يا أمية؟ فقال: أشهد انه على الحق. قالوا: فهل نتبعه؟ قال: حتى أنظر في أمره. فخرج الى الشام[2]. وقدم بعد وقعة بدر يريد أن يسلم (؟). فلمّا أُخبر بها ترك الاسلام وقال: **لو كان نبيا ما قتل ذوي قرابته**! فذهب الى الطائف ومات فيها». وهذا الرفض للدعوة القرآنية، على مثال الدعوة «النصرانية»، دليل على جهة التوحيد المسيحي عند أمية، في بني ثقيف بالطائف. وهذا ما يدل عليه قول النبي فيه: «كاد أمية بن ابي الصلت ان يسلم[3]».

وكان امية نداً لمحمد في شخصيته وقومه وقربته ودينه. لكن النبي العربي فاز عليه بإعجاز القرآن، وبالجهاد؛ بينما كان أمية يدعو على طريقة محمد الاولى بمكة «بالحكمة والموعظة الحسنة»؛ لأن المسيحية تأبى الدعوة بالجهاد، بخلاف «النصرانية» الاسرائيلية. وفات أمية أنّ

السيف أصدق إنباءً من الكتب بحدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

ولنا دليل آخر على ان التوحيد في الطائف كان مسيحياً — على قدر ما

---

(١) تاريخ العلامة ابن خلدون. نشر دار الكتاب اللبناني ج ٢ ص ٧٠٩.

(٢) هل خرج الى الشام مثل الراهب ابي عامر، من المدينة، ليطلب معونة والي قيصر قبل ان تستفحل حركة الدعوة القرآنية «النصرانية»؟

(٣) صحيح مسلم: ك ٧، باب ٤٨ كتاب الشعر.

يكون في بلد بدائي ناءٍ عن الاوساط المسيحية — من استقبال المشركين وأهل التوحيد المسيحي لمحمد، لما هاجر الى الطائف — يستجير ببني ثقيف من أذى قريش، بني قومه وعشيرته. ولو كانت الطائف كلها على الشرك لما استجار بها محمد. وأمره الى جماعته بالهجرة الى الحبشة، دليل على ان محمداً في هجرته الشخصية الى الطائف كان يأمل ان يأمن عند بني دينه. وربما فكر بنقل دعوته الى الطائف، قبل نقلها الى يثرب.

دخل الطائف وجعل يتردّد مدة عشرة أيام على منازلهم. فلم يجرْه احد. وردّوه رداً غير جميل. قالوا له: «أخرج من بلدنا»! وحرشوا عليه الصبيان والرعاع فوقفوا له صفين يرمونه بالحجارة، وزيد بن حارثة، متبنّاه، يحاول الرد عنه حتى شجّ رأس الدعيّ، وأصيب النبي في أقدامه. فاضطره المطاردون ان يلجأ الى بستان لعتبة وشيبة، ابني ربيعة، ينتظر الامن والفرج. فصرف اصحاب البستان الصبية عنه[1]. وهذا المشهد يدل على قيام الشرك في الطائف، ويدل ايضاً على ان من كان فيها من اهل الانجيل لم يكن على «نصرانية» محمد. وقد تكون حماية ابني ربيعة لمحمد، إشارة الى وحدة الدين بينهم.

وتنقل السيرة ان محمداً لقي في بستان ابني ربيعة غلاماً لهما **اسمه عداس**. فقدم له طعاماً، فقال محمد: «باسم الله؛ ثم اكل». فاستغرب عداس التسمية. فسأله محمد: من أيّ البلاد انت؟ قال: «**انا نصراني من نينوى**». وعداس هذا غير القس عداس في مكة. وأمر عداس هذا، مثل أمر سلمان الفارسي. لكن سلمان كان حبراً، وكان من الأشراف، فكان من أمره ما كان. أما عداس فكان فقيراً شرد بدينه الى الطائف يعمل غلاماً في بستان ابني ربيعة. فهل كان «النصراني» الوحيد في الطائف، وسائر أهل الانجيل فيها على المسيحية؟

ونعرف دخول المسيحية الى الطائف من ذهاب أناس منها مع الراهب ابي عامر في المدينة يستنصرون قيصر على «نصرانية» محمد، قبل ان تغزو الحجاز.

---

(١) السيرة لابن هشام ١ : ٢٦٠ — ٢٦٢ ؛ كذلك الطبري ٢ : ٨٠ — ٨١.

كل هذه ، قرائن ودلائل على وجود المسيحية في الطائف ، وربما المسيحية النسطورية كما في المدينة مع الراهب ابي عامر الذي امتدت دعوته الى الطائف ، لكن ليس لدينا الوثائق التاريخية التي تقطع بالخبر اليقين . وقـــد تكون قد درست كلها بعد سيطرة الاسلام . أما تلك الدلائل فلها دلالتها .

إن اجتماع أمية بن ابي الصلت من الطائف ، والراهب ابي عامر في المدينة ، بالتواطؤ مع زعيم المعارضة لمحمد ودعوته في مكة ، ابي سفيان بن حرب ، زعيم بني أمية ، يدل على ان الدعوة المسيحية كانت قد تغلغلت الى الطائف والى يثرب ، وبدأت تجتذب بني أمية في مكة ؛ وانها كانت على اتصال بدولة الروم. فكانت الحركة المسيحية متصلة الحلقات في الحجاز .

فهل كان في منافسة بني أمية لبني هاشم، ومقاومة بني أمية للدعوة القرآنية ، وتواطىء ابي سفيان مع الوفود التي ذهبت من المدينة ومن الطائف تستنصر قيصر على محمد ودعوته ، دليل على **ميل بني أمية في مكة الى المسيحية** ، وقد تبنّى زعيم بني هاشم ، عبد المطلب ، جد محمد ، « النصرانية » ؟ فيكون في ميل بني امية للمسيحية ، وميل بني هاشم « للنصرانية » سر من اسرار السيرة .

تلك الحركة بين أمية بن ابي الصلت ، والراهب ابي عامر ، وابي سفيان زعيم المعارضة لمحمد ، تدل على ان المسيحية قد تأصلت في الطائف ، وترسخت في يثرب ، وتحاول اجتذاب بني امية في مكة الى المسيحية .

وهذه صورة تاريخية لا تشير اليها ، في ما نعلم ، الكتب التي تدرس تاريخ العرب قبل الاسلام .

•

رابعاً : النصارى من بني اسرائيل بمكة قبل الاسلام

في اذهان الناس ، عن الحالة الدينية بمكة ، قبل الاسلام ، تصورات خاطئة واوهام من رواسب الايام . وقد آن لنا في عصر العلم والتاريخ ان نقلع عنها. يتوهم الناس ان اهل مكة كانوا وثنيين ، يعبدون الاصنام ، حتى جاءت الدعوة

القرآنية ونقلتهم من الوثنية الى التوحيد. وهذا هو اعجاز الاسلام الذي لا تفسير له في بيئة النبي وعصره.

والقرآن نفسه شاهد عادل على ان ذلك افتراء على القرآن، وعلى التاريخ.

لقد اظهرنا في كتابنا (القرآن والكتاب؛ القسم الاول: بيئة القرآن الكتابية)، قيام التوحيد الكتابي في مكة (ص ٦٤). ونوّد اليوم ان نستشهد القرآن نفسه — وهو خير شاهد على بني قومه — لنرى مدى هذا التوحيد الكتابي ومعناه، وفضل النصارى من بني اسرائيل عليه.

●

١ — التوحيد الكتابي بمكة قبل الاسلام

١) شهادة التاريخ على توحيد أهل مكة قبل الاسلام

نجدها عند الدكتور جواد علي، عضو المجمع العلمي العراقي، في كتابه القيّم (تاريخ العرب قبل الاسلام) الذي ختمه بهذه النتيجة الحاسمة: «**فعبادة أهل مكة هي عبادة محمد، وتوحيدهم توحيد اسلامي، أو قريب من التوحيد الاسلامي**» (ك ٥: ٤٢٤ — ٤٢٨). فالتاريخ ينقض اسطورة نقل العرب من الوثنية الى التوحيد، بواسطة الدعوة القرآنية.

والقرآن نفسه يؤيد هذه الشهادة، بتعريفه لما يسميه «الشرك» عند العرب: «ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى» (الزمر ٣). وسيرة ابن هشام (١: ٣٢٣) تبين معنى هذه الزلفى في التعبّد «لشركائهم». فهي تعلّق على قوله (وينذر الذين قالوا: اتخذ الله ولداً) بقولها: «يعني قريشاً في قولهم: **إنا نعبد الملائكة**، وهي بنات الله». فالزلفى الى الله، بواسطة الملائكة، ليست شركاً حقيقياً في الله؛ انما هي استشفاع بهم لديه تعالى. فتأثير الدعوة الكتابية في هذا التوحيد ظاهر.

وجمد اهل مكة على هذا التوحيد الكتابي، فلم يدخلوا في توحيد توراتي او

الانجيلي ، باعتناق طائفة من اهل الكتاب — ولا مجال لتوحيد عقلي عند القوم ، دون انتماء الى طائفة — ومردّ ذلك الى **الموقف السياسي المحايد** بين الشرق الفارسي الذي يدعم اليهودية بين العرب ، كما يظهر من تدخله لصالحها في اليمن ؛ وبين الغرب الرومي ، حامي المسيحية بين العرب ، كما يظهر ايضاً من تدخله ، بواسطة الحبشة ، لحماية المسيحية في اليمن . وهذا الموقف السياسي المحايد نراه في ردهم على دعوة القرآن : « إن نتبع الهدى معك نُتخطّف من ارضنا » (القصص ٥٧) ، لان الانتماء الديني كان عندهم عنـــوان الانتماء السياسي ؛ والناس على دين ملوكهم ، في تلك الايام .

٢) شهادة القرآن لاهل مكة بالتوحيد

من الواضح ان القرآن حملة على الشرك العربي . لكن التصاريح القرآنية المتواترة تدل على انه لم يكن شرك الوثنية ، بل شركاً في التوحيـــد . فهو يدعو اهل مكة : « ألا لله **الدين الخالص** ! والذين اتخذوا من دونه اولياء : **ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى** ! — ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون » (الزمر ٣) . فالصراع هو على الاخلاص في التوحيد ، لا على الشرك بالمعنى الحصري . وينقل عنهم معنى عقيدتهم في عبادة الاولياء : انها « زلفى » الى الله ، اى استشفاع بهم لديه تعالى .

فما يسميه القرآن « شركاء » ، يسميه عرب مكة « اولياء » او « شفعاء » .

يقول : « ام اتخذوا من دونه اولياء ، فالله هو الولي » (٤٢ : ٩) ، « ولا تتبعوا من دونه اولياء » (٧ : ٢) ؛ « افاتخذتم من دونه اولياء » (١٣ : ١٧) ؛ « اتخذوا من دون الله اولياء » (٢٩ : ٤١) ؛ « والذين اتخذوا من دونه اولياء » (٢٩ : ٣ ؛ ٤٢ : ٦) ؛ « من دون الله اولياء » (٤٥ : ٩) .

ويقول : « من شركائهم شفعاء » (٣٠ : ١٣) ؛ « مـــن دون الله شفعاء » (٣٩ : ٤٢) ؛ « هؤلاء شفعاؤنا » (١٠ : ١٨) ؛ « وما نرى معكم شفعاءكم » (٦ : ٩٤) . « فليس من دونه ولي ولا شفيع » (٦ : ٥١ و ٧٠) .

فشرك العرب ولاية وشفاعة. يردّ عليهم: «لله الشفاعة جميعاً» (٣٩: ٤٤)؛ «لا يملكون الشفاعة» (١٩: ٨٨)؛ «لا تغني شفاعتهم شيئاً» (٥٣: ٢٦) «لا تغني عني شفاعتهم» (٣٦: ٢٣)؛ «ولا تنفع الشفاعة عنده» (٣٤: ٢٣)؛ «يومئذ لا تنفع الشفاعة» (٢٠: ١٠٩). ويرد ايضاً: «ما لكم من دون الله من ولي» (٢: ١٠٧؛ ٩: ١١٧؛ ٢٩: ٢٢؛ ٤٢: ٣١)؛ «وما لهم من دونه من والٍ» (١١: ١٢)؛ «ما لهم من دونه من ولي» (١٨: ٢٦)؛ «**من ولي ولا شفيع**» (٣٢: ٤)؛ «ولا نجد له من دون الله وليّاً» (٤: ١٢٢)، «وكفى بالله وليّاً» (٤: ٤٤).

ومن هم هؤلاء الاولياء والشفعاء؟

مرة واحدة يذكر آلهتهم القديمة: «وقالوا: لا تذرنّ آلهتكم، ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً» (نوح ٣٢). لكن هذا على أيام نوح، لا على أيام محمد (نوح ٢١ — ٢٧).

إن الاولياء والشفعاء عند عرب الحجاز، في عصر النبي وبيئته، **هم الملائكة**: «وقالوا: اتخذ الرحمان ولداً! — سبحانه، بل **عباد مكرَمون**، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون» (٢١: ٢٦)؛ «ويجعلون لله البنات، سبحانه، ولهم ما يشتهون» (١٦: ٥٧)؛ «أفأصفاكم ربكم بالبنين، واتخذ من الملائكة إناثاً؟ انكم لتقولون قولاً عظيماً» (١٧: ٤٠)؛ «فاستفتهم: ألربك البنات، ولهم البنون؟ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون» (٣٧: ١٤٩ — ١٥٠)؛ «**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثاً**: أشهدوا خلقهم؟ ستكتب **شهادتهم ويسألون**» (٤٣: ١٩)؛ «إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى» (٥٣: ٢٧).

فمن الجلي الصريح **ان الشفعاء والاولياء عند عرب مكة في زمن محمد هم الملائكة**. تلك هي شهادتهم التي سيسألون عنها (٤٣: ١٩). ومن الجلي الصريح أيضاً، بسبب جعلهم الملائكة إناثاً، ان العرب حوّلوا عبادة «اللات

والعزى ومناة الثالثة الاخرى، تلك الفرانيق العلى » الى الملائكة . ويعتبرونهم بنات الله : « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً ! — بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون » (٢١ : ٢٦) . فالقرآن يؤكد نظريتهم ، لكنه يخطئهم بعبادة الملائكة ، ويتهكم كثيراً بجعلهم إناثاً ؛ لكنه يقوّم عقيدتهم : « بل عباد مكرمون » .

وعبادة الملائكة تقوى يهودية تأثر بها العرب في توحيدهم ، كما يصرح لليهود : « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ! أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » ! (آل عمران ٨٠) . ويجـــادل عرب مكة محمداً الذي يدعوهم الى الايمان بالمسيح ، بجدال اليهود : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، اذا قومك منه يصدون . وقالوا : **أآلهتنا خير أم هو**؟ ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون ! ان هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني اسرائيل » (الزخرف ٥٧ — ٥٩) . فهم يسمون الملائكة « آلهتنا » اي أولياءهم وشفعاءهم .

تكفير القرآن لليهود والعرب بعبادة الملائكة هو تكفير المسيحية لها في مجمع اللاذقية ، منذ القرن الخامس ، الذي نعتها « **خرافة يهودية** » . ولا يمكن ان نتهم اليهود على الاطلاق بالشرك في التوحيد ، فيبقى انها الولاية والشفاعة .

فالقرآن في حربه لشرك العرب في ولاية الملائكة وشفاعتهم ، يحاربهم بتعليم المسيحية نفسها ؛ ويكفرهم بتكفيرها .

وموقف القرآن من رفض الشفاعة لدى الله هـــو مثل موقف البروتستنت المسيحيين ، من تكفير سائر المسيحيين في القول بشفاعة الاولياء والقديسين والاستشفاع بهم . مع ذلك فلا فريق يقول عن فريق بأنه ليس مسيحياً . كذلك استشفاع العرب بالملائكة ليس معناه نكران التوحيد . فالقرآن يعتبر الشفاعة شركاً بالله ، لا نكراناً للتوحيد ؛ وهو ينادي بالدين الخالص : « ألا لله الدين الخالص» (الزمر ٣) . ويرد التعبد للملائكة والنبيين بالعقل (الانبياء ٢٢) وبالنقل : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (الانبياء ٢٤) .

مع ذلك فالقرآن نفسه يقول بشفاعة الملائكة في اليوم الحاضر: « الذين يحملون العرش، ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم، **ويستغفرون** للذين آمنوا: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، **فاغفر للذين تابوا** واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم» (غافر ٧)؛ « تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الارض؛ ألا ان الله هو الغفور الرحيم» (الشورى ٥). ويقول بشفاعة الملائكة، بإذن الله، في اليوم الآخر: « **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**، وهم من خشية مشفقون» (الانبياء ٢٨)؛ « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمان ورضي له قولاً» (طه ١٠٩)؛ « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمان عهداً» (مريم ٨٨). فالشفاعة لمن عهد له الرحمان بها. وهكذا يتضح لنا أن القرآن يقول بالشفاعة كما يقول بها أهل الانجيل، لا كما يقول بها اليهود، وعرب مكة عنهم.

ويتضح ايضاً ان القرآن يحارب اليهودية، ويقاوم دعـــوتها بين العرب (الصف ١٤). فهم قبل المشركين «شر البرية» (البينة) «وأشد عداوة» (٥: ٨٥).

ويتضح موقف القرآن أيضاً من طمس رسوم الشركاء يوم فتح مكة. نقل الازرقي في (أخبار مكة ١: ١٠٤): ان الكعبة « جُعلت في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة. فكان فيها صورة ابراهيم خليل الله يستقسم بالأزلام، وصورة عيسى ابن مريم وأمه، وصور الملائكة عليهم السلام أجمعين. فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله ص البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب، فجاء بماء زمزم، ثم أمر بثوب فبلّ بالماء، وأمر بطمس تلك الصور فطُمست... ووضع كفّيه على صورة عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام. وقال: **امحوا جميع الصور إلا ما تحت يديّ**. فرفع يديه عن صورة عيسى ابن مريم وأمه».

نقل الدكتور جواد علي في (تاريخ العرب قبل الاسلام ٥: ١٧٢) الرواية وأضاف: « وهي رواية للعلماء عنها حديث وكلام بخصوص استثناء صور مريم وابنها عيسى من الطمس». كذلك السيد رشدي الصالح ملحس في تعليقاته على

الازرقي . وهذا التردد المقصود في قبول الاستثناء في رواية الازرقي لا يطعن في صحة الواقع[1]، بسبب حفاوة القرآن بالتي «جعلناها وابنها آية للعالمين»؛ انما مرده عندهما الى الخلاف الظاهر بين حادث الاستثناء الخاص ، وموقف القرآن العام .

فاستثناء صورة مريم وابنها من الطمس دليل على بقاء المعنى الرمزي للصورة وهو الاستشفاع . ودلالة اخرى تاريخية ، ان الاصنام كانت خارج الكعبة ، أما صور الملائكة والانبياء ، والمسيح وامه فكانت على جدران الكعبة من داخل : وهذا يـــدل على ان **المسيحية كانت مقدسة في الكعبة** — ولا نقول اليهودية ، ولا « النصرانية » وكلاهما تعملان بأمر التوراة بتحريم الصور — وقد نقل الاصفهاني في (الاغاني ١٣ : ١٠٩) ان البيت الحرام ، في عهد بني جرهم ، وسادس ملوكهم يدعى عبد المسيح بن باقية بن جرهم ، كان **«يومئذ لاسقف عليه»**. فقد تولت المسيحية على الكعبة ، والصور شاهد حق وعدل . وهذا خير شاهد أيضاً على وجود مسيحيين في مكة ؛ وأن الصراع كان قائماً بين المسيحيين وبين النصارى من بني اسرائيل على هداية أهل مكة ، وعلى السيطرة عليها ، أكثر ما يكون مع المشركين ، كما تشير الآية المكية : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) ، وبنو اسرائيل يهود ونصارى ؛ والنبي أمر بالانضمام الى « المسلمين » اي النصارى من بني اسرائيل (النمل ٩٠) ؛ والقرآن « تأييد » للطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، على الطائفة منهم التي كفرت به ، حتى الظهور المبين (الصف ١٤) .

وموقف النبي العربي ، في تحطيم الاصنام خارج الكعبة ، وطمس الصور داخلها ، يشبه موقف محطمي الايقونات وطامسي الصور عند الروم الذين تأثروا بالاسلام . وهذا لا يطعن في مسيحيتهم بالاساس . كما أن الصور والتماثيل التي

---

(١) جاء في (فقه السيرة) لمحمد الغزالي : « حديث صحيح ، اخرجه احمد (٣ : ٣٣٥ ؛ ٣٣٦ ؛ ٣٨٣ ؛ ٣٩٦) من حديث جابر ، بسند صحيح ؛ والطيالسي (١ : ٣٥٩) من حديث أسامة بن زيد ، وسنده جيد ، كما قال الحافظ في (الفتح ٣ : ٢٦٨) . (ص ٤١٤ حاشية ٤) .

زال عنها معنى الوثنية – « ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » (الزمر ٣) – لا يطعن أساساً في **حقيقة توحيد أهل مكة**. فما يطلبه القرآن منهم ، انما هو «الدين الخالص» (الزمر ١ – ٣) ، من عبادة للملائكة ، على طريقة اليهودية (آل عمران ٨٠) . وقد حرمت المسيحية قبله بمئتي سنة «الهرطقة اليهودية» في عبادة الملائكة . والتصلب في تحريم الصور انما هو عقيدة « نصرانية » – لا مسيحية – يدل على « نصرانية » النبي العربي .

وفي القرآن المكي ، آية كاشفة لسر مقاومة أهـــل مكة للتوحيد الكتابي والقرآني – وهم أهل توحيد غير ملتزم في شركهم – « وقالوا : إنْ نتبع الهدى معك نُتخطف من أرضنا ! – أو لم نمكن لهم حرماً آمناً ؟... » (القصص ٥٧). كان الاقدمون يمزجون الدين والدولة ، ويقولون : الناس على دين ملوكهم . فلو تبع أهل مكة هدى القرآن الذي يؤمن « بالمسيح وأمه آية العالمين » ، لاتّهمهم الفرس واليهود ، طابورهم الخامس بين العرب ، بالولاء السياسي للروم ، فيفعلون بهم كما فعلوا باليمن . لذلك فهم يقفون على الحياد من الدعوة القرآنية ، لتوكيد حيادهم بين الروم والفرس . وهذا ما كان يعصمهم من الغزوين . فوحّدوا الله ، بتأثير الدعوة الكتابية ، دون ما انتماء الى طائفة . فردّهم للدعوة القرآنية انما كان قضية سياسية ، أكثر منها دينية .

تلك هي شهادة القرآن للتوحيد ، عند مشركي مكة والحجاز .

•

٣ – القرآن يدعو الى التوحيـــد الكتابي الانجيلي ، لا الى التوحيد العقلي المطلق

يحلو لكثيرين اظهار الاسلام بأنه التوحيد المطلق العقلي ، أفضل من التوحيد الفلسفي اليوناني ؛ وهذه سمة اعجازه في عقيدته ؛ كما يحاول العقاد في كتابه «الله» ، والشيخ الجسر في كتابه « قصة الايمان » .

وهذا **افتراء على القرآن نفسه**، لان القرآن يدعو الى التوحيد الكتابي الانجيلي، وهذا هو الدين الذي يشرعه للعرب: «شرع لكم من الدين... ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى: ان أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه» (الشورى ١٣). وهـــو يدعو الى الاسلام الذي يشهد به «أولوا العلم قائماً بالقسط... ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨). وسنرى انهم «النصارى».

وهدف الدعوة القرآنية، نعرفه بعد القرآن نفسه، من **وصية محمد الاخيرة لامته**: «لا يبق في جزيرة العرب دينان [1]»؛ وعلى لسان ابي عبيد[2]، ان آخر كلام قاله رسول الله ص، أن «اخرجوا اليهود من الحجاز، واخرجوا نصارى نجران اليمن من جزيرة العرب». ويقصد من «نصارى نجران» المسيحيين فيها.

تلك الوصية الاخيرة هي **فصل الخطاب في فهم القرآن**؛ فلا يصح اغفالها ابداً في تفسير ما تشابه من القرآن. **والمشكل الوحيد** في معنى «نصارى نجران اليمن»، واختصاصهم بالطرد من الجزيرة من دون نصارى الحجاز. نقول: ان معناه واضح من جدال وفد نجران للنبي العربي، في عام الوفود، اي قبل سنة ونيّف من وفاته. ونفهم بما حفظ القرآن من ذلك الجدال الشهير الذي يملأ القرآن المدني أن «نصارى نجران» كانوا مسيحيين، يؤمنون بإلهية المسيح، من دون النصارى من بني اسرائيل الذين يؤمنون بإيمان القرآن في المسيح انه «كلمته القاهـــا الى مريم وروح منه... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله» (النساء ١٧٠ — ١٧١). يؤيد ذلك القضاء على جماعة الراهب ابي عامر المسيحية في المدينة، مع هدم مسجدهم.

والنتيجة الحاسمة ان القرآن يكفر اليهودية (لا الموسوية)؛ ويستنكر

---

(١) الخازن ج ٢ س ٢١٢؛ كتاب الاموال ص ٩٨

(٢) كتاب الاموال ص ٩٩

من المسيحية « الغلو » في الدين ؛ ويردهما بمقالة « الامة الوسط » بين اليهودية والمسيحية ، التي يقول بها النصارى من بني اسرائيل . ونعلنها بصراحة : ان عدم التمييز في تعبير « نصارى » القرآني بين المسيحيين والنصارى من بني اسرائيل ، جعل المفسرين والمستشرقين – الذين يترجمون « نصارى » بمسيحيين chrétiens ، يخبطون في فهم القرآن . وقرائنه تدل على التمييز بين الفريقين ، كما سنرى .

فالقرآن **اولاً** ينتسب انتساباً مطلقاً الى التوحيد الكتابي الانجيلي وأهله :

في هدايته اليه : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا : وانك لتُهدى الى صراط مستقيم » (الشورى ٥٢) ؛ « وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لاعدل بينكم » (الشورى ١٥) . فاهتدى وأخذ يهدي الى الايمان بالكتاب ، على عدل بين أهله .

في تنزيله : « أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً » (الانعام ١١٤) فالقرآن انما هو « الكتاب مفصلاً » ؛ وهذا التعبير أقوى من قوله بأنه « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) . ان القرآن نسخة عربية عن الكتاب ، لا يتميز عنه إلا باللسان العربي : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ؛ وهذا كتاب مصدّق ، لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) . وسره في مطابقته لقرآن الكتاب الذي في « المِثْل » الذي « شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) .

في تشريع القرآن للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣) .

في تعليم العرب « الكتاب والحكمة » بالقرآن العربي (٢ : ١٢٩؛ ٣ : ١٦٤؛ ٦٢ : ٢) اي التوراة والانجيل . فتعبير « الحكمة » في مثل هذه الآيات كناية عن الانجيل : « ولما جاء عيسى بالبينات قال: قد جئتكم بالحكمة» (الزخرف٦٣).

في الاقتداء بهدى اهل الكتاب : « وبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠) ، في الدعوة القرآنية .

في الاستشهاد المتواتر بالكتاب واهله : « فاسألوا أهل الذكر ، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ ؛ الانبياء ٧) . والقرآن يحيل النبي نفسه ، حين الشك من نفسه ومن أمره ، الى أهل الكتاب : « فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤) . ويكفيه حجة على صحة دعوته ، شهادة علماء الكتاب : « قلْ : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ؛ أو لم تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل » النصارى (الشعراء ١٩٧) .

فالقرآن يدعو الى التوحيد الكتابي الانجيلي ، لا الى توحيد جديد ، او الى توحيد عقلي مطلق .

والقرآن **ثانيا** يدعو على التخصيص الى **الاسلام «النصراني»** ، اسلام « الامة الوسط » بين اليهودية والمسيحية . هذا ما نراه في هذا الكتاب كله . فدعوته هي الشهادة مع الله وملائكته ، « وأولي العلم قائماً بالقسط : ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) . وسنرى انهم النصارى من بني اسرائيل ، « الراسخون في العلم » من أهل الكتاب (آل عمران ٧) . فهم « الامة الوسط » التي على مثالها ينشئ « المتقين » من العرب (البقرة ١٤٣) . وهم الذين يؤيدهم على المشركين وعلى أهل الكتاب حتى النصر المبين : « فأيدنا الذين آمنوا (بالمسيح من بني اسرائيل) على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

●

٤) التفسير الصحيح لشهادة القرآن بتوحيد اهل مكة

نجدها في كتاب الاستاذ دروزة (عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة) .

أولاً في الفصل الثالث ، من الباب الاول (٩٧ — ١٠٤) . يستقرئ الآيات (الانعام ٢٠ و ١٥٧ ؛ يونس ٦٤ ؛ الرعد ٣٦ ؛ النحل ٤٣ ؛ الانبياء ٧ ؛ الاسراء ١٠٧ — ١٠٨ ؛ مريم ٣٤ — ٣٧ ؛ الحج ٥٤ ؛ النمل ٧٦ ؛ القصص ٥٢

— ٥٥ ؛ العنكبوت ٤٦ — ٤٧ ؛ الروم ١ و ٥ ؛ سبأ ٦ ؛ الشورى ١٤ ؛ الزخرف ٥٧ — ٥٩ ؛ ٦٣ — ٦٥) . ثم يستنتج : « فهذه الآيات يمكن ان تلهمنا ما يلي :

١) **انه كان في مكة أناس من اهل الكتب السماوية** ، وكانوا من جملة من اتصل بهم النبي ص ودعاهم الى التصديق برسالته ومتابعته .

٢) **إنهم لم يكونوا قليلين** ؛ وان منهم من كان ذا سعة وثروة تمكنه من الانفاق في سبيل البر والخير ؛ كما ان منهم من كان قوي النفس والشخص ؛ بحيث لا يبالي بلوم زعماء المشركين على متابعتهم للنبي ص (القصص ٥٢) ؛ وهذا وذاك يلهمان ان منهم مَن كان **أرقى طبقة من ارقاء** في خدمة الزعماء والتجار وملك ايمانهم .

٣) إن منهم مَن كان **متميّزاً في ثقافته ومعارفه الدينية** ، بحيث كان اهلاً للرجوع اليه ، واستشهاده في أمر رسالة النبي ص . . . وان **هذا الفريق لم يكن نكرة في اوساط مكة**، بل كان موضع اعتماد وثقة من العرب ، **ومرجع استفتآتهم في الامور والمعارف الدينية والدنيوية** .

٤) إنهم على العموم كانوا **رقيقي العاطفة دمثي الاخلاق** — (وهذه صفة النصارى في القرآن) — جريئين في اظهار عقيدتهم ، وقد تجلّت جرأتهم في متابعة النبي ص وسجودهم عند سماع القرآن واعلانهم انه الحق ، وعدم مبالاتهم عما كان عليه أكثر أهل مكة وزعماؤهم الاقوياء من الموقف الجحودي .

٥) ان منهم من كان مجادلاً ، حجَّاجاً ، بل ومتطرفاً في الجدل والحجاج الى درجة عدّه ظالماً ، متجنّياً فيها — سنرى ان هذا الفريق هم اليهود ، كما في (العنكبوت ٤٦ ؛ البيّنة ١ — ٥ ؛ المائدة ٨٥) .

٦) ان ايراد قصتي ولادة يحيى وعيسى ص بسبيل الرد على زعم ألوهية عيسى ص او بنوته لله ؛ وايراد خبر انكسار الروم النصارى ، مع بشرى انتصارهم بعد قليل ؛ والجدل ثانيةً في أمر حقيقة عيسى ص ورسالته

(الزخرف ٥٧) ، يمكن ان يلهم أن الكتابيين الذين انطوت الآيات على ملهات وجودهم في مكة هم ، **او اكثرهم ، من النصارى** .

« ومع ان من المرجح كثيراً أن من هؤلاء مَن كان **عربيّ الجنس** مستقراً في مكة ، او متردداً عليها من اليمن ، وأطراف الجزيرة الشمالية ، **حيث كانت النصرانية (اي المسيحية) سائدة بين حضر العرب وقبائلهم**[1] ، والاتصال مستمراً ؛ فإن مما لا يصح الشك فيه ، وبالاستناد الى صراحة آية (النحل ١٠٣) **ان منهم مَن كان غير عربي ايضاً**... والذي نرجحه ان اكثر افراد **الجالية الاجنبية** المقيمين في مكة هم من النصارى الروم والسريان والسوريين... يفدون اليها من حين الى آخر للاعمال الصناعية حيناً ، والتجارية حيناً ، والتبشيرية حيناً . (ويخص بالذكر أحابيش مكة) .

« **وتنوّع جنسيات الاجانب** من رومية وحبشية وعراقية ومصرية وشامية وسريانية وفارسية ، احراراً وأرقاء ، يمكن ان يكون من ناحية ما دليلاً على ما كان من صلات أهل الحجاز ، ومكة خاصة ، ببلاد الشام وفارس ومصر والحبشة والعراق ، وصلات هذه البلاد بها .

«ونريد أن ننبّه على أمر مهم : وهو أننا ، مع ما ذكرناه من احتمال **كثرة عدد الكتابيين والاجانب النصارى في مكة**، فإننا لا نعني أنهم يؤلفون **عدداً ضخماً**، وأنه كان لهم **كيان متكتّل** ذي أثر ايجابي واسع فيها، كما كان شأن الاسرائيليين (اليهود) في المدينة . . . بل الصحيح هو العكس ، حيث نرجح أن عددهم لم يكن يتجاوز **المئات القليلة** .

« واذا كنّا رجّحنا **ان الكتابيين والاجانب كلهم ، او جلّهم نصارى** ، فإن هذا لا يعني كذلك انه لم يكن في مكة **اسرائيليون** (يهود) . بل هناك آيتان (الشعراء ١٩٧ ؛ الاحقاف ١٠) فيهما ما يلهم ذلك . . . (وخلو القرآن

---

(١) لاحظ هذا التصريح التاريخي بسيادة المسيحية في اليمن والشمال بين حضر العرب وقبائلهم . وهذا لأمر المنكرين .

المكي من الجدل اليهودي) يجعل من السائغ ان يقال ، بل ان يُجزم ، بأنه لم يكن في مكة جالية اسرائيلية كبيرة ، او ذات شأن ايجابي في حياتها ومجتمعها وان الذين كانوا مستقرين منهم (اليهود) لم يكونوا ليتجاوز **الافراد** . . . وكان في المدينة ومناطقها جاليات اسرائيلية كبيرة ، لا يُعقل ان تكون في عزلة عن مكة » (ص ٩٧ — ١٠٤) .

لتقييم هذه الصورة التاريخية التي يلهمها القرآن نقول :

ان وجود يهود في مكة ثابت ، ليس بالآيتين (الشعراء ١٩٧ ؛ الاحقاف ١٠) حيث وَهَم الاستاذ ان تعبير « بني اسرائيل » يعني اليهود ؛ ففي القرآن كله لا يشهد اليهود للدعوة القرآنية ؛ انما تعني الآيتان النصارى من بني اسرائيل ، أولي العلم المقسطين الذين يستشهد القرآن بهم على الدوام (قابل الاعراف ١٥٧ مع الصف ١٤) . انما وجودهم ظاهر من تصريحه « **بأن هذا القرآن** يقص على بني اسرائيل (من يهود ونصارى) أكثر الذين هم فيه يختلفون » (النحل ٧٦) ؛ ومن الامر بالجدال بالحسنى مع النصارى ، ومع اليهود بغير الحسنى ، وأن الجدال بالحسنى مع النصارى هو الايمان معهم بوحدة الاله ووحدة التنزيل ، ووحدة الاسلام (العنكبوت ٤٦) .

ونسجل الشهادة التاريخية الجميلة بأن النصارى بمكة كانوا « **مئات قليلة** » ؛ وهذا « عدد ضخم » في مكة قبل الاسلام . أما قوله بأنه لم يكن لهم « **كيان متكتل** » فسينقضه الحديث والسيرة اللذان يشهدان بأن ورقة بن نوفل كان قس مكة على العرب المتنصرين ، والراهب عداس عــلى الجالية الاجنبية ، كما سنرى . والبيت الحرام على زمن عبد المسيح بن باقية ، سادس ملوك بني جرهم ، كان « **يومئذٍ لاسقف عليه** » (الاغـــاني ١٣ : ١٩٠) ، كما تشهد صور الملائكة والانبياء والسيدة مريم العذراء وابنها على جدران الكعبة من داخل ، حتى عند تجديد بنائها قبل المبعث بخمس سنوات . فهذا الوضع في الكعبة يشهد بأن السيطرة عليها كانت للمسيحية قبل النصرانية ، في تكتل مزدوج متنافس ، برئاسة

اسقف مسيحي وقس نصراني . وما تغلب العنصر النصراني على العنصر المسيحي إلا بالدعوة القرآنية ، فكان طمس الصور المسيحية يوم فتح مكة .

ثانيا في الفصل السابع « في اليهودية والنصرانية ، ومدى انتشارهما ، وأثرهما في عصر النبي ص وبيئته » يقول : « في الفصل الثالث ، من الباب الاول ، بحثنا عن اليهود والنصارى . . . وكذلك أشرنا في فصول اخرى الى ما كان من **تأثيرهم في معارف العرب وافكارهم الدينية وغير الدينية** ، وما يمكن ان يتسرب الى العرب منهم ، من عادات وتقاليد ومقتبسات وافكار دينية وغير دينية ايضاً . . .

« ولقد قررنا في الباب الاول **وجود اليهود** بكثرة في الحجاز وبتعبير أدق في يثرب ومنطقتها . . . كما قررنا ان خطاب القرآن عنهم ببني اسرائيل يدل على انهم كانوا **جوالي أجنبية نازحة** . ونقول الآن : انه ليس في القرآن شيء صريح عن **وجود عرب يهود** ، او بكلمة أخرى عن **انتشار اليهودية بين عرب الحجاز** . وكل ما هناك آية تذكر ان من اليهود أميين : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ، وإنْ هم إلا يظنون » (البقرة ٧٨) . وقد كان تعبير « الاميّين » يطلق على غير الاسرائيليين (آل عمران ٧٥ ؛ الجمعة ٢) . فهل عُني بها فريق متهوّد من العرب ، او عُني بها الفريق الجاهل من بني اسرائيل ، حيث الكلمة تحتمل هذا المعنى ؟ ان سياق الآية أكثر إلهاماً لهذا المعنى من ذاك . . . وعلى كل حال فمن السائغ أن يقال : ان اليهودية قد انتشرت بعض الشيء في عرب الحجاز . غير ان من الراجح جداً أن يكون هذا **إفرادياً وضيّق النطاق.** ونكاد نكون على مثل اليقين استلهاماً من خطاب الآيات القرآنية ، بأنه **لم يكن في الحجاز قبائل عربية متهوّدة** . . .

(من قصة اصحاب الاخدود — البروج ٤ — ٨ — يستنتج) : « فيكون اليهود قد نجحوا في نشر دينهم بمقياس واسع في اليمن . . . وننبّه على ان كتب السيَر والتاريخ القديمة لم تذكر أنه أجلي يهود عن اليمن في زمن عمر بن الخطاب ، حينما أُجلي النصارى عنها ، تنفيذاً لوصية النبي ص بأنه « **لا يبقى في**

جزيرة العرب دينان[١] » . بل روى أبو عبيد ان آخر كلام قاله رسول الله ص هو وصيته أن « **أخرجوا اليهود من الحجاز ، وأخرجوا نصارى نجران اليمن من جزيرة العرب**[٢] » .

أما **النصرانية** فقد وصلنا . . . الى القول **بوجود جالية أعجمية نصرانية في مكة** ، وباحتمال وجود جالية أعجمية نصرانية في يثرب ؛ وبترجيح **وجود عرب متنصرين مستقرين** في بيئة النبي ص وعصره أيضاً . ونقول هنا : ان الذي نرجحه ان مدى **انتشار النصرانية في عرب الحجاز** كان ضيّقاً ، وأنه لم يكن ليتجاوز **الحوادث الفردية**. وذلك استلهاماً من عدم وجود صدى قوي لاحتكاك النبي ص بالنصارى في القرآن الكريم ، لا في الآيات المكية ، ولا في الآيات المدنية ، كما هو الامر بالنسبة الى اليهود في يثرب » — هنا يقول « **حوادث فردية** » ؛ أما في (الفصل الثاني) فيصفها بأنها في مكة وحدها « **مئات قليلة** » ؛ وعدم الاحتكاك يقوم على وحدة الدعوة بين القرآن و « النصرانية » السائدة بمكة بفضل « تنصّر » بني عبد المطلب ، جدّ محمد ، حيث كانت رئاسة قريش ؛ وبفضل « تنصّر » جماعة من بني أسد كان منهم ورقة بن نوفل ، قس مكة ، وابنة أخيه السيدة خديجة زعيمة التجارة المكية الداخلية والخارجية . أمّا مسيحيو مكة فقد لزموا الحياد في الصراع بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل .

ويقول : « فهذه الاشارات القرآنية[٣] (الى وفود نصرانية يمانية وشامية) المفسرة بالروايات غير المتناقضة مع مضامينها تسوغ القول بأن **النصرانية كانت**

---

(١) الخازن ج ٢ ص ٢١٢ ؛ كتاب الاموال ص ٩٨ .

(٢) كتاب الاموال ص ٩٩ .

(٣) الاشارات القرآنية هي : الاسراء ١٠٧ — ١٠٩ والقصص ٥٢ — ٥٥ والاعراف ١٥٧ ومريم ١٦ — ٣٧ والتوبة ٣٥ والنساء ١٧١ — ١٧٢ والمائدة ٧٢ — ٧٩ و ٨٢ — و ٨٤؛ وسلسلة آل عمران في وفد نجران ٣٥ — ٦٤ ؛ وآيات التوبة في غزوة تبوك ضد المسيحيين العرب ٢٩ و ٣٤ و ٣٨ و ٤١ — ٤٢ و ١١٧ .

منتشرة بنطاق واسع بين عرب مشارف الشام، وانها كانت منتشرة في **كتلة غير ضئيلة من عرب اليمن ايضا**. والروايات المعتبرة المتصلة بالمشاهـــدات الى درجة اليقين تؤيد ذلك من جهة؛ وتؤيد انتشارها كذلك في مدن وقرى وبوادي الشام والعراق وبين النهرين من جهة أخرى» (ص ٤٥٣ — ٤٥٤).

«واذ كان مدى انتشار النصرانية في بيئة النبي ص الخاصة **ضيقا**، **فإن هذا لا يعني ان تأثيرها كان ضعيفا فيها**. فنحن نعتقد ان النصرانية كانت كاليهودية مصدراً من مصادر المعارف والافكار الدينية التي كانت عند عرب الحجاز، والتي استدللنا عليها من آيات عديدة... دلائل على ما كان عند عرب الحجاز وعرب مكة خاصة من إلمام غير يسير بالنصرانية وعقائدها وقصصها واشكالات ولادة المسيح ص وبنوته وصلبه، وما كان فيها من مذاهب وآراء... وحيث يدل على ما كان من ثقة العرب السامعين بالنصارى ومعارفهم كما هو الامر بالنسبة لليهود، مما يستتبع التأثر بهم بطبيعة الحال.

«واذا أريد أن يُقال: انه لم يكن في بيئة النبي ص الخاصة من النصارى ما يمكن ان يكون لهم تأثير بالغ في العرب، كالذي يمكن ان يكون لليهود بسبب كثرتهم، فينبغي أن لا ننسى: أنه كان في مكة من النصارى الذين هم مظنّة علم وتعليم[1]... وأن لا ننسى كذلك **تلك الالوف المؤلفة من متنصرة العرب** الذين كان الحجازيون خاصة يفدون ويروحون اليهم في اسفـــارهم ورحلاتهم، ويخالطونهم مخالطة الشقيق، ويتفاهمون معهم بلسانهم القومي المشترك. وأن لا ننسى ايضاً ان كثيراً منهم كانوا يشهدون موسم الحج وأسواقه ومنهم مَن كان يبشر ويخطب كقس بن ساعدة. وان الصلات والتقاليد القبلية كانت تجمع النصراني من العرب برابطة الآباء والاجداد جمعاً وثيقاً تتصـــل أواصره وتستمر مظاهره. وأنه كان كثير من العرب غير النصارى، وخاصة الحجازيين يصهرون الى العرب النصارى، وبالعكس، فتزداد هذه الاواصر

(١) يكفي القس ورقة بن نوفل استاذ محمد مدة خمس عشرة سنة قبل البعثة، كما سنرى.

والمظاهر قوة ولحمة . وان كل هـذا من شأنه ان يهيء لعرب الحجاز الفرص الكثيرة للاطلاع والاستماع ، والدرس والتأثر » (ص ٤٥٦ — ٤٥٨) .

فالقرآن في تفسيره الصحيح يشهد بوجود أهـل الكتاب من نصارى ومسيحيين ويهود بمكة ، وتأثيرهم في تحويل العرب الى التوحيد .

●

٢ — القرآن المكي يشهد بوجود اليهود والمسيحيين بمكة

في القرآن المكي **ظاهرة تستلفت النظر** : انه يذكر «**أحزاب**» **المعارضة** للدعوة القرآنية . فمن استقرائها نعلم أنه يشهد بوجود اليهود والمسيحيين الى جانب المعارضة مع المشركين — وإن وقف المسيحيون بمكة عـلى الحياد في الصراع القائم بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل — ضد « النصرانية » التي تؤيدها الدعوة القرآنية (الصف ١٤) .

يرد ذكر « الاحزاب » اولاً في سورة (ص ١١ و ١٣) . فنرى فيه أن « الذين كفروا **في عزة وشقاق** . . . أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ . . . ما سمعنا بهذا في **الملة الآخرة**، ان هذا إلا اختلاق ! . . . جندٌ ما هنالك مهزوم من الاحزاب . . . أولئك الاحزاب، إن كل إلا كذّب الرسل ، فحق عقاب » (ص ١ — ١٤) . إن الذين يتحزبون عـلى الدعوة القرآنية سينهزمون كما انهزم الاحزاب ضد الرسل من قبل . وتظهر هنا زعامة التحزّب للمشركين الذين يردّون عليه توحيد الآلهة : « ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة » اي ملة المسيح الذين يؤلهونه ؛ فالاشارة الى المسيحيين ظاهرة . ويرد عليهم ايضاً في سورة (المؤمن ٥ و ٣٠) بأن عاقبة احزاب المعارضة للقرآن كعاقبة من تحزّب قبلهم على الرسل .

ثم يظهر تضامنه مع « النصرانية » ضد احزاب المعارضة : إن « النصارى » يؤمنون بالقرآن ، « ويتلوه شاهد منه » ؛ « ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده : فلا تك في مرية منـه ، إنه الحق من ربك ، **ولكن أكثر الناس لا**

يؤمنون » (هود ١٧) . فأكثر الناس يتحزّبون على الدعوة القرآنية ، بسبب « نصرانيتها » . هذا واقع الحال .

١) فالقرآن المكي يشهد بوجود اليهود بمكة بين أحزاب المعارضة :

يقول : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ، **ومن الاحزاب من يُنكر بعضه** » (الرعد ٣٨) . فالذين يفرحون هم « النصـــارى » ؛ ومن ينكر بعضه من الاحزاب ، هم اليهود . فالشهادة صريحة بأن اليهود في مكة من احزاب المعارضة للدعوة القرآنية التي يؤيدها « النصارى » . هـــذا هو الواقع القرآني الاول .

لذلك يصرّح : « إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذين هم فيه يختلفون » (النمل ٧٩) . فغاية القرآن ان يفصل بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل في خلافهم الاكبر . وعلامَ يختلفون الى طائفتين (الصف ١٤) ؟ انهم يختلفون في عيسى : « ولما جاء عيسى بالبيّنات ، قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعونِ : إن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . **فاختلف الاحزاب من بينهم** ، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم عظيم » (الزخرف ٦٢ — ٦٥) . فالقرآن مثل الانجيل يبيّن لليهود الذي اختلفوا فيه من أمر عيسى . فخلافهم في شأن المسيح يدوم منذ الانجيل حتى القرآن . فالدعوة القرآنية تخاطب اليهود ، وتفصل في خلافهم مع النصارى من بني اسرائيل : هذا هو الواقع القرآني الثاني .

والقرآن ، في مكة ، يمنع الجدال مع النصارى إلا بالحسنى ، ويبيحه بغير الحسنى مع « الظالمين » من أهل الكتاب ، وهذه صفة متواترة لليهود من أهل الكتاب : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم » ؛ والجدال بالحسنى هو الامر لأمته بالقول مع النصارى المحسنين بوحدة الاله ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام (العنكبوت ٤٦) . فلا يجادل القرآن

قوماً غــــير موجودين ؛ ولا يتوعّد قوماً غير موجودين (الزخرف ٦٥) ؛ ولا يقص دعوته على قوم غير موجودين . والتعابير مطلقة غير مقيدة بقرائن . هذا هو الواقع القرآني الثالث الذي يشهد بوجود اليهود في مكة .

ويظهر تأثير الدعوة اليهودية على المشركين بمكة، **من تحويل شركهم الوثني الى عبادة الملائكة** ، تلك « الهرطقة اليهودية » التي حرمتها المسيحية منذ القرن الخامس . فالشركاء في نظرهم هم الملائكة ، اولاد الله بالاتخاذ . « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون » (الانبياء ٢٦) ؛ ويهزأ بتواتر من جعل الملائكة بنات الله : « واتخذ من الملائكة إناثاً » (١٧ : ٤٠) ؛ « أم خلقنا الملائكة إناثاً » (٣٧ : ١٥٠) ؛ « ليسمون الملائكة تسمية الانثى » (٥٣ : ٢٧) ؛ « الذين هم عباد الرحمان إناثاً » (٤٣ : ١٩) ؛ « ألكم الذكر وله الانثى » (٥٣ : ٢٦) هذا الواقع القرآني الرابــــع له معنيان : الاول ان الشرك العربي شرك ظاهري لا يمنع التوحيد ، لكنه ليس « بالدين الخالص » في نظر القرآن (الزمر ٣) ؛ والثاني سيطرة اليهودية على العقيدة العربية المكية في موضوع الدين والتوحيد ؛ وهذه السيطرة الدينية على العقيدة ، مع الحياد المكي في السياسة بين الفرس والروم ، هي السبب في معارضة أهل مكة للدعوة القرآنية ، وقيام أحزاب المعارضة لها من اليهود والمشركين حتى كانت غزوة الاحزاب للمدينة (الاحزاب ٢٠ — ٢٢) ، فوسمهم القرآن المدني بهذا الوسم المشترك : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا : اليهود والذين أشركوا » (المائدة ٨٥) .

إن وجود اليهود في مكة ، وتأثيرهم القائم على عقيدة العرب ، واشتراكهم في احزاب المعارضة للدعوة القرآنية ، هو واقع قرآني قائم . مع الشهادة بأنه لم يكن لهم كيان منظم نافذ في مكة ، كما في المدينة . فكان ذلك من اسباب الهجرة النبوية للقضاء على النفوذ اليهودي على مكة والحجاز في وكره بيثرب .

٢ — والقرآن يشهد بوجود المسيحيين بمكة ، لكن على الحياد

وجود المسيحيين بمكة **يشهد له التاريخ** كما رأينا ، من السيطرة السياسية

والدينية للمسيحية على الكعبة. وخير شاهد هو تجديد رسوم الملائكة والانبياء والمسيح وأمه على جدران الكعبة من داخل، يوم تجديد بنائها قبل البعثة بخمس سنوات. وما كان قس مكة، ورقة بن نوفل، ليطوف مع مريده محمد، حول الكعبة، بعد قضاء الصيام في حراء، لو كانت الكعبة معبد أوثان.

والقرآن يشهد بوجود المسيحية بمكة، قبل البعثة، لانه يخاطبهم، ويضعهم في صفوف المعارضة للدعوة القرآنية. فهو يروي قصة عيسى، بحسب العقيدة «النصرانية»، ويعقب عليها بقوله: «ذلك عيسى ابن مريم، قول الحق الذي فيه يمترون: ما كان الله أن يتخذ من ولد، سبحانه! اذا قضى امراً فإنما يقول له: كن، فيكون. وان الله ربي وربكم فاعبدوه. هذا صراط مستقيم. **فاختلف الاحزاب من بينهم**. فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» (مريم ٣٤ — ٣٧). هذا الاختلاف قائم هنا بين «النصرانية» التي يؤيدها والمسيحية التي يتوعدها، بخلاف الاختلاف السابق بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل في المسيح (الزخرف ٦٥). فالمسيحيون موجودون بمكة لان خطاب القرآن موجه لهم.

وعندما يجادل القرآن المشركين في تربيب الملائكة، يجيبونه: «أجعل الآلهة الهاً واحداً؟.. ما سمعنا بهذا في **الملة الآخرة**» (ص ١ — ١٤)، والملة الآخرة المتهومة بإلهية المسيح مع الله، هي المسيحية. ويقابلون بين تربيب المسيح وتربيب الملائكة، وأنهم أولى منه: «ولما ضرب ابن مريم مثلاً، اذا قومك منه يصدّون. وقالوا: **أآلهتنا خير أم هو**؟ — ما ضربوه لك إلا جدلاً، بل هم قوم خصمون! إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل» (الزخرف ٥٧ — ٥٩).

فالقرآن يرد على المشركين، وعلى المسيحيين بمكة، بردّ «النصرانية». فالنصارى والمسيحيون مقيمون بمكة، مثل المشركين. وتذكر السيرة ايضاً لابن هشام (٣ ص ٧٤) وجود «احابيش مكة»، ولا مجال للشك في مسيحيتهم،

فقد كانت الحبشة كلها مسيحية ، وأحداث اليمن في الصراع بين المسيحية واليهودية للسيطرة عليه تدل على ذلك . قال حسين هيكل[1] : «كانت مكة اذ ذاك مقام جالية حبشية ، لعلها نصرانية (؟)، يدعى أفرادها الاحابيش. وكان بلال مؤذن الرسول منهم » . لا مجال للتردد في مسيحيتهم ، ولا مجال للتردد في منزلتهم من نفوس المشركين ومن نفس محمد ، فقد انتدب أهل مكة الحليس ، سيد الاحابيش ، للتفاوض عنهم مع محمد .

وهناك الحركات المتعددة **للاستنصار بقيصر لفرض سيطرة المسيحية على مكة والحجاز** ، بعد ان نجحت اليهودية ، وربما « النصرانية » معها ، بالقضاء على ملوك كندة ، ولاة الحجاز ، ليخلو لهم الجو . نقل الدكتور جواد علي[2] ، عن السيرة ، : « واما عثمان بن الحويرث ، وكان من ذوي قرابة خديجة ايضاً ، فذهب الى بيزنطية وتنصّر (اي صار مسيحياً) ، وحسنت مكانته عند قيصر . ويقال: انه أراد ان **يُخضع مكة الى حماية الروم** ، وان يكون عامل قيصر عليها . فطردوه. فاحتمى بالغساسنة (المسيحيين) حتى مات بالشام » . وسنرى كيف استقدم بنو امية ، وعلى رأسهم ابو سفيان بن حرب ، امية بن ابي الصلت ، لمقاومة داعي بني هاشم . وذهب ابو سفيان مع أمية الى الشام[3] ، وربما اجتمعا هناك بوفد الراهب ابي عامر مع جماعة من يثرب ومن ثقيف، يستصرخون قيصر لفرض المسيحية على مكة والحجاز ، قبل ان تسبقها « نصرانية » محمد والقرآن .

وهناك أيضاً **آية الروم** خير دليل : « الم . غلبت الروم في ادنى الارض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين : لله الأمر من قبل ومن بعد . حينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم » (الروم

---

(١) حياة محمد ص ٣٣٨ ؛ فابل حتي : تاريخ العرب ١ : ٤٨ .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ٣٧٧ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٧٠٩ .

١ — ٥) . لقد فرح المشركون مع اليهود، عملاء الفرس بين العرب ، بنصر الفرس ؛ لكن في بضع سنين سيفرح المؤمنون من جماعة محمد، مع الروم المسيحيين : فلو لم يكن في مكة **مسيحيون ، وعلى الحياد** في الصراع القائم بين اليهودية والنصارى من بني اسرائيل الذين انضم اليهم محمد (النحل ٩٠) يؤيد دعوتهم (الصف ١٤) ، لما كانت البشرى بفرح المؤمنين .

فكل هذه **القرائن التاريخية القرآنية** تدل على ان الصراع سجال بين اليهودية والمسيحية والنصرانية للسيطرة على مكة والحجاز . فالقرآن والسيرة والتاريخ تشهد جميعها بوجـــودهم في مكة ، ومحاولاتهم للانفراد بالسيطرة على مكة والعرب . لكن كانت الغلبة « للنصرانية » بالدعوة القرآنية .

●

٣ — « النصارى » بمكة ، والدعوة القرآنية

قبل ان يفترق المسيحيون الى ثلاث فرق ، ملكية ، ونسطورية ، ويعقوبية ؛ كان اهل الانجيل ، منذ مؤتمر الرسل ، صحابة المسيح ، قد افترقوا الى سنّة وشيعة : سنة المسيحيين من الاميين على سنة الرسل ، **وشيعة النصارى من بني اسرائيل** الذين تشيعوا للتوراة ولامامة آل البيت : وكان الخلاف الاكبر بينهم في العقيدة بإلهية المسيح ، كما يظهر من مصادر الوحي الانجيلي في العهد الجديد.

وفي التاريخ **ظاهرة غريبة** . فـــإن العلماء يتتبعون آثار النصارى من بني اسرائيل حتى قبيل الاسلام . وفجأة يذوبون وينطفئ خبرهم عند ظهور الاسلام . والعلماء في حيرة من أمر آخرتهم .

وقد رأينا ، من السيرة النبوية ، في خبر **سلمان الفارسي** ، الشاهد التاريخي على انسحاب اولئك النصارى التدريجي الى الحجاز ، هرباً من دين الدولة .

ونشاهد من الحديث ، بحسب الصحيحين ، ان ورقة بن نوفل ، قس مكة ، كان يترجم الانجيل العبراني الى العربية . ونعرف انه لم يُكتب انجيل بالعبرانية

سوى الانجيل بحسب متى الارامي ، بلغة سريانية ، وحرف عبراني ، والمسمى (انجيل النصارى) . فكان القس ورقـــة يترجم (انجيل النصارى) ، ومحمد بجواره ، للعرب المتنصرين . فهذه شهادة قائمة قيمة تبرهن على ان النصارى من بني اسرائيل موجودون بمكة ؛ وقد « تنصر » قوم من عرب مكة والحجاز ، وصاروا بحاجة الى انجيـــل بالعربية ؛ وهناك رئيس « للنصارى » اسمه ورقة بن نوفل ، ولقبه « قس مكة » بالسريانية — اي اسقف بالعربية — يقوم بالترجمة لصالح جماعته ؛ وله معاون اسمه القس عداس ، على رئاسة « النصارى » : كلها عناصر تدل على وجود جماعة منظمة ، اي على كنيسة « نصرانية » قائمة في قلب مكة .

واذا اخذنا بعين الاعتبار ايضاً ان القرآن المدني يعلن الوحدة القائمة على المودة بين « الذين آمنوا » ، جماعة محمد ، وبين « الذين قالوا : إنّا نصارى ؛ ذلك بأن منهم **قسيسين ورهبانا** وانهم لا يستكبرون » (المائدة ٨٥) — وجدنا ان « القسيسين والرهبان » جماعة عديدة ، لا افراد قلائل ؛ وهم يرأسون «النصارى» بمكة والمدينة وسائر الحجاز . فالقرآن الذي يؤلف « امة واحدة » مع هؤلاء « النصارى » شاهد عدل على وجودهم بمكة والمدينة وسائر الحجاز ، وعلى تغلّبهم « على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

لكن الاسلوب القرآني بالتعميم في تعبيره يخلق **شبهتين** : الاولى اطلاق اسم النصارى الواحد ، على جماعتين مختلفتين ، تارة بالتأييد ، وطوراً بالتنديد ؛ والثانية التردد بين اهل الكتاب او اهل الذكر او اولي العلم — تعابير ثلاثة مترادفة — تارة بالثناء المحبّب ، وطوراً بالتنكر المستغرب . لكن هذه الشبهات تزول تحت ضوء الانوار الكاشفة من القرائن اللفظية والمعنوية .

ففي القرآن صفتان ، وهما « المحسنون » و « الظالمون » مع اشتقاقاتهما ، تؤخذان تارة بحسب التعبير اللغوي ؛ وتارة بحسب اصطلاح قرآني خاص : لغةً تعنيان كل شيء محسن او ظالم ؛ اما في اصطلاح القرآن **فالظالمون هم خصوصاً**

اليهود لكفرهم بالمسيح ثم بمحمد؛ والمحسنون، ومثله المقسطون، هم النصارى من بني اسرائيل الذين آمنوا بالمسيح، وهم يؤمنون بمحمد حتى الاندماج في «**امة واحدة**» هي «**الامة الوسط**» بين المسيحية واليهودية.

وموقف القرآن من يهود زمانه هو التكفير، لكفرهم بالمسيح ثم بمحمد؛ ومن مسيحي الحجاز هو الاتهام «بالغلو في دينهم» حتى البدعة والردة عن دين الحق للسيد المسيح، بين الحياد بمكة، والاستنكار للدعـــوة القرآنية بآخر العهد في المدينة، من قبل وفد نجران، وجماعة الراهب أبي عامر.

وترى في هذا الكتاب الامثلة القرآنية منثورة تأييداً لتلك **المبادئ التفسيرية** المنبثقة من الواقع القرآني. وعلى ضوئها نرى شهادة القرآن للنصارى من بني اسرائيل بمكة.

●

١) هذه **مجموعة اولى** من الدلائل على وجود النصارى من بني اسرائيل بمكة:

فالقرآن المكي — بعد دعوة مشركي مكة الى التوحيد الكتابي — هدفه ان يقص على بني اسرائيل اعظم اختلافهم: «ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦). وان «اكثر الذي هم فيه يختلفون» **هو الايمان او الكفر بالمسيح**: «ولما جاء عيسى بالبيّنات، قال: قد جئتكم بالحكمة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفـــون فيه، فاتقوا الله واطيعونِ. إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه، هذا هو صراط مستقيم. فاختلف الاحزاب من بينهم، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم» (الزخرف ٦٣ — ٦٥). فبنو اسرائيل اختلفوا الى طائفة آمنت بالمسيح وهم النصارى من بني اسرائيل، وطائفة كفرت بالمسيح وهم اليهود، كما ستفسره صريحاً آية (الصف ١٤). والخطاب في (الزخرف) صريح بأنه موجه لبني اسرائيل، لقوله: «لابين لكم بعض الذي تختلفون فيه»؛ والمسيح كان يخاطب مباشرة بني اسرائيل. فيثبت ان بني اسرائيل بعد المسيح صاروا يهوداً او نصارى. والقرآن

يخاطب الفريقين في الآيتين. والذين يقبلون القرآن من بني اسرائيل يسميهم «مؤمنين» (٧٧) «مسلمين» (٨١) فالتعبيران مـــن صفات النصارى من بني اسرائيل.

فالقرآن يتوعد اليهود لكفرهم بالمسيح (الزخرف ٦٥) لذلك عندما يقول: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق، وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨)، فهو يعني النصارى من بني اسرائيل، لا اليهود. والنصارى الاسرائيليون يقومون بدعوة الحق في مكة؛ وهذا تأكيد ضمني لانتساب القرآن اليهم.

كذلك عندما يقول: «ولقد آتينا موسى الكتاب: فلا تكن في مرية من لقائه. وجعلناه هدى لبني اسرائيل (من يهود ونصارى)؛ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا**، لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» (السجدة ٢٣ — ٢٤). فاليهود الذين يتوعدهم لكفرهم بالمسيح، **لا** يقبل ان يكون منهم «أئمة يهدون بأمرنا». فالأئمة من بني اسرائيل الذين يقومـــون بهداية الناس، ويصبرون على أذاهم، ويوقنون بآيات القرآن، هم أئمة النصارى من بني اسرائيل. وهذه شهادة صريحة على قيام الدعوة «النصرانية» بمكة، وعلى تأييد القرآن لها.

في عرْف القرآن، جاء المسيح «**رسولاً الى بني اسرائيل**» (آل عمران ٤٩)، فهو يقتصر رسالة المسيح على بني اسرائيل. لذلك، اذ يقول: «إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني اسرائيل» (الزخرف ٥٩)، نفر أهل مكة، واليهود طبعاً؛ والذين يقبلونه مثلًا لهم هم النصارى من بني اسرائيل، في مكة.

أخيراً يعلن القرآن انضمامه صريحاً الى النصارى من بني اسرائيل: ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين. **وآتيناهم بينات من الامر** (مع عيسى): فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ثم جعلناك **على شريعة من الامر**، فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون» (الجاثية ١٥ — ١٧). فالعلم جـــاء بني اسرائيل في «الحكمة»

اي الانجيل (٤٣: ٧٣) في بيّنات عيسى. فاختلف بنو اسرائيل الى يهود ونصارى بعد العام المنزل مع المسيح. فالنصارى من بني اسرائيل، الطائفة التي آمنت بالمسيح (الصف ١٤) هم **أولو العلم على الاختصاص**. ولما جعل الله محمداً «على شريعة من الأمر»، اي «أمر الدين» (الجلالان)، على «بينات من الأمر» التي جاء بها عيسى، أمره بالانضمام الى **أولي العلم** الانجيلي، النصارى من بني اسرائيل؛ مع تحذيره من أهواء «**الذين لا يعلمون**» اي المشركين.

فهذه **المجموعة الاولى** من القرائن والبراهين تدل على قيام النصارى من بني اسرائيل بالدعوة بمكة؛ وتدل على انضمام النبي العربي الى دعوتهم «النصرانية».

لذلك فقوله: «ألم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧) ليس استشهاد باليهود، كما رأى الاستاذ دروزة وغيره[1]؛ انما هو استشهاد بالنصارى من بني اسرائيل الذين يؤمنون بالدعوة القرآنية؛ بينما اليهود يرفضونها، والقرآن يتوعدهم (الزخرف ٦٥). واستشهاد القرآن بهؤلاء النصارى، وشهادتهم له، **برهان على وحدة الدعوة**.

كذلك قوله: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠)، على مثل القرآن، انما هي شهادة من «نصراني»، لا من يهودي، وقد كانوا «أول كافر به»!

●

٢) وهذه **مجموعة ثانية** من الاشارات والدلائل الصريحة:

يقول: «**الذين آتيناهم الكتاب** يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون» (الانعام ٢٠). فقوله: «الذين آتيناهم الكتاب» عام يراد به خاص اي النصارى من بني اسرائيل، لا اليهود. وهؤلاء النصارى

---

(١) عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص ١٠٣.

يعرفون محمداً والقرآن معرفة الاب ابنه . وهذا برهان الصلة المصدرية بين محمد والقرآن وبين النصارى من بني اسرائيل .

ويقول : « أفغير الله أبتغي حكماً، وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً؛ **والذين آتيناهم الكتاب** يعلمون انه منزل من ربك بالحق » (الانعام ١١٤) : لا يؤمن بالقرآن إلا النصارى ، لا اليهود ولا غيرهم .

ويقول : « **الذين يتبعون الرسول** ، النبي الامي ، الذي يجـــدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » (الاعراف ١٥٧) . فلا اليهود ، ولا المسيحيون ، يجدون « الرسول النبي الامي » مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ؛ انما هم وحدهم النصارى من بني اسرائيل . **وهذا اعـــلان صريح بأن الدعوة القرآنية دعوتهم .**

هذا ما يعلنونه بصراحة تامة : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله ، **هم به يؤمنون** . واذا يتلى عليهم قالوا : **آمنا به : انه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين** . اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرأون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون . واذا سمعوا اللغو ، اعرضوا عنه ، وقالوا : لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم ، لا نبتغي الجاهلين » (القصص ٥٢ — ٥٥) يرى بعضهم في هذا النص شهادة بإسلام وفد طارئ ، ولا شيء فيه يدل على ذلك . فالآيات عامة لاهل الكتاب المؤمنين بالقرآن ، فهم النصارى من بني اسرائيل ، لا اليهود ولا المسيحيون . ونرى ان الدعوة دعوتهم : فقد تبنوها ، وهنا يعلنون ايمانهم بها ، ويشهدون لهـــا . والقرآن يصف الاضطهاد الذي يتحمله النصارى لاشتراكهم بالدعوة ، والشهادة لها ، والانفاق في سبيلها . فلهم اجران : أجر « النصرانية » ، وأجر الدعوة القرآنية . وجميل الاعلان المبين لفهم الاسلام في القرآن : « إنا كنا من قبله مسلمين » : فالمسلمون قبل القرآن هم على الحصر والتخصيص النصارى من بني اسرائيل ، ومحمد دخل على اسلامهم « النصراني » بأمر الله : « وأمرت ان اكون من المسلمين » (النحل ٩١) .

وقوله «سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين» إعلان للمشركين بأن انتصار «النصارى» للدعوة القرآنية ليس موجهاً ضد «الجاهلين» أهل مكة؛ بل ضدّ غيرهم اي اليهود، فما للمشركين ان يدخلوا فريقاً في الصراع الناشب.

وقوله: «إنا كنا من قبله مسلمين» (القصص ٥٣)، «وأمرت ان اكون من المسلمين» (النحل ٩١)، صريح بأن «المسلمين» قبل القرآن هم حصراً النصارى من بني اسرائيل، ومن «تنصر» معهم من العرب. والقرآن إنما يطلق لقب «المسلمين» على جماعته، على الانتساب والتبعية.

فهم المسلمون، وهم أولو العلم المقسطون، الذين يتحدى القرآن المشركين العرب بإيمانهم: «قل: آمنوا به، أو لا تؤمنوا! ان الذين أوتوا العلم من قبله، اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً! ويقولون: سبحان ربنا، إن كان وعد ربنا لمفعولاً! ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً» (الاسراء ١٠٧ — ١٠٨). ليس هذا موقف المشركين، ولا اليهود، ولا المسيحيين. إنه موقف النصارى من بني اسرائيل وحدهم، «الذين أوتوا العلم من قبله» على التخصص. فالقرآن يتحدى الناس كلهم بإيمان هؤلاء النصارى بدعوته. إنها دعوتهم، وهم «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» معرفة مصدرية.

لذلك فالنصارى من بني اسرائيل وحدهم، من دون سائر أهل الكتاب، يفرحون بالدعوة القرآنية: «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل اليك» (الرعد ٣٦)، تعميم يُراد به التخصيص.

وفي كل مسألة يحيل القرآن سامعيه الى النصارى، أهل الذكر الحكيم: «فاسألوا أهل الذكر، ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر» (النحل ٤٣ — ٤٤)؛ «فاسألوا أهل الذكر، ان كنتم لا تعلمون» (الانبياء ٧). فهو لا يحيلهم الى اليهود، ولا الى المسيحيين؛ بل الى النصارى، أهل الذكر، وأولي العلم على التخصيص.

والقرآن يحيل محمداً نفسه، عند الشك من أمره ووحيه، الى اساتذته من أهل الكتاب : «فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك، **فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك** : لقد جاءك الحق من ربك، فلا تكونن من الممترين» (يونس ٩٤). فمحمد يقرأ الكتاب بقراءة النصارى، لا بقراءة اليهود او المسيحيين. والنتيجة الحاسمة لهذا التصريح ضخمة، ومزدوجة : ان القرآن العربي هو قراءة للكتاب، على «مثل» الذين يقرأون الكتاب من قبله، وهو يسمي قرآن الكتاب، في السورة عينها، «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٧) اي ترجمته وتعريبه بحسب اصطلاحه (فُصلت ٤٤)؛ و «النصارى» هم اساتذة محمد في قراءة الكتاب، وفي «تفصيل الكتاب» بالقرآن.

والنتيجة الاخيرة الحاسمة : «ولا تجادلوا أهل الكتاب، إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦ — ٤٧). فالقرآن لا يبيح جدال النصارى إلا بالحسنى؛ أما اليهود الظالمون فيصح جدالهم بغير الحسنى؛ والحسنى المفروضة هي الامر بالقول **بوحدة الاله ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام** بين جماعة محمد والنصارى من بني اسرائيل. **فالدعوة القرآنية «نصرانية»**.

●

٣) وهذه **مجموعة ثالثة** نكتفي بالاشارة اليها.

في القرآن طائفة أولى من **ثلاث تعابير مترادفة** : أهل الكتاب، وأهل الذكر، اولو العلم. وهم ثلاث طوائف : اليهود، والنصارى من بني اسرائيل، والمسيحيون. فلا يصف بالاحسان والقسط منها إلا النصارى من بني اسرائيل؛ اما اليهود فهم ظالمون غير محسنين لكفرهم بالمسيح ومحمد؛ والمسيحيون «يغلون» في ايمانهم بالمسيح ويرفضون الدعوة القرآنية، فليسوا محسنين ولا مقسطين. اما

النصارى فهم المحسنون ، وهم المقسطون ، وهم المسلمون ، لانهم « امة وسط » في ايمانهم بالمسيح وايمانهم بمحمد : « اولئك يؤتون اجرهم مرتين » .

والطائفة الثانية من التعابير القرآنية هي **ثلاث صفات مترادفة** : المحسنون ، المقسطون ، المسلمون . قد يكون التعبير لغوياً فلا يخصهم من دون سواهم ؛ وحين يأتي اصطلاحاً ، فالمحسنون المقسطون المسلمون هم النصارى من بني اسرائيل ومن تابعهم ؛ لان التعبير الاصطلاحي المختص بجماعة محمد هو « المتقون » من العرب .

وهذا مبدأ تفسيري آخر يرفع كثيراً من المتشابهات في القرآن ، وفي فهمه حق فهمه .

نكتفي بالآية الكبيرة ، محور القرآن كله ، ولو كانت مدنية : « شهد الله انه لا إله إلا هو ، والملائكة **واولوا العلم قائماً بالقسط** — لا اله إلا هو العزيز الحكيم — ان الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران ١٨ — ١٩) . فالذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » هم « اولوا العلم قائماً بالقسط » على التخصيص بالقسط اي النصارى ، لا « أولوا العلم » على التعميم ، اي اليهود او المسيحيون . لذلك فالتعبير بصيغة التعميم « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب » في الاسلام ، يقصد اليهود على التخصيص ، بسبب قرينة « العلم » الذي رفضوه فليسوا من أولي العلم المقسطين . **فالاسلام هو دعوة النصارى من بني اسرائيل** ، ومحمد يدعو بدعوتهم ، والقرآن يشهد للاسلام بشهادتهم . فإسلام القرآن هو اسلام « النصارى » ، والدعوة القرآنية دعوة « نصرانية » .

فعندما يقول : « قلْ : نزّله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) يعني « بالذين آمنوا » جماعة محمد بحسب التعبير المتواتر ، « وبالمسلمين » جماعة أخرى هم النصارى من بني اسرائيل بحسب

القرائن المتواترة. فالقرآن هدى وبشرى، اي توراة وانجيل، للنصارى المسلمين، ومن «تنصّر» وأسلم معهم. فليس التعبير عطف بيان، لاختلاق الهدف.

كذلك، «تلك آيات الكتاب الحكيم، هدى وبشرى للمحسنين» (لقمان ٢ و ٣) تجعل الكتاب المقدس هـــدى وبشرى للنصارى من بني اسرائيل، المحسنين على التخصيص، بحسب صفتهم المتواترة.

وكما جاء القرآن تثبيتاً للذين آمنوا مع محمد، وهدى وبشرى للنصارى المسلمين؛ جاء تصديقاً لكتاب موسى «لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين» (الاحقاف ١٢)، اي انذاراً لليهود، وبشرى للنصارى المحسنين.

فتعابير «المحسنين المقسطين المسلمين»، اصطلاحاً عـــلى التعميم، هم «النصارى» من أهل الكتاب، أو أهل الذكر، أو أهل العلم، اصطلاحاً على التخصيص.

وتلك التعابير والصفات المتواترة شهادة متواترة على وحدة الدعوة القرآنية والدعوة «النصرانية». فالقرآن يدعو للاسلام والمسيح والانجيل بـــدعوة **النصارى من بني اسرائيل المقيمين بمكة**. ونجد الشهادة نفسها بالنسبة للمدينة.

•

٤ — «النصارى» بمكة جالية أجنبية، وطائفة عربية

يقول الاستاذ دروزة[1]: لقد وصلنا في الاستدلالات القرآنية «الى القول بوجود جالية **اعجمية نصرانية في مكة**، وباحتمال وجود جالية **اعجمية نصرانية في يثرب** أيضاً؛ وبترجيح وجود عرب **متنصرين في** بيئة النبي ص وعصره ايضاً». وفي أطراف الجزيرة العربية يقدرهم «**بالالاف** المؤلفة من متنصرة العرب»، غير الجوالي الاجنبية (ص ٤٥٧). لكن «عدد الكتابيين والنصارى الاجانب في مكة... لم يكن ليتجاوز **المئات القليلة**» (ص ١٠٣). أما «الذي نرجحه

(١) عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص ٤٥٢ — ٤٥٣.

ان مدى انتشار النصرانية في عرب الحجاز لم يكن ليتجاوز الحوادث الفردية، وذلك استلهاماً من عـــدم وجود صدى قوي لاحتكاك النبي ص بالنصارى في القرآن الكريم، لا في الآيات المكية ولا في الآيات المدنية، كما هو الأمر بالنسبة الى اليهود في يثرب» (ص ٤٥٣).

وبعضهم يرى الاستاذ دروزة كريماً في تقدير عدد الاجانب النصارى في مكة «بالمئات القليلة»، والعرب النصارى «بالافراد».

ونقول نحن: ان تقديراته قاصرة مقصرة.

ونميز نحن بين النصارى من بني اسرائيل، وبين المسيحيين، مما لم تجر به العادة.

هذا الكتاب يبرهن، بما لا يقبل شكاً ولا جدلاً، أن الدعوة القرآنية و«النصرانية» دعوة واحدة (الصف ١٤) واسلام واحد بتصريحه في (آل عمران ١٨ — ١٩)، والامر الصريح اليه في هدايته: «وأمرت ان اكون من المسلمين» الموجودين قبله (النحل ٩٠) اي النصارى من بني اسرائيل. بناء عليه، ما كانت الدعوة القرآنية لتكتسح الحجاز، رغم مقاومة العرب المشركين واليهود المتحزبين عليها، لولا وجود هذه الجالية «النصرانية» بكثرة في مكة والحجاز. وانتصار الدعوة القرآنية «للنصرانية»: «فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤)، برهـــان الواقع التاريخي على كثرة عدد «النصارى» في مكة والحجاز، للقيام بهذا الانقلاب الديني والسياسي والاجتماعي، لان القضية بالنسبة لهؤلاء «النصارى» الفارين من دولة الروم ودولة الفرس، بسبب الاضطهاد الديني، مسألة حياة أو موت.

وكثرة المسيحيين من أجانب وعرب في مكة والحجاز نجد برهانها القاطع في واقع الكعبة، حيث كانت أصنام العرب القديمة خارجها، بينما كانت جدرانها من داخل ملأى بصور الملائكة والانبياء والمسيح وأمه؛ وهذا عمل لا يقوم به المشركون، ولا اليهود، ولا «النصارى»؛ انما يقوم به المسيحيون وحدهم؛ ونقول المسيحيون العرب قبل الاجانب، لأنه لا يعقل أن يفرض أجانب على

معبد قومي حرية التصرف فيه، فيملؤونه بالصور المسيحية. وهذا الواقع الاثري والتاريخي برهان قائم على كثرة المسيحيين من عرب واجانب، كثرة تمكنهم من ابقاء الاصنام العربية خارج الكعبة والصور المسيحية على جدرانها الداخلية، عند تجديد بناء الكعبة، خمس سنوات قبل البعثة.

والقرآن والتاريخ يظهران بأن الصراع للسيطرة على مكة والحجاز كان قائماً بين اليهودية والمسيحية و «النصرانية». ونعرف من السيرة محاولات أمية بن ابي الصلت في الطائف، وعثمان بن الحويرث من ذوي قرابة خديجة في مكة، والراهب أبي عامر في المدينة، للاستنصار بقيصر الروم لفرض سيطرة المسيحية على مكة والحجاز، قبل ان يستفحل أمر محمد وجماعته. لا شك ان جواب القيصر لهم جميعاً كان جوابه لاهل اليمن المسيحيين: ان بعد الدار يمنعنا من ذلك. وإن كان قيصر قد كلّف الحبشة المسيحية ان تقوم مقامه في القرن السادس؛ فما كان باستطاعة قيصر في مطلع القرن السابع ان يفعل ذلك، لان اليمن كان قد وقع تحت سيطرة الفرس وعملائهم اليهود. فكانت محاولات المسيحية فاشلة في كسب السيطرة. لكن هذه المحاولات المتعددة الاطراف برهان على **كيان مسيحي قائم قوي**، وإلا كانت المحاولات ضرباً من الجنون؛ وهذا الكيان المسيحي القائم كان أجنبياً وعربياً.

ودولة الفرس ناصرت اليهودية للاستيلاء على اليمن. لكن ما منعها من المحاولة للاستيلاء على الحجاز، هو المانع نفسه الذي منع الروم، بعد الدار، واعتصام الحجاز بالصحاري الذي تحميه من الشرق ومن الغرب، من الفرس ومن الروم. أضف الى ذلك حكمة العرب في الحجاز الذين وقفوا على الحياد في صراع الجبابرة: «إن نتبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا» (القصص ٥٧).

وانقسام اهل الكتاب في مكة الى يهود ونصارى من بني اسرائيل قائم بشهادة القرآن (الزخرف ٦٣ — ٦٥؛ الصف ١٤)؛ وانقسامهم الى نصارى من بني اسرائيل ومسيحيين قائم ايضاً بشهادة القرآن المتواتر (مريم ٣٤ — ٣٧).

وجاءت الدعوة القرآنية للدين والدولة، فحسمت النزاع بين اليهود والنصارى والمسيحيين. لقد تبنى محمد « النصرانية » وأيدهـــا على اليهودية والمسيحية حتى النصر المبين في مكة والحجاز (الصف ١٤) . ومنذ مكة حيث عجزت الدعوة القرآنية عن السيطرة ، كان القرآن يتوعد اليهود والمسيحية (مريم ٣٧ ؛ الزخرف ٦٥) .

فقد كان في مكة مسيحيون عرب واجانب ، بعدد وافر ، لكن الآثار لا تظهر لهم كياناً منظماً ، وكنيسة قائمة ؛ وفي وصيته الاخيرة لا يشير محمد الى ترحيل لهم من الحجاز .

اما النصارى من بني اسرائيل فقد كان لهم كيان منظم ، وكنيسة قائمة من طائفة « نصرانية » عربية ، وطائفة « نصرانية » أجنبية ، يرأس كل واحدة قس اي « رئيس للنصارى » .

تروي السيرة[1] ، بمناسبة بدء البعثة ، خبر اتصال السيدة خديجة بقس من نينوى مقيم بمكة اسمه عدّاس . وقبل ان تستفتي ابن عمها القس ورقة بن نوفل ، استفتت القس عداس في الرؤيا التي عرضت لمحمد وهو معتكف في غار حراء . « وكان راهباً ، شيخاً كبير السن ، وقد وقع حاجباه من الكبر » . وهو غير الغلام عداس الذي لقيه محمد في الطائف . فمن لقبه « القس » ومن قوميته « من أهل نينوى » ، يتضح انه من مهاجري « النصارى » . ولا شك انه كان « رئيس النصارى » على الجالية « النصرانية » من بني اسرائيل . هؤلاء هم الذين يسميهم القرآن اهل الكتاب او أهل الذكر ، او اولي العلم المحسنين ، المقسطين ، المسلمين قبل محمد ، اي النصارى على التخصيص .

وفي المناسبة ذاتها تذكر كل السير ، خبر استفتاء خـــديجة ، « سيدة نساء قريش » القس ورقة بن نوفل ، ابن عمها ، في أمر محمد ورؤياه . وهنا تبرز خصوصاً

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٦٧ .

تلك **الشخصية الجبارة** التي لعبت **الدور الاول** في هداية محمد وبعثته ، كما سنرى في البحث التالي . والسيرة الحلبية (١ : ٢٧٤) تسمي ورقة « القس » ، « رئيس النصارى » بمكة . فليس ورقة راهباً متوحداً او سائحاً ليكون بلا رعية تتبعه . انما هو « رئيس النصارى » ، فله جماعة من العرب يرأسهم ؛ وبما انه يترجم لهم الانجيل العبراني ، وهو انجيل النصارى من بني اسرائيل ، فقد كان ورقة بن نوفل « قس » النصارى العرب . ونعرف من شهادة اليعقوبي (١ : ٢٩٨) ان « من تنصّر من أحياء العرب ، قوم من قريش » ؛ قبيلة القس ورقة ، وابنة عمه السيدة خديجة . فكلها قرائن تدل على ان ورقة بن نوفل كان « رئيس النصارى » من العرب . وهؤلاء العرب «المتنصرون» يسميهم القرآن «**المتقين**»، قبل أن يصبح التعبير صفة لجماعة محمد .

والشاهد القرآني الاكبر ان القرآن يدعو الى « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية ، تدل كل اوصافها ، وعقيدتها ، وانجيلها العبراني ، كما سنرى ، انها « النصرانية » . فهي طائفة عربية وأعجمية ، استنصرت بالدعوة القرآنية ، وانتصرت ، آيتان من مكة ومن المدينة تكشفان لنا السر كله : « وأُمرتُ أن أكون من المسلمين » (النمل ٩٠) اي النصارى من بني اسرائيل ؛ « فآمنت طائفة من بني اسرائيل ، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . لقد انتصرت «النصرانية» الأمة الوسط ، على اليهودية ثم على المسيحية ، بالدعوة القرآنية ، وباسم الاسلام ، على مكة والحجاز والجزيرة كلها . فهذا المصير يدل على أن مركز « النصرانية » كان في مكة ، وكان كبيراً ، حقق ما عجزت عنه اليهودية والمسيحية .

وكانت **الزعامة الدينية** بمكة لرئيس النصارى ، القس ورقة بن نوفل ؛ **والزعامة التجارية** لابنة عمه ، خديجة ، « سيدة نساء قريش » ، التي كانت « تجارتها تعدل نصف **تجارة قريش**[1] » . فكانت « النصرانية » كما يظهر من مركزها الديني

---

(١) السيرة لابن هشام ١ : ١٧٦ .

والاقتصادي، هي الكتلة المسيطرة في مكة. وكان همّ ورقة وخديجة ان يجدا من يخلفهما في هذه الزعامة الدينية والاقتصادية، فوجداه في محمد بن عبد الله، من بني هاشم، من قريش؛ في بيت **الزعامة السياسية** على الكعبة ومكة وقريش.

***

بحث خامس

محمد على درب «النصرانية» — من وحي السيرة

نقل ابن خلدون[1] في تاريخه: «كان التقدم في مضر كلها لكنانة، ثم لقريش؛ والتقدم في قريش لبني لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. وكان سيدهم قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي». وكان وُلد قُصي: عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قُصي.

وكان جد قُصي الغوث بن مرة. «كانت أمه من جرهم، وكانت لا تلد. فنذرت إن ولدت أن تتصدّق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، فولدت الغوث. وخلّى أخواله من جرهم بينه وبين من نافسه بذلك. فكان له ولوُلده، وكان يقال لهم: **صوفة**».

هذه رواية أولى عن انتقال ولاية البيت العتيق من جرهم الى قريش. والرواية الثانية تدل على السبب السياسي الحقيقي: «وقال السهيلي عن بعض الاخباريين: **ان ولاية الغوث بن مرة كانت من قبل ملوك كندة**». وهو الذي اورثها حفيده قُصي، الذي تفرّد من دون بني عمومته: «فرأى قصي أنه **أحق بالكعبة وبامر مكة** وخزاعة وبني بكر، لشرفه في قريش؛ وقد كثرت قريش سائر الناس واعتزت عليهم». واحتكم الناس في ذلك الى حكيم كنانة،

---

(١) المجلد الثاني، منشورات دار الكتاب اللبناني ص ٦٩٠ الخ.

« فقضى لقصي عليهم ، فولي قُصي البيت وقرّ بمكة ، **وجمع قريشا من منازلهم بين كنانة اليهـــا** ، وقطّعها أرباعاً بينهم . فأنزل كل بطن منهم بمنزله الذي صَبحهم به الاسلام » . « وصارت قريش على فرقتين : قريش البطاح ، وقريش الظواهر من سواهم . فقريش البطاح ولد قصي بن كلاب وسائر بني كعب بن لؤيّ ؛ وقريش الظواهر من سواهم » .

ونرى بدء **دخول « النصرانية » في قريش** ، عند انتقال ولاية البيت اليهم من بني جرهم ، بفضل ملوك كندة ، ولاة الحجاز من قبل التبابعة من حمير . في ذلك يصح قول اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٨) : « **أماً من تنصّر من أحيـــاء العرب ، فقوم من قريش** » . واللقب الذي اتخذوه حينئذٍ يدل عليهم : « وكان يقال لهم صوفة » .

ثم اختلف بنو عبد الدار مع بني عبد مناف في منـــافع الحج . وكان حلف المطيّبين فاقتسموا الوجاهـــة والمنافع : فكانت السقاية والرفادة لبني عبد مناف ، والحجابة واللواء لبني عبد الدار ، ورضي الفريقان ، واحتجز الناس . كان ذلك على أيام عبد المطلب ، الجد الاعلى للنبي العربي ، فقام على ولاية البيت .

●

أولاً : « النصرانية » في بيت محمد

١ — زعامة البيت ومكة في بني هاشم ، لعبد المطلب الثاني ، جد محمد .

وبعد عبد المطلب الاول ، « قام بأمر بني عبد مناف هاشم (ابنه) ليساره وقراره بمكة ؛ وتقلّب أخيه عبد شمس (جدّ بني أمية) في التجارة الى الشام . فأحسن هاشم ما شاء في اطعام الحج واكرام وفدهم . ويقال : انه اول مَن

أطعم الثريد الذي كان يطعم ، فهو ثريد قريش[١] ». ثم خلفه علـــى الامر نفسه ابنه المطّلب .

وكان هاشم قد قدم يثرب فتزوّج من بني عدي ، من امرأة كانت قبله عند أحَيحة بن الجلّاح ، سيد الأوس لعهده ، فكان له منها عمرو بن أحيحة[٢] . وكانت لشرفها تشترط أمرها بيدها ، في عقد النكاح . وولدت لهاشم عبـــد المطلب ، فسمته شيبة . وتركه عندها في يثرب حتى كان غلاماً . وهلك هاشم في رحلة الى غزة من ارض الشام . فخلفه على أمره بحكمه ابنه المطلب ، فخرج الى يثرب يطلب أخاه شيبة . فاحتمله وردفه على بعيره ودخل مكة . فقالت قريش : هذا عبد ابتاعه المطلب؛ فسُمّي شيبة عبد المطلب من يومئذ ، فكان على اسم جده .

ثم هلك المطلب بردمان من اليمن ، في رحلة اليها . فقام بأمر بني هاشم من بعده عبد المطلب بن هاشم ، وهو عبد المطلب الثاني ، الجد الادنى لمحمد . وأقام الرفادة والسقاية على أحسن ما كان قومه يقيمون بمكة من قبله. وكانت له وفادة على ملوك اليمن من حمير ، وعلى الحبشة . وهـــذه الصلات إشارة أولى الى مذهبه الديني .

ولما أراد عبـــد المطلب الثاني ، جد محمد ، حفر زمزم ، اعترضته قريش . فنذر : لئن وُلد له عشرة من الولد ، ثم يبلغوا الحلم معه حتى يمنعوه ، « **ليَنحرنَّ أحدهم قرباناً لله عند الكعبة** » — لاحظ لغة التوحيد في نذره — فلما كملوا عشرة ، ضرب عليهم القداح ، فخرجت على ابنه عبد الله ، والد محمد . فافتداه

---

(١) يعلّق عليه ابن خلدون بقوله : «والثريد لهـــذا العهد ثريد الخبز ، بعد أن يُطبخ في المقلاة والتنور . وليس من طعام العرب . إلا ان عندهم طعاماً يسمونه (البازين) يتناوله الثريد لغةً ، وهو ثريد الخبز بعد أن يُطبخ في الماء عجيناً رطباً ، الى ان يتم نضجه ، ثم يدلكونه بالمغرفة حتى تتلاحم أجزاؤه وتتلازج». ونحن نرى في ثريد قريش الذي « ليس من طعام العرب » إشارة على تبدّل الحياة الاجتماعية عند هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة، وتنصّر قوم من قريش.

(٢) في رواية ثانية انها كانت سلمى بنت عمرو بن لبيد الخزرجي .

بمائة من الابل . « فنحرها عبد المطلب ، وكانت من كرامات الناس له » . وعليه قول النبي : « **انا ابن الذبيحين** » ، يعني عبد الله أباه ، واسماعيل بن ابراهيم ، جد العرب المستعربة ، الذين قُرّبا للذبح ، ثم فُديا بذبح من الانعام .

ثم ان عبد المطلب الثاني ، جد محمد ، زوّج ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب ، من بني زهرة ، بيثرب . فدخل بها وحملت بمحمد . وعند رجوع عبد الله من رحلة الى الشام ، عرّج الى يثرب الى عرْسه ، فمرض هنـــاك ومات ، وآمنة حامل بمحمد .

وعاش عبد المطلب الثاني ، جد محمد ، « ماية وأربعين سنة ، وقيل ماية وعشرة ، وقيل أقل » . وهو الذي احتفر زمزم ، وجعل لها حوضاً يسقي منه . وهو الذي ذهّب حلية الكعبة وجعل لها باب حديـــد . ويختم ابن خلدون خبره بقوله : « **ثم أقام عبد المطلب برئاسة قريش** ، والكون يصغي للملك العرب . والعالم يتمخّض بفصال النبوة » .

هذا الخبر يشهد بأن ولاية البيت ورئاسة قريش قبيل الاسلام كانت بمكة لجد محمد . وهو الذي احتضن محمد بعد موت أبيـــه عبد الله . وهذه الصورة التاريخية تختلف كثيراً عن الاسطورة التي يردّدونها على الناس عن محمد الولد اليتيم الفقير ، راعي الغنم ليعيش .

وصلات القربى والمصاهرة بين عبد المطلب وابنه عبد الله في يثرب ، تدل على نجاح الهجرة الى يثرب ، ونصرة أهلها لمحمد في الصراع على الرئاسة بمكة .

●

٢ — « تنصّر » عبد المطلب ، زعيم مكة ، « وتحنّفه » .

لقد أجمعت السيَر النبوية على ان محمداً ، قبل مبعثه ، كان « يتحنّف » مثل جده عبد المطلب ، مع ورقة بن نوفل قس مكة . وقد نقلت السيرة الحلبية[1]

---

(١) والسيرة المكية ، على هامش الحلبية ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٦٢ ص ١٧٧–١٧٨ .

(١ : ٢٥٩) في ذلك قول ابن الاثير في تاريخه : « **اول من تحنّث في حراء عبد المطلب** : كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ، ثم تبعه على ذلك مَن كان يتعبّد كورقة بن نوفل ، وأبي أمية بن المغيرة » .

نص تاريخي ثمين منقول بالتواتر والاجماع ، يكشف لنا أسرار التاريخ والدعوة القرآنية . نعرف أن النصارى من بني اسرائيل ، بسبب تشيّعهم للتوراة مع الانجيل ، كان المسيحيون يسمونهم بلغة السريان « **حنفاء** » اي منحرفين عن دين أهل السُنّة . فاتخذوا هم ذلك اللقب اسم فخر لهم دليلاً على دين الحق عندهم . وفي هجرتهم الى مكة والحجاز أطلقوا دعوتهم « للنصرانية » باسم الحنيفية . وسمّوا التعبد والصيام على طريقتهم : **التحنّف** .

واقتران التحنّف باسم قس مكة ، ورقة بن نوفل ، برهان « نصرانيته » .

والشهادة التاريخية المتواترة ان عبد المطلب الثاني ، جد محمد ، كان اول من تحنّف من قريش ، مع ورقة بن نوفل . **فيكون جدّ محمد ، عبد المطلب ، اول من « تنصّر » من قريش** ؛ وجرى على عادة « النصارى الحنفاء » بالتحنّف كل سنة شهراً في حراء .

والشهادة التاريخية الثانية **ان شهر رمضان** ، قبل القرآن ، كان شهر الصيام « النصراني » في الجاهلية . وممارسته برهان « النصرانية » ، لدى عبـــد المطلب وحفيده محمد .

والشهادة التاريخية الثالثة ان **الحركة الحنيفية** التي قامت في مكة والحجاز قبل الاسلام — وحارت في مدلولها الاخبار والآثار — كانت حركة « نصرانية » ، من اسم اهلها النصارى « الحنفاء » . فكانت الحركة الاولى التي اطلقهـــا بين العرب النصارى من بني اسرائيل ، عند هجرتهم الى مكة والحجاز . والحركة الثانية كانت الاسلام « النصراني » قبل القرآن : « هو سمّاكم المسلمين من قبل ، وفي هذا » القرآن (الحج ٧٨) . وكانت الحركة الثالثة الدعوة القرآنية : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل ٩٠) ، اي النصارى أهل الاسلام « الحنيف » .

فبدخول عبد المطلب الثـاني ، جد محمد ، الحركة الحنيفية ، تكون « النصرانية » قد غزت بيت « رئاسة قريش » كما يسميها ابن خلدون ؛ **ويكون محمد قد ولد في بيت « نصراني » ، في زعامة الدين والدنيا.**

وكانت السيدة خديجة بنت خويلد بن اسد، ابنة عم ورقة بن نوفل بن اسد : « سيدة نساء قريش » ، « امرأة تاجرة ذات شرف ومـال » ، « اوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً» «تعدل تجارتها تجارة قريش[1]» . ونعرف من قرابتها لابن عمها قس مكة ، ومن قبولها الزواج من محمد ، بناء على اشارة القس ، ومن استفتاءاتها لأئمة « النصارى » ، بحيرى وورقة وعداس، دون سواهم من العالمين ، أنها كانت « نصرانية » على مذهب ابن عمها ، قس مكة .

فبورقة ، وعبد المطلب ، جد محمد ، والسيدة خديجة ، **اجتمعت الرئاسة الدينية ، والمدنية ، والتجارية بمكة « للنصرانية »** . وكان محمد ، في كنف خديجة ، وجوار ورقة ، يتهيأ لوراثة تلك الرئاسة كلها .

●

ثانياً : « نصرانية » محمد في سيرته ، قبل بعثته

تقسم سيرة النبي العربي قبل مبعثه الى ثلاث مراحل : صلته في صباه بقس مكة ورقة بن نوفل ، وبالراهب الاكبر بحيرى في بصرى ، « وصي عيسى على دينه » ؛ ثم زواجه من خديجة ، « سيدة نساء قريش » بإعاز من قس مكة ابن عمها ، وبإشرافه ؛ أخيراً حياة محمد في « التحنّف » وفي « الدرس » ، في كنف خديجة ، وجوار ورقة مترجم الانجيل النصراني من العبرية الى العربية .

آية وحيدة في القرآن توجز نشأة محمد : « ألم يجدك يتيماً فآوى؟ ووجدك ضالًا فهدى ؛ ووجدك عائلًا فأغنى » (الضحى ٦-٨) . والاجماع على ان الايواء في اليتم كان عند جده عبد المطلب ؛ والاثراء بعد فقر كان بزواجه من خديجة ،

---

(١) السيرة لابن هشام ١ : ١٩٩ و ٢٠١ ؛ كذلك السيرة المكية ، والحلبية

ثوية مكة . وكان « الهدى » قبل زواجه ، أي في صباه . وهنا يكمن سرّ من أسرار السيرة النبوية : **فما معنى « الهدى » في الصبا ؟**

١ — المرحلة الاولى : « الهدى » في الصبا

١) والدا محمد كانا مؤمنين

« قال الفخر الرازي في تفسيره[١] : (ان أبوي النبي ص **كانا على الحنيفية** ، دين ابراهيم عليه السلام ، كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه . . . وقال تعالى « انما المشركون نجس » ، فوجب ان لا يكون أحد من اجداده مشركاً) . وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون ، منهم العلامة المحقق ، السنوسي ، والتلمساني محشيّ (الشفاء) ، فقالا : (لم يتقدم لوالديه ص شرك ؛ وكانا مسلمين ؛ لانه ص انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ، ولا يكون ذلك إلا مع الايمان بالله تعالى) . وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب . وهذا لازم في جميع الآباء . وقد أيّد الجلال السيوطي كلام الفخر الرازي بأدلة كثيرة ، وألف في ذلك رسائل » . فعند أهل السيرة والمفسرين والمتكلمين كان والدا محمد ، مثل جده عبد المطلب الثاني ، على الحنيفية المسلمة اي على « النصرانية » ؛ فإنه ليس من اسلام قرآني قبل القرآن .

٢) كفالة عبد المطلب لليتيم محمد

وبالاجماع ان عبد الله ، والد محمد ، توفي قبـــل مولد ابنه ؛ وأن جده عبد المطلب صاحب ولاية الكعبة ، ورئاسة قريش ، هو الذي كفله . « **والاكثرون انه كان على الحنيفية**[٢] » ، نصرانية ورقة بن نوفل ، قس مكة .

وكان اول عمل للكفيل الكبير انه **ختن حفيده في اليوم الثامن** ، على عادة

---

(١) قابل السيرة المكية ، بهامش الحلبية ١ : ٧٠ — ٧١ .

(٢) السيرة الحلبية ١ : ١١٧ .

النصارى من بني اسرائيل ، الذين كانوا يمارسون الختان والعماد معاً ، أمة وسط بين اليهودية والمسيحية .

« ومن الموافقات الجميلة أن يُلهم عبد المطلب تسمية حفيده (محمداً) . سمّاه كذلك بعد ما ختنه في اليوم السابع[١] » . وهذا كما جاء في الانجيل : « ولما تمت الايام الثمانية لختانة الصبي ، سُمّي يسوع ، على حسب ما سماه الملاك قبل ان يحبل به » (لوقا ٢ : ٢١) .

وكان العمل الثاني انه وجد له **حاضنة نصرانية** اسمها «**بركة الحبشية**» وتدعى « أم أيمن » ، ورثها محمد من أبيه عبد الله . واسمها « بركة » مسيحي ؛ وصفتها « الحبشية » تدل على انها مسيحية . فكان محمد طفلاً في حضانة مسيحية .

٣) الهدى في الصبا

هناك ثلاث روايات عن حادث جرى لمحمد في صباه ، تفسرها جميعاً كلمة القرآن : « ووجدك ضالّاً فهدى » (الضحى ٧) . رواية أولى في « شق الصدر » وهو ابن خمس سنين : عن أنس انه أتاه جبريل وهو يلعب بين الغلمان ، فأخذه ، فشق صدره ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده الى مكانه . رواية متواترة في الحديث يوردها الخازن عند تفسير قوله : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذي أنقض ظهرك » (الشرح ١ — ٣) . لقد جسّموا ما جاء مجازاً في القرآن والحديث عن تطهير محمد من الاثم في صباه ، وبما أنه لا معجزة في سيرة محمد سوى القرآن ، فما معنى رواية شق الصدر وتطهير محمد من الاثم ؟

رواية ثانية[٢] تقول بأن أمه آمنة ذهبت بمحمد الى يثرب « لزيارة أخواله » اي أخوال جدّه من بني النجار ؛ وربما لزيارة قبر زوجها عبدالله . فمكثت به

---

(١) محمد الغزالي : فقه السيرة ص ٦١ .

(٢) السيرة الهاشمية ١ : ١٧٧ ؛ والمكية بهامش الحلبية ١ : ٧٢ .

شهراً بينهم . ولما قفلت راجعةً به الى مكة ماتت ودفنت في الابواء ، محل بين مكة والمدينة. «وكانت معها بركة الحبشية ، أم أيمن التي ورثها من أبيه عبدالله. فحضنته وجاءت به الى جده عبد المطلب ». وهكذا كان محمد ابن خمس سنوات لما فقد أمه ايضاً. وحاضنته المسيحية هي التي رجعت به بعد زمن الرضاعة وبعد الزيارة ليثرب ، الى مكة ، الى جده عبد المطلب .

رواية ثالثة عن ابن هشام (١ : ١٧٦) تقول : « قال ابن اسحاق : وزعم الناس في ما يتحدثون — والله اعلم — أن أمه السعدية (مرضعه) لما قدمت به مكة ، أضلها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله . فالتمسته فلم تجده . فأتت عبد المطلب فقالت له: اني قدمت بمحمد هذه الليلة. فلما كنت بأعلى مكة أضلني. فوالله ما أدري اين هو . فقام عبد المطلب عند الكعبة يـــدعو الله ان يرده . فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل ، بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب . فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة . فأخذه عبد المطلب على عنقه ، وهو يطوّف به الكعبة ، يتعوذه ويدعو له. ثم أرسل به الى أمه آمنة » . ان الانتحال ظاهر على الرواية كما يشعر ابن اسحاق ناقلها : فما الداعي ان يبقى طفلاً مع مرضعه خمس سنين؟ وكيف تطيق أمه فراق وحيدها اليتيم طوال هذه المدة؟ إن هذه الرواية الثالثة تحريف للثانية . إن أم ايمن ، بركة الحبشية ، هي التي رجعت الى مكة بمحمد . وهنا تستقيم الرواية .

فجاءت الحاضنة المسيحية بمحمد الصبي الى ورقة بن نوفل ، قس مكة ، وهو بمعبده ومنسكه في حراء فعمّده بماء زمزم . وهذا معنى اسطورة « شق الصدر » لوضع الوزر الذي ينقض الظهر عن محمد . ولا معنى « للهدى » في صباه ، في قوله « ووجدك ضالاً فهدى » (الضحى ٧) إلا الهداية بالعماد والتنصير ، كما يرشح من واقع الحال . قد يكون لقاء ورقة لمحمد أمراً طارئاً . وقد يكون مقصوداً . فما يعمل القس بمكان تعبده بأعلى مكة ؟ وكيف يفلت محمد من حاضنته ويضيع ؟ والغسل لتطهير الصدر بماء زمزم ؟ وما معنى وقوف عبد المطلب « يدعو الله ان

يرده » ؟ ولما تسلمه من القس أخذ يطوف به حول الكعبة ، بيت الله ، على عادة اهل الانجيل الى اليوم ، حيث يطوف الكاهن المعمِّد مع الكفيل يحمل المعمود في الكنيسة . انه طواف العماد والتنصير الذي يفسّر قوله : « ووجدك ضالاً فهدى » ؛ وقوله : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » . هذا هو « الهدى » في الصبا ، لا هدى سواه ، مهما خرّج المتخرصون .

٣) الحج الى الامام الاكبر ، « وصي عيسى على دينه » .

توفي زعيم الكعبة ومكة ، عبد المطلب ، جد محمد ، والصبي له من العمر ثماني سنوات . وبوفاته فُتح الصراع من جديد بين بني هاشم وبني أمية على الزعامة ؛ وهذا الصراع لن ينتهي إلا بالاسلام .

فكان محمد في كفالة عمه ابي طالب ، « وذلك لان عبدالله ، اب رسول الله ص وابا طالب أخوان لأم وأب »[1] . « ونهض ابو طالب بحق ابن اخيه على اكمل وجه ، ضمه الى ولده وقدّمه عليهم ، واختصه بفضل احترام وتقدير . وظل فوق اربعين سنة يعز جانبه ويبسط عليه حمايته ، ويصادق ويخاصم من اجله »[2] .

وهذه العناية الرحيمة تفترض ان محمداً تلقى **الثقافة الواسعة** التي حظي بها تربه علي بن ابي طالب ؛ وما أمية محمد سوى اسطورة لغاية عقائدية .

وفي سن الثانية عشرة تقريباً ، اي سنّ التكليف بحسب الشرع التوراتي الذي يقيم احكامه مع الانجيل النصارى من بني اسرائيل حجّ الفتى محمد مع عمه ابي طالب الى الامام الاكبر ، بحيرى في بصرى ، وهو « وصي عيسى على دينه » . ونرى في ذلك امتثالاً لمثل السيد المسيح بحجه في الثانية عشرة الى بيت الله في اورشليم (لوقا ٢ : ٤٢) . لكن اهل السيرة جعلوا الحج تجارة الى الشام . وما كان الحج يتنافى مع التجارة . وما شأن فتى في التجارة ؟

---

(١) ابن هشام ١ : ١٨٩ .

(٢) محمد الغزالي : فقه السيرة ٦٧ .

قال ابن هشام (١ : ١٩٠ — ١٩٤) : لما كان محمد ابن تسع سنين — وقيل اثنتي عشرة، وقيل غير ذلك — خرج به عمه ابو طالب في ركب تاجراً الى الشام. «فلما نزل الركب بصرى، من ارض الشام، وبها راهب يقال له بحيرى، في صومعة له. **وكان اليه علم النصرانية**. ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم، **عن كتاب فيها**، فيما يزعمون، يتوارثونه كابراً عن كابر». ويستفسر الراهب الامام عن الفتى محمد، ويقول فيه القول الجميل، وينصح بحيرى ابا طالب: «ارجع بابن اخيك هذا، **واحذر عليه يهود**، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنّه شراً، فإنه كائن لابن اخيك شأن عظيم: فأسرع به الى بلاده».

هذه الرواية الاولى تدل على ان بحيرى كان بطريرك «النصارى» الذي «كان اليه علم النصرانية». وهذا قول غريب، متى عرفنا ان بصرى كانت كلها مسيحية، واسقفها رئيس اساقفة حوران، على خمس وعشرين اسقفاً، ما عدا الكهنة والرهبان. وكان يشترك في المجامع الاقليمية والمسكونية. فقول ابن هشام أن بحيرى «كان اليه علم النصرانية؛ ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب يصير اليه علمهم» هو دليل على انها صومعة «نصرانية» منفردة في بيئة كلها مسيحية؛ ودليل ايضاً على انها مركز الامام الاكبر «للنصارى». وانفرادها في بيئة مسيحية على مشارف الشام إشارة الى انسحاب النصارى من بني اسرائيل من ديار الشام الى الحجاز. وان اقتصار زيارة ابي طالب والفتى محمد على تلك الصومعة «النصرانية» من دون سائر الاديرة والمراكز الدينية، ومن دون سائر الاساقفة والرهبان **هو برهان على انتساب ابي طالب ومحمد الى مذهب بحيرى «النصراني»**. واعتماد الامام الاكبر في «علم النصرانية» الذي ينتهي اليه — كأنه بابا تلك الايام، في الفاتيكان — «على كتاب يتوارثونه كابراً عن كابر»، هو اشارة واضحة الى (انجيل النصارى)، الانجيل بحسب متى في لغته السريانية وحرفه العبراني، الذي كانوا يقبلونه وحده من دون غيره من الاناجيل الصحيحة؛ وهو عين الانجيل الذي كان يترجمه القس ورقة بمكة.

فظروف الحال تدل على ان الزيارة لم تكن للتجارة ؛ انما هي حج في سن التكليف ، بمناسبة تجارة الى الشام . إذ ما معنى وجـــود فتى في سن محمد ، في تجارة الى الشام ؟ وما معنى الاقتصار في الزيارة على صومعة بحيرى ؟ انها زيارة مقصودة للحج لما بلغ محمد سن التكليف بحسب شرعهم . وتوصية بحيرى لابي طالب ان يحذر اليهود على محمد ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، لا معنى له إلا اصطفاء الفتى « لشأن عظيم » بسبب نجابته ، وحضانة جده زعيم مكة له . وذلك « الشأن العظيم » لم يكن نبوءة بنبوءة محمد بعد ثلاثين سنة ؛ فإن بحيرى لم يكن نبياً ليعرف غيب المستقبل . انـــه الاصطفاء منذ الآن لرئاسة النصارى بعد بحيرى .

وفي رواية ثانية يتطور الواقع الى الاسطورة ، كما في السيرة الحلبية (١ : ١٣٠ — ١٣١) . فيمر الفتى محمد بديرين ويسمع من راهبين البشائر بنبوته : « لان وجهه وجه نبي ، وعينه عين نبي » ! « فلما نزل الركب بصرى ، وبها راهب يقال له (بحيرى) — وقيل (جرجيس) ، وقيل (سرجيس) ؛ وحينئذ يكون بحيرى لقبه — **وكان انتهى اليه علم النصرانية** ، اي لان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهي اليه علم النصرانية ، يتوارثونها كابراً عن كابر ، **اوصياء عيسى عليه السلام** . في تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرى . وقيل : كان بحيرى من احبار يهود تيماء . اقول : لا منافاة ، لانه يجوز ان **يكون تنصر بعد ان كان يهودياً** ، كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتي » . ثم يتنبأ بحيرى صراحة بنبوءة محمد ، ويوصي ابا طالب بالحذر عليه من اليهود .

لا يعنينا تضخم الاسطورة . انما نكتفي بالاشارة الى صفة بحيرى ، فقد كان « وصيّ عيسى على دينه » ؛ لذلك « انتهى اليه علم النصرانية » . وكان شيخاً يطلب خليفة له من بيت الرئاسة بمكة ، فوجده في الفتى محمد ، « ابن الذبيحين » . فاعتبر القوم اصطفاء محمد لهذا « الشأن العظيم » نبوءة من بحيرى .

ونلاحظ خبطهم في وصف بحيرى ومثله ورقة « **ان يكون تنصّر بعد ان**

كان يهوديا ». ان النصارى من بني اسرائيل قد ذابوا في الاسلام الذي اقاموه بزعامة محمد ؛ وكان خبرهم قد عشي عند وضع السيرة. لذلك خبطوا في صفة بحيرى وورقة خبط عشواء : ولو عرفوا اسم « نصارى من بني اسرائيل » لما فعلوا. وفي زمنهم لم يعرفوا بني اسرائيل إلا يهوداً فقط. ولو فطنوا الى آية القرآن « فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة » (الصف ١٤) ، لما عثروا. فالقرآن ، مثل نبيّه منذ صباه ، ينتسب الى « النصرانية » الاسرائيلية ، التي تقيم التوراة والانجيل ديناً واحداً (المائدة ٧١ ؛ الشورى ١٣) ؛ كما يطلب القرآن نفسه (المائدة ٧١).

والكلمة الحاسمة ان بحيرى كان يومئذٍ « **وصي عيسى على دينه** » : فزيارة محمد الفتى له كانت حجاً الى الامام الاكبر « للنصرانية » ؛ **وفي هذه الحجة تقرر مصير محمد**، في قول بحيرى عنه : « سيكون نبي هذه الامة » كما ترجموا الحادث من بعد. وسنرى بعد اثنتي عشرة سنة اخرى قس مكة يقول لابنة عمه خديجة التي تستفتيه في زواجها من محمد ، ان افعلي لانه « سيكون نبي هذه الامة ». فذهبت **كلمة السر** في مصير محمد.

٤) محمد الفتى يستمع في عكاظ الى القس ابن ساعدة ويحفظ له.

بعد اربعين او خمسين سنة ، في عام الوفود ، سيؤمّ وفد من بكر بن وائل المدينة لمبايعة النبي. فيسألهم عن القس ابن ساعدة ، ويذكر لهم كيف كان يشاهده في عكاظ ويستمع له بانشراح. وقد حفظ له بعد خمسين سنة من اقواله. ويقول : « هذا رجل من إياد تحنّف في الجاهلية[١] ».

وابن ساعدة ، الذي اختلف الناس في شخصيته ، كان قساً « نصرانياً » ، كما يدل عليه لقبه : « القس ابن ساعدة ». وصورته يخطب متوكئاً على عصا ،

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٢ / ٥٥ .

والصليب على صدره ، تدل على انه كان اسقفاً ، بلغة الروم[1] . واقتحام سوق الحج والادب يدل على جرأة نادرة عنده ، ساعده عليها وجود بني مذهبه في مكة . وقول الرسول انه « تحنّف في الجاهلية » يعني انه كان نصرانياً .

واستماع محمد اليه ، وهو فتى ، والحفظ عنه بعد خمسين او اربعين سنة ، يدل مع القرائن التي تتجمّع لدينا ، على مذهب فتى قريش منذ صباه . فكان همه في حفظ دينه ، اكثر من اهتمامه برعاية الانعام .

•

٢ — المرحلة الثانية : زواج محمد من خديجة « لانه سيكون نبي هذه الامة »

لما بلغ محمد الخامسة والعشرين نصحه عمه ابو طالب بالعمل في تجارة السيدة خديجة ، ابنة عم قس مكة ، ورقة بن نوفل ؛ وكانت تجارتها « تعدل نصف تجارة قريش » . وقد أخذت السيدة خديجة المبادرة : « وكانت خـــديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم (اي تقارضهم) اياه بشيء تجعله لهم . وكانت قريش قوماً تجاراً . فلما بلغها عن رسول الله ص ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم امانته ، وكرم أخلاقه ، **بعثت اليه فعرضت عليه** أن يخرج في مال لها الى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة . فقبله رسول الله ص منها . وخرج في مالها ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام[2] » .

وتتم السيرة الحلبية[3] القصة على هذا الوجه : « فلما قدم ص الشام **نزل في سوق بصرى** ، في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا (بالقصر) .

---

(١) هذا بخلاف ما قلنا عنه في كتابنا : القرآن والكتاب ، القسم الاول ص ١٢٩ .

(٢) ابن هشام ١ : ١٩٩ .

(٣) السيرة الحلبية ١ : ١٤٧ .

فاطلع الراهب الى ميسرة ، **وكان يعرفه** ، فقال : يا ميسرة ، من هذا الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال ميسرة : رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي[1] .

فأصحاب السيرة يجعلون كل الرهبان أنبياء يتنبأون بمصير محمد النبوي ! هذا لا يعنينا . إنما يعنينا الخبر نفسه .

ولا يعنينا ايضاً التخريج الغريب لمذهب نسطور، في السيرة الحلبية: «ولعل نسطورا هذا هو الذي تنسب اليه النسطورية من النصارى . فإن النصارى **افترقت ثلاث فرق** : نسطورية قالوا : عيسى ابن الله ؛ ويعقوبية قالوا : عيسى هو الله عزّ وجل هبط الى الارض ثم صعد الى السماء ؛ وملكانية قالوا: عيسى عبد الله ونبيه . زاد بعضهم **فرقة رابعة اسرائيلية** قالوا: هو اله وامه اله والله اله. وفي (القاموس) : النسطورية (بالضم والفتح) أمة من النصارى تخالف بقيتهم ، وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في أيام المأمون . وتصرّف بالانجيل برأيه ، وقال : ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة. وهو بالرومية نسطورس» — هذا التخريج مليء بالاغلاط التاريخية والكلامية : فنسطور المذكور لم يظهر في أيام المأمون ، بل في القرن الخامس ، وقد حرم بدعته مجمع أفسس عام ٤٣١ . والفرق الثلاث في المسيحية ، النسطورية واليعقوبية والملكانية ، كلها تؤمن بإلهية المسيح وبنوته لله ، لكن بتفسير كلامي مختلف ؛ وبالله الواحد الاحد في أقانيمه الثلاثة ، الاب والابن والروح القدس اي الله وكلمته وروحه . وخطأه الاكبر في وصف الملكانية . فتخبط (القاموس) ليس بأقل من تخبط السيرة في العقيدة المسيحية .

إنما يعنينا منه أولاً اللقطة التاريخية الثمينة في السيرة : «زاد بعضهم فرقة رابعة ، **الاسرائيلية** ؛ قالوا : هو اله وأمه اله والله اله» . فطالما عرفوها لماذا لم يروا فيها تكفير القرآن : «أأنت قلت للناس: اتخذوني وامي الهين من دون

---

(١) وعند السهيلي في (الروض الانف) : «ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبي» .

— ٢٨٥ —

الله » (المائدة ١١٩). وهي مقالة بعض النصارى من بني اسرائيل الذين يعتبرون « الروح » اي « الروح القدس » انثى كانت أماً للمسيح بطريقة معجزة ، صيغتها في قول القرآن: « والتي أحصنت فرجها **فنفخنا فيها** من روحنا وجعلناها وابناها آية للعالمين » (الانبياء ٩١) : « ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها **فنفخنا فيه** من روحنا » (التحريم ١٢). فالتثليث عند « الاسرائيلية » **تعبير لا عقيدة**: فالمسيح وأمه مخلوقان لله . فردّ القرآن عـــلى منحرفي « الاسرائيلية » بمقالة الاسرائيلية الصحيحة (المائدة ١١٩) . فوجـــود الفرقة الاسرائيلية هو الشهادة التاريخية على ما يسمى « النصارى من بني اسرائيل » القائمين في عهد الفترة وذابوا في الدعوة القرآنية .

ثانياً ترديد نسطور « النصراني » الاسرائيلي لمقالة بحيرى ، وامامهم الاكبر ، في نبوّة محمد. وقول السيرة : «فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه» يدل على ان غلام خديجة كان يتردد في كل رحلة ، باسم خديجة ، على صومعة بحيرى ، وصي عيسى على دينه ، ويكلم احد الرهبان من حولها ، فيقوم بالسفارة بين ثرية مكة والامام الاكبر . وهذه المرة ينقل لها مقالة أهل الدير في نبوّة محمد ، فتسرع الى الزواج منه ، بالتفاهم مع قس مكة ، ابن عمها .

« وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكـــرت لورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزّى — **وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا** قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس — **ما ذكر لها غلامها ميسرة** من قول الراهب ، وما كان يرى منه اذ كان الملاكان يظلّلانه . فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً ، يا خديجة ، **إن محمداً لنبي هذه الامة** . وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبي ينتظر ، هذا زمانه[1] » . هكذا أطلع ورقة خديجة على كامة السر بشأن محمد. فما كان كل هؤلاء الرهبان من بحيرى الى ورقة الى نسطور ليعرفوا غيب السماء قبل خمسة عشر عاماً !

---

(١) السيرة لابن هشام ١ : ٢٠٣

فأرسلت خديجة للحال احدى وصيفاتها، نفيسة، سفيرة الى محمد . «فارسلتني دسيساً (اي خفية) الى محمد ص بعد ان رجع في عيرها من الشام . فقلت : يا محمد ما يمنعك ان تتزوج؟ فقال : ما بيدي ما اتزوج به ! قلت : فإن كفيت ذلك ، ودعيتَ الى المال والجمال والشرف والكفاية، ألا تجيب؟ قال : فمن هي؟ قلتُ : خديجة ! قال : وكيف لي بذلك؟ قلت : بــلى ، وأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها فأرسلت اليه : أنِ ائت الساعة[1] » .

هكذا باشرت خديجه تطبيق المخطط المرسوم .

« ان خديجة طلبت من محمد ص الحضور اليها ، وذلك قبل ان يتزوجها . . . فلما جاء ص الى خديجة أخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها . ثم قالت : بأبي انت وامي ، والله ما أفعل هذا لشيء ، ولكني ارجو ان تكون **انت النبي الذي سيبعث**. فإن تكن هو، فاعرف حقي ومنزلتي ، وادع الله الذي سيبعثك لي . فقال لها : والله لئن كنت أنا هو ، **لقد اصطنعت عندي ما لا اضيعه ابداً** ؛ وان يكن غيري فإن الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابداً[2] » .

وهكذا دخل محمد في مخطط « رئيس النصارى » بمكة، القس ورقة بن نوفل، وابنة عمه خديجة التي « كانت حينئذٍ اوسط نساء قريش نسباً، واعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً[3] » ؛ ودخل في نفسه من حديث قس مكة وحديث « سيدة نساء قريش » ما دخلها من حديث النبوة المعد لها ، قبل خمسة عشر عاماً من مبعثه .

وتختلف الروايات في من خطب خديجة لمحمد ، من اعمامه : اهو ابو طالب ، أم حمزة ؛ وفي من كان وليّ خديجة في عقد النكاح : اهو ابوها — لكنه كان قد مات — ام عمها عمرو بن أسد ، ام اخوها عمرو بن خويلد . وهناك رواية تقول

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ١٥٢ — ١٥٣

(٢) السيرة الحلبية ١ : ١٥٥ .

(٣) السيرة الحلبية : ١ : ١٥٤ — ١٥٥

بأن **وليها في زواجها** كان ورقة بن نوفل نفسه ، وهـــذا القول اقرب الى منطق الاحداث، ويقوم على صفة ورقة ، قس مكة، في عقد النكاح «النصراني» امام رجل الدين.

وتنقل لنا السيرة الحلبية الخطب المتبادلة في هذه المناسبة بين ابي طالب وبين ورقة، اي بين الطالب والوالي: «إن ابا طالب خطب يومئذ فقال: (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم، وزرع اسماعيل، وضئضئي معدّ، وعنصر مضر؛ وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه؛ وجعله لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً؛ وجعلنا احكام الناس. ثم ان ابن اخي هذا، محمد بن عبدالله، لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً. وإن كان المال، قل: ان المال ظل زائل، وامر حائل، وعارية مسترجعة. وهو، والله، بعد هذا له **نبأ عظيم وخطر جليل**. وقد خطب اليكم، رغبة في كريمتكم خديجة) . . . وبعد ان خطب ابو طالب بما تقدم، خطب ورقة فقال: (الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت. **فنحن سادة العرب وقادتها**، وأنتم أهل ذلك كله، لا ينكر العرب فضلكم، ولا يردّ احد من الناس فخركم وشرفكم. ورغبتنا الاتصال بحبلكم وشرفكم. فاشهدوا عليّ معاشر قريش: اني قد ازوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله): فقال ابو طالب: (قد احببت ان يشركك عمها). فقال عمها: (اشهدوا عليّ معاشر قريش: اني قد انكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد) . . . » .

لا نعلق على الصحة التاريخية في الرواية؛ لكنها تظهر موافقة لواقع الحال.

يعنينا فيها **اولا** مقام القس وابنة عمه بمكة: «نحن سادة العرب وقادتها» . والدور الذي يلعبه القس في عقد النكاح: انه وليّ العقد كما يفعل كل رجل دين نصراني او مسيحي. فهو الذي خطط لزواج محمد من خديجة، وهو الذي يشرف على التنفيذ، لاجل تهيئة محمد للدور العظيم الذي ينتظره، ولتهيئة الاسباب له في كنف الثرية العظيمة والقس الحكيم.

ونذكر **ثانيا** كلمة العم ابي طالب، ولي محمد في نكاحه: «وهو والله بعد هذا له **نبأ عظيم وشأن خطير**». لم يكن ابو طالب يعلم الغيب ليعرف مصير ابن اخيه؛ فيظهر انه دخل هو ايضاً في مخطط الامام الاكبر وقس مكة، منذ الاصطفاء في سن الثانية عشرة حتى مرحلة بدء التنفيذ في سن الخامسة والعشرين. ان القوم، كما تدل جميع السير، **يهيئون محمداً تهيئة متواصلة لمقام النبوة**، وذلك خمسة عشر عاماً قبل مبعثه، ورؤيا ملاك الوحي في غار حراء.

ونرى **ثالثا** ان السيدة خديجة، «سيدة نساء قريش»، وثرية مكة، قد انقادت هي ايضاً لمخطط رؤساء دينها، ورضيت ان تكون زوجاً بمالها وجمالها لمن «سيكون نبي هذه الامة»، وهي تكبره بخمس عشرة سنة، وكانت تحت ابي هالة بن زارة، فلما توفي تزوجها عتيق بن عابد المخزومي ومات، فتزوجها محمد فكان زوجها الثالث. انه زواج مصلحة مدروس.

ففي هذا الزواج يقول القرآن: «ووجدك عائلًا فأغنى» (الضحى ٨). بهذا الزواج المدروس جاءه الغنى والجمال، والجاه والسلطان، **وصار اهلاً لان ينتزع زعامة مكة** التي كانت لجده عبد المطلب. لقد اصبح في كنف «سيدة نساء قريش»، وفي جوار ورقة ابن عمها قس مكة، **اقوى شخصية في مكة**، والحامي الاكبر «للنصارى» فيها وفي الحجاز كله.

والنتيجة الحاسمة لواقع الحال في هذا الزواج، كما يدل اجماع السير، ان البيئة كلها «نصرانية». ألا يظهر من منطق الاحداث كلها، من الحج الى الامام الاكبر بحيرى، الى قيام القس والثرية بتنفيذ رغبته، ان هذا الزواج كان تدبيراً «نصرانياً» محكماً؟ وهل كان قس مكة «النصراني» وسيدة نساء قريش التي تأتمر بأمره، يرضيان بهذا الزواج لو لم يكن محمد مثلها «نصرانياً»، واهلًا لاستلام رئاسة «النصارى»؟

وقام محمد خمسة عشر عاماً على كلمة السر المكرورة بأنه «سيكون نبي هذه الامة».

●

٣ — المرحلة الثالثة : محمد ينتظر في « التحنّف » و « الدرس » ساعة الله

قضى محمد خمسة عشر عاماً ، منذ زواجه بخديجة حتى مبعثه ، بجوار ورقة بن نوفل ، يقوم بكل **مظاهر « النصرانية » الرهبانية** ، من تحنّف ودرس الكتاب ، وتعبد وصلاة ، وحضور ترجمة الانجيل .

١) تحنّف محمد مع القس ورقة

إن التحنّف ، او التحنّث ، او التعبّد في الصوم والخلوة ، عادة « نصرانية » رهبانية : فالحركة تدور من عبد المطلب الى حفيده محمد **حول ورقة بن نوفل ، قس مكة** « النصراني » ؛ **ونعتها « بالتحنف »** يأتي من صفة « النصارى الحنفاء » كما ينعتهم اهل السنّة المسيحية ؛ وقيامها في شهر رمضان ، قبل القرآن ، يدل على ان الشهر شهر الصيام عند « النصارى » ، فرمضان شهر صيام « نصراني » قبل ان يكون قرآنياً ، فإنه « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » (البقرة ١٨٣) .

جاء في السيرة الهاشمية (١ : ١٧٦) على لسان عبدالله بن الزبير : « كان رسول الله ص يجاور في حراء ، من كل سنة ، شهراً . وكان ذلك مما تحنّث به قريش في الجاهلية — والتحنث ، التبرّر « كلمة نصرانية » — تقول العرب : « التحنث والتحنف » . وعلى لسان عبيد بن عمير : « فكان رسول الله ص يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين . فإذا قضى ص جواره من ذلك الشهر ، كان اول ما يبدأ به ، اذا انصرف من جواره ، الكعبة ، قبل ان يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك . ثم يرجع الى بيته . حتى كان الشهر الذي أراد الله تعالى فيه ما أراد من كرامته » .

وتضيف السيرة الحلبية (١ : ٢٥٩) : « وكان ذلك مما تتحنث فيه قريش في الجاهلية — اي المتألهون منهم — وكان أول من تحنّث فيه من قريش جده ص عبد المطلب . فقد قال ابن الاثير : (أول من تحنّث بحراء عبد المطلب ؛ كان

اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ؛ ثم تبعه على ذلك من كان يتأله — اي يتعبد — كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة). ولم يصح انه اختلى أكثر من شهر » .

فواقع الحال في « التحنف » ، من خلوة وصوم واطعام المساكين ، وذلك في شهر الصيام « النصراني » ، شهر رمضان ، يدل على ان محمداً كان « نصرانياً » في صيامه وتحنفه . يؤيد ذلك القيام به اسوة بقس مكة « النصراني » ، ورقة بن نوفل . هذا دليل أول .

وكيفية تعبده تدل على ان محمداً كان « نصرانياً » في تحنفه . يقول السراج البلقيني ، في (شرح البخاري) كما نقلت عنه السيرة المكية والحلبية : « لم يجيء في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده ص . وقال بعضهم بإطعام المساكين والانقطاع عن الناس . وقيل : التفكر مع الانقطاع . وقيل : كان تعبده بالذكر . وقيل : كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم ؛ وقيل : بشرع موسى» .

نقول : ان التعبّد في الصوم والخلوة ، وفي شهر رمضان ، ليس من شرع ابراهيم ، ولا من شرع موسى ؛ انما هو عادة « نصرانية » ، وبممارسة الخلوة على انفراد عادة رهبانية . نجهل جميعنا شرع ابراهيم ، ولم يكن محمد قبل مبعثه نبياً ليعرف شرع ابراهيم . والقول بتعبد محمد على شرع موسى ، يجعل محمداً قبل مبعثه على اليهودية ، وهذا ما ينقضه القرآن كله . لقد تحنّف على طريقة « النصرانية » . هذا دليل ثانٍ .

واعتماد شهر رمضان ، قبل القرآن ، للتحنف والصيام ، دليل ثالث على « نصرانية » محمد . فعادة الصيام والخلوة في شهر رمضان ، لا عهد للعرب بها ، ولا لليهود . انها عادة « نصرانية » أدخلها النصارى معهم الى مكة ، عند هجرتهم اليها ؛ وكان يتعبد بها من « تنصّر » معهم . فتحنّف عبد المطلب جدّ محمد ، وتحنّف محمد نفسه ، على طريقة قس مكة « النصراني » شهادة ثابتة قائمة على

« نصرانية » محمد وجده من قبله . فالنبي العربي ، بهذا التحنّف ، « نصراني » ، ابن « نصراني » ، ابن « نصراني » .

لقد اختلفوا في **كيفية تعبده قبل بعثته** ، بين اطعام المساكين ، والانقطاع عن الناس ، والتفكر ، والذكر الحكيم . وفاتهم الاساس ، الصيام . لقد كان تعبده بهذه جميعاً . وهذه عادة رهبان النصارى في صيامهم . فكان محمد يصوم ، مع قس مكة ، صيام الرهبان ! وهذا دليل رابع على « نصرانيته » .

وطواف محمد بالكعبة سبعاً ، بعد جواره شهر رمضان ، كطواف النصارى في الاعياد في كنائسهم أو حولها الى اليوم ، كما يشهده الجميع في أحد الشعانين بختام الشهر دليل رابع مزدوج : بما ان محمداً يطوف بالكعبة مثل قس مكة ، فهذا برهان على **ان الكعبة لم تكن بيت اوثان** كما يتوهمون ويوهمون ، بل كعبة توحيد ؛ ورسم صور المسيح ومريم العذراء والملائكة والانبياء على جدرانها من داخل خير شاهد على انها **كعبة توحيد انجيلي**[1] . وطواف محمد بها ، اسوة بقس مكة ، بعد جواره وصيامه وتعبده ، شاهد كذلك على « نصرانية » محمد .

٢) « درس » الكتاب مع القس ورقة

كانت الفترة ما بين زواج محمد من خديجة وبين مبعثه ، فترة دراسة للكتاب الامام ، وللكتاب المنير ، التوراة والانجيل . نتحقق ذلك من اشارات القرآن الصريحة . فمنذ السورة الثانية ، ولم ينزل من القرآن العربي سوى عشر آيات يتحدّى المشركين المجرمين بالنصارى المسلمين : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما لكم ، كيف تحكمون ؟ ! **ام لكم كتاب فيه تدرسون ؟** ان لكم فيه لما تخيرون » (القصم ٣٥ — ٣٨) . فذروة التحدي بالكتاب الذي يدرسه هـــو ، وبذلك يستعلي عليهم .

---

(١) قابل ابن هشام ١ : ٢٠٤ ؛ والازرقي في تاريخ مكة ، والسهيلي في (الروض الانف) ، والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية) بمناسبة فتح مكة ، وطمس الصور عليها ما عدا صور المسيح وامه.

وليس الكتاب واحداً بل جملة. يتحدونه: «ما هذا إلا إفك مفترى»! «إن هذا الا سحر مبين»! فيرد عليهم: «وما آتيناهم من كتب يدرسونها، وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير» (سبأ ٤٣ — ٤٦). فليس القرآن إفكاً مفترى، ولا سحراً مبيناً! انه «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٧). وهو يستعلي عليهم بالكتب التي درسها! وهي «الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة» (٣: ٧٩؛ ٦: ٨٩؛ ٤٥: ١٥)؛ وبتعبير آخر «الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل (٢: ١٢٩، ١٥١؛ ٣: ٧٩، ١٦٤؛ ٦٢: ٢).

وهو اذ يتلو عليهم آيات القـــرآن بينات، «وكذلك نصرّف الآيات — وليقولوا: درست! — ولنبيّنه لقوم يعلمون» (الانعام ١٠٥). فلا يرد الاتهام بل يؤكد الغاية من الدرس الذي درسه: ولنبينه لقوم يعلمون». فقد نزل الكتاب على طائفتين من قبلهم، وان كانوا عن دراستهم لغافلين» (الانعام ١٥٦)، فدرس هو الكتاب الامام، والكتاب المنـــير اي الانجيل، وجاء القرآن العربي «يعلمهم الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل. فالقضية تعلّم وتعليم.

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (لقمان ٢٠؛ الحج ٨). أما محمد فهو يجادل الناس بعلم وهدى وكتاب منير، «وقد شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠).

لقد أصبح محمد بعد خمسة عشر عاماً من درس «العلم والهدى والكتاب المنير» كفؤاً لكي «يعلمهم الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل.

٣) وفي الحديث الصحيح عن الشيخين (البخارى ١ — ١٨: ٢٣؛ مسلم ١: ٩٧: ٩٨) ان ورقة بن نوفل «كان امرءاً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب». سنرى تقييم هذه الشهادة. ومضمونها ان القس ورقة كان يترجم (انجيل النصارى) من جرفه العبراني الى العربية. وهـــذا الحديث الصحيح على لسان عائشة، تختمه

بقولها : « ثم لم يلبث ورقة ان توفيّ وفتر الوحي » . فحزن محمد حتى كاد ينتحر. فهذا الحديث يدل ، فيما يدل ، على ان محمداً كان يحضر مع استاذه ترجمة انجيل النصارى الى العربية. وحزنه حتى الانتحار يدل على ان القس ورقة كان استاذه، خصوصاً في (انجيل النصارى) . وهذه شهادة مزدوجة على « نصرانية » محمد ، وعلى دراسته « النصرانية » .

٤) أخيراً كان محمد يداوم في الفترة الاستعدادية على قيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله في كتابه العزيز ، سواء في تحنّفه ، او طوال السنة ، كما ترى من الامر له بالقيام على ذلك بعد مبعثه : « يا ايها المزمل قم الليل إلا قليلاً . . . ورتل القرآن ترتيلاً (المزمل ١ - ٤) .

لم ينزل من القرآن العربي بعد سوى فاتحة (العلق والقلم) ، عشر آيات ؛ فليس هو « بالقرآن » المعلم المعروف الذي يؤمر بتلاوته في قيام الليل . إنه يتلو في قيام الليل قرآن الكتاب ، مثل استاذه . وقيام الليل وتلاوة آيات الله فيه عادة نصرانية ، لا عربية ، ولا يهودية : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران ١١٣) . وهذه العادة النصرانية الرهبانية هي البرهان القرآني — مع غيره كثيراً — على « نصرانية » محمد في صلاته الليلية وتلاوة كتاب الله فيها .

في تلك المواقف الاربعة المتواصلة مدة خمس عشرة سنة ، كان محمد يدرس « النصرانية » ويعيشها مع نسيبه واستاذه قس مكة ، ورقـــة بن نوفل ، ينتظر ساعة الله.

جاء في (شرح المواهب اللدنية ١ : ٢٥٩) عن عبدالله بن الزبير : « ان خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله ص أنه يأتيه » اي يحصل له في سيرته وتحنفه . فقد كان القس الاستاذ يتتبع تطور محمد في الحياة والدراسة

والتحنّف؛ وكانت ابنة عمه، الزوج الوفية، خير معين له، في توفير الاجواء، وتسقط الانباء.

فقد كان الثلاثة، القس، والزوج الوفية، ومحمد نفسه، ينتظرون ساعة الله التي فيها محمد «سيكون نبي هذه الامة».

***

بحث رابع

مبعث محمد ودور أمة «النصارى» فيه — من وحي الحديث والسيرة

قضى محمد خمسة عشر عاماً، من سن الخامسة والعشرين الى سن الاربعين، يتمتع مع السيدة خديجة «بالمال والجمال، والشرف والكفاية»؛ ويأخذ «علم النصرانية» عن قس مكة، ورقة بن نوفل، من ترجمة **الانجيل العبراني** الى العربية الذي يذكر الحديث الصحيح، ومن «**الكتاب** الذي يتوارثونه كابراً عن كابر» كما تقول السيرة، ولعله «**المثل**» القرآني الذي تذكره آية (الاحقاف ١٠)، حتى دقت ساعة الله، وقد تهيأت نفسه بالدرس والانعكافات السنوية، مدة شهر الصيام «النصراني»، في غار حراء، لسماع صوت السماء.

اولا: «الرؤيا الصالحة في النوم»

أخرج صحيح البخاري (ك ١ باب ١٨ : ٢٣)، وصحيح مسلم (ك ١ باب ٩٧ : ٩٨) في حديث عن عائشة، قالت: «أول ما بدئ به رسول الله من الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبّب اليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّف فيه (يتعبد) الليالي ذوات العدد، قبل ان ينزع الى أهله، ويتزود الى ذلك. ثم يرجع الى خديجة فيتزوّد لمثلها؛

حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء. فجاءه **الملاك** فقال: اقرأ! قال: **ما أنا بقارئ**[١]!
قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: إقرأ! قلت: ما انا
بقارئ! قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: إقرأ!
قلت: ما انا بقارئ! فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال:
(إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق ...). فرجع بها رسول
الله **ترجف** بوادره، حتى دخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني! زملوني!
فزملوه حتى ذهب عنه الروع. ثم قال لخديجة: اي خديجة، **مالي**؟ وأخبرها الخبر.
ثم قال: **لقد خشيت على نفسي**. فقالت له خديجة: كلاّ، أبشر، فوالله لا يخزيك
الله أبداً: انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب
المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ...».

ففي هذا الحديث الصحيح، محمد لا يعلم ما يجري له، ويخشى على نفسه مما
رأى، ويفزع الى خديجة ترجف بوادره، من «الرؤيا الصالحة في النوم». وكأن
القوم خشوا الشبهات على هذه **الرؤيا** الليلية في المنام، فوضعوا رواية أخرى
لرؤية في وضح النهار، في حديث رواه ابن جرير الطبري عن ابن الزبير:

«قال رسول الله: فجاءني، **وانا نائم**، بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال:
اقرأ! فقلت: ماذا أقرأ؟ ففتني حتى ظننت انه الموت، ثم ارسلني، فقال: إقرأ!
فقلت: ماذا أقرأ؟ — **وما اقول ذلك إلا افتداء من ان يعود اليّ بمثل ما صنع
بي** — قال: (إقرأ باسم ربك الذي خلق) الى قوله (علم الانسان ما لم يعلم).
قال: فقرأته، ثم انتهى، ثم انصرف عني. وهببت من نومي، وكأنما كتب في
قلبي كتاباً. قال (محمد): ولم يكن من خلق الله أبغض اليّ من شاعر او
مجنون؛ لاتحدّث بها عن قريش أبداً؛ لاعمدنّ الى حالق من الجبل، فلاطرحن

(١) هذه القراءة التي أثبتناها هي من (شرح المواهب) أما القراءة الصحيحة في الاصول
والطبري فهي على الاستفهام: «ما أقرأ؟» يكررها ثلاثاً. قابل حاشية مصطفى السقا، على سيرة
ابن هشام (١: ٢٥٢ حاشية ٤)، التي تنقل حديث عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، بصيغة الاستفهام.

نفسي منه ، فلاقتلنها ، فلاستريحن ! قال (محمد) : **فخرجت اريد ذلك** ، حتى اذا كنت في وسط الجبل ، سمعت صوتاً من السماء يقول : **يا محمد ، انت رسول الله ؛ وانا جبريل** . قال : فرفعت رأسي الى السماء ، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍّ قدميه في افق السماء يقول : (يا محمد ، انت رسول الله ؛ وانا جبريل) . قال : فوقفت انظر اليه ، وشغلني ذلك عمـــا اردت ، فما اتقدم ، وما اتأخر ؛ وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا انظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك . فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، حتى بلغوا مكة ، ورجعوا اليها ، وانا واقف مكاني . ثم انصرف عني . وانصرفت أنا الى أهلي » .

في رواية ابن الزبير ، عند الطبري ، رؤية نهارية ، بعد رؤيا ليلية ، لم يذكرها الحديث الصحيح عند الشيخين : فهي رواية متأخرة موضوعة لدفع الشبهات في رواية الصحيحين ؛ وهي تتعارض مع رواية عائشة : عائشة تذكر ان خديجة كانت في مكة يتزود منها الى عزلته ؛ وابن الزبير يقول انها كانت معه في غار حراء ، اذ بعثت رسلها الى مكة في طلبه ؛ ورواية عائشة لا تذكر اسم ملاك الله ، بينما رواية ابن الزبير تقص على ان جبريل ، وجبريل لم يذكر القرآن اسمه إلا في المدينة ؛ ابن الزبير يذكر سكينة محمد في رؤية النهار ، بينما يتفق مع عائشة على هلع محمد من رؤيا الليل حتى فكر بالانتحار ! وكيف يقصد الانتحار من الهلع مَن يرى ملاك الله ؟ وعند عائشة ليس من وصف للملاك ، بينما ابن الزبير يصفه بشراً سوياً . عائشة تذكر كلام خديجة لتهدّئ من روع محمد ؛ بينما ابن الزبير لا يرى حاجة في ذلك ، فقد ناب ملاك الله عنها ، في الرؤية النهارية . فكل هذه المتناقضات تدل على ان الرؤية النهارية موضوعة .

لكن الروايتين تأتلفان في وصف **صلة محمد بملاك الوحي** بأنها كانت **رؤيا في منام** . وتأخذ معنى رواية عائشة عن محمد : « ما أنا بقارئ » ، من تفسير رواية ابن الزبير : « وما أقول ذلك إلا افتداءً من ان يعود إليَّ بمثل ما صنع بي » .

فلا يصح الاعتماد على رواية « ما أنا بقارئ » ، للقول **بأمية محمد** ؛ فالقرآن يشهد له بالدرس والكتابة في معرض تحديه للعرب بدرس الكتاب ، وكتابة الغيب منه (القلم ٣٧ و ٤٧) . ورواية « ما انا بقارئ » من وضع (شرح المواهب) ؛ أما في الاصول بالصحيحين ، وعند الطبري ، فهى على الاستفهام : « ما أقرأ ؟ » ، « ماذا أقرأ ؟ » .

ونحن نعتقد بصحة الرؤيا ، وصحة اتصال محمد بملاك الله ، لانها جاءت في القرآن ، وكما جاءت في القرآن .

فالقرآن في كل أخباره عن الوحي والتنزيل يرجع الى **رؤيا غـار حراء الوحيدة** . يصف الرؤيا في سورة (النجم ١ — ١٨) حيث يؤكد أنها رؤيا : « ما كذب الفؤاد ما رأى » (١١) ؛ وحيث « أوحى الى عبده ما اوحى » (١٠) ؛ وحيث « رأى من آيات ربه الكبرى » (١٨) برؤيا الملاك في المنام .

والقرآن يصرح بما اوحى اليه الملاك في قوله : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، او يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء ، انه عليّ حكيم : وكذلك **اوحينا اليك روحاً من امرنا** ؛ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ؛ ولكن **جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا**[1] ؛ وانك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض ؛ ألا الى الله تصير الامور » (الشورى ٥١ و ٥٢ و ٥٣) . فكلام الله للبشر على ثلاثة اساليب : إما بالوحي المباشر كما كان مع المسيح ؛ واما بالكلام من وراء حجاب ، كما جرى لموسى ؛ وإما « يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء » ، فيكون **الوحي بالواسطة** ، كما جرى لمحمد : « وكذلك اوحينا اليك روحـاً من أمرنا » . وقد فسروا « روحاً » بأنه القرآن لقوله « اوحينا اليك » ؛ وفاتهم انه « **روح من امرنا** » اي مخلوق ، من عالم الامر ؛ وهذا لا يقبلونه للقرآن . وما استخدم تعبير

---

(١) « لتُهدى » قراءة أصح من قراءة « لتَهدي » ، لانها تنسجم مع قوله : « نهدي به مَن نشاء من عبادنا » .

« اوحينا» إلا للدلالة عــلى انه « الروح » أتاه في وحي الرؤيا ، لا في رؤية ؛ « **والرؤيا ادنى طرق الوحي** » كما قال بعضهم .

والاعلان صريح بأن ما اوحى الملاك الى محمد هو **الهداية الى الايمان بالكتاب** ، لانه النور الذي يهدي به الله من يشاء من عباده ؛ هذا هو الصراط المستقيم في تدبير الله الذي اليه « تصير الامور » . وفي الــورة عينها يعلن : « شرع لكم من الدين ... ما وصينا به ابراهيم وعيسى وموسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » ؛ وعلى شك اهل الكتاب من اليهود في امر محمد ، يجيب : « فلذلك فادع واستقم كما امرت ، ولا تتبع اهواءهم ؛ وقل : **آمنت بما انزل الله من كتاب** ، وأمرت لاعدل بينكم» (الشورى ١٣ — ١٥) ، بين اليهود والنصارى مـــن بني اسرائيل ، بدعوة « الامة الوسط » الى دين موسى وعيسى معاً ، بلا تفريق ؛ وهي دعوة النصارى من بني اسرائيل الذين يقيمون التوراة والانجيل معاً ؛ بهذه الدعوة «أمرت لاعدل بينكم» فقد جاء « هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذين هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) .

هذا هو القرآن الذي نزل عليه في رؤيا غار حراء ، في ليلة مباركة ، ليلة القدر ، من شهر رمضان : « إنا انزلناه في ليلة مباركة ... **امراً من عندنا** : انا كنا مرسلين» (الدخان ١ — ٥) ؛ « إنا انزلناه في ليلة القدر » (القدر ١) ؛ «شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ، هــدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » (البقرة ١٨٥) . فالقرآن الذي نزل في رؤيا غار حراء ، كان « امراً من عندنا : إنا كنا مرسلين » اي الامر ببعثة محمد للدعوة الى الايمان بالكتاب . أما القرآن المكتوب ، الذي تلاه محمد مدة ثلاث وعشرين سنة فكان « بينات من الهدى والفرقان » اي من الكتاب وفرقانه اي تفسيره ، الذي بهما شرع للعرب دين موسى وعيسى معاً بلا تفريق ، على طريقة « اولي العلم قائماً بالقسط»

الذين يشهدون مع الله وملائكته «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ — ١٩)، وهم النصارى من بني اسرائيل، بإمامة قس مكة، ورقة بن نوفل.

والقرآن المكتوب يؤكد مراراً وتكراراً بأن القرآن المنزل في رؤيا غار حراء، في ليلة مباركة، هي ليلة القدر، مـــن شهر رمضان، شهر الصيام «النصراني» عند العرب قبل الاسلام، كان هذا الامر الى محمد بالايمان بالكتاب والدعوة له، ليعدل بين اليهودية والمسيحية بدعوة «الامة الوسط» الى دين موسى وعيسى ديناً واحداً. يصرّح: **إنما أمرت** ان اعبد رب هذه البلدة، **وأمرت** ان اكون من المسلمين» (النحل ٩٠ — ٩١) الموجودين بمكة من قبله؛ «وامرت ان اكون من المؤمنين» (يونس ١٠٤) المقيمين بمكة من قبله. **بل يصرح بانه أُمر باستلام السلطة على المسلمين المذكورين**: «قل: اني أمرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين، وامرت لان اكون **اول المسلمين**» (الزمر ١١ — ١٢)، ومن الواضح انها ليست اولية زمانية، بل بالمنزلة: وبذلك امرت وانا أول المسلمين (الانعام ١٦٣)، «قل: إني أمرت ان اكون اول من اسلم» (الانعام ١٤). اخيراً يعلن بأنه أُمر ان يستقيم على الدعوة لدين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً يشرعه للعرب — وهذا هو الاسلام القرآني «النصراني»: فلذلك فادع واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم»، اهواء اهل الكتاب من يهود ومسيحيين، واهواء المشركين (الشورى ١٥). لذلك «فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء» المشركون؛ «ولا تركنوا الى الذين ظلموا» (اليهود)؛ «واصبر فإن الله لا يضيّع أجر المحسنين» من النصارى، البقية الناجية «من القرون من قبلكم — ممن أنجينا منهم، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه»: «فاستقم كما أُمرت ومَن تاب معك» من العرب (هود ١١٠ و ١١٤ و ١١٧ و ١١٣). وهكذا فما القرآن إلا تفصيل الامر الذي أوحي اليه في رؤيا غار حراء؛ فالقرآن المتلوّ المكتوب ليس إلا **خبراً** يفصّل قرآن غار حراء، الامر بالايمـــان بالكتاب على طريقة «المسلمين» من قبله، ليشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً.

وفي هذه الاستقامة على «النصرانية» سرّ مقاومة أهل مكة للدعوة القرآنية، **التي تشرع لهم دين أقليّة** « **نصرانية** » (هود ١١٧) لا تحميها دولة كبرى كالفرس لليهود، والروم للمسيحيين؛ لذلك «كبر عـــلى المشركين ما تدعوهم اليه» (الشورى ١٣) لانه «إنْ نتّبع الهدى معك نُتخطّف من ارضنا» (القصص ٥٧)؛ فموقف أهل مكة المشركين ليس دينياً ضد التوحيد؛ انما هو على الاصح سياسي خوفاً من الجبارين المتخاصمين والمتحفزين دائماً لاحتلال الجزيرة؛ وفي عقلية الناس كلهم حينئذٍ ان الدين والدولة واحد، والناس على دين ملوكهم.

وفي تلك الاستقامة على «النصرانية» التي أمر بها (النمل ٩٠) سر مقاومة أهل الكتاب من يهود ومسيحيين في الحجاز. لذلك كان في مكة يتوعـــدهم (مريم ٣٧؛ الزخرف ٦٥)، لكنه يهادنهم حتى تقوى حركته: «وأُمرتُ لأعدل بينكم؛ لنا أعمالنـــا ولكم أعمالكم؛ **لا حجة بيننا وبينكم** (اي خصومة)؛ الله يجمع بيننا واليه المصير» (الشورى ١٥). وفي المدينة، مع تشريع الجهاد، تنجلي خطة «الامة الوسط» بين اليهودية والمسيحية، بكسر شوكة العرب المشركين، وتهجير اليهود من الحجاز، وإرهاب المسيحيين في اليمن والشمال، لكي «لا يبقى في جزيرة العرب دينان»، كما جاء في وصية النبي الاخيرة، سوى الاسلام القرآني «النصراني».

تلك هي رؤيا غار حراء في ابعادها وخواتيمها. فما الدعوة القرآنية كلها **سوى خبر لها وتفصيل**، في «بيّنات من الهـــدى والفرقان»، من الكتاب وفرقانه، بلسان عربي مبين، على مدى ثلاث وعشرين سنة. بحسب الخطة المرسومة: «فاستقم كما أُمرت» (هود ١١٣؛ الشورى ١٥).

●

ثانياً: صفة ورقة بن نوفل، قس مكة، من انجيله وحديثه

آن لنا ان نقطع بصفة ورقة بن نوفل، من الانجيل الذي يترجمه الى العربية. لقد أجمعت كل المصادر من حديث وسيرة وتفسير عـــلى ان ورقة كان من

النصارى . وبما ان المصادر الاسلامية لا تفرّق بين المسيحيين من الامم ، والنصارى من بني اسرائيل الذين هم « النصارى » على التخصيص ، فعلينا إبراز « نصرانيته » من القرائن القائمة .

الدليل الاول على « نصرانية » ورقة ، قس مكة ، هو صفتـــه في السيرة الحلبية « أنه تنصّر بعد أن كان يهوديًّا » . ولجعلهم معنى « نصراني من بني اسرائيـــل » وصفوه ذلك الوصف المشبوه . وهو يدل على انه من مذهب النصرانية الاسرائيلية .

والدليل الثاني من الحديث الصحيح المتواتر في الانجيل الذي يترجم الى العربية ، نجد لهذا الحديث ثلاث صيَغ :

الصيغة الاولى في صحيح البخاري عن عائشة (ك ١ ، باب ١٨ ، ع ٢٣) : « وكان يكتب الكتاب العبراني ، ويكتب **من الانجيل بالعبرانية** ما شاء الله ان يكتب . . . هذا الناموس الذي نزل **على موسى** » .

الصيغة الثانية في صحيح مسلم عن عـــائشة (ك ١ باب ٩٧ ع ٩٨) : « فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل . . . وهو ابن عمها ، أخي أبيها ، وكان امرءًا قد تنصّر في الجاهلية . وكان يكتب **الكتاب العربي** ، ويكتب **من الانجيل بالعربية** ما شاء ان يكتب . . . هذا الناموس الذي نزل **على موسى** » .

الصيغة الثالثة للزرقاني في (شرح المواهب اللدنية ١ : ٢٥٩) عن ابن الزبير : « ان خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله ص انه يأتيه . فيقول ورقة : لئن كان حقًّا ما يقوله ، انه ليأتيه الناموس الاكبر ، **ناموس عيسى** ، ابن مريم ، الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن ! وهذه الكلمة محرفة في جميع الاصول ولها أشكال متباينة ، لم نتبيّن تصويبها ، منها : انه ليأتيه **ناموس عيسى** الذي لا يعلمه بنو اسرائيل أبناءهم » .

والسير كلها هي على صيغة صحيح البخاري .

وللتوفيق بين هذه الاحاديث وصيغها ، من لغة انجيـــل ورقة ، وناموس عيسى أو موسى ، جاء في (شرح النووي ، لصحيح مسلم) : «هكذا هو في مسلم (**الكتاب العربي** . . . ويكتب من الانجيل بالعربية) . ووقع في اول صحيح البخاري (يكتب **الكتاب العبراني** فيكتب من الانجيل بالعبرانية) ، وكلاهما صحيح . وحاصلهما أنه تمكن من معرفة دين النصارى بحيث انه صار يتصرف في الانجيل فيكتب أيَّ موضع شاء منه : بالعبرانية إن شاء ، وبالعربية إن شاء . والله أعلم . وقوله (**أنزل على موسى** ص) هو قول الصحيحين وهو المشهور . وروي في غير الصحيحين : (نزل على عيسى ص) وكلاهما صحيح» — فالنووي يصوّب الصيغتين في الموضعين .

وجاء في السيرة الحلبية (١ : ٢٦٣) : «وإنما ذكر ورقة موسى دون عيسى عليهما الصلاة والسلام ، مع ان عيسى أقرب منه ، وهو على دينه ، **لانه كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى ، اي كان يهوديا ثم صار نصرانياً** . . . وفي رواية : (وانك على مثل ناموس عيسى) عليهما الصلاة والسلام . اي ففي بعض الروايات جمع ، وفي بعضها اقتصر على موسى . ثم رأيت أنه جاء في غير الصحيح الاقتصار على عيسى ، فقال : (هذا الناموس الذي نزل على عيسى) . **فهو كما جاء بالجمع بينهما ، جاء الاقتصار على كل منهما** . وفي (فتح الباري) : انه عند اخبار خديجة لورقة بالقصة ، قال لها : (هذا ناموس عيسى) بحسب ما هو فيه من النصرانية ؛ وعند إخبار النبي ص بالقصة ، قال له : (هذا ناموس موسى) للمناسبة بينهما ، **فكلاهما أرسل بالنقمة**» .

وسبب هذا الخلط كله ، جهلهم حقيقة «نصرانية» ورقة ، وحقيقة حرف انجيله . ومن انجيله نعرف حقيقة «نصرانيته» .

ان صحيح مسلم ، في تبديله العبرانية بالعربية ، اجتهاد منه في تفسير استغرابه لعربي يتلو الانجيل بالعبرانية ، وما عرفوا إنجيلاً بالعبرانية . وقد رأينا من شهادة العلماء المسيحيين المعاصرين في عهد الفترة للنصارى من بني اسرائيل ان انجيلهم

الوحيد كان باللغة الارامية السريانية ، لكنه بالحرف العبراني المقدس عندهم ، ولذلك يسمونه « الانجيل العبراني » او « الكتاب العبراني » .

وقولهم بأن ورقة كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى ، فهو جهل لحقيقة دين « النصرانية » التي تقيم التوراة والانجيل معاً ، وتقول بالايمان بموسى وعيسى ديناً واحداً .

فشهادة صحيح البخاري ، التي عنها كلهم ينقلون ويفسّرون ، هي الشهادة الصحيحة التاريخية : كان ورقة بن نوفل ، قس مكة ، « رئيس النصارى » من بني اسرائيل ، و « المتنصّرين » معهم من العرب ، فهو على « النصرانية » دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً . ففي مقالتــه ، قال : « ناموس موسى وعيسى » ؛ فاضطرهم لفظ « ناموس الى الاقتصار على موسى .

والجميع يشهدون بأن ورقة كان « حبراً عالماً » . فهو يعرف مع العربية لغته القومية السريانية لغة جماعته النصارى من بني اسرائيل ، والحرف العبراني حرف انجيلهم .

وهكذا تعني الشهادة في صحيح البخاري ان ورقة كان يترجم الانجيل من حرفه العبراني الى العربية . ووجود هذا الانجيل معه ، وهو الوحيد الذي يقول به النصارى من بني اسرائيل ، ولا يقبل به المسيحيون ، **البرهان القاطع** على ان ورقة بن نوفل ، قس مكة ، كان على مذهب النصارى من بني اسرائيل ؛ فهو على سبيل الحصر قس « النصارى » بمكة . والذين يلتفون حوله ، من عبــد المطلب ، جد محمد ؛ الى أبي طالب ، عم محمد ؛ الى عبد الله ، والد محمد ؛ الى السيدة خديجة ، ابنة عمه ؛ الى محمد نفسه الذي يدور في فلكه قبل مبعثه ؛ كانوا كلهم « نصارى » على مذهب النصرانية الاسرائيلية .

وهذا يكشف لنا كثيراً من الغموض الذي يكتنف الحديث والسيرة والتفسير في هذه المواضيع كلها .

●

ثالثا : دور « النصارى » في بعثة محمد — من وحي السيرة

لقد نقلنا حديث بدء الوحي عن الصحيحين في رؤيا غار حراء ؛ وأردفنا بحديث ابن الزبير عن الرؤية النهارية لشخص جبريل واعلانه : « يا محمد ، انت رسول الله ، وانا جبريل » ؛ واستنتجنا من اجماع الحديث الصحيح والسيرة ان حديث ابن الزبير موضوع ، يدل عليه **خشية محمد على نفسه**[1] من رؤياه التي تتعارض مع رؤية الملاك نفسه في وضح النهار ؛ كما يدل عليه استفتاء خديجة لورقة ابن نوفل في ما يجري لمحمد ؛ وعزّزنا بشهادة القرآن ان اسم جبريل لم يبرز إلا في المدينة (البقرة ٩٧ و ٩٨ ؛ التحريم ٤) ؛ ولا ذكر له في القرآن المكي .

وأعلنا ، ونكرر اعلاننا ، **بصحة الرؤيا في غار حراء** ، على ما جاء بها القرآن واقعاً (النجم ١ — ١٨) وموضوعاً (الشورى ٥٢ و ١٥) .

والآن نرى تبسط السيرة في الرؤيا ؛ فنرى فيهـا دور « النصارى » في مبعث محمد .

١) حديث الرؤيا في السيرة

تنقل سيرة ابن هشام (١ : ٢٥٢) حديث عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، وهو جامع لحديث عائشة في الصحيحين ، وعبد الله ابن الزبير عند الطبري : « خرج رسول الله ص الى حراء كما كان يخرج لجواره ، **ومعه أهله** ، حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، **جاءه جبريل** عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله ص : فجاءني جبريل ، **وأنا نائم** بنمط من

---

(١) يقول السهيلي في (الروض الانف) : « وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها ؛ بل في حديث عروة ما يدل ظاهره على ان نزول جبريـل حين نزل بسورة (اقرأ) كان في اليقظة . . . وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ص جاءه جبريل في المنام قبل ان يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليـه ورفقاً به » — وسورة النجم تنقض ذلك : « ما كذب الفؤاد وما رأى » (١١) .

ديباج ، **فيه كتاب** ، فقـــال : إقرأ . (قال) قلت : ما أقرأ ؟ **فغتني به**[1] ، حتى ظننتُ انه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . (قال) قلت : ما أقرأ ؟ (قال) فغتني به حتى ظننت انه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . (قال) قلت : **ماذا اقرأ** ؟ (قال) فغتني به حتى ظننتُ انه الموت ، فأرسلني ، فقال : اقرأ ؟ (قال) فقلت : ماذا اقرأ ؟ — ما أقول ذلك **إلا** افتداءا منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي — فقال :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علـــق
اقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »

(قال) فقرأتها . ثم انتهى فانصرف عني ، **وهببت من نومي** ، فكأنما كتبت في قلبي كتاباً » .

هذا تفسير السيرة لرؤيا الوحي ، في حديث جامع . وفيه نرى ان جواب محمد مرتين « ما أقرأ ؟ » ومرتين « ماذا اقرأ ؟ » مع تفسير قوله « ما أقول ذلك إلا افتـــداء منه » ، **يقطع التخرصات بأمية محمد** . وفي حديث السيرة ، كما في حديث الصحيحين ، ان أمر الملاك المكرر : «إقرأ» برهان على أنه يقرأ . يؤيده قول القرآن « الذي علّم بالقلم » ، وهو يدل على انه يكتب ايضاً . أما تفسيرهم بأن الملاك «جعله يقرأ بعد ما كان أمّياً » فهو اختلاق معجزة ليست في الحديث ولا في السيرة ، وينقضها نقضاً مبرماً موقف القرآن السلبي من كل معجزة تنسب لمحمد ، سوى القرآن نفسه .

والسيرة تسمي الملاك (جبريل)؛ بينما حديث الصحيحين والطبري لا يسميه؛ واسم جبريل لا يرد في مكة ، ولا يظهر إلا في المدينة .

---

(١) بأنه جعله على أنفه وفمه (السيرة المكية) .

والسيرة تؤكد ان خطـــاب الملاك وتلقين «إقرأ» **كان رؤيا في النوم**. فالوحي كان في رؤيا غار حراء، ومحمد نائم؛ هذا ما يشهد به حديث عائشة في الصحيحين، حيث لا اشارة الى رؤية نهارية في ذلك الحديث. والقرآن يجعلنا نجزم بأنه كان وحياً في ليلة، لا رؤية نهارية، بقوله: «إنا أنزلناه **في ليلة مباركة**» (سورة الدخان)؛ «إنا أنزلناه **في ليلة القدر**» (سورة القدر)، «ما كذب الفؤاد ما رأى» (النجم ١١).

وبعد رواية **الرؤية النهارية الموضوعة**[1]، كما رأينا، تكمل السيرة الهاشمية: وانصرفتُ راجعاً الى أهلي، حتى أتيت خديجة، جلست الى فخذها مضيفاً اليها. فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك، **حتى بلغوا مكة**، ورجعوا الي. ثم حدثتها بالذي رأيت. فقالت: ابشر، يا ابن عم، واثبتْ! فوالذي نفس خديجة بيده، **إني لارجو أن تكون نبيَّ هذه الامة**».

فسيرة ابن هشام لا تذكر **الخشية المخيفة** التي اعترت محمداً من رؤياه، كما ينص عليها الحديث في الصحيحين، لكن وصف حال محمد يلتصق بفخذ خديجة يستطمن قربها، وجواب السيدة الكبيرة يشيران الى تلك الخشية. وتنص ايضاً على **وجود عائشة معه في حراء ليلة الرؤيا**.

وجدير بالذكر ان محمداً لا يفهم من رؤياه انه نبي؛ والسيدة خديجة هي التي تعلن له: «اني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة» (١ : ٢٥٤) — فهل كانت التاجرة الكبيرة عالمة بكيفية وصفة النبوة، حتى تطلق لمحمد هذه البراءة التي لا اصل لها في الحديث الصحيح عن الخشية المخيفة التي اعترته.

•

---

(١) السيرة الهاشمية التي تنقلها تناقض نفسها في قصة الامتحان: أهو مـــلاك أم شيطان، بجلوس محمد في حضنها، فظل يراه؛ ثم تحسرت وألقت خمارها والنبي في حجرها، فاختفى فلم يعد يراه؛ فحكمت انه ملاك. فلو كانت رؤية نهارية، واعلان الملاك له: «يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل»، لما بقي لهذا الامتحان من معنى، ولا لاستفتاء ورقة من حاجة.

٢) الخشية المخيفة من الرؤيا

جاء في الحديث الصحيح عن عائشة[1] : «فرجع بها رسول الله **ترجف بوادره**، حتى دخل على خديجة بنت خويلد. فقال : زملوني ! زملوني ! فزملوه حتى **ذهب عنه الروع** . ثم قال لخديجة : اي خديجة **مالي**؟ واخبرهـا الخبر . ثم قال : **لقد خشيت على نفسي**» .

وينقل (الاتقان ١ : ٢٤ — ٢٥) عن غيرها : «فأخذتني **رجفة**، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني» ؛ «قال لخديجة، اني اذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً؛ فقد والله خشيتُ ان يكون هذا امراً» .

وفي السيرة المكية : «فرجع الى خديجة، وقال : قد خشيت على نفسي» .

وفي السيرة الحلبية : «قال الحافظ، ابن حجر : **هذا الذي وقع له ص عند** ابتداء الوحي **من خصائصه** إذ لم يُنقل عن احد من الانبياء ص انه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك . . . وفي رواية : **يرجف فؤاده** اي قلبه . . . وقال لقد **خشيت على نفسي**، وفي رواية لقد **خشيت على عقلي**، كما في (الامتاع) » .

لقد فهم المحدثون والرواة ان ما عرض لمحمد في رؤيا النار، من غتّ وغطّ، ورجفة وخشية على نفسه او على عقله، لم ينقل عن احد من الانبياء ص انه جرى له مثل ذلك . وشعروا بما في ذلك من شبهة، فالتمسوا له تفسيراً . «وفي كلام الحافظ ابن حجر : اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولاً[2]» . وفي السيرة المكية[3]: «وفي كلام الحافظ ابن حجر: اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولًا... وقال الحافظ الاسماعيلي: إن هذه الخشية كانت **قبل ان يحصل له العلم الضروري بأن الذي جاءه ملاك من عند الله**، واما بعد حصوله، فلا» .

---

(١) البخاري ك ١ باب ١٨ ع ٢٣ ؛ مسلم ك ١ باب ٩٧ ع ٩٨ .

(٢) السيرة الحلبية ١ : ٢٦٧ .

(٣) بهامش الحلبية ١ : ٢٨٢ .

هذه هي الشبهة : لم يحصل لمحمد في رؤياه العلم الضروري بأن الذي جاءه ملاك من عند الله ، حتى أخذ المعنى من خديجة ثم من علماء خديجة : « اني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة » ؛ هذا تحليل كتب السيرة لرؤيا غار حراء ؛ وهذه الشبهة كانت سبب قصة الرؤية النهارية وما وُضع لها من احاديث .

●

٣) امتحان حقيقة الرؤيا الصالحة

هذا الامتحان يؤيد حقيقة الخشية والفزع من الرؤيا .

في السيرة المكية[١] : «جاء في بعض الروايات ان خديجة، قبل ان تذهب به الى ورقة ، ذهبت به الى عداس ، وكان نصرانياً من أهل نينوى ... وعداس هذا كان راهباً . وكان شيخاً كبير السن، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذي اجتمع بالنبي ص في الطائف... يروى أنه قال لها حين أخبرته بالخبر : يا خديجة إن الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أموراً . فخذي كتابي هذا وانطلقي به الى صاحبك : فإن كان مجنوناً ، فإنه سيذهب عنه ؛ وان كان من الله فلن يضره . فانطلقت بالكتاب معها ». وتنقل السيرة الحلبية[٢] ايضاً هذه الرواية .

وبما انهما تذكران **وجود خديجة مع محمد في الغار ليلة الرؤيا** ، أيكون الكتاب الذي به غت أو غط الروح النبي على وجهه فكاد يخنقه ، هو الكتاب الذي دفعه عداس لخديجة لتتعوذ به في حال عارض ثان يحدث لمحمد ؟ لكن حديث الصحيحين لا يذكر شيئاً من هذا الامتحان . لكن يبقى ان هذه الرقية بالكتاب قد تكون سبب ذهاب خديجة مع محمد في تلك الليلة المباركة ، من دون سائر الايام والليالي ، حين الانعكاف بحراء . وهكذا يقترن كتاب عداس، ووجود خديجة في الغار ، مع الحديث الصحيح لبدء الوحي في رؤيا الغار .

---

(١) على هامش الحلبية ١:١٨٣

(٢) السيرة الحلبية ١:٢٦٧

وهناك امتحان آخر لحقيقة الرؤيا ، تنقله سيرة ابن هشام (١ : ٢٥٥) . وجاء في السيرة الحلبية (١: ٢٧٥) ان امتحان خديجة لحقيقة الروح الذي يأتي محمداً ، «ان ذلك من خديجة كان بإرشاد من ورقة ، فإنه قال لها : اذهبي الى المكان الذي راى فيه ما راى . فإذا رآه فتحسري ، فإن يكن من عند الله لا يراه محمد» .

فطلبت خديجة من محمد ان يخبرها حين يأتيه الروح. فأتى فأخبرها. «قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى . فقام ص فجلس عليها . قالت : هل تراه؟ قال: نعم. قالت : فتحول فاجلس على فخذي اليمنى . فتحول ص فجلس على فخذها اليمنى . فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاجلس في حجري . فتحول ص فجلس في حجرها . قالت : هل تراه. قال نعم. فتحسرت والقت خمارها ، ورسول الله ص جالس في حجرها . وفي رواية اخرى : أدخلت رسول الله ص بينها وبين درعها . ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا . قالت : يا ابن عم اثبت وابشر : فوالله انه لملاك ، وما هذا بشيطان » .

فخديجة تمتحن حقيقة الرؤيا ، بإرشاد من رؤساء دينها ، وتثبت محمداً في صحة رؤياه ، وصحة نبوته . هكذا فهم الأمر المحدثون ورواة السيرة .

●

٤) استفتاء خديجة لرؤساء دينها في معن الرؤيا

هذا الاستفتاء ينص عليه الحديث الصحيح عند البخاري (ك١ باب ١٨ ع ٢٣) وعند مسلم (ك١ باب ٩٧ ع ٩٨) : « فانطلقت بة خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل — وهو ابن عم خديجة[1] — وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني[2] ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء ان يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة: اي ابن عم اسمع من ابن اخيك

(١) في صحيح مسلم : كان ورقة «عم» خديجة ، لا ابن عمها . والمشهور انه ابن عمها .

(٢) معناه : كان يكتب الكتابة العبرانية .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماترى ؟ فأخبره رسول الله ص خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل على موسى (على عيسى ؟). يا ليتني فيها جذعاً ليتني اموت حيّاً ، اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ص : او مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك حيّاً ، أنصرك نصراً مؤزراً — **ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي** » .

إن القصة عن هجرة محمد ، قبل اثنتي عشرة سنة موضوعة لان ورقة لم يكن نبياً يعرف غيب المستقبل . لكن النص على انه يكتب من الانجيل بالعبرانية «ثمين لمعرفة مذهب ورقة. وقد رأينا انه على مذهب النصارى من بني اسرائيل ، لأنهم وحدهم بين أهل الانجيل يعرفون الانجيل بالعبرانية ، ولا يقبلون سواه . وهذا هو الانجيل الذي حضر محمد ترجمته قبل مبعثه .

والاشارة الكبيرة في الحديث الصحيح ، في ربط فتور الوحي بوفاة ورقة : وهذا دليل صريح على دور ورقة في النبوّة ، ثم في الوحي .

والسيرة الهاشمية (١:٢٥٤) تفصل بين استفتاء خديجة لورقة وحدها ، وبين لقاء محمد لورقة عند طوافه بالكعبة ، بعد فراغه من جواره بحراء. ففي الاستفتاء يقول ورقة لخديجة : « **وانه لنبي هذه الامة** ، فقولي له : فليثبت» . وفي اللقاء المذكور يقول ورقة لمحمد نفسه : «والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة» .

فورقة بواسطة خديجة ، ثم بذاته ، هو الذي يعلن لمحمد أنه «نبي هذه الأمة» .

والسيرة الحلبية (٢ : ٢٦٣) تذكر ثلاثة استفتآت لورقة : « يكون تكرر سؤل ورقة ثلاث مرات : الأولى على يد أبي بكر ر . وذلك قبل ان يرى جبريل ؛ والثانية التي رأى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به ، وذلك عند اجتماعه به ص في المطاف ؛ والثالثة بعد اجتماع جبريل له يقظة بالقرآن . — اي (اقرأ باسم ربك) على المشهور بأنه أول ما نزل — وذلك على يد خديجة» .

وتنقل السيرة الحلبية[1] (١ : ٢٧٤) حديث محمد في ورقة : «فلما توفي ورقة قال رسول الله ص : لقد رأيت القس في الجنة ، وعليه ثياب الحرير -- القس يعني ورقة . والقس (بكسر القاف) **رئيس النصارى** (وبفتحها) من تتبّع الشيء . هذا وفي القاموس : القس (مثلث القاف) تتبع الشيء وطلبه ، كالتقسس ، (وبالفتح) صاحب الابل الذي لا يفارقها ، **ورئيس النصارى في العلم**» . ومن مكانة ورقة ، ومن حديث فتور الوحي ، ثم من حديث رؤيته في الجنة ، تظهر مكانة قس مكة في تطمين محمد على صحة نبوته ، التي ذكرها وخطط لها ، قبل خمسة عشر عاماً ، يوم زواج محمد بخديجة . لاحظ تعبير «**القس**» على الاطلاق ، فهو «رئيس النصارى» المسؤول الاول عنهم بمكة .

جاء في السيرة المكية خبر استفتاء **القس عداس** ، وكان على مذهب ورقة ، وبصفة كونه من نصارى نينوى المهاجرين الى مكة ، كان رئيس النصارى على الجالية منهم ، أتى من فارس مثل القس سلمان الفارسي الذي استقر بالمدينة . قالت : «وفي بعض الروايات ان خديجة ر. قبل ان تذهب الى ورقة، ذهبت الى عداس» . وفي رواية أخرى «قال بعضهم ان هـــذه القصة (الاستفتاء) بعد ذهابها به الى ورقة . والحاصل ان خديجة ر. كانت في بدء الوحي **تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما** ممن له علم بالكتاب ، لتتثبت في الامر ، لشدة اعتنائها به ص ، وتثبتها في أمره ص ، ولتقوّي قلبه وتعينه على الحق . **فنعم الوزير كانت له ص** ورضي الله عنها» .

والسيرة الحلبية (١ : ٢٦٧ – ٢٦٨) تنقل الاستفتآت ذاتها لعداس وورقة.

أخيراً ، وفوق الكل ، كان استفتاء خديجة **لامـــام «النصرانية» الاكبر** ،

---

(١) وتنقله ايضاً السيرة المكية : «لقد رأيت القس – يعني ورقة – في الجنة وعليه ثياب الحرير – والقس بفتح القاف وكسرها : رئيس النصارى».

(٢) بهامش الحلبية ١ : ١٨١ – ١٨٢ .

بحيرى في بصرى، الذي «انتهى اليه علم النصرانية» فكان «وصي عيسى ص على دينه» كما تنص كتب السيرة.

في السيرة المكية[1] : «وذكر ابن دحية أنه ص لما أخبرها بجبريل — ولم تكن سمعت به قط (؟) — كتبت الى بحيرى الراهب، وقيل **سافرت اليه**. فسألته عن جبريل. فقال لها: قدوس، قدوس، يا سيدة نساء قريش، أنّى لك بهذا الاسم؟ فقالت: بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه. فقال: انه السفير بين الله وبين أنبيائه؛ وان الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه». ونقلت السيرة الحلبية (١ : ٢٦٨) النص نفسه. بعد هذه الفتوى **الكبرى**، اطمأنت خديجة وطمأنت محمداً بأنه «نبي هذه الامة».

«والحاصل ان خديجة كانت في بدء الوحي تتردد **بين ورقة وعداس وغيرهما** من له علم بالكتاب، لتتثبت الامر»، كما تقول السيرة المكية. وهذا الواقع المأثور يدل على **ان خديجة لعبت الدور الاول**، بامتحان النبوة، واستفتاءات أئمة دينها، في تثبيت محمد بأنه «نبي هذه الامة».

●

٥) كيفية الوحي : الاغماء «وبرحاء الوحي»

جاء في الاتقان (الاتقان ١ : ٤٥ — ٤٦) : «وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات: (احداها) ان يأتيه الملاك في مثل صلصلة الجرس، كما في الصحيح. وفي مسند أحمد: أسمع صلاصل ثم أسكت. (الثانية) ان ينفث في روعه الكلام نفثاً. وهذا قد يرجع الى الحالة الاولى او التي بعدها. (الثالثة) ان يأتيه في صورة رجل فيكلمه كما في الصحيح. (الرابعة) ان يأتيه الملاك في النوم. (الخامسة) ان يكلمه الله **إما في اليقظة كما في ليلة الاسراء، او في النوم**».

---

(١) بهامش الحلبية ١ : ١٨٤.

اذن يقتصر الوحي في اليقظة على ليلة الاسراء. وتشهد سورة الاسراء بأنه كان «ايلاً»[1] ورؤيا: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس» (٦٠).

فمجمل الكيفيات توحي بأنه رؤيا في النوم، مصحوبة بتمثل صلصلة الجرس، أوحى فيها الى عبده ما أوحى، روح من الله تمثل له في صورة رجل يكلمه.

وقد تم ذلك على هذه الحالة: «أخرج ابن سعيد عن عائشة قالت: كان رسول الله اذا نزل عليه الوحي **يغط في رأسه، ويتربد وجهه** — اي يتغير لونه بالجريدة — ويجد برداً في ثناياه، ويعرف حتى ينحدر منه مثل الجاعات» (الاتقان ١: ٤٦).

«روى الامام أحمد والحاكم — وصححه — والترمذي والنسائي عن عمر قال: كان ص، اذا نزل عليه الوحي، يسمع عنده **دوي كدوي النحل** — فأفهم قوله (عنده) ان ذلك بالنسبة للصحابة. ولذا قال الحافظ: انه لا يعارض **صلصلة الجرس**، بالنسبة له... وفي مسلم، عن ابي هريرة قال: كان رسول الله ص اذا نزل عليه الوحي لم يستطع أحد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي. وفي لفظ: كان اذا نزل عليه الوحي **استقبلته الرعدة**. وفي رواية: **كرب كذلك وتربد وجهه وغمض عينيه؛ وربما غط كغطيط البكر**... وفي كلام الشيخ محي الدين ما يدل على انه ص كان اذا جاءه الوحي **يستلقي على ظهره**». وهذا ما أسموه «**برحاء الوحي**».

وتنقل السيرة الحلبية (١: ٢٧٥ — ٢٧٦) ان محمداً كان **يصاب بالاغماء**، قبل مبعثه منذ طفولته، وبعد بعثته؛ ولهذا السبب، عملاً بإرشاد ورقة، امتحنت صحة وحي الملاك بحسرها عن رأسها عند حضوره فاختفى، فعلمت انه روح من الله، لاجني: «أزالت عن رأسها ما يغطي به الرأس لتعلم عين اليقين ان هذا الذي يعرض له ص هل هو حامل الوحي الذي كان يأتي به الانبياء قبله،

---

(١) السيرة المكية، بهامش الحلبية ١: ١٩٠ و ١٨٨.

او هو الاغماء الذي هو بعض الامراض الجائزة عليهم . وفيه انـــه ينبغي ان يكون المراد به الاغماء الناشىء عن لمسة الجن ، فيكون من الكهان ، **لا من** الانبياء ، الذي قال بسببه لخديجة (لقد خشيت على نفسي) . وسيأتي انه **كان يعتريه ، وهو بمكة ، قبل ان ينزل عليه القرآن ، ما كان يعتريه عند نزول الوحي عليه ، اي من الاغماء**... وروى ابن اسحاق عن شيوخه انه ص كان **يُرقى من العين** وهو بمكة ، قبل أن ينزل عليه القرآن: **فلما نزل علية القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك** . هذا يدل على أنه ص **كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء** ، بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ، ويغط كغطيط البكر . فقالت له خديجة : أوجه اليك من يرقيك ؟ قال : أما الآن فلا ! ولم أقف على من كان يرقيه ، ولا على ما كان يرقى به » .

فالسيرة الحلبية تؤكد ان **برحاءالوحي هي حالة الاغماء** التي كانت تعتريه قبل نزول الوحي اليه . وبعد نزول الوحي أبطـــل الرقية التي كان يستخدمها من قبل .

وبسبب تشابه الحالتين ، الاغماء وبرحاء الوحي ، تتساءل السيرة الحلبية (١ : ١٧٦ — ١٧٨) : «فإن قيل : بهذه الامور علم ص ان جبريل ملاك لا جني؛ فمن اين علم انه يتكلم عن الله تعالى؟ أجيب : بأنه ، على تسليم أن **قول ورقة** المذكور وما تقدم عنه لا يفيده العلم ، فقد يقال : خلق الله تعالى فيه ص علماً ضرورياً بعد ذلك علم به أنه جبريل ، وأنه يتكلم عن الله تعالى ، كما خلق في جبريل علماً ضرورياً بأن الموحي اليه هو الله» . وهذا التخريج ينقض رؤية الملاك نهاراً ، لان الرؤية الحسية لا تحتاج الى دليل . والشعور الباطني بالوحي يكفي ، لان الله اذا أوحى لعبده لا يتركه في حـــيرة من أمره . ونرى من تصريح القرآن ان حيرة محمد من أمره لازمته مدة دعوته ، حتى جاءه الامر : « فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** :

لقد جاءك الحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين ، ولا تكونن من الذين كذّبوا آيات الله فتكون من الخاسرين » (يونس ٩٤ — ٩٥) .

فالسيرة تفسّر القرآن تفسيراً صحيحاً بأن ورقة ، قس مكة « النصراني » هو الذي أفاده العلم بأنه نبي يكلمه ملاك ، للتمييز بين مرض الاغماء الذي كان يصيبه قبل رؤيا حراء ، وفيها ، وبعدها ، طول حياته ؛ وبين « برحاء الوحي » .

ولا يُستبعد ان يكون الكتاب في نمط من ديباج ، الذي رأى محمد في رؤياه أنه يُغَتّ بـه ، كان الكتاب المقدس ، الذي دفعه القس عداس الى خديجة لتضعه على رأس محمد ، ترقاه به عند الاغماء . وتنص السيرة على ان خديجة كانت معه في الغار تلك الليلة، ليلة الرؤيا المباركة .

وعندنا أن كيفية الوحي لمحمد ، تشبه بالحرف الواحد كيفية الالهام للقديس اغسطينوس من قبله. فقد كان على الشرك ، وأمه المسيحية تصلي لهدايته . فإذا به ، كما حكى هو نفسه ، يرى ملاكاً يقدّم له الكتاب المقدس ويقول له : **«خذْ واقرأ»** : فأخذ وقرأ وآمن بما أنزل الله من كتاب ، وصار رئيس المسيحية في وطنه ، ونور المسيحية مدى الدهر . كذلك رأى محمد في رؤيا غار حراء روحاً من أمر الله (الشورى ٥٢) يقول له ثلاثاً ، وهو يريه كتاباً : «إقرأ» ؛ فاهتدى الى الايمان بالكتاب : «قلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم » (الشورى ١٥) فكانت الدعوة القرآنية .

●

٦) دور «النصارى» بمكة في بعثة محمد

يظهر لنا جلياً ، مما تقدم ، الدور الفريد الذي لعبه ورقة بن نوفل ، قس مكة ، «القس» بحسب الحديث ، مع زميله القس عداس ، وخديجة سيدة نساء قَريش وثرية مكة ، بتوجيه من الامام الاكبر ، بحيرى في بصرى ، « وصي عيسى على دينه » كما تقول السيرة .

فنحن مدينون بنبوءة محمد ، النبي العربي – بعد الله تعالى – الى زعماء «النصرانية» بمكة . فهم الذين احتضنوا محمداً بزواجه من خديجة ، وبشروه قبل خمسة عشر عاماً بأنه سيكون « نبي هذه الامة » ؛ وهم الذين أعطوه البراءة ، بمناسبة رؤيا غار حراء الصحيحية ، بأنه صار « نبي هذه الامة » . خديجة هي التي تدير الجميع وتسيطر عليهم : « وان خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله ص أنه يأتيه »[1]

اذا كان في ما أقول من كفر ، فناقل الكفر ليس بكافر : فما أقول ليس من عندي ؛ انما هو روايات الحديث والسيرة ، كما نرى من نصوصها التي نقلناها

فالدور الاول ، في بعثة محمد كان لزعماء «النصرانية» بمكة .

وهنا نتساءل : لماذا لم تلجأ خديجة ، في استفتآتها ، بشأن رؤيا حراء ، الى بني عمومتها من قريش ، وهم صناديد مكة في التجارة والأدب والعلم وسدانة الكعبة ؟ إنما لجأت هي وزوجها الكريم الى زعماء «النصارى» بمكة ، تستفتيهم وتسير مع محمد برأيهم . أليس هذا برهاناً على ان خديجة ومحمد يدوران في فلك «النصرانية » ، وكانا على « نصرانية » مفتيهم ؟ وفي خلوة محمد مع القس ورقة ، بحراء، مدة صوم رمضان «النصراني»، الحبر اليقين ، وفي تشريع القرآن للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣) فصل الخطاب .

ثم نتساءل : ما السرّ في **مخطط ورقة** ، قس النصارى بمكة ، ومن فوقه **هدف بحيرى** ، الامام الأكبر ، «وصي عيسى على دينه» من احتضان محمد بزواجه من خديجة ، «سيدة نساء قريش» ؟

نرى السر في رواية الحديث والسيرة ، لما جاء في القرآن : **«وامرتُ ان اكون من المسلمين»** (النمل ٩٠) . الذين بهم يتحدى المشركين: « قلْ : آمنوا به ، أو لا تؤمنوا: إن الذين **أوتوا العلم من قبله** ، اذ يُتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ، ويقولون : سبحان ربنا، إن كان وعد ربنا لمفعولًا » (الاسراء ١٠٨) ؛

---

(١) الزرقاني : شرح المواهب ١ : ١٥٩

كما أمر أيضاً : قل : إني أمرتُ أن أكون أول من أسلم» (الانعـــام ١٤) ، « وبذلك أمرت ، **وانا اول المسلمين** » (الانعام ١٦٣) ؛ «قلْ : اني أمرتُ أن اعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرتُ **لان اكون اول المسلمين** » (الزمر ١١و١٢). فهي ليست أولية زمانية ، بل أولية في المنزلة والسلطان .

نرى من الحديث والسيرة ان **هدف بحيرى** في بصرى بعد كمال هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز ، وسيطرتهم على مكة **بالزعامة المدنية** مع عبد المطلب **والزعامة التجارية** مع السيدة خديجة، **والزعامة الدينية** مع ورقة بن نوفل ، قس مكة ، ومن لف لفهم من العرب المتنصرين — كان **نقل زعامة «النصرانية»** في مطاولة المسيحية واليهودية اللتين تضايقانها من دولة الروم ودولة الفرس ، الى مكة ، «أم القرى» . وبما أن عبد المطلب وورقة قد طعنا في السن واشرفا على المئة سنة ، كان لا بدّ من ايجاد خليفة « الوصي عيسى على دينه » في مكة . فوقع الخيـــار على محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ، منذ حجبها الى بحيرى في بصرى ، لما بلغ محمد سن التكليف في الثانية عشرة . ولما بلغ محمد الخامسة والعشرين ومر ، في تجارة خديجة ، بالامام الاكبر في بصرى ، أوعز بحيرى إلى ورقة بن نوفل قسّ مكة ، والى خديجة زعيمة التجارة والثروة ، أن يحتضنا محمداً ويهيآنه لزعامة «النصرانية» في مكة والحجاز والجزيرة كلها .

فبادرت خديجة بطلب الزواج من محمد وقالت له: « أرجو ان تكون أنت النبي الذي سيبعث ! فقال لها : والله لئن كنت أنا هو ، لقد اصطنعت عندي ما لا أضيعه ابداً »[١] . ولما شاورت القس ابن عمها في أمر الزواج ، اغتبط وأعطاها **كلمة السر** في مصير محمد زوجاً لها : «إن محمداً لنبي هذه الأمة»[٢] فدخل محمد في مخطط ورقة وابنة أخيه .

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ١٥٥

(٢) السيرة لابن هشام ١ : ٢٠٣

واقام محمد خمسة عشر عاماً في بيت خديجة يتمتع بالجمال والمال والسيطرة التجـــارية على قريش والجزيرة؛ ويتدرب في كنف القس ورقة على الرسالة «النصرانية» بين العرب؛ ويحضر ترجمة ورقة لانجيل النصارى من العبرانية الى العربية؛ ويتعلم «المثل» القرآني (الاحقـــاف ١٠) الذي فيه «علم الكتاب» (الرعد ٤٥)؛ ويستعد لأن يكون «أول المسلمين» (الانعام ١٦٣ : الزمر ١٢) متى دقت ساعة الله.

«وحبب الله اليه الخلاء»، فكان يختلي مع قس مكة شهراً من السنة، شهر رمضان في الصيام والنسك والتعبد، عـــلى طريقة الرهبان، يتأمل في الوجود ورب الوجود، ويستذكر ما تعلمه من استاذه القس، وهو مجاور بجواره.

لكن في تلك «الليلة المباركة»، «ليلة القدر»، من «شهر رمضان» كانت خديجة معه في الغار[1]. ففي هذا الشهر المبارك، من هذه السنة، «كانت خديجة تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله ص أنه يأتيه». فحضرت معه، بإرشاد ورقة وعداس، وأحضرت معها الكتاب الذي دفعه لها عداس، لتضعه على رأسه، اذا رأى رؤيا، في حال الاغماء الذي ينتابه. فكانت «الرؤيا الصالحة»، الصادقة، ورقته خديجة بالكتاب على رأسه ووجهه. ولما أفاق من رؤياه مذعوراً، التصق بجنب خديجة، ترجف بوادره، واخبرها ما رأى. فقالت له خديجة، عفو الخاطر، وقبل ان ترجع الى القس، رئيس دينها: «أبشر، يا ابن عم، واثبت! فوالذي نفسي بيده، اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة».

وقامت مسرعة الى مكة تزف البشرى الى القس، ابن عمها ورقة؛ فيقول لها «رئيس النصارى» بمكة، قبل ان يسمع محمداً ويراه، وتصدق الايام رؤياه: «قدوس، قدوس، والذي نفسي بيده، لئن صدقت يا خـــديجة، لقد جاءه الناموس الاكبر[2]، ناموس عيسى! **وانه لنبي هذه الامة**! فقولي له: ليثبت»!

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٦٢.

(٢) الزرقاني: شرح المواهب ١ : ١٥٩.

فرجعت خديجة مسرعة الى محمد، وهو بعد في حراء، وأخبرته بفتوى القس في الرؤيا. فقام ورجع الى مكة، وعرّج على الكعبة يطوف بها كعادته قبل الدخول الى بيته. فلقيه القس هناك، كأنه على موعد معه، واستخبره الخبر، فأعطاه هذه البراءة: «والذي نفسي بيده، **انك لنبي هذه الامة!** ولقد جاءك الناموس الاكبر، ناموس عيسى[1]».

هذا كله، ولم ينزل من القرآن سوى الامر بالقراءة، قراءة الكتاب. فما معنى استباق الاحداث؟

وما هذا الاصرار مدة خمسة عشر عاماً، على الايحاء لمحمد بأنه «نبي هذه الامة»؟ وما هذا الاستغلال التقوي لعارض «الاغماء» الذي كان يعتريه؟

لا تفسير، لهذه الآثار والاخبار، في الحديث والسيرة، سوى قول القرآن: «وأمرت لان اكون اول المسلمين» (الزمر ١٢)، «وبذلك أمرت، وانا اول المسلمين» (الانعام ١٦٣). فقد توسم زعماء «النصرانية» بمكة، في ابن قرابتهم، محمد بن عبدالله، **الكفاءة لخلافة أئمتهم في الدعوة** الى «النصرانية»، وفرضها بالدعوة، وبالجهاد، اذا اقتضى الامر، على مكة والحجاز والجزيرة، «أمة وسطاً» بين اليهودية والمسيحية، ودولة وسطاً بين الفرس والروم. فكان لهم ذلك بعد خمسة عشر عاماً، من الاستعداد الديني والنفسي والفكري، في تلك «الليلة المباركة»، «ليلة القدر»، من «شهر رمضان»، **بتلك «الرؤيا الصالحة»، الصادقة**. وكان الله نفسه من وراء قصدهم، «والله أعلم حيث يجعل رسالته» (الانعام ١٢٤).

فمها كان على روايات السيرة من شبهات، خصوصاً في شبهة الاغماء و«برحاء الوحي»، **يجب التسليم بصدق «الرؤيا الصالحة»** كما عرضها القرآن نفسه: «كذلك

---

(١) رأينا أن تعبير «الناموس» كان من ألقاب المسيح الحسنى عند «النصارى»، لذلك يجب تنقيح «ناموس موسى» بالقراءة الاخرى: «ناموس عيسى».

أوحينا اليك روحاً من أمرنا (اي ملاكاً) : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ؛ وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (الشورى ٥٢) ؛ وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لاعدل بينكم » (الشورى ١٥) بين اليهودية والمسيحية ، بفرض « النصرانية » ، دين موسى وعيسى ديناً واحداً على العرب (الشورى ١٣) ، بإقامـــة التوراة والانجيل معاً : « قل : يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليكم من ربكم » (المائدة ٨١) . فهذا الامر المكرّر المتواتر بالدعوة لهذا الاسلام « النصراني » (آل عمران ١٨ — ١٩) **هو كل القرآن** الذي جاءه في تلك « الرؤيا الصالحة » ، الصادقة : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » (الدخان) ، « إنا أنزلناه في ليلة القدر » (القدر) ، « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » (البقرة ١٨٥) . أما القرآن المكتوب ، فهو « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦) في « بينات من الهدى والفرقان » ، اي قرآن الكتاب وتفصيله في الفرقان .

أجل **يجب التسليم بصدق تلك « الرؤيا الصالحة »** ، مهما قام عليها من شبهات في الآثار والاخبار ، لان الذي يقوم بتأسيس دين ودولة ، وامة وثقافة ، **بفرض « النصرانية » على العرب** ، « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) ، لا يكون إلا صادقاً ، من « اولي العزم » .

وهكذا تمّ لورقة بن نوفل ، قس مكة ، بفضل ابنة عمه السيدة خديجة ، ما اراده لمحمد مدة خمسة عشر عاماً ، ان يكون « نبي هذه الامة » ، خليفته وخليفة بحيرى ، الامام الاكبر ، على « النصرانية » ، بالدعوة للاسلام « النصراني » . وقد حققت السماء بمحمد ، أمل « رئيس النصارى » بمكة .

هذا هو اجتهادي في استقراء المصادر الاسلامية من قرآن وحديث وسيرة . فإن أصبت فلي أجران ؛ وإن اخطأت فلي اجر الاجتهاد . وسنرى في الوثائق القرآنية نفسها صحة هذا الاجتهاد .

* * *

بحث خامس

أثر القس ورقة بن نوفل ، في محمد والقرآن — من وحي الحديث

هذا الكتاب لبيان المطابقة الكاملة القائمة بين « النصرانية » والدعوة القرآنية ؛ وفي تعريب « النصرانية » **اخذ محمد مقام عيسى** ، لا في القرآن ، بل في الاسلام المنبثق عنه ، لما خرجت الدعوة القرآنية من بيئتها الضيقة في مكة والمدينة ، الى سائر الجزيرة ، وتطورت من دعوة دينية الى دعوة قومية اميرها محمد وخلفاؤه الراشدون ؛ لان القوم ابتعدوا عن الاصول فلم يروا في الدعوة القرآنية إلا محمداً والعرب .

وفي البحث التالي سنرى الخطوط الكبرى لمطابقة الدعوة القرآنية « للنصرانية ». نكتفي في هذا البحث بإظهار أثر ورقة بن نوفل في محمد والقرآن، من وحي الحديث .

رأينا أثر أئمة « النصارى » بمكة جملة في قيام النبوة والدعوة القرآنية . وهنا نظهر أثر ورقة بن نوفل ، قس مكة ، خصوصاً . ونقدر ان نحدّده في **هذا التعريف** : كان **التخطيط** من تصميم الامام الاكبر « للنصرانية » ، **بحيرى** في بصرى ، « وصي عيسى على دينه » . وكان **التطبيق** من اختصاص ورقة ، قس مكة ؛ **والتنفيذ** على خديجة ، ثرية مكة ، و « سيدة نساء قريش » .

فالذي تولى تعريب « النصرانية » لفرض سيطرتها على مكة والحجاز والجزيرة هو ورقة بن نوفل ، قس مكة . وفي الاحاديث المنقولة عن النبي ، **يسميه « القس » على الاطلاق** ؛ وهذا الاطلاق يبين أثر « القس » في نفس محمد وتفكيره وتعبيره .

لقد رأينا أثر « القس » في ما يسميه القرآن « هداية » الطفل محمد ، بمناسبة

كفالة جدّه عبد المطلب له : « ألم يجدك يتيماً فآوى ؟ ووجدك ضالّاً فهدى » ! (الضحى ٦ — ٧) : هداية في الطفولة ، في بيئة « نصرانية » لا تكون إلا الهداية النصراني ؛ ولا يستقيم غير ذلك .

ويضيف القرآن : « ووجدك عائلًا فأغنى » (الضحى ٨) . فهو يربط الهداية بالكفالة ، والغنى بزواجه من خديجة . ولا أثر في القرآن عن حداثة محمد سوى تلك الآيات الثلاث . وفي مسارعة خديجة التي تتطاول على جميع رجال قريش ، الى الزواج من محمد الفقير ، وهي أكبر منه بخمس عشرة سنة ، اخذت **كلمة السر** من « القس » : « سيكون نبي هذه الامة » : فتجندت للتنفيذ . ومنذ زمن المزمور الثالث في الزبور اعتاد أتقياء الله ممارسة الخلوة والنوم في بيت الله ينتظرون منه وحياً في رؤيا بمنام الليل .

ولما دقت ساعة الله برؤيا الغار ، سارع ورقة وخديجة الى تبليغ محمد معنى الرؤيا ، وهو لم يأخذ بعد من وحي روح الله سوى الامر بالقراءة : « إنه لنبي هذه الامة ! فقولي له : ليثبت » ! فكانت براءة « القس » بالنبوة لمحمد .

ومما يدل على توجيه « القس » للرسالة والدعوة في مطلعها ، أن السيرة تضع على لسان ورقة نبوءة في اخراج محمد من مكة وهجرته ، ونبوءة اخرى بفرض الجهاد لاعلاء كلمة الله . ولم يكن قس مكة نبياً يستطلع غيب المستقبل ؛ لكن الرواية الموضوعة دليل توجيه الرسالة والدعوة .

ويظهر أثر ورقة الكبير في النبوة والدعوة من خبر عائشة في حديث « بدء الوحي » . تنتهي كل الاصول في رواية الحديث بهذه العبارة العميقة الاغوار ، الكثيرة الابعاد ، كما في الصحيحين[1] : « **ثم لم ينشب (يلبث) ورقة ان توفي ، وفتر الوحي** » . فالحديث الصحيح يجعل صلة سببية بين وفاة ورقة وفتور الوحي . أجل يجعلون للوحي المحمدي فتوراً على فترات ، لكنه كان عابراً . أما الفتور

---

(١) البخاري (ك ١ باب ١٨ ع ٢٣) ؛ مسلم (ك ١ باب ٩٧ ع ٩٨) .

الاكبر الذي خلق الخطر الاكبر على النبي والدعوة كان بسبب وفاة « القس»، في السنة الرابعة من المبعث : «وفي كلام صاحب (كتاب الخميس) في الصحيحين أن الوحي تتابع في حياة ورقة، وأنه آمن به؛ وتقدم انه الموافق لما في (الامتاع) من أنه مات في السنة الرابعة[1] » . فلما توفي ورقة **فقد محمد صوابه وكاد ينتحر لولا لطف الله**. «ولقد قيل : إن النبي ضاق ضيقاً شديداً بانقطاع الوحي عنه، وانه كان يهيم على وجهه في الصحراء يناجي ربه. وبلغ به الامر مرة أن همّ بإلقاء نفسه من قمة جبل شاهق[2] » . فإقدام محمد على الانتحار بسبب وفاة « القس » برهان تاريخي قاطع على أثر ورقة بن نوفل في النبي والقرآن؛ في الرسول والرسالة؛ في السيرة والدعوة .

وهناك حديث آخر[3]، بصيغ متعددة، يدل على فضل ورقة على الرسول والرسالة : « فلما توفي ورقة، قال رسول الله ص : لقد رأيت القس — يعني ورقة — في الجنة، وعليه ثياب الحرير... وفي رواية : أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس . وفي رواية : قد رأيته فرأيت عليه ثياباً بيضاً، وأحسبه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض » .

وقد حفظ محمد للقس جميله عليه، فكان يقدّس ذكره كما في هذا الحديث : « لا تسبُّوا ورقة فإني رأيت له جنة — او جنتين — لانه آمن بي وصدقني » . وحمل أوائلَ الصحابة على الايمان والتصديق . فهذا علي بن ابي طالب « كان يتوقع ظهور نبوة النبي ص لما سمعه من ورقة... حتى انه كان اول من بادر الى التصديق به ص[4] » .

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٧٦ .

(٢) محمد صبيح : عن القرآن ص ٤١

(٣) السيرة الحلبية ١ : ٢٧٤ .

(٤) السيرة الحلبية ١ : ١٩٤ .

ويظل الحديث الصحيح عن فتور الوحي بسبب وفاة ورقة «القس »،برهاناً قائماً على تأثير «رئيس النصارى» بمكة ، في النبي والقرآن . وانتساب الدعوة القرآنية الى « النصرانية » شاهد عدل .

***

بحث سادس

انتساب الدعوة القرآنية الى « النصرانية » — بنص القرآن نفسه

هذا البحث **تتمة وفاتحة** : تتمة تُظهر تأثير « النصرانيـــة » في الدعوة القرآنية ؛ وفاتحة للفصل الثاني تقيم الدليل على انتساب الدعوة القرآنية الى « النصرانية » ، وذلك بنص القرآن نفسه .

اولاً : على حياة « القس » ، ورقة بن نوفل

١ — بدء القرآن دعوة الى القراءة ، في سورة (العلق ١ — ٥) . ولكن « ماذا أقرأ » ؟ فجاء البيان في السورة الثانية (ن والقلم) ، حيث المفاجأة الاولى: **« المسلمون »، ودرس الكتاب معهم .**

« نَ . والقلم وما يسطرون   ما أنت بنعمة ربك بمجنون   ١ — ٢
وإن لك لأجراً غير ممنون   وانك لعلى خلق عظيم . . .   ٣ — ٤
أفنجعل «المسلمين» كالمجرمين؟   ما لكم ؟ كيف تحكمون ؟   **٣٥ — ٣٦**
أم لكم كتاب فيه تدرسون؟   —إنَّ لكم فيه لما تخيّرون...   **٣٧ — ٣٨**
أم عندهم الغيب فهم يكتبون؟..   وما هو إلا ذكر للعالمين »   **٤٢ و ٥٢**

إنها السورة الثانية في تاريخ النزول . نسمع فيها فجأة اسم **«المسلمين»** في مقابلة المشركين «المجرمين» : فمن هم؟ على معرفتهم يتوقف سرّ الدعوة القرآنية .

لم يؤمن بعد بمحمد سوى خديجة : فليس هؤلاء «المسلمون» جماعة محمد . إنهم أهل الكتاب تجاه المشركين . وليسوا اليهود ولا المسيحيين على التحضيص . إنهم الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح، ومن «تنصر» معهم من العرب والتي جاءت الدعوة القرآنية نصرة لها على اليهودية (الصف ١٤)، في «أمة وسط» بين اليهودية والمسيحية (البقرة ١٤٣) تحاول بالدعوة القرآنية فرض دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً على العرب (الشورى ١٣) .

إنها شهادة بوجودهم بمكة ؛ وشهادة بمحاولتهم «تنصير» المشركين «المجرمين» وشهادة بتحريض المشركين على الانضمام اليهم مثل محمد: «وأمرتُ أن أكون من المسلمين» (النمل ٩٠) .

وتفضيل هؤلاء «المسلمين» يقوم على ان لهم «كتاباً فيه يدرسون» ويشترك محمد معهم بهذه الدراسة ، وبذلك يستعلي على المجرمين الذين ليس لهم «كتاب فيه يدرسون». ومن هذا الكتاب يستكتب محمد ويكتب «الغيب» الذي يدعو به، «ذكراً للعالمين». فمحمد يدرس الدعوة القرآنية مع هؤلاء «المسلمين» ، ويبلغها للعرب المشركين : هذه هي المفاجأة الأولى المزدوجة في القرآن . إن «المسلمين» في اصطلاحه هم «النصارى» من بني اسرائيل، ومن «تنصر» معهم من العرب بزعامة ورقة بن نوفل قس مكة .

٢ — وفي السورة الثالثة (المزمل ١ — ٥) تظهر المفاجأة الثانية : **«القرآن»** .

«يا أيها المزمّل، قم الليل إلا قليلاً نصفه، أو أنقص منه قليلا ١ — ٣
أو زدْ عليه، ورتّل القرآن ترتيلا: إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلا ٤ — ٥

في السورة الثانية رأينا محمداً يدرس الكتاب مع النصارى «المسلمين» . وفي هذه السورة الثالثة، نرى محمداً يصلي معهم في قيام الليل، ويتلو معهم «القرآن»

ان قيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله في كتابه ليست عادة عربية ، ولا يهودية؛ انما هي عادة رهبان عيسى مذ كانوا، بنص القرآن القاطع «ليسوا سواء؟

مـــن أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» (آل عمران ١١٣) . اوجز الرازي تفسيرهـــا : «في المراد بأهل الكتاب قولان : (الأول) **وعليه الجمهور** المراد منه الذين آمنوا بموسى وعيسى. (الثاني) المراد بأهل الكتاب كل مَن اوتي الكتاب مـــن اهل الأديان ، وعلى هذا القول يكون المسلمون من جملتهم» . هذا القول الثاني تخريج باطـــل : إن قيام الليل «نافلة» للنبي وحده (الاسراء ٧٩)؛ وتعبير «اهل الكتاب» مخصوص بهم، في اصطلاحه، من دون جماعة محمد ؛ وفي السورة عينها سبق ذكر جماعة محمد ، وذكر اليهود (١١٠ — ١١٢) ؛ وفي الاية (١١٣) يميز بين اهل الكتاب هؤلاء القوّامين بالليل لتلاوة آيات الله في صلاتهم . بقي القول الاول الذي «عليه الجمهور» . وتمييزهم بين اهل الكتاب ظاهر من اسمهم المذكور في السورة الثانية : انهم «المسلمون» النصارى .

فمطلع هذه السورة يصف محمداً ، بل يأمره بقيام الليل للصلاة مع المسلمين «النصارى» ، **وترتيل «القرآن»** معهم. فما هو هذا «القرآن» ؟ لم ينزل من القرآن العربي سوى آيات معدودات ، هي (قرآن) ، لكنها ليست «القرآن» المعروف المشهور قبل محمد ؛ وليس في آيات معدودات مادة للتلاوة مدى ساعات «آناء الليل وهم يسجدون» . فلا تنطبق ظروف الحال والمقال إلاّ على الكتاب الذي يستعلي بدراسته على المشركين (القلم ٣٧) مع النصارى «المسلمين» : إنه **قرآن الكتـــاب** ، الذي أُمر محمد في رؤياه بقراءته . وإلى اليوم يعلن رجل الدين المسيحي ، في الكنيسة ، قبل تلاوة الكتاب او الانجيل : « **فصل من الانجيل** المقدس بحسب متى » او غيره . والتعبير اليوناني الاصلي ليس « فصلاً » ، بـــل « قراءة ، قرآناً » ، وبالسريانية « قريانا » . فتحاشاه المسيحيون حرمة لشعور المسلمين . انما الاعلان الحق في مطلع تلاوة الكتاب او الانجيل هو « **قرآن من الانجيل المقدس** بحسب فلان » . « فالقرآن » على الاطلاق ، في اصطلاحه، إنما هو قرآن الكتاب والانجيل. وتعبير « القرآن » أطلق على ما يتلو محمد تجاوزاً

لانه « تفصيل الكتاب » . هذه هي المفاجأة الثانية في مطلع الدعوة : محمد يتلو في صلاته ودعوته « القرآن » اي قرآن الكتاب والانجيل ، كما تشير الى ذلك مطالع بعض السور : « تلك آيات الكتاب ، وقرآن مبين » .

هذا هو «القرآن» الموجود قبله ، والذي على محمد ان يتهيء بالدرس (المزمل ٣٧ و ٤٢) والتلاوة في قيام الليل (المزمل ١ — ٤) لقراءته على العرب: « انا سنلقي عليك قولاً ثقيلًا » — فما هو ؟

٣ — وفي السورة الرابعة (المدثر) تظهر المفاجأة الثالثة : **محمد «نذير للبشر»**

« يا أيها المدثر	قمْ فأنذر !	١ — ٢
وربك فكبّر	وثيابك فطهّر !	٣ — ٤
والرجز فاهجر	ولا تمننْ تستكثر	٥ — ٦
ولربك فاصبر	. . . .	٧
كلَّا ! والقمر	والليل اذا أدبر	٣٢ — ٣٣
إنها لاحدى الكبَر :	نذير للبشر	٣٤ — ٣٥
كلَّا ! إنها تذكرة	فمن شاء ذكره	٥٤ — ٥٥
وما يشاؤون إلا ان يشاء الله	**هو أهل التقوى وأهل المغفرة»**	٥٦

لقد اكتملت عناصر رؤيا غار حراء ، واتى محمداً الامر بالدعوة : «قم فأنذر» . وهذا هو الامر الذي يذكره بتواتر . وهذا الانذار يقوم على تكبير الله بتوحيده ، وهجر «الرجز» اي الشرك — و «الرجز» تعبير كتابي ، بينما «الشرك» عربي .

ثم يحكي ذهول القوم من هذه الظاهرة الجديدة التي يستكبرها المشركون: أمحمد « نذير للبشر » ؟ «إنها لإحدى الكبر» ! فيجيب بأن هذا الانذار ليس بجديد ، انما هو « **تذكرة** » من « القرآن » الذى يتلوه ويدرسه محمد مع « المسلمين » النصارى .

فالمفاجأة الثالثة مزدوجة: محمد «نذير للبشر»، هذه هي صفة محمد في دعوته، لا ذكر لنبوة ولا لرسالة : انما هو «نذير للبشر»، بحسب الامر الذي تلقاه : «قم فأنذر» . لذلك ما يتلوه هو «تذكرة» من قرآن الكتـــاب والانجيل . فكل التعابير تدل عـــلى ان صفة محمد هي نذير على التخصيص ، وعلى التوسع نبي ورسول ، بتلاوة «القرآن» ، قرآن الكتاب والانجيل، على العرب .

٤ — في السورة الخامسة (الفاتحة) يطلب الى الله الرحمان الرحيم الهداية الى الصراط المستقيم . وقصته التي تروي رؤيا الغار تنص على ان الصراط المستقيم هو الايمان بالكتاب (الشورى ٥٢) . وهو صراط الذين انعم عليهم من «النصارى» غير المغضوب عليهم من اليهود، ولا الضالين المشركين. ولا يمكن ان يعني القسم الاول من الفاتحة في تعبير «الذين انعمت عليهم» جماعة محمد ، لانهم لم يتكونوا بعد ، وهو انما عنى بها على التخصيص الذين عناهم من قبل : «المسلمين» النصارى (القلم ٣٥) ، ومن بعد : «وأمرتُ ان أكون من المسلمين» (النمل) اي «النصارى» الذين ينضم اليهم . فهو يطلب لنفسه « ولمن تاب » معه الهداية الى صراط «المسلمين» النصارى . هذه هي المفاجأة الرابعة .

٥ — في السورة السادسة « تبّت » يطلق لعنةً على عمه ابي جهل الذي يقف بوجه الدعوة . وفي السابعة (التكوير) يعلن انه ينذرهم بناءً على «قول رسول كريم» ، هو روح الله الذي أوحى اليه الامر بالدعوة في رؤيا الغار . وفي الثامنة (الاعلى) يصرح :

«سبّح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوّى ١ — ٢
والذي قدّر فهدى . . . فذكر، إن نفعت الذكرى . . . ٣ و ٩
إن هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهـــيم وموسى ١٨ — ١٩

هنا تبرز المفاجأة الخامسة: **موضوع الدعوة ومصدرها**. يؤمر بتسبيح الرب الاعلى الخالق . وهذا الامر هداية من تقديره : «قدّر فهدى» : فنبؤة محمد كانت الهداية له ؛ ودعوة محمد الهداية لهم . كانت هداية الى « الصحف الاولى » ، وهي

دعوة الى «الصحف الاولى» اي الكتاب، من باب ذكر العام بالخالص . فالايمان بالكتاب ، والدعوة له كان موضوع رؤياه وبعثته (**الشورى ٥٢ و ١٥**) . فلا ذكر لتنزيل جديد ، انما الامر تذكير بما في صحف الكتاب من قبله . وقوله : «قدّر فهدى» ببعثة محمد ، هو **الهداية الثانية** .

٦ — في السورة التاسعة (الليل) دعوة الى الاصلاح الاجتماعي بالبذل والعطاء للمحرومين. والسورة العاشرة (الفجر) تحريض على اكرام اليتيم واطعام المسكين بالعبرة من هلاك المستكبرين ، في الارض، ومن هول يوم الدين. فتوحيد الرب الاعلى هو الموضوع الاول من الدعوة، والاصلاح الاجتماعي بذكر يوم الدين هو الموضوع الثاني . فالاصلاح الاجتماعي هو المفاجأة السادسة من أصول الدعوة القرآنية .

تلك هي عناصر الدعوة القرآنية وملابساتها ، كما تظهر في السور الاولى، من تاريخ النزول ، على حياة «القس» ورقة بن نوفل . وهي القرآن العربي كله ؛ وما القصص والتشريع سوى تكميل . وفجأة توفي «القس» ورقة « **وفتر الوحي** » . وفتور الوحي دام من أشهر معدودات الى ثلاث سنين ، على أقوال مختلفة.

٧ — وبعد المحنة نزلت السورة الحادية عشرة (الضحى) تسلية للنبي ، بتذكيره **بالهداية الاولى** : بفتور الوحي لم يهمله ربه ؛ وله من مسيرته الاولى خير دليل :

« والضحى ! والليل اذا سجى ! ما ودّعك ربك ، وما قلى ! ١ — ٣
وللآخرة خير لك من الأولى ؛ وسيعطيك ربك فترضى ٤ — ٥
ألم يجدك يتيما فآوى ؟ ووجدك ضالاً فهدى ! ٦ — ٧
ووجدك عائلًا فأغنى » ! ٨

التسلية عن فتور الوحي تقوم على ثلاثة احداث، هي الآيات الثلاث الوحيدة في القرآن عن سيرة محمد قبل البعثة: كفالة جده له في يتمه من والده ثم من أمه؛ وهدايته من الضلال ؛ والغنى بعد فقر في زواجه من خديجة .

والقرآن يقرن هذه الهداية الاولى بكفالة جده له : فما معنى « الهدى » في الصبا ؟ أليس العماد « النصراني » كما تدل إشارات « السيرة النبوية » ؟ فلم يولد محمد على الهدى مثل غيره ؛ ولم ينشأ على الهدى مثل غيره : انما هو اهتدى في حداثته ، ثم اهتدى في بعثته ؛ فهما دليل على الهدى في رسالته . فما عليه ان يقنط من رحمة ربه ، بوفاة « القس » استاذه ؛ وما عليه إلا ان يستلم مكانه في قيادة الدعوة القرآنيـــة الى الصراط المستقيم ، صراط « المسلمين » النصارى ، بتلاوة « القرآن » ، قرآن الكتاب ، على العرب .

●

ثانياً : بعد وفاة ورقة ، ظل القرآن العربي بمكة ينتسب الى « النصرانية»

١ — القصة الاولى لمبعث النبي في رؤيا الغار

بعودة الوحي اليه شرح الله صـــدر محمد ، ووضع عنه وزره الذي فيه همّ بالانتحار لوفاة ورقة وفتور الوحي (الشرح) . حينئذ يقص لاول مرة رؤيا حراء : « شديد القوى ، أوحى الى عبده ما أوحى » : اي « ينبىء بما في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفّى». لذلك فما هو إلا «**نذير من النذر الاولى**» اي نذير بالنذر الاولى التي في الصحف المذكورة (النجم ٥ و ٩ و ٣٦ و ٥٦) .

هذا ما أنزل اليه ، في ليلة القـــدر التي فيها رأى روح الله يكلمه في المنام (سورة القدر) . واذا ما سئل عن مصدر دعوته أجاب : « بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ » (البروج ٢١ — ٢٢) . من البديهة أنه لا يحيلهم الى لوح محفوظ في السماء ، حيث لا يستطيعون ، بل الى الارض حيث يقدرون ان يروا عند « النصارى » المسلمين « القرآن » الذي يدرسه معهم في النهار (المزمل) ويرتله في قيام الليل (القلم ٣٥ — ٤٢) .

٢ — « فقد يسرنا القرآن للذكر »

يكذبون الداعية ؛ لكن ما تكذيبهم إلا كمثل تكذيب أهل الاخدود

لشهداء نجران من نصارى ومسيحيين (البروج ١ — ٨) . فهو يستشهد بأهل دينه ، ويقسم على ذلك بقسمهم : «لا ! أُقسم بهذا البلد — وانت حلٌّ بهذا البلد — **ووالد وما ولد»** ! (البلد ١ — ٤) . هذا الاطلاق في « الوالد والولد » لا يعني آدم وذريته ، ولا ابراهيم وولده اسحاق ، ولا اسماعيل وحفيده محمد ! انما هو اشارة الى الله ومسيحه ، كما تدل اشاراته حتى الآن .

أجل «نحن اعلم بما يقولون ! وما انت عليهم بجبَّار : **فذكر بالقرآن من** يخاف وعيدِ» (ق ٤٥) . إن القرآن العربي يقص الامر الى محمد : « فذكر بالقرآن » ، فهو غيره . منذ مطلع الدعوة ، لا يذكر «القرآن» إلا معرّفاً على الاطلاق ، كأنه مشهور ، فلا يمكن ان يعني القرآن العربي ، بل « القرآن » الذي أمر منذ بدء الدعوة — قبل نزول القرآن العربي — ان يرتله في قيام الليل مع أهله ، النصارى « المسلمين » .

والمفاجأة الضخمة ، الاعلان عن ترجمة « القرآن » : **فقد يسرنا القرآن للذكر** : «فهل من مذكّر ؟.. أكفاركم خير من اولئكم ؟ أم لكم براءة في الزبر» ؟ وفي اصطلاحه ، ان تيسير « القرآن » هو « تصريف » آياته (الانعام ١٠٥) ، بيان ما « نزل اليهم » من قبل (النحل ٤٤) ، اي « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦). إن قرآن الكتاب قد يسره الله لتذكير العرب به : ألا يشير هذا الى ترجمة ورقة للانجيل عن « العبرانية » ؟ فالقرآن العربي قصص لهذا « القرآن » ، وخبر عنه ، وليس هو « القرآن » الذي يخبر عنه : « فقد يسرنا القرآن للذكر » . يدل على ذلك استعلاؤه على كفار العرب « بأولئكم » الذين عنه يأخذه ، فهم لهم « براءة في الزبر » من دون العرب المشركين . وبما ان البشرى عظيمة ، فهو يكرر مراراً اعلانها « فقد يسرنا القرآن للذكر » (القمر ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠) .

ويخبر بأنه كتاب يتلوه عليهم « ليدبروا آياته » ، و « ليذكر أولوا الالباب» ، « ان لا إله إلا الواحد القهار » ، وما هو سوى « نذير مبين » (ص ٢٩ و٦٥ و ٧٠ و ٧٨) . هذا هو النبأ العظيم (ص ٤٩ و ٦٧) .

والبرهان على ان « القرآن » الذي يذكره هو غير هذا القرآن العربي ، القسم به : « والقرآن ذي الذكر » (ص ١) : فلا يقسم بنفسه على نفسه ، وهو موضوع تكفير عندهم ! لا يقسم بما لا يعرفون ، ولا يقبلون : انما هو يقسم بما هو معروف مشهور ، مقدس عند الجميع : فالقسم بالقرآن العربي للمشركين عبث لديهم . فالقرآن العربي هو « تفصيل الكتاب » اي تعريب « المثل » النصراني (الاحقاف ١٠) .

٣ — فالدعوة القرآنية « درس » للتوراة والانجيل للدعوة اليهما

في القرآن العربي، «وكذلك نصرّف الآيات — وليقولوا: درست ! — ولنبينه لقوم يعلمون » (الانعام ١٠٥) : هنا التمييز صريح بين القرآن العربي الذي يصرّف آياته، و « القرآن » الذي يهدف الى بيانه. يتهمونه « بالدرس »، فلا يردّ التهمة، انما يبين الغاية من الدرس، وهي بيان « القرآن » بواسطة القرآن العربي. فهم غفلوا عن دراسة الكتاب الذي نزل على طائفتين من قبلهم (الانعام ١٥٦) واتاهم بالقرآن العربي « ليعلمهم الكتاب والحكمة » التي في « القرآن » ، الذي يسّره الله للذكر .

٤ — « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون »

تتواتر التلميحات ، تتخللها التصريحات : « لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ، هدى ورحمة لقوم يؤمنون ... **ومن قوم موسى امة** يهدون بالحق وبه يعدلون ... (محمد) إنْ هو إلا نذير مبين : قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً، إلا ما شاء الله ؛ ولو كنت اعلم الغيب، لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء ... إن وليّ الله الذي نزّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين . **واذا قرئ القرآن** فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » (الاعراف ٥١ و ١٥٨ و ١٦٨ و ١٨٠ و ١٨٧ و ٢٠٣) .

هذه نظرة جامعة مانعة في كتاب الله و « القرآن » منه : فالقرآن العربي يخبرنا بأن الله هو « نزّل الكتاب » ، ويأمر : « اذا قرئ القرآن فاستمعوا له

وانصتوا » : فهو يخبر لا عن نفسه، بل عن غيره، عن « القرآن » الذي هو قراءة عربية لكتاب الله.

وهذا « القرآن » لكتاب الله، موجود عند أمـــة من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون. معروف موقف القرآن التكفيري من اليهود. فمن هي هذه « **الامة من قوم موسى** » ؟ نجد التصريح عنها في آية (الصف ١٤) : « **فآمنت طائفة من بني اسرائيل** ، وكفرت طائفة (بالمسيح) : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » . إنهم النصارى من بني اسرائيل الذين قامت الدعوة القرآنية انتصاراً لهم على اليهود من بني اسرائيل حتى النصر المبين. هؤلاء هم « النصارى » على الاطلاق. وسيسميهم « **الامة الوسط** » بين اليهودية والمسيحية، الذين على مثالهم وعقيدتهم قامت أمة محمد « أمةً وسطاً » ليكونوا شهداء على الناس (البقرة ١٤٣) . ان هؤلاء « النصارى » هم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ؛ وقد سماهم من قبل « المسلمين » (القلم ٣٥) .

وهم يهدون بالحق، وبه يعدلون، بكتاب الله الذي معهم ؛ فهم « يتلون الكتاب حقّ تلاوته » ويقرؤونه بالعربية حق قراءته، في « القرآن » الذي يخبر عنه القرآن العربي: «وقد شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠)؛ «كتاب أُحكمت آياته، ثم **فصّلت** من لدن حكيم خبير» (هود ١) ، « تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فُصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » (السجدة ١ — ٣) . ان «القرآن» المتواتر ذكره في القرآن العربي هو كتاب التنزيل من الرحمان الرحيم، الذي فصّلت آياته قرآناً عربياً. وقرآن محمد يخبر بذلك.

ومحمد « إنْ هو إلا نذير مبين » لا يعلم « الغيب » الذي يعلمه النبي. انما يخبر بأن «جئناهم بكتاب **فصلناه** على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون». وهذا الكتاب موجود مع « الامة من قوم موسى » ، « الطائفة من بني اسرائيل » التي آمنت بالمسيح، وتؤيدها الدعوة القرآنية حتى النصر المبين. إن « القرآن » الذي يطلب القرآن العربي الاستماع اليه بخشوع هو كتاب هذه الامة الوسط، في

« المثل » الذي « فصّلت آياته قرآناً عربياً » . فهو اذا انتسب الى الكتاب وأهله ، **فهو إنما ينتسب الى « النصارى »** من بني اسرائيل ، والى « القرآن » ، قرآن الكتاب ، الذي « درسه » معهم ، وما زال يتلوه معهم في قيام الليل .

٦ — « واجعلنا للمتقين اماماً »

تلك الامة المهدية الهادية يسميها «**عبـــاد الرحمان ... الذين يبيتون لربهم سُجداً وقياماً**» ؛ وهذه عادة نصرانية رهبانية ، لاعهد للعرب ، ولا لليهود بمثلها وهي في القرآن العربي «نافلة» للنبي وحده من دون جماعته : فهؤلاء يطلبون الى ربهم : « **واجعلنا للمتقين اماماً** » (الفرقـــان ٦٣ و٦٤ و٧٤) . وتعبير «المتقين» كناية عن العرب المهتدين الى الايمان بالكتاب كله ؛ والنصارى ، «عباد الرحمان هم «إمام المتقين» العرب . والقرآن العربي يدعو الى كتابهم وعقيدتهم ؛ وهو به «ينذر قوماً ما أُنذر آباؤهم ، فهم غافلون» ، وينذر مـــع مَن اتبّع الذكر ، وخشي الرحمان بالغيب» (يس ٦ و ١١) . «فقد اورثنا الكتاب مَن اصطفينا من عبادنا» (فاطر ٣٢) .

ودليل على ذلك ايضاً الهجرة الى الحبشة المسيحية ، وسورة (مريم) التي حمّلها محمد جماعته يتلونها على النجاشي وعلى قومه ليستجيروا بها عندهم ، عربون الوحدة الاصلية في الدين الواحد : «واذكر في الكتاب مريم (١٤) . واذكر في الكتاب ابراهيم (٤١) . واذكر في الكتاب موسى (٥١) . واذكر في الكتاب اسماعيل (٥٤) . واذكر في الكتاب ادريس (٥٦) : أُولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، من ذرية آدم ، وممن حملنا مع نوح ، ومـن ذرية ابراهيم واسماعيل ، وممن هدينا واجتبينا ، اذا تتلى عليهم آيات الرحمان **خرّوا سجداً وبكيّاً** (٥٨) . فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً» (٦٠) . يستفتح بأنبياء الانجيل ، ويأتي الى انبياء التوراة ويجمع اليهم اسماعيل ، جد العرب الذي به ينتسبون الى ابراهيم . وهكذا يستجيرون عند النجاشي بقوميتهم ودينهم . فالقرآن العربي ينتسب الى الكتاب انتساباً مطلقاً ، مع الذين «من ذرية ابراهيم واسماعيل ، وممن

هدينا واجتبينا ، اذا تتلى عليهم آيات الرحمان خرّوا سجّداً وبكيّاً» ، اي النصارى من بني اسرائيل ، «والمتنصرين» معهم من العرب .

٧ — « إنّا كنّا من قبله مسلمين »

ونوجز موقف القرآن المكي من هؤلاء «النصارى» باستشهادين .

الاول في قوله عنهم : «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به ، انه الحق من ربنا — **إنّا كنّا من قبله مسلمين** . اولئك يؤتون أجرهم مرتين ، بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون ؛ واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا : لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ، سلام عليكم ، لا نبتغي الجاهلين» (القصص ٥٢ — ٥٥) .

فسره الجلالان : «نزلت في جماعة أسلموا : من اليهود كعبد الله بن سلام ، وغيره من النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام» . لم يُسلم من اليهود سوى عبد الله بن سلام وكعب الاحبار للدس على الاسلام . والذين قدموا من الحبشة والشام كانوا مسيحيين ، لا «نصارى» ، فلا يقولون : «إنا كنّا من قبله مسلمين» بإسلامه . وحدهم النصارى من بني اسرائيل ، «والمتنصرون» معهم من العرب بزعامة ورقة بن نوفل وعبد المطلب الاول ، جد محمد الاعلى ، يقولون بإسلام القرآن ، لانه اسلامهم . والخطاب خبر عنهم ، فهم وحدهم يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد ، «بإيمانهم بالكتابين» (الجلالان) ، وباحتمال الاضطهـــاد في سبيلها مـــن اليهود ، **وبالانفاق عليها** . وهم يعلنون للمشركين العرب أنهم لا يقصدونهم : «سلام عليكم ، لا نبتغي الجاهلين» . فالصراع قائم بمكة بين اليهودية والنصرانية عند بني اسرائيل على زعامة مكة والحجاز ؛ وجاءت الدعوة القرآنية تأييداً لهذه «النصرانية» على اليهودية (الصف ١٤) — وهذا يدل على ان المسيحية بمكة كانت خارج الحلبة — فالاسلام القرآني هو الاسلام «النصراني» . وهؤلاء «النصارى» ، «ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ ، وانما هو أمر تقادم عهده ... وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن» (البيضاوي) .

والثاني هو الاعلان للعرب بأنه يشرع لهم دين موسى وعيسى ديناً واحداً؛ فكبر عليهم ذلك — لسبب سياسي (القصص ٥٧) — وتفرّق اليهود يقاومون الدعوة لشكهم في نوايا محمد، فكان الجواب : «فلذلك فادعُ واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم ، وقلْ آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم ؛ لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ؛ لا حجة بيننا وبينكم ؛ الله يجمع بيننا ، واليه المصير» (الشورى ١٣ — ١٥) ؛ فما على محمد ان يتبع اهواء اليهود ، مع الاعلان لهم ان الكتاب واحد والرب واحد ، وان اختلفت اعمال العبادة ؛ وهو يأمل بمكة أن يجمع اليهود اليه . ففشل واضطر الى الهجرة الى يثرب، حيث تظهر المواقف على جليتها. فالقرآن المكي يدعو مع «النصرانية» الى اسلام واحد ، في «أمة واحدة» (المؤمنون ٥٣ ؛ الانبياء ٩٢) .

•

ثالثاً : القرآن المدني يعلن وحدة الامة بين جماعة محمد و« النصارى »

مما يثير الشبهات في التفسير ، استخدام القرآن لتعابير «أهل الكتاب» ، و«النصارى» و «أولي العلم» حيث يراد التخصيص في معرض التعميم ؛ لكن القرائن اللفظية والمعنوية تبين المقصود . ففي القرآن المدني يأتي الاعلان بأن **«الامة الواحدة»** بمكة ، هي **«الامة الوسط»** بين اليهودية والمسيحية ، المؤلفة من « طائفة من بني اسرائيل » آمنت بالمسيح ، وتقوم بالدعوة مع محمد، «ومن تاب معه» من العرب «المتقين» . يفتتح القرآن المدني برد اليهودية ، ويختم برد المسيحية ، وما بينهما يقيم « الامة الوسط » : النصرانية .

١ — « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » (البقرة ١٤٣)

في سورة البقرة ، مدة عامين فما دون ، يفتتح القرآن برد اليهودية ، وقيام «الامة الوسط» . فالصراع قائم فيها بين القرآن واليهود الذين أظهروا أنفسهم **«اول كافر به»** (البقرة ٤١) . فيرد عليهم بأن الايمان الحق هو الايمان بموسى

وعيسى معاً ، بالتوراة والانجيل معاً ؛ ويأمر جماعته : «قولوا: آمنا بالله وما أنزل الينا ، وما أنزل الى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ؛ **وما أوتي موسى وعيسى** ؛ وما أوتي النبيّون من ربهم : لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦) : فالاسلام الحق هو الايمـــان بموسى وعيسى معاً ، وإقامة التوراة والانجيل معاً ؛ وهذه هي «النصرانية» ما بين اليهودية والمسيحية فهي الامة الوسط الناجية ، في أمة التوحيد الواحدة التي نادى بها بمكة . واليوم يعلنها صريحاً في المدينة: «وكذلك جعلنـــاكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس» (البقرة ١٤٣) . هذا هو **الاعلان الاول الكبير** في المدينة : فكان سبب ثورة اليهود على الدعوة القرآنية: « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا مـــن بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس : أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون » (البقرة ٨٨) . إن الخلاف ليس على الرسل بين موسى وعيسى ، انما هو على موسى وعيسى والتفريق بينهما ؛ واليهود كذبوا موسى الذي تنبـــأ بعيسى ؛ وقتلوا عيسى الذي قال ان موسى «كتب عني» (يوحنا ٥ : ٤٦) ، وأخذ يعدل شريعة موسى : «سمعتم أنه قيل للاولين ... وأنا أقول لكم» (متى٥:٢١و٢٨ و٣٢ و٣٨) . لقد اتخذ القرآن الموقف العلني باعلان الامة الوسط مـــن جماعته و«النصارى» .

٢ — «ان الدين عند الله الاسلام» .

بعد الاعلان عن «الامة الوسط» يأتي **الاعلان الثاني الكبير** عن دين الامة الوسط ، بعد نصر بدر الذي كسر شوكة المشركين ، واعلى معنويات المسلمين .

بدأ فاعلن وحدة الاله«الحي القيوم»في تنزيل الكتاب توراة وانجيلاً وقرآناً مع تنزيل الفرقان غير المكتوب تفصيلاً لها (آل عمران ١ — ٣) . ثم ردّ على فتنة اليهود للعرب في متشابه القرآن ، بإيمـــان « **الراسخين في العلم** » بالمحكم والمتشابه معاً (آل عمران ٧)؛ ونعرف ان تعبير « الراسخين في العلم » اصطلاح

لا لغة؛ وهو يعني « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) اي النصارى من بني اسرائيل و « المتنصرين » من العرب . أخيراً يأتي الاعلان عن دين « الامة الوسط » من هؤلاء « النصارى » ومن جماعة محمد : الاسلام :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط — لا اله إلا هو العزيز الحكيم — أنّ الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم »(آل عمران ١٨-١٩).

نعرف ان « أولي العلم » مرادف لاهل الذكر ، اي لاهـــل الكتاب ، في اصطلاحه . وهو يقسمهم الى فئتين أو طائفتين : الظالمين وهم اليهود ؛ والمقسطين أو المحسنين وهم النصارى ؛ وكلاهما من بني اسرائيل؛ ولا يتعدى أفق القرآن الصراع بين الطائفتين من بني اسرائيل ، قبل غزوتي مؤتة وتبوك الى مشارف الشام ، وما بينهما زيارة وفد نجران المسيحي . فالذين يشهدون بالاسلام هم النصارى أولو العلم المقسطون ؛ فهم يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » ، **والقرآن يشهد به بشهادتهم** ، لانها من شهادة الله وملائكته . لذلك فأهل الكتاب من اليهود يخالفون هذه الشهادة ، وينكرون هذا الاسلام « بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » أولاً بالمسيح ، والآن بالقرآن .

فالاسلام القرآني هـــو الاسلام « النصراني » بنص القرآن القاطع . وهذا الاعلان الضخم يجعل القرآن دعوة « نصرانية » لا ريبة في ذلـــك ، ولا مجال للشبهة .

بإعلان « الامة الوسط » ، وبإعلان هذا الاسلام ، حدّد القرآن تحديداً جامعاً مانعاً هوية جماعته ، وهوية اسلامه : انه « **أمة واحدة** » **مع النصارى من بني اسرائيل** و « المتنصرين » معهم من العرب، هي « الامة الوسط » بين اليهودية والمسيحية ، « خير أمة أخرجت للناس » (آل عمران ١١٠) على مثال من هم « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عـــن المنكر ، ويسارعون في

الخيرات ، وأولئك من الصالحين ؛ وما يفعلوه من خير فلن يكفروه . والله عليم بالمتقين » من العرب معهم (آل عمران ١١٣ — ١١٥) .

وميزة هذا الاسلام القرآني « النصراني » : الايمان « بالكتاب كله » (آل عمران ١١٩) اي بالتوراة والانجيل على السواء ، بموسى وعيسى معاً ، على دين واحد وشرع واحد . هذا هو « دين الله . وله أسلم من في السماوات والارض » (٨٣) . فلا دين غيره : « قل : آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، **وما اوتي موسى وعيسى** والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون ؛ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٤ — ٨٥) . فالقرآن دعوة «نصرانية» بمنتهى الصراحة .

وبعثة محمد ان يعلم العرب هذا الاسلام القرآني « النصراني » ، بتعليمهم التوراة والانجيل ، كتاب الله الواحد ؛ وهذه منة من الله عليهم : « لقد منّ الله على المؤمنين ، اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (آل عمران ١٦٤) — الكتاب والحكمة كناية عن التوراة والانجيل (آل عمران ٤٨) . هذه هي نبوّة محمد ورسالته : انها تعليم العرب التوراة والانجيل ، كما « درسها » عند « المسلمين » (القلم ٣٥) من قبله ، الذين أُمر برؤيا غار حراء ان ينضم اليهم ويدعو بدعوتهم : « وأمرت ان أكون من المسلمين ، وان اتلو القرآن » (النمل ٩٠ — ٩١) .

٣ — موقف القرآن و « النصارى » من الكتاب واحد

أعلن السيد المسيح : « لا تظنوا أني أتيت لانسخ التوراة (الشريعة) والنبيين ؛ اني ما اتيت لانسخ بل لأكمّل » (متى ٥ : ١٧) . ففهم المسيحيون هذا التكميل بأنه **تطوير وتعديل**؛ وفهم النصارى من بني اسرائيل بأنه **تصديق**

وتفصيل. لذلك قال المسيحيون بإقامة الانجيل من دون التوراة؛ وقال النصارى بإقامة الانجيل والتوراة. لذلك ايضاً يعتبر المسيحيون الانجيل الكتاب الاسمى؛ بينما النصارى من بني اسرائيل كانوا يعتبرون التوراة الكتاب، والانجيل بالنسبة له «الحكمة». ونرى القرآن يقف موقف «النصارى» ويدعو بعقيدتهم، ما بين اليهودية والمسيحية.

فالانجيل بنظر القرآن تصديق الكتاب: «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وهـــدى وموعظة للمتقين» (المائدة ٤٩). فالانجيل كما كان حكمة وموعظة لاهله، فهو كذلك «للمتقين» من العرب؛ ويظل كتاب موسى إماماً.

وهكذا جاء القرآن تصديقاً وتفصيلاً للكتاب كله: «تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين» (يونس ٣٧). وكما كان كتاب موسى إمام الانجيل، عند «النصارى»، يظل إمام القرآن في دعوته: «ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة» (هود ١٧)؛ وعلى هذا الاساس هو انذار لليهود الظالمين، وبشرى للنصارى المحسنين: «ومـــن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً، لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين» (الاحقاف ١٢). فالموقف لدى القرآن و«النصارى» بالنسبة للكتاب واحد.

٤ — عقيدة القرآن و«النصارى» في المسيح واحدة

اعلن السيد المسيح في دعوته انه «ابن الله»: ففهمها المسيحيون **بنوة ذاتية** فقالوا بالوهية المسيح؛ وفهمها النصارى من بني اسرائيل **بنوة مجازية**، فقالوا بأن المسيح، وان كان «كلمـــة الله وروحاً منه» فهو عبد لله، لا «ابن الله» في الحقيقة والواقع. وهذا هو الفارق الجوهري بين النصرانية والمسيحية.

ولما جاء وفد نجران المسيحي يباحث محمداً في حقيقة المسيح الذي يدعو اليه أعلنوا له الهيته وبنوته. فكان جواب القرآن: «يا أهل الكتاب (المسيحيين) لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق: انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه؛ فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا: ثلاثة! انتهوا، خيراً لكم؛ انما الله اله واحد، سبحانه ان يكون له ولد... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون» (النساء ١٧٠ — ١٧١). فالقرآن يرد عليهم بعقيدة «النصرانية»؛ لكنه ينكر «الثلاثة» وينكر الهية المسيح، جواباً على عقيدة «اليعقوبية» لدى وفد نجران، لا على الاطلاق بالنسبة للمسيحية جمعاء. فأسباب النزول توضح بأن تعليم القرآن في ذلك نسبي، لا مطلق. وتظل عقيدة القرآن و «النصارى» واحدة في المسيح: ان المسيح «كلمة الله القاها الى مريم وروح منه». وهذا التعبير المترادف هو الذي قسم أهل الانجيل الى نصارى ومسيحيين، كما يفصل بين الاسلام والمسيحية بالعقيدة «النصرانية» الواحدة: **الحرف واحد، اما التأويل فمختلف.**

فاقتتل اليهود واهل الانجيل على حرف العقيدة نفسه؛ واقتتل النصارى والمسيحيون على التأويل: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض: منهم من كلم الله (موسى)؛ ورفع بعضهم درجات (؟ — لعله محمداً)؛ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس. ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم، من بعد ما جاءتهم البينات. ولكن اختلفوا: فمنهم من آمن (النصارى والمسيحيون) ومنهم من كفر (اليهود). ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد» (البقرة ٢٥٤). وجاء القرآن «يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (الزخرف ٦٤)، ويؤيد النصرانية على اليهودية (الصف ١٤)، ريثما يؤيدها على المسيحية (التوبة ٢٩ — ٣٣).

فالقرآن و «النصرانية» عقيدة واحدة في المسيح لفظاً ومعنى.

٥ — شريعة القرآن و «النصارى» واحدة، في اقامة التوراة والانجيل معاً

لقد اختلف النصارى من بني اسرائيل مع المسيحيين من الاميين، منذ عهد الرسل، على إقامة التوراة والانجيل معاً، شريعة واحدة؛ وكانوا يأمرون المسيحيين بوجوب الختان واحكام التوراة. فأفتى مجمع الرسل، صحابة المسيح، بتحرير المسيحيين من شريعة موسى والختان، واقام النصارى عليهما حتى القرآن.

وجاء القرآن ينادي بشريعة النصارى ضد اليهودية والمسيحية جميعاً: «قلْ يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليكم من ربكم. وليزيدنّ كثيراً منهم ما أُنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً، فلا تأس (تحزن) على القوم الكافرين» (المائدة ٧١).

وهذه الدعوة القرآنية، «النصرانية» تجعل شريعة القرآن وسطاً بين اليهودية والمسيحية في احكامها كلها؛ فهي شريعة وسط بين اليهودية والمسيحية، على وحدة تامة بين القرآن والنصرانية.

٦ — الدعوة القرآنية تأييد «للنصرانية» على اليهودية المسيطرة على الجزيرة

بعد القضاء على يهود المدينة، وصلح الحديبية مع أهل مكة، كانت غزوة الشمال الى وادي القرى. سمي كذلك لكثرة القرى الواقعة فيه، ومنها دومة الجندل والحجر وديدان. سكنه اليهود أولاً؛ ونزل عليهم فيه قضاعة وسليح المسيحيتان؛ وعند هجرة النصارى من بني اسرائيل الى الجزيرة هربا من دين الدولة عند الروم، استوطن قسم منهم الوادي[1]. فكانت الغزوة انتصاراً

(١ قال شاعر منهم يصف زعامة النصارى في وادي القرى على اليهود وعلى المسيحيين (الاغاني ٧ : ١٦١).

ونحن منعنا ذا القرى عن عدونا	وعذرة، اذ نلقى يهوداً وبعثرا
منعناه من عليا معدّ، وأنتم	سفاسيف روح بين قرح وخيبرا
فريقان: رهبان بأسفل ذي القرى	وبالشام عرافون ممن تنصرا

للاسلام والنصرانية على اليهودية والمسيحية . فأشاد القرآن بهذا النصر المبين في سورة (الصف) .

وختم السورة بالكشف اخيراً عن **سر الدعوة القرآنية وهدفها**: «يا ايها الذين آمنوا (من العرب) كونوا انصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من انصاري الى الله؟ قال الحواريون: نحن انصار الله! **فآمنت طائفة من بني اسرائيل**، وكفرت طائفة : **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم** فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤).

هذا النص يكشف لنا أولاً معنى « النصارى » في لغة القرآن : ليسوا أهل الانجيل على الاطلاق كما يوهم التعبير الدارج ، بل هم « طائفة من بني اسرائيل » التي آمنت بالمسيح .

ويكشف لنا ايضاً **هدف الدعوة القرآنية** : انه نصرة وانتصار « للنصرانية » على عدوها اليهودية ، ومن بعدها المسيحية (في سورة التوبة) .

فالقرآن ، بنصه القاطع ، تأييد « للنصرانية » على اليهودية ، للسيطرة على الجزيرة . وهذا هو البرهان القاطع على « نصرانية » الاسلام والقرآن .

حينئذ يجهر القرآن بالوحدة القائمة بين الدعوة القرآنية و « النصرانية » ، على المشركين واليهود في الجزيرة : « لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا (جماعة محمد) اليهود والذين أشركوا ! ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : « إنّا نصارى » ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ، ممّا عرفوا من الحق ؛ يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ... » (المائدة ٨٥ — ٨٨) .

٧ — وصية القرآن الاخيرة ، بإخضاع اليهود والمسيحيين للجزية

بعد فتح شمال الحجاز ، وفتح مكة ، تمت السيطرة للاسلام القرآني « النصراني » على الحجاز كله . حينئذ فكر النبي العربي ، مع أنصاره من العرب

و « النصارى » بفتح اليمن ومشارف الشام، للسيطرة على العرب المسيحيين، حتى « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » بحسب وصية محمد الأخيرة .

وبمناسبة غزوة تبوك نزلت « براءة » بقتل المشركين العرب حيث وجدتموهم (١ — ٢٩) وبإخضاع اليهود والمسيحيين للجزية : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » (براءة ٣٠) . ويبرّر ذلك بقول المسيحيين : « المسيح ابن الله » ، واليهود : « عزير ابن الله » ؛ وباتخاذهم جميعاً « احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله (٣١ — ٣٢) . وفوق ذلك فالفريقان «يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » (٣٣) . هــــذه صورة الصراع في ذروته بين الاسلام القرآني « النصراني » ، وبين اليهودية والمسيحية. وما السيادة في الجزيرة إلاّ لدين الحق على الدين كله: « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » (٣٤). ان « الهدى » في مثل هذا التعبير اصطلاح فيه كناية عن الموسوية ؛ و « دين الحق » كناية عن « النصرانية » ، فقد وصف المسيحيون السريان« **النصارى**» **بالحنفاء** لميلهم عن دين الآباء، فاتخذوا هم حنيفيتهم شعاراً لدين الحق ، فكانوا في نظرهم أهل « الهدى ودين الحق » لا اليهود ولا المسيحيون . وجاءت الدعوة القرآنية لتُظهر هذه « النصرانية » على الدين كله في الجزيرة العربية . هذا ما فعله محمد ؛ وهذا ما تركه وصية أخيرة لأمته .

***

—٣٤٥—

خاتمة الفصل

هل الدعوة القرآنية هي « النصرانية » باسم « الاسلام » ؟

فكل تلك القرائن والدلائل توضح بجلاء ان محمداً نشأ في بيئة «نصرانية» ، منذ هدايته طفلاً وهو في كفالة جده عبد المطلب (الضحى ٦—٧) ؛ وبزواجه من خديجة ، «سيدة نساء قريش» دخل في مخطط أئمة « النصارى » ، من بحيرى في بصرى ، « وصي عيسى على دينه » ، الى ورقة بن نوفل ، قسّ مكة ؛ وأخذ « يدرس » مع هؤلاء «المسلمين» الكتاب وقرآنه (القلم ٣٧—٣٨؛ الانعام ١٠٥) ويرتل معهم هذا « القرآن » في قيام الليل (المزمل ١—٤)؛ ويتنسك شهر رمضان في حراء مع استاذه « القس » مدة خمسة عشر عاماً ، حتى جاءته إشارة السماء بالقيام بالدعوة ، لفرض « النصرانية » على العرب (الشورى ١٣) . فقام بذلك « بالحكمة والموعظة الحسنة » في مكة (النحل ١٢٥) ، و « بالحديد الذي فيه بأس شديد ، ومنافع للناس » في المدينة (الحديد ٢٥) . وهدفه الذي يتضح شيئاً فشيئاً كان إظهار « النصرانية » ، « الهدى ودين الحق » ، على الدين كله ولو كره المشركون وسائر الكتابيين من يهود ومسيحيين (الفتح ٢٨؛ الصف ٩ التوبة — براءة ٣٤) .

وهكذا نرى أن « النصرانية » أنبتت محمداً ، النبي العربي ؛ ومحمد أظهر « النصرانية » على اليهودية والمسيحية ، بسيطرتها على الجزيرة العربية ، بالدعوة القرآنية ، باسم الاسلام (الحج ٧٨ ؛ آل عمران ١٨ — ١٩) ، فكان مثلهم «حنيفاً مسلماً» ، حنيفاً في نظر اليهود والمسيحيين ، ولكن مسلماً في نظر النصارى من بني اسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب .

فالقرآن دعوة « نصرانية » .

هذا ما نرى تفصيله في الوثائق القرآنية



الفصل الرابع

الوثائق القرآنية على وحدة الدعوة في القرآن و«النصرانية»

بحث اول : الوثائق المكية لانضمام محمد الى «النصارى»

بحث ثانٍ : الوثائق المكية لقيـــام «النصارى» مع محمد بالدعوة القرآنية

بحث ثالث : الوثائق المدنية «لتنصّر» محمد والدعوة القرآنية

بحث رابع : الوثائق المدنية لاسلام «النصارى» مع محمد

تمهيد

المبادئ القرآنية لفهم ما تشابه من القرآن

ان القرآن نفسه يصرّح بالمتشابه فيه : « هو الذي أنزل عليك الكتاب : منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب ، وأخر متشابهات » . ويعلن أن هذا المتشابه قد لا يقوى على فهمه إلا الراسخون في العلم : « وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم ، يقولون : آمنا به ، كلٌ (المحكم والمتشابه) من عند ربنا ؛ وما يذكّر إلا أولوا الالباب » (آل عمران ٧) . والواقع القرآني ، بالاجماع ، يدل على ان المتشابه فيه أكثر من المحكم .

تجاه هذا الواقع ، لا بدّ من استنباط بعض المبادىء منه ولا يصح تفسيره بدونها . وهذه **سبعة مبادىء** تساعد على تلاوة القرآن حقّ تلاوته ، وفهمه حقّ فهمه .

المبدأ الاول : الاسلام هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً

يصرّح القرآن عن الدين الذي يشرعه للعرب : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه . كبر على المشركين ما تدعوهم اليه . . . وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى ١٣ و ١٥) .

فالدين الذي يشرعه القرآن للعرب ، بواسطة محمد ، هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً . فإن ما كان عليه نوح وابراهيم من دين ، لم يبق له أثر إلا ما جاء في التوراة . فالدين هو دين موسى وعيسى بلا تفرقة ، لا دين سواه في القرآن ، وفي عرف القرآن .

والايمان المطلوب هو الايمان الذي جاء به أنبياء الكتاب كلهم، خصوصاً الايمان «بما أوتي موسى وعيسى، وما أُوتي النبيّون من ربهم: لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون» (البقرة ١٣٦؛ قابل آل عمران ٨٤). فالاسلام هو الايمان بما أُوتي موسى وعيسى معاً بلا تفرقة.

وهـــذا الاسلام هو اسلام أولي العلم المقسطين (آل عمران ١٨) اي النصارى من بني اسرائيل، ومَن «تنصّر» معهم من العرب (الصف ١٤): فلا هو «ملة ابراهيم» من فوق عيسى وموسى كما يحلو لبعضهم ان يقول؛ ولا هو ملة موسى وحدها كما يتوهم اليهود؛ ولا هو ملة عيسى وحدهـــا كما يقول المسيحيون. انه دين موسى وعيسى ديناً واحداً كما يقول «النصارى» والقرآن معهم. فلا يقول بإقامة التوراة والانجيل معاً (المائدة ٧١)، كما ينادي القرآن، إلا هؤلاء «النصارى»؛ اذ ان اليهود ينكرون المسيح والانجيل؛ والمسيحيون يقيمون شرع الانجيل من دون شريعة التوراة. فالاسلام هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً، وهو دين القرآن (الشورى ١٣) واسلام «النصارى» أولي العلم المقسطين (آل عمران ١٨).

●

المبدأ الثاني: «النصارى» في القرآن هم طائفة من بني اسرائيـــل آمنت بالمسيح

إن الشبهة الكبرى في القرآن والاسلام والتاريخ هي الترادف بين النصارى والمسيحيين؛ وبين النصرانية والمسيحية. بينما «النصرانية» و«النصارى» تعبير محدود في التاريخ وفي القرآن لا يصح إطلاقه عـــلى سواهم فنحرّف التاريخ والقرآن.

في التاريخ، قبل الاسلام، إن اسم «نصارى» و«نصرانية» لم يُطلق أبداً على المسيحيين والمسيحية، في جميع ديارهم، وفي كل تاريخهم. انما هو اسم مخصوص بطائفة من بني اسرائيل آمنت بالمسيح، لكنها افترقت منـــذ مؤتمر

الرسل بأورشليم عام ٤٩ م فكانت الشيعة النصرانية بالنسبة للسُنّة المسيحية، في العقيدة والشريعة .

وفي هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز، شاع بين العرب اطلاق اسم «نصارى» على اهل الانجيل جميعهم، لان النصارى من بني اسرائيل احتكروا حقيقة الانجيل وحقيقة عقيدته ودعوته بهم دون سواهم، كما نرى من لقب إمامهم الاخير بحيرى في بصرى : «وصيّ عيسى على دينه» كما تروي السيَر النبوية .

ومحمد نشأ في بيئة «نصرانية»، والقرآن دعوة «نصرانية» — هذا ما يبرهن عليه هذا الكتاب — لذلك كان لا بدّ ان يرد تعبير «**نصارى**» **في القرآن متشابها** : فيرد كناية تارة عن النصارى من بني اسرائيل، وتارة عن جماعة أخرى من أهل الانجيل كوفد نجران الى النبي العربي، وتارة عن اهل الانجيل على الاطلاق في موضع الاختصاص . وكلها شبهات تحرّف معنى القرآن المقصود .

مع ان القرآن نفسه صريح في صفة «**النصارى**» **على التخصيص** : «فآمنت طائفة من بني اسرائيل، وكفرت طائفة» بالمسيح، في دعوة الرسل الحواريين (الصف ١٤) . فالقرآن يقصر ويحصر اسم «نصارى» بطائفة من بني اسرائيل آمنت بالمسيح؛ فلا يقصد القرآن باسم «نصارى» على التخصيص المسيحيين من غير بني اسرائيل . وقد عرفهم علم الكلام والسيرة باسم «الفرقة الاسرائيلية» تجاه الفرق المسيحية التي وجدها الاسلام عنـــد الفتوحات : الملكانية واليعقوبية والنسطورية .

وهذه الطائفة النصرانية الاسرائيلية يسميها القرآن، أيضاً «أمة من قوم موسى» : «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) : فالهدى في أمة من قوم موسى، لا في أمة موسى كلها، ولا في أمة من غير قوم موسى . وهذا برهان قرآني على اعتقاد القرآن بهداية هـــذه «الامة من قوم موسى»، وعلى اعتماده لدعوتها، من دون سواها من الفرق المسيحية . وفي

الواقع نرى ان **موقف القرآن من المسيحية** على اختلاف فرقها هو موقف هذه الامة من قوم موسى ، او هذه الطائفة من بني اسرائيل : فعقيدته في المسيح (النساء ١٧٠) عقيدتها ؛ واسلامه على دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣) اسلامها (الحج ٧٨) ؛ ودعوته لاقامة التوراة والانجيل معاً (المائدة ٧١) دعوتها ؛ فهو مثلها « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية (البقرة ١٤٣) .

•

المبدأ الثالث : الاسلام قائم قبل القرآن ، وقد أُمر محمد بالانضمام الى أهله والدعوة له معهم

إن تعبير « الاسلام » متشابه أيضاً في القرآن: فهو يعني تارة التوحيد المطلق « أفغير دين الله يبغون وله أسلم مَن في السماوات والأرض طوعاً وكرْهاً، واليه يُرجعون » (آل عمران ٨٣) ؛ وتارة التوحيد المنزل الكتابي : « لا نفرق بين أحد من رسله ، ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٤) ؛ وتارة اسلام النصارى من بني اسرائيل ، أولي العلم المقسطين ، الذين يشهدون مع الله وملائكته : « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨) في توحيد الله ، وتوحيد كتابه ، وتوحيد رسله ، وتوحيد دينه .

وهذا الاسلام « النصراني » هو الاسلام القرآني ، بنص القرآن القاطع في (آل عمران ١٨) . وهو قائم قبل القرآن في مكة والحجاز : « هو سمّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا » القرآن (الحج ٧٨) . وقد أُمر محمد في رؤيا حراء أن ينضم الى اهله ويكون من المسلمين : « وقد أمرتُ أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن » (النمل ٩٠ — ٩١) : فالمسلمون قائمون بمكة قبله وهو ينضم اليهم؛ ونعرف من (آل عمران ١٨) انهم النصارى من بني اسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب بزعامة القس ورقة بن نوفل .

واسلام النصارى من بني اسرائيل ، أهل الكتاب المقسطين أو المحسنين، هو

الاسلام الذي يدعو اليه القرآن ، فيمنع الجدال فيه مع أهله إلا بالحسنى ، من دون أهل الكتاب الظالمين اي اليهود الذين يصح جدالهم بالسيف لظلمهم وكفرهم بالمسيح ثم بمحمد: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا، وأنزل اليكم ؛ والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦) . فالجدال بالحسنى مع أهل الكتاب هو الامر بالشهادة : ان الاله واحد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد بين القرآن والنصارى ، من دون اليهود .

فاسلام القرآن هو الاسلام «النصراني» على التخصيص. وأحكامه في العقيدة والشريعة والصوفية تصدر على هذا الاساس .

●

المبدأ الرابع : أهل التوحيد المنزل «امة واحدة» ، خيرها «الامة الوسط»

إن القرآن «أمة واحدة» في التوحيد المنزل مع أهل الكتاب ؛ فهو يعدد أنبياء الكتاب من ابراهيم الى موسى الى عيسى ، ويختم بقوله : «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين : ان هذه امتكم **امة واحدة** ، وأنا ربكم فاعبدون» (الانبياء ٩١ — ٩٢) .

لكن أهل الكتاب قطعوا أمرهم بينهم زبراً وأحزاباً : «ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون . وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ... وان امتكم هذه **امة واحدة** ، وأنا ربكم فاتقون . فقطعوا أمرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون: **فذرهم في غمرتهم الى حين**» (المؤمنون ٥٠ — ٥١) . فأمة التوحيد الكتابي «أمة واحدة» بموسى وعيسى معاً ، لكن اليهود والمسيحيين افترقوا زبراً وأحزاباً ، كل حزب بما لديهم فرحون ، فاستحقوا التهديد والامهال «في غمرتهم الى حين» . فإن الله قد هدى «من قوم موسى أمة» هي «طائفة من بني اسرائيل» آمنت بالمسيح وأمه آية للعالمين ،

تؤمن بموسى وعيسى معاً ديناً واحداً ، وتقيم أحكام التوراة والانجيل معاً ، هم النصارى من بني اسرائيل ومن « تنصّر» معهم من العرب قبل القرآن، فكانت أمة وسطاً بين اليهودية والمسيحية .

وجاء القرآن فبنى امته على هذه الامة الوسط في عقيدته وشريعته وصوفيته: «وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول شهيداً عليكم » (البقرة ١٤٣) ، فكانت امة محمد على مثال «النصارى » امة وسطاً بين اليهودية والمسيحية . لذلك شرع لها: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا : آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) . فمع الذين ظلموا من أهل الكتاب لعدم ايمانهم بالمسيح ثم بمحمد يصح الجدال بغير الحسنى اي بالسيف ؛ أمّا مع اهل الكتاب المحسنين المقسطين ، فلا يجوز جدال الا بالحسنى، وهذه الحسنى هي الشهادة معهم بأن ألاله واحـــد، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد . وهذه هي أمة القرآن وامة «النصارى». هذا هو القول الفصل ، في فصل الخطاب ، على وحدة الدعوة القرآنية والدعوة النصرانية ، في «امة واحدة» هي « الامة الوسط» بين اليهودية والمسيحية، فكانت «خير امة أخرجت للناس».

•

المبدأ الخامس : عداوة اليهود والمشركين ، ومودة « النصارى» للمسلمين

يصنّف القرآن موقف العرب والمستعربين مـــن الدعوة القرآنية هكذا : « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا : اليهود والذين اشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ؛ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وانهم لا يستكبرون ... وذلك جزاء المحسنين» (المائدة ٨٥ — ٨٨) .

ويصف القرآن موقفه من اليهود والنصارى بقوله: « يا ايها الذين آمنوا ، لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء : بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين» (المائدة ٥٤) .

فالموقف بين اعلان مودة النصارى ، وتحريم موالاة النصارى ، متعارض متناقض ، بحسب ظاهره ، اذا اخذنا حرف « النصارى » بمعنى واحد في الآيتين (المائدة ٥٤ و ٨٥) . ولا يصح ذلك في محكم التنزيل : فإما ان تكون كلمة « النصارى » مبدلة من كلمة « المشركين » فتنسجم الايتان لفظاً ومعنى وهذا هو الاظهر ؛ واما ان معنى النصارى في (الآية ٥٤) غير معناها في (الآية ٨٥) : ففي (الآية ٨٥) النصارى هم النصارى من بني اسرائيل « المسلمين » الذين انضم اليهم بأمر الرؤيا ؛ وفي (الآية ٥٤) يقصد المسيحيين ، لانها من ظروف جدال القرآن مع وفد نجـــران المسيحي . لكن ، لا اهل نجران ، ولا المسيحيون في الحجاز والجزيرة والوا المشركين على الاسلام ؛ وفي سورة المائدة لم نبلغ بعد الى ملابسات سورة (التوبة) في غـــزوة تبوك الى مشارف الشام حيث المسيحيون العرب.

هذا شاهد على المتشابه في تعبير القرآن . واذا رددناه الى محكم القرآن ، فهو يقصد بالنصارى اهل المودة الذين يعلنون اسلامهم (المائدة ٨٥ — ٨٨) كما يظهر ايضاً من صفتهم « المحسنين » (٨٨) اي النصارى من بني اسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب . اما النصارى الذين يمنع موالاتهم فهم المسيحيون . وهكذا نخرج من مشكل المتشابه المتواتر بمدح النصارى حيناً ، وذمهم حيناً ، الى التمييز بين النصارى من بني اسرائيل أهـــل المودة والامة الوسط ، وبين النصارى المسيحيين الذين يذرهم «في غفلتهم الى حين» مثل اليهود(المؤمنون ٥١) .

وهكذا فالقرآن مع النصارى مـــن بني اسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية ، في مكة وفي المدينة : فهم « المسلمون » (القلم ٣٥) الذين أمر ان يكون منهم (النمل ٩٠) منذ رؤيا غار حراء .

●

المبدأ السادس : الدعوة القرآنية انتصار وتأييد للدعوة « النصرانية »

١) **سر القرآن** نراه ، بمناسبة « الفتح القريب » في صلح الحديبية مع أهل مكة المشركين: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق : لتدخلنّ المسجد الحرام... فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً . هو الذي ارسل رسوله **بالهدى ودين الحق** ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً » (الفتح ٢٧ — ٢٨) ونعرف ان « الهدى » كناية عن التوراة ، و « دين الحق » كناية عن دين الانجيل ؛ والجمع بينهما ديناً واحداً هو « النصرانية » وهو الدعوة القرآنية ، كما ينص بتشريع دين موسى وعيسى ديناً واحداً للعرب (الشورى ١٣) . فالله هو الذي أرسل رسوله بالاسلام « النصراني » القرآني ليظهره على الدين كله ؛ وكفى بالله شهيداً في صلح الحديبية ، « الفتح القريب » (١٨ و ٢٧) : فقد «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه ، وكف ايدي الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين » (الفتح ٢٠). فالنصر في الغزو والفتح آية من الله للمسلمين ، في تأييد الاسلام «النصراني» القرآني ، ضدّ المشركين .

٢) **وسرّ القرآن** نجده في سورة (الصف) ، وهي نشيد الحمد على فتح شمال الحجاز ، في خيبر ووادي القرى وتيماء ، حيث تمت تصفية اليهود من الحجاز ، وهم كانوا **العدو الاول للمسلمين** يستغفلون المشركين للقضاء على الاسلام الطالع ، أولًا بتأليب احزاب مكة الذين فشلوا في غزوة الخندق ، ثم في تأليب اعراب غطفان حول خيبر ، الذين جمدهم زحف المسلمين على الشمال اليهودي ، حيث بعض المسيحيين من عرب مثل قضاعة وسليح ومستعربين في وادي القرى .

وفي نشيد الحمد ، يعلن انتصار الاسلام بقوله : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » (٤) . ويبرّر ذلك بانحراف اليهود عن حقيقة الموسوية (٥) وانحراف المسيحيين عن حقيقة الانجيل (٦) وكلا الفريقين « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون »

— ٣٥٥ —

(٨ و ٩). فانتصار الاسلام القرآني على اليهودية المتآمرة في شمال الحجاز هو انتصار للاسلام « النصراني » نفسه . وهذا النصر من الله بشرى بفتح قريب لمكة (١٣) .

ثم يكشف القرآن **عن سر دعوته** : « يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من انصاري الى الله؟ قال الحواريون: نحن انصار الله ! فآمنت طائفة **من** بني اسرائيل وكفرت طائفة؛ **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** » (الصف ١٤) . فانصار الله من جماعة محمد مثل انصار الله من الحواريين «النصارى» — نلاحظ ترجمة نصارى بانصار — والنصارى الذين يؤيدهم القرآن هم من بني اسرائيل . فكانت الدعوة القرآنية **نصرة وانتصاراً للطائفة** بني **اسرائيل التي آمنت بالمسيح** ، على « عدوها » من اليهودية في الجزيرة العربية . وعلى ضوء هذا التصريح يجب فهم القرآن كله : ان الدعوة القرآنية « تأييد » للدعوة « النصرانية » ؛ فالقرآن دعوة « نصرانية » .

٣) وسر القرآن نجده أخيراً في نشيد النصر الذي يردد **للمرة الثالثة** بعد غزوة تبوك الى مشارف الشام لتأديب المسيحيين العرب . فهو يدعو الى قتال اليهود والمسيحيين « حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (براءة ٣٠) لان اليهود يقولون : « عزير ابن الله » ؛ والمسيحيون : « المسيح ابن الله » (٣١) وقد « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم » (٣٢) . ويكرر ما قاله في سورة الصف: «يريدون ان يطفئوا[1] نور الله بافواههم، ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون : هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون» (التوبة ٣٣ — ٣٤). وهذا التكرار ثلاث مرات لشعار النصر على المشركين ، ثم على اليهود ، ثم على المسيحيين ، في جزيرة العرب ، **البرهان القاطع في سر الدعوة القرآنية وغايتها** .

---

(١) لاحظ اللغة الخفية في تنقيح القرآن : في الصف : « ليطفئوا » ، وفي التوبة : « ان يطفئوا » ؛ كذلك في الصف : « متم نوره » ، وفي التوبة « ان يتم نوره » .

ففي العهد المدني الاول عمل على كسر شوكة المشركين العرب في فشل غزوة الخندق، وفي الفتح القريب بصلح الحديبية. وتفـــرغ في العهد المدني الثاني لتصفية اليهودية، ثم المسيحية، من الحجاز والجزيرة. وذلك ليظهر الاسلام ونبيه على الدين كله (الفتح ٢٨؛ الصف ٩؛ التوبة ٣٤)، في تأييد «النصرانية» على «عدوهم» اليهودية (الصف ١٤) فالمسيحية (التوبة ٣٤).

فالدعوة القرآنية انتصار وتأييد للدعـــوة «النصرانية»: فالقرآن دعوة «نصرانية».

•

المبدأ السابع: ما بين التعميم والتخصيص في التعبير عن اهل الكتاب، في مصطلح القرآن.

في بيان العرب، من فنون المجاز المرسل استخدام العام والخاص بعضهما عن بعض، واستخدام الكل عن الجزء، والجزء عن الكل. وهذا ما يوقع الاشتباه في التعبير القرآني عن المترادفات الثلاثة: أهل الكتاب واهل الذكر واولي العلم، وهي **اصطلاحات ثلاثة لاسم واحد**: «وهنـــاك آيات كثيرة نزلت في صدد اهل الكتاب والاستشهاد بهم على اعتبار انهم اهل العلم والذكر والكتاب؛ وفي صدد موقفهم من الدعـــوة الاسلامية، ومجاداتهم ومناقشة عقائدهم وخلافاتهم[1]». لذلك فمن يفسر تعبير «اولي العلم» او «الراسخين في العلم» او «العلم» على الاطلاق، لغةً لا بحسب اصطلاحه القرآني يضل ضلالاً بعيداً في تفسيره. وهذا **الاصطلاح الثلاثي** في القرآن يفهم من القرائن اللفظية والمعنوية المتواترة، الخاصة والعامة.

المثل الصارخ في الاعلان على «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨): يشهد به، مع الله وملائكته، «أولو العلم قائماً بالقسط»، «وما اختلف الذين

---

(١) محمد عزة دروزة: عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص ٩٧.

أوتوا الكتاب إلا من بعد مـــا جاءهم العلم بغياً بينهم » (١٩) . نعرف ان « اولي العلم » مرادف لأهل الكتاب ، فهل هناك تناقض ، أم ان الترادف غير قائم ؟ لقد فسروا تعبير « اولي العلم » لغة ، لرفع التعارض ، وهذا لا يستقيم مع اصطلاح القرآن كله في الترادف المتواتر بين أهل الكتاب وأولي العلم . ونسوا القيد الموضوع لأولي العلم وهو « قائمـــاً بالقسط » اي أولي العلم المقسطين، وهم النصارى من بني اسرائيل،من دون اليهود أولي العلم الظالمين(العنكبوت ٤٦). لذلك « فالنصارى » هم الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » . أما « الذين أوتوا الكتاب » المخالفون فهم اليهود ، لأنهم هم « الذين يقتلون النبيين بغير حق » ، وهم « يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » اي يقتلون النصارى « أولي العلم قائماً بالقسط » لشهادتهم بالاسلام . فالقرائن تحدد معنى التعابير وتكشف عن المتشابه فيها. وعليه فالاسلام الذي يدعو اليه القرآن هو الاسلام « النصراني » الذي يذهب ضحيته بعض « النصارى » : فهـــو دعوة قائمة قبل القرآن ، وما ظهرت الدعوة القرآنية الا لتأييده « على عدوهم » من اليهود (الصف ١٤) .

وآية (الصف ١٤) مع آية(آل عمران ١٨) تفسر معنى آيتين مكيّتين ضلّ المفسرون في فهمها ، فحرّفوا صورة القرآن المكي . الأولى : « اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧)؛فهي لا «تحتوي استشهاداً بعلماء بني اسرائيل»[١] على الاطلاق، بل بعلماء بني اسرائيل النصارى لأنهم وحدهم يشهدون للاسلام حتى الاستشهاد مـــن دون اليهود (آل عمران ١٨–١٩) . والثانية: « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠)؛ فهي أيضاً لا « تحتوي صراحة شهادة واقعية من أحد بني اسرائيل على صحة الوحي القرآني ومطابقته لما بين أيديهم ، وخبر ايمانه به» ، انما هذا الشاهد من بني اسرائيل كان« نصرانياً »لان النصارى من بني اسرائيل وحدهم يشهدون للاسلام القرآني

---

(١) قابل عزة دروزة : عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص ١٠٣ .

مـــن دون اليهود الذين يكفرون بالمسيح الذي يشهد له القرآن ؛ ويكفرون بالاسلام القرآني نفسه (آل عمران ١٩) لأنه اسلام النصارى من بني اسرائيل .
وهكذا ليس في القرآن المكي من شهادة على اسلام بعض اليهود ، ولا مـــن استشهاد بهم ، وهم منذ مطلع الدعوة القرآنية الى آخرها « أول كافر به » .

وهذه القرائن تفسر لنا المعنى الخاص المقصود بالتعبير العام في قوله : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر ٩) اي أهل الكتـــاب والمشركون (قابل البقرة ١١٣ و ١١٩ ؛ يونس ٨٩ ؛ الجاثية ١٧) : فاستخدام الآية (الزمر ٩) لغة تحريف لمعنى القرآن . كذلك قوله : « انما يخشى الله مـــن عباده العلماء » (فاطر ٢٨) « فالعلماء » فيه تعبير اصطلاحي خاص ، لا لغوي مطلق ، يقصد أهل الكتاب بنوع عام (الزمر ٩) والنصارى من أهل الكتاب بنوع خاص ، لأنهم هم « عباد الرحمان ... الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (الفرقان ٦٣—٦٤) ، « خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً » (آل عمران ١٩٩). كذلك ايضاً « الراسخون في العلم » الذين يؤمنون بالمحكم والمتشابه في القرآن على السواء (آل عمران ٧) ليس تعبيراً لغويّاً ، انما هو اصطلاح عام يُقصد به الخاص ، وهو مرادف لأولي العلم المقسطين (آل عمران ١٧) اي النصارى من بني اسرائيل . إن مصطلح القرآن مفتاح لتفسيره السوي .

فعلى ضوء تلك المبادئ السبعة في فهم القرآن **نتدبّر الوثائق القرآنية** التي تشهد « بنصرانية » محمد والدعوة القرآنية ، واسلام النصارى من بني اسرائيل و « المتنصرين » معهم من العرب ، في العهد المكي ، فالعهد المدني .

٭ ٭ ٭

بحث اول

الوثائق المكية لانضمام محمد الى « النصارى »

هذه الوثائق القرآنية وما يليها تدل جملةً وتفصيلاً على «تنصّر» محمد، وعلى « نصرانية » الدعوة القرآنية . **والبرهان الاستقرائي لا يتم إلا باستقراء التفاصيل كلها** . لذلك لا يصح الحكم على صحة الاستدلالات والدلائل الا من شهادتها الشاملة الكاملة ؛ حينئذ نراها جامعة مانعة ، بأسلوب تفسير القرآن بالقرآن .

ونعرف جيداً التحذير الواجب في هذا الموضوع من **شبهتين: الأولى**، ليس ما سبقه فقد سبّبه[1]؛ الثانية ، ليست وحدة في العقيدة أو الشريعة أو الطريقة نسبة سببية. لكن في الواقع القرآني تقوم التبعية والوحدة على **الانتساب المعلن الصريح** بين الدعوة القرآنية و « النصرانية » .

الوثيقة الاولى : من سورة القلم (٦٨ / ٢)[2]

في السورة الأولى ، بحسب ترتيب النزول (العلق) جاء محمداً الأمر ، في آيات خمس، بقراءة الكتاب المنزل من قبله (قابل الشورى ٥٢) . وفي السورة الثانية (القلم) ، بعد مطلعها الذي تلا مباشرة سورة (العلق) تأتي هذه الآيات ربما من زمن متأخر نسبياً :

« أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما بالكم ، كيف تحكمون ٣٥–٣٦
أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟ إنّ لكم فيه لما تخيّرون !... ٣٧–٣٨
أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟» ٤٢

(١) باللاتينية يقولون : Post hoc, propter hoc

(٢) الرقم الاول يدل على رقم المصحف ، والثاني على رقم الترتيب في تاريخ النزول . ونشير أننا بحثنا بعض هذه الوثائق في الفصل السابق ، ونعيد النظر فيها هنا لاكمال اللوحة وتتميم الشهادة .

لم ينزل من القرآن العربي سوى آيات معدودات . وليس مـــع محمد من المؤمنين به من العرب سوى أهل بيته : فمن هم هؤلاء « **المسلمون** » الذين يستعلي بهم على المشركين؟ ليسوا جزماً جماعة محمد التي لم تتكون بعد؛انهم « المسلمون » الذين أمر بأن ينضم اليهم في رؤيا الغار: « وامرتُ ان أكون مـــن المسلمين » (النمل ٩٠)؛وسيتضح لنا أنهم النصارى من بني اسرائيل ومَن « تنصر » معهم من العرب قبل محمد .

ويستملي أيضاً على أهل مكة « **بالكتاب** » الذي يدرس فيه مـــع هؤلاء « المسلمين » النصارى . وهذه شهادة قرآنية على أن محمداً « درس » الكتاب مع أهله (الانعام ١٠٥) . وفي قوله : « أم عندهم الغيب فهم يكتبون » شهادة ثانية على انه يكتب « **الغيب** » من كتاب هؤلاء النصارى « المسلمين » ؛ قـــابل (العنكبوت ٤٦ و ٤٩) حيث القرآن « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم »؛ وقابل (الانعام ٢٠؛ البقرة ١٤٦) حيث «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه (محمد والقرآن) كما يعرفون أبناءهم » .

●

الوثيقة الثانية : من سورة المزمل (٧٣ / ٣)

بعد الآيات العشر من فاتحة (العلق) و (القلم) ، يستفتح القرآن السورة الثالثة بقوله :

« يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً، نصفه ، او انقص منه قليلا ١ — ٢
أو زد عليه ؛ ورتّل **القرآن** ترتيلا : إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلا » ٤ — ٥

لدينا هنا وصف لقيام الليل للصلاة وترتيل كتـــاب الله فيه ؛ ولدينا اسم الكتاب الذي يدعى محمد الى ترتيله في هذه الصلاة الليلية الطويلة. وهما قرينتان لمعرفة هذا « القرآن » .

ان قيام الليل بطوله او بقسم كبير منه ليست عادة عربية ، ولا يهودية ؛

انها عادة نصرانية رهبانية . تلك هي حالة الحياة التي عاشها محمد مع استاذه القس ورقة. وقد مارسها معه بعض الصحابة في اول عهدهم، حتى صارت « نافلة » للنبي وحده . إنها عادة نصرانية كما يؤيد القرآن المدني ذلك بالنص القاطع: « أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ، وهم يسجدون » (آل عمران ١١٣) .

ولم ينزل من القرآن العربي حتى الآن سوى آيات معدودات: عشر من قبل في فاتحة (العلق) و (القلم) ، وهذه الخمس التي تذكر « القرآن » عَلَماً مشهوراً معروفاً ؛ فما هو؟ لا يصح على الاطلاق ان يكون القرآن العربي الذي بدأ محمد يتلوه على العرب سرّاً في دار الارقم مدى ثلاث سنوات تقريباً ، كما تذكر السيرة . فلا شك أنه « القرآن » الذي يتلوه اهل الكتاب الذين يصلي معهم في قيام الليل ؛ فقرآنه العربي من عشرين آية تقريباً حتى الآن لا يستغرق مع الصلاة التلاوة «الليل إلا قليلاً ، نصفه، او أنقص منه قليلاً » .

« فالقرآن » المعروف المشهور على العلمية هو **قرآن الكتاب**، كما أشرنا سابقاً الى عادة المسيحيين في بـــدء تلاوة كتاب الله حتى اليوم بقولهم « قرآن[1] من الانجيل بحسب فلان » . وهذا الاعلان في مطلع التلاوة حمل القرآن العربي على تسمية قرآن الكتاب : « القرآن » . ونرى ان القرآن العربي **خبر متواصل** عن هذا « القرآن » ، لا نص « القرآن » نفسه .

وهكذا لدينا منذ مطلع الدعوة القرآنية الدليل الساطع على ان « القرآن » المذكور فيها ليس قرآن محمد ، انما هو قرآن « النصارى » الذين يصلي معهم . فمتى ذُكر « الكتاب » معرفاً ، و « القرآن » مطلقاً ، فهو يقصد كتاب النصارى ، وقرآن النصارى منه ، لان قرآن محمد لم ينزل بعد ، وأمامه ثلاث وعشرون سنة . واذا جمعنا وصف صلاة الليل بطولها (المزمل ١ — ٥) الى اسم المصلين ،

---

(١) يقولون : « فصل شريف » : اما التعبير اليوناني τὸ ἀνάγνοσμα فيعني قراءة ، قرآناً ؛ وبالسريانية « قريانا » التي دخلت العربية ، فصارت : قرآناً ، القرآن .

« المسلمين » (القلم ٣٥) ، عرفنا ان « المسلمين » في القرآن العربي ، قبل تكوين جماعة محمد، هم هؤلاء النصارى، وان « الكتاب » كتابهم، و « القرآن » قرآنهم.

هذا هو البرهان القرآني الملموس ، بنص القرآن العربي القاطع على « تنصّر» محمد ، و « نصرانية » الدعوة القرآنية .

●

الوثيقة الثالثة : من سورة المدّثر (٧٤ / ٤)

يستفتح السورة بدعوة محمد الى مباشرة الدعوة القرآنية : « يا أيها المدّثر ، قمْ فأنذر » (١ — ٢) . هذا هو القول «الثقيل» الذي كان ينتظره (المزمل ٥)، متجلبباً بجلباب المنتظرين وحي السماء، كما كان يفعل الانبياء والاولياء والكهان.

وبعد مدة ، في خلاف على عدد ملائكة سقر ، نزل : « وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » (٣١) .

في هذه الآية نرى ثلاث فئات : « الذين كفروا » اي المشركين، وربما اليهود معهم ؛ و « الذين أوتوا الكتاب » ؛ و « الذين آمنوا » بمحمد من العرب . وفي قوله « ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » ، يجعل صلة وحـــدة بين الفريقين : « مضمون الآية يُلهم تقرير وجود توافق بين ما جاء في القرآن ، وما عند اهل الكتاب. وهذا من استهداف استيقانهم بصحة الرسالة النبوية والتنزيل القرآني ، وتقرير عدم وجود محل لارتيابهم فيه[1] » . فالآية دليل على تضامن بعض اهل الكتاب مع محمد في دعوته ، وعلى موالاة محمد لهم فيها ؛ وهؤلاء هم « المسلمون » من أهل الكتاب الذين ذكرهم (القلم ٣٥) اي النصارى من بني اسرائيل ، ومَن « تنصّر » معهم من العرب . فلا يقوم محمد وحـــده بالدعوة القرآنية ، بل يقومون هم بها معه .

●

---

(١) دروزة : سيرة الرسول ١ : ٢٩٧ .

الوثيقة الرابعة : من سورة الاعلى (٨٧ / ٨)

« سبّح اسم ربـك الاعلى الذي خلـق فسوّى ١ — ٢
والذي قـدَّر فهدى . . . فذكّر إن نفعت الذكرى... ٣ و ٩
إن هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » ١٨—١٩

لدينا هنا وثيقة صريحة على مصادر القرآن العربي ، وعلى معنى نبوءة محمد ، وعلى موضوع دعوته الاولى . فهذه الوثيقة ، « فيها بالتالي تقرير **لوحدة الهدف والدعوة** بين القرآن والكتب السماوية الاولى . . . وفيها تقرير تصديق القرآن لما تقدمه من كتب سماوية ، مما ظلّ القرآن يردّده في مختلف ادوار التنزيل[1] » .

التصريح الاول في موضوع الدعوة : ان للرب الاعلى الخالق ؛ فهي تقوم باسم « الله أكبر » . **التصريح الثاني** : « الذي قدّر فهدى . . . فذكر إن نفعت الذكرى » (٣ و ٩) ، يدل على ان بعثة محمد كانت هداية له أولاً قبـل غيره للايمان بالكتاب والدعوة له (الشورى ٥٢) فهي ليست وحياً جديداً ؛ بل تذكير بالوحي القديم المنزل في الكتاب . وهذا هو **التصريح الثالث** : « إن هذا لفي الصحف الاولى » . فمصدر الدعوة القرآنية هو « الصحف الاولى » بنوع عام ، و « صحف ابراهيم وموسى » بنوع خاص . وهذا التعميم لايلاف اهل التوحيد جميعاً بمكة والحجاز ، هو تعميم بارع يقصد بـه التخصيص « بالمسلمين » الذين ذكرهم (القلم ٣٥) أي النصارى من بني اسرائيل .

●

الوثيقة الخامسة : من سورة النجم (٥٣ / ٢٣)

« والنجم اذا هـوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى ١ — ٢
وما ينطق عن الهـوى إنْ هو إلا وحيٌ يوحى ... ٣ — ٤

---

(١) دروزة : سيرة الرسول ١ : ٢٩٨ .

«أم لم يُنبّأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفّى ؟ .. ٣٦ — ٣٧
فبأي آلاء ربـــك تتمارى ؟ هذا نذير من النذر الأولى!» ٥٥ — ٥٦

في هذه السورة الوصف الاول لرؤيا حراء . والشهـــادة فيه ان موضوع الرؤيا لم يكن كتاباً منزلاً ، بل «إن هو إلا وحي يوحى» (٤) . ونعرف من سورة (الشورى ٥١ — ٥٣) ان هذا الوحي كان هداية الى الايمان بالكتاب ، والدعوة له بين العرب .

ثم نرى ردّ السورة على مقاوم للدعوة . والرد عليه بأن الدعوة القرآنية «**نبأ بما في صحف موسى وابراهيم**» . فهو يصفها بأنها «**نبأ**» ، **لا نبوّة** ؛ وموضوع النبإ تبليغ «ما في صحف موسى وابراهيم» ، فليست دعوة جديدة .

هذه هي الوثيقة الثانية الصريحة في مصادر القرآن العربي : انهـــا «صحف ابراهيم وموسى» ؛ وهذا كناية بارعة عن الكتاب والتوراة ، لان ما يُعرف عن ابراهيم هو ما ورد في التوراة . وضم «ابراهيم وموسى» براعة أخرى لايلاف العرب واليهود للدعوة القرآنية في مطلعها .

وصفة محمد أنه «**نذير**» ، فلا يأخذ حتى الآن صفة نبي او رسول . وهو نذير «**من النذر الاولى**» وهذا تعبير مرادف «**للصحف الاولى**» . بهذين التصريحين يعلن عن مصدر القرآن العربي وعن دعوته : إنها دعوة كتابيـــة قديمة ، لا دعوة جديدة .

•

الوثيقة السادسة : من سورة الاعراف (٧ / ٣٩)

«الاعراف» سورة متبعّضة ، تجمع آيات من أزمنة مختلفـــة . وحديث «**النبي الامي**» نظنه مقحماً من المدينة على قصة موسى من مكة ، لذكره الانصار بقوله «نصروه» (١٥٦) . واقحامه في سورة مكية تبيـــان لهدف الدعوة القرآنية منذ مكة . يقول (١٥٧ — ١٥٨) :

« قلْ : يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً . . .
فآمنوا بالله ورسوله ، النـــبي الأمي
الذي يؤمن بالله « وكلمته » لعلكم تهتدون
ومن قوم موسى أمـــة يهدون بالحق ، وبـــه يعدلون » .

في هاتين الآيتين ، شهادات ثلاث عـــلى انضمام محمد الى « النصارى » والدعوة بدعوتهم .

ان « النبي الأمي » تعبير اصطلاحي ، لا لغوي ، وهو نسبة الى « الأميين » الذين ليس لهم كتاب منزل (الجمعة ٢) . وتفسير صفة « الأمي » بحسب اللغة افتراء على القرآن وعلى نبيّه ؛ وتحريف لمعاني القرآن . وهنا يصف محمداً بأنه نبي ورسول ، لكن حديث النبي الأمي من المدينة .

وحديث « النبي الامي » يأتي ردًّا على **اليهود** الذين يجعلون الفضل لهم في الهداية ، حتى جعلوها من اسمهم وفعلهم : « **هدْنا اليـــك** » (١٥٥) ؛ ليست « الحسنة » في الهداية لهم ، بل للمتقين من العرب (١٥٥) ، ثم « للذين يتّبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » (١٥٦). ان الجمـــع بين « التوراة والانجيل » دليل على هوية التابعين والمتبوع معاً : فليسوا اليهود الذين ينكرون الانجيل ، وهو هنا يردّ عليهم ؛ وليسوا المسيحيين الذين لا يقيمون إلا شريعة الانجيل ؛ انهم اذن النصارى من بني اسرائيـــل . والشهادة مزدوجة : فهو يصرّح بأن هؤلاء النصارى يتبعون محمداً ؛ **وان محمداً يقوم بدعوة واحدة معهم** في أمـــة واحدة ، مع « الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه » (١٥٦) من العرب في مكة والمدينة . فالحسنة في الهدى للمتقين من العرب و « للنصارى » .

الشهادة الثانية في اعلان ايمان النبي الامي « بالله وكلمته » . للتعبير قراءتان : « كلماته » ، وليس فيها نكتة ؛ او « كلمته » وهي الصحيحة لانها تنسجم مع النص كله ، وتفيد ميزة ايمان محمد الذي يعلنه للناس جميعاً (١٥٧) في سياق

ردّه على اليهود . فالقرآن ايمان بالله والمسيح ، كلمة الله؛ فهو دعوة «نصرانية».

يتضح ذلك من الشهادة الثالثة : «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (١٥٨) . هنا يصرّح بهوية مَن هم أهل «التوراة والانجيل» الذين يتبعهم ويتبعونه : «أمة من قوم موسى» . فهو يستثني هذه الامة المهدية الهادية من اليهود ، فليسوا على اليهودية ؛ انما هم «أمة من قوم موسى يهدون بالحق» لايمانهم مثـــل محمد بالله وكلمته ؛ «وبه يعدلون» لايمانهم بموسى وعيسى معاً ، وإقامتهم شرع التوراة والانجيل معاً : انهم النصارى من بني اسرائيل ، ومن «تنصّر» معهم من «المتقين» العرب . فهم وحدهم ، من دون اليهود ولا المسيحيين ، «يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل» .

وهذه **شهادة ضخمة** على وجود النصارى من بني اسرائيل في مكة والمدينة، وعلى **قيامهم بالدعوة القرآنية مع محمد** : «يهدون بالحق وبـــه يعدلون» بين اليهودية والمسيحية . فمحمد وجماعته «أمة واحدة» معهم ، و «أمة وسط» كذلك . والنتيجة الحـــاسمة لهذه الشهادة الكبرى ان الدعوة القرآنية دعوة «نصرانية» .

●

الوثيقة السابعة : من سورة فاطر (٤٠/٤٢)

«إنا أرسلنـــاك بالحق بشيراً ونذيراً
— وإنْ من أمة إلا خلا فيهـــا نذير ٢٤
وإنْ يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم
جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ٢٥
... كذلك إنمـــا يخشى الله من عباده
العلمـــاء ! إن الله عزيز غفور ٢٨
ان الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة
وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ٢٩

والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق
مصدّقاً لما بين يديه : ان الله بعباده لخبير بصير ٣١

ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا :
فمنهم ظـــالم لنفسه ؛ ومنهم مقتصد ؛
ومنهم سابق بالخـــيرات ، بإذن الله ؛
ذلك هـــو الفضل الكبير » ٣٢

لا يزال القرآن يصف محمداً بأنه « بشير ونذير » ، كما خلا في كل أمة نذير (٢٤) ؛ وهذا التعليل القرآني ذو مغزى بعيد .

ثم يصف المكذبين بالدعوة القرآنية : مشركي مكة ، واليهود الذين كذّبوا « بالكتاب المنير » الذي يميزه عن «البينات والزبر» اي الانجيل، وهم يكذّبون بالقرآن . ويستثني من أهل الكتاب المكذبين به ، « **العلماء**» الذين يخشون الله. وكم يخطىء من يفسّر تعبير « العلماء » بحسب اللغة ، وهو اصطـــلاح مرادف «لأولي العلم » اي لاهل الكتاب . وبما أنه يستثني هؤلاء « العلماء » من اهل الكتاب المكذبين ، فهو كناية عن « العلماء » المقسطين اي النصارى من بني اسرائيل ؛ وهو كقوله : « أوَلم يكن لهم آية ان يعلمه علمـــاء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) ، الذين يصفهم بقوله : « قل : آمنو به ، او لا تؤمنوا به ؛ ان الذين أوتوا العلم من قبله ، اذا يتلى عليهم ، يخرون للاذقان سجداً ... يبكون ويزيدهم خشوعاً » (الاسراء ١٠٩ — ١١٠) ؛ فليسوا اليهود ، ولا المسيحيين ، انما هم أهل المودة « الذين قالوا : إنا نصارى ... واذا سمعوا ما أُنزل الى الرسول ترى عينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق ؛ يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٥ — ٨٦) . **ان « العلماء » في اصطـــلاح القرآن هم « النصارى »** ، «أولوا العلم » الذين يشيد بهم على الدوام : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

وهؤلاء « العلماء» النصارى يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد ، « يتلون

كتاب الله، وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية [1] » (٢٩) . فهم ينفقون في سبيل المحتاجين من المؤمنين، وينفقون في سبيل الدعوة القرآنية : فهم يقومون مع محمد بدعوة واحدة ، ويتحملون اعباءها المالية ، « يرجون تجارة لن تبور » . وهذا شاهد على اسلامهم مع محمد ، وعلى « نصرانية » محمد والدعوة القرآنية معهم .

وكما ميّز « العلماء » النصارى من أهل الكتاب ، بتلك الحفارة البالغة، يعود فيميزهم بالسباق بالخيرات. فهو يقسم ورثة الكتاب — ولا يقصد بقوله: «أورثنا الكتاب » اي القرآن (الجلالان) ، لانه لا يصف فريقاً من أهل القرآن في صحبته بأنه « ظالم لنفسه » ، بل التعبير خاص باليهود في اصطلاحه — يقسمهم الى « ظالم لنفسه » اي اليهود ؛ « ومنهم مقتصد » في ايمانه بالدعوة القرآنية ، وهم المسيحيون الذين يقبلون بعضاً ، وينكرون بعضاً ؛ « ومنهم سابق بالخيرات » وهم « النصارى » ، « يضمون الى العلم التعليم والارشاد الى العمل » (الجلالان)، « ذلك هو الفضل الكبير » للنصارى على الدعوة القرآنية (٣٢) ؛ وجزاؤهم « جنات عدن يدخلونها ، يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير » (٣٣) .

فإن « العلماء » النصارى يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد وينفقون في سبيلها ؛ فهي دعوة « نصرانية » ، تدل على « تنصر » محمد .

•

---

(١) السيوطي : « اسباب نزول الآية ٢٩ : أخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس ان حصين بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزلت فيه » . ان صح ذلك فالآية دليل على انه كان في بيت محمد من ابناء عمومته بني عبد المطلب « نصارى » يوآزرون محمداً في الدعوة .

الوثيقة الثامنة : من سورة الفرقان (٢٥ — ٤٣)

« وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً ٦٣
والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما ٦٤
والذين اذا ذُكروا بآيات ربهم
لم يخرّوا عليها صمّاً وعميانا ٧٣
والذين يقولون : ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا
قرة أعين ! واجعلنا للمتقين إماما » ٧٤

جهل المفسرين ، أو تجاهلهم ، لمصطلح القرآن يحرف معنى تعابيره ويقلب شهادته .

فمن هم «**عباد الرحمان**» ؟ ليس هذا تعبيراً لغوياً ، انما هو اصطلاح يظهر معناه من أوصافهم الثلاث عشرة التي تعرّف بهم : منها أنهم « يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (٦٤) ؛ وهو كقوله : « ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران ١١٣) ، حيث يميّز هذه الامة عن المسلمين ، وعن اليهود . وقيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله عادة نصرانية ، لا يهودية ولا عربية. فإذا جُمعت آيات (الفرقان ٦٤ ، والاسراء ١٠٩، ١١٠ ، وآل عمران ١١٠ — ١١٥) تجمّعت لدينا صورة « عباد الرحمان » كاملة ، فأيقنا انهم « النصارى » الذين يقومون مع محمد بالدعوة القرآنية و « لم يخروا عليها صماً وعمياناً» مثل المشركين واليهود .

فهؤلاء « النصارى » ، « عباد الرحمان » ، يطلبون الى الله : « اجعلنا للمتقين إماماً (٧٤) . وتعبير « المتقين » اصطلاح كتابي انجيلي عبر مع « النصارى » الى القرآن ، وهو يعني المؤمنين من الاميين العرب بالدعوة القرآنية. ومتى عرفنا وحدة النصارى، أولي العلم ، والذين آمنوا ، حيث « يرفع الله الذين آمنوا منكم،

والذين أوتوا العلم ، درجات » (المجادلة ١١) أيقنا بأن « **النصارى** » **إمام المتقين من العرب المسلمين** : فالقرآن دعـــوة « نصرانية » بنص القرآن القاطع في هذه الشهادة الصريحة . وفهمنا معنى الامر لمحمد في رؤيا حراء : وأمرت ان اكون من المسلمين » النصارى (النمـــل ٩٠) بأن **محمد كان « نصرانياً »** في سيرته وفي دعوته .

والقرآن يدعو الى عبادة « **الرحمان** » بدعوة هؤلاء « النصارى » : « واذا قيل لهم : اسجدوا للرحمان ! — قالوا : وما الرحمان » ؟ — الرحمان هو الله الذي يعبده « عباد الرحمان » ، أكـــرم خلق الله عليه تعالى ، كما يتضح من أوصافهم الثلاثة عشر التي يشيد بها ، ويجعلهم بها « للمتقين إماماً » . فالدعوة الى التوحيد الكتابي الانجيلي في القرآن ، باسم « الرحمان الرحيم » هي دعوة « نصرانية » — بالرغم من جذورها التلمودية — يتعاون فيها جماعة محمد و « النصارى » متكافلين متضامنين ، لفرضها على مكة والحجاز .

●

الوثيقة التاسعة : من سورة مريم (١٩ / ٤٤)

« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين
ومن ذرية آدم ، وممّن حملنـــا مع نوح
ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا
اذا تتلى عليهم آيات الرحمان خرّوا سجّداً وبكياً ٥٨
فخلف من بعدهم خلف أضـــاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيّاً ! ٥٩
إلا مَن تاب وآمن وعمـــل صالحاً
فأولئك يدخلون الجنة ، ولا يظلمون شيئاً ٦٠

جنات عدن التي وعد الرحمان بهـــا
بالغيب، إنه كان وعـــده مأتياً... ٦١
تلك الجنـــة التي نورث من عبادنا، مَن كان تقياً ٦٣

سورة مريم دستور ايمان «المسلمين» مـــن العرب الذين حملوها معهم في هجرتهم الى الحبشة يستجيرون بها عند النجاشي المسيحي من أذى المشركين. فهي اعلان صريح بإيمان القرآن «النصراني».

وهي تقدم ذكر انبياء النصارى: يحيى (١ – ١٤) ومريم التي كان لها كرامة فائقة عند الحبشة حتى اليوم (١٥ – ٢٠)، وعيسى ابنهـــا (٣٠ – ٣٣)، وابراهيم (٤١ – ٥٠) وموسى (٥١ – ٥٣)؛ على ذكر غيرهم: اسماعيل (٥٤ – ٥٥) وادريس (٥٦ – ٥٧). فهي تجمع ذكر موسى وعيسى، مع الاشهار بتفضيل عيسى، «آية للناس، ورحمة منا»، والسلام عليه «يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً». وهي تجمع «من ذرية ابراهيم واسرائيل، وممن هدينا واجتبينا (مـــن العرب)، اذا تتلى عليهم ايات الرحمان خرّوا سجداً وبكياً»: وهذا اشارة الى وحدة النصارى من بني اسرائيل والعرب المؤمنين بالدعوة القرانية (٥٨) مع التنديد باليهود والمشركين، «الخلف» لاسرائيل واسماعيل الذين «أضاعـــوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غياً» (٥٩).

وهولاء المؤمنون من بني اسرائيل وبني اسماعيل ايماناً واحداً، ينادون بالدعوة «للرحمان» (٥٨) على مثال «عباد الرحمان» (٦١). ودعوتهم من «الغيب» (٦١)، فهم «عندهم الغيب فهم يكتبون» منه (القلم ٤٢) «ايات الرحمان» ليتلوها على العرب (٥٨) ليؤمنوا، فينالوا «الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً» من العرب (٦٣): وحدة في الامة، ووحدة في الدعوة، ووحدة في الكتاب، «الغيب»، بين جماعـــة من بني اسرائيل وجماعة من بني

اسماعيل ، اي النصارى من بني اسرائيل وجماعة محمد من بني اسماعيل . انها الوحدة القائمة في الامة والدعوة القرانية « النصرانية » .

هذا دستور ايمانهم الى الحبشة . وعند جمع القران ، لئلا يعلق بالاذهان ، ان الدعوة في سورة مريم اعلان ايمان بالمسيحية ، أقحموا عليها من المدينة — كما يشهد تغيير الروي — أولاً الاعلان بأن المسيح ليس « ولد الله ، بل عبداً له » (٣٤ — ٤٠) ؛ ثم الحملة على الذين « قالوا : اتخذ الرحمان ولداً » (٧٥ — ٩٩). وهذا تمييز صريح **بأن الدعوة القرآنية « نصرانية » ، لا مسيحية** ، في تكفير المشركين واليهود .

فجماعة محمد من بني اسماعيل ، وجماعة « النصارى » من بني اسرائيل **فريق واحد في الامة والدعوة والكتاب** ، خير من فريق المشركين واليهود : « واذا تتلى عليهم اياتنا بيّنات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خيرٌ مقاماً ، واحسن ندياً (نادياً) ! وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً » (٤٣ — ٧٤) ، « أحسن متاعاً ومالًا ، وأحسن منظراً » (الجلالان) .

« فنصرانية » القران ، و « نصرانية » محمد قائمة صريحة ؛ يدل عليها ايضاً استجارة اهل القران بالنجاشي .

•

الوثيقة العاشرة : من سورة طه (٢٠ / ٤٥)

« وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد
لعلهم يتّقون او يُحدث لهم ذكراً . . . ١١٣

واصبرْ على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
ومن آناء الليل فسبّح واطراف النهار لعلك ترضى ... ١٣٠

وقالوا : لولا يأتينا بآية من ربه ؟
— أوَلَم تأتهم بيّنة ما الصحف الاولى ! . . . ١٣٣

قـــلْ : كل متربص ! فتربصوا ، فستعلمون
مَن أصحاب الصراط السوي ، ومَن اهتدى » ١٣٥

في هذه السورة التصريح بأن القرآن العربي هـــو تعريب قرآن الكتاب . يقول : « أنزلناه قرآناً عربياً » (١١٣) ؛ ويفسرها بقوله : « أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى » (١٣٣) : **فالقرآن بيان عربي لما في الكتاب** ؛ وهذا برهان على صحة دعوته، فصحة دعوته تقوم على مطابقتها للكتاب الامام. فهناك وحدة في الكتاب ، ووحدة في الدعـــوة . « وقد تضمنت الآية تقرير أن التساوق والتوافق بين القرآن والكتب السماوية الاولى حجة قائمة وكافية على صحة الرسالة المحمدية والتنزيل القرآني؛ الى **تقرير الوحدة بين القرآن وهذه الكتب** ، بأسلوب آخر . وفي الآية دلالة على أن **العرب كانوا ملمين بما تناولته واحتوته الكتب السماوية الاولى** ، كما كانوا ينظرون الى أهلها **نظر الاعتماد والثقة**[1] » . فنحن بعيدون عن صورة الوثنية والشرك التي يصوّرونها زوراً وبهتاناً لاهل مكة والحجاز ، بالاضافة الى يمن الجزيرة وشمالها .

وبما أن الوحدة المذكورة بين الكتابين ، القرآن الأصلي والقرآن المعرّب (الاحقاف ١٠) ، ليست مع اليهود ، وسنعلم أنها ليست مع المسيحيين، فهي مع النصارى من بني اسرائيل . يؤيّد ذلك حياة محمد كحيـــاة رهبان النصارى : فالتسبيح بحمد الرب قبل طلوع الشمس وقبل غروبهـــا ، وآناء الليل وأطراف النهار ، هي صلاة النصارى ورهبانهم ؛ فلم يكن العرب يعرفونها، بل « أضاعوا الصلاة » (مريم ٥٩) ، ولم يكن اليهود يمارسون الصلاة إلاّ « بكرة وعشيّاً » فقط ، وزاد رهبانهم الاسينيون في قمران « الصلاة الوسطى» عند الظهر ؛ وكان رهبان المسيحيين يقسمون الصلوات الى سبع ، سوى القيام في منتصف الليل . **فصلاة محمد هي صلاة « النصارى »** ، مثل قسّهم ورقة في مكـــة : أفلا يكون « نصرانياً » ؟ ألا تكون دعوته « نصرانية » ؟

---

(١) دروزة : سيرة الرسول ١ : ٣٠٠ .

وتعطينا السورة أيضاً صورة المواقف المتقابلة في مكة : «كل متربّص» ! فمن جهة المتربصون بالدعوة : المشركون واليهود — ولا نقول المسيحيين بمكة ، كما يظهر من الهجرة الى الحبشة — ومن جهة «أصحاب الصراط السوي ، ومَن اهتدى» (١٣٥) . نلاحظ دقة التعبير بين «أصحاب الصراط السوي» وبين «من اهتدى» اليه من العرب : فإن «أصحاب الصراط السوي» ليسوا في الأصل جماعة محمد الذين ينضمون اليهم ؛ بل «المسلمين» الذين أمر محمد نفسه بأن ينضم اليهم (النمل ٩٠) اي النصارى من بني اسرائيل ومن «تنصر» معهم من العرب ، قبل محمد وجماعته . فمحمد وجماعته «ممّن اهتدى» الى «النصرانية» وأخذ يدعو بدعوتها في الدعوة القرآنية .

●

الوثيقة الحادية عشرة : من سورة الشعراء (٢٦/٤٧)

«طسم . تلك آيات الكتاب المبين . . . . ١ — ٢
وما يأتيهم ذكر من الرحمان محدث، إلا كانوا عنه معرضين ٥
إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم... ٨ — ٩
وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين ١٩٢ — ١٩٣
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ١٩٤ — ١٩٥
وانه لفي زبر الاولين :
أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ١٩٦ — ١٩٧

في هذا الفصل شهادة أولى على انتساب القرآن الى الكتاب الإمام، وشهادة ثانية على انتساب محمد الى النصارى من بني اسرائيل .

إن «علماء بني اسرائيل» الذين ينتسب محمد اليهم ليسوا يهوداً ، لأنهم كانوا «أول كافر به» . يؤيد ذلك اطلاق التعبير فيه ، فكل بني اسرائيل يعلمونه ؛ وهذا لا ينطبق على اليهود . واطلاق التعبير والقرائن القرآنية كلها تعني انهم

« من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) ، اي الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، وجاء القرآن تأييداً لها على اليهود ، الطائفة التي كفرت به (الصف ١٤) . **فهم النصارى من بني اسرائيل** . هذه وحدة الأمة.

وعلم « النصارى » بالقرآن شهادة لهم وآية على « أنه تنزيل رب العالمين » لأنه «في زبر الأولين» :فشهادتهم تنصب على المطابقة بين القرآن العربي والكتاب؛ وعلى **مصدر القرآن العربي** بأنه في « زبر الاولين »اي« كتبهم كالتوراة والانجيل» (الجلالان). وعلمهم به يقوم على مصدرية أبوية : «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (الاعراف ٦٢؛ البقرة ١٤٦)، بل « هو ايات بينات في صدور الذين أتوا العلم » (العنكبوت ٤٨) ، فهي معرفة مطلقة ، برهان المصدر. فليس في القرآن العربي من تنزيل جديد لأنه « في زبر الأولين » . وصفة التنزيل في القران العربي تأتيه من أصله ، « زبر الأولين » لأنه هو تعريب لهـــا ، « بلسان عربي مبين » ، فقد « أنزلناه قرآناً عربيّاً » (طه ١١٣) ؛ فالقران العربي تعريب القران الأصيل ، لذلك هو منزل مثله ، وليس فيه من جديد سوى اللسان العربي ، بحسب قوله أيضاً : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدّق لسانـــاً عربيّاً » (الاحقاف ١٢) . ولو لم يكن كذلك فأنى لعلماء بني اسرائيل النصارى ان يعلموه ؟ هل في وسعهم ان يطلعوا على سر التنزيل وطريقته ؟ !

وهذا التصريح : « وانه لتنزيل رب العالمين ... وانـــه لفي زبر الاولين » ، يكشف لنا معنى قوله : « وإنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون » (الواقعة ٧٧ ٧٨) ، وقوله ، « بل هو قران مجيد ، في لوح محفوظ » (البروج ٢١-٢٢) : فلا يشير الى كتاب مكنون في السماء ، ولا الى لوح محفوظ في العلاء لدى الله ، بل الى اللوح المحفوظ ، والكتاب المكنون الذي فيه «زبر الأولين» ؛ والآية ان علماء بني اسرائيل يعلمون ذلك . هذه وحدة الدعوة ، المبنية على وحدة الكتاب . **قال الاستاذ دروزة**[1] :إن الآية (أو لم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل)

---

(١) سيرة الرسول ١ : ٣٠٠

« هي بسبيل الاحتجاج باعتراف بني اسرائيل بالقرآن على صحة وحي الله به — (تفصيلاً وتصديقاً) — كما انها بسبيل تقرير التطابق والتساوق بينه وبين مـــا يعرفه علماء بني اسرائيل أولاً ؛ وتقرير الاعتماد عليهم ، والثقة بشهادتهم شهادة ايجابية ثانياً . وهي تُلهم ان العرب كانوا يعتمدون عليهم ويثقون بهم، اذ أُريد اقامة الحجة عليهم (على العرب) باعتراف علمائهم بصحة التنزيل » . وبما أنـــه يكتفي لتأييد دعوته ، عن كل معجزة ، بشهادة « مـــن عنده علم الكتـــاب » (الرعد ٤٥) **فهذا دليل على ان دعوته « نصرانية »**، ولو لا ذلك لما شهدوا له ؛ ودليل ايضاً على انه «**نذير**» كما انه «ما اهلكنا من قرية الا لها منذرون»(٢٠٨)

ويفتتح السورة بقوله : « طسم . تلك ايات الكتاب المبين » ؛ فيظهر ان محمداً يتلو « ايات الكتاب المبين » الذي عرّبه ورقة بن نوفل، وقد « شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) ، كما توحي به الإشارة « تلك » التي تدل على ما سبق ، لا على ما يلحق ؛ ثم **يأتي التعليق على التلاوة** بما يلي في سورة (الشعراء) . فالقرآن العربي يميز بينه وبين « القرآن » الأصيل المطلق الذي يعلن منذ مطلع الدعوة عن تلاوته في قيام الليل وترتيل ايات الله فيه(المزمل ١ — ٤). وهذه ظاهرة قائمة متواترة فيه ، وقد سها الناس عنها فخلطوا بين « القرآن » الأصيل ، والقرآن العربي الذي هو «تصديق الذي بين يديه» وتفصيل الكتاب» (يونس ٣٦). ولما قام الاسلام العربي امة وديناً ودولة، تركوا **«القرآن» المفصَّل**، واكتفوا بالقرآن العربي المفصِّل له؛ وظنوه « القرآن» على الاطلاق. مع أنه «في ليلة مباركة » ، هي « ليلة القدر » من « شهر رمضان » لم يوح الى محمد إلا « أمراً من عندنا : إنا كنا مرسلين » (الدخان ٥) ، « وأمرت ان اكون من المسلمين » (النمل ٩٠) ، وما « تنزيل رب العالمين » في القـــرآن العربي ، إلا من « زبر الاولين » : « أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى » ؟ !

فالسورة وثيقة خطيرة على وحدة القرآن العربي و «القرآن» الاصيل (النمل

١ ؛ الاحقاف ١٠) ؛ وعلى وحدة الدعوة القرآنية و « النصرانية » التي يشهد بها « علماء بني اسرائيل » النصارى ، الذين انضم محمد اليهم (النمل ٩٠) .

●

الوثيقة الثانية عشرة : من سورة النمل (٢٧ / ٤٨)

« طس . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
هـــدى وبشرى للمؤمنين ١ — ٢

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم بالآخرة ، هم يوقنون ... ٣

وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم ... ٧

إن هذا القرآن يقصّ على بني اسرائيل
أكثر الذي هم فيه يختلفون ... ٥٦

إنما أمرتُ أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها ،
وله كل شي ؛ وأمرتُ أن أكون من المسلمين ٩١

وأن أتلو القرآن : فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ،
ومَن ضلَّ ... فقل : إنما أنا من المنذرين » ٩٢

تصاريح هذه السورة من **مفاتيح الدعوة القرآنية** في ألغازها وابعادها .

التصريح الاول الذي يكشف دعوة القران كلها قوله : « وأمرت ان اكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن » (٩١) : فالمسلمون موجودون قبل محمد ، وقد أمر برؤيا حراء ان ينضم اليهم ويكون منهم ، ويتلو « القرآن » معهم . وهذا هو **التصريح النهائي الاكبر « لنصرانية » محمـــد وقرآنه** . فنعرف ان « المسلمين » المذكورين هم النصارى من بني اسرائيل ، ومن « تنصر » معهم من العرب — **من دون** سائر أهل الكتاب (ال عمران ١٨ ؛ الصف ١٤) — فهم وحدهم يعتبرون

القران العربي ، **توراةً وانجيلاً لهم**، «**هدى وبشرى** للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة يؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم يوقنون » .

التصريح الثاني : ان محمداً بانضمامه الى النصارى « المسلمين » قد أمر ايضاً « ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها ، وله كل شيء » (٩١) . **في هذه الآية** ، « رب مكة » ليس هبلاً ، الممثل بصنمهم الاكبر ؛ انما هو الله تعالى نفسه ؛ فلا يعقل ان يكون غير ذلك في الدعوة القرآنية ، القائمة على الدعوة « النصرانية » (٩١) . وهذا شاهد قرآني قائم على **صحة التوحيد في مكة والكعبة نفسها** ، قبل محمد والقرآن . **وبربطه بين الامرين** ، الامر بعبادة رب هذه البلدة ، والامر بالانضمام الى المسلمين من قبله ، يدل على ان عبادة الله الظاهرة في مكة **هي التوحيد « النصراني »** ، قبل الدعوة القرآنية ، وقد قامت لفرض سيطرته عليها وعلى الحجاز كله (الصف ١٤). فالذين يتوهمون ويوهمون الناس بسيطرة الشرك على أهل مكة والكعبة ، إنما هم معرضون ، عن شهادة القرآن ، ومغرضون .

التصريح الثالث، في هدف الدعوة القرآنية: « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (٥٦) . ان « هذا القرآن » يحصر هدفه بخطاب بني اسرائيل في ما هم فيه يختلفون للسيطرة الدينية على مكة والحجاز . فخطابه محصور قبل الجميع ببني اسرائيل وخلافهم . وهم انما اختلفوا الى يهود ونصارى من بني اسرائيل بسبب المسيح والانجيل : فآمن « النصارى » وكفر اليهود (الصف ١٤). فجاء القران العربي يؤيد « النصرانية » على اليهودية ببيان واجب الاعتقاد بالمسيح والانجيل، وفرض ذلك على مكة والحجاز: وهذا تصريح جامع مانع يشهد « **بنصرانية** » **محمد ودعوته** .

التصريح الرابع، هو التمييز الصريح بين «القرآن» الاصيل والقرآن العربي: « تلك آيات الكتاب، وقرآن مبين، هدى وبشرى للمؤمنين » (١ — ٢) . محمد يتلو «آيات الكتاب » ، ثم يفصلها في « قرآن مبين » هو القران العربي . وهذا القرآن الاصيل هو الذي أمر بانضمامه الى « المسلمين » من قبله ان يتلوه معهم ،

كما يصرح في السورة ذاتها (٩١) ، وكما يشير منذ البدء بالامر بتلاوته وترتيله مع أهله في قيام الليل (المزمل ١ — ٥). لذلك فالقران العربي، « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦) ، هو « هدى وبشرى للمؤمنين » اي ، بحسب اصطلاحه المتواتر، توراة وانجيل للمؤمنين المسلمين من قبله (النحل ١٠٢) ، وهذه ميزة النصارى على أهل الكتاب كلهم ، المؤمنين بموسى وعيسى معاً ، « لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦) ؛ وهذا هو الاسلام « النصراني » القرآني الذي يشرعه للعرب (الشورى ١٣) ، كما يشهد به مع الله وملائكته ، « أولوا العلم قائماً بالقسط » (ال عمران ١٨) .

وهو يميّز ايضاً بين « القرآن » الاصيل والقــــرآن العربي بتسميته « هذا القرآن » (٥٦) ؛ ووصفه بأنه « قرآن مبين » للكتاب المُعلَم (١) ؟ والتقرير بانك « لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (٦) ؛ أخيراً بالامر بتلاوته مع المسلمين من قبله (٩٢) : أربع دلائـــــل لا تترك مجالاً لريب في التمييز بين « القرآن » الاصيل والقرآن العربي ؛ والتقرير بأن « القرآن » الاصيل موجود عند أهله ، « المسلمين » النصارى الذين أمر محمد بالانضمام اليهم وتلاوته معهم (٩١ — ٩٢) . لذلك عندما يقول : « **وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** » (٦) ، فهو لا يعني ملاك الوحي الذي رآه في غار حراء ، بل حكيماً عليماً من « المسلمين » الذين انضم اليهم ويتلوه معهم (٩١ — ٩٢) ، كما «شهد شاهد من بني اسرائيل **على مثله** » (الاحقاف ١٠) ، وكما يستعلي هو نفسه « بدرسه » على اهل مكة (القلم ٣٧) . والقرآن العربي يأخذ اسم « القرآن » الاصيل لانه « تفصيل الكتاب » (يوسف ٣٦) ؛ لذلك يرادف بين قوله : « تلك ايات القرآن وكتاب مبين » (النحل ١) ، وقوله : « تلك ايات الكتاب وقرآن مبين » (النمل ١) . والقرآن الاصيل الذي يتلقاه من لدن « حكيم عليم » (النجل ٦) هو « كتاب أحكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١) : الا يشير بذلك الى « المثْل) النصراني (الاحقاف ١٠) الذي شهد محمد ترجمته بواسطة استـــاذه القس ورقة بن نوفل ، وقد سببت وفاته لمحمد محنة فتور الوحي والعزم على

الانتحار؟ وما محمد الا نذير من المنذرين، على هذا يقتصر دوره: «فقل: إنما انا من المنذرين» (٩٢).

فتلك الوثيقة من سورة (النمل) تشهد شهادة قـــاطعة «بنصرانية» محمد، و«نصرانية» الدعوة القرانية. وكل تفسير للقرآن العربي لا يعتمد على هذا التصريح: «**وامرت ان اكون من المسلمين، وان اتلو القرآن**» (٩١ - ٩٢)، لا يصل الى تلاوته حق تلاوته، والى فهمه حق فهمه. فالقرآن العربي يفسر بعضه بعضاً، ويشهد بأن محمداً كان «نصرانياً»، ودعا بالدعوة القرآنية الى «النصرانية» (النحل ٩١ — ٩٢؛ الصف ١٤).

●

الوثيقة الثالثة عشرة: من سورة يونس (١٠/٥١)

«آلر. تلك آيات الكتاب الحكيم... ١

وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ٣٧

وقال موسى: يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا، إن كنتم مسلمين... ٨٤

... حتى إذا أدركه الغرق قال: لا إله
إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل، وأنا من المسلمين ٩٠

فإن كنت في شك مماَّ أنزلنـــا اليك
فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك: ٩٥

لقد جاءك الحق من ربك، فلا تكوننَّ من الممترين
ولا تكوننَّ من الذين كذّبوا بآيات الله، فتكون من الخاسرين ٩٦

... ولكنْ أعبد الله الذي يتوفاَّكم
وأمرت أن أكون من المؤمنين ١٠٤

وأنْ أقمْ وجهـــك للدين حنيفاً
ولا تكوننَّ من المشركين» ١٠٥

هذه الوثيقة القرآنية شهادة صريحة على انضمام محمد الى النصارى من بني اسرائيل ، اسماً وعقيدةً ودعوةً .

مطلع السورة يشير الى تلاوة محمد «لآيات الكتاب الحكيم» ، والى تعليقه عليها بهذه السورة (١) . فالكتاب الذي ينتسب اليه هو الكتاب المقدس الذي مع «بني اسرائيل» ، والذي يدعو الى الاله «الذي امنت به بنو اسرائيل» (٩٠) .

«بنو اسرائيل» في لغة القرآن ، هم يهود ونصارى . وبما ان اليهود كانوا «أول كافر به» ، فهو يعني على التخصيص : النصارى من بني اسرائيل . فهم على التخصيص أيضاً «المؤمنون» ، وهم «المسلمون» . وهم ورثة الايمان الحق ، والاسلام الحق من نوح ، الى ابراهيم ، الى موسى ، الى عيسى ، الى محمد . لذلك يصف موسى قومه «بالمسلمين» (٨٤) ، وفرعون ، حين أدركه الفرق «قال : لا إله الا الذي امنت به بنو اسرائيل ، وانا من المسلمين» (٩٠) .

والظاهرة الكبرى الاولى في هذه السورة ان القرآن يرادف بين الايمان (١٠٤) والاسلام (٨٤ و ٩٠) والدين الحنيف (١٠٥) . فتلك التعابير الثلاثة مترادفة في اصطلاحه اسماً وعقيدة ودعوة . وكلها كناية عن ايمان واسلام وحنيفية النصارى من بني اسرائيل . لذلك **فالدعوة الحنيفية** قبل القرآن كانت صيغة اولى من دعوة «النصارى» ؛ **والدعوة الاسلامية** قبل القرآن (الحج ٧٨) كانت صيغة ثانية من دعوة «النصارى» ؛ وتأتي **الدعوة القرآنية** صيغة ثالثة من دعوة اولئك «النصارى» .

والظاهرة الكبرى الثانية ان محمداً قد أمر بأن ينضم الى **هؤلاء** «النصارى» ويدعو بدعوتهم : «وأمرت ان اكون من المؤمنين» (١٠٤) على طريقتهم الحنيفية : «وان اقم وجهك للدين حنيفاً — ولا تكونن من المشركين» (١٠٥) ؛ اي «وأمرت ان اكون من المسلمين» (النمل ٩١) : فهؤلاء المؤمنون الحنفاء المسلمون **جماعة قائمة في مكة** قبل محمد والقران العربي ، وهو يؤمر بالانضمام اليهم ،

والدعوة بدعوتهم . فليس اصرح ولا اوضح من هذه الشهادة على انضمام محمد الى الاسلام « النصراني » القائم بمكة قبله .

والبرهان الاول على انضمام محمد الى النصارى مـــن بني اسرائيل هو صلة القرآن العربي بالكتاب المقدس امامه في الهدى والبيان : « وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب » (٣٧) . فالقرآن العربي يصدّق ويفصل « **الذي بين يديه** » اي الكتاب المنزل قبله ، لا كتاباً في السماء . فهو « تفصيل الكتاب » اي **قراءة عربية له** ، يشرف عليها « **الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** » (٩٥) ؛ لذلك فالقرآن العربي منزل ، لانه « تعريب » التنزيل اي « تفصيل الكتاب » (٣٧) .

والبرهان الثاني على انضمام محمد الى الاسلام « النصراني » والدعوة له ، اسماً وعقيدةً ، هو في **تطمين النبي** ، **عند شكه** من دينه وايمانه واسلامه في « تفصيل الكتاب » المسلَّم له ، بواسطة « الذين يقرؤون الكتاب من قبلك : لقد جاءك الحق من ربك ، فلا تكوننّ من الممترين ، ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ، فتكون من الخاسرين » (٩٥ — ٩٦) . فما على محمد ان يشك في « تفصيل الكتاب » بالقرآن العربي ، فقد أُمر برؤيا غار حراء ان يكون من « المسلمين » وأن يتلو قرآن الكتاب معهم (النحل ٩١ — ٩٢) ، **فهم اساتذته من قبل الله** ، « الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (٩٤) ؛ فقد « جعلنا منهم (بني اسرائيل) أئمة يهدون بأمرنا » ، « فلا تكن في مرية من لقائه » (السجدة ٢٣ — ٢٤) . فهو يتلو « آيات الكتاب الحكيم » ثم يعلّق عليها تعليقاً صحيحاً وتفصيلًا صحيحاً ، بشهادة هؤلاء الأئمة الذين يهدون بأمر الله الى القـــراءة العربية لكتاب الله ، القرآن الاصيل .

وقد أجمل دروزة[1] الموقف بقوله: « وقد تضمنت الآية (٩٤) استشهاد أهل

---

(١) سيرة الرسول ١ : ٣٠١ .

الكتاب به — (وبالحري احالته على أهل الكتاب للاستشهاد بهم) — والمتبادر انه ينطوي في هذا تقرير استعداد أهل الكتاب للشهادة بصحة التنزيل القرآني؛ كما ينطوي فيه تقرير **طبيعة الوحدة والتساوق** بين القرآن والكتب السماوية أولاً، **والاعتماد على أهل الكتاب بالشهادة الايجابية** ثانياً». لكن يجب التخصيص في مظهر التعميم، لان الاله الذي يدعو اليه هــو «الذي آمنت به بنو اسرائيل» (٩٠)، لا اليهود «أول كافر به»، بل النصارى من بني اسرائيل. وهذه الاحالة القرآنية على النصارى من بني اسرائيل، «الذين يقرؤن الكتاب من قبلك» (٩٥) اعلان واضح **بانضمام محمد الى هؤلاء النصارى** (١٠٤)، والدعوة معهم الى الاسلام «النصراني»، الذي يسميه بتعبيرين اخرين، الاسلام حصراً، أو الدين الحنيف (١٠٥). لذلك جاء القرآن العربي قراءة عربية للكتاب، على طريقة النصارى من بني اسرائيل، «تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب» (٣٧). والسورة شهادة صريحة على انضمام محمد الى أولئك النصارى: «وأمرت ان أكون من المؤمنين» (١٠٤)، اي «وأمرت ان أكون مـــن المسلمين» (النمل ٩١)، وهما في لغته اصطلاح متواتر، كناية عن النصارى من بني اسرائيل.

●

الوثيقة الرابعة عشرة: من سورة هود (١١ / ٤٢)

«آلر. كتـــاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن **حكيم خبير**... ١
فإن لم يستجيبـــوا لكم فاعلموا أنمـــا أُنزل بعلم الله،
وأن لا إله إلا هـــو، فهـــل أنتم مسلمون؟ ١٤
أفمن كان على بيّنة من ربّه — ويتلوه
شاهد منه، ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة —
أولئك يؤمنون بـــه؛
ومَن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده

فلا تك في مرية منه : إنه الحق من
ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون . . .   ١٨
فـــلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء
ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل   ١١٠
فاستقم كما أمرت ومن تاب معك »   ١١٢

في سورة (هود) جواب على الشك الذي ساور محمداً في صحة التنزيل القرآني العربي ، في السورة السابقة (يونس ٩٥) : ان القرآن العربي « تفصيل الكتاب» (يونس ٣٨) ؛ فكتاب الله « كتاب أحكمت اياته ، ثم فصلت (الى العربية) من لدن حكيم خبير » (١) .

والسؤال الاكبر هو : من يفصّل كتاب الله لمحمد ؟

يصفه انه «حكيم خبير » (١) ؛ ثم « شاهد منه » تعالى (١٨) . ويصرّح بأنه « **أُنزل بعلم الله**» (١٤)، فيظل السر محفوظاً في ضمير محمد. لكن الاشارات تدل على انه « يتلوه شاهد منه » تعالى ، « من كان على بيّنة من ربه » (١٨) ؛ الذين « يؤمنون به » من قبله (١٨) ؛ وهو كقوله : « **وشهد شاهد مـــن بني اسرائيل على مثله** » (الاحقاف ١٠) — ونعرف ان بني اسرائيل الذين يشهدون للدعوة القرآنية هم « النصارى » ، لا اليهود ، « أول كافر به » — فالشاهد « النصراني » هو الذي عنده « مثل » القرآن العربي ؛ وهو الذي يفصله بالعربية الى محمد : فهو « الحكيم الخبير » . يؤيد ذلك إحالة محمد عـــلى « الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » (يونس ٩٥) ؛ فهم « من كان على بيّنة من ربه ... اولئك يؤمنون به » (هود ١٨) ؛ وايمانهم بالقرآن هو ايمان من يعرفه معرفة مصدرية، كمعرفة الاب لابنه : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » (الانعام ٢٠ ؛ البقرة ١٤٦) ؛ فهم يهدون محمداً بأمر الله الى الكتاب الامام ، بواسطة « المثل » الذي يفصله « حكيم خبير » منهم لمحمد : « ولقد آتينا موسى

الكتاب ، فلا تكن في مرية من لقائه ، وجعلناه هدى لبني اسرائيل ، **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا** » (السجدة ٢٣) : فما على محمد ان يكون في مرية من لقاء الكتاب الامام في تفصيله العربي بواسطة « حكيم خبير » منهم ، هو « شاهد منه » تعالى ، فقد « جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » — فهذه القرائن كلها مجتمعة دلائل جامعة مانعة على ان « الحكيم الخبير » الذي يفصّل كتاب الله الى القرآن العربي هو « شاهد من بني اسرائيل » النصارى (الاحقاف ١٠) . ولا يرد عليه بالآية: «لسان الذي يلحدون اليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين» (النحل١٠٣)، فهو غير هذا الاعجمي الذي يظنونه ؛ انه « شاهد من بني اسرائيل » النصارى (الاحقاف ١٠ ؛ هود ١٨) يعرف اللغتين معرفة كاملة ، كما يعرفها قس مكة ، ورقة بن نوفل، استاذ محمد ، الذي كان محمد بصحبته وهو ينقل الانجيل «النصراني» بحرفه العبراني الى العربية .

يؤيد ذلك أيضاً **شك محمد** في صحة التنزيل القرآني (يونس ٩٥). **فلو كان من جبريل مباشرة ، لما صح هذا الشك** ؛ فدور جبريل (البقرة ٩٧) ، روح القدس (النحل ١٠٢) قد اقتصر على رؤيا غار حراء (الشورى ٥٢) في ليلة مباركة (الدخان ٣) هي ليلة القدر (القدر ١) من شهر رمضان (البقرة ١٨٥) ، حيث « أمرت ان أكون من المؤمنين » (يونس ١٠٤) ، اي « أمرت ان اكون من المسلمين » (النمل ٩١) . فالتوكيد مرتين متفاوتتين : « فلا تك في مرية منه » (هود ١٨) ، فلا تكن في مرية من لقائه » (السجدة ٢٣) برهـــان على قيام الشك في نفس محمد من صحة التنزيل في القرآن العربي ؛ لذلك كانت تنهال عليه الاوامر بعدم الشك في ذلك ، لان « تفصيل الكتاب » هو تنزيل ؛ والاوامر بالاكتفاء بشهادة النصارى من بني اسرائيل على صحة دعوته (الرعد ٤٥) لان عندهم « مثل » القرآن ؛ والاوامر بالرجوع دائماً الى « الذين يقرؤن الكتاب من قبلك (يونس ٩٥) ؛ فالقرآن العربي نفسه «هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » اي النصارى (العنكبوت ٤٩) ، وهم « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » (الانعام ٢٠ ؛ البقرة ١٤٦) .

والسورة تعطينا تحديداً دقيقاً لحقيقة القرآن العربي : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١) ؛ اي انه « **تفصيل الكتاب** » (يونس ٣٧) ، لا كتاب جديد. وتفصيل التنزيل تنزيل ، في عرفه ، وفي عرفهم : فالقرآن العربي هو « تنزيل رب العالمين » لانه « في زبر الاولين : أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » من النصارى (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧) . و « تفصيل الكتاب » لا يكون تنزيلاً مفترى ، لذلك يتحداهم « بعشر سور مثله مفتريات » (هود ١٣) .

وهذا التنزيل القرآني في « تفصيل الكتاب » يصفه بهذا التعبير الغامض : «أنزل بعلم الله» (هود ١٤) ؛ وهو تعبير ينطوي على سر يحتفظ به ، لانه يصرّح « ولا أعلم الغيب » (هود ٣١) . لكن القرائن المتواترة المتوافرة تدل عليه : انه ترجمة « المثل » الذي يشهد به الشاهد النصراني من بني اسرائيل (الاحقاف ١٠ ؛ هود ١٨) . وصحة « المثل » النصراني تقوم على انها قرآن الكتاب الامام بلغة أخرى : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢ ؛ هود ١٧) .

فالسورة شهادة قائمة على انضمام محمد الى النصارى من بني اسرائيل ، والدعوة بدعوتهم ، كما يأتيه الامر مجدداً : «**فاستقم كما أمرت ، ومن تاب معك** » (١١٢) : فبعثته ودعوته هما « توبة » الى « النصرانية » ! وهو يسمي « من تاب معك » ، بحسب اصطلاح أهل الكتاب في هداية الاميين : «المتقين» كما يسمي جماعته بتواتر ؛ وعباد الرحمان ، النصارى من بني اسرائيل ، كانوا « للمتقين إماماً » (الفرقان ٧٤) .

والسورة تمثل لنا أهل الدعوة القرآنية ، النصارى من بني اسرائيل « ومن تاب معك » من العرب المتنصرين مثل محمد ؛ وخصومها «الاحزاب» اي المشركين العرب واليهود من وراء ستار ؛ ولا يدخل المسيحيون في هذه الاحزاب ، لان

جماعة محمد كانوا حينئذ بالحبشة في حماية النجاشي المسيحي ، وفي آخر العهد بمكة يستبشرون بنصر الله للروم على الفرس .

●

الوثيقة الخامسة عشرة : من سورة يوسف (١٢ / ١٥)

« آلر . تلك آيات الكتاب المبين :
إنا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون . . . ١ — ٢

قلْ : هذه سبيلي ، أدعو الى الله على بصيرة ، انا ومَن اتبعني
وسبحان الله ، وما انا من المشركين ١٠٨

ما كان حديثاً يُفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ١١١

في تصريح أول: « تلك آيات الكتاب المبين: إنا أنزلناه قرآناً عربياً» يكرر ما قاله في (هود ١) بصيغة أخرى : «كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ؛ ان «تفصيل الكتاب» يصفه بتعبير آخر : « انا أنزلناه قرآناً عربياً » ، **فالتنزيل والتفصيل هما في اصطلاحه شيء واحد** . ان محمداً يتلو « آيات الكتاب المبين » كما يشير في مطلع التعليق عليها بالقرآن العربي بقوله : « تلك» وتلي السورة تعليقاً عليها . ففي (هود ١ ، يوسف ١ — ٢) الاعلان النهائي بأن القرآن العربي هو تعريب الكتاب الامام ، بواسطة « المثل » الذي عند الشاهد من بني اسرائيل (الاحقاف ١٠) ، « من عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) . ان آيات الكتاب المبين صارت قرآناً عربيّاً ، بواسطة « حكيم خبير » .

وفي تصريح ثان يسمي **تنزيل** القرآن العربي اي « **تفصيل الكتاب** » « **حديثاً** » ؛ فهي ثلاثة تعابير مترادفة . ويقول ردًّا عليهم : « ما كان حديثاً يُفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه (قبله) **وتفصيل كل شيء** » (١١١) ، وهو مثل قوله في السورة السابقة : « تصديق الذي بين يديه ، **وتفصيل الكتاب**»

(يونس ٣٧) ، مع تعريف أشمـــل ، إذ القرآن العربي « بينات من الهدى والفرقان » الذي يفصّل قرآن الكتاب (البقرة ١٨٥) .

وفي تصريح ثالث : « قلْ هذه سبيلي أدعو الى الله عن بصيرة » (١٠٨) يعلن انه يدعو الى الله بالقرآن العربي الذي هو « حديث » عن كتاب الله . ولا يقوم بالدعوة وحده ، بل « أنا ومَن اتبعني » .

وهذه كلها قرائن دلائل على ان محمداً انضم الى النصارى من بني اسرائيل والمتنصرين معهم من العرب ، ودعا بدعوتهم ، وبحسب طريقتهم ، على مثال استاذه ورقة بن نوفل ، قس مكة « النصراني » .

●

الوثيقة السادسة عشرة : من سورة الحجر (١٥ / ٥٤)

« آلر . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . . . ١
ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم . . . ٨٧
كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا **القرآن** عضين . . . ٩٠ — ٩١ .
فاصدعْ بما تؤمر واعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين ... ٩٥—٩٦
فسبح بحمد ربك ، وكنْ من الساجدين » ٩٨

هذه الوثيقة تشهد ان « الكتاب وقرآن مبين » هما اثنان ، حيث القرآن العربي « يبين » ، او كما قال سابقاً « يفصّل » الكتاب الإمام .

ونلاحظ هنا انه يسمّي الكتاب « **القرآن** » على التعريف المطلق ، بخلاف القرآن العربي ، « **قرآن** مبين » وذلك في قوله : « كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين » (٩٠ — ٩١) . لقد اختلفوا في تفسير « المقتسمين » ، مع ان في الآية قرينة تدل عليهم : « كما أنزلنا » ، فالتنزيل قبل محمد كان على أهل الكتاب ؛ فأهل الكتاب هم « المقتسمون » الذين « جعلوا القرآن — الكتاب — عضين » أي اجزاء . قال الجلالان : « جعلوا كتبهم المنزلة عليهم أجزاء ، حيث

آمنوا ببعض وكفروا ببعض » . فهو يقصد اليهود « المقتسمين » المنشقين عن النصارى الذين « يتلون الكتاب حقّ تلاوته » مع محمد (البقرة ١٢١) هكذا يتضح لنا هنا ان « **القرآن** » **على الاطلاق هو الكتاب المقدس**؛ وقد سُمّي القرآن العربي قرآناً على التبعية ، لانه « تفصيل الكتاب » .

لذلك يسمّي « القرآن » على الاطلاق والعلمية « القرآن العظيم » : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، والقرآن العظيم » (٨٧) . ففي القرآن العربي أوتي « القرآن العظيم » مع « سبع من المثاني » . وقد اختلفوا في تفسير « سبع من المثاني » ، فقال بعضهم : انها سورة الفاتحة بآياتها السبع . وفاتهم ان الفاتحة هي من القرآن العربي ، نزل قسم منها في مكة ، وقسم في المدينة ؛ فلا تتميز عنه . ونحن نرى ان القرآن العربي تفصيل « القرآن العظيم » مع سبع قصص فيه من « المثاني » اي « المشنة » في التلمود . وآية (الحجر ٨٧) هي مثل قوله : « بينات من الهدى والفرقان » (البقرة ١٨٥) اي فرقان الكتاب الذي يفصله القصص التلمودي — ولا ننس ان النصارى من بني اسرائيل كانوا يقيمون التوراة والانجيل .

ويأتيه الامر : « فاصدعْ بما تؤمر ، وأعرضْ عن المشركين ؛ انّا كفيناك المستهزئين » (٩٥ — ٩٦) ، حيث يميز بين المشركين والمستهزئين ؛ فهؤلاء هم « المقتسمون » اي اليهود المخالفون الذين ذكرهم في الآية السابقة (٩٠) . فاليهود والمشركون هم « الاحزاب » الذين ذكرهم في السورة السابقة (هود ١٨) . فهؤلاء جميعاً لست منهم في شيء ، « فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين » (٩٨) الذين « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » اي « النصارى » . فالشهادة صريحة بانضمام محمد الى « النصارى » والدعوة بدعوتهم . وقد حان الوقت للجهر بهذه الدعوة : « فاصدع بما تؤمر » .

●

الوثيقة السابعة عشرة : من سورة الانعام (٦ / ٥٥)

« قلْ : إني أُمرتُ أن أكون **أول من أسلم** . . . ١٤

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . ٢٠

أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحُكم والنبوة ؛

— فإن يكفر بها هؤلاء، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين — ٨٩

أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتدهْ . . . ٩٠

وهذا كتاب أنزلناه ، مبارك ، مصدّق الذي بين يديه

ولتنذر أمّ القرى ومَن حولها ٩٢

وكذلك نصرّف الآيات ! — وليقولوا : درست !

— ولنبيّنه لقوم يعلمون . . . ١٠٥

والذين آتيناهم الكتاب يعلمون

انه منزل من ربك بالحق، فلا تكوننّ من الممترين ١١٤

وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً

لا مبدّل لكلماته ، وهو السميع العليم . . . ١١٥

. . . أن تقولوا : إنما أُنزل الكتاب على طائفتين

من قبلنا ، وإن كنّا عن دراستهم لغافلين . . . ١٥٦

قلْ : ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ١٦٣

بذلك أمرتُ ، **وأنا اوّل المسلمين** » ١٦٤

في هذه السورة **اعلان جديد** : «قلْ : اني أُمرت ان أكون **اول** مَن أسلم » (١٤) . فقد جاءه الامر الاول « وأمرت ان اكون من المسلمين » (النمل ٩١) الموجودين قبله ؛ والآن يُؤمر بأن يكون « اول من أسلم » : فهذه الاولية ليست زمانية ومكانية ؛ انما هي **أولية شرفية رئاسية** ؛ لقد اصبح **محمد رئيس**

النصارى بمكة، خليفة لنسيبه واستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، وربما للامام الاكبر بحيرى في بصرى. لقد توفيا، فاستلم محمد رئاسة «النصارى» وأعلن: «بذلك أمرتُ، وأنا اول المسلمين». وهذا حدث عظيم في سيرة محمد. ولا يتسلّم السلطة «النصرانية» العليا احد، إلا بعد اعلان ايمانه، وهذا ما يفعله النبي العربي هنا: «قلْ: ان صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي، لله رب العالمين» (١٦٣)؛ انه الاعلان القانوني للاخلاص في الايمان عند استلام السلطة، كما هي العادة الى اليوم في رسامة القسوس والاساقفة.

ومن مظاهر رئاسة محمد «للنصرانية» بمكة:

اولاً الامر بالاقتداء بهداهم: «اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة... أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتدهْ» (٨٩ — ٩٠). أخذ لفظ «الحكم» بحرفه العبري الارامي، اي الحكمة. والحكمة، في اصطلاحه الخاص، كناية عن الانجيل (الزخرف ٦٣). فكما علّم الله المسيح «الكتاب والحكمة، والتوراة والانجيل» (آل عمران ٤٨؛ المائدة ١١٣)، على محمد ان يقتدي بهداها، لكي يعلّم العرب «الكتاب والحكمة» (٢: ١٢٩؛ و ١٥١؛ ٣: ١٦٤؛ ٦٢: ٢)، على مثال أهلها: «ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم، واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم» (الانعام ٨٨).

ثانياً درس كتابهم لتدريسه للعرب: «وكذلك نصرّف الآيات». فيرد عليه «الاحزاب» و «المقتسمون»: لقد «درست»! فلا يرد الاتهام، بل يؤيده ببيان الغاية من درس الكتاب: «ولنبيّنه لقوم يعلمون» (١٠٥)؛ وهم «أولوا العلم» على التخصيص اي «النصارى». فمحمد يدرس كتابهم ليبيّنه لهم قبل غيرهم. ومحمد يدرسه ايضاً ليبيّنه للعرب الذين غفلوا عن دراسته، «ان تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وإن كنّا عن دراستهم لغافلين» (١٥٦). يقول «دراستهم» حيث عدل عن ضمير الكتاب، الى ضمير اهله، ليظهر جهل العرب بالكتاب وأهله من اليهود والنصارى. فقام محمد

مقامهم بدرس الكتاب وأهله من الطائفتين ، وانضم الى النصارى « المسلمين » من قبله ، وهو يقدّم للعرب دراسته في القرآن العربي : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه لعلكم تُرحمون » (١٥٥) . وقد كان يستملي عليهم بهـــذه الدراسة طوال العهد بمكة : « أم لكم كتاب فيه تدرسون » (القلم ٣٧) ، « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » (سبأ ٤٤) .

ينتج من ذلك ، **اولاً** : وصف التنزيل القرآني **بالدرس** (١٠٥) **وتصريف** الآيات (١٠٥) ، **والتبيين** لها (١٠٥) **بالتصديق والتفصيل** (٩٢) . فلا ريب انه « تنزيل رب العالمين » ، لكنه « في زبر الاولين » كما يشهد بذلك « علماء بني اسرائيل » النصارى (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧) . وهكذا تظهر حقيقة القرآن العربي : انه ، بعد الدرس ، « تفصيل الكتاب » بالتصريف والتبيين . ولكن هذا « التفصيل » اي التعريب لا تبديل فيه : « لا مبدّل لكلماته » ، فقد « تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً » (١١٥) . لذلك كان القرآن العربي « الكتاب مفصلاً » (١١٤) صدقاً وعدلاً ؛ ولذلك فهو **منزل** ، **لانه تعريب التنزيل** .

وينتج من ذلك **ثانياً** صلة القرآن ومحمد نفسه بالنصارى المسلمين : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (٢٠) معرفة الوالد لولده ، معرفة مصدرية . فبعد ان كان محمد ابن « النصرانية » ، أصبح في هذه السورة **رئيسها في مكة والجزيرة** : « بذلك أمرتُ وأنا اول المسلمين » (١٦٤) . لقد خلف محمد القس ورقة بن نوفل على رئاسة « النصارى » بمكة والجزيرة . وخلف بحيرى فصار اول المسلمين » .

•

الوثيقة الثامنة عشرة : من سورة الزمر (٣٩ / ٥٩)

« تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ١

إنّا أنزلنا اليـــك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ... ٢

أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ؟

قلْ : هـــل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ؟ ! ... ٩

قلْ : اني أُمرتُ ان اعبد الله مخلصاً له الدين
وأُمرتُ ان أكون أول المسلمين . . . ١١—١٢
أمّن شرح الله صدره للاســـلام فهو على هدى من ربه » ٢٢

في هذه الوثيقة تصريح صريح لاعتناق محمد للاسلام « النصراني » والدعوة اليه باسم « الدين الخالص » ؛ ثم لرئاسة محمد لهذا الاسلام « النصراني » في مكة والجزيرة : « قلْ : اني أُمرتُ أن أعبد الله مخلصاً له الدين ؛ وأُمرت أن أكون **أول المسلمين** » (١١ — ١٢) .

يُؤمر محمد بإخلاص الدين لله بحسب الكتاب الذي « درسه » وأنزل اليه (٢) . والاخلاص في الدين هو « الاسلام » الذي شرح الله صدر محمد له ، فهو على نور من ربه (٢٢) . لقد انتهت محنة الشك عند محمد .

وهذا « الاسلام » ، في اخلاص الدين لله ، هو عند « الذين يعلمون » : « قل : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٩) . فما اسخف الذين يفهمون هذه الآية بحسب اللغة ، وهي اصطلاح قرآني متواتر ، فان « أولي العلم » او « اهل الذكر » هم في اصطلاحه اهـــل الكتاب — ثلاثة تعابير مترادفة . فلا مجال للمقابلة بين المشركين وبين اهل الكتاب « الذين يعلمون » بالوحي من علم الله .

و « الذين يعلمون » طائفتان من بني اسرائيل : اليهود والنصارى (الانعام ١٥٦) . فكان اليهود « اول كافر به » . لذلك فالتعبير العام « الذين يعلمون » يراد به التخصيص بالنصارى ، الذين اخذ الاخلاص عنهم في الدين للاسلام ، لصفتهم المتواترة في السورة والقرآن كله : « أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً » كمثل غيره من اهل الكتاب والمشركين ؟ كلا ، « ليسوا سواء : من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران ١١٣) . وقيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله هو ميزة النصارى عـــلى العالمين . لذلك « شرح الله صدره للاسلام ، فهو على بيّنة من ربه » (٢٢) .

فالسورة شهادة قيّمة على انضمام محمد «للنصارى» ؛ وعلى رئاسة محمد لهؤلاء «النصارى» (١٢). في هذه الفترة تتواتر الاشارات الى خلافة محمد لقس مكة، ورقة بن نوفل، على رئاسة محمد للنصارى بمكة والجزيرة.

●

الوثيقة التاسعة عشرة : من سورة الشورى (٤٢ / ٦٢)

«شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً
... وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى :
أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيـــه
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه . . . ١٣

فلذلـــك فادعُ واستقم ، كما أمرت ، ولا تتّبع أهواءهم
وقلْ : آمنت بما انزل الله من كتاب ، وأُمرت لاعدل بينكم
الله ربنـــا وربكم ! لنا اعمـــالنا ولكم اعمالكم !
لا حجّة بيننـــا وبينكم ! الله يجمع بيننـــا واليه المصير ١٥
ما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً ، او من وراء حجاب
او يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ، إنـــه عليٌّ حكيم ٥١
وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الايمان ولا الكتاب
ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتُهدى الى صراط مستقيم» ٥٢

في هذه الوثيقة القرآنية **التصريح القاطع** بماهية الدعوة القرآنية : ان الدين الذي شرعه الله للعرب هو دين ابراهيم وموسى وعيسى ديناً واحداً ، بلا تفريق ولا تفرقة (١٣) ؛ وهذا الدين هو دين الكتاب المنزل من قبل والذي آمن به محمد : «وقل : آمنت بما انزل الله من كتاب» (١٥). فهذا الدين الذي يجمع

— ٣٩٥ —

بين موسى وعيسى ديناً واحداً ، يقوم على إقامة التوراة والانجيل كتاباً واحداً (المائدة ٧١) ، ليس هو اليهودية، ولا المسيحية ، **إنما هو «النصرانية»** التي تجمع في ولاء واحد موسى وعيسى ، والتوراة والانجيل . فالدعوة القرآنية هي الدعوة « النصرانية » عينها التي اخذها محمد عن استاذه ورقة بن نوفل ، قس مكة. هذا التصريح القاطع يدفع كل شبهة او اشكال او ريب في اقوال اخرى قرآنية ليست في صراحته ، **فهو ميزان « نصرانية » محمد والقرآن** .

قال الاستاذ دروزة[1] : « وفيها **تقرير حاسم** لوحدة الاسس فيما اوحى الله الى انبيائه، وخاصة نوحاً وابراهيم وموسى وعيسى، وما اوحى الى النبي محمد ص، وبالتالي تقرير **لوحدة الاسس** بين القرآن والكتب السماوية ؛ وبين المسلمين وأهل هذه الكتب ؛ وللتطابق والتساوق بين الفريقين » . تحليل قاصر عن حرف الآية التي تشرع للعرب دين موسى وعيسى ، اي دين « النصرانية » .

وعلى دين « النصرانية » يجب ان يستقيم النبي العربي ؛ واليه يجب ان يدعو بالقرآن العربي ، دون انحراف الى أهواء اليهودية وأهواء المسيحية . هذا هو الامر الاول . والثاني : «**أمرت لاعدل بينكم**» . والعدل بين اليهودية والمسيحية هو في هذه « النصرانية » التي تجمع بين موسى وعيسى ، وبين التوراة والانجيل ديناً واحداً وكتاباً واحداً لذلك سيسميها « الامة الوسط » . وهو ، اذ يصرّح بوحدة الاله الذي يعبده أهل الكتاب جميعاً، مع اختلاف اعمال العبادة له، يقول : « لا حجة بيننا وبينكم » (١٥) اي لا « خصومة » (الجلالان) . في مكة ، مع مؤامرات اليهود البعيدة التي نشعر بها ، ليس من خصومة بين « نصرانية » محمد والقرآن من جهة ، وبين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى ، بل يأمل ان « الله يجمع بيننا واليه المصير » (١٥) هذا في مكة .

والتصريح القاطع الثاني هو في ماهية النبوة المحمدية . طرق الوحي الثلاث :

---

(١) سيرة الرسول ١ : ٣٠٣ .

الوحي المباشر ، أو من وراء حجاب ، أو بواسطة ملاك رسول ؛ وهذه الطريقة الثالثة هي أدنى طرق الوحي ؛ وهي الطريقة التي اعتمدها الله في دعوة محمد ، من دون الوحي المباشر بلا حجاب لعيسى ، والوحي المباشر من وراء حجاب لموسى . فهو لم يكن يدري ما الايمان ولا الكتاب ، لكن الله أرسل اليه في غار حراء « روحاً من أمره » اي روحاً مخلوقا ، من عالم الامر ، هداه الى الايمان بالكتاب والدعوة له (٥٢) كما يصرح : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لاعدل بينكم » (١٥) : فنبوءة محمـــد ودعوته هي **هداية** » الى الايمان بالكتاب والدعوة له : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (٥٢) — وقراءة « لتُهدى » أصح من قراءة « لتَهدي » ، كما يقتضي قوله : « ما كنت تدري ما الايمان ولا الكتاب ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا » — في غار حراء ، في ليلة مباركة (الدخان) ، ليلة القدر (القدر) من شهر رمضان (البقرة) هداه ملاك الله الى الدعوة للايمان بالكتاب. هذا هو كل القرآن الذي نزل عليه في رؤيا حراء ؛ وهـــو غير القرآن الذي أخذ يفصله مدة عشرين سنة ونيّف ، والذي هو « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) على مثال « المثل » الذي مع بني اسرائيل النصارى (الاحقاف ١٠) . في هداية محمد الى الايمان بالكتاب والدعوة له ، ليس من تنزيل جديد ؛ وليس من كتاب جديد ، وليس من نبوة جديدة ؛ انما اقتصار وحي الملاك اليه في رؤيا حراء **عـــلى الهداية الى الايمان بالكتاب** (٥٢) **والامر بالدعوة له** ، على عدل (١٥) بين اليهودية والمسيحية ، يقوم على « النصرانية » ، الدين الوحيد الذي يشرعـــه الله للعرب في الدعوة القرآنية (١٣) . هذا هو كل الوحي الذي جاءه، هذا كل القرآن الذي نزل عليه ، في رؤيا حراء .

●

الوثيقة العشرون : من سورة الجاثية (٤٥ / ٦٥)

« ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحُكم والنبوة
ورزقناهم من الطيّبـــات وفضلناهم عـــلى العالمين ١٥

وآتينـــاهم بيّنات من الامر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ؛ ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون ١٦ ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتّبعها، ولا تتّبـــع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يُغنوا عنك من شيء! وان الظالمين بعضهم أولياء بعض! والله ولي المتّقين!» ١٧

في هذه الوثيقة تاريخ موجز لليهودية والنصرانية ، وموقف محمد منها . فهو يحصر « الكتاب والحكم والنبوة » في بني اسرائيل (١٥) — فلا ينظر الى غيرهم من أهل الكتاب : فالمسيحيون بمكة بعيدون عـــن الصراع القائم في الدعوة القرآنية . و « الكتاب والحكم » اي الحكمة ، كنـــاية عن التوراة والانجيل .

فالله قد آتى النصارى من بني اسرائيل «الكتاب والحكم والنبوة» ؛ وبسبب ذلك «رزقناهم من الطيبـــات ، وفضلناهم على العالمين» (١٥) . وقد شعر محمـــد بذلك في كنف خديجة ، ثرية مكة ، وفي جوار ورقة بن نوفل ، قس مكة .

ثم ان الله آتاهم بعيسى « بينات مـــن الامر » ، أمر الدين ؛ فاختلف بنو اسرائيـــل الى يهود ونصارى « **من بعد ما جاءهم العلم** » بواسطة حكمة الانجيل : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة » (الصف ١٤) بهذا « العلم » الانجيلي . وما كفر اليهود به إلا « بغياً بينهم » فكانوا « ظالمين » مثل المشركين .

فهدى الله محمداً الى هذا « العلم » الذي جاء به عيسى : « آتيناهم بينات من الامر » ، « ثم جعلناك على شريعة من الامر » (١٦) . والطريقة من أمر الدين التي أمر الله بها محمداً هي طريقة أهل «الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل؛ طريقة الذين يقيمونهما معاً ، طريقة « النصارى » ، مـــن دون اليهود ، ولا

المسيحيين. فعلى محمد ان يتبع طريقة «النصرانية»، بعيداً عن المشركين، «والذين لا يعلمون»، وبعيداً عن اليهود «الظالمين»، وان «بعضهم أولياء بعض» (١٧). ففي هذا القول اشارة الى تحالف «الاحزاب» (هود ١٨) من المشركين واليهود على الدعوة القرآنية. وما على محمد ان يخاف على «المتقين» من العرب، «من تاب معك»، فان «الله ولي المتقين».

فنلاحظ ان تلك الاوصاف: «الذين لا يعلمون» المشركين؛ «أولي العلم» على التخصيص للنصارى؛ «الظالمين» لليهود؛ «المتقين» لجماعة محمد من العرب؛ كلها متواترة في اصطلاح القرآن لاصحابها.

ونلاحظ ان «العلم» الذي افترق عليه بنو اسرائيل الى يهود ظالمين ونصارى مقسطين محسنين؛ «العلم» الذي يدعو اليه القرآن؛ هو اصطلاح، كناية عن حكمة الانجيل، بحسب «العلم» النصراني.

فإلى هذا «العلم» النصراني «اهتدى» محمد (الشورى ٥٢)، اذ «جعلناك على شريعة من الامر» (١٧)؛ وما عليه إلا ان «يتبع» (١٧) هذه الطريقة في دعوته.

●

الوثيقة الحادية والعشرون: من سورة النحل (١٦ / ٧٠)

«وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم
فاسألوا أهـــل الذكر، إن كنتم لا تعلمون ٤٣
بالبيّنات والزُبُر؛ وأنزلنـــا اليك الذكر
لتبيّن للناس ما نُزّل اليهم، ولعلهم يتفكرون... ٤٤
وما أنزلنـــا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم
الذي اختلفوا فيه؛ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ٦٤

ويوم نبعث في كل أمـــة شهيداً عليهم
من أنفسهم ، وجئنا بك شهيداً عـــلى هؤلاء
ونزّلنا عليـــك الكتاب تبياناً لكل شيء
وهدى ورحمـــة وبشرى للمسلمين ٦٩

قلْ : نزّله روح القدس من ربـــك بالحق
ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » ١٠٢

هذا فصل في أهداف الرسول والرسالة : لدى العرب المشركين ، ولدى أهل الكتاب ، ولدى « الذين آمنوا » من العرب ، ولدى « المسلمين » من قبله .

فالهدف الاول لدى العرب المشركين ، الذين يكني عنهم « بالناس » (٤٤) . ورسالة محمد لديهم ان «يبيّن للناس ما نزّل اليهم » (٤٤) اي الدين الذي يشرعه الله للعرب، دين موسى وعيسى (الشورى ١٣) . **فالقرآن العربي هو بيان التنزيل الكتابي للعرب** . فليس من تنزيل جديد ، انما هو « لتبين للناس ما نزّل اليهم ولعلهم يتفكرون » . وان شك العرب في ذلك ، فما عليهم إلا ان يسألوا أهل الذكر ، اي أهل الكتاب، ان « الذكر الحكيم » هـــو عندهم ، وهم أهله من دون العالمين . وما محمد سوى « **شهيد** عليهم من انفسهم »، كما يبعث في كل أمة شهيداً (٦٩) .

والهدف الثاني لدى أهل الكتاب ، « لتبين لهم الذي اختلفوا فيه » ؛ وفي هذا البيان «هدى ورحمة لقوم يؤمنون» منهم (٦٤) . وما اختلف أهل الكتاب، بنو اسرائيل (الجاثية ١٥) إلا في المسيح والانجيل : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . فالقرآن تأييد للنصرانية على اليهودية ، هكذا يبيّن لهم الذي اختلفوا فيه ، بضرورة الايمان بعيسى والانجيل ، مع الايمان بموسى والتوراة . فالقرآن دعوة « نصرانية » لدى اليهود ايضاً .

والهدف الثالث، « ليثبّت الذين امنوا » من العرب (١٠٢) .

والهدف الرابع ان يكون «هدى وبشرى للمسلمين» (١٠٢). وبما ان الآية (١٠٢) تميّز بين « الذين امنوا » وبين « المسلمين »، **فالمسلمون** في اصطلاحه هم غير جماعة محمد من العرب؛ انهم النصارى من بني اسرائيل الذين يصفهم «**بقوم يؤمنون**» من بني اسرائيل (٦٤). وهكذا فإن تعابير «المؤمنين» و « المسلمين» في اصطلاح القرآن يخصها اولاً «بالنصارى» ثم على التبعية بجماعة محمد « الذين امنوا » من العرب. والقرآن هو « هدى وبشرى للمسلمين » اي **توراة وانجيل** معاً — بحسب الاصطلاح والحرف عنده — لهؤلاء النصارى الذين أصبح محمد رئيساً عليهم بوفاة ورقة بن نوفل، قس مكة، أي « أول المسلمين » .

هكذا « نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء» (٦٩) : بياناً « للناس » المشركين؛ وبياناً لما اختلف فيه أهل الكتاب من نصارى ويهود؛ وتثبيتاً «للذين امنوا» مع محمد من العرب؛ « وهدى وبشرى للمسلمين »، النصارى من بني اسرائيل، ومن تنصّر معهم من العرب قبل محمد. فالقران دعوة « نصرانية » لهم جميعاً؛ وهذا ما يجزم « بنصرانية » محمد نفسه والقرآن.

•

الوثيقة الثانية والعشرون : من سورة الانبياء (٢١ / ٧٣)

« أم اتّخذوا من دونه آلهة ! — قلْ : هاتوا برهانكم !
هذا ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي !
بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ٢٤
وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً ! سبحانه ! بل عباد مُكرمون ٢٦
لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون ٢٧
. . . والتي أحصنت فرجها، فنفخنا فيها،
من روحنا وجعلناها، وابنها، آية للعالمين ٩١

إنّ هذه أمتكم ، **أمة واحدة** ، وأنا ربكم فاعبـــدون ٩٢

ولقد كتبنا في الزبور ، بعد الذكر ، ان الارض يرثها عبادي الصالحون !

ان في هذا **لبلاغاً** لقوم عابدين ! وما أرسلناك إلا رحمـــة للعالمين !

١٠٥ — ١٠٦ — ١٠٧

قلْ : إنمـــا يُوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد : فهل انتم مسلمون ؟ ١٠٨

فإن تولّوا ، فقلْ : آذنتكم على سواء !

وإنْ أدري أقريب ، أم بعيد ، ما توعدون » ١٠٩

في هذه الوثيقة ، الاعلان لاول مرة عـــن « الامة الواحدة » التي تقوم بالدعوة القرانية للاسلام « النصراني » الذي يؤمن بمريم وابنهـــا اية للعالمين (٩١ — ٩٢) .

التصريح الاول في ماهية الشرك العربي ، على عهد القرآن . يتهمهم بأنهم « اتخذوا من دونه الهة » (٢٤) . فأجابوا « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً » ! فيجيب : « سبحانه ، بل عباد مكرمون » (٢٦) . فلا يقوم الشرك العربي على تعدد الآلهة كما في الوثنية ؛ فالعرب المشركون كانوا على زمن محمد موحّدين ؛ انما كانوا يقولون بتربيب الملائكة واعتبارهم اولاد الله على الاتخاذ . وهذه العقيدة العربية هي العقيدة اليهودية التي حرمتها المسيحية قبل الاسلام ، في مجمع اللاذقية . وتربيب الملائكة ، **على سبيل الاتخاذ** ، لا ينقض التوحيد ، انما هو شبهة عليه . والقرآن يرد ذلك بالعقل : « قل : هاتوا برهانكم » ؛ وبالنقل : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (٢٤) ؛ وبالواقع الملائكي : « بـــل عباد مكرمون » (٦) ويفصّل عبوديتهم لله ، وشفاعتهم لديه بإذنه .

التصريح الثاني هو الاعلان عن « **الامة الواحدة** » (٩٢) ، التي يجمعها ذكر واحد : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (٢٤) وايمان واحد « بالتي أحصنت

فرجها، فنفخنا فيها، وجعلناها وابنها آية للعالمين» (٩١). وأهل هذا الايمان ليسوا اليهود الذين يكفرون بعيسى وامه؛ وليسوا المسيحيين الذين لا يجمعون في ذكر واحد التوراة والانجيل والقرآن؛ انما هم النصارى من بني اسرائيل، ومن تنصر معهم من العرب قبل القرآن، ثم «الذين آمنوا» مع محمد بالدعوة القرآنية. فالامة الواحدة التي يعلن عنها هي جماعة محمد و «النصارى»، الذين تسميهم السورة السابقة «المسلمين» (النحل ١٠٢). هذه الامة الواحدة هي التي تقوم بالدعوة القرآنية، برئاسة محمد: **فالقرآن العربي دعوة «نصرانية»، والنبي العربي داعية «نصراني»**؛ فالقرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً (الشورى ١٣)؛ وأهل هذه «الامة الواحدة» يؤمنون «بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم: لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (البقرة ١٣٦؛ آل عمران ٨٥). هذا هــــو الاسلام «النصراني» بعينه: «فهل أنتم مسلمون»؟ (١٠٨).

التصريح الثالث هو **البلاغ** الذي تطلقه السورة الى «الاحـــزاب» من المشركين واليهود: **ان ارض العرب هي لهذه الامة الواحدة**، لا لغيرها، بناء على حكم التوراة (الذكر) وحكم الزبور «بأن الارض يرثها عبادي الصالحون: ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين» (١٠٥ – ١٠٦) — هذا الاستشهاد يدل على ان محمداً «درس» تفاصيل ودقائق التوراة والمزامير، الذكر والزبور — وهذا البلاغ، الذي يعلن بأن ارض العرب هي لاهل الاسلام «النصراني» القرآني، يطلق ايضاً **الانذار الصريح** لاحزاب المشركين واليهود الذين يتولون عن الدعوة القرآنية للاسلام «النصراني»: «فإن تولوا، فقـــل: **آذنتكم على سواء**»! (١٠٩). لكنه لا يدري الآن «أقريب أم بعيد ما توعدون» (١٠٩). لقد سلّط الوعيد عليهم، مع مجال لقبول الدعوة لانه «ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (١٠٧) اي الاحزاب المعارضة من المشركين واليهود.

●

الوثيقة الثالثة والعشرون: من سورة «المؤمنون» (٢٣ / ٢٣)

«ولقد آتينا موسى الكتاب، لعلّهم يهتدون ٥٠
وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما الى ربوة، ذات قرار ومعين ٥١
يا ايها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً، اني بما تعلمون عليم ٥٢
وان هذه أمتكم، أمة واحدة وانا ربكم، فاتقون ٥٣
فقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ٥٤
فذرهم في غمرتهم حتى حين! ٥٥
أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون! ٥٦ — ٥٧
إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ٥٨—٥٩
والذين هم بربهم لا يشركون ٦٠
والذين يُؤتون ما أتوا، وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ٦١
أولئك يُسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» ٦٢

هذا الفصل توكيد **لاعلان الامة الواحدة** في الدعوة القرآنية، مع تحذير مكرّر لليهود «حتى حين»، وتقرير لحال «النصارى» وانفاقهم في سبيل الدعوة.

في تصريح اول يؤكد اعلان الامة الواحدة: ان الدين واحد، والكتاب واحد من موسى الى ابن مريم؛ والامة التي تؤمن بهما ديناً واحداً وكتاباً واحداً هي «الامة الواحدة»، وهذه هي «النصرانية» التي ينادي بها القرآن، من دون اليهودية والمسيحية (٥٠ — ٥٣).

وفي تصريح ثان يشهد بأن اليهود «قطّعوا أمرهم بينهم زبراً» (٥٤)، يؤمنون ببعض (التوراة) ويكفرون ببعض (الانجيل)؛ «كل حزب — من

أهل الكتاب ـ بما لديهم فرحون» (٥٤) . ويأتي الوعيد والتهديد: «فذرهم في غمرتهم حتى حين» (٥٥)؛ ثم يأتي التقرير: «أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات»؟ مع التدبير: «بل لا يشعرون» (٥٦ — ٥٧). وفي هذا استدراك لما اعلنه في السورة السابقة: «ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين» (الانبياء ١٥).

وفي تصريح ثالث يظهر فضل «النصارى»، في الامة الواحدة، على الدعوة القرآنية: ان أهل «الامة الواحدة» هم «الذين من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون» (٥٨ — ٦٠). انهم الذين يقول فيهم: «انما يخشى الله من عباده العلماء» اي «الذين يعلمون»، اي النصارى من بني اسرائيل. وفضلهم في انفاقهم بسبيل الدعوة القرآنية: «يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون» (٦١).

فتلك «الامة الواحدة» التي يكرّر اعلانها هي جماعة محمد مع النصارى من بني اسرائيل، ومن تنصّر معهم من العرب، تميزهم عن أهل الكتاب من يهود ومسيحيين عقيدتهم ان «ابن مريم وأمه آية»، وايمانهم بالدعوة القرآنية مع الانفاق في سبيلها. وبهذه الامة الواحدة يتوعد «الاحزاب» من يهود ومشركين.

•

الوثيقة الرابعة والعشرون: من سورة العنكبوت (٢٩ / ٢٩)

«ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ٢٧

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم —
وقولوا: آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون ٤٦

وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به؛ ومن هؤلاء مَن يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ٤٧

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك، اذا لارتاب المبطلون! بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم! وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون»
٤٨ — ٤٩

في هذه السورة — وهي قد تكون آخر ما نزل بمكة قبل الهجرة (٢٦) — فصل الخطاب في « نصرانية » محمد ، و « نصرانية » القرآن .

في **تصريح اول** يعلن ان «النبوة والكتاب» هما في ذرية ابراهيم، من اسحاق ويعقوب (٢٧)، اي عند بني اسرائيل؛ لا في ولد اسماعيل من العرب المستعربة. ومحمد ينتمي الى « النبوة والكتاب » عند بني اسرائيل المقسطين المحسنين اي النصارى ، لا الظالمين اي اليهود .

وفي **تصريح ثان** ، يكشف الاول ، يعلن ان الجدال مع أهل الكتاب على نوعين : بالحسنى مع المحسنين ؛ وبالسيف مع الظالمين . فإن صح جدال اليهود الظالمين بالقوه؛ فلا يصح جدال النصارى من بني اسرائيل «إلا بالتي هي أحسن»؛ **وهذه الحسنى هي الامر بالقول معهم**: ان الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد (٤٦). ولا ننس انه يقصد بأهل الكتاب في مكة بني اسرائيل من يهود ونصارى: «ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦) ، وهذا « الاكثر » هو المسيح والانجيل . فبإيمانه بالمسيح والانجيل واعتناقه العقيدة « النصرانية » بوحدة الاله ، ووحدة التنزيل ، ووحدة الاسلام « النصراني » القرآني ، **فصل الخطاب** في « نصرانية » محمد ، وفي « نصرانية » القرآن .

وفي **تصريح ثالث**، يظهر أيضاً «**نصرانية**» **القرآن نفسه**، بحرفه، بعد عقيدته. فهو يميز، في جماعته، بين «المتقين» من العرب، وبين «الذين أوتوا العلم» من النصارى. وقوله: «**فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به**» (٤٧) مطلق لا يصح في أهل الكتاب كلهم، إنما المقصود به التخصيص بالنصارى من بني اسرائيل، لا باليهود «أول كافر به». وقوله: ومن هؤلاء من يؤمن به» (٤٧) اي بعض العرب المشركين الذين بإيمانهم صاروا «متقين». وهذا شاهد آخر على تلك «الامة الواحدة» التي قامت من جماعة محمد والنصارى والمتنصرين، كما اعلنت عنها سورتا (الانبياء والمؤمنون). هذا برهان «نصرانية» أمّته.

وبرهان «نصرانية» القرآن قوله: «**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**» (٤٩)؛ وهو أصرح من قوله: «أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧)؛ وهو مثل قوله: «**يعرفونه كما يعرفون ابناءهم**» (الانعام ٢٠؛ البقرة ١٤٦). فهذا التأكيد المتواتر على صلة القرآن العربي «بالذين أوتوا العلم»، النصارى من بني اسرائيل، الذين «جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا»، «وانك لتهدى الى صراط مستقيم» — هو تصريح عن صلة القرآن العربي المصدرية بهم: «يعرفونه كما يعرفون ابناءهم» معرفة الوالد لولده؛ «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم»، فكيف تكون آياته بينات في صدورهم، لولا معرفتهم المصدرية له، بحسب قوله: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠). فالقرآن العربي «تفصيل الكتاب» اي تعريب هذا «المثل» الاسرائيلي «النصراني».

أجل «ما كنت تتلو **من قبله** من كتاب، ولا تخطه بيمينك» (٤٩) قبل هدايته الى الايمان بالكتاب (الشورى ٥٢). لكن بعد هدايته «درس» الكتاب (الانعام ١٠٥)، وكان يستعلي على العرب المشركين بدراسته (٦٨: ٣٧؛ ٣٤: ٤٤) لانه ناب عنهم بدرسه لهم (٦: ١٥٦)، وجاء «يعلمهم الكتاب والحكمة» بالقرآن العربي. والدرس والتعليم لا يقتضيان التلاوة والكتابة في

جاهلية العرب ؛ لكنها في جوار ورقة بن نوفل ، قس مكة ؛ وفي كنف خديجة تاجرة مكة ، يفترضانها . فبعد أمر الرؤيا بغار حراء صار يخط الكتاب ويتلوه عليهم. وهذا التعاون بين محمد و«النصارى» في الدعوة القرآنية، «أمةً واحدة» دليل « نصرانية » القرآن ، وبرهان « نصرانية » محمد .

* * *

خاتمة البحث : « الوحدة التامة » بين « النصرانية» والدعوة القرآنية

١ – ما بين محمد وأهل الكتاب ، وما بين القرآن والكتاب ، على العموم انتساب ونسب صريحان ، يصفهما الاستاذ دروزة[1] بقوله :

« ويضاف الى ما أوردناه **من مفردات** في كل منها صورة غير الاخرى ، ما في توالي وروده في القرآن المكي **من قصص انبياء** اهل الكتاب ، واحوالهم الخاصة ، وسيرة اقوالهم معهم ، في سور (الفجر والقمر وق وص والاعراف ويس ومريم وطه والشعراء والنحل والقصص ويونس وهود ويوسف والحجر والانعام والصافات وسبأ وغافر والزخرف والدخان والذاريات ونوح وابراهيم والانبياء والمؤمنون) مما يتطابق قليلاً أو كثيراً مــــع ما ورد في كتب اهل الكتاب ، وما فيها من ثناء على هؤلاء الانبياء ، ودعوة للتأسي بهم واحترامهم ، مما يتضمّن معنى **التساوق والاتحاد والتطابق** بين القرآن والكتب السماوية ، وبالتالي بين الاسلام وأهل الكتاب .

« وهكذا فإن القرآن ، منذ الوقت المبكر من العهد المكي ، أكّد وظل يؤكد طيلة العهد ، وفي مختلف ادوار التنزيل : **وحدة المصدر الذي** صدر عنه القرآن والكتب السماوية؛ **ووحدة الاهداف والمبادئ** التي تضمنها القرآن وتلك الكتب ؛ **وتأييد القرآن والنبي** ص للأنبياء السابقين والكتب السابقة ، والتنويه

(١) سيرة الرسول ١ : ٣٠٤ – ٣٠٥ .

بهم . وانه **استشهد** ، وظل يستشهد على صحة الرسالة النبوية والتنزيل القرآني ، بأسلوب يلهم استعدادهم للشهادة الايجابية والثقة بهم والاعتماد عليهم كما يلهم طبيعة وتوقع استجابتهم للدعوة المحمدية القرآنية ، **واندماجهم فيهـا ونصرها وتأييدها** ...

« ونعتقد ان النبي ص قد ألهم هذا الموقف **قبل نبوته ايضاً** ، إذ كان بينه وبين بعض الكتابيين في مكة — على ما استلهمناه في فصل (شخصية النبي ص) — صلة ودّ ومبادلة عطف وتصديق . وان هذا من اسباب هذا الموقف الودي المتبادل . هـذا الى ما احتواه القرآن من تصديق وتأييد وتنويه بكتبهم ، واستشهاد بهم ، واعتماد عليهم ، **وتلقين بالوحدة التامة بينهم**» — وهذه « الوحدة التامة بينهم » تقضي على **خرافة التحريف** في التوراة والانجيل .

لكن هذه « الوحدة التامة بينهم » لم تكن مع جميع اهل الكتاب ، وليس مع اليهود ، « اول كافر به » بنوع خاص . وبما « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) ؛ فإن « **الوحدة التامة** » **كانت بين محمد والنصارى من بني اسرائيل** . وهذه « الوحدة التامة بينهم » هي البرهان على « تنصر » محمد ، وعلى « تنصر » الدعوة القرآنية . وما يقوله الاستاذ دروزة هو تفصيل لهذا البرهان .

٢ — وتلك « الوحدة التامة بينهم » لم تقتصر على ما يقوله الاستاذ دروزة انما كانت وحدة في العقيدة ، عقيدة التوحيد ، وعقيدة المسيح ؛ ووحـدة في الدعوة لله وللمسيح ؛ ووحدة في « الامة الواحدة » ، ووحدة في القرآن نفسه .

الوحدة في العقيدة تظهر من الامر : « وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) : وحدة الاله ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام .

الوحدة في الدعوة تتجلى من استشهاد النبي بهم ، ومن شهادتهم له ؛ فهكذا ختم الدعوة بمكة : « قل : كفى بالله شهيداً ... ومن عنده علم الكتاب » (الرعد

٤٥) . وتظهر من ثناء القرآن عليهم لانفاقهم في سبيل الدعوة ، ويكفي انفاق السيدة خديجة ، ثرية مكة ، وابنة عم ورقة بن نوفل ، قس مكة .

وتلكما الوحدتين في العقيدة وفي الدعوة تقومان بنوع خاص على **الوحدة** في **« الامة الواحدة »** كما يعلن ذلك في (الانبياء ٩١ والمؤمنون ٥٢) . ووحدة الامة بين محمد والنصارى من بني اسرائيل والمتنصرين معهم من العرب من قبله لا تقوم إلا في وحدة العقيدة ووحدة الدعوة .

وتلك الوحدات الثلاث القائمة بين محمد و « النصارى » لا تقوم **إلا بوحدة الكتاب المنزل** . وأي خلاف في وحدة الكتاب ، يجر الى خلاف في وحدة الأمة والعقيدة والدعوة . وبما ان هذه الوحدات قائمة بينهم ، فوحدة الكتاب أيضاً قائمة . هذا ما يعلنه في مطلع بعض السور : « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (النمل ، والحجر) ؛ « تلـــك آيات الكتاب المبين : إنا أنزلناه قرآناً عربياً » (يوسف) ؛ والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآناً عربياً » (الزخرف) . قد يقال: هذا يدل على وحدة الموضوع ! لكن في **وحدة الحرف** يقول : « تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً » (فصلت) ؛ اي « كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ؛ اي ان القرآن العربي هو « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) . وقد يقال ان الواقع المشاهد بين التوراة والانجيل والقرآن لا يشهد بوحدة من هذا كله . فالجواب في قوله : « **وقد شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله** » (الاحقاف ١٠) : فإن « مثل » القرآن العربي كان عند النصارى من بني اسرائيل ، وقام « حكيم خبير » بتفصيله الى العربية . وهذه هي الشهادة على وحدة الكتاب بالموضوع والحرف .

وهذه الوحدة الرباعية في الكتاب والأمة والدعوة والعقيدة ، برهان قاطع على « **نصرانية** » **محمد** ، وعلى « **نصرانية** » **القرآن** .

تلك هي بعض الوثائق القرآنية في انضمام محمـــد الى « النصارى » والدعوة بدعوتهم ، بالقرآن العربي .

***

بحث ثان

الوثائق الملكية لقيام «النصارى» مع محمد بالدعوة القرآنية

توطئة : « النصارى » هم « إمام المتقين » في الدعوة القرآنية

إن وحدة « النصرانية » والدعـــوة القرآنية في الكتاب والعقيدة والامة والدعوة — بمكة — ليست فقط دليلاً على « نصرانية » محمد، وعلى « نصرانية » القرآن ؛ انما هي أيضاً برهان قاطع على **اسلام النصارى** من بني اسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب كورقة بن نوفل، قس مكة، والسيدة خديجة زوج محمد وثرية مكة الاولى؛ وعلى **قيامهم بالدعوة القرآنية مع محمد**. هذا ما يظهر من اعلان « الامة الواحـــدة » (الانبياء ٩١، المؤمنون ٥٢) حيث « النصارى » يطلبون الى الله : « واجعلنا للمتقين إماماً » (الفرقان ٧٤). فإمامة « النصارى»، عباد الرحمان، في لغة القرآن، للمتقين من العرب لا تقوم إلا بالوحدة الرباعية في الكتاب والعقيدة والامة والدعوة.

فإسلام « النصارى » أو « تنصّر » محمد والقرآن يعنيان **تعريب «النصرانية» بالدعوة القرآنية**. وهو يقوم على الدعوة الواحدة للايمان بالتوراة والانجيل معاً، والايمان بموسى وعيسى معاً، ديناً واحداً يشرعه الله للعرب (الشورى ١٣).

فقد تبنّى « النصارى » بمكة الدعوة القرآنية التي ترأسها محمد بعد وفاة قس مكة، ورقة. واذا ظلّ ذلك مستوراً في مكة، ولم يتّضح إلا في المدينة بإعلان الحرب على اليهود وتصفيتهم من الحجاز، فإنما كان ذلك دبلوماسية بارعة اقتضتها ظروف أمّ القرى : « وقالوا : إن نتّبع الهدى معك نُتخطّف مـــن أرضنا » (القصص ٥٧) . فإن تنصر العرب كان دليلاً على ولائهم للروم، كما كان اليهود عملاء الفرس بين العرب والروم. ولكن لما تمّ فتح مكة، وانتهى جلاء اليهود

عن الحجاز ، برح الخفاء واعلن القرآن ظهور « النصرانية » على اليهودية والشرك العربي الذي يدعمها في « الاحـــزاب » المعارضة (الصف ١٤) ؛ وأعلن وحدة الاسلام القرآني و « النصرانية » : « هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا » القرآن (الحج ٧٨).

ندرس الآن الوثائق القرآنية المكية على تبنّي «النصارى» للدعوة القرآنية: فنرى فيها انضمامهم الى الدعوة وتبنّيها واسلامهم .

•

الوثيقة الاولى : من سورة الاعراف (٧ / ٣٩)

« واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ، وفي الآخرة : أنّا هدْنا اليـــك !
قال : عذابي أصيب بـــه من أشاء ورحمـــتي وسعت كل شيء !
فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون ! ١٥٥

الذين تتبعـــون الرسول ، النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل
يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ، ويحرّم عليهم الخبائث ،
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
فالذين آمنوا بـــه وعزّروه ونصروه
واتبعوا النور الذي أنزل معه ، اولئك هم المفلحون ١٥٦

قل : يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً ،
الذي له ملكوت السماوات والارض، لا إله إلا هو، يحيي ويميت
فآمنـــوا بالله ورسوله ، النبي الأمي ،
الذي يؤمن بالله وكلمته ، واتبعوه لعلكم تفلحون ١٥٧

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون » ١٥٨

هذا الفصل ، الذي يقطع قصة موسى مع ربه وقومه (١٥٤ و ١٥٩) ، ولا

يمت اليها بصلة ، فهو مقحم عليها من زمن آخر ، ربما من المدينة ، هو في ترتيب النزول الحالي الوثيقة الاولى الصريحة على نصرة النصارى ، الامة الهادية من قوم موسى (١٥٨) التي آمنت « بالله وكلمته » ، للنبي الامي والدعوة القرآنية .

فلا تظهر هوية « الذين يتبعون الرسول ، النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » ، « الذين آمنوا به وعزروه ونصروه » ، الذين آمنوا بدعوته « لله وكلمته » ، إلا في آخر الفصل : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (١٥٨) . فهذه الامة من قوم موسى هي الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح بدعوة رسله الحواريين (الصف ١٤) ، اي « النصارى » الذين كانوا أنصار عيسى ، وهم اليوم بمكة أنصار محمد . وتظهر هويتهم من قوميتهم ، فهم « من قوم موسى أمة » ؛ ومن عقيدتهم وايمانهم بالتوراة والانجيل معاً ، وايمانهم مع محمد « بالله وكلمته » اي المسيح .

وفي التلاوة شبهة : فالنص يرادف بين « الذين يتقون » (١٥٥) — وهو كناية متواترة عن « الذين آمنوا » من العرب — وبين « الذين يتبعون الرسول ، النبي الامي ، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » (١٥٦) ، وهم فريق آخر ؛ لأن جماعة محمد من « الذين يتقون » ليس « عندهم التوراة والانجيل » . فالحرف يدل على فريق واحد ، والمعنى على فريقين . لذلك يجب اضافة حرف العطف على « الذين يتبعون الرسول » فنقرأ : « والذين » ؛ فتظهر الامة الواحدة من الفريقين .

لقد صرّح : « إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) . وهنا يظهر هذا « الاكثر الذي هم فيه يختلفون » : انه الايمان « بالله وكلمته » ، واتّباع « النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » اي الايمان بالمسيح وبمحمد . وبهذا الايمان الثنائي يفترق النصارى من بني اسرائيل ، الامة من قوم موسى ، عن اليهود — وعن المسيحيين . فالقرآن يعلن موقفه من الخلاف بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل .

كان اليهود يحصرون الهدى فيهم ، حتى اشتقوا الهدى من اسمهم ، واشتقوا اسمهم منه: «هدْنا اليك». ويطلبون بكبرياء الى الله ان يكتب لهم ذلك حسنة عنده في الدنيا والآخرة. فيردّ القرآن عليهم بأن الحسنة في الايمان والهدى ليست لليهود ، بل للذين يتقون » و « للذين يتبعون الرسول ، النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » (١٥٦) . وهذا القيد « مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » يحصر الهدى في «النصرانية»، عند النصارى من بني اسرائيل الذين يؤمنون بالتوراة والانجيل معاً ؛ لذلك فهم « من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون » (١٥٨) .

فالنصارى من بني اسرائيل هم « الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه » (١٥٦) ؛ **فهم انصار الدعوة القرآنية منذ مبعثها** . وفعل « نصروه » مشتق من اسم « نصارى » الآرامي ، و « انصار » العربي، مثل « هدنا » من اسم « يهود » أو « هود » . هذا ما يشهد به قوله : «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى، ابن مريم : من أنصاري الى الله؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ». فالحواريون ومن تابعهم هم « أنصار الله »، اي « النصارى ». وهذا كان فعلهم مع محمد، فهم « الذين آمنوا به ونصروه ».

لذلك فكل انتساب وكل استشهاد ، في القرآن، بأهل الكتاب ، مطلقاً، هو استشهاد وانتساب الى « النصارى » على التخصيص ؛ وكل تأييد من أهل الكتاب للدعوة القرآنية ، مطلقاً ، هو نصرة من « النصارى » لمحمد والدعوة القرآنية على التخصيص .

وهذا الفصل من السورة يورد ثلاث دلائل على ان الامة التي تناصر محمداً في الدعوة القرآنية هي « النصرانية » .

الدليل الاول ايمانهم بأن «النبي الامي مكتوب عندهم في التوراة والانجيل»؛ وهذا برهان على ايمان « النصارى » بمحمد .

الدليل الثاني ايمانهم بأنه « يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم » في التوراة. وهذا ما جاء على لسان زعيم الرسل الحواريين، بطرس، في مجمع أورشليم: « فالآن لماذا تجرّبون الرب، بوضعكم على رقاب التلاميذ إصراً لم يستطع آباؤنا، ولا نحن، أن نحمله » (سفر الاعمال ١٥ : ١٠).

والدليل الثالث هو نداء النبي الامي في الناس جميعاً بإيمانه « بالله وكلمته » السيد المسيح. وقراءة « كلمته » أصح من « كلماته » التي لا تميز ايمان محمد « بالله وكلماته » عن أحدٍ من أهل الكتاب. أما ايمانه « بالله وكلمته » فهو يميزه عن اليهود، وهو موضوع موقفه منهم في الحسنة التي يكتبها الله لاهل الايمان. وهو اعلان بوحدة الامة والعقيدة بين محمد و « النصارى » الذين يؤمنون جميعاً « بالله وكلمته »، السيد المسيح.

ويأتي القول الفصل في ختام هذا الفصل، بقوله: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (١٥٨): فهم «الذين يتبعون الرسول، النبي الامي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » (١٥٦). انهم « النصارى» اي « طائفة من بني اسرائيل» آمنت بالمسيح (الصف ١٤).

فهؤلاء « النصارى » هم انصار محمد بمكة في الدعوة القرانية: «آمنوا به وعزّروه ونصروه ». فالدعوة دعوتهم، واسلام القرآن اسلامهم، ومحمد نبيهم وزعيمهم في دعوة الناس جميعاً الى الايمان « بالله وكلمته ».

•

الوثيقة الثانية: من سورة الفرقان (٢٥ / ٤٣)

وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاما ٦٣

والذين يبيتون لربهم سُجّداً وقياما . . . ٦٤
والذين لا يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مروا كراما ٧٢

والذين اذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمًّا وعميانا ٧٣
والذين يقولون : ربنا هبْ لنا من ازواجنا
وذرّياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما » ٧٤

لقد سبق لنا تعليق على هذا الفصل . نزيد هنا ان فصل « عباد الرحمان » يجعلهم **إمام المتقين** من العرب (٧٤) ؛ وقد جعلهم فصل (الاعراف) الانصار في مكة للدعوة القرآنية .

لا شك ان صفة « عباد الرحمان » كناية عن « النصارى » . أولاً من اسمهم : فالدعوة لله باسم « الرحمان » دعـــوة كتابية ، انجيلية ، لاجتماع اسم الرحمان والمسيح في النقوش الجاهلية ؛ وصفة « العباد » كانت تطلق في الحيرة على جماعة من النصارى ، مثل عدي . ثانياً في صفتهم بالاختصاص في قيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله ، من دون اليهود والعرب وجماعة محمد ، فإن قيام الليل كان « نافلة » له وحده من دون جماعته؛ وقوله : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً (٦٤) هو مثل قوله : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» (آل عمران ١١٣). فاسمهم وصفتهم يدلان عليهم.

قد يقول معترض : بل هم المسلمون ، الذين لا يدعون مع الله الهاً آخر » (٦٨) كما « قالت النصارى : المسيح ابن الله » (التـــوبة ٣٣). وفاتهم ان « النصارى » في آية (التوبة ٣٣) هم المسيحيون في مشارف الشام في فرقهم الثلاث ، وسُنّة المسيحيين من الأميين هم غير شيعة النصارى من بني اسرائيل قومياً وعقيدة : فالمسيحيون يؤمنون ان « المسيح ابن الله » ؛ لكن النصارى من بني اسرائيل كان اللقب عندهم مجازاً ، وهذا هو الفارق الكبير في العقيدة بين شيعتهم وأهل السُنّة المسيحيين . وفاتهم ايضاً بأن جعْل عباد الرحمان جماعة محمد يخلق تعارضاً بين اسمهم وصفتهم « واجعلنـــا للمتقين إماماً» فيكون المتقون إمام المتقين !

إن عباد الرحمان هم « النصارى » ، وهم يشهدون على أنفسهم بدعائهم : « واجعلنا للمتقين اماماً » (٧٤) . **فالنصارى هم إمام المتقين من العرب مع محمد** ؛ وهذا برهان وتحديد « للأمة الواحدة » ؛ وهو برهان على **إمامة النصارى للدعوة القرآنية** : فهم قادتها بزعامة محمد. وهذه شهادة من مكة. **فهم على اساس الدعوة القرآنية.** لذلك يأتي محمداً الامر بأن يقتدي بهداهم (الأنعام ٩٠) ؛ وأن يطمئن عند الشك من نفسه ومن أمره لديهم (يونس ٩٤) ؛ وان لا يكون في مرية من اتصاله بالكتاب بواسطتهم لان الله « جعلهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة ٢٣) . ولذلك ايضاً فهم «يعرفونه كما يعرفون ابناءهم» (الانعام ٢٠)؛ بل القرآن نفسه «هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم» (العنكبوت ٤٩) اي « النصارى » على التخصيص .

« فالنصارى » هم **إمام** الدعوة القرآنيــــة لدى « المتقين » من العرب (الفرقان ٧٤) ، كما هم **انصارها** منذ البدء (الاعراف ١٥٦) .

●

الوثيقة الثالثة : من سورة النمل (٢٧ / ٤٧)

«إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون... ٧٦

إنما أُمرتُ ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها ،

وله كل شيء ؛ وأمرت ان اكون من المسلمين ٩١

وأن اتلو القرآن : فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ؛

ومَن ضلّ ، فقلْ : انما انا من المنذرين» ٩٢

للدعوة القرآنية **غايتان:** الاولى هي شرع دين موسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفريق للعرب (الشورى ١٣) ؛ وهذه هي « النصرانية » عينها التي تقوم على على إقامة التوراة والانجيل معاً كتاباً واحداً (المائدة ٧١) ؛ والثانية نراها في

هذه السورة : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (٧٦) ، فهو حوار مع بني اسرائيل من يهود ونصارى في خلافهم الأكبر، الايمان بالمسيح والانجيل. من هذا الهدف الثاني المحصور بأهل الكتاب نرى أنه لا يقصد المسيحيين من الاميين ، بل يقتصر على النصارى من بني اسرائيل ؛ فهو يدخل لصالحهم (الصف ١٤) في خلافهم مع اليهود .

لذلك عندما يقول : « **وأمرت ان اكون من المسلمين** » (٩١) فهو يقصد بهم النصارى من بني اسرائيل — لا اليهود، ولا المسيحيين . وهذا اعلان صريح بانضمام محمد الى « النصارى » والمتنصرين معهم من العرب كأستاذه ورقة بن نوفل قس مكة . فالاسلام والمسلمون موجودون قبل محمد والقرآن (الحج ٧٨) : فلم يأت محمد والقرآن بجديد ، إنما تبنى محمد والقرآن الدعوة « النصرانية » لكي يشرعها للعرب (الشورى ١٣) .

وبانضمام محمد الى « النصارى » المسلمين ، أخذ يتلو معهم « القرآن » : « وأمرت ... **وان اتلو القرآن** » (٩٢) . هذا « القرآن » هو القرآن الكتابي ، قبل ان يكون القرآن العربي ، بدليل قوله في مطلع السورة : « تلك آيات القرآن ، وكتاب مبين » (١ — ٢) . فالقرآن العربي ، بنصه القاطع ، هو « كتاب مبين » للقرآن العظيم الموجود قبله ، كما « شهد شاهد من بني اسرائيل (النصارى) على مثله » (الاحقاف ١٠) .

فتلاوة « القرآن » النصراني على العرب بالدعوة القرآنية يقوم بها محمد بناء على أمر واحد بالانضمام الى « المسلمين » النصارى وتلاوة « القرآن » معهم على العرب . وهذه هي الشهادة بأن الدعوة القرآنية هي « النصرانية » ، **وان « النصارى » يقومون بها مع محمد .**

فما الدعوة القرآنية سوى تعريب الدعوة « النصرانية » ، كما يظهر من قوله : « انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ... وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » (٩١ — ٩٢) . فرب مكة لم يكن قبل النصارى المسلمين إله

التوحيد، ولكن بدعوتهم قبل محمد صار اله الكعبة، رب هذه البلدة، اله التوحيد، الذي أمر محمد ان يعبده بتنصّره مع المسلمين النصارى. فإسلام القرآن العربي هو تعريب الاسلام «النصراني» الذي أمر محمد ان يتلوه على العرب.

هذا التصريح (النمل ٩١ — ٩٢) **هو القاعدة الاساسية لفهم القرآن كله**

●

الوثيقة الرابعة: من سورة القصص (٢٨ / ٤٩)

«الذين آتيناهم الكتاب من قبله، هم به يؤمنون
واذا يتلى عليكم قالوا: آمنا به، انه الحق من ربنا: إنّا كنّا من قبله مسلمين ٥٣
أولئك يؤتون أجرهم مرتين، بما صبروا،
ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ٥٤
واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا:
لنا أعمالنا، ولكم أعمالكم سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين» ٥٥

هذه الوثيقة القرآنية شهادة قاطعة على ان النصارى من بني اسرائيل مع المتنصرين من العرب قبل محمد والقرآن كانوا المسلمين الذين أمر محمد بأن ينضم اليهم ويدعوهم بدعوتهم (النمل ٩١ — ٩٢). يأتي التعبير «الذين آتيناهم الكتاب» بصيغة المطلق، وهو يقصد التخصيص، لان جميع أهل الكتاب، وعلى رأسهم اليهود لم يكونوا «به يؤمنون». فالذين يعلنون: «**إنا كنا من** قبله مسلمين» (٥٣) هم وجدهم «النصارى».

وصفتهم في (القصص ٥٣ — ٥٥) مثل صفتهم في (الفرقان ٦٣ — ٧٤): وهذه شهادة على ان «عباد الرحمان»، وان «المسلمين من قبله» هم «النصارى»: فهم إمام المتقين في الدعوة القرآنية، لانهم مسلمون بإسلام القرآن، من قبل محمد والقرآن. بذلك يستعلون على أهل القرآن الجدد بقولهم: إنا كنا من قبله مسلمين».

والقرآن العربي يشهد لهم بهذا الاستعلاء الحق ، بقوله : «أولئك يؤتون أجرهم مرتين» (٥٤) ؛ مرة أولى بإسلامهم مع المسيح والانجيل ؛ ومرة ثانية بإسلامهم الواحد مع محمد والقرآن . وهـــذا برهان آخر على وحدة الدعوة القرآنية و « النصرانية » .

والشهادة تظهر دورهم في الدعوة القرآنية : اعـــلان ايمانهم بالقرآن العربي (٥٣) ؛ وصبرهم على أذى المشركين في الشهادة للدعوة (٥٤) ؛ والانفاق في سبيلها (٥٤) — يكفي انفاق خديجة عن الجميع ! — وهذه الشهادة برهان قاطع على ان « النصارى » يقومون بالدعوة القرآنية بزعامة محمد .

قال دروزة في (سيرة الرسول ١ : ٣٠٥) : « قـــد تضمنت خبر ايمان الكتابيين بالقرآن، وحكاية أقوالهم عن ايمانهم به، وتصديقهم بأنه الحق من ربهم . كما تضمنت خبر تعرّضهم للوم المشركين ، وبالأحرى لزعمائهم ... الذين لا بدّ من أنهم قدّروا **خطورة تصديق أهل الكتاب** بالرسالة المحمدية والتنزيل القرآني — ولهم ما لهم من أثر في أذهان العرب ، واعتماد عليهم وثقة بهم ... **والآيات تحكي أمراً واقعاً قبل نزولها** ؛ ومعنى هذا ان الكتابيّين قد أخذوا يستجيبون للدعوة النبوية وينضمون اليها ، ويجهرون بتصديق النبوة والتنزيل القرآني منذ عهد مبكر » . بل الواقع : «وأمرت ان اكون من المسلمين » اي من النصارى .

وقد رأينا ان التعميم يراد به التخصيص . والشهادة لا تقول فقط بتصديق النصارى المسلمين للدعوة ، بل تنص عـــلى قيامهم بها بالشهادة لها والانفاق في سبيلها واحتمال الاذى لاجلها . **فهم أهل الدعوة القرآنية** ، بقيادة النبي العربي ، بعد وفاة استاذه ، ورقة بن نوفل ، قس مكة .

●

الوثيقة الخامسة : من سورة الاسراء (١٧ / ٥٠)

« قلْ : آمنوا بـــه ، او لا تؤمنوا

إِن الذين أُوتوا العلم من قبله، اذا يُتلى عليهم

يخرّون للأذقان سجّداً ، ويقولون : سبحان ربنا ، إنْ كان وعد ربنا لمفعولا ١٠٧
ويخرّون للأذقان يبكون ، ويزيدهم خشوعاً » ١٠٨

قال ايضاً دروزة في (سيرة الرسول ١ : ٣٠٦) : « في هذه الآيات وصف آخر لموقف الكتابيين من القرآن ، في خشوعهم ، وبكائهم من الخشية ، وسجودهم حينما كان يتلى عليهم ، إيماناً به ، وتصديقاً لما جاء فيه . ولقد جاءت الآيات في مقام التحدي للكفار ، والتقريع لهم ، معلنة ان جحودهم ومواقفهم لا قيمة لها ولا اعتبار ، ما دام الذين أوتوا العلم يقفون هذا **الموقف التشجيعي الخاشع ، ولموقفهم الاعتبار الاكبر والقيمة العظيمة** . وهذا يلهم ان هذه المواقف كانت مما يقع على مرأى أو علم من الكفار ، من جهة ؛ وانها كانت **من عوامل طمأنينة المسلمين** ووثوقهم ، **وقوة صمود الدعوة** واستعلائها ، من جهة أخرى . وسورة (الاسراء) هي أيضاً من السور التي نزلت مبكرة نوعاً ما ، والآيات تحكي مشهداً واقعاً قبل نزولها : وفي هذا توكيد لما قلناه ، من استجابة الكتابيين للدعوة منذ العهد المبكر » .

— لقد وهم الاستاذ « باستجابة الكتابيين » على الاطلاق للدعوة القرآنية . فالتعبير تعميم يراد به التخصيص : « إن الذين أوتوا العلم من قبله » يقصد به الذين قال فيهم : « إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النحل ٥٩) . وبنو اسرائيل يهود ونصارى ، واليهود كانوا « أول كافر به » : **فالمقصودون هم النصارى من بني اسرائيل** ، فهم « أولوا العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) من دون اليهود الظالمين (العنكبوت ٤٦) . انهم « الذين أوتوا العلم » على التخصيص ، وهذه صفتهم المتواترة التي تميزهم عن اليهود وعن جماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب ، بحسب قوله : « يرفع الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم ، درجات » (المجادلة ١١) : وتميزهم عن اليهود الظالمين ، وعن العرب المنافقين الذين في قلوبهم مرض ، وعن المشركين القاسية قلوبهم ، « وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فتخبت له قلوبهم ، وان الله لهاد الذين

آمنوا الى صراط مستقيم» (الحج ٥٣ — ٥٤) . «فالنصارى» هم المسلمون من قبله ، لذلك «يخرون للأذقان سجداً ... ويزيدهم خشوعاً» : **فهم أهل الاسلام وأهل الدعوة القرآنية للاسلام من قبل محمد والقرآن .**

فشهادتهم لمحمد والقرآن العربي تأخذ هنا موقف **المظاهرة الخاشعة** . وبسبب منزلتهم العظيمة لدى العرب ، «كانت من عوامل طمأنينة المسلمين ووثوقهم ، وقوة صمود الدعوة واستعلائها» . فهذه **وثيقة خطيرة** تشهد بقيام «النصارى» بالدعوة مع محمد ، وكان لدورهم فيها النصيب الوافر بنجاحها .

●

الوثيقة السادسة : من سورة يونس (١٠ / ٥١)

«وما كان هـــذا القرآن أن يُفترى من دون الله !
ولكن تصديق الذي بين يديـــه
وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه ، من رب العالمين ... ٣٧

وجاوزنا ببني اسرائيل البحرَ ؛ فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا
حتى اذا أدركه الغرق قال : آمنت ان لا إله
إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل ، وأنا من المسلمين ... ٩٠

فإن كنت في شك مماً أنزلنـــا اليك
فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك :
لقد جاءك الحق من ربك ، فلا تكوننَّ من الممترين ... ٩٤

قلْ : يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني
فـــلا اعبد الذين تعبدون من دون الله !
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ! وأمرتُ أن أكون من المؤمنين» ١٠٤

في **تصريح اول** يعلن بأن القرآن العربي «**تفصيل الكتاب**» (٣٧)، الكتاب «الذي بين يديه» اي قبله : **فهو دعوة كتابية ، لا دعوة جديدة** .

يؤيد ذلك تصريح **ثان**: «وأمرت أن أكون من المؤمنين» (١٠٤)، وهي مثل قوله: «وأمرت أن أكون من المسلمين» (النمل ٩٠) اي من أهل الكتاب المسلمين من قبله (القصص ٥٣)، وهم « النصارى » . **فالدعوة القرآنية كتابية « نصرانية »**، وبصفة أخرى « حنيفية » (١٠٦) . وكان « النصارى » يرادفون قبل القرآن بين الحنيفية والاسلام حتى الدعوة القرآنية، على ثلاثة مراحل من دعوتهم في مكة .

وهذا الاسلام الكتابي، « النصراني »، الحنيف هو الايمان بأنه « لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل » (٩٠) كما يصرح به فرعون قبل غرقه . وهذا التوحيد الاسرائيلي الخالص هـــو الذي يدعو اليه النصارى من بني اسرائيل، الذين آمنوا بعيسى والانجيل، وبمحمد والقران؛ لذلك كانت الدعوة القرانية « تأييداً » للنصرانية على اليهودية حتى الظهور المبين (الصف ١٤) .

فالايمان الحق هو ايمان «النصارى»؛ والاسلام الحق هو اسلام «النصارى»؛ والاله الحق هو « الذي آمنت بــــه بنو اسرائيل » من النصارى : فالدعوة القرآنية « نصرانية » .

وفي تصريح **ثالث** يحيله الى « الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » حين الشك « مما أنزلنا اليك » (٩٤) . **فالقرآن العربي هو قراءة عربية للكتاب** على مثال « الذين يقرؤن الكتاب من قبلك». فما على محمد ان يشك في ذلك، لان اساتذته يشهدون به . وهذه شهادة أخرى قاطعة عــــلى ان الدعوة القرآنية كتابية، « نصرانية »، لانه لا يحيله الى اليهود، «أول كافر به». وهذا دليل على ان هؤلاء النصارى يقومون بالدعوة القرآنية ليس فقط لدى العرب، بل لدى محمد نفسه، « فلا تكونن من الممترين » (٩٤) .

الوثيقة السابعة : من سورة هود (١١ / ٥٢)

« أفمن كان على بينة من ربه — ويتلوه
شاهد منه ، ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة —
أولئك يؤمنون به ، ومَن يكفر به
من الاحزاب ، فالنار موعده
فلا تك في مرية منه ، انه الحق من
ربك ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ! ١٧

فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك
ولا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير ١١٣
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تُنصرون ١١٤
فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية
ينهون عن الفساد في الارض إلا قليلا
ممن أنجينا منهم ، واتّبع الذين ظلموا
ما أترفوا فيه ، وكانوا مجرمين » ١١٧

في **تصريح اول** يقول : ان « من كان على بينة من ربه ... أولئك يؤمنون به » (١٧) . فسره البيضاوي : « أولئك يؤمنون به ، اشارة الى من كان على بينة ، فهم يؤمنون بالقرآن ... قيل : هم مؤمنو أهل الكتاب » اي الذين منهم يؤمنون بالقرآن ، فهم وحدهم النصارى ، من دون اليهود لانهم من « أحزاب » مكة الذين يكفرون به ؛ « والاحزاب أهل مكة ومن تحزّب معهم » (البيضاوي). وهذه شهادة متواترة على ايمان « النصارى » بالدعوة القرآنية .

وهم يؤمنون بها لأنها دعوتهم : « ويتلوه شاهد منه » ، وهو مثل قوله : «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠) : فالشاهد الاسرائيلي ،

« النصراني » ، هو الذي يتلوه على محمد ، لأن « مثله » عندهم . **فهم اهل الدعوة القرانية لدى محمد « ومن تاب معك »**. فالنبوة المحمدية تظهر هنا « توبة » ، كما هي «هداية» الى الايمان بالكتاب (الشورى ٥٢) ، على طريقة المسلمين النصارى (القصص ٥٣) . فما على محمد ان يكون « في مرية » من ذلك .

والتصريح الثاني : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » (١١٣) . فعليه ان يستقيم على ما أمره الملاك في رؤيا حراء ، مع جماعته ، المتقين من العرب ؛ « ولا تركنوا الى الذين ظلموا » اي الاحزاب (١٧ و ١١٤) ، « أهل مكة ومن تحزب معهم ». ومن تحزب معهم هم « الذين ظلموا » من القرون من قبلكم اي اليهود — تلك صفتهم المتواترة .

والتصريح الثالث يقسم أهل « القرون من قبلكم » الى « قليل ممن انجينا منهم » والى «الذين ظلموا... وكانوا مجرمين». وبما «ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦) ، فاليهود هم الظالمون المجرمون ، والنصارى منهم هم « القليل ممن انجينا منهم » . وهم « من كان على بينة من ربه ... اولئك يؤمنون به» (١٧) . فالتصريح تحذير من مؤامرات اليهود مع أهل مكة على الدعوة القرآنية ؛ **وشهادة على قيام «النصرانية» بالدعوة القرانية** ، « ينهون عن الفساد في الأرض » (١١٧) ، بالاستشهاد بهم (١٧) وشهادتهم للدعوة ، وتطمين محمد « ومن تاب معك » على صحة الدعوة ، وعلى الاستقامة عليها . فهم أهل الدعوة القرآنية أكثر من محمد وجماعته الذين يحتاجون الى التحريض على الاستقامة عليها .

•

الوثيقة الثامنة : من سورة الانعام (٦ / ٥٥)

«قلْ : اني أمرتُ أن اكون اول من اسلم ولا تكوننَّ من المشركين ! ١٤
قلْ : اني أخاف ، إنْ عصيت ربي ، عذاب يوم عظيم . . . ١٥

الذين آتيناهم الكتـــاب يعرفونه كما يعرفون
أنفسهم، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ! ٢٠
ومَن أظلم ممّن افترى عـــلى الله كذباً،
او كذّب بآياتـــه : إنه لا يُفلح الظالمون ! ٢١
أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة
— فإن يكفر بها هؤلاء، فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين — ٨٩
أولئك الذين هدى الله، فبهـــداهم اقتدهْ !
قلْ : لا اسألكم عليه أجراً، إن هو إلا ذكرى للعالمين ٩٠
وهذا كتاب أنزلنـــاه مبارك مصدّق
الذي بين يديه، ولتنذر أم القرى ومَن حولها
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنـــون
به، وهم على صلاتهم يحافظون ٩٢
قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه
ومَن عمي فعليهـــا، وما أنا عليكم بحفيظ ! ١٠٤
وكذلـــك نصرّف الآيات ! — وليقولوا :
درست ! — ولنبيّنـــه لقوم يعلمون ١٠٥
أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصّلًا
والذين آتينـــاهم الكتاب يعلمون
انه منزّل ربك بالحق، فلا تكوننّ من الممترين ١١٤
قلْ : ان صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي، لله، رب العالمين
لا شريك له ! بذلك أُمرتُ وأنا اول المسلـــين !» ١٦٣

لقد سبق لنا تعليق أول على هـــذه السورة، لبيان انضمام محمد الى

«النصرانية» والدعوة بدعوتهم. والآن ندرس النص نفسه لبيان دور «النصارى» في الدعوة القرآنية.

قلنا ان في هذه السورة **اعلان جديد**: لقد أصبح محمد رئيس «النصارى» بمكة، «اول من أسلم» (١٤)، خليفة لنسيبه واستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، وربما للامام الاكبر بحيرى في بصرى. فقد توفيا، واستلم محمد قيادة الدعوة بالخلافة، معلناً «بذلك أمرت وأنا اول المسلمين» (١٦٣).

لذلك فهو متضامن متكافل معهم في وحدة الكتاب ووحدة الدعوة، بنتيجة درس الكتاب والدعوة كما يظهر من تصاريحه.

إن **وحدة الكتاب** الذي به يدعو محمد و «النصارى» معاً تقوم على ان «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه، كما يعرف أبناءهم» (٢٠) اي معرفة مصدرية، معرفة الأب لابنه. قال دروزة: «والآية تضمنت تقريراً قوياً واضحاً بمعرفة أهل الكتاب صحة التنزيل القرآني، معرفة لا يتطرق اليها اي شك، كما يعرف الأب ابنه. وطبيعي ان ينطوي في هذا **تقرير الوحدة** والتساوق، من جهة؛ **والثقة والاعتماد**، من جهة أخرى». هذا ليس موقف أهل الكتاب كلهم، بل موقف «النصارى»: «الذين يؤمنون بالآخرة، يؤمنون به» (٩٢)؛ وهم «الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة» (٨٩)، والحكم تعبير عبري للحكمة اي الانجيل. فالمعروفة الابوية للقرآن دليل على وحدة الكتاب.

يؤيد ذلك، التصريح بدرس الكتاب (١٠٥)، فقد غفلوا هم عن دراسته، فدرسه هو لهم (١٥٦) لكي «يعلمهم الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل (٢: ١٢٩ و ١٥٢؛ ٣: ١٦٤؛ ٦٢: ٢). فالدعوة القرآنية نتيجة درس وتحصيل. لذلك فالقرآن العربي هو «الكتاب مفصّلاً» (١١٤)، «مصدّق الذي بين يديه» (٩٢) اي قبله: فهو نسخة عربية عن «المثل» الذي عند النصارى من بني اسرائيل (الاحقاف ١٠). ووحدة الكتاب دليل على وحدة الدعوة.

وإن **وحدة الدعوة** التي يقوم بها « النصارى » ومحمد كرئيس عليهم فيها تظهر من تصريحه : « فإن يكفر بها هؤلاء (أهل مكة) ، **فقد وكلنا بها قوماً** ليسوا بها بكافرين » (٨٩) . إن « النصارى » موكلون من قِبَل الله بالدعوة القرآنية للكتاب والحكمة اي للتوراة والانجيل .

يؤيد ذلك تصريحه الآخر : « اولئك الذين هدى الله، **فبهداهم اقتده**» (٩٠). إن محمداً ، بالقرآن العربي ، يقتدي بهدى « النصارى » ، ويدعو بدعوتهم : **فهم اهل الهدى والدعوة من قبله** . فعلى محمد ان يجعل دعوته على هدى دعوتهم . وهذا برهان انضمام محمد اليهم ، واخذ الهدى عنهم ؛ وبرهان اشتراك « النصارى » بالدعوة القرآنية ، لا اشتراك التابع للمتبوع، بل اشتراك الأب في عمل ابنه. فقد كان محمد ابن «النصرانية»، وهو اليوم «رئيس النصارى» بمكة، على مثال استاذه ، ورقة بن نوفل ، وزعيم الدعوة « النصرانية » بالقرآن العربي : « بذلك أمرت ، وانا أول المسلمين » (١٦٣) .

•

الوثيقة التاسعة : من سورة سبأ (٥٨/٣٤)

« والذين سعوا في آياتنا معاجزين
أولئك لهم عذاب من رجز أليم ١

ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربك
هو الحق ، ويهدي الى صراط العزيز الحميد ٦

وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه — ولو ترى اذ الظالمون موقوفون ٣١

وما آتيناهم من كتب يدرسونها
وما أرسلنا اليهم من قبلك من نذير ٤٤

لقد اجتمعت لمحمد في دعوته شهادة أهل العلم ، وشهادة كتبهم ، وشهادة درس محمد لها مع اهلها، اولي العلم .

فهو يعتزّ على الدوام **بشهادة اولي العلم** لدعوته : ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق » (٦) . واولوا العلم مرادف لاهل الذكر ، واهل الكتاب . وبما ان اليهود كانوا « اول كافر به »، وأن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذين هم فيه يختلفون » ، فهو يقصد دائماً بأولي العلم الذين يستشهد بهم ، ويشهدون له ، النصارى من بني اسرائيل .

وكما يوحّد محمد بين القرآن ، وبين « الذي بين يديه » ، فالكافرون يوحدون ايضاً بينهما في كفرهم : « وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالذي بين يديه » (٣١) . فوحدة الدعوة تقوم على وحدة الكتاب ، سواء في الايمان ، أم في الكفر بها .

وهذه الوحدة في الكتاب والدعوة تقوم **بعد درس الكتب** التي بين يدي القرآن ؛ فهو يستعلي على بني قومه المشركين بدرسها : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » (٤٤) ، كما أوتي هو الكتب المقدسة التي يدرسها .

فالنصارى ، اولو العلم المقسطون المحسنون ، يشتركون مع محمد في درس الكتب المقدسة ، وتدريسها للعرب بالدعوة القــــرآنية . فهم يشهدون للدعوة القرآنية لأنها دعوتهم ، دعوة « النصرانية » ، التي درّسوها لمحمد . ومحمد يستعلي على بني قومه بشهادة النصارى، « الذين اوتوا العلم » ، وبدراسة كتبهم، والدعوة لها. فمحمد و «النصارى» متكافلون متضامنون في الدرس والتدريس ، في وحدة الكتاب ، ووحدة الدعوة .

●

الوثيقة العاشرة : من سورة حم الاحقاف (٤٦ / ٦٦)

« قلْ : أرأيتم ، إن كان من عند الله ، وكفرتم به
— وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
فآمن واستكبرتم — ان الله لا يهدي القوم الظالمين

ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة   وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً
لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين »   ١٢

هذه الوثيقة شهادة ناطقة قاطعة على وجود « إمام »، وعلى وجود « مثْل » للقرآن العربي عند بني اسرائيل .

أجل ان القرآن العربي « **من عند الله** » ؛ ولكن بما أنه صورة عربية طبق الاصل «للمثل» الذي عند بني اسرائيل، فإنه « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧)؛ فهو « كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١): لقد احكمت في كتاب موسى « الامام »، وفصلت في «المثل» ونقلت الى العربية. هذا معنى قوله: « تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً » (فصلت ١) .

ففي هذه الآية « **شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله** » سرّ القرآن العربي : انه نسخة عربية عن هذا « المثل » ، لا يختلف عنها إلا « لساناً عربياً » .

لكن ما هي هوية هذا الشاهد من بني اسرائيل ؟

في اسباب النزول للسيوطي، كل الروايات تتفق على انه يهودي، ابن سلام. وسار هذا التفسير الى كل المفسرين .

قال دروزة في (سيرة الرسول ١ : ٣٠٧) : « الآية (١٠) صريحة بأن بعض بني اسرائيل شهد بصدق التنزيل القرآني ، ومماثلته لتنزيل ما بين يديه ، وآمن به . وفيها شيء من المعنى الذي احتوته الآيات السابقة ، من حيث الاعتداد بإيمان الكتابي الاسرائيلي **واعتباره حجة دامغة على المشركين** » .

ولكن فاتهم أولاً ان بني اسرائيل **يهود ونصارى** ، بشهادته القاطعة : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) : فالدعوة القرآنية تأييد « للنصرانية » على اليهودية حتى الظهور المبين . وفاتهم ثانياً : « ان هذا القرآن

يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦). فانتصر القرآن للنصارى على اليهود بدعوته للايمان بالمسيح وامه آية للعالمين (الانبياء ٩١). وما كان ليهودي، مثل ابن سلام، ان يشهد مع القرآن للمسيح والانجيل، بموجب «المثْل» الذي عندهم؛ ولا «مثْل» القرآن عندهم. ان هذا الشاهد الاسرائيلي هو **نصراني من بني اسرائيل**.

وهكذا، **فإن «مثْل» القران العربي عند النصارى من بني اسرائيل**. هذه الحقيقة الجوهرية هي اساس الوحدة بين «النصرانية» والدعوة القرآنية.

وبما «ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦)، فهو يقسمهم الى ظالمين لجحودهم بعيسى ثم بمحمد، وهم اليهود؛ والى محسنين او مقسطين، لايمانهم بعيسى ثم بمحمد، وهم النصارى من بني اسرائيل، كما في الآية (١٢).

فالقرآن، في تفصيل الخلاف بين بني اسرائيل اليهود والنصارى، جاء «لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين» (١٢): فهو انذار لليهود الظالمين، وبشرى للنصارى المحسنين — وكلمة «بشرى» ترجمة حرفية «للانجيل» بحسب اصل اللفظ اليوناني — فالقرآن، بنظره، انجيل للنصارى المحسنين، المقسطين، المسلمين من قبله. وهذا هو الدليل على ان الدعوة القرآنية «نصرانية» يقوم بها محمد والنصارى لدى العرب ولدى اهل الكتاب. فالقرآن يشهد «للنصارى»، و «النصارى» يشهدون للقرآن: وهذه الشهادة ثابتة قائمة على وحدة «المثْل» الذي في الاصل، كما في تفصيله «لساناً عربياً».

●

الوثيقة الحادية عشرة: من سورة النحل (١٦ / ٧٠)

«ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول: أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم؟
قال الذين أوتوا العلم: ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين...

وما ارسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم

فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ٤٣

بالبيّنات والزبر، وأنزلنا اليك الذكر

لتبيّن للناس ما نزّل اليهم، ولعلهم يتفكرون ٤٤

واذا بدّلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزّل،

قالوا : انما انت مفتر! بل اكثرهم لا يعلمون ١٠١

قلْ : نزّله روح القدس من ربك بالحق

ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين» ١٠٢

في تعليق سابق رأينا اهداف القرآن العربي، كما توضحها هذه السورة : الاول «لتبيّن للناس (المشركين العرب) ما نُزّل اليهم» (٤٤)؛ الثاني لاهل الكتاب «لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه» (٦٤)؛ الثالث «ليثبت الذين آمنوا» اي جماعة محمد (١٠٢)؛ الرابع «هدى وبشرى للمسلمين» اي النصارى (١٠٢). هنا نبحث قيام محمد و «النصارى» بالدعوة القرآنية.

فمحمد يستشهد دائماً على صحة دعوته بأهل الكتاب، اهل الذكر، الذين أوتوا العلم، اي على التخصيص «النصارى» منهم. ففي كل مسألة يقول : «فاسألوا اهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزبر» (٤٣ — ٤٤). وهذا الاستشهاد المتواصل بهم يدل على استعدادهم الدائم للشهادة له. وهذان الاستشهاد والشهادة دليل على وحدة الكتاب والامة والدعوة، يقوم بها محمد «والنصارى» جميعاً.

وشهادة اهل الذكر له تدوم الى يوم القيامة، حيث «قال الذين أُوتوا العلم : إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين» (٢٧). فهو يرادف بين اهل الذكر وبين الذين أُوتوا العلم. ونجزم بأنهما صفتان «للنصارى» على التخصيص، لان اليهود كانوا «اول كافر به».

وكما جاء القرآن « لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين » (هود ١٢) ، كان « ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) . نلاحظ التمييز المتواصل بين « **الذين آمنوا** » اي جماعة محمد من العرب ، وبين « **المسلمين** » : فالمسلمون الاوائل على التخصيص ليسوا جماعة محمد ، بل « النصارى » المنادين : « إنا كنّا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) .

فالقرآن انذار لليهود ، « الذين ظلموا » .

والقرآن تثبيت للمتقين من العرب ، « الذين آمنوا » .

والقرآن « هدى وبشرى للمسلمين » — والهدى كناية عن التوراة ؛ والبشرى اسم الانجيل — فالقرآن توراة وانجيل معاً للنصارى المسلمين .

هذا ما يشهد به « النصارى » المسلمون : **فهم يقومون مع محمد بالدعوة القرآنية « النصرانية »** ؛ والقرآن يؤيد دعوتهم : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

وهذان الاستشهاد والشهادة يقومان على وحدة الكتاب في « المثْل » الاصل ، وفي القرآن العربي تفصيله والفصل . فقوله : « ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ! — لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » (١٠٣) يفسره قوله : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله (الاحقاف ١٠) ، مهما كانت واسطة الترجمة والتفصيل ؛ كما يوضحه قوله : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » (سبأ ٤٤) ، « أم لكم كتاب فيه تدرسون » (القلم ٣٧) ، كما عند محمد في « المثْل » وفي الكتاب « الامام » .

فوحدة الكتاب في الاصل والفصل برهان على وحدة الدعوة والأمة .

●

الوثيقة الثانية عشرة : من سورة الانبياء (٢١ / ٧٣)

« وما ارسلنا قبلك إلا رجالًا نوحي اليهم

فاسألوا اهل الذكر ، وان كنتم لا تعلمون ٧

أم اتخذوا من دونه آلهـــةً ! — قلْ هـــاتوا برهانكم !
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ! بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون!
٢٤

والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين
إن هذه أمتكم ، أمـــة واحدة وأنا ربكم ، فاعبـــدونِ »
٩١ — ٩٢

في تعليق سابق ، استشهدنا بهذه الوثيقة على انضمام محمد الى « النصارى » في « أمة واحدة ». ورأينا فيها **الاعلان الجديد** على قيام هذه « الأمة الواحدة ». وهنا نرى البرهان على « نصرانية » الدعوة القرآنية ، وعـــلى « نصرانية » تلك الأمة الواحدة .

ان الدليل الاكبر على وحدة الدعوة القرآنية و « النصرانية » هو قيام هذه « الامة الواحدة » في عقيدتها ، وفي ذكرها ، وفي شهادتها .

انها واحدة في عقيدتها . فهو يختم ذكر أنبياء الكتاب بذكر « التي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (٩١) . وهذا ليس ايمان اليهود ، فهو ايمان محمد والنصارى من بني اسرائيل : فهم امة واحدة.

انها واحدة في ذكرها . يتّهم العرب المشركين باتخاذ آلهة من دون الله . ويستشهد على التوحيد « بذكر من معي وذكر من قبلي » (٢٤) . يقول في القرآن : « ولقد آتيناكم كتاباً فيه **ذكركم** » (١٠) : فيكون « ذكر من معي » ذكر النصارى ؛ « وذكر مَن قبلي » ذكر اليهود . فالنصارى من بني اسرائيل هم أمة واحدة في وحدة الذكر ، مع محمد .

إنها واحدة في شهادتها . في جداله مع المشركين ، يستشهد بأهـــل الذكر عـــلى صحة النبوة والدعوة . فهذه الوحدة في الشهادة برهان الوحدة في العقيدة والدعوة .

فوحدة الأمة بين محمد و « النصارى » في الشهادة والذكر والعقيدة برهان على « نصرانية » الدعوة القرآنية ، وعلى « نصرانية » الامة الواحدة التي يعلن قيامها بهذه السورة .

●

الوثيقة الثالثة عشرة : من سورة « المؤمنون » (٢٣ / ٧٤)

« ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ٥٠
وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ٥١

يا ايها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً ، اني بما تعملون عليم ٥٢
وان هذه أمتكم ، أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ٥٣

فقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ٥٤
فذرهم في غمرتهم حتى حين ٥٥

أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون!
٥٦ — ٥٧

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ٥٨—٥٩
والذين هم بربهم لا يشركون ٦٠

والذين يؤتون ما أتوا ، وقلوبهم وجلة ، أنهم الى ربهم راجعون ٦١
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » ٦٢

في هذا الفصل **تجديد الاعلان بقيام الامة الواحدة** ، على ايمان واحد بموسى وابن مريم (٥٠ — ٥٣) . وهذه العقيدة هي التي تميز هذه الامة من سائر أهل الكتاب ؛ فلا يقول بدين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً إلا النصارى من بني اسرائيل (الشورى ١٣) ؛ وهم وحدهم يقيمون التوراة والانجيل شريعة واحدة (المائدة ٧١) . وهذا هو الايمان الذي يردّده القرآن بتواتر : « قل :

آمنا . . . وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرّق بين احدٍ منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦؛ آل عمران ٨٥) . لذلك يقبل الجدال بالسيف مع اليهود ، ولا يرضى إلا بالحسنى مع النصارى من اهل الكتاب ؛ وهـــذه الحسنى هي الامر بالقول : ان الاله واحد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد (العنكبوت ٤٦) . وفي (المؤمنون) يميّز بين اليهود المشاقين « الذين قطعوا أمرهم بينهم زبراً » (٥٤) ويتوعدهم : « فذرهم في غمرتهم حتى حين » (٥٥) ؛ وبين النصارى من بني اسرائيل ، اهل الخشية والايمان (٥٨ — ٦٢) .

فالامة الواحدة المعلن عنها في (المؤمنون ، والانبياء) مؤلفة من النصارى من بني اسرائيل مع مَن تنصّر من العرب ، ومن جماعة محمد . وهنا يبرز ايضاً دور « النصارى » في الدعوة : بالشهادة المتواصلة بإيمانهم بالدعوة القرآنية (٥٩)، وبالانفاق في سبيلها ، فهم « يؤتون ما أتوا ، وقلوبهم وجلة أنهـــم الى ربهم راجعون» (٦١): انهم ينفقون في سبيل الدعوة بتجرّد ولوجه الله. «فالنصارى» هم الذين يقومون بالدعوة القرآنية ، بزعامة محمد ، الذي صار « رئيس النصارى » بمكة . فوحدة الأمة والعقيدة والدعوة شهادات متواترة عـــلى « نصرانية » الدعوة القرآنية، يقوم بها « النصارى » مع محمد « أمةً واحدة » .

●

الوثيقة الرابعة عشرة : من سورة العنكبوت (٢٩ / ٨٥)

« ولا تجـــادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا: آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ٤٦

وكذلك أنزلنـــا اليك الكتاب فالذين آتينـــاهم الكتاب يؤمنون به ؛ ومن هؤلاء مَن يؤمن به — وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون» ٤٧

في تعليق سابق رأينا ان هذا الفصل من آخر العهد بمكة قبل الهجرة (٢٦) هو فصل الخطاب في « نصرانية » محمد ، وفي « نصرانية » الدعوة القرآنية .

وهذه « النصرانية » في النبي والقرآن تظهر من **الوحدة القائمة الشاملة الكاملة** بين الدعوة القرآنية والدعوة « النصرانية » ، فإنه يأمر جماعته **بالشهادة** : «آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » (٤٦). فالاله واحد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحـــد . يقول : « فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به » (٤٧) : هذا تعميم يُراد به التخصيص ، فلا يشمل اليهود ، « اول كافر به » ؛ ولا يشمل المسيحيين ؛ انما يقتصر عــــلى النصارى من بني اسرائيل ، المسلمين من قبل محمد والقرآن (القصص ٥٣) ، وجاء القرآن تأييداً لهم على عدوهم ، اليهودية ، حتى النصر المبين (الصف ١٤). لذلك فهو يصف اليهود هنا بالصفة المتواترة ، « الذين ظلموا » ، ويصح جدالهم بالسيف (٤٦) .

وترى في هذا الفصل قيام **هؤلاء «النصارى» بالدعوة القرآنية مع محمد** : فإن جدالهم في سبيلها قد يصل الى جماعة محمد أنفسهم ، فيتدخل القرآن ليمنع جماعة محمد عن جدالهم ، وليأمرهم بالتسليم معهم بوحدة الاله ، ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام (٤٦) .

ومظهر ثان من مظاهر نشاطهم ، الشهادة للدعوة القرآنية بين العرب : «فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به» (٤٧): فاستشهاده **بهم هو حجته الكبرى** لدى بني قومه . ويرد على المشركين في افتراء القرآن من عنده ، « بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » (٤٩) ، وهو مثل قوله : « أوَلم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) . فالنصارى من بني اسرائيل « يعرفونه كما يعرفون أبنـــاءهم » (الانعام ٢٠ ؛ البقرة ١٤٦) اي معرفة مصدرية ، جعلته «آيات بيّنات في صدورهم» . فالدعوة القرآنية هي دعوة « النصارى » التي تبنّاها محمد والقرآن ، في وحدة تامة شاملة كاملة (٤٦) .

الوثيقة الخامسة عشرة : من سورة الرعد (١٣ / ٩٠)

«والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما أُنزل اليك؛ ومن الاحزاب من ينكر بعضه !
قل : إنما أمرتُ ان اعبد الله ولا أشركَ به، اليه أدعو، واليه مآبِ ٣٨
وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعتَ أهواءهم
بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ٣٩
ويقول الذين كفروا : لست مرسلاً ! — قلْ : كفى بالله
شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب» ٤٥

سورة (الرعد) مختلف فيها، والاصح أنها مكية، كما يظهر من اسلوبها، ومن موضوعها الذي هو جدال مع المشركين، ولا جهاد فيها، ولا تشريع، ولا من خصوصيات النبي .

نرى فيها الصراع الاهلي بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل، في موقفهم من الدعوة القرآنية . فهو يكني دائماً عن «النصارى» باسم «اهل الكتاب»، تعميم يقصد به تورية التخصيص . وفي قوله : «ومن الاحزاب من ينكر بعضه» (٣٨) إشارة الى اليهود المتحزبين مع اهل مكة المشركين ضدّ الدعوة القرآنية التي ينكرون منها الدعوة للمسيح والانجيل . فيجيبهم بأنه ولو آمن بالمسيح، فهو لا يشرك بالله . ثم يحذره القرآن من اتباع أهواء اليهود «بعد ما جاءك من العلم» (٣٩) . وهكذا «فالنصارى» وحدهم «يفرحون بما أنزل اليك» (٣٨)، لان القرآن دعوة «نصرانية» في نظرهم .

يقول دروزة في (سيرة الرسول ١ : ١٠٧) : «وفيها (الآية ٣٨) صراحة بما كان يستشعره الكتابيون — (اي النصارى) — من فرح واستبشار بالتنزيل القرآني، لما يرون فيه من **مطابقة للاهداف العليا** التي في كتبهم، ومن **وحدة**

مصدر. وطبيعي ان هذا لا بدّ ان يكون مقترناً بتصديقه وتأييده، ومستنداً الى واقع مشاهد من جهة أخرى».

ونرى فيها الصراع المتواصل مع المشركين الذين كفروا بالدعوة القرآنية، وتحزبوا عليها مع اليهود. فهم حتى نهاية العهد بمكة يقولون: «لست مرسلاً»! ويأتي الردّ المتواتر طوال العهد بمكة: «كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومَن عنده علم الكتاب» (٤٥). شهادة الله تكون بالمعجزة، وموقف القرآن المكي من كل معجزة سلبي. تبقى شهادة «من عنده علم الكتاب». وهم ليسوا اليهود «اول كافر به»، بل «النصارى». وشهادتهم تكفيه لانهم عندهم «علم الكتاب». فهو يدعو «بعلم الكتاب» كما يقول به النصارى، بحسب «المثل» الذي معهم (الاحقاف ١٠). ويعتبر شهادتهم من شهادة الله وملائكته (آل عمران ١٨ — ١٩). وشهادتهم للقرآن تعني «نصرانية» الدعوة: فهم يفرحون بها ويؤيدونها لانها دعوتهم: «وأُمرت ان اكون من المسلمين»

***

خاتمة البحث: «النصارى» والدعوة القرآنية بمكة

للقرآن المكي غايتان. **الاولى** فرض دين موسى وعيسى معاً، ديناً واحداً على العرب: «شرع لكم من الدين... ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين، ولا تتفرّقوا فيه» (الشورى ٦٣). ما وصى الله به ابراهيم لم يصلنا إلا بتوراة موسى. فالدين الذي يشرعه القرآن للعرب هو دين موسى وعيسى معاً، ديناً واحداً، بإقامة التوراة والانجيل معاً، شرعاً واحداً. ولا يقول بذلك من اهل الكتاب إلا النصارى من بني اسرائيل وحدهم من دون اليهود، ولا المسيحيين.

والثانية فصل الخلاف بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل: «ان هذا

القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) .
وهذا الفصل يقوم بالانتصار للنصارى على اليهود حتى النصر المبين : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . كان هذا الموقف مستوراً ببراعة في مكة ، واصبح مكشوفاً بصراحة في المدينة . لذلك جاءت التعابير عنه بمكة باسلوب التعميم ، وهو يقصد التخصيص ، كما يتضح من القرائن القريبة والبعيدة.

ومن اسلوب التعميم في التعبير ، كقوله : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك » (الرعد ٣٨) نشأت **الشبهة** التي جعلت بعضهم يزعم بأن جميع الكتابيين من يهود ومسيحيين قد استجابوا للدعوة القرآنية بمكة وانضموا اليها .
يقول الاستاذ دروزة في (سيره الرسول ١ : ٣١٠ و ٣٠٨) : « وقد جاءت هذه الآيات[1] في سياق انذار المشركين والتنديد بهم والحجاج معهم ؛ وبسبيل نفي الخلاف عن الاهداف والمبادىء السامية ، ثم بسبيل دحض حجة المشركين العرب باختلاف الكتابيين ، واتخاذهم ذلك وسيلة للتمسك بما عندهم والتبجح به . . . والآيات ، باستثناء آية (الاحقاف ١٠) لا تذكر **هوية الكتابيين**، حيث تذكرهم مطلقين . اما الآية المذكورة ، فإنها تذكر صفة الشاهد صراحة ، وهو اسرائيلي . . . وهكذا يصح ان يقال ، إن اهل الديانتين الكتابيتين ، **اليهود والنصارى ، قد قابلوا الدعوة النبوية في مكة مقابلة ايجابية** ، فشهدوا بصدقها وصدق التنزيل القرآني ، وآمنوا بها . وننبّه الى ان الصيَغ القرآنية تلهم ان الكتابيين في مكة ، **إطلاقاً** ، وقفوا هذا الموقف ؛ كما ان تكرار تقرير القرآن ذلك يلهم ان هذا الموقف ، وهذه المقابلة **كانت من كافتهم** . وروايات السيرة لم تذكر ، فيما اطلعنا عليه ، انه ظلّ في مكة كتابيون متمسكون بأديانهم ، ولم يندمجوا في الدعوة الاسلامية » .

---

(١) هود ١١٠ ، مغلق ٤٥ ، الشورى ١٣ — ١٤ ، الزخرف ٦٣ — ٦٥ ، الجاثية ١٦—١٧ ، السجدة ٢٣ — ٢٥ ، النمل ٧٦ — ٧٧ .

لقد وهم الاستاذ دروزة، وفاته كما فات غيره، ان القرآن المكي يقصر خطابه مع أهل الكتاب بمكة على بني اسرائيل، من يهود ونصارى (النمل ٧٦) — فلا يدخل في مجال دعوته المسيحيون. وفاته، كما فات غيره، الفرق بين النصارى من بني اسرائيل، والمسيحيين من الأمميين. فلا اليهود بمكة آمنوا بالدعوة القرآنية، والمسيحيون على الحياد. انما الصراع كان مع أهل الكتاب من بني اسرائيل، اليهود والنصارى منهم، كما يشهد بذلك في مكة: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) ، وهم النصـــارى من بني اسرائيل، كما يتضح من شهـــادته بالمدينة : «**فآمنت طائفة من بني اسرائيل** (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤) . فالصراع في القرآن المكي يدور بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل — ولا دخل للمسيحيين فيه على الاطلاق — وكانت **الدعوة القرآنية انتصاراً «للنصرانية» على اليهودية** منذ مبعثها. وهذا صريح في آخر العهـــد بمكة، حين يمنع الجدال مع اهل الكتاب إلا بالحسنى — إلا مع الذين ظلموا منهم اي اليهود الذين يصح جدالهم بالسيف؛ أما مع اهل الكتاب المحسنين، المقسطين، المسلمين، فيجب الايمان معهم بأن الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد (العنكبوت ٤٦) . وهذا الايمان لا ينطبق إلا على النصارى من بني اسرائيل . لذلك فهو يتوّعد اليهود الظالمين: «فذرهم في غمرتهم حتى حين» (المؤمنون ٥٥) ؛ فقد جاء القرآن «لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين» من بني اسرائيل (الاحقاف ١٢) ؛ وهو يقتدي بهدى «الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة» (الانعـــام ٩٠) ، ليعلم العرب «الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل، ولا يقول بهدى التوراة والانجيل، ويقيم شريعة التوراة والانجيل إلا النصارى من بني اسرائيل .

وهذا هو معنى قوله : «أولم يكن لهم آية ان يعلمه علمـــاء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧) اي من النصارى؛ ومعنى قوله: «وشهد شاهد من بني اسرائيل

على مثله » (الاحقاف ١٠) اي من النصارى ، كما تدل كل القرائن القرآنية . يكفي حديث « النبي الأمي » حيث الحسنة ليست للذين هادوا ، بـــل للذين يؤمنون مع محمد « بالله وكلمته » ، وهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) . وهذا الحديث يقطع بجحود اليهود بمكة للدعوة القرآنية ، وبتبني النصارى من بني اسرائيل لها — ويظل المسيحيون بعيدين عن الصراع بمكة (النمل ٧٦) .

وقد تنبّه الاستاذ دروزة الى شيء من ذلك ، فقال في (سيرة الرسول ١ : ٣٠٨ و ٣١٢) : « والمعروف بإلهام القرآن ، على ما شرحناه في كتابنا (عصر النبي وبيئته قبل البعثة) أنه كان **عدد غير يسير من جوالي النصارى مستوطنين مكة** . ولقد ذكرت روايات السيرة ، وكتب التراجم ، أسمـــاء كثيرين من الكتابيين الذين اندمجوا في الدعوة ، في مكة ، تحمل طابع الاسماء النصرانية ؛ كما ان بعض الروايات[1] ذكرت قدوم وفد نصراني الى مكة ، بعد البعثة ، مستطلعاً نبأ النبي العربي واعلن ايمانه به » . وأضاف : « هذا ، الى ما كان من **مطابقة** بين التقريرات القرآنية ، وما كان عليه **بعض الفرق النصرانية** من عقائد ومذاهب ، او من **مقاربة** : اذ من المحتمل ان تكون **الجاليات النصرانية في مكة من هذه الفرق** . فكان ذلك عاملًا في إقبال الذين أقبلوا منهم على الاسلام بيسر وارتياح واخلاص » . وزاد في الحاشية : « في تاريخ (انتشار الاسلام) للمستشرق الانكليزي ، أرنولد ، تقريرات مستندة الى وثائق ودراسات تدل على انه كان بين الفرق النصرانية من يتطابق مذهبه مع التقريرات القرآنية في شأن عيسى عليه السلام » .

---

(١) ليس من رواية صحيحة تروي قدوم وفد مسيحي على محمد في مكة ، انما جماعته تهاجر الى الحبشة ، وهو يهاجر الى الطائف ثم الى المدينة . وبعض الروايات المذكورة لا صحة لها ، لانها قامت لتفسّر شهادة بعض اهل الكتاب بالاسلام (القصص ٥٢) . وأسباب نزول الآية للسيوطي تذكر عشرة رجال منهم رفاعة القرظي وعبد الله بن سلام ، وهما يهوديان من اهل الحجاز . وشهادة (القصص ٥٢ — ٥٥) هي شهادة النصارى من بني اسرائيل جميعهم باسلامهم من قبل القرآن ، ومع القرآن .

كلّا لم يكن في زمن الدعوة القرآنية من فرقة مسيحية يتطابق مذهبها مع التقريرات القرآنية بشأن عيسى. فالمسيحيون أجمعون، بفرقهم الثلاث المعروفة في زمن البعثة المحمدية والفتح العربي، الملكانية واليعقوبية والنسطورية، كلهم يؤمنون بأن «المسيح ابن الله» (التوبة ٣١). ولكن فات المسلمين والمستشرقين الفرق بين «النصارى» من بني اسرائيل والمسيحيين من الأميين. فالنصارى من بني اسرائيل هم الذين كانوا مستوطنين مكة، وهم الذين قاموا مع محمد بالدعوة القرآنية. ولم يتصل محمد بالمسيحيين على الاطلاق في مكة، سوى هجرة بعض جماعته الى الحبشة؛ واتصل بالمدينة مع وفد نجران المسيحي من البدعة اليعقوبية الذي ملأت مباحثاته سور القرآن المدني، كما سنرى.

فالنصارى من بني اسرائيل، ومن «تنصّر» معهم من العرب كورقة بن نوفل، قس مكة، والسيدة خديجة، زوج محمد، وابنة عم القس — هم الذين قاموا بالدعوة القرآنية بزعامة محمد، بالشهادة لها، والانفاق في سبيلها، واحتمال الأذى من أجلها. فهم الذين «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (الانعام ٢٠)؛ والقرآن نفسه «هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم» (العنكبوت ٤٦) لأن عندهم «مثْل» القرآن، كما «شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠). فما بين الدعوة القرآنية و«النصرانية»: الكتاب واحد، والعقيدة واحدة، والأمة واحدة، والدعوة واحدة. وهذا شاهد قيّم قائم على «تنصّر» محمد، وعلى «تنصّر» الدعوة القرآنية.

فالقرآن دعوة «نصرانية».

* * *

بحث ثالث

الوثائق القرآنية المدنية «لتنصر» محمد ودعوته

تمهيد: مبادئ سبعة في فهم الوثائق المدنية

أولاً: المخاطبون في القرآن المدني

كانت المدينة – واسمها «يثرب» في الجاهلية – من قرى اليهود المحصنة في الحجاز. استعمرها بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، من اليهود. ونزل عليهم فيها الأوس والخزرج من اليمن. لذلك كان العرب فيها على الخلاف بين القحطانية والعدنانية؛ وبسبب جوارهم من اليهود كانوا أكثر انفتاحاً على التوحيد من غيرهم؛ لكنهم نافقوا كثيراً بين محمد واليهود. لذلك نرى القرآن المدني مشحوناً بحديث اليهود، وحديث المنافقين.

ونعرف من القرآن المدني (الحديد ٢٧، الصف ١٤، المائدة ٨٥ – ٨٦، آل عمران ١١٣) ان بعض النصارى من بني اسرائيل كانوا مقيمين فيها، والقرآن يشيد بهم وباسلامهم. ونعرف من قصة أبي عامر الراهب، ومسجد الضرار الذي بناه جماعته، ضراراً بمسجد النبي ودعوته، أنه كان أيضاً في المدينة بعض المسيحيين. **لكنهم لم يدخلوا في جدال مع محمد والقرآن**، فكانوا بالمدينة كما بمكة على الحياد. ولما شعر الراهب بالخطر ذهب يستنصر قيصر ولم يرجع.

إن الجدال بين القرآن والمسيحية جاء من وفد نجران. وعند جمع القرآن وزعوه على سور (آل عمران والنساء والمائدة). والحملة القرآنية على المسيحية العربية

كانت بمناسبة غزوتي مؤتة وتبوك الى مشارف الشام؛ فهي كانت عارضة؛ وأهلها على البدعة مثل نجران.

من هنا تأتي صراحة القرآن المدني بالنسبة للمكي. في مكة كان يذكر «أهل الكتاب» جملة، وهو يقصد التخصيص كما تدل القرائن. أما في القرآن المدني فهو يصرّح بخطاب اليهود، وخطاب المنافقين، وخطاب النصارى — مع اشتباه دائم هل يقصد النصارى أم المسيحيين؛ لكنه قبل تصفية اليهود، واعـــلان نصر «النصرانية» عليهم (الصف ١٤)، لا جدال مع المسيحيين. من هنا نشأ مشكل ومعنى «النصارى» في الـسور المدنية الاولى.

ويشغل القــــرآن المدني حديث اليهود والمنافقين، وتشريع الجهاد ضدّ المشركين، وتنزيل التشريع للمسلمين. فيبقى **حديث النصارى والمسيحيين قليلاً** بالنسبة اليهم جميعاً. قال دروزة في (سيرة الرسول ٢ : ١٤٦) : «وقلة الآيات المدنية التي تشير الى ايمان النصارى بالنبي والقرآن يمكن ان تعلل بأن الذين لقوا النبي في المدينة كانوا قليلين — مئات قليلة (ص ١٤٤) — فلم تتكرر مشاهد ايمانهم بحيث تذكر في القرآن كثيراً. وان ما جاء فيهم في القرآن المدني، وخاصة في آيات (المائدة ٨٢ — ٨٥) و (الحديد ٢٧) مــــن **الثناء المحبّب**، قد جاء باسلوب مطلق وتعميمي، **ويكاد يوحي بأنه يشملهم كافة**. وقد ينطوي هذا على الاشارة الى ان أكثر الذين لقوا النبي ص في المدينة قد آمنوا به وصدّقوا التنزيل القرآني. كما يحمل على القول: ان الحملة عليهم التي وردت في آيات (التوبة ٢٩ — ٣٣) قد عنت بعض الوفود التي ظلت على جحودها ومكابرتها؛ وعنت كذلك الذين وقفوا موقف البغي؛ وأمر النبي والمسلمون بقتالهم، من سكان مشارف الشام». فنرى هنا ايضاً ان الاستاذ دروزة، مثل غيره، يخلط بين «النصارى» وبين المسيحيين: فالنصارى موالون، والمسيحيون على الحياد.

ثانياً : موقف القرآن المتعارض ظاهرياً من النصارى

موقف القرآن يتعارض بحق آل عيسى بين «**الثناء والحب**» وبين «**الحملة**

عليهم » . لكنه تعارض ظاهري . **والشبهة القرآنية في** اطلاق اسم نصارى على « النصارى » من بني اسرائيل — وكانوا أمـــة واحدة مع جماعة محمد — وعلى المسيحيين من سائر الأمم ، كوفد نجران الذي يملأ خبره السور المدنية ، وكأهل مشارف الشام الذين تحول الجهاد اليهم ، بعد القضاء على اليهود في الحجاز . وهذه **الشبهة اللغوية** في القرآن قد وقع فيها الرأي العام منذ البدء الى اليوم ، وسرت على العلماء المسلمين والمستشرقين ؛ وكانت سبب الاضطرابات المتواترة في العقيدة والتفسير والسياسة والتاريخ . إن « الثناء المحبب » المتواتر هـــو في « النصارى » ؛ أما الحملات القرآنية كما في جدال وفد نجرانـ ، وفي جهاد أهل مشارف الشام ، فهو في اولئك المسيحيين . ولو أدرك القوم هذا التمييز ، لما أظهروا القرآن بمظهر التعارض ، وهـــو منه براء . فالدعوة القرآنية كانت في المدينة ، كما في مكة ، « نصرانية » : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) ، بظهورهم « أمةً وسطاً » على اليهودية وعلى المسيحية .

ثالثاً : سبب التعارض الظاهر في القرآن ، من اسم النصارى

كان القرآن مع النصارى من بني اسرائيل « أمة واحدة » . لذلك فهو يسمي أهل الانجيل عموماً نصارى ، من باب التغليب . **ولا يرد على الاطلاق فيه اسم « مسيحيين »** ، مع انه هو وحده الشائع في ديار وأمصار المسيحية في العالم ، قبل القرآن وبعده . ومن نكد الدنيا على المسيحيين ان أطلقوا عليهم منذ الفتح العربي اسم نصارى ؛ ويجوز انهم استساغوه عند الفتح العربي تقيّةً ، لمعرفتهم بوحدة الامـــة بين المسلمين و « النصارى » المعزولين في الحجاز ، والذين ذابوا في الاسلام ، فسرى على المسيحيين .

فالقرآن يسمي نصارى : ١) **النصارى من بني اسرائيل** ، الهاربين من دين الدولة عند الروم ، الى مكة والحجاز ، والذين كانوا على أساس النهضة الجاهلية في التجارة والأدب والدين ، بإطلاق الحركة الحنيفية ، ثم باطلاق الدعـــوة الاسلامية قبل القرآنـ ، ثم بقيامهم مع النبي العربي بالدعوة القرآنية ؛ ٢)

المسيحيين من غير بني اسرائيل، وهم المسيحيون في الدنيا كلها، حتى من العرب في أطراف الجزيرة، من اليمن ونجران، حتى البحرين والهفوف والحيرة، مع بصرى بني غسان، والانباط. فهؤلاء العرب التابعين للمسيح كانوا **مسيحيين، لا نصارى**. والمسيحيون كلهم، في الفرق القائمة حين الدعوة القرآنية والفتح العربي، الملكانية واليعقوبية والنسطورية، كانوا في وضع السنّة، بالنسبة للنصارى من بني اسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب الذين كانوا في وضع الشيعة. وأتباع المسيح اليوم في العالم كله مسيحيون، لا نصارى. والقول «بالمسيح ابن الله» (التوبة ٣١) هو عقيدة المسيحيين أجمعين، لا مقالة «النصارى».

فلغة القرآن في اطلاق اسم نصارى على «النصارى» وعلى المسيحيين، كانت **سبب الشبهة** التي ورّطت المفسرين والمستشرقين في فهم القرآن وموقفه من المسيح والانجيل والكتاب كله.

رابعاً: شبهة اخرى في استخدام تعابير «أهل الكتاب» و «بني اسرائيل».

يطلق القرآن اسم «أهل الكتاب» على اليهود وعلى النصارى وعلى المسيحيين، باسلوب التعميم، وهو يقصد التخصيص الذي تدل عليه القرائن القريبة والبعيدة. ولكن اسلوب التعميم يورط في الشبهات، فتظهر التصاريح كأنها متعارضة؛ وما هي بمتعارضة متى فطن القارىء للاسلوب والقرائن. من ذلك قوله: «قل: يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم: ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله: فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون» (آل عمران ٦٤). اسلوبها يشير بأنها مطلقة عامة؛ والواقع يأبى ذلك؛ فليس اليهود بمشركين ولا النصارى من بني اسرائيل. واسباب النزول تدل على ان الآية ختام حوار النبي لوفد نجران المسيحي: فهي دعوة تندبهم الى الكف عن تأليه المسيح وعبادته. ومثل آخر في الآية التي تليها: «يا أهل الكتاب لمَ تحاجون في ابراهيم، وما أنزلت التوراة — والانجيل — الا

من بعده ، أفلا تعقلون» (آل عمـــران ٦٥) . ظاهر الحرف يعني التعميم ، وقرائن النص والسورة تقصد اليهود ، فالسورة جدال متواصل مع اليهود ، إلا الفصل المقحم عليها من جدال وفد نجران (٣٣ — ٦٤) . وكذلك القول عن تعبير «بني اسرائيل» ، فهو يعني اليهود والنصارى من بني اسرائيل ؛ والقرائن تدل على المقصود بالتعميم ، فلا يصح اقتصار التعبير عـــلى اليهود ؛ انما يجب الانتباه الى القرائن اللفظية والمعنوية التي تحدّد هل المقصود اليهود أم النصارى من بني اسرائيل .

مثل آخر من المتشابه في تعبير «**أهل الكتاب**» : «ان الدين عند الله الاسلام» يشهد بها مع الله وملائكته «أولوا العلم قائماً بالقسط»؛ «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم» (آل عمران ١٨ — ١٩) . نعرف ان أولي العلم مرادف لاهل الكتاب ، في اصطلاح القرآن : فكيف يشهدون وكيف يكفرون في آن واحد ؟ إنها شبهة يتيه فيها كثيرون. الصفة التي تحدد «أولي العلم» ، وهي «قائماً بالقسط» (١٨) توضح انهم «النصارى» المقسطون ، لا اليهود الظالمون . لذلك فخلاف «الذين أوتوا الكتاب» (١٩) يحصرهم باليهود ، الذين استثنى منهم «اولي العلم قائماً بالقسط» . وقد وقع أكثر المفسرين في مثل هذه الشبهات ، وسرت عليهم فساؤوا فهم القرآن ، **ونسبوا الى «النصارى» او الى المسيحيين** ما ينسبه القرآن لاهل الكتاب من اليهود.

خامساً : صراع القران في المدينة

على جبهتين : على الجبهة **الخارجية** ، مع مشركي مكة ، ومنافقي المدينة ، المعارضين للدعوة علناً او سراً ؛ وعلى الجبهة **الداخلية** مع أهل الكتاب الذي ينتمي اليهم .

فاهل الكتاب في المدينة هم : اليهـــود ، و «النصارى» ، والمسيحيون جماعة الراهب ابي عامر ؛ كذلك وفد نجران . وفئة من الثلاث تقبل الدعوة

القرآنية وتقوم بها مع محمد : « الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته ، هم يؤمنون به » (البقرة ١٢١) ؛ وهم « اولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) . هؤلاء هم النصارى من بني اسرائيل ومن تنصر معهم من العرب ؛ فهم يشكلون « الامة الوسط » بين اليهود والمسيحيين الذين لا يرضون عن النبي ولا عن الدعوة القرآنية (البقرة ١٢٠) . « فالامة الواحدة » التي اعلن عنها بمكة تظهر في المدينة « الإمة الوسط » (البقرة ١٤٣) ، المؤلفة من جماعة محمد ومن النصارى من بني اسرائيل ومتنصرة العرب . **والخلاف** بين هذه « الامة الوسط » وسائر أهل الكتاب من يهود ومسيحيين يقوم على حقيقة الايمان بالمسيح ، وعلى « تلاوة الكتاب حق تلاوته » (البقرة ١٢١) ، وعلى الايمان والعمل « بالكتاب كله » (آل عمران ١١٩) اي التوراة والانجيل معاً (المائدة ٧١) . هذا الخلاف في المسيح والكتاب كله هو **الصراع الحقيقي الكبير** في القرآن المدني .

فقد « تنصر » محمد والقرآن ، على طريقة « المثل » الذي مع النصارى من بني اسرائيل ، وحاول ان يفرض هذه « النصرانية » الاسلامية بالجهاد على الجبهة الخارجية ، وبالجدال ثم بالجهاد على الجبهة الداخلية ، اي على اليهود أولاً ، ثم على المسيحيين العرب .

وهكذا يظهر ان القرآن المدني ليس دعوة ضد الشرك العربي لدى العرب الموحّدين ، أكثر منه **دعوة لفرض «النصرانية»** على العرب الموحّدين ، وعلى أهل الكتاب من يهود ومسيحيين ، المعارضين : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤) . فالقرآن هو بحق **دعوة « نصرانية »** ، **ومحور الصراع فيه هو المسيح** ، أكثر من التوحيد . فالقرآن يدعو الى الايمان بالله والمسيح والكتاب كله ، في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية ، هي « النصرانية » باسم الاسلام القرآني .

سادساً : تعبير القرآن المتشابه في « النصارى »

كان العهد الاول في المدينة جدالاً متواصلاً مع اليهود حتى تمت تصفيتهم من المدينة . يتخلله ذكر عابر للنصارى ، تارة بالذكر العنيف ، وطـــوراً « بالثناء المحبب » (آل عمران ١١٣) . وفي العهد الثاني المدني ، بعد فتح الحديبية ، وفتح وادي القرى في شمال الحجاز ، بدأ القرآن حملة تصاعدية على النصارى ، تدعمها غزوة مؤتة ثم تبوك على مشارف الشام ، وغالبية سكانها من النصارى العرب أو السوريين ؛ يتخللها الاعـــلان الصريح بإسلام « الذين قالوا إنا نصارى » (المائدة ٨٥ — ٨٩) .

فأي نصارى يذكر القرآن ما بين الذكر العنيف و « الثناء المحبب » ؟ يحار المفسرون في هذه الظاهرة ؛ ويراها بعض أهل الكتاب السطحيين من التناقض . وليس من تناقض ، ولا من حيرة .

ان القرآن « أمة واحدة » مع النصارى من بني اسرائيل ، هي « الامة الوسط » بين اليهودية والمسيحية . لكنه يطلق أيضاً اسم نصارى على المسيحيين ، وهنا **مصدر الشبهة** التي تبعث عـــلى الحيرة وتهمة التعارض . لكن القرائن في النصوص كفيلة بكشف المعنى .

لقد تصدّى القرآن لبعض المسيحيين المقيمين في المدينة ، جماعة الراهب أبي عامر ، أصحاب « مسجد الضرار » ، تجاه مسجد النبي في قباء . ولما استفحل أمر النبي ذهب أبو عامر يستنصر قيصر على دولة محمد الناشئة . فهل كان هذا الراهب نصرانياً أم مسيحياً ؟ لا شيء في القرآن يوضح لنا مـــذهبه . لكن انضمام « النصارى » جميعاً الى الدعوة القرآنية ، وفرار أبي عامر يستنصر قيصر على الدعوة القرآنية ، قرائن تدل على انه كان مسيحياً يتزعم جماعة من أهل المدينة . لذلك أمر محمد بهدم « مسجد الضرار » المسيحي ، بعد غزوة تبوك .

وحملة مؤتة ثم حملة تبوك كانت ضد المسيحيين من عرب وسوريين . وهذا سبب الحملة القرآنية المتصاعدة على هؤلاء المسيحيين باسم « نصارى » .

وما بين الغزوتين كانت قصة وفد نجران المسيحي الى المدينة ، في ظروف تنزيل سورة (المائدة) . فوزّعوا فصولها على القرآن المدني كله .

واطلاق اسم (نصارى) على النصارى من بني اسرائيل وعلى المسيحيين سواء ، هو **الشبهة الضخمة** في موقف القرآن المتردّد بين الذكر العنيف والثناء المحبب . ونظن أيضاً ان الأمر نفسه اشتبه على جامعي القرآن ، بعد الفتح الاسلامي الاول ؛ فذكروا النصارى في موضع المسيحيين فاشتبه الأمر ، كما في قوله : « وقالوا : كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » (البقرة ١٣٥) . إن النصارى من بني اسرائيل هم « أولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) ، فهم أهل الهدى ، في نظره ؛ أما النصارى الذين يقابلون اليهود ، وهم مثلهم لا يرضون عن النبي حتى يتبع ملتهم (البقرة ١٢٠) فهم مسيحيون .

هنا يبرز التعبير المتشابه في لغة القرآن : **النصارى** . فقد يعني النصارى من بني اسرائيل . وقد يعني المسيحيين . هكذا في هاتين الآيتين المتعاقبتين : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ... الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته ، أولئك يؤمنون به » (البقرة ١٢٠ و ١٢١) . فكيف لا يرضى النصارى عن النبي العربي ، وهم « الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته ، يؤمنون به » ؟ قال الجلالان بعد غيرهما : « نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا » . ولكن صيغة التعبير المطلقة تتجاوز حادثاً محصوراً ، اذا صح أنه حدث . ان « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » هم النصارى من بني اسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب ، الذين جاء القرآن ينصرهم على اليهود (الصف ١٤) . اما النصارى الذين لا يرضون عن النبي العربي حتى يتبع ملتهم ، فهم مسيحيون في مقابلة اليهود . لذلك جعل جماعته مع النصارى من بني اسرائيل « **أمةً وسطا** ليكونوا شهداء على الناس » (البقرة ١٤٣) . فالاسلام ، تعريب « النصرانية » أمة وسطاً بين اليهودية والمسيحية التي عرفها .

سابعا : الوثائق القرآنية في العهد المدني بحق النصارى ، وترتيبها

ان الوفد المسيحي الوحيد الى المدينة ، الذي كان الواسطة الوحيدة في القرآن للحوار مع المسيحية ، والذي ترك أكبر الاثر فيه وفي السيرة النبوية والحديث الشريف ، **هو وفد نجران**. ونجران على الحدود بين اليمن والحجاز ، وكان غالبية سكانها من اليعاقبة ، على دين الحبشة والاقباط في مصر. لذلك كان صراع الاحباش وأهل اليمن المسيحيين من جهة ، والفرس وأولياؤهم اليهود من جهة أخرى، على نجران، عنيفاً مستميتاً. وكان كذلك في نجران قس «نصراني»، ابن ساعدة الايادي مع جماعة قليلة. ووفد نجران لجدال محمد ومباحثته في المسيح الذي يدعو اليه كان من المسيحيين اليعاقبة . لذلك لا يعرف القرآن كله من المسيحية المنتشرة في دولة الروم والعالم **إلا هذه المسيحية اليعقوبية**، التي بعد اجماع المجمع المسكوني الخلقيدوني على تحريم عقيدتها الخاصة أمست بدعة ، عام ٤٥١ . فالمسيحية الارثذكسية الكاثوليكية السائدة في العالم ، حين البعثة المحمدية والتي عرفوها باسم الملكية أم الملكانية ، لم يتعرّض لها القرآن على الاطلاق. لذلك فحملته على تلك المسيحية لا تعني المسيحية ، **ولا يصح بحال تطبيقها على المسيحية**. هذا ظلم للحقيقة ، وخيانة للواقع القرآني .

استطلع **وفد نجران اليعقوبي** عقيدة محمد في المسيح ، وباحثه ، ثم وادعه وهادنه ورجع يترقب المصير . كان ذلك عام الوفود ، من زمن سورة المائدة ، لا من زمن سورة آل عمران ، التي جاء في صدرها (٣٣ — ٦٤) خبر ردّ القرآن عليهم. لذلك نرى ضرورة نقل جدال النصارى من (آل عمران) (الى المائدة)؛ وجدال اليهود من (المائدة) الى (آل عمران) — لانه حين نزول (المائدة) كان أمر اليهود قد صُفي في الحجاز كله ، فلا مجال لهم لمناقشة القرآن — وذلك ليستقيم ترتيب النزول والتاريخ . وقد نشروا أيضاً جدال وفد نجران في سور (آل عمران ، والنساء) ، **في غير موضعه** ؛ وموضعه كله في سورة (المائدة) . وأدهى من ذلك ، إقحام ذكر النصارى المشبوه في السور المدنية

الاولى (البقرة ، آل عمران ، النساء) حيث الجدال قائم مع اليهودية وحدها. ولا جدال مع المسيحيين في العهد المدني الاول. فهناك اقحام لذكر النصارى أو المسيحيين في غير موضعه ، كما هناك ترتيب للايات القرآنية في خطاب النصارى والمسيحيين في غير موضعه أيضاً.

ففي الوثائق القرآنية بحق النصارى والمسيحيين ، لا يتفق ترتيب التنزيل مع الترتيب في النسق الحالي؛ ويجب التمييز بين خطاب النصارى وخطاب المسيحيين، في التعبير المتشابه : « النصارى » ؛ ولا يصح اطلاق تعليم القرآن بحق مسيحية وفد نجران ، على المسيحية العالمية .

لعلّ تلك المبادئ السبعة تهدينا لفهم الوثائق القرآنية المدنية ، لانضمام محمد الى « النصرانية » ، ولقيام « النصارى » معه بالدعوة القرآنية .

●

الوثيقة الاولى : من سورة البقرة (٢ / ١ / ٩١)[1]

١) يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإيايَ فارهبونِ ٤٠
وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً لما معكم
ولا تكونوا **أول** كافر به . . . وإياي فاتقونِ ٤١
ولا تلبسوا الحق بالباطل
وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ٤٢
أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون
أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟ ٤٤

---

(١) الرقم الاول يدل على رقم المصحف ؛ والثاني على ترتيب النزول في العهد المدني ؛ والثالث على الترتيب العام . والآيات بنظم الرباعيات .

يا بني اسرائيـــل اذكر نعمتي التي
انعمت عليكم ، واني فضلتكم عـــلى العالمين ٤٧

٢) ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفّينا من بعده بالرسل
وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات، وأيدناه بروح القدس
أفكلما جاءكم رسول بمـــا لا تهوى أنفسكم
استكبرتم : ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتـــلون ! ٨٧

٣) ولما جاءهم كتـــاب من عند الله
مصدّق لما معهم — وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا — فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به : فلعنة الله عـــلى الكافرين ٨٩
ولمّا جاءهم رسول من عنـــد الله
مصدّق لمـــا معهم ، نبذ فريق
من الذين أوتوا الكتاب كـــتاب الله
وراء ظهورهم ، كأنهـــم لا يعلمون ١٠١

٤) وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً او نصارى !
— تلك أمانيهم ! قلْ : هاتوا برهانكم ، ان كنتم صادقين ١١١
بلى ، مَن أسلم وجهـــه لله ، **وهو محسن ،**
فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ١١٢
وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء !
وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء !
وهم يتلون الكتاب ! كذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم ! فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ١١٣

٥) ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى —
حتى تتّبع ملتهم ! — قل : ان الهدى هدى الله

ولئن اتبعت أهواءهم بعـــد الذي جاءك

من العلم، ما لك من وليّ ولا نصـــير ! ١٢٠

الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته

اولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ١٢١

يا بني اسرائيـــل اذكروا نعمتي التي

انعمت عليكم، واني فضّلتكم على العالمين ١٢٢

٦) وقالوا : كونوا هوداً — او نصارى — تهتدوا

بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ١٣٥

قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينـــا

وما أنزل الى ابراهيم واسمـــاعيل

واسحـــاق ويعقوب والاسباط،

ومـــا أوتي موسى وعيسى،

ومـــا أوتي النبيون من ربهم

لا نفرّ بين احد منهم، ونحن لهم مسلمون ١٣٩

٧) أم تقولون : ان ابراهيم واسماعيل واسحاق

ويعقوب، والاسباط، كانوا هوداً — او نصارى —

قلْ : أأنتم أعلم أم الله ؟ ومن أظلم ممّن كتم

شهادة عنده من الله، وما الله بغافل عمّا تعملون ١٤٠

وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء

على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً . . . ١٤٣

ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية

ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتـــابع قبلتهم،

وما بعضهم بتابع قبلة بعض : ولئن اتبعت أهواءهم

من بعد ما جاءك من العلم، انك إذاً لمن الظالمين ١٤٥

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم ! وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ١٤٦

٨) كان الناس أمة واحـــدة فبعث الله
النبيـــين مبشرين ومنذرين
وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم البينـــات
بغياً بينهـــم ، **فهدى الله الذين**
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم» ٢١٣

●

يستفتح العهد المدني **بثلاث ظواهر كبرى** : اعلان الامة الوسط (١٤٣) ، وتحويل القبلة مـــن بيت المقدس الى كعبة مكة (١٤٤ و ١٤٩ — ١٥٠) ، واعلان الجهاد (١٩٠) .

والصراع الداخلي ما زال يدور في المدينة، كما في مكة، بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل ؛ لكن في المدينة ، بسبب سيطرة اليهود عليها ، يبلغ الصراع ذروته منذ مطلع العهد : « وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » (١٧٥) ؛ «ولكن اختلفوا : فمنهم من آمن ومنهم من كفر ! **ولو شاء الله ما اقتتلوا** ! ولكن الله يفعل ما يريد» (٢٥٣) . وما اختلف أهل الكتاب — وفي السورة كلها يقصد بني اسرائيل — إلا « من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم » (٢١٣) **اي** بينات عيسى في الانجيل: «فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة» (الصف ١٤) ، وهو تفسير لقوله : « **فمنهم من آمن ومنهم من كفر** » (٢٥٣) . **ولا ذكر في السورة للمسيحيين من غير بني اسرائيل** ؛ فما زال «هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦) . بل

يعلن موقفه صريحاً منهم : فيأخذ موقف النصارى من بني اسرائيل المحسنين (١١٢) ويكفر اليهود الظالمين: «واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال: اني جاعلك للناس إماماً — قال : ومن ذريتي ؟ — قال : لا ينال عهدي **الظالمين**» (١٢٤) . والقرآن يحذر محمداً نفسه من ظلم اليهود : «ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ، إنك اذاً لمن الظالمين» (١٤٥) . وهذا «**العلم**» **المشهود** هو علم «اولي العلم قائماً بالقسط» (آل عمران ١٨) ، علم «النصرانية» ، «مَن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) .

١ — والدلائل على «نصرانية» الدعوة القرآنية كثيرة ، في سورة البقرة ، بمناسبة اعلان الامة الوسط (١٤٣) . فالسورة كلها جدال متواصل مع اليهود الذين يعتبرهم القرآن «**أول كافر به**» (٤١) ويذكرهم ثلاث مرات بفضل الله عليهم وتفضيله لهم على العالمين (٤٠ و ٤٧ و ١٢٢) ؛ وهو يستثني من بني اسرائيل ، «أول كافر به» ، «الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته ، اولئك يؤمنون به» (١٢١) . فالنصارى من بني اسرائيل يؤمنون بمحمد والقرآن لانهم «يتلون الكتاب حق تلاوته» ، فهم متكافلون متضامنون معه بالدعوة ، لانها دعوتهم . واليهود ينبذونه لانه لا يدعو بدعوتهم : «ولما جاءهم رسول من عند الله ، مصدق لما معهم ، **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب** كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون» (١٠١) . على ضوء هذا التصريح يجب فهم التعميم في غير تصريح . ونلاحظ ان القرآن يسمي الكتاب المقدس الذي بين ايدي اليهود والنصارى «**كتاب الله**» (١٠١) ، ولو حاول اليهود طمس معانيه: «ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق وانتم تعلمون» (٤٢) .

٢ — ثم يصف صراع الفرق الثلاث بالمدينة : «وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء ! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء ! — وهم يتلون الكتاب ! — كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» (١١٣) . فاليهود والنصارى من بني اسرائيل هم اولو العلم لانهم أهل الكتاب ؛ اما المشركون فهم «الذين

لا يعلمون » لانهم بلا كتاب منزل . والفئات الثلاث تكفر بعضها بعضاً . ويستعلي اليهود على الكل بقولهم : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً — او نصارى » (١١١) ؛ فقد كان شعارهم : « كونوا هوداً — (او نصارى) — تهتدوا » (١٣٥) . إن جدال القرآن المدني ، في عهده الاول ، هو مع اليهود ، ويأتي ذكر « النصارى » فيه مقحما ، لا على سبيل « الاستطراد » فقط[1] :

فني القرائن البعيدة والقريبة لهذه **الآيات الثلاث** ، يقوم الجدال مع اليهود ، ولا مجال لاقحام النصارى فيه : « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً — او نصارى — تلك امانيهم ! قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ! بل من أسلم وجهه لله ، **وهو محسن** ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١١١ — ١١٢) ، فلا يمكن ان يقول اليهود عن « النصارى » هذا القول . « ولن ترضى عنك اليهود — ولا النصارى — حتى تتبع ملتهم » (١٢٠) ؛ كذلك لا يصح ان يقول اليهود هذا القول بحق النصارى . ونرى ان النصارى من بني اسرائيل راضون عن محمد ودعوته (آل عمران ١٨ — ١٩ ؛ المائدة ٨٥) . « وقالوا : كونوا هوداً — أو نصارى تهتدوا » (١٣٥) ، فلا يعقل ان يقول اليهود مثل هذا القول بحق النصارى . لانه في المواقف الثلاثة وفي غيرها جميعاً ، « قالت اليهود : ليست النصارى على شيء ! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء » ! **والجناس اللفظي في شعارهم** : « كونوا هوداً تهتدوا » برهان قاطع أيضاً على اقحام ذكر النصارى في الآيات الثلاث . وجواب القرآن عليهم : « بلى من أسلم وجهه لله ، وهو محسن ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٨٧) يفضح الاقحام المكشوف . ان المسلمين **«المحسنين» أو المقسطين هم «النصارى» في اصطلاح القرآن** ، لانهم « أولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ —

---

(١) دروزة : سيرة الرسول ٢ : ١٤٥ و ١٥٩ و ١٦٠ .

١٩) ؛ « قلْ : نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) ؛ « لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين » (الاحقاف ١٢) : فهو يميز « المحسنين » عن جماعة محمد « الذين آمنوا » ، وعن اليهود « الذين ظلموا » ؛ فالمحسنون هم «النصارى» ومن تنصّر معهم من العرب ، وهم الذين يدخلون الجنة : فإقحام ذكر النصارى في الآية (١١١) مفضوح لانه يخلق فيها تناقضاً . وهذه الشهادة « للنصارى » « المحسنين » بدخول الجنة برهان على « تنصّر » محمد والدعوة القرآنية .

٣ — **والسورة صورة للخلاف المستحكم** بـــين اليهود والنصارى من بني اسرائيل (١١٣) . ولكن ليس الخلاف الاكبر في الكتاب ، «وهم يتلون الكتاب» (١١٣) ؛ انما **الخلاف في عيسى** ، وهو خلاف بلغ حدّ الاقتتال . والقرآن ، في باب المفاضلة بين الرسل ، يقف مـــن المسيح موقف النصارى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : منهم من كلّم الله (موسى) ؛ ورفع بعضهم درجات (ربّما الياس الحي) ؛ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات ، وأيدناه بروح القدس . ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ، من بعد ما جاءتهم **البينات** . ولكن اختلفوا : فمنهم من آمن (النصارى) ، ومنهم من كفر (اليهود) ؛ ولو شاء الله ما اقتتلوا . ولكن الله يفعل ما يريد » (٢٥٣) . فاليهود والنصارى مـــن بني اسرائيل يقتتلون منذ جاء عيسى بالبينات ، لذلك يعتبر القرآن اليهود كافرين منذ المسيح : فدعوته « نصرانية » .

٤ — يقول دروزة في (سيرة الرسول ٢ : ١٣٤) : « ففي هذه الآية وصف لواقع حال أهل الكتاب من لدن رسالة عيسى عليه السلام خاصة ، وما آل اليه أمرهم من خلاف ونزاع . وهذا الوصف يشمل اليهود والنصارى . ومما لا يكاد يحتمل تردّداً أنه وصف لحالة كل من الفريقين في عهد النبي ص التي كان يشاهدها الناس ، ومنهم العرب غير الكتابيين . ولقد كان يقع في ظروف البعثة النبوية

وقبلها بقليل قتال وثورات بين النصارى والاسرائيليين[1] في بلاد الشام ، نتيجة لما كان من نزاع وعداء بينهم ، ولما كانت فيه البلاد من اضطراب سياسي ، اذ كان يتداول الحكم فيها الروم والفرس ، فيتقوى النصارى بالاولين ، كما يتقوى الاسرائيليون بالآخرين » .

ان الاستاذ دروزة يتوهم اقتتال اليهود والمسيحيين في زمن الدعوة القرآنية وما قبلها بقليل . وفاته انه بعد اعـــلان المسيحية دين الدولة عند الروم ، في الدستور التيودوسي في منتصف القرن الخامس هاجر اليهود بأكثرهم الى دولة الفرس وكانوا طابورها الخامس عند العرب ؛ وهاجر النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز ، أرض الحياد بين الدولتين . فمنذ قرنين لم يبق اقتتال في بلاد الشام بين اليهود والمسيحيين . انما الاقتتال كان بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل في ديار العرب للسيطرة الدينية فيها ؛ وبسبب انتصار هؤلاء النصارى للدعوة القرآنية وشهادتهم « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨—١٩) ، كان اليهود « يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » (آل عمران ٢١) ، وجاء جهاد القرآن انتصاراً « للنصارى » على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (الصف ١٤) . فهذا الاقتتال بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل ، وهذا الانتصار القرآني لهؤلاء النصارى على عدوهم اليهود ، هما البرهان القاطع على « تنصّر » محمد والدعوة القرآنية .

٥ — ويظهر أيضاً « تنصّر » محمد والقرآن في **اعلان فضل عيسى** على موسى وعلى من « رفع بعضهم درجات » بالبينات التي امتازت بها دعوة السيد المسيح ، خصوصاً بتأييد روح القدس له ، « يسير معه حيث سار » (الجـــلالان ٨٧ و ٢٥٣) ، وهذا ما لم يفعله لا مع ابراهيم ، ولا مع موسى ، ولا مع محمد نفسه .

---

(١) هنا يأخذ الاستاذ اسم نصارى بمعنى مسيحيين ، ويقصر الاسرائيليين على اليهود ، فهو يجهل وجود النصارى من بني اسرائيل قبل الدعوة القرآنية التي ذابوا فيها .

فلا مجال للخلاف في فضل عيسى على النبيين أجمعين ، ولا يمكن لليهود انكاره. فالقرآن دعوة « نصرانية » للمسيح .

٦ — وفي هذه السورة تصل « نصرانية » الدعوة الى **الايمان باستشهاد المسيح قتلاً** على يد اليهود . يقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب . وقفّينا من بعده بالرسل . وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس : أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون » (٨٧). ان فضل عيسى على النبيين أجمعين ظاهر مـــن الاسباب عينها . والآية تذكر « الرسل » جملة ، وتستفتح بذكر موسى كما تختتم بذكر عيسى : **فالاشارة صريحة الى ان الفريق المقتول هو عيسى** ، لان موسى وسائر الرسل كانوا على شريعته ، فهم فريق واحد ، هو الفريق الذي كذبوه . فالقرآن دعـــوة « نصرانية » كاملة للمسيح .

٧ — وايمان القرآن بعيسى هو ايمان « النصارى » الذين يجمعون في اسلام واحد ودين واحد موسى وعيسى . والامر صريح : « قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، **وما أوتي موسى وعيسى** ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (١٣٦) . إن الجميع كانوا على شريعة موسى ، فالايمان « بما أوتي موسى وعيسى » على السواء هو ميزة « النصرانية » والدعوة القرآنية — ولا يعتدّ بذكر « ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط » ، لان شريعة موسى كانت تجديداً احتضن شرائعهم ، كما يتحدى القرآن اليهود : « **كل الطعام كان حلاً** لبني اسرائيل ؛ إلا ما حرّم اسرائيل على نفسه[1] من قبل ان تُنزّل التوراة . قلْ : فأتوا بالتوراة ، فاتلوها ، إن كنتم صادقين » (آل عمران ٩٣) . وهذه شهادة على ان النبي العربي درس دقائق الكتاب كلها . وهو يجادل اليهود بجدال الانجيل

---

(١) قابل سفر التكوين ٣٢ : ٣٢ .

لهم (مرقس ٧ : ١ — ٢٣) : « **بهذا اعلن ان كل الطعام حل** » (٧ : ١٩) . فالاسلام الحق هـو الايمان « بما أوتي موسى وعيسى » مع التخفيف الواحد والتحريم الواحد الذي جاء به القرآن مع الانجيل (سفر الاعمال ١٥ : ٢٩ ؛ ٢١ : ٢٥ — قابل البقرة ١٧٣ ؛ المائدة ٣) . فالقرآن ، في العقيدة والشريعة ، دعوة « نصرانية » ؛ لان المسيحية استباحت كل طعام : « كل خليقة الله حلال ، ولا شيء رجس مما يؤخذ بشكر » (١ تيموتاوس ٤ : ٤) .

وايمان القرآن بالكتاب هو ايمان « النصارى » الذين لا يفرقون كاليهود والمسيحيين بين كتب الله ورسله : « آمـن الرسول بما أنزل اليه من ربه ؛ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله : لا نفرّق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون » (٢٨٥) . فالايمان « بالكتاب كله » (آل عمران ١١٩) هو ميزتهم على سائر أهل الكتاب الذين « يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض » (البقرة ٨٥) بعدم إقامة شرائعه . إن عـدم التفريق بين التوراة والانجيل ، بين موسى وعيسى ، هو ميزة القرآن و « النصرانية » . وهذه **ظاهرة كبرى** تكرّرها السورة (١٣٥ و ٢٨٥) .

٩ — وفهم القرآن للكتاب كله هو تفسير « النصارى » له : « الذين آتيناهم الكتاب **يتلونه حق تلاوته** ، أولئك يؤمنون به ؛ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (١٢١) . فالنصارى هم الذين « يتلونه حق تلاوته » ، **أي « كما أنزل »** (الجلالان) ، « بمراعاة اللفظ عن التحريف ، والتدبر في معناه ، والعمل بمقتضاه » (البيضاوي) ؛ وهم الذين « يؤمنون به » اي « بكتابهم دون المحرفين » (البيضاوي) ، بل بالحري « بالنبي والقرآن[1] » ، لان « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ؛ وإن فريقاً منهم (اليهود) ليكتمون الحق وهم يعلمون » (١٤٦) . إن الدعوة القرآنية « نصرانية » مبنى ومعنى ،

---

(١) دروزة : سيرة الرسول ٢ : ١٤٥ .

دعوة « وطريقة » : « فالآية (١٢١) قد أشارت الى الذين آمنوا من النصارى ؛ الى ما فيها من تعليل قوي بليغ لموقف الكافرين به » . وهي أيضاً شهادة ناطقة صريحة على صحة تلاوة **« كتاب الله »** ، التوراة والانجيل ، في زمن محمد ، « حق تلاوته » اي « كما أنزل » ؛ فهي تنقض نقضاً مبرماً كل خرافة تحريف لحرف الكتاب ؛ وما التحريف المذكور فيما بعد سوى كتمان الحق والمعنى (١٤٦) اي الباس الحق بالباطل في تفسير كتاب الله (٤٢) ، كما يفعل اليهود .

١٠ — لذلك فإن « علم الكتاب » (الرعد ٤٥) الحق هو عند « النصارى ». لذلك ايضاً يحذّر القرآن محمداً من ظلم اليهود واهوائهم : « ولئن اتبعت اهواءهم ، بعد ما جاءك من العلم ، فإنك اذاً لمن الظالمين » (١٤٥) . وهذه صفتهم المتواترة في السورة (٩٥ ؛ ١٢٤ ؛ ١٤٥ ؛ ٢٤٦) . فقد ظلم اليهود انفسهم بالكفر بالمسيح « من بعد ما جاءتهم البينات ، بغياً بينهم » (٢١٣) . وقد هدى الله « الذين آمنوا » من العرب بالدعوة القرآنية ، الى الحق والعلم اللذين عند النصارى : « فهدى الله الذين آمنوا ، لما اختلفوا فيه من الحق ؛ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » (٢١٣) ، صراط الذين « يتلون الكتاب حق تلاوته ». فهذا اعلان صريح بوحدة الايمان والامة والكتاب بين محمد و « النصارى » .

١١ — تلك الاسباب كلها تقود الى اعلان القرآن المدني عند مطلعه قيام « الامة الوسط » من جماعة محمد و « النصارى » : « وكذلك جعلناكم **أمة وسطاً** ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً » (١٤٣) . فالاسلام القرآني ، « النصراني » الذي يؤمن بموسى وعيسى ، كتاباً واحداً وديناً واحداً (١٣٥ و ٢٨٥) يشرعه للعرب (الشورى ١٣) هو برهان الامة الوسط الواحدة بين اليهودية والمسيحية . فالقرآن دعوة « نصرانية » لأمة « تتنصّر » . هكذا اهتدى « الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق » ، الى الصراط المستقيم (٢١٣) .

١٢ — تلك هي الظاهرة الكبرى الاولى في المدينة. والظاهرة الثانية الكبرى

هي تحويل القبلة الى كعبة مكة ، والقرآن يعطيهـــا شعاراً مميزاً لتلك الامة الوسط : « ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » (١٢٣) ؛ ثم « لئلا يكون للناس عليكم حجة ، إلا الذين ظلموا منهم » (١٥٠) اي لايلاف العرب الى الدعوة القرآنية ورفع الاتهام بأنها أجنبية ترفع الحياد العربي بين الفرس والروم (القصص ٥٧) .

كان « النصارى » لا يصلّون الى الشرق مثل المسيحيين ، ولا الى الغرب مثل اليهود ، بل الى بيت المقدس ، باتجاه اورشليم ، حيثما كانوا . وظل محمد على قبلتهم حتى تحويلها الى البيت العتيق ، « شطر المسجد الحرام » فأثار تحويل القبلة غضبة عنيفة عند اليهود ، « كانت كبيرة » (١٤٣) : « سيقول السفهاء من الناس : ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » (١٤٢) . إن « السفهاء من الناس » هنا هم اليهود ، لان المشركين يرون في ذلك عودة الى دين الاجداد . أما « النصارى » لقد وافقوا على حكمة التحول ، لأنهم رأوا فيها تعريب الاسلام « النصراني » لتأليف العرب : « قل: لله المشرق والمغرب، يهدي من يشاء الى صراط مستقيم» (١٤٢) ؛ « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ، إن الله بالناس لرؤف رحيم » (١٤٣) ؛ لذلك « **ان الذين أوتوا الكتاب** (النصارى) **ليعلمون انه الحق من ربهم** ، وما الله بغافل عمّا يعملون » (١٤٤) ، فقد فهم « النصارى » حكمة التحويل ، وقبلوا بها ، واندمجوا معها اندماجاً كاملاً (المائدة ٨٥ — ٨٩) . فرضى « النصارى » بتحويل القبلة في الصلاة دليل آخر على « نصرانية » الدعوة القرآنية ، يظهر ذلك من ثورة اليهود عليها ، اولئك « السفهاء من الناس » .

١٣ — كان تحويل القبلة **عبقرية اولى** في تعريب « النصرانية » ؛ وكان تبنّي الحج العربي الى كعبة مكة ، **العبقرية الثانية** ، في هذا التعريب : « وأقيموا الحج والعمرة لله » (١٩٦) : خطوتان جبارتان ومظهران خارجيان ، لا يمسان جوهر الدعوة « النصرانية » في شيء ؛ فإن فرض **شريعة الصيام** « النصرانية » ، كما كان

يمارسها محمد مع استاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، مدة شهر رمضان، قبل البعثة، برهان قاطع على استمرار الدعـــوة القرآنية في خط «النصرانية»: «يا أيها الذين آمنوا، كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتّقون» (١٨٣). والاصل العقيدة، قبل الشعائر.

١٤ — **والظاهرة الكبرى الثالثة**، في مطلع العهد بالمدينة، كانت تشريع الجهاد، أولًا لحماية الدعوة والدفاع عنها ضدّ المشركين الذين تآمر اليهود معهم عليها؛ ثم في العهد الثاني المدني لفرض الدعوة بالقوة على العرب. حينئذٍ تمّ النصر «للنصرانية» على الشرك العربي وعلى اليهود معاً: «فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤). وروح الجهاد ورثها النصارى من بني اسرائيل، من قوميتهم التورانية؛ ومـــن إقامتهم للتوراة والانجيل معاً، وأورثوها للدعوة القرآنية، وميزتها مثلهم الايمان «بما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرّق بين أحـــد من رسله، ونحن له مسلمون» (٢٨٥ و ١٣٦). فهدف الجهاد القرآني كان لحماية «النصرانية» ثم لفرضها على الجزيرة (الصف ١٤)، باسم الاسلام الذي له يشهدون (آل عمران ١٨).

تلك هي الدلائل الكبرى عـــلى «نصرانية» الدعوة القرآنية بالمدينة في سورة البقرة.

***

الوثيقة الثانية: من سورة آل عمران (٣/٣/٩٣)

تنبيه: أجمع المفسرون وأهل الحديث وأهل السيرة ان قصص آل عمران (٣٣ — ٦٤) كان مع وفد نجران، من عام الوفود، اي مـــن زمن تنزيل سورة المائدة: فندع بحثه الى موضعه. تبقى سورة آل عمران فصلًا ثانياً من جدال القرآن لليهود، بعد نصر بدر، وان ورد اسمهم على التعميم، «أهل الكتاب»، فهو يقصد التخصيص كما يظهر من القرائن اللفظية والمعنوية. هكذا يظل القرآن في مشكل الجدال بـــين اليهود والنصارى من بني اسرائيل، ولا دخل فيه للمسيحيين، كما يوهم اقحام جدال وفد نجران بقصص آل عمران على السورة، التي اكتسبت اسمها منه فزادت الشبهة.

«آلم. الله، لا إله إلا هو، الحيّ القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق، مصدّقاً
لما بين يديه، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى الناس، وأنزل الفرقان...
١ — ٣

هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب
وأخر متشابهات: فأمّا الذين في قلوبهم زيغ، فيتّبعون

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله
والراسخون في العلم يقولون: امنّا به
كلٌ من عند ربنا، وما يذكّر إلا اولوا الالباب... ٧

شهد الله انه لا إله إلا هو، والملائكة، واولوا العلم قائماً بالقسط،
لا إله إلا هو، العزيز الحكيم أنّ الدين عند الله الاسلام
١٨ — ١٩

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغياً بينهم: ومن يكفر بآيات الله، فإن الله سريع الحساب
١٩

فإن حاجّوك فقلْ: أسلمت وجهي لله، ومن
اتّبعنِ، وقلْ للذين أُوتوا الكتاب والأميين
أأسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن
تولّوا، فإنما عليك البلاغ، والله خبير بالعباد ٢٠

ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فبشرهم بعذاب أليم...
٥١

ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، يُدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم ، ثم يتوّلى فريق منهم ، وهم معرضون !
٢٣

ذلــك بأنهم قالوا : لن تمسّنا النار ، إلا أياماً معدودات
وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون ! . . .
٢٤

يا اهل الكتاب لِمَ تحاجّون
في ابراهيم ، وما أنزلت التوراة — والانجيل —
إلا من بعده ، أفلا تعقلون ٦٥
ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم فيه علم ، فلمَ تحاجون

فيما ليس لكم فيه علم ؟ والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون
ما كان ابراهيم يهودياً — ولا نصرانياً
ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين ٦٦ — ٦٧

أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم مَن
في السماوات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون؟ ٨٣
قلْ : آمنا بالله وما أنزل علينا وما
أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط

وما أوتي موسى وعيسى والنبيون
من ربهم : لا نفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون ٨٤
ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن
يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين. . . ٨٥

ليسوا سواء ! من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ١١٣
يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ،

ويسارعون في الخيرات : وأولئك من الصالحين
وما يفعلوه من خير فلن يكفروه . والله عليم بالمتقين
١١٤ — ١١٥

●

كانت (البقرة) اعلاناً لقيام « الامة الوسط ». وتأتي (آل عمران) لاعلان ايمانها **بالشهادة للاسلام «النصراني»** الذي يشهد به ، مع الله وملائكته « أولوا العلم قائماً بالقسط » (١٨ — ١٩). هذه هي **الظاهرة الكبرى** في السورة .

وان (آل عمران) سلسله **ثانية** من الجدال مع اليهود ، الذين يسميهم « أهل الكتاب » ، مما يلقي الشبهة عليهم جميعاً — كما نرى عند المفسرين — وهو تعميم يراد به التخصيص باليهود ، كما توضحه القرائن ، من قتل النبيين بغير حق (٢١) ، وقتل الذين يأمرون الناس بالقسط اي بالايمان بالدعوة القرآنية ، وهم « النصارى » (٢١) ، وتصريحه « ثم يتولى فريق منهم » (٢٣) ، وتمييز « النصارى » عنهم بقوله: «ليسوا سواء: (منهم) أمة ... من الصالحين» (١١٣). لذلك فتصريحه العام: «وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين: أأسلمتم ؟ فإن أسلموا، فقد اهتدوا » (٢٠) — الذي يوهم انه دعوة عامة مطلقة لاهل الكتاب جميعاً كما للاميين المشركين — يجب مقابلته مع شهادة « النصارى » ، أولي العلم المقسطين « ان الدين عند الله الاسلام » (١٨ — ١٩) ؛ فهو تعميم يراد به التخصيص

باليهود، الذين يصف تصفية بني قينقاع منهم في مطلع السورة (١ — ١٧)، حيث «الله سريع الحساب» (١٩).

في **فصل اول** يبرّر تصفية بني قينقاع اليهود، وإيمان الراسخين بالعلم بالقرآن كله. فكانت **شهادة «النصارى» الاولى** للقرآن. فالله نزّل التوراة والانجيل والقرآن، «وأنزل الفرقان» اي السنّة التي تفصّل القرآن (١ — ٣). لكن اليهود كفروا بالانجيل والقرآن، «فلهم عذاب شديد، والله عزيز ذو انتقام» (٤). ان قوله: «ان الذين يكفرون بآيات الله» لا يعني المشركين هنا، بل أهل الكتاب من اليهود، بسبب ذكر الانجيل السابق الذي به يكفرون (٣)، وبسبب كشف مؤامرتهم مع المشركين في بدر: «إن الله لا يخفى عليه شيء» (٥). وقد وصلت مناوراتهم الى تشكيك الناس بالقرآن: «فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبّعون ما تشابه منه، **ابتغاء الفتنة**، وابتغاء تأويله» على هواهم (٧). فيردّ عليهم بأن «الكتاب، منه آيات محكمات، هنّ أم الكتاب؛ وأخر متشابهات... وما يعلم تأويله إلا الله؛ والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌ من عند ربنا» (٧). ان تعبير «الراسخين في العلم» ليس بحسب اللغة — كما يحلو لبعضهم ان يفسروه — انما هو اصطلاح، كناية عن «النصارى»، أولي العلم المقسطين (١٨). فهؤلاء النصارى يشهدون للقرآن كله، المحكم منه والمتشابه: **وهذا دليل اسلامهم و «نصرانية» القرآن**. وكان على اليهود، المتجبرين بالمال والبنين، ان يتعظوا بمعجزة الله في نصر بدر، ويكفوا عن تكفيرهم وتشكيكهم بالقرآن (١٠ — ١٣). وعلى جماعة محمد ان يعتبروا بأن «حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسوّمة، والحرث» — وهذه صورة واقعية لثراء يهود المدينة — لا يغني عن الاخرة والجنة ورضوان الله شيئاً (١٤ — ١٧).

في **فصل ثان** يعلن بتصريح صارخ **دين الامة الوسط**: «ان الدين عند الله

الاسلام » (١٩). يشهد بذلك الله وملائكته «وأولوا العلم قائماً بالقسط» (١٨). ان تعبير «أولي العلم» او «الذين يعلمون» اصطلاح، كناية عن أهل الكتاب، تجاه المشركين، «الذين لا يعلمون» (البقرة ١١٣)، فكانوا «الاميين» الذين ليس لهم كتاب منزل؛ وقد قابلهم في قوله: «وقل لاهل الكتاب والاميين» (٢٠). لكنه يقسم أهل الكتاب، أولي العلم، الى فئتين: الظالمين منهم وهم اليهود؛ والمقسطين أو المحسنين، وهم «النصارى»، لذلك يسميهم «أولي العلم قائماً بالقسط» (١٧) او «الراسخين في العلم» (٧). **فالنصارى هم الذين يشهدون «ان الدين عند الله الاسلام»**، وشهادتهم من شهادة الله وملائكته، لذلك فالقرآن يشهد بشهادتهم. وهذا هو البرهان القاطع الاسمى على «نصرانية» محمد والقرآن.

قد يرد على ذلك بقوله للحال: «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم: ومن يكفر بآيات الله، فإن الله سريع الحساب» (١٩)، كما خبر ذلك بنو قينقاع. ظاهر التصريح يشمل أهل الكتاب كلهم؛ انما هي شبهة توضحها القرائن: اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم»: وهو «العلم» المنزل بالانجيل الذي يصدقه القرآن؛ وهو يوجه دعوة الاسلام لاهل الكتاب والاميين (٢٠) اي لاهل الكتاب «الذين يقتلون النبيين بغير حق» (٢١)، الذين «يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم، وهم معرضون» (٢٣)؛ فكلها دلائل واضحة تخص تعميم تعبير «الذين أوتوا الكتاب» باليهود، «الذين أوتوا نصيباً من الكتاب» (٢٣). فالقرآن يوجه دعــوة الاسلام «النصراني» الى «الذين أوتوا الكتاب والاميين» (٢٠) اي اليهود والمشركين: فالقرآن دعوة «نصرانية. **وهــذه شهادة «النصارى» الثانية للاسلام**.

وهذه الآية: «ان الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق،

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فبشرهم بعذاب أليم» (٢١) تدفع كل شبهة. فهي تقسم وتصف أهل الكتاب بكنايات صريحة أبلغ من التسمية: فقتلة الانبياء هم اليهود، كما عيرهم الانجيل من قبل؛ والذين يأمرون الناس بالقسط اي بالعدل، وهو الايمان بالدعوة القرآنية، هم «النصارى» وبسبب قيامهم بالدعوة مع محمد فهم عرضة للاغتيال مـــن قبل اليهود، والاستشهاد في سبيل الاسلام «النصراني» والقرآني. وهذا الاستشهاد برهان قاطع على اسلام «النصارى» وعلى «نصرانية» القرآن، الذي يشهد بشهادتهم «ان الدين عند الله الاسلام». **وهذه شهادة «النصارى» الثالثة لمحمد نفسه في دعوته.**

في فصل ثالث يجادل اليهود «بكتاب الله» الذي معهم، وذلك بجدال «النصارى» لهم.

«فالنصارى»، «**أولوا العلم قائماً بالقسط**» (١٨) هم أهل «العلم»؛ وهم أهل القسط اي أهل العدل والتوحيد قبل غيرهم: فهم **إمام الدعوة القرآنية**، الذين يسير محمد في دعوته على هداهم، كما جاءه الامر: «فبهداهم اقتده» (الانعام ٩٠)؛ والقرآن يشهد بشهادتهم «ان الدين عند الله الاسلام» (١٩). وباسم هذا الاسلام «النصراني» يوجه القرآن الدعوة الى اليهود والى الاميين المشركين (٢٠). وباسم «**كتاب الله**» الذي معهم يرد على اليهود «الذين أوتوا نصيباً من الكتاب»، ثم «قالوا: لن تمسنا النار إلا اياماً معدودات» (٢٣ — ٢٤). إن «**كتاب الله**» هو عند أهل الكتاب، لكن اليهود في تلاوته «يلبسون الحق بالباطل» (البقرة ٤٢)، بينما النصارى من بني اسرائيل «يتلونه حق تلاوته» (البقرة ١٢١). فالقرآن بتسميته «كتاب الله» (آل عمران ٢٣) ينتمي اليه، **ويعتبره وحده «كتاب الله»** الذي يفصله بالقرآن العربي، ويشهد بهذه التسمية بصحته وحفظه وسلامته من التحريف، كما يتلونه على أيام محمد. فالقرآن يجادل اليهود، «بكتاب الله»، وبجدال «النصارى» لهم، في عقاب الآخرة لهم. **وهذه شهادة رابعة «لكتاب الله»** الذي مع «النصارى».

في فصل رابع يجادل القرآن اليهود أيضاً في ابراهيم (٦٥) بجدال «النصارى» لهم . ينتمي القرآن في دعوته الى ابراهيم الخليل ، مع انتسابه الى « النصرانية » (١٨) . فخاصمه اليهود وقالوا : « ابراهيم يهودي ونحـــن على دينه — وقالت النصارى كذلك» (الجلالان) — هنا يقصد (الجلالان) المسيحيين، ولا ذكر لهم في سورة آل عمران ، ما عدا الفصل المقحم (٣٣ — ٦٤) عليها من زمن سورة المائدة . وآل عمران تذكر النصارى من بني اسرائيل ، أهل الشهادة بالاسلام (١٩) . تقول : يا أهل الكتاب لمَ تحاجون في ابراهيم ، وما أنزلت التوراة (**والانجيل**) إلا من بعده، أفلا تعقلون» (٦٥). ظاهر النص يعم أهل الكتاب فيبرر ذكر الانجيل مع التوراة . لكن السورة كلها جدال متواصل بين القرآن واليهود ، فلا مجال لذكر الانجيل الذي ينكرون ؛ وتعبير « أهل الكتاب » عام يراد به خاص ، اي اليهود ؛ فذكر « الانجيل » (٦٥) مقحم على الآية من زمن جمع القرآن . وترد السورة على اليهود : « ما كان ابراهيم يهودياً — **ولا نصرانياً** — ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين» (٦٧) . فهي تبرّئ ابراهيم من المشركين ومن اليهود . فهل تبرّئه من النصارى ؟ قلنا لا ذكر للمسيحيين في السورة حتى تصح تبرئة ابراهيم منهم كما ادعاها بولس لهم (غلاطية ٣ : ١٥ — ١٨ ؛ ٤ : ٢١ — ٣١) ؛ بل الخطاب كله في السورة محصور بجدال اليهود ، وهي تعلن الاسلام الذي يشهد به النصارى مـــن بني اسرائيل ، «أولوا العلم قائماً بالقسط» (١٨) الذين يقتلهم قتلة الانبياء لشهادتهم للاسلام (٢١) : فلا تصح تبرئة ابراهيم منهم . لذلك **فكلمة «ولا نصرانيا» مقحمة** على النص من زمن الجمع ، حتى يشمل الجدال بين اليهود والنصارى مـــن بني اسرائيل المسيحيين أنفسهم . أما في زمن الدعوة بالمدينة ، وفي زمن السورة ، ليس من جدال مع المسيحيين، واقحام «ولا نصرانياً» ظاهر تنقضه السورة والقرآن كله حتى الآن. وفي محكم الاعجاز في النظم ، اذا أسقطنا كلمتي « الانجيل » (٦٥) ، و « لا نصرانياً» (٦٧) يظل النص مستقيماً مبنى ومعنى . فالقرآن يجادل اليهود في ابراهيم ، بجـــدال « النصارى » لهم : إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه

« النصارى) وهذا النبي ، والذين آمنوا (من العرب) ، والله ولي المؤمنين . ودت **طائفة من أهل الكتاب** لو يضلونكم ، وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون » (٦٨ — ٦٩) . فالتعميم في (٦٥ و ٦٧) يزول بالتخصيص في (٦٨ — ٦٩) وفي (٧٢ و ٧٥) . فصحة الانتماء الى ابراهيم لا تقوم الا عند « الامــة الوسط » من جماعة محمد والنصارى من بني اسرائيل ، والمتنصرين معهم من العرب (٩٨) ، الذين وحدهم يشهدون « ان الدين عند الله الاسلام » . وهذا الجدال المتواصل مع اليهود ، بجــدال « النصارى » لهم ، دليل على اسلام « النصارى » وعلى « نصرانية » الدعوة القرآنية .

في **فصل خامس** يعود الى **اعلان الاسلام** : انه « دين الله » ؛ وانه دين الفطرة: « وله أسلم من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً ، واليه يرجعون » (٨٣) ؛ وانه دين الانبياء جميعاً ، من ابراهيم ، الى موسى ، الى عيسى ، الى محمد (٨٤) ؛ لذلك « من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهــو في الآخرة من الخاسرين » (٨٥) .

لكنه يحدّد صيغة الايمان بهذا الاسلام : إنه الايمان « بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم: لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٨٤). فالاسلام هو دين الآباء ، ودين النبيين ، جملةً ؛ لكنه في التفصيل هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً (٨٤) ، وهذا هو الدين الذي يشرعه للعرب (الشورى ١٣) ؛ وهو يقوم على إقامة التوراة والانجيل معاً (المائدة ٧١) . هذا الاسلام القرآني هو « النصرانية » بعينها ، التي تؤمن بمــوسى وعيسى ديناً واحداً ، وتقيم التوراة والانجيل ، « الكتاب كله » (١١٩) ، شرعاً واحداً . فالقرآن في ايمانه واسلامه دعوة « نصرانية » .

في **فصل سادس** يشيد بأمة الاسلام : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ! وصفتهم : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » (١١٠) . ثم يحمل على أهل الكتاب : « ولو آمن أهــل الكتاب لكان خيراً لهم : منهم

المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون» عن دينهم (١١٠). هذا التمييز يبرهن ان الحملة على أهل الكتاب لا تشملهم جميعاً، لانه يقسمهم الى مؤمنين وفاسقين. فيفصّل فسق اليهود الفاسقين، بمقاتلة المسلمين وخزيهم؛ وتظهر صفتهم المتواترة: «ويقتلون الانبياء بغير حق» (١١١ — ١١٢). ثم يفصل صفات المؤمنين من أهل الكتاب: «ليسوا سواء: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ ويسارعون في الخيرات؛ واولئك من الصالحين» (١١٣). فمن هي هذه **الامة المثالية في الاسلام** لله؟ لقد ذكر امته بأنها «خير أمة» (١١٠)؛ ثم وصف أمة اليهود الفاسقة (١١١ — ١١٢)، وينتهي بأمة «النصارى» المثالية، التي يزيد في وصفها على وصف جماعته. هذا الثناء الرائع «للنصارى» من المدينة شبيه بالمديح المعجز لهم في مكة، باسم عباد الرحمان (الفرقان ٦٣ — ٧٤). وفي **الوصفين يظهر «النصارى» إمام «المتقين» من العرب**، كما يقتدي محمد بهداهم (الانعام ٩٠).

حاول ويحاول بعض المفسرين صرف ذلك الثناء العاطر عن «النصارى» الى أمة محمد، المتقين من العرب (١١٥). هذا افتراء على صريح القرآن: انها «أمة من أهل الكتاب» (١١٣)، وتعبير «أهل الكتاب» لا يطلقه القرآن مطلقاً على جماعة محمد من العرب. وهو يميز هذه الامة عن سواها التي سبق وصف فسقها: «ليسوا سواء» اي «أهل الكتاب» (الجلالان). وهذه الامة المثالية، وان اتفقت مع جماعة محمد، «خير أمة أخرجت للناس» بالايمان بالله واليوم الآخر؛ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إلا انها تتميّز عليها بأنهـــا «أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» (١١٣)، وهذه صفة أمة عيسى ورهبانها، كما تتواتر في القرآن. فقيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله، في «كتاب الله»، ميزة النصرانية على العالمين؛ وهي «نافلة» للنبي من دون جماعته: «فتهجد به، نافلة لك» (الاسراء ٧٩)، اسوة بأستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، وأمته المثالية. فأمة «النصارى» هي **مثال وامام** جماعة محمد في الاسلام، والايمان بالله واليوم الآخر، والاحسان بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وبالتقوى والعبادة ليل نهار، وبالاسراع في الخيرات وعمل الصلاح؛ ويختم بصفتهم «واولئك من الصالحين» (١١٤) اي أولياء الله من دون العالمين. بينما «خير أمة أخرجت للناس» ينتهي الى القول فيها: «والله عليم بالمتقين» (١١٦)؛ فهي في نسبة «متقين» الى «صالحين».

تلك الاشادة البالغة «بالنصارى» برهان آخر على «نصرانية» الدعوة القرآنية. وقوله: «قلْ: أسلمت وجهي لله، ومن اتبعني» (٢٠) هو مثل قوله: «وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن» (النحل ٩٠ — ٩١): لقد «تنصر» محمد، وقام بالدعوة القرآنية لفرض «النصرانية» على العرب باسم الاسلام الذي يشهد به مع الله وملائكته «أولوا العلم قائماً بالقسط... ان الدين عند الله الاسلام» (١٨ — ١٩)، لانه «هو سمّاكم المسلمين من قبل، وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨). هذا هو دين «الامة الوسط». وشهادة القرآن للاسلام بشهادة «النصارى» أولي العلم المقسطين (١٨ — ١٩) هي **الوثيقة الضخمة** على «تنصّر» محمد والقرآن.

* * *

الوثيقة الثالثة: من سورة النساء (٤/٥/٩٥)

«يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم، ويتوب عليكم والله عليم حكيم! ٢٥
والله يريد ان يتوب اليكم، ويريد الذين اتبعوا الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيما
يريد الله ان يخفّف عنكم وخُلق الانسان ضعيفا!
٢٦ — ٢٧

ليس بأمانيّكم، ولا بأمانيّ أهل الكتاب
من يعملْ سوءاً يجز به، ولا يجدْ له من دون الله وليًّا ولا نصيرا...
١٢٢

ومَـــن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهـــه لله، وهو محسن
واتّبع ملة ابراهـــيم حنيفاً! واتّخذ الله ابراهيم خليـــلا . . .
١٢٤

إن الذين يكفرون بالله ورســـله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله
ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
أولئـــك هم الكافرون حقًا! واعتدنا الكافرين عـــذاباً مهيناً!
١٤٩ — ١٥٠

والذين آمنـــوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحـــد منهم
اولئـــك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفـــوراً رحيما
١٥١

وبكفرهم وقولهم عـــلى مريم بهتـــاناً عظيماً؛ وقولهم:
إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبّه لهم!
١٥٥

وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن
وما قتلوه يقيناً! بـــل رفعه الله اليه! وكان الله عزيزاً حكيماً
١٥٦ — ١٥٧

لكنِ الراسخون في العلـــم منهم، والمؤمنون، يؤمنون
بما أُنزل اليك وما أُنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة
والمؤمنون بالله واليـــوم الآخر أولئك سنؤتيهـــم أجراً عظيماً
١٦١

إنّا أوحينا اليك، كما أوحينـــا الى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا
الى ابراهيم واسماعيـــل واسحاق ويعقوب والاسباط، وعيسى
وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينـــا داود زبوراً!
١٦٢

ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل، ورسلًا لم نقصصهم عليك، وكلّم الله موسى تكليماً: رسلًا مبشّرينَ ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيما
١٦٣ — ١٦٤

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق: إنما المسيح، عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم، وروح منه؛ فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا: «ثلاثة»، خيراً منكم إنما الله إله واحدٌ سبحانه ان يكون له ولدٌ! له ما في السماوات والارض وكفى بالله وكيلا.
١٧٠

لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله! ولا الملائكة المقرّبون! ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر، فسيحشرهم اليه جميعا،
١٧١

●

هذا الفصل الاخير (١٧٠ — ١٧١) في جدال المسيحيين، هو من جدال وفد نجران، في عام الوفود، وليس من العهد الاول بالمدينة؛ أقحموه على هذه السورة، كما أقحموا قصص آل عمران (٣٣ — ٦٤) على الاخرى، ليشمل جدال القرآن منذ مطلع العهد المدني المسيحيين أيضاً. والقرآن والحديث والسيرة تشهد جميعاً بأن الدعوة لم تتعرّض للمسيحيين إلا بعد تصفية اليهود من الحجاز (الصف ١٤). فسورة (النساء) **سلسلة ثالثة من جدال القرآن لليهود،** يجادلهم فيها بجدال «النصارى» لهم؛ كما سيجادل المسيحيين من وفد نجران (١٧٠ — ١٧١) بجدال «النصارى» لهم؛ وربما أقحموه هنا لبيان موقف «الامة الوسط» القرآنية، «النصرانية»، من اليهودية والمسيحية.

في **فصل اول** يعلن **مبدأ التشريع القرآني** : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنَن الذين من قبلكم ... يريد الله ان يخفف عنكم ، وخُلق الانسان ضعيفاً» (٢٥ و ٢٧) . فكما يشرع القرآن للعرب التوحيد الكتابي ، الذي يجمع بين عيسى وموسى ، والانجيل والتوراة (الشورى ١٣) ؛ كذلك يشرع لهم التشريع الكتابي ، مع التخفيف فيه ؛ والتخفيف في شريعة التوراة لم يأت بني اسرائيل إلا مع الانجيل . فالقرآن في عقيدته وشريعته يتبنّى الدعوة « النصرانية » .

في **فصل ثان** يعلن **الدين الافضل** بين الموحدين . قال الجلالان : « ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب : ليس الامر منوطاً (بأمانيكم ، ولا بأمانيّ أهل الكتاب) ، بل بالعمل الصالح (من يعمل سوءاً يجز به) في الآخرة أو الدنيا» (١٢٢) . هذا جواب آخر لليهود الذين قد ردّ عليهم من قبل: «قل: ان كانت الدار الآخرة خالصة لكم من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (البقرة ٩٤) . فقوله هنا « أماني أهل الكتاب » هــو تعميم يراد به كعادته التخصيص باليهود : فالمفاخرة قائمة بين جماعة محمد واليهود . والقرآن يردّ على الفريقين : أولاً بأن الجنة لكل انسان بالايمان والعمل الصالح (١٢٣) ؛ ثم يعلن ، من حيث المفاضلة ، **بأن « النصرانية » أحسن دين** : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ، **وهو محسن** ، واتبع ملة ابراهيم حنيفاً » (١٢٤) . إن أفضل دين هو دين من اتبع ملة ابراهيم حنيفاً عن الشرك ، متبرئاً منه ، ثم أسلم وجهه لله اي كان مسلماً ، لكن على حال من « **هو محسن** » . وهذه الصفة ليست تعبيراً لغوياً ، انما هي اصطلاح متواتر ، كناية عن المسلم « النصراني » ، كما نزل القرآن « لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » (الاحقاف ١٢) ، أو « ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) . فالذين ظلموا هم اليهود ؛ والذين آمنوا هم جماعة محمد ، المتقون من العرب ؛ والمحسنون المسلمون من قبل (القصص ٥٣) أولو العلم المقسطون الذين يشهدون « ان الدين عنــد الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) هم « النصارى » . فالقرآن يعلن ان الاسلام

« **النصراني** » **هـــو أفضل دين** بين أهل الكتاب . هذا هو الدين الذي يشرعه للعرب » (الشورى ١٣) .

في فصل ثالث يكفر اليهود **لكفرهم بالانجيل** ، لانهم بقولهم : « نؤمن ببعض (التوراة) ونكفر ببعض » ، الانجيل ، إنما هم « يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرّقوا بين الله ورسله » (١٤٩) : يجب الايمان « بالكتاب كله » أي « بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » (١٣٥) ، وهي اركان الايمان الخمسة . إنما الاجر والثواب « للذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرّقوا بين أحد منهم » (١٥١) ، وهو يقصد عدم التفريق في الايمان بين موسى وعيسى ، والتوراة والانجيل (البقرة ١٣٥ ، آل عمران ٨٤) . وهذه هي « النصرانية » التي يدعو اليها القرآن في كل سورة .

في فصل رابع يكفر اليهود أيضاً **لكفرهم بالمسيح وامـــه** : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ! وقولهم : إنا قتلنا المسيح ، عيسى ، ابن مريم » (١٥٥) . فكأنهم يقولون للنبي العربي : لقد انتهى أمر صاحبك الذي ما تزال تدعو اليه ! فيرد القرآن : « وما قتلوه ! وما صلبوه ! ولكن شبّه لهم » (١٥٥) . لاحظ قوله : « شبّه لهم » ، لا « له » ، وهذا التدقيق في التعبير يدفع اسطورة الشبه التي بها يتحدثون . ومعنى قوله انهم ظنوا ، وخيّل لهم ، أنهم قضوا على المسيح قضاء مبرماً ! كلاّ ، فما قتلوه القتل الذي يتوهمون ، ولا صلبوه الصلب الذي يزعمون ؛ « وان الذين اختلفوا فيه (اليهود) لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن » ؛ فهم في قرارة نفسهم ليسوا على يقين من القضاء عليه . فالقرآن لا ينكر على اليهود صلب المسيح وقتله ، انما يستنكر تبجحهم بذلك ! فيستأنف الآية ببيان رفع المسيح حياً الى السماء ، رداً على توهمهم القضاء النهائي على المسيح بصلبه وقتله : « وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه » (١٥٧) . ففي رفع المسيح حياً الى الله ، كأن اليهود ما قتلوه حقيقة ، انما انتصر المسيح على قتلهم له وصلبه بقيامته وارتفاعه حياً الى السماء . والرد القرآني اسلوب بياني : **انه الاثبات في معرض**

النفي، وهو أفحم للخصم، لانه ينطلق من مقاله. هذا هو التفسير الحق لهذه الآية، فتنسجم ولا تتعارض مع ما قبلها في (مريم ٣٢) وفي (آل عمران ٥٥)، ومع ما بعدها في (المائدة ١٢٠)، وجمعها واجماعها يذكر صراحة موت المسيح ووفاته بالقتل صلباً، ثم رفعه حياً الى الله في السماء.

وهناك اسلوب بياني آخر ذكره (الاتقان ١ : ٣٠) في بيان الاختلاف بين الكفار والقرآن في التحريم والتحليل. قال: انه دفع توهّم، كانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم؛ و «الغرض منهـا المضادة، لا النفي والاثبات على الحقيقة». فآية (النساء ١٥٦) **جاءت بأسلوب المضادة** لقول اليهود بقتل المسيح وصلبه، وليس الغرض منها النفي أو الاثبات. وهذان الاسلوبان في بيان القرآن ينقضان قول من زعم ان القرآن ينفي قتل المسيح وصلبه. وهذه النصرة القرآنية للمسيح وأمه، كانت سبب الخلاف الاكبر بين النبي واليهود: إن دعوته «نصرانية»، لذلك فهم يكفرون بها، «اولئك هم الكافرون حقاً» (١٠٥).

في **فصل خامس** يستثني من «أهل الكتاب» الكافرين، أهلِ «الظلم الذين هادوا» (١٥٩) أمةَ «الراسخين في العلم منهم»، وهو تعبير مرادف «لاولي العلم قائماً بالقسط»، وهما يميزان بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل. يقول: «لكن الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون، يؤمنون بما أُنزل من قبلك» (١٦١) في شأن مريم واستشهاد المسيح (١٥٦ — ١٦٠): فما بين القرآن والانجيل «النصارى» مطابقة في ذلك. ويمدح «النصارى» على إقامة أركان الاسلام: الشهادة لله، واليوم الآخر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة (١٦١)؛ وقد ذكر من قبل فرض الصيام «كما كتب على الذين من قبلكم». فالقرآن يمدح أمة «الراسخين في العلم» — والصفة كناية متواترة فيه «للنصارى» — لايمـانهم بالتوراة والانجيل والقرآن، ولاقامتهم أركان الاسلام «النصراني»: فالقرآن دعوة «نصرانية».

في فصل سادس يقرّر وحدة الوحي مع «نوح والنبيين من بعده» ، من نوح الى ابراهيم ، الى داود ، الى موسى ، الى عيسى ، الى محمد . لكن في ترتيب غريب لا نعهده في سائر القرآن . وفي هذا الفصل يحشر «عيسى» حشراً بين أنبياء التوراة (١٦٢– ١٦٤) . ويظهر لتجريده من كل صفة أدنى منزلة من داود صاحب الزبور ، ومن موسى الذي «كلمه الله تكليماً» ؛ مع ان القرآن يفضّل عيسى على الانبياء جميعهم بالبينات التي لم يستجمعها أحد مثله ، وبتأييد روح القدس الذي به امتاز على جميعهم . وموقف الآيات (١٦٣ – ١٦٤) من ذكر عيسى يتعارض مع وصفه بأنه «كلمته القاها الى مريم وروح منه» (١٧٠) . وربما كان ذكر «عيسى» مجرداً من كل صفة ، لضرورة الروي ، كما أشرنا في تنسيق النظم ؛ وربما هو اقحام تأباه الآية (١٧٠) ، كما يظهر من حشره بين من سبقه .

وعلى قوله : «ورسلًا قصصناهم عليك من قبل ، ورسلًا لم نقصصهم عليك» (١٦٣) علق الجلالان : «رُوي انه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف من اسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس . قاله الشيخ في سورة غافر» . وفات الجلالين وشيخهما ان القرآن يحصر النبوة والكتاب في ذرية ابراهيم من اسحاق ويعقوب (العنكبوت ٢٧) ؛ وهو «تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب» (يونس ٣٧) ، لا تفصيل نبوّة «من سائر الناس» .

فليس «للناس على الله حجة بعد الرسل» (١٦٤) . ويجب الايمان بالوحي كله ، بلا تفريق بين «كتبه ورسله» (١٣٥) . وضرورة الايمان بوحدة الوحي ، في العقيدة والشريعة ، دعوة «نصرانية» وقرآنية .

أخيراً ، **في فصل سابع** – مقحم على السورة من جدال وفد نجران – يردع القرآن مسيحي نجران من «**الغلو**» في شأن المسيح وأمــه ؛ وينهاهم عن المقالة «بالثلاثة» ؛ ويعلن حقيقة موقفه من السيد المسيح بهذا التعريف الجامع المانع عنده : «**انما المسيح عيسى ابن مريم : رسول الله ، وكلمته القاهــا الى مريم** ،

وروح منه » (١٧٠) ؛ « لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون » (١٧١) . فكون المسيح « كلمة الله وروح منه » لا يجعله الهاً من دون الله ؛ ومثله ومنزلته كالملائكة المقربين . أجل ان المسيح ، كلمة الله ، وروح من الله ، ومن « الملائكة المقربين » ؛ لكنه يبقى رسول الله ، وعبد الله .

هذه هي عقيدة « النصارى » في المسيح . والقرآن يجادل وفد نجران المسيحي بجدال « النصرانية » للمسيحية . فقد افترق اتبـــاع المسيح الى شيعة وسنة لاختلافهم في تأويل « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » . فتبنى القرآن عقيدة « النصرانية » في تأويلها ، لذلك فالقرآن دعوة « نصرانية » .

وموقف هذا الاسلام «النصراني» يبقى «امة وسطاً» بين اليهودية والمسيحية .

لكن بما ان حرف الايمان والشهادة للمسيح واحد ، مع اختلاف في **التأويل** ، فالحوار بين الاسلام « النصراني » والمسيحية حق وواجب ، كحوار بين الشيعة والسنّة .

* * *

الوثيقة الرابعة : من سورة النور (٢٤ / ١٢ / ١٠٢)

« ولقد أنزلنا اليكم آيات مبيّنات ومثلاً من الذين خلوا ، وموعظة للمتقين
٣٤

الله نور السماوات والارض ! نوره كمشكاة فيها مصباح ؛ المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درّي ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ! نور على نور ! يهدي الله لنوره من يشاء
ويضرب الله الامثال للناس ، والله بكل شيء عليم ٣٥

في بيوت أذن الله أن ترفع ، ويُذكر فيها اسمه ؛ يُسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب» ٣٦ — ٣٧

هذه صورة ثالثة، تأتي باسلوب شعري، للامة المثالية التي يعتبرها القرآن مثالاً للذين آمنوا، المتقين من العرب؛ كما جعل عباد الرحمان «اماماً للمتقين» (الفرقان ٧٤)، وسماهم في مثاليتهم «الصالحين» (آل عمران ١١٥). وهم رهبان «النصارى»، كما يظهر من صفتهم المميزة المتواترة، قيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله.

فآيات القرآن العربي البيّنات المبيّنات، انما هي «مثَلٌ من الذين خلوا، وموعظة للمتقين» (٣٤). و «الذين خــلوا» المقصودين يصفهم في الرباعيات التالية: انهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة» (٣٧). انهم منقطعون في صوامعهم، وأديرتهم، «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه؛ (يسبحون) له فيها بالغدوّ والآصال» (٣٧). نعرفهم من مصباح الراهب في المشكاة «الطاقة غير نافذة» (الجلالان). تلك الصفات تميز «النصارى» ورهبانهم من أهل الكتاب، عــن اليهود، كقوله: «ليسوا سواء: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون...» (آل عمران ١١٣ — ١١٥). هؤلاء «النصارى» نورهم كنور مصباحهم، مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري في المشكاة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسَسه نار! إنها نور على نور! (٣٦)؛ أما اليهود «الذين كفروا، اعمالهم كسراب بقيعة» (٣٩).

وزيادةً في فضلهم، يشبه نور الله بنــور مصباحهم: «الله نور السماوات والارض! مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح» (٣٥). وبنور مصباحهم، الذي هو «نور على نور»، «يهدي الله لنوره مــن يشاء! ويضرب الله الامثال للناس» (٣٥).

ومصابحهم بزيته يدل على مذهبهم : انه «يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية» (٣٥) . انها استعارة لمعنى قوله : «ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» (البقرة ١٧٧) . وكلها كنايات واستعارات «للنصرانية» ، الامة الوسط بين اليهودية والمسيحية . «فالنصرانية» مثال «المتقين» من العرب ، وعقيدتها «موعظة للمتقين». فالقرآن دعوة «نصرانية».

***

الوثيقة الخامسة : من سورة الحج (٢٢/١٣/١٠٣)

«يا ايها الذين آمنوا ، اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير ، لعلكم تفلحون ٧٧
وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم
— وما جعل عليكم في الدين من حرج —
ملّة أبيكم ابراهيم ! هو سماكم المسلمين ، من قبلُ ، وفي هذا:
ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس...» ٧٨

في الدعوة القرآنية : «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٩) .

ويردّدون أن الاسلام «ملة ابراهيم» . ويؤيدون ذلك بقوله : «ما كان ابراهيم يهودياً ، ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين» (آل عمران ٦٧) . وقد رأينا معنى هذه الآية على ضوء الذين يشهدون مع الله وملائكته للاسلام : انهم «أولوا العلم قائماً بالقسط» اي النصارى من بني اسرائيل (آل عمران ١٨) . فملة ابراهيم ، أو الحنيفية ، هما في اصطلاحه كناية عن «النصرانية» . ونعرف ان «الحنيفية» لقب لها قبل هجرتها الى الحجاز .

فالقرآن يحصر اسم «مسلمين» بهؤلاء النصارى ، ويميّزهم عن جماعة محمد الذين آمنوا بقوله : «نزّله روح القدس من ربك بالحق : ليثبت الذين آمنوا ،

وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) . بينما صفة جماعة محمد المتواترة أنهم « المتقون » ، « الذين آمنوا » مـــن العرب . وكان اصطلاحاً شائعاً عند أهل الكتاب المهتدين من الاميّين .

وفي سورة (الحج) نرى **ابتداء اطلاق** اسم « مسلمين » على جماعة محمد : « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » (٧٨) ، اي « قبل هذا الكتاب ، وفي هذا القرآن » (الجلالان) ، « في الكتب المتقدمـــة ، وفي هذا القرآن » (البيضاوي) . فسروا ضمير « هو سماكم » بأنه عائد الى الله أو الى ابراهيم ، فيكون الاسلام من ابراهيم . وفاتهم ان « هو سماكم » ، يقابل « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » : والضمير فيها كلها عائد الى الله ، لا الى ابراهيم . وقوله « ملة ابيكم ابراهيم » : « منتصبة على المصدر ، أو على الاغراء ، او على الاختصاص » (البيضاوي) ، وكلها تعود الى المنادى ، فلا تكون نسبتهم الى ابراهيم مصدر اسلامهم . انما يعود اسلامهم الى الامة التي تسمت به من قبلهم : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) ؛ التي تشهد مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » ، وهي أمة « النصارى » . **وما اخذ جماعة محمد اسم « المسلمين » إلا على التبعية والانضمام اليهم** . وما اسلام القرآن سوى اسلام « النصارى » المسلمين ، الذين انضم محمد اليهم وجمل يدعو بدعوتهم : « وأمرت أن أكون من المسلمين ، وان أتلو القرآن » (النمل ٩٠ — ٩١) . فما « ملة ابراهيم » ، مثل الحنيفية ، سوى هذا الاسلام « النصراني » . واتخذت « النصرانية » اسم « ملة ابراهيم » من باب المفاضلة والمبالغة على اليهودية .

●

الوثيقة السادسة : من سورة الصف (٦١ / ٢٠ / ١١٠)

« واذ قـــال عيسى ، ابن مريم : يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدّقاً لمـــا بين يديّ من التوراة

— ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد —

فلما جاءهم بالبيّنات ، قالوا : هذا سحر مبين ٦

ومَن أظلم ممّن افترى على الله الكذب
وهو يُدعى الى الاسلام ، والله لا يهدي القوم الظالمين ٧
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون ! ٨
هو الذي أرسل رسوله بالهدى دين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون !
٩

يا ايها الذين آمنوا ، كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين :
مَن انصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن انصار الله !
فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة !
فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين »
١٤

إن سورة (الصف) **فيها سر الدعوة القرآنية** ، ومفتاح فهم القرآن كله .
وهي **الوثيقة القرآنية الاساسية** الشاهدة على « نصرانية » محمد والقرآن .

نزلت بعد غزوة لشمال الحجاز لتصفية اليهود فيه، من المقيمين بخيبر ، ومن النازحين اليه بعد اجلائهم عن المدينة .

نزلت بعد نجاح الغزوة ، حمداً لله (١) على نصر الاسلام (١٤) بهذا النصر والفتح القريب (١٣) . وتنوّه السورة بملابسات الغزوة : ١) احجام المنافقين في المدينة عن الاشتراك بها بعد وعد ، بسبب عهودهم القديمة مع اليهود ؛ ٢) تبرير غزوة اليهود في الشمال ، بانحرافهم الى الكفر مع موسى (٥) ومع عيسى (٦) ومع محمد في الدعوة للاسلام (٧ — ٩) . ويختم بتذكير المسلمين ان الجهاد تجارة رابحة في الدنيا والآخرة (١٠ — ١٣) ؛ وعليهم فيه ان يكونوا أنصار الله مثل حواريي عيسى : هم نصروا عيسى ، وعلى جماعة محمد أن ينصروا «النصرانية» على اليهودية الكافرة .

ان القرآن **يحصر دعوة عيسى ببني اسرائيل**: « اذ قال عيسى ابن مريم: **يا بني اسرائيل** اني رسول الله اليكم » (٦) . وانتهت دعوته فيهم بأن « **آمنت طائفة من بني اسرائيل ، وكفرت طائفة** » (١٤) . **فالنصارى**، في لغة القرآن ، هم حصراً « طائفة من بني اسرائيل » آمنت بدعوة الحواريين للمسيح . فمن التجني على القرآن اطلاقها على المسيحيين من الأميين. فالقرآن **الذي** «يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» يجعل نفسه **الحكم والحاكم** بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل ، ولا يهتم قبل وفد نجران بالمسيحيين ؛ ويقدّم محمداً وريث رسالة عيسى (٦) . وهذا دليل أول على « نصرانية » محمد والقرآن .

ويصرح بأن اليهود صاروا « **ظالمين** » (٧) لكفرهم بموسى (٥) وكفرهم بعيسى (٦) ومؤامرتهم مع المشركين على اطفاء نور الله، «والله متم نوره ولو كره الكافرون» (٨) . لقد أمسى اليهود « **كافرين** » لمقاومتهم الدعـــوة القرآنية . والرسول قد أتى بالاسلام « ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » (٩) . فالدين كله المقصود هنا هو اليهودية والشرك ، اللذين وصف اتباعهما بالكافرين والمشركين .

والدين الذي جاء به رسول الله هو « **الهدى ودين الحق** » . وتعبير «الهدى» اصطلاح عنده ، كناية عن الموسوية . وتعبير « دين الحق » ترجمة لكلمة الدين « الارثذكسي » الذي كان يستعلي بها المسيحيون على النصارى من بني اسرائيل — ثم على كل البدع التي تنشق عن « الكنيسة الكاثوليكية ، ذات الايمان الارثذكسي » كما يقول يوحنا الدمشقي . كلاّ ليس « الهدى » في اليهودية ؛ ولا « دين الحق » في المسيحية ؛ انما هما في الدعوة القرآنية التي تؤيد « الطائفة من بني اسرائيل » التي آمنت بالمسيح على عدّوها . فالقرآن ، في تحديد اسلامه ، وفي اعلان ظهوره عـــلى اليهود والمشركين ، وتأييد « النصرانية » ، انما هو دعوة « نصرانية ».

والبرهان الاكبر في القرآن على « تنصر » محمد والقرآن هو هذا التصريح

النهائي القاطع: «فآمنت طائفة من بني اسرائيل، وكفرت طائفة: فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» (١٤). فتأييد القرآن ليس «للذين آمنوا» اطلاقاً، بل لطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح؛ فالآية واحدة، وغرضها واحد، ومعناها واحد: ان **الدعوة القرآنية تأييد «للنصرانية»** على عدوها اليهودية والشرك (٨ و ٩) حتى الظهور المبين. وهنا تصرّح الآية بظهور «النصرانية» على اليهودية، في فتح شمال الحجاز؛ ويعد «بنصر من الله وفتح قريب» (١٣) لمكة عاصمة الشرك، بعد ما خبر قوتها في هدنة الحديبية. **فسر الدعوة القرآنية كلها في آية** (الصف ١٤): ان القرآن دعــوة «نصرانية»؛ فالاسلام القرآني «النصراني» هو «الهدى ودين الحق» يظهره الله بمحمد على الدين كله من شرك ويهودية، في الحجاز. يكرّر ذلك في (الفتح ٢٨) بالمناسبة ذاتها؛ ثم يتوسع الشعار في (التوبة ٣٤) ليشمل المسيحية العربية في مشارف الشام، بعد غزوة تبوك، وفي اليمن بعد مجادلة وفد نجران. إن دعوة القرآن المباشرة لا تتخطى الجزيرة العربية، في فرض الاسلام «النصراني»، حسب وصية محمد الاخيرة: «لا يكن في جزيرة العرب دينان»؛ وقد أوصى قبل موته بإخراج مسيحيي نجران، وسائر يهود الحجاز. فالقرآن والسيرة يشهدان «بنصرانية» الدعوة القرآنية التي يشرعها للعرب.

ونرى تأييد ذلك أيضاً في **اشارة لطيفة**: يطلب من جماعته ان يكونوا «انصار الله» كما كان الحواريون «أنصار الله». وهذه اشارة الى ان انصار محمد من صفة انصار عيسى، ويثبت ذلك قوله: «فأيدنا الذين آمنوا عــلى عدوهم فأصبحوا ظاهرين». وقد عرّب القوم اسم «نصارى» الارامي الى «انصار» في العربية، وأخذ به القرآن. ففي الاسم وفي غايته، التأييد، دليل صريح على ان الدعوة القرآنية «نصرانية». لقد انتصرت «النصرانية» في الجزيرة العربية بفضل الدعوة القرآنية.

فوحدة الاسم، ووحدة الصفة، ووحدة الغاية، ووحدة الدعوة، وتجسّد نبوءة

عيسى في « احمد »، كلها برهان ساطع، يؤيد النص القاطع، عـــلى وحدة « النصرانية » والدعوة القرآنية . و « انصار الله » مع عيسى هم **الامام** « لانصار الله » مع محمد في تبني القرآن « للنصرانية » وتأييدها حتى الظهور المبين في الحجاز والجزيرة.

فآية (الصف ١٤) مع اية (آل عمران ١٨ — ١٩) برهان جامع مانع على ان القرآن دعوة « نصرانية ».

●

الوثيقة السابعة : من سورة الحديد (٥٧ / ٢١ / ١١١)

« ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهـــم مهتـــد ! وكثير منهم فاسقون !
٢٦

ثم قفّينا عـــلى آثارهم برسلنا وقفّيـــنا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل، وجعلنـــا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة — ورهبانيةً ابتدعوها، ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها — فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وكثير منهم فاسقون!
٢٧

يا ايها الذين آمنوا، اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم، والله غفور رحيم !
٢٨

لئلا يعلم اهل الكتاب ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله ! والفضل بيد الله يُؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم ! »
٢٩

سورة (الحديد) نشيد الحمد والنصر على الفتح الاكبر ، **فتح مكة** ، عاصمة الشرك ؛ فبفتحها تمّ النصر للاسلام على عرب الحجاز، بعد تصفية اليهود فيه .

وقد نزلت بين يدي **غزوة مؤتة** الفاشلة ضدّ العرب المسيحيين في شمال الجزيرة عند مشارف الشام ، لتقلّل من وقع الهزيمة تجاه النصر المبين في فتح عاصمة الشرك ، بقوله : « لئلا (لكي) يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله » (٢٩) . وتعبير « اهـــل الكتاب » عام يقصد به التخصيص بالمسيحيين العرب الذين غزاهم بمؤتة .

والسورة فيها تحديد « **للامة الوسط** » التي يهتدي بهديها في الدعوة والجهاد . فهو يقسم اهل « النبوة والكتاب » ، قبل عيسى ، الى فريقين : « فمنهم مهتد ، وكثير منهم فاسقون » (٢٦) ، والفاسقون من بني اسرائيل ، اهل « النبوة والكتاب » هم اليهود ؛ والمهتدون هم النصارى من بني اسرائيل ، وكانوا أقلية بالنسبة لليهود ؛ وهذا صدى قوله : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٨٥) . ثم يقسم اتباع عيسى ايضاً الى فريقين : « الذين آمنوا منهم ، وكثير منهم فاسقون » (٢٧) : فالمؤمنون من آل عيسى الذين نالوا « أجرهم » هم الطائفة من بني اسرائيل التي يناصرها القرآن على عدوها ، وقد ظهرت عليه بتصفية اليهود من الحجاز (الصف ١٤) ، فهم النصارى من بني اسرائيل؛ والفاسقون الكثيرون من آل عيسى هم المسيحيون من عرب الشمال الذين غزاهم في مؤتة . وهكذا تظهر « الامة الوسط » المؤمنة المثالية التي يهتدي القرآن بهديها ، ويدعو بدعوتها وينصرها على « عدوها » : إنها « **النصرانية الاسرائيلية بين اليهودية والمسيحية** . فبعد ان انتهى مـــن تصفية اليهود في الحجاز، يتوجه الى تصفية المسيحية بين العرب، «لكي لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، إلا الاسلام القرآني « النصراني » .

وتأتي هذه النظرية الشاملة ، بين **تصاريح متعددة** تدعمها :

في **تصريح اول** يحصر « النبوة والكتاب » في ذرية نوح وابراهيم ، من بني

اسرائيل ؛ وبرهان ذلك تسميتهم «أهل الكتاب» (٢٩) ، والاعلان بالتقفية عليهم بالرسل وعيسى ابن مريم (٢٧) . هذا ما يؤيده تصريح سابق بالحرف الواحد ، يحصر «النبوة والكتاب» في ذرية ابراهيم مـــن اسحاق ويعقوب (العنكبوت ٢٧)؛ كما في قوله أيضاً: «آتينا بني اسرائيل الكتاب» (٤٥: ١٥) «وأورثنا بني اسرائيل الكتاب» (٤٠ : ٥٣) .

في تصريح **ثان** يجعل عيسى ابن مريم خاتمة **«النبوة والكتابة»** بتعبير التقفية على الرسل : «ثم قفّينا عـــلى آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم» (٢٧) ؛ ولا يذكر القرآن ابداً أنه قفّى بأحد على المسيح . انما يقتصر دعوة محمد على «تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب» (يونس ٣٧) لكي «يعلمهم الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل (٢: ١٢٩ و١٧١؛ ٣: ١٦٤؛ ٩٢؛ ٢).

في تصريح **ثالث** يشيد بأتباع عيسى ، وميزتهم على الناس : «وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة» (٢٧) . ثم يشير بأن «الرهبانية» ابتدعوها بعد المسيح، لكن الله كتبها عليهم «ابتغاء رضوان الله؛ فما رعوها حق رعايتها» (٢٧) . والرهبان الذين ما رعوها حق رعايتها هم من المسيحيين الذين قاوموا غزوة مؤتة ؛ أما الذين رعوها حق رعايتها فهم من «النصارى» الذين يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد (المائدة ٨٥ — ٨٦) . وهذا دليل آخر على «نصرانية» محمد والقرآن .

في تصريح **رابع** يرفع المسلمين من جماعة محمد الى مرتبة المسلمين من قبلهم ، اي «النصارى» . لقد صرّح : «أولئك الذين آتيناهم الكتاب من قبله ... إنّا كنا من قبله مسلمين : **اولئك يؤتون أجرهم مرتين**» (القصص ٥٣) ، لسبقهم الى الاسلام ، وايمانهم بالمسيح ومحمد . وبعد فتح مكة ، وانتصار «المتقين» من العرب على الشرك واليهودية ، صاروا أهلاً لمرتبة «النصارى» : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسله **يؤتكم كفلين من رحمته**» (٢٨) . وهذا دليل آخر على وحدة الدعوة بين القرآن و «النصرانية» .

والشبهة القائمة بين سورة (الصف) ، وسورة (الحديد) ، في موقف القرآن من أهل الكتاب ومن النصارى ، الذي يتعارض في ظاهره ، ترجع الى اسلوب الاطلاق في التعبير ، وهو يقصد التخصيص الواضح من القرائن ، كما بيّناه . فلا يتعارض ايضاً قوله : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة » (٢٧) ، مع قوله : « لئلا (لكي) يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله » (٢٩) ، وذلك لاختلاف المخاطبين ، بين نصارى ومسيحيين . فالقـــرآن تأييد مطلق متواتر في كل السور « للنصرانية » ، على اليهودية ، ثم على المسيحية كما بدأ ينجلي في سورة (الحديد) . فأهل « الرأفة والرحمة » ، الذين « يقتدي بهداهم » ، ويؤيدهم بالدعوة والجهاد على « عدوهم » هم النصارى مـــن بني اسرائيل ، والمتنصرين معهم من العرب ، الذين خلف إمامهم ، ورقة بن نوفل ، على رئاستهم ، فصار « أول المسلمين » .

●

الوثيقة الثامنة : جدال وفد نجران

الفصل الاول : قصص آل عمران (٣٣ — ٦٤)

توطئة : ان سورة (المائدة) تنقل تعليقات القرآن على مجادلته لوفد نجران المسيحي ؛ وقد نقلوا من ذلك الجدال الوحيد الشهير ، في عام الوفود ، قصص آل عمران (٣٣ — ٦٤) الى السورة التي حملت اسمه ، واقحموا مكانه بعض جدال القرآن لليهود في سورة (المائدة) ، وكانت تصفية اليهود قد تمت ، فلا مجال لجدالهم في زمن سورة (المائدة) من عام الوفود . بذلك الاقحام المتبادل ، الذي تنقضه ظروف السورتين ، ران عليها شبهة تاريخية في قيام الجدال بين القرآن والنصارى واليهود ، طوال العهد بالمدينة ؛ زادها تعقيداً شبهة لغوية في تسمية المسيحيين المقصودين « نصارى » . وفات جميع المفسرين شبهة اسلوبية في تعميم جدال وفد نجران على المسيحية كلها ، وما كانوا إلا من بدعة « اليعقوبية » الهاربين من دين الدولة الى عن الجزيرة ، وشمالها : ففي تعميم المفسرين جدال مسيحي نجران على المسيحية كلها ، ظلموا أنفسهم في فهم القرآن ، وظلموا المسيحية كلها وهي بعيدة عن خطاب القرآن ، فظلموا القرآن نفسه .

يقول دروزة (١) في مناظرة أهل الكتاب ، عام الوفود : « واهم هذه المواقف والمجالس ،

---

(١) سيرة الرسول ٢ : ١٤٧

ما كان بين النبي ص ووفد من نصارى نجـــران . والاسم لم يرد في القرآن صراحة . ولكن الروايات التي لا اختلاف في جوهرها مجمعة على ذلك، وعلى ان الفصل الطويل ، الذي شغل حيّزاً كبيراً من القسم الاول من سورة آل عمران ، هـــو في صدد ذلك » . ففي قصص آل عمران (٣٣ — ٦٤) صورة ايمان القرآن بالمسيح : فهو يذكر قصة مولد مريم ، ام المسيح (٣٥ — ٣٧)؛ وقصة مولد يحيى ، سابق المسيح ، والمؤمن انه « كلمة من الله » (٣٨ — ٤١) ؛ وقصة نسك مريم في الهيكل ، تهيئة لامومتها المعجزة (٤١ — ٤٣) ؛ وقصة مولد عيسى المعجز (٤٥ — ٤٨) ؛ وقصة رسالة عيسى المعجزة (٤٩ — ٥١) ؛ ويختم بقصة آخرة المسيح :

« فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر ، قال مَن أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله ! آمنا بالله ؛ واشهد بأنّا مسلمون
٥٢

ربنا آمنا بما أنزلت ، واتّبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين
ومكروا ومكر الله بهم ، والله خير الماكرين
٥٣ — ٥٤

إذ قال الله ؛ يا عيسى اني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة . . .
٥٥

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ، ثم قال له : كن !
فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين !
٥٩ — ٦٠

قلْ : يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم ، ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئاً
ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله
فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » ٦٤

هذا **فصل اول** من جدال القرآن للوفد المسيحي اليعقوبي من أهل نجران . وفيه صورة الايمان القرآني بالمسيحية .

في **تصريح اول** يعلن ان المسيح وأمه هما ختام الذرية من الامة المصطفاة على العالمين ، من آدم ، الى نوح ، الى آل ابراهيم ، الى آل عمـــران ، الى مريم بنت عمران ، الى المسيح (٣٣ – ٣٤) . فالمسيح هو قمة الامة المصطفاة على العالمين ، وخاتمة النبوة والكتاب بين المرسلين . فليس من أمة مصطفاة غيرها ؛ وليس من نبوة وكتاب في غيرها ؛ فالمسيح هـــو المصطفى على العالمين والمرسلين أجمعين .

في **تصريح ثان** ، من قصة يحيى ، تأتي البشارة بالمسيح أنه «**كلمة من الله**» (٣٩) ؛ كما ستأتي البشارة به لمريم «**بكلمة منه**» (٤٥) . فالقرآن ، الذي يركز دعوته على بشرية المسيح ، يراه دائماً على ضوء هذا اللقب الكريم . وهنا يعطينا قرينة تفسره : «**وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين**» (٤٥) : فهو وجه الدنيا ، كما هو وجه الآخرة : إنه سيد الخلق ، أقرب الى الله منه الى المخلوق ؛ ويصفه بأنه «مـــن المقربين» . وهذا الوصف يتضح معناه من قوله : «لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون» (النساء ١٧١): **فهو من الملائكة المقربين** ، لذلك فهو عبد ، لا رب . وهذا جوهر العقيدة «النصرانية» من قبله ، بخلاف المسيحية . فعقيدة القرآن في المسيحية عقيدة «نصرانية» ، ودعوته دعوة «نصرانية» .

في **تصريح ثالث** ، يرد على أهل نجران الذين يجعلون مولد المسيح المعجز دليلاً على إلهيته : «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون» (٥٩) : فإذا كان المسيح بلا أب ، فآدم كان بلا أب ولا أمّ ! واظن ان علماء نجران كانوا أجابوا: ان تكوين آدم من تراب ، بلا أب ولا امّ ليس بمعجزة لانه الخلق بعينه ، والمعجزة خرق العادة ؛ انما المعجزة الناطقة وخرق العادة فوق العادة في مولد المسيح من أم بلا أب ، وهذه المعجزة الفريدة في تاريخ البشر والمرسلين لها دلالتها على ميزة المسيح على العالمين ، لكنها لا ترفعه من صف المخلوقين . وهذا ايضاً رد «نصراني» على المذهب النجراني .

في **تصريح رابع**، يشهد بوفاة المسيح وبرفعه حياً الى الله (٥٥). فقد مكر اليهود بقتله وصلبه؛ لكن الله مكر بهم ببعثه ورفعـــه حياً الى السماء، «ومكروا ومكر الله بهم، والله خير الماكرين» (٥٤). لذلك، يقول الله: اني «جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة» (٥٥)، إشارة الى سيطرة أتباع المسيح عـــلى اليهود الى يوم القيامة — فالقرآن يؤيد «النصرانية» على اليهودية.

في **تصريح خامس** يفسر معنى «نصارى» بأنصار الله، على لسان الحواريين؛ وهؤلاء يقولون لعيسى: «واشهد بأنّا مسلمون» (٥٢): فالاسلام الحق هو دعوة الحواريين لله والمسيح. وهذه هي «النصرانية» التي تجددها الدعوة القرآنية. فإن تولى عنها أهل نجران، «فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون» (٦٤) بإسلام «النصارى».

●

الفصل الثاني: غلوّ أهل نجران في دينهم (النساء ١٧٠ — ١٧١)

«يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق:
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه

فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا: «ثلاثة»
انتهوا، خيراً لكم؛ انما الله اله واحد،
سبحانه ان يكون له ولد! له ما في السماوات
وما في الارض، وكفى بالله وكيلا! ١٧٠

لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقرّبون!
ومن يستنكف عن عباده ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً!»
١٧٢

هذا **الفصل الثاني** من جدال الوفد النجراني اعلان للعقيدة القرآنية في المسيح . نلاحظ انه في هذا الفصل لا يكفرهم لايمانهم بإلهية المسيح وبالتثليث ، إنما هو يندّد « **بغلوهم في دينهم** » .

في تصريح اول يورد القرآن العقيدة المسيحية والنصرانية **بحرفها الواحد** : « كلمته القاها الى مريم وروح منه » (١٧٠) . لكن الخلاف **في تأويله** . ولو كان المسيح « كلمته وروحاً منه » فهو ليس بإله ، وليس بابن الله ، لانه « سبحانه ان يكون له ولد » ! فكان النصارى يردون على التثليث المسيحي بالتوحيد التوراتي . وهذا ردّ القرآن على وفد نجران ، فهو رد « نصراني » .

في تصريح ثان يردّ القول « بالثلاثة » ، باسم التوحيد التوراتي : إنما الله إله واحد » (١٧٠) . فكل قول « بالثلاثة » ليس من التوحيد الخالص ؛ لانه «سبحانه» ان يكون له ولد» (١٧٠)—والولادة في عرفه لا تكون إلا بصاحبة: « انّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (الانعام ١٠١) ، وتعالى الله علوّاً كبيراً : « ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (الجن ٣) . وهذا رد توراتي « نصراني ».

في تصريح ثالث يفسر معنى قــوله : « كلمته وروح منه » بأن المسيح من « الملائكة المقربين » (١٧١) ، فهو « روح منه » تعالى مثلهم ؛ لذلك فهو « عبد » لله ، لا ولد له تعالى .

وهذا هو التفسير الذي كان المسيحيون منه ينفرون . فالتعبير « كلمة الله » لا يعني كلام الله الخلاّق ، بل كلامه الذاتي في نفسه ؛ فالمسيح ، من حيث هو « كلمته » ، فهو نطقه الذاتي ، ونطقه في ذاته مثل ذاته . لذلك يرادفه التعبير « روح منه» : فكلمته ذات ، لا كلام ، لانه « روح منه» تعالى : فلا يصح تأويلها على الاطلاق بالامر الخلاق : « كن ، فيكون » . إنه « روح منه » لا على طريق الخلق ، بل على طريق الصدور : انه « روح منه » اي من ذاته ، فهو مثل ذاته لذلك فهو غير أرواح الله ، الملائكة المقربين . ويعتمد المسيحيون في تأويلهم على فاتحة الانجيل بحسب يوحنا ، حيث ورد التعبير للمرة الاولى : « في البدء كان

الكلمة ، والكلمة كان في الله ، والله كان الكلمة ، فهـو منذ البدء في الله ... والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (١: ١ و ١٤). هذا معنى «كلمته وروح منه» . ويلاحظ المسيحيون بأن ذلك التعبير الذي يجعل المسيح أحد الملائكة المقربين ، يقول **بازدواجية** في المسيح: أملاكاً وبشراً معاً؟! إن الروح اذا تجرد عن الجسد كان ملاكاً ، واذا اقترن بجسد كان بشراً . أما «كلمته القاها الى مريم وروح منه» فهو تعبير عن **الثنائية المعجزة** في شخصية المسيح: كلمة الله الروحية النطقية الذاتية يصير من مريم بشراً ، في وحدة الشخصية وثنائية الطبيعة من لاهوت وناسوت . وهو كائن في الله قبل إلقائه الى مريم .

وقد تسربت العقيدة «النصرانية» الى الاريوسية في مصر : إن التوحيد التوراتي ، «الله أحد» (التثنية ٦ : ٤) والنبوي كما عند اشعيا «الله الصمد» يمنع عن الله كل ولادة ، وكل كفاءة ، مع المخلوق . لذلك : «قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحـد» (سورة الاخلاص) ، كانت مقالة «النصرانية» التي تبنتها الاريوسية ، فكانوا يقولون : «مخلوق غير مولود» . فيرد المسيحيون : «مولود غير مخلوق» [١] . ولما ظهر الاسلام يقول بمقالة الفريقين ذابوا فيه الى الابد .

فعقيدة القرآن في المسيح «نصرانية» : انه «كلمته وروح منه» مثـل الملائكة المقرّبين (١٧٠-١٧١) ، فالمسيح «من المقربين» (آل عمران ٤٥) . وكانت «النصرانية» مثل القرآن تعتبر «روح القـدس» جبريل ، وكلمة الله الملاك ميكائل: فليس المسيح بإله وليس من «ثلاثة» . فالقرآن دعوة «نصرانية».

●

---

(١) في اليونانية التي كانت شائعة في كل دولة الروم كان الفرق في التعبير يقوم على حـرف هجاء واحد : «γέννητος» مولود ؛ «γένητος» مصنوع ، مخلوق ؛ فيسهل التلاعب بالعقيدة .

الفصل الثالث : تعليقات سورة المائدة (١٢٢/٢٢/٥)

ملاحظة خطيرة : في سورة المائدة نجد الفصل الثالث من جدال القرآن لوفد نجران ، في صورة تعليقات على الجدال بعد انصراف الوفد ، حيث ينتقل الى التكفير ، بعـــد التنديد امامهم « بالغلو » . والظاهرة النافرة ان الصورة تمزج بطريقة متواصلة جدال اليهود بجدال وفد نجران ، مع أنه في زمن سورة المائدة وجدال وفد نجران في عام الوفود ، لم يبقَ لليهود في المدينة من أثر يُذكر ليدخلوا طرفاً في الجدال . إن جدال اليهود في (المائدة) مقحم عليها يجب وضعه في سورة (آل عمران) ، قبل تصفية اليهود من المدينة ومن الحجاز .

« ومن الذين قالوا (إنا نصارى) أخذنا ميثاقهم، فنسوا حظاً مما ذُكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
وسوف يُنبئهم الله بمـــا كانوا يصنعون
١٥

لقد كفر الذين قالوا: ان الله هو المسيح ابن مريم — قل : فمن يملك من الله شيئاً إن أراد ان يهلـــك المسيح ، ابن مريم، وأمه، ومَن في الارض جميعاً
١٩

قل : يا أهل الكتاب هل تنقمون منـــا إلا إن آمنّا بالله وما أنزل الينـــا ، وما أنزل من قبـــل ، وان أكثركم فاسقون !
٦٣

ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أُنزل اليهـــم من ربهم لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهـــم !
منهم **أمة مقتصدة** ، وكثير منهم ساءَ ما يعملون
٦٩

قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا
التوراة والانجيل وما أُنزل اليكم من ربكم ؛
وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أُنزل اليك من ربك
طغياناً وكفراً : فلا تأسَ على القوم الكافرين !
٧١

لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح : يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
ان من يشرك بالله ، فقد حرّم الله عليه الجنة
ومأواه النار، ومـــا للظالمين من أنصار !
٧٥

لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة !
وما من إله الا واحد ! وإنْ لم ينتهوا عمّا يقولون
ليمسنّ الذين كفروا منهم عـــذاب أليم !
أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه، والله غفور رحيم
٧٧ — ٧٦

ما المسيح ابن مريم ، الا رسول قـــد خلت
من قبله الرسل ! وأمه صديقة ! كانا يأكلان الطعام !
أنظر كيف نبيّن لهـــم الآيات ! ثم انظر أنّى يؤفكـــون !
٧٨

قلْ :أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم نفعاً ولا ضرًّا، والله هو السميع العليم
قلْ : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتّبعوا أهواء قوم
قد ضلّوا من قبـــل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيـــل
٨٠ — ٧٩

وإذ قال الله: يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟
قال: سبحانك! ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق؟ ان كنت قلتُه فقد علمتَه!
تعلم ما في نفسي، ولا اعلم ما في نفسك انك أنت عـــلّام الغيوب !
١١٩

ما قلتُ لهم الا مـــا أمرتني به : أن اعبـــدوا الله ربي وربكم !
وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم !

وأنت على كل شيء شهيد . إنْ تعذبهم فإنهم عبادك ! ١٢٠
وإن تغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم !
قال الله : هذا يوم ينفع الصادقين — صدقهم ١٢١

في هذا **الفصل الثالث** ، من جدال وفد نجران ، يعلّق القرآن على الجدال بعد وقوع الحال .

في **مشهد أول** يصف « العداوة والبغضاء » القائمة بين النصارى والمسيحيين (١٥) . لاحظ صيغة التعريف بالمسيحيين : انهم « الذين قالوا : إنا نصارى » (١٥). فهم ليسوا « بنصارى » لأنهم « نسوا حظًّا مما ذكروا به » (١٥) . فقد تمنعوا عن اقامة التوراة والانجيل معاً ، ولو فعلوا « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (٦٩) . لذلك فهو يقسم أتباع المسيح الى أمتين : «أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساءَ ما يعملون » (٦٩) « وان اكثركم فاسقون » (٦٢) . **فالامة المقتصدة هم النصارى** ، والفاسقون عن دينهم هم المسيحيون ، لأنهم يغلون في دينهم غير الحق (٨٠) . فكما كان القرآن « تأييداً » للنصرانية على اليهودية حتى النصر المبين (الصف ١٤) فهو أيضاً تأييد للنصرانية على المسيحية ، حتى لا يبقى في جزيرة العرب دينان » كما أوصى محمد قبل موته .

في **مشهد ثانٍ** يأخذ موقف « النصرانية » من الشريعة : « قلْ يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » (٧١) . فاليهود يقتصرون على التوراة ؛ والمسيحيون يكتفون بشريعة الانجيل ؛ والنصارى من بني اسرائيل وحدهم يقيمون التوراة والانجيل معاً شريعة واحدة ، وهذا هو موقف القرآن . فالقرآن في تشريعه ايضاً دعوة « نصرانية » .

في **مشهد ثالث** يكفّر القول بإلهية المسيح ، كما وردت على لسان وفد نجران : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم » ، وهو يكرّر ذلك مرّتين (١٩ و ٧٥) . فسره الجلالان : « هم اليعقوبية ، فرقة من النصارى » . وأوضحه الرازي : « شرع هنا في الكلام مع النصارى (أي المسيحيين) فحكى

عن فريق منهم انهم قالوا : (ان الله هو المسيح ابن مريم) ، وهذا هو قول اليعقوبية ، لأنهم يقولون : ان مريم ولدت إلهاً . ولعلّ معنى هذا المذهب ان الله تعالى حل في ذات عيسى ، واتحد بذات عيسى » . وبيّنه البيضاوي : « هم الذين قالوا بالاتحاد منهم . وقيل : لم يصرّح به أحد منهم بل حكى لسان حالهم ».

فالاجماع على أنها مقالة اليعقوبية . ونعلم بأن تلك المقالة كفّرتها المسيحية في المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونيا سنة ٤٥١ ، قبل ان يكفّرها القرآن بمئتي سنة . فإن تلك المقالة قد تعني بأن الله وكلمته وروحه جميعاً تجسّد في المسيح ، والذي تجسّد هو كلمة الله وحده . ومقالة اليعقوبية فيها شبهة أخرى في كيفية الاتحاد، حيث يزعمون ان الناسوت ذاب في اللاهوت كما تذوب نقطة الماء في الخمر، او كما يذوب شمع في النار، مع ان في المسيح ناسوت كامل ، كما فيه لاهوت كامل، في وحدة الشخصية، بحسب اعتقاد المسيحية جمعاء. والقرآن يكفّر تلك اليعقوبية في المسيحية ، بالبرهان « النصراني » الذي شهرته الأريوسية نفسها بوجه العقيدة بإلهية المسيح : قال الانجيل « اني صاعد الى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » (يوحنا ٢٠: ١٧)، وردّد القرآن على لسان المسيح « يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم » (٧٥) — والمسيح من حيث بشريته يقول « ربي وربكم، الهي وإلهكم » ؛ لكن من حيث الهيته يقول أيضاً : « أنا والآب واحد ... مَن رآني فقد رأى الآب » (يوحنا ١٠: ٣٠ ؛ ١٢: ٤٥ ؛ ١٤: ٩) . على هذا الاساس كفّرت المسيحية مقالة اليعقوبية قبل القرآن . وبما ان جدال القرآن كله مع المسيحية ، يقتصر وينحصر بجداله مع اليعقوبية المبتدعة ، **فليس في القرآن كله جدال مع المسيحية الرسمية على الاطلاق** . والقرآن يردّ على بدعة في المسيحية بردّ الشيعة « النصرانية » عليها : فالقرآن دعوة « نصرانية » بعقيدته في المسيح .

في مشهد رابع يكفر القرآن القول « بالثلاثة » (النساء ١٧٠) بهذه الصيغة : « لقد كفر الذين قالوا : **ان الله ثالث ثلاثة** » (المائدة ٧٦) . **فمن هم** « الثلاثة » ؟

لقد أبنّا في كتاب لنا سابق[١] شرح أئمة الكلام والتفسير لهذا التعبير . والاجماع على أنهم (**الله والمسيح ومريم**) ، من هذين القولين : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ؛ كانا يأكلان الطعام » (٧٨) ! « وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » (١١٩) .

ونحن نقول : ان هذا التفسير بالاستناد الى الآيتين (٧٨ و ١١٩) قد يستقيم ، ونجد له شاهداً تاريخياً في تعبّد بعض المسيحيين العرب الجهّال لمريم أم المسيح ، على مثال تعبّد المشركين العرب « للّات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى » ؛ واسمهم « المريميين » ، ولقبهم « الكلّيريين » من أقراص قرابين « يلتّونها » لمريم كما للّات . لكن ليس في المسيحية من يعبد مريم أم المسيح كإلهة ! والآيتان (٧٨ و ١١٩) تردان في جدال وفد نجران ، وهو أبعد ما يكون عن اعتبار مريم إلهة من دون الله . لذلك يبقى تفسيرهم للقرآن حتى اليوم قاصراً في هذا الموضوع ؛ وينتج منه شبهة منكرة على القرآن في اتهامه للمسيحية بتأليه مريم ، وهي منه براء منذ ألفي سنة .

ان قوله : « اتخذوني وأمي الهين من دون الله » (١١٩) ردّ « نصراني » بتعبير « نصراني » . والمقصود هنا « بأمّ » المسيح هو الروح القدس كما ورد في « انجيل النصارى » : « أمي الروح القدس » حلت عليّ ، فإن كلمة « روح » مؤنث في الأرامية ، والسريانية . فيكون « الثلاثة » : الله والمسيح والروح القدس . وبما ان « النصارى » كانوا يقولون « ملاك كلمة الله » ، و « ملاك الروح القدس » — وهذا هو أيضاً تعليم القرآن — فإن المسيح وأمه ، الروح القدس ، هما في العقيدة « النصرانية » « إلهان من دون الله » عند المسيحيين . لذلك يجعل القرآن المسيح نفسه يستنكره في يوم الدين بأدب جمّ ، ويستشفع لمن قال به من

---

(١) مدخل إلى الحوار الاسلامي المسيحي ص ٢٩٠ — ٢٩٥

أمته (١١٩— ١٢٢) . فالقرآن يردّ على « الثلاثة » برد « النصرانية » ذاتها : فالقرآن دعوة « نصرانية » في تكفير « الثلاثة » كما في تكفير الهيّة المسيح .

لكنه ، على كل حال ، تكفير محصور في جدال وفد نجران ، وبعيد كل البعد عن العقيدة المسيحية الصحيحة. فمن الظلم للقرآن نفسه تحويل جداله المحدود بوفد نجران الى المسيحية جمعاء .

وهذا الجدال المقصور المحصور، الذي ندرسه في فصوله الثلاثة من (آل عمران ٣٣ — ٦٤) ومن (النساء ١٧٠ — ١٧١) ومن (المائدة ١٩ و ٧٥ و ٧٦ و ١١٩) ، برهان قاطع ، جامع مانع ، على أن القرآن دعوة « نصرانية » في «أمة وسط» بين اليهودية والمسيحية .

●

الوثيقة العاشرة : من سورة التوبة = براءة (٩/٢٣/١١٣)

توطئة . نزلت سورة التوبة في ملابسات غزوة تبوك ضدّ المسيحيين العرب في شمال الحجاز، عند مشارف الشام . وصدّروها بعد نزول السورة بتلك « البراءة » من المشركين ، التي نزلت يوم « الحج الأكبر » (٣) المسمى حجة الوداع . فقد روى البخاري ان النبي بعث علياً سنة تسع فتلا آيات « براءة » يوم النحر بمنى ثم قال : أمرت باربع : أن « لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك؛ ولا يطوّف بالبيت عريان؛ ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة؛ وان يتم الى كل ذي عهد عهده». وآيات تلك البراءة « مختلف في عددها ؛ ما بين ثلاث عشرة (عن مجاهد) وثلاثين او أربعين (عن غيره) كما في البيضاوي . فتكون الآيات (٣٠ — ٣٥) في أهل الكتاب مقحمة بين سورة براءة وسورة التوبة ؛ وقد نزلت لاعلان الجهاد ضدّ المسيحيين العرب وتبريره، كما أعلن، ضدّ اليهود العرب ، لكي «لا يبقى في جزيرة العرب دينان» بحسب وصية محمد الاخيرة ، فتكون سورة « براءة » ، في صدر سورة التوبة آخر ما نزل من القرآن ، مع سورة النصر .

قال دروزة في (سيرة الرسول ١ : ١٦٥ — ١٦٦) : « الآية (٣٠) تشريعية ، والاخرى (٣١ — ٣٤) تنطوي على حكمة التشريع ، بالاضافة الى ما في الاولى من هذه الحكمة . وقد يدخل في الآيات اليهود والنصارى (اي المسيحيون) معاً . غير ان الآيات نزلت بعد الفتح المكي على ما تلهمه ظروفها ؛ ولم يكن قد بقي يهود في الحجاز ؛ كما انها نزلت بين يدي غزوة تبوك ، التي هي من مشارف الشام ، والتي غالب سكان مناطقها نصارى (يعني مسيحيين) ؛ وبين يدي الآيات (٣٨ — ٤٢) التي أجمعت الروايات على أنها في صدد الاستنفار الى هذه الغزوة . فهذه

الآيات وتلك، والحالة هذه، تنطوي على إشارات قرآنية الى الصدام بين النبي والمسلمين من جهة، والنصارى (أي المسيحيين) من جهة اخرى». نقول: هذه هي القرائن التي تدل، مع برهان وصية محمد الأخيرة «لا يبقى في جزيرة العرب دينان»، على أن تشريع الجهاد ضد المسيحيين يقتصر في القرآن على المسيحيّين في جزيرة العرب؛ ومن الظلم للقرآن نفسه تقوّله بالشمول للمسيحيين خارج الجزيرة العربية.

«قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم
الآخر، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا
الكتاب، حتى يعطوا الجزية عن يد، وهم صاغرون
٣٠
وقالت اليهود: عزير ابن الله! وقالت النصارى: المسيح ابن الله!
— ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون[1]
قول الذين كفروا من قبل! قاتلهم الله أنى يؤفكون!
٣١
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم!
وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو، سبحانه عمّا يشركون!
٣٢
يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره، ولو كره الكافرون!
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون!
٣٣ — ٣٤
يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الاحبار والرهبان
ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله!
والذين يكنزون الذهب والفضة، ولا
ينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم!»
٣٥

---

(١) يضاهئون: لغة ثقيف؛ وعامة الحجاز والعراق: يضاهون، أي قول النصارى يضاهي قول اليهود (الطبري)

سورة (براءة) ، **في** صدر سورة (التوبة) فيها **التشريع النهائي في الجهاد**، ضد المشركين (١ — ٢٩) ثم ضد أهل الكتاب (٣٠ — ٣٥) . وبين الجهادين فارق جوهري : جهاد المشركين العرب **حتى يدينوا بالاسلام** ؛ أما جهاد الكتابيين العرب « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٣٠) اي **حتى الخضـــوع للسلطان الاسلامي** . فلا يشرع القرآن إخضاع أهل الكتاب من يهود ومسيحيين للدين الاسلامي .

والظاهرة الكبرى الاولى في هذا التشريع انه يجمع المشركين وأهل الكتاب في جهاد واحد . مع أنه قد شرع أولًا : « لا اكراه في الدين » (البقرة ٢٥٦) ، ونادى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين : مَن آمن بالله واليوم الآخر ، وعمـل صالحاً ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون « (البقرة ٦٢) . وشرع تفويض أمرهم لله : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا : ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ؛ ان الله على كل شيء شهيد » (الحج ١٧) . وعاد فكرّر تشريع البراءة : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى : من آمن بالله واليـــوم الآخر ، وعمل صالحاً ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (المائدة ٧٢) . ويتراوح تنزيل (المائدة والتوبة) ، فكيف يشرع أخيراً جهاد اهـــل الكتاب مثل المشركين ، وجهاد المسيحيين مثل اليهود ، ولو اختلفت الغاية ؟ فهل كانت المهادنة تقيّة ، ولما قوي سلطانه كشف عن أهدافه ؟ فلو صح ان آية (براءة ٦) قـــد نسخت القرآن كله في التسامح مع المشركين ، فلا تصح مع المسيحيين الذين لم يذكرهم من قبل بسوء ، بل أقرّهم على تشريعهم (المائدة ٥١) .

والظاهرة الثانية الكبرى ان الجهاد ضد المشركين وضد اليهود قـام طوال العهـد المدني . أما النصارى فقد ظلوا أهل المودة حتى النهاية : « لتجدنَّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ! ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا (إنا نصـــارى) ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » (المائدة ٨٥) . فكيف انقلبت المودة الى جهاد وعداوة في آخر

ساعة ؟ يقـــول دروزة[١] : «كان غالب سكان مشارف الشام نصارى (اي مسيحيون) تابعون لنفوذ دولة نصرانية (اي مسيحية) كبرى . وقد ذكرت الروايات أخبار اعتداء بعض قبائل هذه المشارف، كقضاعة وبني كلب ، على قوافل التجار ؛ وخبرَ قتل احد رسل رسول الله ص في هذه المنطقة ، وأخبار سرايا جهادية ... وقد بدأت هذه السرايا منذ السنة الهجرية السادسة (بعـــد تصفية يهود المدينة ، واخضاع يهود الشمال في خيبر) . وهكذا يكون **الصدام المسلح** بين النبي والمسلمين من جهـة ، وسكان مشارف الشام (المسيحيين) من جهة أخرى ، قد بدأ منذ أوائل النصف الثاني من العهد المدني ، واستمرّ» .

والظاهرة الثالثة الكبرى ، في الكشف الاخير عن أهداف الدعوة القرآنية.

ان التعارض القائم بين تصريح (المائدة ٨٥) في مودة النصارى ، وتصريح (التوبة ٣٠) في قتال النصارى ، مثل اليهود ، **إنما هو شبهة** : فالنصارى ، أهـل المودة ، هم النصارى من بني اسرائيل ، ومَن تنصّر معهم من العرب ؛ والنصارى أهل القتال في (التوبة ٣٠) هم المسيحيون العرب في مشارف الشام . وهـذا التمييز يكشف عن غاية الدعوة القرآنية : انها قامت لتأييد النصرانية الاسرائيلية على اليهودية (الصف ١٤) ؛ وتنتهي بتأييد هذه النصرانية على المسيحية. وشعار الجهاد الذي كرّره القرآن في كفاح اليهودية : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون» (الصف ٩ ؛ الفتح ٢٨)، يردّده أخـــيراً في كفاح المسيحية العربية (التوبة ٣٤) ؛ وهو يُظهر غيظ المشركين من انتصار الدعوة القرآنية على اليهودية وعلى المسيحية في جـــزيرة العرب . وهـذا الشعار أيضاً يُظهر أهداف الدعوة القرآنية ، بانتصار «الهدى ودين الحـــق» أي «النصرانية» (الصف ١٤) «على الدين كله» ، اي الشرك واليهودية والمسيحية ، في الجزيرة العربية . فالقرآن كله ، وجهـــاده كله ، دعوة «نصرانية» .

---

(١) سيرة الرسول ٢ : ١٦٤

وهكذا فالآية (٣٠) **تشرع الجهاد** ضد أهل الكتاب، من يهود ومسيحيين، «حتى يدفعو الجزية عن يـــد، وهم صاغرون». ان كلمة «جزية» لا ترد في القرآن كله الا في هذه الآية. وأسلوب القرآن قائم على التكرار في المواضيع وأسس الدعوة؛ وهو يجهل تعبير «الجزية»: فهل هي مقحمة من زمن التدوين؟ وهل تشريع جهاد المسيحيين في هذه الآية الوحيدة أُقحم في زمن الفتوحـــات الاسلامية لتبريره؟ هذا ما توسوس به آية المودة عند النصارى (المائدة ٨٥)؛ وهذا ما يشير اليه قوله: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ... من الذين أوتوا الكتاب» (٣٠)، **مع انه يشهد بإسلامهم**: «ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً: أيأمركم بالكفر بعــــد إذ انتم مسلمون» (آل عمران ٨٠)؛ وهذا ما يدل عليه قوله: «وقالت اليهود: عزير ابن الله» (٣١)، وهذه آية وحيدة في القرآن، مع انه يردّد قصص الانبياء، وأهل التوراة على توحيد خالص، فلا يصح منهم ان يجعلوا عزيراً، جامع التوراة بعد جلاء بابل، «ابن الله». ألا تدل كل هـذه الشبهات على إقحام هذا الفصل (٣٠ — ٣٥) في قتال المسيحيين، كقتال اليهود، ما بين سورة براءة (١ — ٢٩) وسورة التوبة (٤٠ — ١٣٠)، وهو يختم القرآن كله بجعـل «التوراة والانجيل والقرآن» في منزلة واحدة (١١٢)؟

وشبهة اخرى على اقحـام تعبير «الجزية» على القرآن، من زمن الفتوحات العربية وتدوين القرآن، ان الجزية المفروضة في الآية (٣٠) على الكتابيين قـد طبقوها ايضاً على غير الكتابيين. قال دروزة [١]: «من السنة النبوية والراشدية ان الجزية أُخذت من غير الكتابيين ايضاً مثل المجوس وعبدة الكواكب. وعلى هذا تكون السنة قد فسرت الآية بحيث يُفهم منها ان ذكر أهل الكتاب لا يعني اقتصار الجزية عليهم، وانما خُصّوا بالذكر لأنهم موضوع مباشر حـاضر». فالجزية من ضرورات الفتوحات، لا من واقع حال التنزيل؛ مما يلقي شبهة عامة على هذا التشريع نفسه، لاعطاء الفتوحات في بلاد مسيحية ذريعة بشرعة قرآنية.

---

(١) سيرة الرسول ٢ : ١٦٧ حاشية

والاسباب الموجبة لقتال اليهود والمسيحيين على السواء سبعة : « لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر — ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله — ولا يدينون دين الحق — وقالت اليهود : عزير ابن الله ؛ وقالت النصارى : المسيح ابن الله — اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم — يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم — ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل » (٣٠ — ٣٣) . وهذه الاسباب الموجبة السبعة كلها شبهات تتعارض مع القرآن نفسه :

السبب الاول : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » (٣٠). ان النصارى من بني اسرائيل « ليسوا سواء : من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، ويؤمنون بالله واليوم الآخر » (آل عمران ١١٣)؛ والمسيحيون والنصارى في ذلك سواء . ويشهد بإسلام اليهود : « أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون » (آل عمران ٨٠) . فكيف أمسوا لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ؟

السبب الثاني : « ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله » (٣٠) . فكيف يحرّمون تحريم القرآن ، وقد صرّح في الزمن نفسه : « لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً » (المائدة ٧١) . والتحريم في القرآن مسند الى الله وحده ؛ فكيف يصح ان يشترك محمد مع الله في التحريم ؟ أليس في هذا التعبير شبهة شرك ؟ واذا كان الرسول يحرّم بتحريم الله ، فقد « جعلنا لكل منكم شرعة ومنهاجاً ، فكيف يخالف تشريع ربه ؟

السبب الثالث : « ولا يدينون دين الحق » (٣٠) . والتشريع الأساسي في القرآن : « لا اكراه في الدين » (البقرة ٢٥٦) : فهل فارق الدين أمسى سبباً للقتال ؟ أم هو تبرير السياسة بالدين ، كما يفعل الغزاة في الفتوحات ؟

السبب الرابع : « وقالت اليهود : عزير ابن الله ؟ وقالت النصارى: المسيح ابن الله » (٣١) حيث صار المسيحيون يضاهون قول اليهود « الذين كفروا من

قبل » (٣١) . وهذا التصريح « المسيح ابن الله » برهان على ان النصارى هنا تعني المسيحيين. وهذان القولان في المسيح وفي عزير لا يردان على الاطلاق في القرآن الا في هذه الآية . انه ينهى اليهود عن اتخـــاذ الملائكة والنبيين أرباباً (آل عمران ٨٠) لكنه لا يقول بحق احد منهم انه « ابن الله » ! كذلك في مجادلة وفد نجران لا يرد على الاطلاق تعبير « المسيح ابن الله » . فالقرآن قبل هذه الآية لا يعرف مثل هذين التصريحين. وهل يمكن ان يقول المسيحيون « المسيح ابن الله» على المجاز ، كما يقول اليهود مجازاً « عزير ابن الله» ؟ او ان يقول اليهود بحقيقة الهية عزير ؟

السبب الخامس : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم » (٣٢) . انه يسفه اليهود بتربيب الملائكة والانبياء (آل عمران ٨٠)، لكن لا يرد فيه ابداً ذكر لتربيب الاحبار . وهل يُعقل ان يجعل المسيحيون رهبانهم أرباباً مثل المسيح ؟ هذا حديث غريب عن القرآن .

السبب السادس : « يريدون ان يُطفئوا نور الله بأفواههم » اي بكلامهم (الطبري) ، بينما حاول المشركون بسيوفهم . فهل يُردّ على اللسان بالسنان ؟ وهل التنافس بالدعوة يحمل على القتال ؟ أجل يقول : « والفتنة أشد من القتل» ، لكن في مؤتة ثم في تبوك ليس من فتنة للمسلمين عند دينهم .

السبب السابع : « ان كثيراً من الرهبان ليأكلون أموال النـــاس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله » (٣٥) . كيف يقول ذلك والرهبـــان في السورة عينهـا هم « التائبون العابدون الحامدون **السائحون** الساجدون الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحـــدود الله» (التوبة ١١٣) . وتعبير « السائحين » يعني الرهبان المتجولين يدعون لحفظ حدود الله ، فلا يصدون عن سبيل الله . اجل قد يقصرون في « رهبانية ابتدعوها ... فما رعوهـــا حق رعايتها » ، لكنهم لا « يأكلون أموال الناس بالباطل » . هذا الاتهام يتعارض مع القرآن كله بحق الرهبان .

فتلك الاسباب السبعة لتبرير قتال المسيحيين ، شبهات سبع تتعارض معنى

ومبنى مع تعليم القرآن المتواتر ، فدلائل الاقحام بادية منهـا على فصل تشريع الجهاد والقتال بحق المسيحيين . اذا سقط هذا الفصل المتشابه المشبوه ، **ليس في القرآن تشريع بجهاد وقتال المسيحيين** . وهو يقتصر تأييده على قتـال اليهود ، « عدو » النصارى من بني اسرائيل (الصف ١٤) ، وقد جـاء « يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) .

وتلك الشبهات على الاسباب الموجبة لقتال المسيحيين دلائل على أن الأمر القرآني الوارد بقتال المسيحيين اسوة باليهود (التوبة ٣٠) **إن صحّ هو تعميم يُراد به التخصيص** ، بحسب أسلوبه المتواتر. فهو يقصر الجهاد على الحجاز والجزيرة كما يتضح من وصيته الأخيرة : « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » . لذلك لما رجع ظافراً من غزوة تبوك بعث فهدم وأحرق « مسجد الضرار » (التوبة ١٠٧ — ١١١) الذي بناه الراهب أبو عامر ، لمنافسة مسجد قباء الذي بنـاه الرسول . كان ذلك الراهب مسيحياً ، وقد « حارب الله ورسوله من قبل » (١٠٧) . قال الطبري : « وذلك ان أبا عامر هو الذي كان حزّب الاحزاب لقتال رسول الله ص . وقال لجماعته : ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فإني ذاهب الى قيصر ، ملك الروم ، فآتي بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه. وكانوا يرون أنه سيظهر على محمد . ولما فُتحت مكة ، لحق بهرقـــل ، هارباً الى الروم ومعه كنانة بن عبد ياليل ، من ثقيف ، وعلقمة بن علاثة من قيس » . وهكذا تكون الدعوة المسيحية قــد تأصلت بالمدينة ، أثناء الدعوة القرآنية ، وامتدت الى الاعراب والى بني ثقيف في الطائف . فقضى عليها محمد في مهدها ، وهدم مسجدها . وهذا الخبر الصحيح يؤكد انتصار الدعوة القرآنية « للنصرانية » على المسيحية ، في الجزيرة العربية ، كما انتصر لها على اليهودية (الصف ١٤) .

وهذا التخصيص باقتصار الجهاد على الحجاز والجزيرة يأتي ايضاً من حرف القرآن نفسه : « قاتلوا الذين لا يؤمنون ... **من أهل الكتاب** » (٣٠) . يقول دروزة : « ومع أن كثيراً من المفسرين قد صرفوا الأوصاف الثلاثة المذكورة

في الآية (٣٠) الى ان كفر الكتابيين برسالة النبي والدين الذي أتى به : **سبب مطلق** ؛ وقالوا انه موجب التشريع ؛ فإن هناك ما يحمل على التوقف في التسليم بذلك ؛ لانه يقتضي أن يكون المسلمون مأمورين **بمقاتلة كل كتابي إطلاقاً** ، اذا جحد رسالة النبي ، مع أن الآية قد احتوت حرف التبعيض « من » الذي لا شك انه يعترض ذلك القول الاطلاقي... هذا الى ان قولهم ذاك ينقض المبدأ القرآني المحكم (في الممتحنة ٨ خاصة وفي البقرة ٢٩ — ٤١ ؛ ٢٩ — ٢٩٤ ؛ والنساء ١٠— ٩١) من ان **الجهاد الاسلامي دفاعي** ، ورد لبغي وعدوان ... اذ ينطوي فيه ان لا يكون عدم اسلام انسان ما سبباً لقتاله » . صحة هـــذا التخريج تنقض اطلاق تشريع القتال ضد المسيحيين ، وتحصره في الجزيرة ، كما في وصية النبي : «لا يبقى في جزيرة العرب دينان » . وبما انه ليس في الحجاز جماعة مسيحية محاربة سوى جماعة الراهب أبي عامر ، التي قضى عليها النبي بعد غزوة تبوك ، فوجودها لا يتناسب مع تعميم تشريع الجهاد ضد المسيحية في الجزيرة ، مما يوحي بأن الفصل كله مقحم . وقد أوصى النبي فقط «بإخراج نصارى نجران اليمن».

وشعار الجهاد الذي أطلقه القرآن ضد اليهودية : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (اي النصرانية) ليظهـــره على الدين كله » (الصف ٩ ؛ الفتح ٢٧) ، مكرّر هنا (التوبة ٣٤) ليعني شموله للمسيحية ، أسوة باليهودية . وهذا ما أوقع أهل الحديث والتأويل في حيرة . نقل الطبري : « وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله (ليظهره على الدين كله) . فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة ... قال (حديث) : اذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه اهل كل دين . وقال آخرون : معنى ذلك ليعلّمه شرائع الدين كلها ، فيطلعه عليها ... وعن ابن عباس قال : ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله، فيعطيه اياه كله ، ولا يخفى عليه شيء منه . وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك » . فلا ذكر للمسيحيين في أبعاده . أما تعليم محمد الدين كله وشرائعه كلها ينقضه قوله : « وما أوتيتم من العلم الا قليلاً » (الاسراء ٨٥) . أما تنفيذ ظهور الاسلام يوم خروج عيسى ليوم الدين ، فيرجع الفضل فيه الى المسيح نفسه ، في

اليوم الآخر . وكلا التفسيرين بعيـــد عن منطق القرآن الذي يحصر ظهور الاسلام على الشرك في جزيرة العرب ؛ وعلى اليهودية والمسيحية فيها وحدها ، كما تفسره وصيته : « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » . وظهور الاسلام الاخير بفضل المسيح نفسه الدليل الختامي على أن الدعوة القرآنية « نصرانية » .

ولا ننسَ ان الشك في إقحـــام (براءة ٣٠ – ٣٥) ليس طعناً في صحة القرآن التي نشهد لها .

●

خاتمة البحث : اربعة شواهد تاريخية

تلك هي بعض الوثائق القرآنية في المدينة : « لتنصّر » **محمد ودعوته** .

وتظهر عقيدته من جهاده ، ومن التشريع القرآني الأخير للجهاد ضد اليهودية والمسيحية معاً (براءة ٣٠ – ٣٥) حيث بنى موجبات الجهاد على سبعة أسباب، لإقامة «الهدى ودين الحق على الدين كله» أي فرض دين التوراة والانجيل ديناً واحداً على العرب (الشورى ١٣) ، وهذه هي « النصرانية » . ومهما كان من أمر الشبهات على صحة الفصل في الجهاد ضد المسيحية ، فهناك **اربعة شواهـــد تاريخية** على تصفية اليهود والمسيحية من الحجاز ، على أمل تصفيتهما من الجزيرة كلها ، لصالح « النصرانية » القرآنية .

بعد تصفية يهود المدينة ، ثم يهود الشمال في خيبر وفدك ، اعلن ظهـــور « النصرانية » على اليهودية : « فأيدنا الذين آمنوا (بالمسيح ، من بني اسرائيل) على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . هـــذا الواقع القرآني التاريخي **هو الشاهد الاول** .

وبعد نجاح غزوة تبوك ، التي ساهم في حشد المسيحيين من العرب والروم لها ، الراهب أبو عامر ، أمر محمد بهدم « مسجد الضرار » الذي بناه جماعة الراهب المسيحي في المدينة ، لمنافسة مسجد النبي ودعوته (التوبة ١٠٨ – ١١١) ، حتى لا يظلّ « ريبة في قلوبهم » ، « وتُقطّع قلوبهم » (التوبة ١١١) . فقضى على المسيحية بعد اليهودية ، في الحجاز والجزيرة ؛ بحسب شعار الجهاد ضد الكتابيين،

أسوة بالمشركين : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (وهـــذه هي النصرانية) ليظهره على الدين كله» (التوبة ٣٤) . هذا الواقع القرآني التاريخي هو **الشاهد الثاني** .

وقد ترك محمد لأمته ، قبل وفاته ، هذه الوصية الأخيرة ، وهي المختصر المفيد للدعوة القرآنية كلها ، بعد اسلام المشركين العرب : «لا يبقى في جزيرة العرب دينان». وأمر بترحيـل المسيحيين في نجران ، لأنهم زعماء المسيحية في الجزيرة . فاستهلكت حروب الردة خلافة أبي بكر ؛ فقام عمر بتنفيذ الوصية . هـذا هو **الشاهد التاريخي الثالث** .

ولما انتقل النبي العربي الى الرفيق الاعلى ، رثاه حسان بن ثابت بقصيدة ، منها :

فرحت نصارى يثرب ويهودها ‎ ‎ ‎ لمّا توارى في الضريح الملحد !

وهو يقصد بالنصارى المسيحيين ، بحسب تعبير القرآن الذي صار سنة عندهم . لقد فرح من بقي من اليهود والمسيحيين ، بعد التصفية ؛ لكنّ فرحهم زال بحروب الردة ، وبتنفيذ عمر لوصية النبي . وهذا هو **الشاهد التاريخي الرابع** .

فتلك الشواهد دلائل على أن الجهاد ، الحرب المقدسة ، قامت لاخضـــاع العرب المشركين للاسلام «النصراني» ، ولتصفية اليهودية والمسيحية من الجزيرة العربية ، بحسب شعار الجهاد ، «ليظهره على الدين كله» ، «فلا يبقى في جزيرة العرب دينان» .

فليس في القرآن من تشريع لقتال المسيحية ، خارج الجزيرة .

ومن الحق أن نميز بين جهاده للمشركين ، وجهاده للكتابيين : كان جهـــاد الاسلام «النصراني» للشرك العربي حتى يدينوا به : إما الحرب ، واما الاسلام . وقد أمهلهم أربعة أشهر في «براءته» النبوية السلطانية : «براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين : فسيحوا في الارض أربعـــة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزي الله ، وان الله مخزي الكافرين» (١ — ٢) . وبعد المدنة «فإذا انسلخ الأشهر الحرم **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** وخذوهم واحصروهم

واقعدوا لهم كل مرصد : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ان الله غفور رحيم » (٦) . فأسلموا جميعهم عنوة واقتداراً . ومن لم يسلم بجهاد النبي ، أسلم بحروب الردة .

أما جهاد الاسلام « النصراني » ضد اليهودية ، ثم ضد المسيحية ، في الحجاز والجزيرة ، فلم يكن لاخضاع أهل الكتاب لدين الاسلام ، بل لسلطان الدولة الاسلامية ، « حتى يدفعوا الجزية عن يد ، وهم صاغرون » (التوبة ٣٠) . وهذا الجهـــاد في سبيل الاسلام « النصراني » (آل عمران ١٨ – ١٩) كان مخططاً للجزيرة العربية وحدها ، كما يتضح من وصية محمد الاخيرة . ومن الظلم لحرف القرآن وروحه ، نقل الجهاد القرآني ضدّ المسيحية الى خارج الجزيرة . وليست الفتوحات الاسلامية ، بعد الدعوة القرآنية ، تفسيراً لها ؛ إنما كانت اجتماعية ، من هجرات العرب الى الهلال الخصيب ؛ وسياسية لالهاء العرب بالفتح عن الردّة ، واظهار سلطان « النصرانية » التي تقمصت في الاسلام وذابت فيه ، على أختيها اليهودية والمسيحية .

هذا هو **الجهـــاد** الذي وجده في وحدة « التوراة والانجيل والقرآن » (التوبة ١١٢) ، وحدة لا يقول بها الا « النصارى » والقرآن .

وهذا هو **التشريع** المستقل الذي فرضه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة : ولكن ليبلوكم في ما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات » (المائدة ٥١) . فهو يؤيد « الأمة الوسط » على أختيها ، ولا يزيلها .

وهذه هي **العقيدة** : « ان الدين عند الله الاسلام » ، يشهد بهـــا القرآن بشهادة « النصارى » « أولي العلم قائماً بالقسط » وشهادتهم من شهـــادة الله وملائكته ، مهما اختلف أهل الكتاب من يهود ومسيحيين (آل عمران ١٨ – ١٩) .

فالقرآن دعوة « نصرانية » في عقيدته وتشريعه وجهـاده . فقد كان نصرة « للنصرانية » على اليهودية ، ثم على المسيحية ، في الجزيرة العربيـة ، « فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤ ؛ التوبة ٣٠) .

بحث رابع

الوثائق القرآنية المدنية لاسلام « النصارى »

توطئة : إطلاق اسم « نصارى » على المسيحيين ايضاً سبب شبهة دائمة

ظاهرة كبرى شاملة في القرآن المدني ، اطلاقه اسم « نصارى » بدون تمييز ظاهر ، جعله في تعارض ظاهر بين الثناء المحبب عليهم ، والعنف والتنديد بهم . وقد طوت الشبهة العصور حتى وصلت الينا . لقد أوجز الاستاذ دروزة في (سيرة الرسول ٢ : ١٣١) رأيه في (النصارى في العهد المدني) بقوله :

« في السور المدنية آيات كثيرة في النصارى وعقائدهم ، وما كان بينهم من **خلاف ونزاع** ؛ وفي عيسى عليه السلام وأمه والحواريين ، وقد جاء بعضها **بأسلوب محبب ، وثناء جميل** ؛ وفي بعضها تحذير وتنبيه وتنديد ؛ وفي بعضها جدل ومناظرة ، وحكاية صدّ وكيد ؛ وفي بعضها شيء من العنف **وأمر بالقتال واستنفار اليه** ، ومشاهد رحلة بسبيله .

« ومعنى هذا ان النبي ص لقي في العهد المدني نصارى ، ودعاهم واحتكّ بهم ؛ وأن بعضهم أظهر روحاً طيبة ، **وتلقى الدعوة بالاقبال** ، وان بعضهم تردّد او نأى او جادل وكابر ؛ وان بعضهم قد صدر منه ما تجاوز حدّ الجدل والمكابرة الى البغي والعدوان .

« والآيات في النصارى وعقائدهم وموقفهم في القرآن المدني **اكثر وأصرح** منها في القرآن المكي ... وهذا الفرق (في صفاتهم بين القرآن المكي والمدني) يُلهم أن دائرة الاتصال بين النبي ص والنصارى **في العهد المدني كانت اوسع منها في العهد المكي** ؛ كما يُلهم بأن المؤثرات التي كان يخضع لها النصارى الذين لقيهم النبي ص واحتكّ بهم اكثر تنوّعاً ؛ وان الذين لقيهم في العهد المكي كانوا اكثر

تجرداً عن الهوى والرغبات المادية ، واكثر استعداداً بالتبعية للاستجابة الى الدعوة والاندماج فيها .

« وننبه الى ان الروايات لم تذكر ، فيما اطلعنا عليه ، شيئاً ما عن وجود نصارى مستقرين في المدينة ، ظلوا متمسكين بنصرانيتهم الى النهاية . وليس في القرآن عن ذلك شيء صريح ايجابي .

« ولقد ذكرت الروايات خبر وفود بعض النصارى الى المدينة من اليمن والحبشة ... كما ذكرت أخبار اتصالات كانت بين النبي ص وسكان مشارف الشام الذين كان اكثرهم ، او كثير منهم ، من نصارى العرب ، الحضر منهم والبدو » .

— تلك **صورة قاصرة مشوّهة** لواقع القرآن المكي والمدني ، يقوم على الاساس المتشابه المتواتر المغلوط ، في اطلاق اسم « نصارى » على النصارى من بني اسرائيل ، وعلى المسيحيين من الاميين . وكان يكفي المفسرين ، أمثال الاستاذ دروزة ، بعض الانوار الكاشفة ، في بعض الآيات الصريحة ، ليظهر لهم الفرق بين « النصارى » الذين يستشهد بهم ، والمسيحيين الذين يندّد بهم ، مثل قوله في القرآن المكي : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٥) ، وهو لا يعني فرق اليهود ، بل انقسام أمة موسى الى يهود ونصارى من بني اسرائيل ، « بعد ما جاءهم من العلم بغياً بينهم » بالمسيح والانجيل ؛ ويشهد للنصارى منهم : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) ، وبهدى هذه الأمة على محمد ان يقتدي (الانعام ٩٠) . ومثل قوله في القرآن المدني : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) حيث يظهر القرآن كله نصرة « للنصرانية » الاسرائيلية على اليهودية ، في مكة وفي المدينة . وهؤلاء هم أهل الثناء المحبب ، وعلماء بني اسرائيل الذين يستشهد بهم على صحة دعوته (الشعراء ١٩٧) .

وليس في مكة من اتصال بين محمد والمسيحيين سوى هجرة جماعته المضطهدة

الى الحبشة يستجيرون بالنجاشي ، ومعهم سورة مريم شعاراً لهم على وحدة الدين معه . **ان الاتصال الديني الوحيد بين القرآن والمسيحية قام في المدينة** ، بجدال وفد نجران ، الذي وزعوه في سور (آل عمران ، والنساء ، والمائدة). ومن هذا الجدال حملات التنديد والتكفير: فهي محصورة بهم ؛ ولا تتخطاهم الى المسيحيين خارج الجزيرة . أما الاتصال بالمسيحيين العرب في مشارف الشام فكان اتصالاً عسكرياً ، في غزوة مؤتة ، ثم في غزوة تبوك ، ترك أثره في سورة (الحديد) وسورة (التوبة) . فالمسيحيون العرب وقفوا على الحياد في صراع القرآن ، تأييداً «للنصرانية» (الصف ١٤) ، مع اليهودية العربية . لم يشذّ منهم الا الراهب أبو عامر ، في المدينة ، الذي بعد فتح مكة وجدال وفد نجران ، ذهب الى ديار الروم يؤلب المسيحيين العرب والروم على الدعوة المحمدية ، لئلا تعترض سير الدعوة المسيحية في الحجاز . ففشل ، وثبت فشله بغزوة تبوك وهدم «مسجد الضرار» المسيحي في المدينة .

فالمسيحيون العرب وقفوا على الحياد في الجهاد ، ولم يستجيبوا للدعوة القرآنية ، لعلمهم بأنها «النصرانية» عينها . أما النصارى من بني اسرائيل ، ومن «تنصّر» معهم من العرب ، فهم الذين قاموا بالدعوة القرآنية مع محمد ، وشهدوا لها وأنفقوا في سبيلها ، بل واستشهدوا لأجلها (آل عمران ٢١) ، لأنها دعوتهم التي يحاولون فرضها ، بجهاد النبي العربي ، على الحجاز والجزيرة . وها نحن نرى في القرآن المدني الوثائق التي تشهد بإسلامهم . قد يكون فيها بعض التكرار لها ، لوحدة النصوص والشواهد .

•

الوثيقة الاولى : من سورة البقرة (٢ / ١ / ٩١)

في بحث سابق (ص ٤٥٢) نقلنا فصولاً من سورة (البقرة) .

ان سورة (البقرة) صلة الوصل بين العهد المكي والعهد المدني . ولا يزال القرآن غارقاً في عقدة الخلاف ما بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل، «يقص

على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) — فلا دخـــل للمسيحيين ، في هـــذا العهد الاول المدني ، في الحوار القرآني : انه يحاور بني اسرائيل (البقرة ٤٧ و ١١٢) .

والظاهرة الكبرى الاولى على الآيات التي نقلنا وغيرها هي **التعارض** : **فمن** جهة يردّ قول اليهود والنصارى: «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» (١١١) ؛ ومن جهة يقول : « الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونـــه حق تلاوته ، أولئك يؤمنون به » (١٢١) . **وتعارض آخر** يظهر من هذا القول (١٢١) ومن قوله : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » (١٢٠) .

وهذا التعارض قائم على **إقحام ذكر النصارى** في جدال القرآن لليهود الذي يقتصر عليهم في سورة (البقرة) ، كما يظهر من حصره في الآيتين (٤٧ و ١٢٢) في تفضيل بني اسرائيل على العالمين ، وهو يقصد بهم اليهود كما توضحه النصوص. اقحام أول : « وقالوا : لن يدخـــل الجنة إلا مَن كان هوداً — او نصارى» (١١١) ؛ إقحام ثانٍ : « ولن ترضى عنك اليهود — ولا النصارى — حتى تتبع ملتهم » (١٢١) ؛ اقحام ثالث : « وقالوا : كونوا هوداً — او نصارى — تهتدوا» (١٣٥) ؛ وكل القرائن دلائل على أنه جدال مع اليهود وحدهم . لا يدخـــل النصارى إلا في هذا الخبر : « وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء ! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء» (١١٢) . فإذا أسقطنا تلك الاقحامات الثلاثة زالت ظاهرة التعارض ؛ واقتصر الجدال على اليهود كما هو في حقيقته .

وهذه الاقحامات قامت على الخلط بين النصارى من بني اسرائيل — وهم النصارى حصراً (الصف ١٤) — وبين المسيحيين من الاميين . فعند الجمـــع العثماني ، في غمرة الفتوحات بأرض المسيحيين ، أرادوا ان يبيّنوا ان القرآن عناهم في هذه المواطن ، فأقحموا ذكر المسيحيين باسم « نصارى » . لكن فاتهم ان موضوع الجدال يحصره مـــع اليهود ؛ وتخلق كلمة « النصارى » المتشابهة تعارضاً بين ايمان النصارى من بني اسرائيل بالاسلام ، وبين موقف تلك الآيات

السلبي من النصارى على العموم . فالاقحام كيفما واجهته ظاهر . فإذا اسقطناه يستقيم النظم — وهو لب اعجازه — مبنى ومعنى .

والظاهرة الكبرى الثانية هي الاقتتال بين اهل الكتاب **على الكتاب والمسيح** . ان اليهود « يؤمنون ببعض الكتاب ، ويكفرون ببعض » (٧٥) اي بالتوراة من دون الانجيل ؛ وهم لا « يتلون الكتاب حقّ تلاوته » لذلك لا يؤمنون بالدعوة القرآنية (١٢١) ؛ بينما النصارى من بني اسرائيل « الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته ، اولئك يؤمنون به » (١٢١) . فاليهود هم الذين اختلفوا في الكتاب : « كان الناس أمة واحـــدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . **وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه** ، من بعد ما جاءتهم البيّنات ، بغياً بينهم . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » (٢١٣) . فالخلاف قائم بين بني اسرائيل ، « من بعد ما جاءتهم البيّنات » التي أوتيها عيسى : « وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات » (٨٧) ؛ فكان الايمان بعيسى سبب الخلاف والاقتتال بين بني اسرائيل ، كما يؤكد ايضاً : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : منهم من كلّم الله ، ورفع بعضهم درجات ؛ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات ، وأيدناه بروح القدس . ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ، من بعـــد ما جاءتهم البيّنات . ولكن اختلفوا : فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر ! ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد » (٢٥٣) . فاليهود كفروا بعيسى والانجيل ، بعد بيّناته ؛ والنصارى من بني اسرائيل آمنوا . وهدى الله « الذين آمنوا » من العرب « لما اختلفوا فيه » اي الى هذا الايمان « النصراني » بعيسى والانجيل : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

والنصارى من بني اسرائيل هم المسلمون المحسنون الذين يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد . قال اليهود : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً » ! فيجيب : « بلى من أسلم وجهه لله ، وهو محسن » (١١١ — ١١٢) . وهذا هو التعريف

« بالنصرانية » . فالقرآن جاء « لينذر الذين ظلموا (اليهود) وبشرى للمحسنين» (منهم) اي النصـــارى (الاحقاف ١٢) ؛ كما نزل « ليثبت الذين آمنوا (من العرب) وهدى وبشرى للمسلمين » من قبلهم اي النصارى (النمل ١٠٢) . **فالنصارى هم المحسنون المسلمون الذين لهم الجنة** . وهكذا ترى التعارض الذي أدخله اقحام « النصارى » على الآية (١١١) ، لانهم هم « من أسلم وجهه لله ، وهو محسن » (١١٢) . هذه **شهادة اولى** على اسلامهم ايضاً بالقرآن .

والشهادة الثانية انهم «الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته ، اولئك يؤمنون به » (١٢١) . والآية ردّ على كفر اليهود بمحمد : « ولن ترضى عنك اليهود (ولا النصارى) حتى تتبع ملتهم » (١٢٠) . وهذا الرد يكشف اقحام « النصارى » على الآية (١٢٠) ؛ لان النصارى « يتلونه حق تلاوته » **فيؤمنون بمحمد الذي يكفر به اليهود** ، وليس « بالكتاب المؤتى » كما يظن الجلالان .

والشهادة الثالثة على اسلامهم انهم « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ؛ وان فريقاً منهم (اليهود) ليكتمون الحق وهم يعلمون» (١٤٦). فالنصارى يعرفون محمداً معرفة الاب ابنه اي معرفة مصدرية ؛ بينما يكفر اليهود به .

تلك الشهادات الثلاث تجعل النصارى من بني اسرائيل ، ومَن تنصّر معهم من العرب ، **أهل الدعوة القرآنية مع محمد** ، فهـــم يشهدون له ، ويؤيدونه بالكتاب، لاحسانهم في اسلامهم. فهذه الوثيقة الاولى من المدينة تشهد بالوحدة بين « النصرانية » والدعوة القرآنية ؛ وبإيمـــان « النصارى » بمحمد والقرآن ؛ وبتبني هؤلاء النصارى للدعوة القرآنية تبني الاب ابنه .

●

الوثيقة الثانية : من سورة آل عمران (٣/٣/٩٣)

« شهد الله أنـــه لا إله إلا هو والملائكة ، وأولوا العلم قائماً بالقسط — لا إله الا هو العزيز الحكيم — أن الدين عنـــد الله الاسلام

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغياً بينهم ! ومن يكفر بآيات الله ، فإن الله سريع الحساب
١٩

ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف ، وينهون
١١٣

عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين !
وما يفعلوه من خير فلن يكفروه — والله عليم بالمتقين !
١١٤ — ١١٥

لقد سبق تفصيل هذه الشهادة . وهي **الوثيقة الاساسية في** « نصرانية » الدعوة القرآنية ، كما في اسلام « النصارى » .

الشهادة « **أن الدين عند الله الاسلام** » يشهد بها الله وملائكته « وأولوا العلم قائماً بالقسط » . وقد رأينا مراراً ان اولي العلم مرادف لاهل الذكر ، كما هما مرادف لاهل الكتاب . واهل الكتاب فريقان : أولوا العلم الظالمون وهم اليهود ؛ وأولوا العلم المحسنون ، المقسطون ، وهم النصارى من بني اسرائيل . فالنصارى هم الذين يشهدون للاسلام ، والقرآن يشهد بشهادتهم . لانها من شهادة الله وملائكته . وشهادة النصارى للاسلام ، هي شهادة الحواريين المسيح باسلامهم (٥٢ — ٥٣) : **فالاسلام « النصراني » القرآني هو من المسيح ، وللمسيح:** هذا هو الدين عند الله . وهذه هي الدعوة القرآنية التي يقوم بها هؤلاء النصارى مع محمد .

وشهادتهم لا تقتصر على صحة الاسلام القرآني « النصراني » ؛ بل تمتد الى القرآن العربي نفسه : فهم يشهدون له في آياته المتشابهات ، كما في المحكمات ، بخلاف اليهود « الذين في قلوبهم زيغ ، فيتبعون ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله الا الله ، **والراسخون في العلم يقولون آمنا به ،** كل من عند ربنا—وما يذكر إلا أولوا الالباب » تعبير (٧) . « الراسخون في العلم» مرادف لتعبير «اولي العلم قائماً بالقسط» (١٨)» وهما اصطلاح» كناية عن « النصارى » . فالقرآن لا يأخذ التعبيرين المترادفين على اطلاقهما بحسب اللغة ؛ بل هما اصطلاح قرآني ، يعني النصارى من بني اسرائيل ، تمييزاً لهم من اليهود . وهذا ما فات المفسرين حتى اليوم ، عن جهل او تجاهل . فاليهود « يتبعون ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله » ؛ والنصارى ، « الراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا » ؛ وجماعة محمد ، « ما يذكر إلا أولوا الالباب» منهم ؛ ويصلون : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » (٧ — ٨) . فالنصارى يشهدون للقرآن كله ، المحكم منه والمتشابه : وهذا أعلى الايمان بالقرآن .

لذلك فالقرآن نفسه **يشهد بصحة اسلامهم.** فبعد ان يعلن لجماعته : « كنتم خير أمة أخرجت للناس» (١١٠)» ويعلن ان اليهود» الفاسقين في الدين (١١١) « ضربت عليهم الذلة . . . وباؤا بغضب من الله » (١١٢) ، يصرّح : « ليسوا سواءً : من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ، وهم يسجدون » (١١٣) . فلا ريب ان هذه الامة المثالية هم « النصارى » بسبب تمييزهم عن اليهود ، وعن جماعة محمد ؛ وصفتهم المتواترة في القرآن ، من قيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله ، تميّزهم عن العالمين . ومثالية « النصارى » ورهبانهم أنهم « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر ؛ ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ؛ ويسارعون في الخيرات » — أربع صفات تجعلهم عباد الرحمان ، « للمتقين اماماً» (الفرقان ٧٤) كما كان ابراهيم « للناس اماماً » (البقرة ١٢٤) ؛ لهذا السبب فهم « من الصالحين » (١١٤) . أما جماعة محمد فان « الله عليم بالمتقين » (١١٥) .

وهذا الاسلام القرآني « النصراني » يؤمن « بما اوتي موسى وعيسى والنبيون

من ربهم ، لا نفرّق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » (٨٤) . فما اوتي موسى وعيسى ديناً واحداً ، هو دين « النصرانية » ، وهو الاسلام الحق ؛ « ومن يبتغ غير (هذا) الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (٨٥) . فمن يغوص في اعماق القرآن يتجلى له ما يتشدق به كثيرون زوراً وبهتاناً .

و « النصارى » يؤمنون بالاسلام الذي به يشهدون (١٨) ايمان الحواريين بإسلام عيسى (٥٢) وكانوا عليه « من الشاهدين » (٥٣) ؛ كما سيعلن ايمان النصارى بالدعوة القرآنية ، بالحرف الواحد (المـــائدة ٨٦) ؛ ويترجم كلمة « نصارى » الارامية « بأنصار » (آل عمران ٥٢ — ٥٣؛ الصف ١٤) . **فالنصارى هم انصار عيسى ، وانصار محمد .**

فما بين « النصرانية » والدعوة القرآنية : وحدة دعوة (٧) ووحدة شهادة (١٨) ووحدة ايمان (١١٠) ووحدة حياة (١١٣) . فهي وحدة مطلقة ، شاملة ، كاملة ، جامعة مانعة . والقرآن يشهد للاسلام بشهادة « النصارى » ، « اولي العلم قائماً بالقسط » (١١) ؛ فهم اهل الدعوة للاسلام ، ومحمد انما يدعو بدعوتهم .

●

الوثيقة الثالثة : من سورة النساء (٤/٥/٩٥)

« يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله ! والكتاب الذي أنزل من قبل : ومن يكفر بالله
وملائكته ورسله وكتبه ، واليوم الآخر ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً
١٣٥

إن الذين يكفرون بالله ورســـله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله
ويقولون: نؤمن ببعض! ونكفر ببعض! ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
أولئك هم الكافـــرون حقّاً ! واعتدنا للكافرين عذاباً مهينـــا !
١٥٠

والذين آمنـــوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحـــد منهم اولئـــك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفـــوراً رحيماً ١٥١

ان المبدأ العام المطلق ، في القرآن ، هو **وحدة الكتاب** ؛ لذلك يأتي **الاعلان** « من يكفر بالله وملائكته ورسله وكتبه ، واليوم الآخر ، فقـــد ضلّ ضلالاً بعيداً » (١٣٥) ؛ وبتعبير أصرح : « من يؤمن ببعض ، ويكفر ببعض » ذلك هو الكافر ! فالايمان « بالكتاب كله » اي بالتوراة والانجيل هو شعار الاسلام الحق ؛ وهذه هي « النصرانية » التي تقيم أحكام التوراة والانجيل، كتاباً واحداً وشرعاً واحداً (المائدة ٨١) . وها هو يطبق المبدأ على الأمم الثلاث :

فيطلب من جماعته ، « الذين آمنوا » من العرب ، ان يؤمنوا « بالكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل » (١٣٥) اي « بالتوراة والانجيل والقرآن » (التوبة ١١١) .

وليس هذا ايمان اليهود الذين يقولون : « نؤمن ببعض ! ونكفر ببعض ! » يريدون ان يفرّقوا بين التوراة والانجيل ، بين موسى وعيسى : « أولئك هم الكافرون حقًّا (١٥٠) .

انما هذا هو ايمان « النصارى » ، « الذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرّقوا بين أحد منهم ؛ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم » (١٥١) . وهذا مثل قولهم وقوله : « إنا كنّا من قبله مسلمين : اولئك يؤتون اجرهم مرتين » (القصص ٥٣) .

فالنصارى يدعون الى وحدة الكتاب ؛ والقرآن يدعو بدعوتهم . ان ايمان « النصارى » مثل ايمان « الذين آمنوا » من العرب بالدعوة القرآنية . فبـــين الفريقين وحدة كتاب ، ووحدة ايمان ، ووحدة شهادة ، ووحدة دعوة . فتلك النصرانية والقرآن دعوة واحدة .

الوثيقة الرابعة : من سورة الصف (٦١ / ٢٠ / ١١٠)

« واذ قال عيسى ، ابن مريم ، يا بني اسرائيل

اني رسول الله اليكم ، مصدّقاً لما بين يدي من التوراة

ومبشراً برسول يأتي من بعدي ، اسمه أحمد .

فلما جاءهم بالبيّنات قالوا : هـذا سحر مبين ٦

●

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى

الى الاسلام ؛ والله لا يهدي القوم الظالمين ٧

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم

والله متمّ نوره ، ولو كره الكافرون ٨

●

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ٩

●

يا أيها الذين آمنوا ، كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين .

مَن أنصاري الى الله ، قال الحواريون : نحن أنصار الله

فآمنت طائفة من بني اسرائيل ، وكفرت طائفة :

فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم ، فأصبحوا ظاهرين » ١٤

التصريح الضخم الثنائي، الذي يكشف سر الدعوة القرآنية هي في الآية (١٤) : ان النصارى هم حصراً من بني اسرائيل ، الطائفة التي آمنت بالمسيح ؛ والدعوة القرآنية تأييد لهذه النصرانية الاسرائيلية على عدوّها اليهودية . فهي معركة دينية حربية ينتصر فيها القرآن « للنصرانية » بالدعوة والجهاد . فمن البديهي ان تنبعث الدعوة ويقوم الجهاد من هذه « النصرانية » ، بفضل النبي العربي .

والسورة تستفتح بحمد الله على تصفية يهود الشمال ، وتختم باعلان هـذه التصفية وانتصار «النصرانية» على اليهودية في الحجاز، بفضل الدعوة القرآنية وجهادها.

وتفصّل السورة مبرّرات هذين الجهاد والنصر :

لقد زاغوا عن الدعوة الموسوية وصاروا « فاسقين » (٥) .

لقد كفروا بعيسى ؛ ومحمد يتمّ نبوءة عيسى فيه ؛ فهو يجاهدهم لكفرهم بعيسى (٦) . شهادة صريحة على « نصرانية » القرآن والنبي .

واليهود يتآمرون على الاسلام ، في نصرة « النصرانية » : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » (٨) أي بكلامهم، من دعوة ودعاية ؛ وليس بالقوة والسيف مثل المشركين . شهادة سلبية على « نصرانية » القرآن والنبي .

والله نفسه أرسل محمداً « بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله » . ونعرف ان تعبير « الهدى » كناية عن الموسوية ، كشعارهم : « كونوا هوداً تهتدوا » ؛ وان تعبير « دين الحق » كناية عن دين المسيح : فالقرآن ، مثل « النصرانية » يجمع الايمان بموسى وعيسى ، والتوراة والانجيل ، ديناً واحداً . فهو في عقيدته وجهاده تعريب « النصرانية » ، وهذا ما هدف اليه « النصارى » لمنافسة اليهودية في السيطرة على الحجاز والجزيرة . فالقرآن دعوة « نصرانية » يقومون بهـــا بإمامة النبي العربي . وسورة (الصف) تعلن انتصار « النصرانية » على اليهودية ، في الحجاز . كما ستعلن سورة (براءة ٣٠ — ٣٥) الجهاد نفسه على المسيحية العربية المنحرفة ، ليسود « الهدى ودين الحق » اي الاسلام « النصراني » على الجزيرة العربية كلها ؛ وتنفرد تلك « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية ، بالسيطرة على العرب كي « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » .

●

الوثيقة الخامسة : من سورة المائدة (١٢٢/٢٢/٥)

« ولتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا : اليهـــود والذين أشركوا !
ولتجدنّ أقربهم مودة للذيـــن آمنوا ، الذين قالوا : إنا نصارى !
ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وانهم لا يستكبرون ! ٨٥

واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ،
مما عرفوا من الحق ؛ يقولون : ربنا آمنّا ، فاكتبنا مع الشاهدين ٨٦
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من
الحق ، ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ٨٧
فآثابهم الله بما قالوا جنات تجري من
تحتها الانهار ، خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين ٨٨
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم » . ٨٩

هذا هو **التصريح النهائي** على اسلام « النصارى » ، يكشف سرَّهم ودورهم في الدعوة القرآنية . فما ورد فيهم تلميحاً في القرآن كلّه ، ينجلي الآن تصريحاً صريحاً .

في الدعوة القرآنية ، انقسم الحجاز فريقين : « اليهود والذين أشركوا » فكانوا « أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا » ؛ و « النصارى » الذين كانوا « أقربهم مودة للذين آمنوا » (٨٥) . وهذان العداء والولاء المتبادلان المتقابلان ، البرهان الاكبر على وحدة « النصرانية » والدعوة القرآنية . والمساهمة في الولاء كما في العداء ، برهان على ان « النصارى » هم أهل الدعوة والجهاد ، بزعامة محمد .

وهذا الاعلان الصارخ لولاء « النصارى » للمسلمين ، يكشف التعارض في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ... فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ... » (المائدة ٥٤ — ٥٥). والتعارض مكشوف للاسباب الثلاثة الواردة : اليهود والنصارى ، بعضهم أولياء بعض — مع انه « قالت اليهود : ليست النصارى على شيء ! وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ! » (البقرة ١١٣) ، فليس من ولاء بين اليهود والنصارى ، لا في القرآن ولا في التاريخ . وهو من جهة يعلن ولاء النصارى للمسلمين (٨٥) ، ومن جهة عداء النصارى للمسلمين (٥٤) ، ولا يفيد في ذلك تقسيم النصارى الى

جبهات متعددة في الولاء او العداء ، فأسلوب التعبير في الحالين عـــام مطلق .
والسبب الثالث ان المنافقين « الذين في قلوبهم مرض » يسارعون في موالاتهم :
والواقع القرآني لا يشهد الا بموالاة اليهود والمشركين . فالنص (٥٤ — ٥٥)
يشهد على نفسه ، على ضوء آية المودة (٨٥) ، بأن **كلمة « نصارى » مقحمة في**
تحريم الولاء ؛ فقد وضعوها عند جمع القرآن بدل « الذين أشركوا » كما تدل
آية العداء بين « اليهود والذين أشركوا » للذين آمنوا (٨٥) وكما يصرّح به
في الآية (٦٠) . وهذا **التبديل المقحم** كان وما زال سبب البــلاء الاكبر
بين الاسلام والمسيحية .

ويشهد بأن اسلام « النصارى » يقوم على موقف رجال دينهم من الدعوة
القرآنية : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون » (٨٥) .
فالقسيسون والرهبان هم أهل الاسلام « النصراني » القرآني ؛ وأهل الولاء بين
جماعتهم « النصارى » ، وجماعة محمد « المتقين » . وهـــذا الموقف ينقض موقف
(براءة ٣٥) منهم : فهـذا إما مقحم ؛ وإما يعني رهبان وقسيسي المسيحية ، من
دون « النصرانية » . ولكن رهبان المسيحية ما كانوا يحاربون ، ولذلك استثناهم
الشرع من الجزية ؛ فيبقى الظن بالاقحام هو الوارد .

ثم يعدّد مظاهر اسلام « النصارى » : « ترى أعينهم تفيض من الدمع ، مما
عرفوا من الحق — يقولون : **ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** » (٨٦) . هذه هي
الشهادة النهائية بإسلامهم . ويبرّرون اسلامهم بقولهم : « وما لنا لا نؤمن بالله ،
وما جاءنا من الحق ، ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » (٨٧) . كانوا
هم « الصالحين » ؛ وجماعة محمد « المتقين » (آل عمران ١١٤ — ١١٥) ؛ والآن
بعد انتصار الدعوة القرآنية ، تنقلب المواقف : فصار « النصارى » يطمعون ان
يدخلهم الله مع القوم الصالحين » (المائدة ٨٧) .

ويختم بوعد « النصارى » بجنات تجري من تحتها الانهار ، « **وذلك جــزاء
المحسنين** » (٨٨) ؛ وهذه صفتهم المتواترة في القرآن كله . إنهم « المحسنون » ،

المقسطون، الراسخون في العلم، الذين يقومون مع محمد بالدعوة القرآنية؛ والقرآن يصف بتواتر احسانهم وشهادتهم له حتى هذا الاعلان الصريح الاخير.

أما اليهود، «الذين كفروا وكذبوا بآياتنا، أولئك اصحاب الجحيم» (٨٩). ومن هـذا التناقض في موقف اليهود والنصارى من بني اسرائيل، من القرآن، يظهر ايضاً اسلام «النصارى» وايمانهم بالدعوة القرآنية، لأنها منذ البدء دعوتهم، بإمامة محمد الذي يعلنون هنا له الولاء المطلق.

●

خاتمة البحث: اسلام «النصارى» بالمدينة

لقد أوجز الاستاذ دروزة (سيرة الرسول ٢: ١٤٦) موقف النصارى جملة من الدعوة القرآنية في المدينة بقوله: «لقد قلنا في مناسبة سابقة قريبة: ان ما جاء في النصارى، في القرآن المدني، وخاصـــة في آيات (المائدة ٨٢ — ٨٥) و (الحديد ٢٧) من **الثناء المحبب**، قد جاء بأسلوب **مطلق وتعميمي**، ويكاد يوحي بأنه يشملهم كافة. وقد ينطوي هذا على الاشارة الى أن أكثر الذي لقوا النبي ص في المدينة **قد آمنوا** به وصدّقوا التنزيل القرآني. كما يحمل على القول ان **الحملة عليهم** التي وردت في آيات (التوبة) وفي غيرها قد عنت بعض الوفود التي ظلت على جحودها ومكابرتها؛ وعنت كذلك أولئك الذين وقفوا موقف البغي والعدوان، وأمر النبي والمسلمون بقتالهم، من سكان مشارف الشام».

نقول: لو عرف الاستاذ التمييز بين «النصارى» والمسيحيين، لما تاه مثل غيره في ذلك التخريج المتعارض في ذاته ومع واقع الحال. ان «النصارى» من بني اسرائيل والمتنصرين معهم من العرب، في المدينة، كما في مكة، قد آمنوا جميعهم بالدعوة القرآنية، وقاموا بها مع محمد، لأنها دعوتهم «النصرانية». أما المسيحيون من وفد نجران، وفي مشارف الشام، الذين غزاهم محمد في مؤتة ثم في تبوك، فالحملة القرآنية في (التوبة ٣٠ — ٣٥) وفي (المائـدة ١٧٠ — ١٧١ و ١١٩) تعنيهم وحدهم دون سواهم. انهم المسيحيون من العرب، الذين

تحول الجهاد اليهم ، بعد الانتصار على اليهود العرب . وذلك كي « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، إلا اسلام « الأمة الوسط » ، « النصرانية » القرآنية ، من دون اليهودية ولا المسيحية. ولا يتجاوز أفق الدعوة والجهاد الجزيرة العربية. وكل اولئك المسيحيين من العرب كانوا على البدعة في نظر المسيحية السائدة في دولة الروم . فالقرآن كيفما واجهته لا يتعرض للمسيحية الرسمية [١].

●

خاتمة الفصل

الدعوة القرآنية هي « النصرانية »

تلك هي أهم الوثائق القرآنية ، من مكة ومن المدينة ، التي تشهد جميعها ، شهادة جامعة مانعة ، « بنصرانية » الدعوة القرآنية والنبي العربي ؛ وباسلام النصارى من بني اسرائيل ، ومن تنصر معهم من العرب ، بإمامة ورقة بن نوفل قس مكة . قد يماري أحدهم بدليل استخرجناه من آية . ولكن لا يصح لأحد ان يماري في الشهادة الجامعة المانعة ، **الواحدة القائمة على مجموع الوثائق القرآنية .**

والشبهة الكبرى التي تاه فيها المفسرون والمستشرقون ؛ هي عدم تمييز القرآن، — بحسب ظاهره ، لا بحسب قرائنه — بين « النصرانية » والمسيحية . وظهر لهم **تعارض في موقف القرآن من النصارى** ، بين الثناء المحبب عليهم تارة ، والحملة العنيفة عليهم تارة أخرى . وزاد البلبال باقحام اسم النصارى في بعض الآيات ، عند الجمع والتدوين في زمن الفتوحات لديار المسيحية ، في الشام ، **فظهر التعارض ايضاً في صلب الآيات المذكورة .** ولكن عند التمييز بين « النصرانية » والمسيحية، والتنبّه الى تلك الاقحامات القليلة ، يزول كل تعارض في القرآن ، وكل شبهة .

---

١) أما جماعة الراهب ابي عامر في المدينة فكانوا ايضاً مسيحيين ؛ لكن نجهل حقيقة مذهبهم؛ وقد زالوا بعد غزوة تبوك ، وهدم مسجدهم ، « مسجد الضرار » .

ان القرآن دعوة « نصرانية » في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية ، قام بها النبي العربي ، باشراف أستاذه ورقة بن نوفل ، قس مكة ، « رئيس النصارى» فيها ، وبهيمنة الإمام الاكبر ، بحيرى في بصرى ، « وصي عيسى على دينه » ، الذي انتهى اليه علم « النصرانية » بحسب تعبير السيرة . ولما توفي الامــام ، وخصوصاً الاستاذ ، حاول محمد الانتحار . فتداركته العناية الربانية ، والأئمة الذين يهدون بأمر الله (آلم السجدة ٢٤) وعلى محمد ان يقتدي بهداهم (الانعام ٩٠)؛ فرجع الى نفسه والى دعوته ، إماماً للمسلمين النصارى ، فكان « أول المسلمين » .

فالأمر الذي جاءه في غار حراء كان : « وأمرت ان اكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن » معهم (النمل ٩٠ — ٩١) . والبلاغ الذي أطلقه في حجة الوداع قبل وفاته بأشهر معدودات كان : « اليوم أكملتُ لكم دينكم ! وأتممت عليكم نعمتي ! ورضيت لكم الاسلام ديناً » ! (المائدة ٤) .

وهذا الاسلام هو إسلام المسلمين « النصارى »، «أولي العلم قائماً بالقسط » ، الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨) .

فالإسلام ، في القرآن ، هو « النصرانية » عينها ، بنصه القاطع .

والقرآن العربي نفسه قد «شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠)؛ وهو شاهد من النصارى الاسرائيليين ، لا من اليهود ، « أول كافر به »؛ بل «هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » النصارى (العنكبوت ٤٩) .

والدعوة القرآنية دعوة « نصرانية » قام بهــا « النصارى » باسم « الاسلام » قبل محمد ، كما يشهد بنصه القاطع : « هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هــذا » القرآن (الحج ٧٨) — وجاء محمد ، بعد تدريبه على يد أستاذه ، ورقة بن نوفل قس مكة ؛ وبعد رؤيا حراء التي أشار اليه فيها ملاك من الله بالقيام بهــا ، فقام بها خير قيام : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

فالدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها ، والاسلام فيها هو اسلام «النصارى» .
تلك هي شهادة الوثائق القرآنية .

* * *

الفصل الخامس

الدلائل الحسان على «نصرانية» القرآن

توطئة : الدعوة القرآنية هي «النصرانية» عينها

بحث اول : «نصرانية» القرآن في دعوته

بحث ثانٍ : «نصرانية» القرآن في ظواهره

بحث ثالث : «نصرانية» القرآن في أساليبه

بحث رابع : «نصرانية» القرآن في صيَغ الايمان

بحث خامس : «نصرانية» القرآن في عقيدته

خاتمــــة : الاسلام «أمة وسط» هي النصرانية بين اليهودية والمسيحية

توطئة

الدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها

ان استقراء القرآن أثبت لنا أنه دعوة « نصرانية » .

نستجمع الآن الدلائل التي تُظهر لنا **بمجموعها** ان الدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها . نقول « **بمجموعها** » لأن البرهان القاطع لا يقوم على دلائل متفرقة ؛ قد يظهر بعضها ضعيفاً ؛ وقد يقوم على بعضها شبهات . إنما مجموع الدلائل يورث العلم اليقين .

نقول ان الدعوة القرآنية هي « **النصرانية عينها** » ، لا عن طريق التلفيق والتنسيق كما يعمل صانع ماهر — هذا زندقة وكفر ! — **إنما القرآن نفسه هو الذي يتبنى « النصرانية »** ؛ ويشهد بشهادتها « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) ، ويشرعها للعرب ، في دين موسى وعيسى ، ديناً واحداً (الشورى ١٣) ، « لا نفرّق بين أحد من رسله ، ونحن له مسلمون » (البقرة ٢٨٥) ؛ ويعلن بصراحة : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة ! فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . فالقرآن في عقيدته ودعوته وجهاده « تأييد » « للنصرانية » على عدوها ، اليهود الذين كفروا بالمسيح ، والمسيحيين الذين « غلوا » في أمره .

فكما ظهرت « النصرانية » ، في عهد الفترة ، ما بين الانجيل والقرآن ، « **أمةً وسطا** » ، بين اليهودية والمسيحية ؛ نراها إياها « **الأمة الوسط** » التي يدعو اليها القرآن .

والدلائل تأتي زرافات ووحداناً من العقيدة، والدعوة، واللغة، والأساليب، والظواهر البارزة ؛ وكلها قائمة على وحدة القرآن الجذرية مع الكتاب والانجيل .

ويظهر سرّها **كله** في قوله : «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠) . وسوء فهم الناس لمعنى «بني اسرائيل» في هذه الآية هو الذي صدّهم عن ان يروا في الآية سرّ القرآن كله : لقد فهموا ان «بني اسرائيل» هم اليهود؛ وفاتهم ان «بني اسرائيل» هم في تعبير القرآن يهود ونصارى من بني اسرائيل . **فالقرآن له «مثله» عند النصارى من بني اسرائيل .**

هذا الواقع القرآني هو الذي يحملنا على التصريح **بما لم يقل به أحد بعد** : ان القرآن دعوة «نصرانية» . ليس هذا مساً بكرامته . انما هو واقع الحال ، **لان القرآن نفسه هو الذي يتبنّى «النصرانية»** ، «أمة وسطاً» بين اليهودية والمسيحية . هو يشهد لنفسه (الاحقاف ١٠ ؛ الصف ١٤) .

فالدعوة القرآنية هي «النصرانية» عينها، كما تدل عليها **ظواهرها الخمسون .**

* * *

بحث اول

« نصرانية » القرآن في دعوته

تظهر «نصرانية» القرآن من دعوته لوحدة الكتاب ، ووحدة الوحي ، ووحدة الدين ، ووحدة الاسلام ، ووحدة الرسالة النبوية ، ووحدة الايمان ، ووحدة العقيدة ، ووحدة الشريعة ، ووحدة الأمة ، ووحدة الجهاد والشهادة .

تلك عشر وحدات تجعل القرآن، بشهادته لنفسه ، دعوة «نصرانية» .

أولاً : «نصرانية» القرآن ، في وحدة الكتاب

إن الكتاب المنزل مع جميع أنبياء الله واحد : «كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس

فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيم » (البقرة ٢١٣) . فالكتاب من توراة وانجيل واحد ؛ واختلف اليهود من بعد ما جاءتهم « بيّنات » عيسى (البقرة ٨٧و٢٥٣) وقاتلوا « مَن آمن منهم» (بعيسى) (البقرة ٢٥٣)؛ فهدى الله بالقرآن جماعة محمد الى الايمان مع اهل الايمان والصراط المستقيم .

وتعليم القرآن بوحدة الكتاب، من توراة وانجيل وقرآن (آل عمران ١-٣) متواتر في سوره . وهو يسمّيه «كتاب الله» تسع مرات (٢ : ١٠١ ؛ ٣ : ٢٣ ؛ ٥ : ٤٧ ؛ ٨ : ٧٥؛ ٩ : ٣٧ ؛ ٣٠ : ٥٦؛ ٣٣ : ٦ ؛ ٣٥ : ٢٩ ؛ ٢٨ : ٤٩) ويؤكد مرتين أن الانجيل كان « مصدّقاً لما بين يديَّ من التوراة» (٣ : ٥٠ ؛ ٦١ : ٦)؛ وسبع عشرة مرة ان القرآن « تصديق الذي بين يديه » ، « مصدّق لما معكم » (٢ : ٤١ و ٨٩ و ٩١ و ٩٧ و ١٠١ ؛ ٣ : ٣ و ٨١ ؛ ٤ : ٤٦ ؛ ٥ : ٤٩ مرتين و ٥١ ؛ ٦ : ٩٢؛ ١٠ : ٣٧ ؛ ١٢ : ١١١؛ ٣٥ : ٣١ ؛ ٤٦ : ١٢ و ٣٠) . فتوكيد وحدانية كتاب الله جازم قاطع .

والقرآن ، في وحدانية الكتاب ، **يخص بخطابه بني اسرائيل** : «آتينا آل ابراهيم الكتاب» (٤ : ٥٣) ، « وجعلنـــا في ذريتهما (نوح وابراهيم) النبوة والكتاب» (٥٧ : ٢٦) — اي «آتينا بني اسرائيل الكتاب» (٤٥ : ١٥) ، « اورثنا بني اسرائيل الكتاب» (٤٠ : ٥٣) ، فهم « خلق ورثوا الكتاب» (٧ : ١٦٨) ، يختلفون «وهم يتلون الكتاب» (٢ : ١١٣) ؛ والقرآن يحيل نبيّه الى « الذين يقرأون الكتاب من قبلك» (١٠ : ٩٤) ؛ ويأمر أمته بالايمان « بالكتاب كله» (٣ : ١١٩) اي « بالكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل» (٤ : ١٣٦) .

والحال ان اليهود «يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض» (٢ : ٨٥)، فهم « من الاحزاب مَن ينكر بعضه» (الرعد ٣٨)؛ لذلك «ان الذين يكفرون

بالله ورسله ، ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ، ويقولون : **نؤمن ببعض** (التوراة) **ونكفر ببعض** (الانجيل) ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقّاً ، واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرّقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفوراً رحيماً » (النساء ١٤٩ — ١٥٠) . فجماعة محمد « يؤمنون بالكتاب كله » (٣ : ١١٩) على مثال النصارى من بني اسرائيل « الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين احد منهم » (النساء ١٥٠) .

ويأتي التفصيل صريحاً في قوله : « ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب : فمنهم مهتد ، وكثير منهم فاسقون » — الفاسقون في دينهم هم اليهود ، والمهتدون هم النصارى من بني اسرائيل ؛ « ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة . . . فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون » (الحديد ٢٦ — ٢٧) — فآل الانجيل ، منهم المسيحيون الفاسقون في دينهم ، « الذين كفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم ، وبقي على دين عيسى منهم فآمنوا بنبيّنا » (الجلالان) وهم النصارى من بني اسرائيل . هؤلاء النصارى ، بحسب قوميتهم هم المهتدون (٢٦) ، وبحسب مذهبهم هم المهتدون (٢٧) فهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٧) ، « فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . فالنصارى من بني اسرائيل هم وحدهم يؤمنون بوحدة الكتاب ديناً واحداً ، وهذه هي « نصرانية » القرآن .

•

ثانياً : « نصرانية » القرآن ، في وحدة الوحي والتنزيل

« الله الذي نزّل الكتاب » (٧ : ١٩٥) ، « نزّل الكتاب بالحق » (٢ : ١٧٥) ، « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق » (البقرة

٢١٣). وكذلك « إنا أوحينا اليك ، كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا . . . » (النساء ١٦٢) . فوحدة الوحي والتنزيل عقيدة قرآنية .

الله نزّل الكتاب جملةً وتفصيلًا : « الله ، لا إله إلا هو ، الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق ، مصدّقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان » (آل عمران ١ — ٣) . فالله أنزل القرآن في التوراة والانجيل ، وأنزل معه الفرقان الشفوي تفصيلًا له .

وقوله : « نزّلنا عليك القرآن » (٧٦ : ٢٣) ، « نزّل الفرقان عن عبده » (٢٥ : ١) يعني « نزّل عليك الكتاب بالحق » (٣ : ٣) ، « ونزلنا عليك الكتاب » (١٦ : ٨٩) ، « وأنزل الله عليك الكتاب » (٤ : ١١٢) ، « أنزلنا عليك الكتاب » (٢٩ : ٥١؛ ٣٩ : ٤١) ، « أنزل على عبده الكتاب » (١٨ : ١) ؛ وذلك « لتبيّن للناس ما نزّل اليهم » (١٦ : ٤٤) . والله « هو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصّلًا » (٦ : ١١٤) . فوحدة الوحي والتنزيل في التوراة والانجيل والقرآن عقيدة قرآنية .

والحال ان اليهود « يقولون : نؤمن ببعض (التوراة) ، ونكفر ببعض (الانجيل) ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلًا ، أولئك هم الكافرون حقًّا » (النساء ١٤٩) ؛ وكانوا « اول كافر به » (البقرة ٤١) اي بالقرآن . والمسيحيون ، وان آمنوا بوحدة الوحي والتنزيل في التوراة والانجيل ، فهم لا يعملون إلا بأحكام الانجيل .

فالنصارى من بني اسرائيل هم وحدهم يؤمنون ويعملون بالكتاب كله ، كما أن أمة محمد يؤمنون « بالكتاب كله » (آل عمران ١١٩) . لذلك « قلْ : يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليكم من ربكم؛ وليزيدنّ كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً » (المائدة ٧١) .

فالمسلمون مثل النصارى من بني اسرائيل هم وحدهم يؤمنون بوحـــدة الوحي والتنزيل في « الكتاب كله » اي في التوراة والانجيل والقرآن .

فالقرآن ، في وحدة الوحي والتنزيل ، دعوة « نصرانية » .

•

ثالثاً : « نصرانية » القرآن ، في وحدة الدين

يجب ان « يكون الدين لله » (٢ : ١٩٣) ، « ويكون الدين كله لله » (٨ : ٣٩) . لذلك ينادي : « ألا لله الدين الخالص » (٣٩ : ٣) ، « مخلصين له الدين » (٧ : ٢٨ ؛ ١٠ : ٢٢ ؛ ٢٩ : ٦٥ ؛ ٣١ : ٣٢ ؛ ٤٠ : ١٤ ؛ ٩٨ : ٥) . ويطلب من نبيّه ان يكون « مخلصاً له الدين » (٣٩ : ٢ و ١١) ، « أقم وجهك للدين حنيفاً » (١٠ : ١٠٥ ؛ ٣٠ : ٣٠ و ٤٣) .

وهذا الاخلاص في الدين ، هذه الحنيفية في الدين ، **هما دين موسى وعيسى ديناً واحداً** يشرعه للعرب : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي اوحينـــا اليك — وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ؛ كبر على المشركين ما تدعوهم اليـــه » (الشورى ١٣) . لا نعرف دين نوح وابراهيم إلا بالتوراة ، وفي تصديق القرآن لها . فالدين الذي يشرعه القرآن للعرب هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً ، لا دين موسى وحده كما يقول اليهود ، ولا دين المسيح وحده كما يقول المسيحيون ، بل دين موسى وعيسى معاً كما يقول النصارى من بني اسرائيـــل . **فالقرآن يشرع للعرب دين « النصرانية »** ، لا دين اليهودية التي تكفر بالمسيح ، ولا دين المسيحية التي « تغلو » في المسيح .

« **فالنصرانية** » **هي الحنيفية** التي تدين بدين موسى وعيسى ديناً واحداً ، كما كان المسيحيون يعيّرون النصارى من بني اسرائيل بلقب «حنفاء» لانحرافهم في المسيحية ؛ فاعتبروا هم هذا اللقب شعاراً للدين القيّم ، دين الحق ؛ واسموه

« ملة ابراهيم » تأليفاً للعرب . وبموجب هذه « النصرانية » الحنيفة ، او الحنيفية « النصرانية » يدين القرآن شيّع المشركين والكتابيين .

يقول : « فأقم وجهك للدين حنيفاً : فطرَتَ الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله؛ ذلك الدين القيم، ولكن اكثر الناس لا يعلمون؛ فتوبوا اليه ، واتقوه ، وأقيموا الصلاة ؛ ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون » (الروم ٣٠ — ٣٢) . فمحمد يؤمن بالدين الحنيف ، الدين القيم ، وهـــو دين « النصارى » المسلمين : « وأُمرتُ ان اكون من المسلمين » (النمل ٩٠) ؛ « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) .

ويقول : « ان الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لستم منهم في شيء ... قلْ : انني هداني ربي الى صراط مستقيم، ديناً قيّماً ، ملة ابراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين. قل: ان صلاتي ونسكي ، ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له، بذلك أُمرتُ، وأنا أول المسلمين» (الانعام ١٥٣—١٦٤). هنا قد يقصد المشركين، وقد يقصد الكتابيين . وعلى قصده الكتابيين، الذين افترقوا شيعاً «فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة » (الصف ١٤) ، وكان المسيحيون « يغلون في دينهم » ، فقد اهتدى محمد الى الصراط المستقيم بالايمان بالكتاب (الشورى ٥٢) على دين « النصرانية » التي تؤمن بموسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣) ، هـــذه ملة ابراهيم ، الدين القيم . جاءه الامر : « وأمرت ان أكون من المسلمين » من قبله اي « النصارى » (النمل ٩٠) ، والآن يأتيه الامر ان يكون رئيس النصارى ، « أول المسلمين » (الانعام ١٣٦ و ١٤؛ ٣٩ : ١٢).

فالقرآن ، في وحدة الدين ، دعوة « نصرانية » .

•

رابعاً : « نصرانية » القرآن ، في وحدة الايمان

يقرن القرآن الايمان بالكتاب ، وهذا هو الصراط المستقيم : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وانك لتُهدى الى صراط مستقيم » (الشورى ٥٢) ؛ وهذا الصراط المستقيم ،

في الايمان بالكتاب ، لا يكون إلا بالايمان بموسى وعيسى ديناً واحداً : « وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى ١٣ و ١٥) . وهذه هي « النصرانية ».

ويقرن الايمان « بالعلم » — لا العلم على الاطلاق كما يتوهمون ويوهمون — بل العلم المنزل بالمسيح في الانجيل ، علم « اولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨)؛ فيقول : « وقال الذين أوتوا العلم والايمـــان : لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث » (الروم ٥٦) . وأهل « العلم والايمان » بحسب اصطلاحه المتواتر هم النصارى من بني اسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب .

وتظهر وحدة الايمان في أمره : « قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا ، ومـــا انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، والأسباط ، ومـــا أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦) . فالايمان المنزل كله ينحصر في التوراة والانجيل — وفي القرآن تصديقاً لهما — وهما الايمان « بما أوتي موسى وعيسى » بلا تفرقة ولا تفريق ، كما يفعل اليهود والمسيحيون ؛ بل كما يفعل النصارى من بني اسرائيل بالايمان بهما ايماناً واحداً ؛ وهذا هو الاسلام القرآني « النصراني » .

وهذا الأمر بالاسلام « النصراني » ، في الايمان بموسى وعيسى ديناً واحداً ، قد جاء محمداً قبل أمته : « قلْ : آمنا بالله وبما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٥) وذلك حينما أمر بأن ينضمّ الى النصارى من بني اسرائيل، المسلمين من قبله (النمل ٩٠).

فالايمان بكتب الله ورسله ايماناً واحداً هو ايمان « النصرانية » الذي يؤمن به محمد وأمته : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ؛ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرّق بين أحد من رسله » (البقرة ٢٨٥) . وعدم التفريق بين كتب الله ورسله هو ميزة « النصرانية » والقرآن .

فالقرآن ، في وحدة الايمان ، دعوة « نصرانية » .

●

خامساً : « نصرانية » القرآن ، في وحدة الاسلام

يرددون على الدوام : « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٩) ، ومن يبتغ غير الاسلام ديناً ، فلن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٥). وهكذا يحصرونه في أمة محمد . وفاتهم أصله الذي ينتمي اليه القرآن.

فالاسلام بنوع عام هو ما وصى به الله تعالى نوحاً وابراهيم وموسى وعيسى ومحمداً (الشورى ١٣) ، وهـو « ما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦) ، « ما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٥) .

فهو موضوعاً واسماً من قبل القرآن : « هو سمّاكم المسلمين من قبل ، وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨) . لذلك يقول أهـــل الكتاب لمحمد : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) .

لكن **الاسلام على التخصيص** هو «النصرانية » ، اسلام أولي العلم المقسطين ، لا اليهود الظالمين : « شهـد الله انه لا إله الا هو ، والملائكة ، **وأولو العلم قائماً بالقسط** ، لا إله الا هو العزيز الحكيم: ان الدين عند الله الاسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران ١٨ و ١٩). فهموا تعبير «اولوا العلم قائماً بالقسط» بحسب اللغة ، وهو اصطلاح متواتر ، مرادف لأهل الذكر ، اي لأهل الكتاب ؛ والصفة « قائماً بالقسط » تمييز للنصارى من بني إسرائيل من اليهود الذين يصفهم «بالظالمين» (العنكبوت ٤٦ ؛ البقرة ١٢٤) . وفهموا « الذين أوتوا الكتاب » على التعميم ، وهو أسلوب متواتر في القرآن يقصد التخصيص بحسب القرائن : فأهل الكتاب الذين « يقتلون النبيين بغير حق » هم اليهود (٢١) . وهكذا سلبوا تلك الشهادة القرآنية الجوهرية المحورية حقيقتها . وحقيقتها ان النصارى من بني اسرائيل هم « اولوا العلم قائماً بالقسط» الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » . والقرآن يشهد بذلك على شهادتهم : **فالقرآن يدعو للاسلام بدعوة « النصرانية » عينها** .

هذا الاسلام القرآني « النصراني » يرفضه اليهود ، ليس بسبب التوحيد فيه — وهو واحد فيه معهم — لكن بسبب ايمانه بالمسيح . هذا ما أعلنه الحواريون ، صحابة المسيح ، لمعلمهم : « فلمّا أحسّ عيسى منهم (اليهود) الكفر ، قال : مَن أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ! آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ! ربنا آمنّا بما أنزلت ، واتّبعنا **الرسول** (المسيح) فاكتبنا مع الشاهدين » (آل عمران ٥٢ — ٥٣) . قال الرازي : « قوله (آمنّا بالله) يجري مجرى ذكر العلة في نصرتهم له . (واشهد بأنا مسلمون) ، فيه قولان : اشهد بأنا منقادون لما تريد ولأمر الله ؛ او ان ذلك إقرار منهم بأن دينهم الاسلام ، وانه دين كل الانبياء . واعلم انهم لما أشهدوا عيسى على ايمانهم وعلى إسلامهم تضرعوا الى الله (٥٣) مؤمنين بالله — وكتب : الله ، ورسول الله — وعند ذلك طلبوا الزلفى والثواب (فاكتبنا مع الشاهدين) لك بالتوحيد ، ولأنبيائك بالنبوّة . وعن ابن عباس : (**واكتبنا) في زمرة الانبياء** ، او ممن يكون في شهود جلالك مستعدًّا للشهادة بالدم » . نقول : لا مجال للتردد في اعلان اسلامهم بحسب اصطلاح القرآن ؛ وتفسيره لغةً ، حيث لا قرائن عليه ، هو عقدة نفسية عند المفسرين الذين لا يرون الاسلام إلا في القرآن ، وهو خير شاهد على فساد تفسيرهم ، في الاعلان الضخم الصريح باسلام النصارى ، أولي العلم المقسطين (آل عمران ١٨ — ١٩) .

وعلى مثال الحواريين ، أنصار الله وعيسى ، يريد القرآن ان يكون « الذين آمنوا » به من العرب : « يا أيها الذين آمنوا ، **كونوا انصار الله** ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : مَن أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ! فآمنت طائفة من بني اسرائيل ، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . فقوله عن جماعته « انصار الله » هو ترجمة عربية لتعبير « نصارى » : هذا انتساب الى « النصارى » بالاسم ، كما تدلّ القرينة في الاستشهاد . وتأتي النتيجة الحاسمة فيه **التي تكشف سرّ القرآن كله** ، بأنه تأييد مطلق للنصارى من بني اسرائيل على « عدوهم » اليهود . فهذه الطائفة

من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح، بناء على دعوة الحواريين له ، هم « اولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عنـــد الله الاسلام ». فالقرآن يعرب اسمهم ، ويتبنى شهادتهم، ويؤيد دعوتهم حتى الظهور المبين : فهو بحق دعوة « نصرانية » في الاسلام الذي يدعو اليه .

ولذلك « اختلف الذين أوتوا الكتاب » من اليهود : وخلافهم الاكبر في دعوة القرآن للمسيح . ففي نظر القرآن ، ان الاسلام الحق ، والشهادة الحنيفية للاسلام ، **إنما في الايمان بالله والمسيح رسول الله . هذا هو اسلام الفطرة والكتاب** « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم مَن في السماوات والارض طوعاً وكرهاً ! قلْ : آمنا بالله وما أُنزل علينا ، وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحـــد منهم ، ونحن له مسلمون ! ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً ، فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٣ — ٨٥) .

كثيراً ما يفصلون الآية (٨٥) عمّا سبقها ليقوّلوا القرآن ما لا يقـــول ، فيتوهمون ويوهمون **ان الاسلام هو حصراً اسلام القرآن** . ان اسلام القرآن هو **دين موسى وعيسى** الذي يشرعه للعرب ديناً واحداً (الشورى ١٣) . هذا هو في نظر القرآن دين الفطرة والكتاب، دين الله الاوحد . فاسلام القرآن يدعو الى دين الله ، اي **الى الشهادة لله وللمسيح** ؛ وهذا معنى قوله المتواتر : « لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ و٢٥٣ ؛ آل عمران ٨٥) . وما القرآن ونبيّه إلا تصديق لهذه الشهادة وتفصيل : انه « تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) . فالايمان بموسى وعيسى ديناً واحداً هو الاسلام الأوحد الذي مَن يبتغي غيره ديناً فلن يُقبل منه عند الله .

فالاسلام ، **اسماً ودعوةً** ، هو « النصرانية » التي يشهد لها القرآن ويمنع أمته

من الجدال فيها ، بل بالتسليم مع أهلهـــا أن الاله واحد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد ، في القرآن و « النصرانية » (العنكبوت ٤٦) .

فالقرآن ، في وحدة الاسلام ، دعوة « نصرانية » .

•

سادساً : « نصرانية » القرآن ، في وحدة النبوة والرسالة

تقوم وحدة النبوة والرسالة على **وحدة الكتاب** : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة ٢١٣) . فالكتاب واحد مع جميع الانبياء والرسل ، وان اختلف اسمه ، وكان « لكل أجل كتاب » (الرعد ٤٠) .

وتقوم وحدة النبوة والرسالة على **وحدة الوحي** لجميع الانبياء والمرسلين : « إنا أوحينا اليك ، كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » (النساء ١٦٢) . فالوحي من نوح الى محمد واحد .

وتقوم وحدة النبوة والرسالة على **وحدة الدين** الذي يشرعه الله للنـــاس ، بواسطة جميع الرسل : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي اوحينا اليك ؛ وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » (الشورى ١٣) . فالدين من نوح الى ابراهيم ، الى موسى ، الى عيسى ، الى محمد ، واحد .

وتقوم وحدة النبوة والرسالة عـــلى وحدة **الايمان في النبوّة والكتاب** : « قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا . . . وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦) . كذلك الامر الى محمد نفسه : « قلْ : آمنا بالله وما أُنزل علينا . . . وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٥) .

وتقوم وحدة النبوة والرسالة على **وحدة الاسلام** من ابراهيم، الى موسى، الى عيسى، الى محمد، كما ينادي بها جميعهم (آل عمران ٨٣ — ٨٥). وتلك هي شهادة «أولي العلم قائماً بالقسط: إن الدين عند الله الاسلام» وشهادتهم من شهادة الله وملائكته (آل عمران ١٨ — ١٩).

والحال، ان تلك الوحدة في النبوة والرسالة، بكل مظاهرها، لا يقول بها اليهود الذين «يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض» (النساء ١٤٩)؛ ولا يقول بها المسيحيون الذين يقيمون الانجيل من دون أحكام التوراة (المائدة ٧١)؛ إنما يقول بها النصارى من بني اسرائيل وحدهم: فهم وحدهم يجمعون دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣)؛ وهم وحدهم يقيمون التوراة والانجيل شرعاً واحداً (المائدة ٧١). فهم وحدهم يشهدون: «**لا نفرّق بين احد من رسله ونحن له مسلمون**» (البقرة ٢٨٥)؛ وهم وحدهم «أولوا العلم قائماً بالقسط» الذين يشهدون مع الله وملائكته «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ — ١٩). والقرآن يشهد بشهادتهم، ويؤمن بإيمانهم، ويدعو بدعوتهم: «فآمنوا بالله ورسله» (٣: ١٧٩؛ ٤: ١٥١ و ١٧٩؛ ٥٧: ١٩ و ٢١)؛ فقد «آمن الرسول، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرّق بين أحد من رسله» (البقرة ٢٨٥).

فالقرآن، في وحدة النبوة والرسالة، دعوة «نصرانية».

●

سابعاً: «نصرانية» القرآن، في وحدة العقيدة

العقيدة في القرآن عقيدتان: التوحيد، والايمان بالمسيح.

والتوحيد، في القرآن، جاء بالحرف الواحد كما هو في التوراة والانجيل. ففي التوراة: «اسمع يا اسرائيل: ان الله إلهنا **هو الله أحد**» (التثنية ٦: ٤). ووصف الانبياء مثل أشعيا ان «الله احد» هو «الله الصبئوت»، فعُربت

« الله الصمد » ؛ وأن « الله أحد » هو « الحي القيوم » (ارميا ١٠ : ١٠ ؛ قابل أفسس ٤ : ٦ ؛ تيموتاوس الاولى ٦ : ١٥ — ١٧) . وذهب شعـــار التوحيد « الله احد » عندهم شهادة لهم في توحيدهم ، وفاتحة لهم في صلاتهم . ولما ظهر السيد المسيح سأله علماء الشريعة : « أية وصية هي الاولى » ؟ فأجابهم بشهادتهم وبفاتحة صلاتهم : « الاولى هي : اسمع يا اسرائيل : ان الله إلهنا هو الله أحد » (مرقس ١٢ : ٢٩) . فردّد القرآن صيغة التوحيد بحرفها التوراتي والانجيلي : « قلْ : هو الله احد ، الله الصمد » (سورة الاخلاص) . وما كان أهل الكتاب ليكونوا على خلاف مع محمد في دعوته للتوحيد الكتابي بحرفه ومعناه . إنما كان خلافهم معه على دعوته للايمان بالمسيح .

ودعوة القرآن للمسيح لا يقبل بها اليهود ، لذلك كانوا « أول كافر به » ؛ ولا يقول بها المسيحيون من الأميين ، لكن « قالت النصارى : المسيح ابن الله » (التوبة ٣٠) . إن عقيدة القرآن في المسيح — وهي الموضوع الثاني لدعوته — هي عقيدة « النصرانية » .

ففي تعريفه الوافي بالمسيح يقول : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) . فهو ، وان كان « عيسى ابن مريم » ، يظل قبل ان يُلقى اليها ، وبعد ذلك « كلمته وروحاً منه » اي ذاتاً « صادراً منه » (البيضاوي) ، مع ذلك « لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقرّبون » (النساء ١٧١) . إنه يجعل المسيح بصفة كونه « كلمته وروحاً منه » أحد الملائكة المقربين . وفي هذا تكمن **الازدواجية القرآنية** في شخصية المسيح . ويؤكد مع ذلك انه عبد ، لا رب . تلك العقيدة القرآنية في المسيح لا يقول بها إلا النصارى من بني اسرائيل ؛ بينما المسيحيون أجمعون ، بكل طوائفهم ، يقولون : « المسيح ابن الله » (التوبة ٣١) .

فالقرآن ، في عقيدته بالمسيح ، يدعو بدعوة « النصرانية » . فتوحيـــده « النصراني » يجعله يقول : « قلْ : هو الله احد ، الله الصمد — لم يلدْ ولم يولد » ،

(الاخلاص) اي « ما اتخذ الله من ولد » (٢٣ : ٩٢) ؛ « الذي لم يتخذ ولداً » (١٧ : ١١١) ، « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً » (١٩ : ٨٩ و ٩٢ و ٩٣ ؛ ٢١ : ٢٦). فقضية الولد والولادة انما هي قضية اتخاذ ! وجلّ الله عن الصاحبة والولد: « ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (٧٢ : ٢) ، « أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (٦ : ١٠١) . فلا تفهم الولادة والنبوة إلا بالتناسل الجسدي . والله لا جسد له . فإذا ارتفعنا الى عالم « **الروح** » **المطلق** ، « ويسألونك عن الروح ؟ قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الاسراء ١٠٢) . لذلك فقوله : « لم يلد ولم يولد » يقابله قسمه : « ووالد وما ولد » (٩٠ : ٣) ؛ ويستدرك : « قل : **إن كان للرحمان ولد فأنا اول العابدين** » (الزخرف ٨١) . أجل ليس للرحمان من ولد ، عن طريق التناسل او الاتخاذ ؛ لكن عن طريق النطق الروحي الذاتي ، في ذات الله ، ألا يكون « كلمته وروح منه » هو بلغة البشر « المسيح ابن الله » ؟ هـذا هو **التساؤل الاكبر** الذي لم يجب عليه العلم « القليل » في أمر « الروح » ، عالم الله ، في القرآن . فمع الازدواجية في شخصية المسيح ، تلك هي **الشبهة القائمة لا تزول في سر المسيح** ، انتقلت من « النصرانية » الى الدعوة القرآنية .

فالقرآن ، في وحدة العقيدة ، دعوة « نصرانية » .

●

ثامناً : « نصرانية » القرآن ، في وحدة الشريعة

إن اليهودية تكفر بالانجيل ، فلا تقيم شريعته ؛ والمسيحية تؤمن بالتوراة لكنها تقول بأن الانجيل نسخ شريعة التوراة ، فلا تقيمها .

وحدها « النصرانية » الاسرائيلية ، الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح (الصف ١٤) ، تقيم أحكام التوراة والانجيل معاً ، وتقول بدين موسى وعيسى ديناً واحداً .

والقرآن يدعو بدعوة «النصرانية» الى وحدة الشريعة المنزلة في التوراة والانجيل: «قلْ: يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى **تقيموا التوراة والانجيل**، وما أنزل اليكم من ربكم؛ وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً» (المائدة ٧١). فسبب عداوة أهل الكتاب المذكورين للدعوة القرآنية هو «نصرانيتها» في الدعوة لاقامة التوراة والانجيل معاً شريعةً واحدة.

وفي إقامة التوراة والانجيل معاً شريعة واحدة، «يريد الله ليبيّن لكم، **ويهديكم سنن الذين من قبلكم**... يريـــد الله ان يخفّف عنكم، وخلق الانسان ضعيفاً» (النساء ٢٥ و ٢٧). فما بين التوراة والانجيل، سلك النصارى من بني اسرائيل طريقاً وسطاً، فكانوا في الشرع ايضاً «أمة وسطاً». هذا هو التخفيف في التوراة على ضوء الانجيل.

مثال ذلك في تعدد الزوجات. ما بين التعدّد المطلق في التوراة، والوحدانية في الانجيل، قال النصارى من بني اسرائيل، مع فئة من اهـــل التلمود، بني قومهم، بالزواج «مثنى وثلاث ورباع؛ وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة»، كما جاء في القرآن نفســه (النساء ٣).

فالقرآن، في وحدة الشريعة، دعوة «نصرانية».

●

تاسعاً: «نصرانية» القرآن، في وحدة الامة

إن اهل النبوة والكتاب، في عرْف القرآن، أمة واحدة. فهو يذكر أنبياء الله من ابراهيم، الى موسى، الى يحيي بن زكريا، ويختم بقوله: «والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين: إن هذه أمتكم، **أمة واحدة**، وأنا ربكم فاعبدونِ» (الانبياء ٩١ — ٩٢). فالأمة الواحدة هي الامة التي تدين بموسى وعيسى ديناً واحـــداً، وايماناً واحداً؛ وهذه هي «النصرانية»، لا اليهودية، ولا المسيحية. وهذه هي «الامة الواحدة» التي يدعو اليها القرآن.

ويوجز ذكر الانبياء بموسى وعيسى : «وآتينـــا موسى الكتاب لعلهم يهتدون . وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين . وان هذه أمتكم ، **أمة واحدة** ، وأنا ربكم فاتقونِ . فقطّعوا أمرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون» (المؤمنون ٥١ — ٥٤) . ان الله أرسل موسى وعيسى نبوة واحدة ، وكتاباً واحداً ، وديناً واحداً ، فاقتصر اليهود على التوراة ، واكتفى المسيحيون بإقامة الانجيل من دون التوراة ، «كل حزب بما لديهم فرحون» . أما النصارى من بني اسرائيل الذين يثني عليهم تلميحاً (المؤمنون ٥٨ — ٦٢) وتصريحاً (الاعراف ١٥٧) فقالوا بموسى وعيسى أمة واحدة ، والقرآن ينادي بوحدة الامة معهم .

هذه «الامة الواحدة» التي تقول بإقامة التوراة والانجيل ديناً واحداً هي **الامة المقتصدة** التي ينادي بها : «ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ! منهم **أمة مقتصدة** ، وكثير منهم ساء ما يعملون» (المائدة ٦٦) .

وهذه الامة المقتصدة هي «أمة وسط» بين اليهودية والمسيحية ؛ وهي التي على مثالها ينشيء أمته : «وكذلك جعلناكم **أمة وسطاً** ، لتكونوا شهداء عـــلى الناس» (البقرة ١٤٣) .

وشعار هذه الامة الوسط قبلتها في الصلاة ، فلا تتجه مثل المسيحية الى المشرق ، ولا مثل اليهودية الى المغرب ، بل الى بيت المقدس ، قبل تحويـــل القبلة الى الكعبة الذي تمّ لإيلاف العرب الى الدعوة : «ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» (البقرة ١٧٧) ، «قد نرى تقلّب وجهك في السماء ؛ فلنولينّك قبلة ترضاها : فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام ؛ وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره ! وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عمّا يعملون . ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض . . .

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ؛ وان **فريقاً منهم** ليكتمون الحق وهم يعلمون . . . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، لئلا يكون للناس عليكم حجة ، **إلا الذين ظلموا منهم** » (البقرة ١٤٤ — ١٥٠) . ان أهل الكتاب يختلفون في القبلة الى يهود قِبَل المغرب، والى مسيحيين قِبَل المشرق ، ويخالفون محمداً في قبلته ؛ لكن فريقاً منهم يتبعه في قبلته ، لانهم « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، فليسوا سوى النصارى من بني اسرائيل ، قبلوا بتعريب القبلة لايلاف العرب للدعوة القرآنية « النصرانية » . وهذه هي « الامة الوسط » ، أمة « أولي العلم قائماً بالقسط » بين اليهودية والمسيحية . لذلك « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم ، درجات » (المجادلة ١١) .

فالقرآن ، في وحدة الامة ، واقتصارها على الامة الوسط ، دعوة « نصرانية » .

•

عاشراً : « نصرانية » القرآن ، في وحدة الجدال والقتال

في وحدة الجدال ، يجادل الناس بهدى وعلم من الكتاب المنير ، وليس كما يجادل المشركون : « ومن الناس من يجـــادل في الله بغير هدى ، ولا علم ، ولا كتاب منير » (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٨) ؛ « وإن يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير » (فاطر ٢٥) . ففي اصطلاح القرآن ، ان « الهدى » على التخصيص هو هدى موسى : « ولقد آتينا موسى الهدى » (المؤمن ٥٣) ؛ وان « العلم » على التخصيص هو العلم الذي نزل بالانجيل ورفضه اليهود (٣ : ١٩ ؛ ٤٢ : ١٤ ؛ ٤٥ : ١٦) ، وقال به « الراسخون في العلم » (آل عمران ٧) اي « أولوا العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) . فالعلم ، في اصطلاح القرآن ، ترجمة « الغنوص » في « علم الكتاب » . وهذا هو اسلوب النصارى من بني اسرائيل ، من دون اليهود ، ومن دون المسيحيين .

وبجدال « النصارى » يردّ على اليهود « بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ؛ وقولهم : إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء ١٥٥-١٥٦) .

وبجدال «النصارى» يحاور وفـــد نجران في التثليث وفي الهية المسيح: «يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق: انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه؛ فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا: ثلاثة! انتهوا، خيراً لكم! إنما الله إله واحد» (النساء ١٧٠)؛ «إذ قال الله، يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله» (المائدة ١١٩)، حيث «أمي» كناية عن الروح القدس، أكثر مما هي صفة أمه مريم. فالتوحيد الخالص لا يستقيم مع القول «بالثلاثة» ولا مع القول «المسيح ابن الله»، ولو أن المسيح «كلمته وروح منه».

وفي وحدة الجهاد يعلن: «فآمنت طائفـــة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة: **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**» (الصف ١٤). **هذا هو سرّ الجهاد القرآني كله**. لقد فشل القرآن، في تأييد النصارى من بني اسرائيل «بالحكمة والموعظة الحسنة»، فأيّد «النصرانية» على اليهودية بالجهاد «فأصبحوا ظاهرين».

ولمّا صفّى اليهودية في الحجاز، ختم جهاده بقتال المسيحيين العرب في مشارف الشام، «لئلا يعلم اهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم» (الحديد ٢٧). ولمّا جهّز لحملة تبوك، لاخضاع العرب المسيحيين لدولة الاسلام — لا لدين الاسلام — صرّح: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب، **حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**» (التوبة ٢٩).

فهو جاهد الشرك العربي، واليهودية العربية، والمسيحية العربية، كي «لا يبقى في جزيرة العرب دينان»، بحسب وصيته الاخيرة على فراش الموت، إلا الاسلام «النصراني» الذي يشهد به «النصارى»، «أولوا العلم قائماً بالقسط»

(آل عمران ١٨) ؛ فإن « من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم ، وما أنزل اليهم ، خاشعين لله ، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ! أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، ان الله سريع الحساب » (آل عمران ١٩٩) .

فهو يجاهد جهاد « النصرانية » (الصف ١٤) ، أمة « الهدى ودين الحق » اي التي تؤمن بدين موسى وعيسى ديناً واحداً ، وتقيم التوراة والانجيل شرعاً واحداً؛ وشعاره في الجهاد ضد الشرك العربي (الفتح ٢٨) وضد اليهودية العربية (الصف ٩) وضد المسيحية العربية (التوبة ٣٤) — **واحد** : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » !

فالقرآن ، في وحدة الجدال ، وفي وحدة الجهاد ، دعوة « نصرانية » .

فبتلك الميزات العشر تظهر « نصرانية » القرآن في دعوته .

***

بحث ثان

« نصرانية » القرآن في ظواهره البارزة

في القرآن بعض ظواهر بارزة ، اذا ما « تدبرناها » — كما يأمرنا — تكشّفت لنا عن صلة صميمة تجعل القرآن دعوة « نصرانية » . منها حصر دعوة المسيح ببني اسرائيل ؛ وحصر خطاب القرآن لاهل الكتاب ببني اسرائيل ؛ ومعنى « نصارى » في عرْف القرآن وذكر الانجيل بالمفرد ، كأنه ليس الانجيل سوى حرف واحد ؛ وحصر رسالة المسيح في نطاق التوراة ، لا تتعدّاها ؛ وحصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي ، لا تتخطاه ، كأنه ليس في الانجيل من وحي جديد ؛ واقتصار رسالة المسيح على الشهادة ، لا على الفداء ؛ وانتساب القرآن الى

الكتاب وأهله؛ وانتساب محمد الى «المسلمين» من قبله؛ وانتساب الاسلام القرآني الى «أولي العلم» المقسطين. تلك الظواهر العشر براهين عشرة على «نصرانية» القرآن ونبيّه واسلامه.

●

الظاهرة الاولى: حصر دعوة المسيح ببني اسرائيل

هذا حصر خاص يقوم على حصر عام.

الحصر العام هو حصر النبوة والكتاب في بني اسرائيل. سنفصله في موضع آخر. نكتفي هنا بشهادته الثلاثية: «الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة» (٣ : ٧٩؛ ٦ : ٨٩؛ ٤٥ : ١٥)؛ «ووهبنا له اسحاق ويعقوب، **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب**» (٢٩ : ٢٧، كذلك ٥٧ : ٢٦)، «وأورثنا بني اسرائيل الكتاب» (٤٠ : ٥٣) كما «آتينا بني اسرائيل الكتاب» (٤٥ : ١٥).

والحصر الخاص هو اقتصار دعوة المسيح على بني اسرائيل. لقد جعل النصارى من بني اسرائيل السيد المسيح نبيًّا قوميًّا ليتفاضلوا به على المسيحيين من العالمين؛ وتناسوا ان دعوته قام معظمها في الجليل، اي «جليل الامم» (متى ١ : ١٥) حيث يختلط الكتابيون بالاميين فيسمعون مثلهم دعوة الانجيل. وغفلوا عن رحلاته التبشيرية الى ارض المشركين شرقاً وغرباً وشمالاً.

والواقع «النصراني» الذي يحصر دعوة المسيح ببني اسرائيل نجده في القرآن.

فقد كان المسيح «رسولاً الى بني اسرائيل» (آل عمران ٤٩).

وكانت دعوته للتوحيد التوراتي عندهم: «وقال المسيح: يا بني اسرائيل اعبدوا الله، ربي وربكم؛ أنه من يُشرك بالله، فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار» (المائدة ٧٥).

وكانت رسالته لتصديق التوراة عندهم: «وإذ قال عيسى ابن مريم: يا بني

اسرائيل اني رسول الله اليكم ، مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة . . . فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين » (الصف ٦) .

ولمّا مكروا به ليقتلوه ، « كففت بني اسرائيل عنك » (المائدة ١١٣) .

والمسيح قد « جعلناه مثلاً لبني اسرائيل » (الزخرف ٥٩) .

وقامت دعوة الحواريين للمسيح في بني اسرائيل ، « فآمنت طائفة من بني اسرائيل ، وكفرت طائفة » (الصف ١٤) . واقتصار دعوة الحواريين ، صحابة المسيح ، على بني اسرائيل كان من قبل « النصارى » تحريفاً للتاريخ ، الذي يجعل دعوتهم واستشهادهم بعيداً عن فلسطين ، كما تروي جميع المصادر الاسلامية ، على غرار المصادر المسيحية .

والنصارى من بني اسرائيل هم ورثة كتاب موسى ، مع الانجيل ، فهو هدى لهم ، وبه يهدي أئمتهم : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، فلا تكن في مرية من لقائه ، وجعلناه هدى لبني اسرائيل ، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا ، لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » (السجدة ٢٣ — ٣٤) . فلا يهتدي محمد في القرآن بهدى اليهود ، « اول كافر به » ، بل بهدى النصارى من بني اسرائيل ؛ فهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٧) ، بل القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) . وعلماء النصارى من بني اسرائيل هم شهود الحق للقرآن في دعوته — لا اليهود — « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) .

فحصر القرآن لدعوة المسيح ببني اسرائيل ، ظاهرة أولى « لنصرانيته » .

•

الظاهرة الثانية : حصر خطاب القرآن لاهل الكتاب ببني اسرائيل

خطاب القرآن لاهل الكتاب ، بسبب اسلوب التعميم ، عليه ظاهرة الازدواجية . **فهو تارة يكفرهم** : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء

بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله: فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون » (آل عمران ٦٤)؛ «يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في ابراهيم ، وما أنزلت التوراة (والانجيل) إلا من بعده ، أفلا تعقلون » (آل عمران ٦٥) ؛ «يا اهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله» (آل عمران ٧٠) ؛ «يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» (آل عمران ٧١) ؛ «قل يا اهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله مَن آمن» ؟ (آل عمران ٩٩) ؛ «قل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على ما تعملون» (آل عمران ٩٨) ؛ «ليس بأمانيكم ، ولا أمانيّ أهل الكتاب : من يعمل سوءا يُجزَ به » (النساء ١٢٢)؛ «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب» (المائدة ١٦) ؛ «يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل» (المائدة ٢١) ؛ «قل أيا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا ان آمنا بالله وما أنزل الينا ، وما أنزل من قبل» (المائدة ٦٢) ؛ «ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفّرنا عنهم سيّئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم » (المائدة ٦٨) .

وهو تارة يشيد بإيمانهم : «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل اليك، ومن الاحزاب من يُنكر بعضه» (الرعد ٣٦) ؛ «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (الانعام ٢٠؛ البقرة ١٤٦) ؛ «فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك : لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين» (يونس ٩٤) ؛ «لئلا (لكي) يعلم اهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله» (الحديد ٢٩) ؛ «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يدينون دين الحق ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله؛ ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون» (التوبة ٣٠) .

لكن ظاهرة الازدواجية تزول **أولاً** بتمييز القرآن بـــين فريق المؤمنين وفريق الكافرين من أهل الكتاب : «الذين كفروا من أهل الكتاب» ٩٨ : ١، ٥٩ : ٢ و١١ ؛ ٢ : ١٠٥) ؛ «ودَّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفَّاراً » (٢ : ١٠٩) ؛ «ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم » (٣ : ٦٩) ؛ «وقالت طائفة من أهل الكتاب ... ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » (٣ : ٧٢ و ٧٧) ؛ «ومن أهل الكتاب ... قالوا : ليس علينا في الاميّين سبيل » (٣ : ٧٥) ؛ « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ... وأولئك من الصالحين» (٣: ١١٣). ويأتي التمييز تلميحاً : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم» (٢٩ : ٤٦) ، أو تصريحاً : «ولتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ؛ ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنـــوا الذين قالوا : إنا نصارى » (المائدة ٨٥). لذلك عند التعميم يجب الالتفات الى القرائن القريبة او البعيدة لاستجلاء التخصيص .

وظاهرة الازدواجية تزول **ثانياً** بحصر خطاب القرآن **لاهل الكتاب بني اسرائيل . لا يدخل المسيحيون في حوار القرآن إلا في آخر العهد بالمدينة** ؛ أما من قبل فهو يحصر خطابه ببني اسرائيل : « ان هذا القرآن يقص عـــلى بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (الزخرف ٧٦) . فحوار القرآن لاهل الكتاب هو الفصل بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل في قضية المسيح . وفي قضية المسيح يتبنى القرآن العقيدة «النصرانية» ويجاهد في سبيل اعلائها: «فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بدعوة الحواريين للمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤) .

ان القرآن دعوة « نصرانية » بنص تلك الآية القاطع . وعلى ضوئها ، وعلى نعت اليهود جملة « ولا تكونوا أول كافر به » (البقرة ٤١) يجب دفع الشبهات عند التعميم ، أو حين الغموض . ففي **استشهاده المتواتر** بأهل الكتاب فهو إنما يستشهد بالنصارى من بني اسرائيل : « مَن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ؛

« او لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل » النصارى (الشعراء ١٩٧) ؛ « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) . كذلك في الامر اليه : « فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤) اي النصارى من بني اسرائيل . وكذلك في الامر اليه بالاقتداء بهدى اهل الكتاب: « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة.. اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠) اي بهدى النصارى من بني اسرائيل؛ فهم الذين «جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» (السجدة ٢٣ — ٢٤)؛ وهم أولو العلم المقسطون الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) ؛ بل القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) .

فحصر خطاب القرآن لاهل الكتاب، ببني اسرائيل ، وتأييده «للنصرانية» على اليهودية (الصف ١٤) ظاهرة ثانية « لنصرانيته » .

●

الظاهرة الثالثة : معنى « النصارى » في اصطلاح القرآن

ظاهرة أولى غريبة ان القرآن لا يسمي أبداً أتباع المسيح « **مسيحيين** » على الاطلاق — مع انه الاسم الشائع قبله وبعده لهم في الدنيا كلها — وظاهرة ثانية غريبة ان القرآن يسمي أتباع المسيح « **نصارى** » على الاطلاق — مع انه الاسم الخاص بطائفة من بني اسرائيل آمنت بالمسيح ، قبل القرآن ، وفي القرآن نفسه (الصف ١٤) .

واطلاق القرآن اسم « نصارى » على المسيحيين وعلى النصارى من بني اسرائيل يخلق فيه ايضاً ظاهرة الازدواجية . فهو تارة يكفرهم : « وقالت النصارى : المسيح ابن الله » (براءة ٣١) ؛ وطوراً يشهد بمودتهم واسلامهم : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . . . ربنا آمنا

فاكتبنا من الشاهدين » (المائدة ٨٥) . والازدواجية صريحة في الآيتين (المائدة ١٥ و ٨٥) .

لكن ظاهرة الازدواجية تزول من القرائن القريبة والبعيدة . فهو في جدال وفد نجران وكفاح اهل مشارف الشام ، يطلق اسم نصارى على المسيحيين ، أهل البدعة اليعقوبية — ولم يتصل بسواهم من المسيحيين على الاطلاق — فقوله: «لقد كفر الذين قالوا: ان الله هو المسيح عيسى ابن مريم» (المائدة ١٩ و٧٥) ؛ وقوله : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٦) ؛ وقوله : « وقالت **النصارى** : المسيح ابن الله » (براءة ٣١) — فهو يقصد المسيحيين أهل البدعة اليعقوبية . فهو تارة يشير اليهم ولا يسميهم ، لانهم لا يستحقون اسم « نصارى » ؛ واذا أطلقه عليهم مرتين (المائدة ١٥ ؛ براءة ٣١) فهو من باب التوسع ، لا من باب التخصيص .

وهو **يحصر اسم « نصارى » على التخصيص** بأتباع المسيح من بني اسرائيل : « فآمنت **طائفة من** بني **اسرائيل** ، وكفرت طائفة » (الصف ١٤) ؛ « ومن **قوم موسى أمة** يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) . **فهم الامة المثالية من اهل الكتاب** «يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» (آل عمران ١١٣) ؛ **وهم الامة المقتصدة من** اهل الكتاب التي تقيم التوراة والانجيل ، بين الكثرة الفاسقين (المائدة ٦٦) ؛ **وهم الامة الخاشعة من** اهل الكتاب الذين « يؤمنون بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ، خاشعين لله ، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً» (آل عمران ١٩٩) . **إنهم القلة من بني اسرائيل** الذين أقاموا ميثاق الله : « واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل . . . فتوليتم ، **إلا قليلاً منكم** ، وأنتم معرضون » (البقرة ٨٣) . فالقرآن يحصر اسم **« نصارى » وصفتهم المحببة** ، بالامة من قوم موسى ، والطائفة من بني اسرائيل ، التي آمنت بالمسيح ، فيهدون بالحق وبه يعدلون .

فحصر القرآن لاسم « نصارى » بأتباع المسيح من بني اسرائيل ، واطلاقه على سواهم من باب التوسع والتجاوز ، ظاهرة ثالثة « لنصرانيته » .

●

الظاهرة الرابعة : لا يذكر القرآن الانجيل إلا بالمفرد ، فهو واحد

إن الانجيل الذي علمه المسيح واحد .

لكن الانجيل عند المسيحيين دوّن **بأربعة أحرف** : الانجيل بحسب متى ، والانجيل بحسب مرقس ، والانجيل بحسب لوقا ، والانجيل بحسب يوحنا . وهذا كما « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، على ما جاء في الحديث الصحيح بالاجماع ، وذلك « باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني » كما فسره الطبري . وهذا هو الوصف الحق الذي ينطبق على الانجيل بأحرفه الاربعة . فصحابة المسيح حافظوا على أحرف الانجيل الاربعة ؛ أما صحابة محمد فقد أسقطوا من القرآن ستة أحرف ، فلم يسلم إلا حرف عثمان ، وهو المصحف الوحيد .

أما النصارى من بني اسرائيل فلم يقبلوا **إلا الانجيل بحسب متى** ، وفي حرفه العبراني ولغته السريانية ، لانه هو الذي دوّن اليهم أولاً ، قبل نقله الى اليونانية . ولذلك أسماه المسيحيون قديماً « الانجيل بحسب العبرانيين » ، وحديثاً « انجيل النصارى » . وهو الانجيل الذي كان يترجمه قس مكة ، ورقة بن نوفل ، من العبرانية الى العربية ، ومحمد شاهد ، كما جاء في حديث عائشة الصحيح ، عند الشيخين . لذلك كان النصارى من بني اسرائيل لا يذكرون الانجيل إلا بالمفرد .

وهذه هي عقيدة القرآن : فهو لا يذكر الانجيل ايضاً إلا بالمفرد ، وكأنه لا وجود إلا لحرف واحد من الانجيل ، هو انجيل النصارى من بني اسرائيل :

« وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور » (المائدة ٤٦) .

« وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل » (الحديد ٢٧) .

« ويعلمه الكتاب والحكمة — والتوراة والانجيل » (آل عمران ٤٨) .

« وإذ علمتك الكتاب والحكمة — والتوراة والانجيل » (المائدة ١١٠) .

« ذلك مثلهم في التوراة — ومثلهم في الانجيل ... » (الفتح ٢٩) .

« وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس » (آل عمران ٣) .

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل، وما أنزل اليهم من ربهم» (المائدة ٦٦) .

« قل : يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة ٧١) .

« النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » (الاعراف ١٥٥) .

« وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن » (التوبة ١١١) .

فالقرآن ، مثل النصارى من بني اسرائيل ، الذين يقتدي بهداهم (الانعام ٩٠) والذين « أيدناهم على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) ، لا يعرف ولا يعترف إلا بالانجيل مفرداً ، « انجيل النصارى » .

فحصر القرآن لاحرف الانجيل الاربعة المتواترة عند المسيحيين ، بحرف واحد هو انجيل النصارى من بني اسرائيل ، ظاهرة رابعة « لنصرانيته » .

•

الظاهرة الخامسة : حصر رسالة المسيح في نطاق التوراة

كان النصارى من بني اسرائيل يحصرون رسالة المسيح في نطاق التوراة ، ويقولون بوجوب إقامة التوراة والانجيل : «وانحدر من اليهودية (الى انطاكية) قوم يعلمون الاخوة ، قالوا : إنكم ان لم تختتنوا بحسب شريعة موسى ، فلا تستطيعون أن تخلصوا » (سفر الاعمال ١٥ : ١) ؛ وفي مجمع الرسل والاساقفة « قام قوم من الذين آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا : عليهم أن يختتنوا

ويؤمروا بحفظ شريعة موسى » مع الانجيل (اع ١٥ : ٥) . وكانوا يرون في الانجيل « الحكمة » بالنسبة للكتاب ، كتاب موسى ؛ فيتعلمون ويعلمون « الكتاب والحكمة » ، اي التوراة والانجيل .

وجاء القرآن على عقيدتهم وعلى اصطلاحهم . فالانجيل فيه هو « الحكمة » بالنسبة للكتاب : « ولما جاء عيسى ابن مريم بالبينات قال: **قد جئتكم بالحكمة**[1] » (الزخرف ٦٣) . والمسيح فإن الله « يعلمه الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » (آل عمران ٤٨) ، « واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل» (المائدة ١١٣). كذلك أنزل الله على « آل ابراهيم الكتاب والحكمة» (النساء ٥٣ ؛ قابل ا ل عمران ٨١) . « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » (النساء ١١٢) ، « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » (البقرة ٢٣١). فهو « يعلمهم الكتاب والحكمة » (٢ : ١٢٩ ؛ ٣ : ١٦٤ ؛ ٦٢ : ٢) .

ويحصر القرآن رسالة المسيح في نطاق التوراة، «كما أوحينا الى نوح والنبيّين من بعده» حيث يحشر عيسى في زمرة أنبياء الكتاب ، وقد جاء بعدهم جميعاً (النساء ١٦٢) . فالكتاب نزل على موسى ، والمسيح يدعو بدعوته ، وما امتاز على سواه إلا بالبينات وتأييد روح القدس : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ كذلك ٢٥٢) . فهو يدخل كغيره في ميثاق النبيين : « واذ أخذ الله من النبيين ميثاقهم : ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ؛ وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ، ليسأل الصادقين عن صدقهم » (الاحزاب ٧ — ٨). وقد أوصاه الله كغيره مثل نوح وابراهيم وموسى « أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى ١٣) .

---

(١) تعبير « الحكمة » اصطلاح بالنسبة للمسيح (الزخرف ٦٣) ، اما بالنسبة لداود (٣٨ : ٢٠) وللقمان (٣١ : ١٢) ولغيره على العموم (٢ : ٢٦٩ و ٢٥١ ؛ ٥٤ : ٥ ؛ ١٦ : ١٢٥) فهو تعبير لغوي .

فالانجيل انما هو تصديق للتوراة : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ، مصدقاً لما بين يديه من التوراة ؛ وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة » (المائدة ٤٦) .

انه تصديق للتوراة وتفصيل : فقد جاء المسيح « رسولاً الى بني اسرائيل... ومصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ، ولأحلّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم » (آل عمران ٥٠) ؛ « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعونِ » (الزخرف ٦٣) .

فالكتاب الذي نزل على موسى باسم توراة ، هو نفسه نزل على عيسى باسم انجيل : « ولقد آتينا موسى الكتاب » (٢ : ٨٧ ؛ ١١ : ١١١ ؛ ٢٣ : ٥٠ ؛ ٢٦ : ٣٥ ؛ ٢٨ : ٤٣) ؛ والمسيح منذ مولده نطق و « قال : اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً » (مريم ٢٩) .

والقرآن ، مثل النصارى من بني اسرائيل الذين يقيمون التوراة والانجيل ، يتحدى أهل الكتاب ، من يهود ومسيحيين : « قل : يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليكم من ربكم » (المائدة ٧١) ؛ « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ! » (المائدة ٦٩) .

فحصر القرآن لرسالة المسيح في نطاق التوراة ظاهرة خاصة « لنصرانيته » .

●

الظاهرة السادسة : حصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي

لقد رأينا ، في الفصل الاول ، ان النصارى من بني اسرائيل ، افترقوا شيعةً عن المسيحيين اهل السُنّة ، لتشيّعهم للتوراة على حساب الانجيل ، في العقيدة والشريعة . ففي الشريعة كانوا ينادون بإقامة التوراة والانجيل (سفر الاعمال ١٥ : ١ و ٥) ؛ وفي العقيدة فهموا التثليث الانجيلي على ضوء

التوحيـــد التوراتي ، وكانوا يقولون : « ملاك كلمة الله » ، و « ملاك الروح القدس » فجعلوا روح القدس جبريل ، وكلمة الله الملاك ميكال ، فكلاهما روح من الله كالملائكة المقربين. وتمسكوا بقول المسيح : « اني ذاهب الى أبي وأبيكم والى إلهي وإلهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٧) لحصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي .

هكذا فهم القرآن دعوة المسيح في الانجيل .

يعلن ذلك في مكة : « ولما جاء عيسى بالبينات قال . . . ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » (الزخرف ٦٣ — ٦٤) . ويعلنه في المدينة : « ورسولاً الى بني اسرائيل . . . ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » (آل عمران ٤٩ — ٥١) .

والمسيح في نظره « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه : فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا : ثلاثة . انتهوا خيراً لكم ! انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد . . . لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ — ١٧١) . فالمسيح ، وان كان روحاً منه تعـــالى ، فهو مخلوق كالملائكة المقربين .

وروح القدس هو جبريـــل : « قل : نزّله روح القدس من ربك بالحق » (النحل ١٠٢) اي « قل : مَن كان عدوًّا لجبريل ، فإنه نزّله على قلبك بإذن الله » (البقرة ٩٧) .

وفي الشريعة ، يدعو القرآن الى اقامة التوراة والانجيل (المائدة ٧١) مثل النصارى من بني اسرائيل ، في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية .

وفي الدين يشرع القرآن للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً : « أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » (الشورى ١٣) .

فالقرآن ، مثـــل النصارى من بني اسرائيل ، يحصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي .

فحصر القرآن لدعوة المسيح بالتوحيد التوراتي، ظاهرة سادسة «لنصرانيته».

•

الظاهرة السابعة : اقتصار رسالة المسيح على الشهادة، لا على الفداء

في الرسالة الى العبرانيين اي الى بني اسرائيل الفلسطينيين - لا في المهاجر - نرى صورة عن عقيدتهم في رسالة المسيح، في معرض الرّد عليهم والتحذير لهم من الردة والبدعة. فهم لا يرون في استشهاد المسيح كهنوتاً وفداء؛ لذلك أخذ كهنتهم المتنصّرون يحنون الى الهيكل الموسوي وذبائحه التي بها كانوا يتعبدون، ومنها يعيشون. فتعرض عليهم الرسالة ان المسيح هـو كاهن العهد الجديد، الحبر الاعظم الذي قام على طريقة ملكي صادق في أيام ابراهيم الخليل، وأن استشهاده كان ذبيحة العهد الجديد، بدأت على الارض وتم في السماء: «ورأس الكلام في هذا الموضوع ان لنا حبراً بمنزلته، قد جلس على يمين عرش الجلال في السماوات، خادماً للاقداس والمقام الحقيقي الذي نصبه الله لا الانسان (٨ : ١ — ٢) ... فإذ قد جاء المسيح حبراً للخيرات الآتية، دخـل المقام الاعظم والاكمل... وبدمه الخاص، لا بدم تيوس وعجول، دخل الاقداس مرة واحدة بعد أن أحرز فداء أبدياً. فإنه، إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة يُرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير الجسد، فكم بالاحرى دم المسيح، الذي بروح أزلي قرّب لله نفسه بلا عيب، يطهّر ضميرنا مـن الاعمال الميتة، لنعبد الله الحي» (٩ : ١١ — ١٤).

وهذا التعليم تفصيل كلمة السيد المسيح: «ابن البشر (اي المسيح) لم يأت ليُخدم بل ليَخدم ويبذل نفسه فداء عن العالمين» (متى ٢٠ : ٢٨). وفي قربانه تجديد وتخليد فدائه: «هذا هو دمي، دم العهد الجديـد، المهراق عنكم وعن العالمين، لغفران الخطايا» (متى ٢٦ : ٢٨). وتستنتج الرسالة: «فلنتمسك اذن بالشهادة، للرجاء، على غير انحراف... لأنّا إن خطئنا عن قصد، بعد اذ نلنا معرفة الحق، فليس بعد ذبيحة عن الخطايا، بـل هناك ما ينتظر من هول الدينونة، وغضب نار تلتهم المرتدين: فلئن كان من يتعدى شريعة موسى يقتل بلا رأفة، على شهادة اثنين أو ثلاثة؛ فكم، ترون، يستوجب عقاباً أشد من

يدوس ابن الله ، ويحتقر دم العهد الذي تقدس به » (١٠ : ٢٣ — ٣٠) . فردة النصارى العبرانيين وبدعتهم هي في الكفر بإلهية المسيح ، والكفر بمعنى الفداء في استشهاد المسيح .

وهذا ما نراه أيضاً في رسالة بطرس الثانية : إن ردّة النصارى من بني اسرائيل تقوم على انكار « الرب المخلص » (١ : ١١ ؛ ٢ : ٢٠ ؛ ٣ : ٣ و ١٨) ، وذلك «بإنكارهم الرب الذي افتداهم ... فتركوا الصراط المستقيم» (٢ : ١ و ١٥) فالنصارى من بني اسرائيل كانوا يرون في رسالة المسيح شهادة ، لا فداء .

وهذا هو التعليم القرآني عينه ، كما انتهى اليه النصارى من بني اسرائيل . كانت رسالة المسيح شهادة ، لا فداء : « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه **مثلاً لبني اسرائيل** » (الزخرف ٥٩) ، لا فداءً للعالمين .

قد تكون آخرة المسيح استشهاداً لشهادته ، ضحية مؤامرة عليه من اليهود ، **لكن ليس لها معنى الفداء** . لقد مكروا به ، فأنقذه الله من مكرهم بالرفع مباشرة الى السماء ، أو بالموت والبعث والرفع حياً الى السماء : « ومكروا ومكر الله بهم ، والله خير الماكرين . اذ قال الله : يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ، ومطهرك من الذين كفروا (اليهود) ، وجاعل الذين اتبعوك (النصارى) فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » (آل عمران ٥٤ — ٥٥) .

فرسالة المسيح ، في عرف « النصارى » والقرآن ، شهادة واستشهاد ، لا ضحية ولا فداء . فدم المسيح زكى شهادة المسيح ، ولا يزكي الانسان بالغفران من الآثام .

فاقتصار القرآن لرسالة المسيح على الشهادة ، لا على الفداء ايضاً ، ظاهرة سابعة « لنصرانيته » .

الظاهرة الثامنة : انتساب القرآن الى الكتاب واهله

إن القرآن ينتسب انتساباً مطلقاً الى الكتاب وأهله . **فالكتاب إمامه :** « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » (هود ١٧) ؛ « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) ، فليس فيه ما يميزه عن الكتاب الامام سوى اللسان العربي: فهو ينقل الكتاب الى العرب .

ان القرآن في الصحف الاولى: «وان هذا لفي الصحف الاولى» (الاعلى ١٨)؛ وبالقرآن « أو لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الاولى» (طه ١٣٣) . انه تنزيل رب العالمين ، لكن من زبر الاولين ، كما يشهد بذلك علمـاء بني اسرائيل : « وانه لتنزيل رب العالمين ... وإنه لفي زبر الاولين : أو لم تكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧) .

وما القرآن سوى تصديق ما قبله **وتفصيل الكتاب** : « وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه ، من رب العالمين » (يونس ٣٧) . ان القرآن من الله ، لانه من الكتاب ، كتاب الله ، الذي نزل قبله .

والبرهان عـلى ذلك ، أن اهل الكتاب ، النصارى من بني اسرائيل ، « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» اي معرفة مصدرية (الانعام ٢٠؛ البقرة ١٤٦)؛ « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) اي « اولوا العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٧) وهم «النصارى»: « او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧) المؤمنين المقسطين ، لا اليهود « أول كافر به » . وشهادتهم لاسلام القرآن من شهادة الله وملائكته (آل عمران ١٨) ، وهي تكفيه مع شهادة الله : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) .

وهكذا فالقرآن ينتسب الى الكتاب وأهله ، لا عـلى العموم ، بل على **التخصيص الى النصارى من بني اسرائيل** : في الاسلام بحرفه ومعناه ، الذي يشهد

به القرآن بشهادة النصارى أولي العلم قائماً بالقسط « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨–١٩)؛ في القرآن نفسه الذي « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩)؛ في الاستشهاد لصحة تنزيل القرآن من زبر الاولين: « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧)؛ في وجوب الاقتداء بهدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠)، وأهل « الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل معاً هم وحدهم النصارى مـن بني اسرائيل، والقرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة » (٣: ١١٩؛ ٣: ١٦٤؛ ٦٢: ٢) بتعريب «المثل» النصراني للقرآن: « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠).

فالقرآن ينتسب انتساباً مطلقاً الى الكتاب واهـله القائمين بالقسط اي النصارى من بني اسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب، مثل ورقة بن نوفل، قس مكة.

فانتساب القرآن الى الكتاب واهله، عن طريق « النصارى » اولي العلم المقسطين، وعلى مثال «المثل» النصراني الذي معهم، ظاهرة ثامنة «لنصرانيته».

●

الظاهرة التاسعة : انتساب النبي العربي الى « المسلمين » من قبله

إنّ الاسلام الذي يدعو اليه القرآن ونبيّه ليس منهما، إنما وُجد قبلهما، عند « المسلمين » من قبلهما. والقول الفصل في اسلام محمد هو: « **وأمرت أن أكون من المسلمين**، وأن أتلو القرآن » (النمـل ٩٠ – ٩١)، فالمسلمون موجودون من قبله، وهو يُؤمر بأن ينضم اليهم ويتلو معهم « القرآن » اي قرآن الكتاب، في « المثل » النصراني الذي معهم.

وفصل الخطاب في اسلام القرآن بحسب اسلام « المسلمين » من قبـله هو التصريح الجوهري والمحوري فيه: « شهد الله ان لا إله إلا هو، والملائكة،

وأولوا العلم قائماً بالقسط... **ان الدين عند الله الاسلام»** (آل عمران ١٨—١٩). فالنصارى أهـــل العلم المقسطون هم الذين يشهدون للاسلام، والقرآن يشهد بشهادتهم.

وقد نقل هو نفسه التصريح بإسلامهم من قبله : «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ؛ واذا يُتلى عليهم قالوا : آمنا به ، إنه الحق من ربنـــا : **إنّا كنّاً من قبله مسلمين»** (القصص ٥٢ — ٥٣) . فالمسلمون من قبل القرآن ، المؤمنون ايضاً بالقرآن لانه دعوتهـــم ، ليسوا اليهود «اول كافر به» ، ولا المسيحيون الذين يغلون في دينهم ، انما هم وحدهم النصارى من بني اسرائيل ومَن «تنصّر» معهم من العرب . هؤلاء هم الذين أُمر محمد بأن ينضم اليهم ويتلو معهم قرآن الكتاب ، على حسب «المثْل» النصراني الذي به يشهدون (الاحقاف ١٠) .

وبهذا الانتماء الى «المسلمين» من قبله يفخر نبي القرآن : «ومَن أحسن قولاً ممن دعا الى الله ، وعمل صالحاً ، وقال : انني من المسلمين» (فصلت ٣٣) . فليست الحسنة عند الله في اليهودية (الاعراف ١٥٥) ، وليست الجنة وقفاً على اليهود كما يدعون في أمانيّهم الباطلة : «وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً — (او نصارى) — تلك أمانيّهم ! قل : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ! بلى ، من أسلم وجهه لله **وهو محسن** ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة ١١١ — ١١٢). ان تعبير «او نصارى» ظاهر الاقحام : ان عنى المسيحيين فليس الخطاب معهم ؛ وان عنى «النصارى» فيتعارض مع الآية التالية (١١٢) ؛ ولا يُعقل ان يقبل الفريقان بالجنة لبعضهما البعض . فهو يرد على اليهودية بأن الجنة «لمن أسلم وجهه لله وهو محسن» . وهذه الصفة «وهو محسن» متواترة في القرآن كناية عن «النصارى» بعكس اليهود «الظالمين» .

لذلك يمنع الجدال مع النصارى المحسنين الا بالحسنى ، بخلاف اليهود الظالمين الذين يصح جدالهم بالسيف . والحسنى هي «قولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل

اليكم، وإلهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) . فانتساب النبي العربي الى « النصارى » المحسنين، المسلمين من قبله، يقوم على وحدة الاله، ووحدة التنزيل، ووحدة الاسلام .

وانتساب النبي العربي الى « المسلمين » من قبله، حتى صار « اول المسلمين » اي رئيس « النصارى »، ظاهرة تاسعة « لنصرانيته » .

●

الظاهرة العاشرة : انتساب الاسلام القرآني الى أولي العلم المقسطين

مصطلح القرآن يكشف لنا عن اسراره . أما تفسير تعابيره تفسيراً لغوياً كما يفعلون، فهو طمس مقصود لحقيقة القرآن والاسلام والنبي العربي .

رأينا معنى « المسلمين » من قبله . هنا نرى معنى « أولي العلم » الذين ينادون بالاسلام في القرآن . ان تعابير اهل الكتاب واهل الذكر وأولي العلم مترادفة فيه . لا نملّ من تكرار ذلك . وهو يحصر خطابه — ما عدا العهد الاخير بالمدينة—ببني اسرائيل، فيقص عليهم أكثر الذين هم فيه يختلفون (النمل ٧٦)، ويقسمهم الى يهود ظالمين لكفرهم بالمسيح ثم بمحمد، والى نصارى من بني اسرائيل، المحسنين، المقسطين، المسلمين، لايمانهم بالمسيح ثم بمحمد : « انا كنّا من قبله مسلمين : أولئك يُؤتون أجرهم مرتين » (القصص ٥٢ — ٥٣) .

قلنا ان فصل الخطاب في القرآن هو **تصريحه الضخم** بأن « أولي العلم قائماً بالقسط » هم الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) . فالنصارى من بني اسرائيل، ومَن « تنصّر » معهم من العرب هم أولو العلم المقسطون الذين يشهدون للاسلام، وشهادتهم من شهادة الله وملائكته، والقرآن يشهد للاسلام على شهادتهم: **فدعوته هي دعوتهم عينها** . فالاسلام القرآني ينتسب انتساباً مطلقاً الى الاسلام « النصراني »؛ **بل هو الاسلام « النصراني » عينه**، بنص القرآن القاطع في (آل عمران ١٨) .

ويأتي **التصريح الثاني الضخم** في دعوة المسلمين ان يكونوا انصار الله كما كان حواريو المسيح أنصار الله ؛ وفي هذه الدعوة انتساب ونسب بيّنان ؛ ويزول كل اشكال في حقيقة الدعوة القرآنية ، بقوله : « **فآمنت طائفة من بني اسرائيل** (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . **إن القرآن يتبنى الاسلام « النصراني »** وينـاصره بالجهاد حتى الظهور المبين .

لذلك عندما يكرر **شعار النصر في الجهاد** ضد اليهود (الصف ٩) وضد المشركين بمكة (الفتح ٢٨) وضد العرب المسيحيين في مشارف الشـام (التوبة ٣٤) في قوله : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره عـلى الدين كله ، ولو كره المشركون » ، يكون « **دين الحق** » الذي ينصره « النصرانية » ، الاسلام « النصراني » الذي به « آمنت طائفة من بني اسرائيل » (الصف ١٤) هي « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) .

ان أولي العلم المقسطين ، النصارى من بني اسرائيل ، ومن « تنصّر » معهم من العرب ، هم مع جماعة محمد الذين آمنوا من العرب « **أمة واحدة** » : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) ، هي الامة الوسط » بين اليهودية والمسيحية (البقرة ١٤٣) .

فانتساب الاسلام القرآني الى الاسلام « النصراني » الذي يشهد به « أولو العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) ظاهرة عاشرة « لنصرانيته » .

●

تلك الظواهر البارزة العشر ، في الدعوة القرآنية ، **إذا ما أخذناها مجتمعة** كانت البرهان الساطع ، بنص القرآن القاطع ، عـلى **« نصرانية » القرآن ونبيّه واسلامه** .

لقد ولدت « النصرانية » — بعد الله تعالى — الاسلام القرآني ، وذابت فيه

***

بحث ثالث

« نصرانية » القرآن في أساليبه

اذا ما تجاوزنا ظواهر القـــرآن البارزة الى بواطنه الكامنة ، رأينا أيضاً ان «نصرانية» القرآن قائمة في أساليبه : اسلوب الكلام في أركان الاسلام ؛ اسلوب التعبير في لغته ، وما جاء فيه بغير لغة العرب ؛ مصطلح القرآن يدل على نسبه ؛ اسلوب النبوة بالرؤيا والاسراء ؛ أسلوب «التنزيل» في الدعوة ؛ اسلوب «العلم» في «تفصيل الكتاب» ؛ اسلوب الجدال ؛ اسلوب الدعوة ، والبرهان في الايمان ؛ أسلوب القصص في النبوة وفي مولد المسيح ؛ أسلوب النظم . تلك عشرة أساليب في القرآن ، دلائل حسان على «نصرانيته» في أساليبه .

●

اولاً : اسلوب الكلام في أركان الاسلام

أركان الاسلام خمسة : الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج . وفي هذه الاركان تبدو «نصرانية» القرآن جلية .

١ — **الشهادة** «لا إله إلا الله» ترد في هذه الصيغة السلبية مراراً في الانبياء ، خصوصاً أشعيا . وقد رأينا أنها بصيغتها الايجابية «قلْ : هو الله أحد» (سورة الاخلاص) تأتي بحرف الانجيل والتوراة .

وتعبير «الشهادة» متواتر في البيئة العبرانية النصرانية ، كما نرى من الرسالة الى العبرانيين : «واذ لنا الحبر الاعظم الذي اجتاز السماوات ، يسوع ابن الله ، فلنثبت على الشهادة» (٤ : ١٤) ؛ الشهادة «لما نطق به الرب (المسيح) أولاً ، ثم ثبّته لنا الذين سمعوه ، والله يؤيد شهادتهم بالآيات والخوارق وشتى المعجزات ، وبتوزيع مواهب الروح القدس على حسب مشيئته» (٢: ٣ — ٤) ؛ «فلنتمسك

بالشهادة ، عربون الرجاء ، على غير انحراف ، لان الذي وعد أمين » (١٠: ٢٣)؛ وهذه الشهادة « ذبيحة الحمد نقربها لله كل حين به ، ثمرة شفاه تشهد لاسمه » (١٣ : ١٥) . فصيغة الايمان بالمسيح كانت تسمى في البيئة « النصرانية » منذ البدء : « الشهادة » . وهذه الشهادة كانت لله والمسيح ، « رسول الله ، الحبر الاعظم الذي نشهد له » (٣ : ١) .

والقرآن يشهد لله ، وللمسيح رسول الله ، كما قال الحواريون : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين » (آل عمران ٥٣) . ويعلن الشهادة له بقوله : « انما المسيح عيسى ابن مريم ، **رسول الله ، وكلمته** ألقاها الى مريم **وروح منه** » (النساء ١٧٠) . إنها الشهادة « النصرانية » للمسيح ، في القرآن.

٢ — **والصلاة** ، يدل حرف كتبتها — « صلوة » — على مصدرها «النصراني»: « صْلوتا » . وقبلتها الاولى[1] الى بيت المقدس ، بخلاف اليهود الى المغرب ، والمسيحيين الى المشرق[2] برهان ذلك . وعند تحويل القبلة الى المسجد الحرام بمكة استخدم التعبير الانجيلي « البرّ » (متى ٦ : ١) الذي ركّز عليه المسيح لتطوير شريعة موسى : « ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » (البقرة ١٧٧) .

وعدد الصلوات الخمس في الاسلام برهان ذلك ايضاً . كان اليهود يصلون مرتين في النهار ، بكرةً وعشياً ؛ وزاد أتقياؤهم كرهبان قمران « الصلاة الوسطى » . وكان المسيحيون الاوائل يصلون الصلاة الربية « أبانا » ثلاث مرات في النهار كفاتحة لهم ولصلاتهم ؛ ولما دخلت الرهبانية صار عدد الصلوات عندهم سبع مرات في اليوم ، مع قيام الليل ، نافلةً لهم . أما النصارى فسلكوا أمة وسطاً بجعل الصلوات خمساً . لذلك فسرت السنة قوله « حافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى » (البقرة ٢٣٨) بأنها خمس .

---

(١) قابل السيوطي : اسباب النزول (البقرة ١١٦) .

(٢) قابل السيوطي : اسباب النزول (البقرة ١٧٧) .

وقيام الليل عادة « نصرانية » ومسيحية ، لا يهودية[1] ولا عربية . وهي ميزة « النصارى » في القرآن : « ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران ١١٣) ؛ انهم « عباد الرحمان الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (الفرقان ٦٣ — ٦٥) . وكان محمد معهم وعلى مثالهم يقوم « الليل إلا قليلاً » (المزمل ٢) ؛ ولما ثقل ذلك على جماعته صار قيام الليل « نافلة لك » (الاسراء ٧٩) .

فكل مظاهر الصلاة في القرآن دلائل على « نصرانيتها » .

٣ — وكذلك **الزكاة** ، فحرف كتبتها — « زكوة » — يدل على مصدرها « النصراني » : « زكوتا » . وكانت تسمّى عند النصارى والمسيحيين « البركة » من الاملاك والاموال ، وكان مقدارها عشر مدخول المؤمنين الصافي . وعليه قاس الفقهاء مقدار الزكاة في الاسلام . وهي غير الصدقة الحرة .

٤ — **والصوم** يدل تشريعه القرآني على مصدره « النصراني » : « يا أيها الذين آمنوا ، كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون... شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » (البقرة ١٨٣ و ١٨٥) . ونعرف من السيرة ان محمداً ، ومن قبله جده عبد المطلب ، كانا يصومان رمضان مع ورقة بن نوفل ، قس مكة « النصراني » . وكان النصارى والمسيحيون يصومون من الفجر الى المغرب ، قبل ان يحوله المسيحيون من نصف الليل الى نصف النهار .

فالقرآن والسيرة وواقع الحال تدل كلها على ان صوم رمضان عادة « نصرانية » .

---

(١) ان التلمود في فصل « أبوت » اي الآباء (ك ٣ ع ٥) ينتقد الذي يقضي ليله في الصلاة وحياته في البتولية . ومن الظاهر انه انتقاد فريسي من واضعي التلمود لعادة رهبان قمران الذين انقرضوا بعد الحرب السبعينية ، او ذابوا في « النصرانية » .

٥ — **والحج** عادة قائمة في كل الاديان والحج. الى الكعبة قبل الاسلام لم يكن عادة وثنية كما يتوهمون . فمنذ تجديد بنائها قبل البعثة بخمس سنوات ، اشترك محمد في نقل الحجر الاسود ، ورسموا على جدرانها من داخل صور المسيح وأمه والملائكه والانبياء ، ما بين الطير والشجر : وهذه عادة مسيحية . ومحمد مثل جده عبد المطلب ، على مثال ورقة بن نوفل ، قس مكة ، كان يطوف بالكعبة بعد صوم رمضان بغار حراء . وهذه كلها دلائل على ان الكعبة ، قبل الاسلام، كانت مقاماً للتوحيد الكتابي الانجيلي؛ والحج اليها كان من عوائد أهل الانجيل. فتشريع الحج الى كعبة مكة، على آثار الحج العربي، كان عملاً قرآنياً «نصرانياً» تغلّب على الصفة المسيحية فيها .

فأسلوب الكلام في أركان الاسلام دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية .

●

ثانياً : اسلوب التعبير في لغته ومفرداته

جمع السيوطي في (الانقان ١ : ١٣٨ — ١٤١) ما ورد في القرآن بغير لغة العرب — وان كان بعضه قد تعرّب من قبله — وأكثره من اللغة السريانية أو النبطية التي كان ينطق بها النصارى مــن بني اسرائيل ، مع اللغة العربية التي تبنوها في هجرتهم الى الحجاز ومكة .

منها : « قوله (أخلد) ركن ؛ « اذ قــال لابيه : آزر » أعوج ، مخطىء . (اسباط) بلغتهم كالقبائل بلغة العرب . (اسفار) هي الكتب بالسريانية . (اصري) عهدي بالنبطية . (اكواب) الاكواز بالنبطية ، وانها جرار ليس لها عرى . (ال) اسم الله تعالى بالنبطية (وكل اللغات السامية) . (الاواه) الدعاء بالعبرية . (بكل بعير) كل ما يحمل عليه بالعبرانية . (فناداها من تحتها) اي بطنها بالنبطية . (جهنم) فارسية (كهنام) بطــريق العبرية . (وقولوا : حطّة) اي صواباً بالعبرية . (حواريون) غسالون بالنبطية (والحوار البياض

بالسريانية). (درست) اي قارأت، بلغة اليهود . (راعنا) سبٌ بلغة اليهود. (راعنا : أرعـــن) . (ربانيون) سريانية . (ربيون) سريانية . (**الرحمان**) ذهب المبرد وثعلب الى انه عبراني ، وأصله بالخاء المعجمة — وفي اليمن نصوص فيها «الرحمان ومسيحه»— (رمزاً) تحريك الشفتين بالعبرية. (واترك البحر رهواً) ساكناً بالسريانية . (قد جعل ربك تحتك سرياً) اي نهراً بالسريانية. (سفرة) بالنبطية القراء . (وادخلوا الباب سجداً) اي مقنعي الرؤوس بالسريانية . (طورسينين) الحسن بـــلسان الحبشة ، (سيناء) الحسن بالنبطية . (شهر) بالنبطية . (اهدنا الصراط المستقيم) انه الطريق بلغة الروم . (صلوات) بالعبرانية — والسريانية الى اليوم — كنائس وأصله « صلوتا » . (طور) الجبل بالسريانية . (جنات عدن) جنات كروم واعناب بالسريانية . (فردوس) بستان بالرومية ، عن النبطية والسريانية « فرداسا » . (فوم) الحنطة بالعبرية . (القسط) العدل بالرومية . (القسطاس) العدل بالرومية ، أو الميزان . (قطنا) كتابنا بالنبطية . (القمّل) الذباب بلسان العبرية والسريانية . (قنطار) عن الرومية بطريق السريانية . (**الحي القيوم**) هـــو الذي لا ينام بالسريانية . (كتاب مرقوم) بلسان العبرية . (ملكوت) الملك بلسان النبط والسريان . (مناص) فرار بالنبطية . (يمشون على الارض هوناً) حكماء بالسريانية . (هيت لك) عن العبرانية « هيتلج » بطريق النبطية والحورانية والسريانية . (وراء) معناها امام بالنبطية . (يسين) يا رجل بالحبشية — (مثل : طه) — (اليمّ) البحر بالسريانية » .

نلاحظ ان المفردات العبرية والنبطية دخلت السريانية وريثتها في اللغة : فأصلها المباشر سرياني . وهذا التعبير في الاسلوب اللغوي دليل عـــلى البيئة « النصرانية » الناطقة بالسريانية التي عاش فيها محمد .

واستخدام **تعابير الاسلام**، مثل « الرحمان الرحيم » ، « الحي القيوم » ، « الصراط المستقيم » برهان على ان اسلام القرآن هو بلفظه ومعناه « نصراني » ،

كما أخذه عن اساتذته كورقة بن نوفل الذي كان يعرب الانجيل من السريانية ، بحرفه العبراني .

وهناك بعض التعابير بقيت على **حرفها السرياني دون تعريب** . منها قوله : « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون لكم سكراً ورزقاً حسناً ، إن في ذلك لآية لقوم يقولون » (النحل ٦٧) . قال الجلالان : « سكراً اي خمراً يسكر » . وهو الحرف العبراني السرياني نفسه : « شكر » ، نقله بحرفه ، ولم يعرّبه . ومنها قوله أيضاً : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الانعام ٩٠) . فسره الجلالان : « الحكم اي الحكمة » ؛ فقد نقله بحرفه السرياني كما كان ينطق به النصارى من بني اسرائيل في تعداد أنواع أسفار الكتاب المقدس : فهؤلاء هم الذين أمر محمد : « فبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠) .

فاسلوب التعبير القرآني ، في لغته ومفرداته ، دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية .

•

ثالثا : مصطلح القرآن يدل على نسبه

١ — ان الذين على محمد أن يقتدي في القرآن العربي بهداهم هم « أولئك الذين آتيناهم **الكتاب والحكم والنبوة** ... أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » (الانعام ٨٩ — ٩٠) . إنهم أهل « الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل ، ولا يجمع التوراة والانجيل ديناً واحداً إلا النصارى من بني اسرائيل ، لا اليهود ، ولا المسيحيون . فعلى محمد أن يقتدي اذن بهدى النصارى من بني اسرائيل في الدعوة القرآنية .

٢ — تعبير « **الكتاب والحكمة** » يعني التوراة والانجيل ، كما في قوله عن عيسى « ويعلمه الكتاب والحكمة — والتوراة والانجيل » (آل عمران ٤٨ ؛ قابل المائدة ١١٣) . ففي نظر « النصارى » والقرآن ، الانجيل هو « الحكمة »

بالنسبة للتوراة التي هي الكتاب : «ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة» (الزخرف ٦٢). فعلى محمد ان يقتدي بهدى أهل «الكتاب والحكمة» لكي «**يعلمهم الكتاب والحكمة**» (٢ : ١٢٩ و ١٥١ ؛ ٣ : ١٦٤ ؛ ٦٢ : ٢) . فهو بالقرآن العربي يعلّم العرب «الكتاب والحكمة» على طريقة «النصرانية».

٣ — كان اليهود يقسمون كتاب الله الى «**الكتاب والنبيين**» — بالعبرية : نبيّيم — ويقصدون بالكتاب التوراة اي أسفار موسى الخمسة ؛ وبتعبير «النبيين» سائر أسفار الكتاب . فتعبير «النبيين» اصطلاح للاسفار ، لا اسم جمع للانبياء . وقد ورث النصارى من بني اسرائيل عنهم الاصطلاح نفسه . فلما «آمنت طائفة من بني اسرائيل» (الصف ١٤) بالانجيل ، حوّلوا الاصطلاح العبراني الى «نصراني» وقالوا : «الكتاب والحكم والنبوة» . فأخذه القرآن عنهم بحرفه . وكانوا في صلاتهم يتلون قراءة من الكتاب ، وأخرى من النبيين ، والثالثة من الانجيل ، ويقولون بالسريانية : «قريانا» من التوراة ، كما يقول الى اليوم رجل الدين المسيحي قبل التلاوة ، بحسب النص اليوناني : «**قرآن من الانجيل بحسب متى**» — وهم يتحاشونه في العربية احتراماً لشعور الآخرين .

٤ — والقرآن يستخدم **مصطلحات التوحيد** بتعبيرها السرياني ، كما نقلنا عن (الاتقان) للسيوطي : فالله هو «الرحمان الرحيم» ، وهو «الحي القيوم» الذي يهدي الى «الصراط المستقيم» الذي تاه عنه الفاسقون ، كما في قوله : «**لقد تركوا الصراط المستقيم** ، وضلوا مقتفين سبيل بلعام بن بعور» (رسالة بطرس الثانية ٢ : ١٥) . فتعابير التوحيد في اصطلاح القرآن تدل على «نصرانيته».

٥ — كذلك أخذ عنهم اصطلاح «أهل الكتاب» و «أهل الذكر» و«أولي العلم» : مترادفات ثلاثة . وحجته الكبرى في دعوته استشهاده المتواتر «بمن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) . فهو ينتسب اليهم في تعبيره كما في تعليمه : «أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» النصارى (الشعراء ١٩٧) .

ويقسم أهل الكتاب الى «**مقسطين**» وهم النصارى من بني اسرائيل، والى «**ظالمين**» وهم اليهود: فاليهود يصح الجدال معهم بالسيف، أما النصارى من بني اسرائيل فلا يصح جدالهم إلا بالحسنى، والحسنى هي الامر بالقول ان الله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد (العنكبوت ٤٦). فإسلام القرآن هو الاسلام «النصراني».

٦ — وقد استخدم القرآن ايضاً تعابير «النصرانية» في **اصطلاح «المسلمين»** و «**المتقين**»: ليس «المسلمون» في الاصل جماعة محمد، بل «هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨)؛ ان «**المسلمين**» **على التخصيص هم** الذين «قالوا: إنا كنا من قبله مسلمين» (القصص ٥٣)، وهم النصارى من بني اسرائيل، ومن «تنصّر» معهم من العرب، لا اليهود، كما يتضح من مجموع القرائن القرآنية. و«المتقون» هم الذين اهتدوا من الشرك الى التوحيد الكتابي و «النصراني»؛ لذلك يطلق القرآن على جماعته من العرب بتواتر اسم وصفة «المتقين»؛ وما أطلق عليهم اسم «مسلمين» إلا على سبيل الهداية والتبعية. فالمسلمون موجودون قبل محمد والقرآن، ومحمد في هدايته وبعثته ينضم اليهم: «وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتــلو القرآن» (النحل ٩٠ — ٩١). ففي اصطلاح «الاسلام» و«المسلمين» كما في اصطلاح «المتقين» يظهر القرآن دعوة «نصرانية».

٧ — إن دعوة القرآن كلها للاسلام هي **دعوة للاسلام «النصراني» عينه**: فالنصارى من بني اسرائيل هم «أولوا العلم قائماً بالقسط»، الذين يشهدون مع الله وملائكته «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ — ١٩). والقرآن يشهد للاسلام بشهادتهم. فالاسلام «النصراني» هــو الذي لا اسلام غيره: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران ٨٥). فالاسلام القرآني في اسمه واصطلاحه ومعناه هو الاسلام «النصراني» عينه: الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد (العنكبوت ٤٦).

فاسلوب القرآن في اصطلاحه دليل على «نصرانية» الدعوة القرآنية.

رابعاً : اسلوب النبوة «بالرؤيا» و «الاسراء»

١ — انتشر اسلوب الوحي بالرؤيا والاسراء عند بني اسرائيل قبل المسيح بقرنين، وما بعده بقرن. ونزل به الوحي الكتابي في سفر دانيال، والوحي الانجيلي في سفر «الرؤيا» ليوحنا.

ويذكر بولس الرسول اسراءه الى الفردوس في السماء الثالثة — وكانوا يقسمون الكون الى ثلاث سموات فقط : سماء الارض، وسماء النجوم، وسماء الله، الفردوس في «السماء الثالثة» — قال : «انتقل الى رؤى الرب وايحاءاته. اني اعرف رجلاً في المسيح (بولس نفسه) قد اختطف منذ أربع عشرة سنة، الى السماء الثالثة — أفي الجسد؟ لست أعلم! أم بدون جسد؟ لست أعلم! الله يعلم — وأعرف ان هذا الرجل — أفي جسده، أم بدون جسده، لست أعلم، الله يعلم — قد اختطف الى الفردوس، وسمع كلمات معجزة لا يحل لانسان ان ينطق بها» (٢ كورنتس ١٢ : ١ — ٥).

٢ — واستخدم النصارى من بني اسرائيل في الدعوة «لنصرانيتهم» **اسلوب الرؤيا والاسراء معاً** في كتبهم التي نحلوها الى الانبياء الاولين، مثل (اسراء اشعيا) و (اسراء أخنوخ). ونجد الاسلوب نفسه في (انجيل بطرس المنحول، وفي (انجيل نيقوديم) المنحول، الى ما هنالك من كتب اخرى مثلها.

والظاهرة الخاصة فيها جميعاً ذكرهم «**السماوات السبع**» و «**الارضون السبع**». وهي تعابير مأخوذة عن الغنوص اي «العلم» المقتبس عن اسلوب الحكمة المشرقية. وفي هذا الاسلوب بالتعبير، يتميزون عن اسلوب المسيحية كما نراه عند بولس الرسول.

٣ — **والواقع القرآني** يستخدم في النبوة اسلوب الاسراء والرؤيا.

لا ذكر في القرآن لاسراء إلا في آية واحدة يتيمة : «سبحان الذي أسرى

بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حـــوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » (١٧ : ١). وهذه الآية اليتيمة لا تمت الى سورتها بصلة ، ولا الى ما قبلها ، لا في النسق الحالي ، ولا في ترتيب النزول . وكانت السورة قبل ذلك تسمى «بني اسرائيل» فصارت تسمى «أسرى» أو الاسراء. فلا تقوم النبوة في القرآن على اسلوب الاسراء . انه حدث عارض ، واسلوب « نصراني » .

ان اسلوب النبوة في القرآن هو الرؤيا

ويرجع كله الى رؤيا وحيدة كانت مبعث الوحي في غار حراء : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » (الدخان) ، « إنا أنزلناه في ليلة القدر » (سورة القدر) ، من « شهر رمضان **الذي أُنزل فيه القرآن** » (البقرة ١٨٥) . ويصف هذه الرؤيا في سورة (النجم ١ — ١٨) ، ويفسرها في (الشورى ٥١ — ٥٣) فقد أرسل الله اليه في رؤيا « روحاً مـــن أمرنا » اي روحاً مخلوقاً ، ملاكاً ، فهداه الى الايمان بالكتاب ، وقراءته على العرب ، كما في الامر : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » (العلق ١ — ٥) ، « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لاعدل بينكم » (الشورى ١٥) . فأخذ يقرأ قرآن الكتاب المقدس عـــلى العرب في القرآن العربي ، على مثال « المِثْل » الذي عند النصارى من بني اسرائيل .

وجاء الحديث الصحيح عن عائشة ، كما عند الشيخين ، يصف هذه الرؤيا : « أول ما بدأ به رسول الله ص **الرؤيا الصالحة** . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب اليه الخلاء ... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . **فجاءه الملاك فقال : إقرأ** ... فرجع بها رسول الله ص يرجف فؤاده . فدخل على خديجة وأخبرها الخبر » .

ونقل الطبري عن ابن الزبير قصة الرؤيا : « قال رسول الله ص: فجاءني **وانا نائم** بنمط من ديباج، فيه كتاب. فقال : اقرأ ! فقلت : ماذا أقرأ ؟ فغتني حتى ظننت انه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ! ... (قال) فقرأته ، ثم انتهى ، ثم انصرف عني . **وهببت من نومي** ، وكأنما كتب في قلبي كتاباً » .

فبحسب القرآن والحديث الصحيح كان اسلوب الوحي القرآني « رؤيا » في مبعثه؛ حتى الاسراء المذكور (١٧: ١) كان هو أيضاً رؤيا : «الرؤيا التي أريناك» (١٧ : ٦٠) . كذلك رؤيا النبي لنصر بدر : «إذ يريكهم الله في منامك قليلا » (الانفال ٤٤) ؛ ورؤياه لفتح مكة : « صدق الله رسوله الرؤيا بالحق : لتدخلن المسجد الحرام، إن شاء الله » (الفتح ٢٧) .

فالاسلوب القرآني في النبوة، هو الاسلوب « النصراني » في الدعوة بالرؤيا .

إن اسلوب النبوة بالرؤيا دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية .

●

خامساً : اسلوب التنزيل في الدعوة

١ — رأينا ان تعابير « الوحي » و « التنزيل » من متشابهات القرآن[1] ، فلا تقطع بمعنى محدود يصح الاعتماد عليه لتحديد « الوحي » و«التنزيل» في القرآن . فالارض في زلزالها تحدّث « بأن ربك أوحى لها » (٩٩ : ٥) ، « وأوحى ربك الى النحل » (١٦ : ٦٨) ، وزكريا « أوحى اليهم ان سبحوا» (١٩ : ١٠) ، « وان الشياطين ليوحون » (٦ : ١٢١) . وهكذا فإن الله « أوحى في كل سماء أمرها » (٤١ : ١٢) . فالوحي كفاعل يشمل الخالق والمخلوقين ، وكمفعول يشمل أيضاً الطبيعة والغريزة والفطرة وكلام الله . كذلك التنزيل : فالله «أنزل من السماء ماء» (٢ : ٢٢ ؛ ١٣ : ١٩ ؛ ١٤ : ٣٢ ؛ ١٦ : ٦٥ ؛ ٢٠ : ٥٣ ؛ ٢٢ : ٦٣ ؛ ٣٥ : ٢٧ ؛ ٣٩ : ٢١) ، « وأنزل لكم من الانعام » (٣٩ : ٦) ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » (٥٧ : ٢٥) ، « ما لم ينزل به سلطاناً » (٣ : ١٥١ ؛ ٧ : ٣٢ ؛ ٢٢ : ٧١)) . وتارة « نزّل الملائكة تـــنزيلا » (٢٥ : ٢٥) ، وطوراً « ينزّل الملائكة بالروح » (١٦ : ٢) . حيناً أنزل القرآن جملة « أنزلناه في ليلة مباركة » (الدخان) « إنا أنزلناه في ليلة القدر » (القدر) ؛ وحينا « لولا نزّل عليه القرآن

---

(١) كتابنا : مدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي ص ٣٩٢ .

جملة » (٢٥ : ٣٢) . ويجمع تنزيل الكتاب وتنزيل الحديد في آية واحد ، وعلى حرف واحد : « وأنزلنا معهم الكتاب . وأنزلنا الحديد » (٥٧ : ٢٥) . وكما « أنزل الله سكينته ، وأنزل جنوداً لم تروها » (٩ : ٢٧) ، كذلك « أنزلنا عليكم لباساً » (٧ : ٢٥) . فالمعنى يتطور من الحقيقة الى المجاز ، ومن الاشخاص الى الاشياء ، ويشمل الله والطبيعة والانسان . فالتعبير متشابه لا يقطع بمعنى محدود .

٢ — وميزة التنزيل القرآني أنه بالواسطة ، لا من الله مباشرةً ، بل بواسطة « روح من أمرنا » (الشورى ٥٢) ، أو « حكيم خبير » (هود ١) . فلا نرى في القرآن ان الله كلم محمداً مباشرة على الاطلاق .

٣ — ميزة أخرى « وانه لتنزيل رب العالمين » ، لكن « وانه لفي زبر الاولين » (الشعراء ١٩١ و ١٩٧) . هكذا « أنزلنا اليك الكتاب » (٤ : ١٠٤ ؛ ٥ : ٥١ ؛ ٢٩ : ٤٧ ؛ ٣٩ : ٢) ، لكن الله « بعث النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب » (البقرة ٢١٣) : فليس اذن في القرآن من كتاب جديد .

٤ — وبينما يصرّح « وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » (الزخرف ٤) ، « انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون » (الواقعة ٧٧ — ٧٩) ، « في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهّرة ، بأيدي سفرة كرام مبررة » (عبس ١١ — ١٦) ، فهو « قرآن مجيد ، في لوح محفوظ » (البروج ٢٢) — نراه يعلن : « كتاب أُحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١) ؛ وهذا التفصيل يعني التعريب : « والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (الزخرف ٢ — ٣) : بالقرآن صار الكتاب المبين الذي يقسم به قرآناً عربياً وهو المقسوم عليه . فتنزيل الله هو في الكتاب الامام ، وتفصيله في القرآن العربي : « تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » (فصلت ٢ — ٣ ؛ قابل يوسف ٢ ؛ الرعد ٣٧ ؛ طه ١١٣) . والنتيجة المحتومة الحاسمة ان تعبير « التنزيل » للقرآن ، يعني « تفصيل الكتاب » فيه :

« تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) . فتنزيل القرآن يعني تعريب التنزيل في الكتاب. فالكتاب الامام ، والكتاب المنير ، هو اللوح المحفوظ ، والكتاب المكنون ، اي « أم الكتاب » الذي « بأيدي سفرة كرام مبررة » ، ومنهم «حكيم خبير» يفصل آياته قرآناً عربياً . ويقطع كل شبهة تصريحه الضخم : **« وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله »** (الاحقاف ١٠) : ان « مثل » القرآن عند النصارى من بني اسرائيل ، والقرآن العربي انما هو تفصيل لهذا « المثْل » . هذا هو منطوق ومنطق شهادته بحق نفسه .

٥ — ومترادفاته في صفاته تدل على ذاته : إن تنزيل القرآن هو **تيسيره للعرب**: «فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين» (مريم ٨٧)، «فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون» (الدخان ٥٨) ؛ وتنزيله هو **تصريف الآيات في القرآن** للعرب : « ولقد صرفناه بينهم ليذكّروا » (الفرقان ٥٠)، « وكذلك نصرّف الآيات » (الانعام ١٠٥ ؛ الاعراف ٥٧) ؛ فالتصريف للبيان والتبيين ، ولا يقطع بمعنى التنزيل : « انظر كيف نصرّف الآيات ، ثم هم يصدفون » (الانعام ٤٦) . وتنزيله هو **تبيين كتاب الله** للعرب : « يبيّن لكم الآيات » (٢ : ٢١٩ ؛ ٢٦٦ ؛ ٢٤ : ١٨ و ٥٨ و ٦١) . **وهدف هذا البيان والتبيين صريح فيه** : « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه » (النحل ٦٤)، « يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (النساء ٢٥) . فالقرآن بيان الكتاب وسنن أهل الكتاب للعرب : هذا هو معنى التنزيل فيه . وتقوم صحة الدعوة القرآنية على كون القرآن **تفصيل الكتاب** : « وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه ، من رب العالمين » (يونس ٣٧) .

فالتنزيل معناه في القرآن « تفصيل الكتاب » ، وتيسير آياته بلسان عربي مبين ، وبيان ما نزّل اليهم من قبل « ليهديكم سنن الذين من قبلكم » (النساء ٢٧) .

٦ — وصفات ذاته تدل أيضاً على ذاته: القرآن **تذكرة** بالكتاب: «كلا! انها تذكرة، فمن شاء ذكره، في صحف مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة، كرام بررة» (عبس ١١ — ١٦). وهذه التذكرة **بيّنة ما في الصحف** من قبله: «أو لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الاولى» (ص ١٣٣). ويقطع بالمقصود من الصحف المرفوعة المطهرة، ردّه على اليهود المشركين الذين يطلبون البيّنة، «رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة»؛ فيجيب: «وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة» المطلوبة (البيّنة ١-٤): فمحمد «**يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة**»، والقرآن العربي تذكرة منها، وبينة لها. لذلك ان كان «تنزيل رب العالمين»، فهو «في زبر الاولين: أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» النصارى (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧)، وقد «شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠).

فتنزيل القرآن يعني «تفصيل الكتاب» اي تعريب ذلك «المثل».

٧ — وهكذا يتضح ان **التنزيل، في لغته واصطلاحه، اسلوب للدعوة** لاجل «تفصيل الكتاب» للعرب؛ وهو اسلوب «نصراني» كما يعلم ويشهد علماء «النصرانية» (الاحقاف ١٠؛ الشعراء ١٩٧؛ العنكبوت ٤٩).

والدعوة باسلوب التنزيل من لوح محفوظ، أو كتاب مكنون، هي اسلوب متواتر عند النصارى من بني اسرائيل، في عهد الفترة كله، ما بين الانجيل والقرآن. في جميع كتب «النصارى» المنحولة الى الانبياء الاولين لترويجها، مثل (اسراء اشعيا) و (اسراء أخنوخ) نجد اسلوباً واحداً: ينزل ملاك من السماء فيكلّم الرائي، ثم يُسري به الى السماء، وهناك بأمر الله يريه ما في الاسفار السماوية من «كتاب الوحي» الى «كتاب الحياة»؛ ثم يعطيه قلماً ويملي عليه «من آيات ربه الكبرى»، فيكون «أوحى الى عبده ما أوحى».

نجد أيضاً مثالاً لذلك في (سفر أخنوخ الاول — ادريس — ٨١: ١ — ٣؛ ١٠٣: ١ — ٣؛ ١٠٦: ١٩). و (سفر أخنوخ الثاني) يقول: «دعا الرب

برابيل (جبرائيل ؟) أحد الرؤساء الذي يتقن كتابة أعمـــال الله كلها . وقال الرب ابرابيل : خــــذ الكتب المحفوظة ، وأعطِ القلم لاخنوخ ، وأملِ عليه الكتب . . . فأخذ يملي عليّ جميع أعمال السماء والارض والبحر » . وهناك ، مع اسلوب الاملاء ، اسلوب آخر في التنزيل ، وهو ان النبي الرائي ينقل بالقلم ، عن لوح محفوظ ، أو كتاب مكنون ، آيات الله في خلقه ؛ هذا الاسلوب الثاني نجده في كتاب (الراعي) هـــرمس ، وفي (رؤيا بطرس) المنحول ، وفي (رؤيا بولس) المنحول .

فالتنزيل بالاملاء أو النقل ، عن لوح محفوظ ، أو كتاب مكنون ، بالقلم وما يسطرون ، كان اسلوب الدعوة « النصرانية » . وهذا هو الاسلوب « النصراني » الذي نجده في الدعوة القرآنية .

فاسلوب « التنزيل » في الدعوة ، لاجـــل « تفصيل الكتاب » ، دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية .

•

سادساً : اسلوب « العلم » في « تفصيل الكتاب »

لقد استخدم النصارى من بني اسرائيل **الغنوص** الهلنستية المشرقية — اي **« العلم »** — في تفصيل الانجيـــل . **« فالعلم » عندهم اسلوب كلامي في التعليم** « النصراني » .

وكانت الغنوص الهلنستية واليهودية و « النصرانية » الخطـــر الاكبر على المسيحية في نشأتها، لما بينها من اتصال وانفصال. فكتب بولس الرسول رسائله الثلاث الصوفية الى الفيلبيين والى الكولوسيين والى الافسسيين ، للرّد على الغنوص ، ببيان ان « الغنوص السامية » هي في المسيحية (كولوسي ١ : ٩ و١٠؛ فيلبي ١ : ٩ ؛ أفسس ١ : ٩) . وهو يحرض تلميذه تيموتاوس على الابتعاد عن « الغنوص الكاذبة التي انتحلها قوم ، فزاغوا عن الايمان » (١ تيموتاوس ٦ : ٢٠ — ٢١) .

فاسلوب الفنوص — اي « العلم » — هـــو الاسلوب الفارق بين النصرانية والمسيحية . والخلاف في الاسلوب جرّ الى الخلاف في العقيدة بالمسيح . ففي تفسير ظاهرة التثليث في الانجيل وفي تفسير سرّ المسيح في عيسى ابن مريم ، قال أهل الانجيل كلهم بأن **المسيح هو « كلمة الله »** . لكن النصارى من بني اسرائيل فهموا التعبير على ضوء كلام فيلون ، المتكلم الاكبر في عصر المسيح ، حيث « كلمة الله » عنده أول الملائكة ، أول خلق الله ، « روح منه » تعالى ، فهو مخلوق لا مولود . فجاء يوحنا الرسول في فاتحة الانجيل بحسب يوحنا يؤكد ان « كلمة الله » من ذات الله ، في ذات الله ؛ « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (١ : ١ و ١٤) وهو يسوع المسيح . إن « عـــلم الكتاب » فصل أهل الانجيل الى نصارى ومسيحيين .

ولذلك كان النصارى من بني اسرائيل يتنازعون لقب « أولي العلم » مع اليهود ، ويستعلون به على المسيحيين بصفة كونهم « أولي العلم المقسطين » .

وهذا هو الاسلوب والتعليم الذي نجده في القرآن .

ان تعبير **« العلم »** يرد في القرآن أحياناً بحسب اللغة ؛ ولكن احياناً وخصوصاً بحسب اصطلاح قائم فيه . إن « العلم » المذكور في القـــرآن ليس كل علم على الاطلاق ، بل هو « علم » أولي العلم ، اي أهل الكتاب .

ان « العلم » فيه **اصطلاح عام** لما هـــو « علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ؛ **واصطلاح خاص** لعلم « الراسخين في العلم » (آل عمران ٧) ، « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) اي **العلم الانجيـــلي** ، على طريقة **« العلم » « النصراني »** .

فتعبير « العلم » في القرآن هو اصطلاح خاص « بعلم الكتاب » والعلم « النصراني » في الكتاب . وهذا الاصطلاح يفوت الكثيرين ، فيفوتهم فهم القرآن على حقيقته . فمن الجهل والغباء فهم قوله : « هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون » (الزمر ٩) بحسب اللغة؛ لان « الذين لا يعلمون » (البقرة ١١٣ و ١١٩ ؛ يونس ٨٩ ؛ الروم ٥٩ ؛ الجاثية ١٧) هم المشركون ؛ و « الذين يعلمون » هم أهل الكتاب ، فهم بحسب تعبيره المتواتر « قوم يعلمون » (٢ : ٢٣٠ ؛ ٦ : ١٠٥ ؛ ٢٧ : ٥٢ ؛ ٤١ : ٣). فأهـــل الكتاب ، وخصوصاً «النصارى» منهم، هم في اصطلاحه «العلماء» حقاً: «انما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر ٢٨) .

ان « النصارى » هم « العلماء » ، « أولوا العلم قائماً بالقسط » ، أهل « الكتاب والحكم والنبوة » الذين أمر محمد ان يقتدي بهداهم (الانعام ٩٠) ؛ هم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨) ؛ هم الذين « جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » الى هدى الكتاب والانجيل ، « فلا تكن في مرية من لقائه » (السجدة ٢٣ — ٢٤) ؛ هم الذين يستشهد بهم دائماً على صحة دعوته وصحة قرآن الكتاب : « أو لم يكن لهم آية ان يعلمـــه علماء بني اسرائيل » النصارى (الشعراء ١٩٧)، بل القرآن نفسه «هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» اي علماء النصارى» (العنكبوت ٤٩) . لذلك «يرفـــع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

« فالعلم » المخصوص في القرآن هو العلم « النصراني » ، علم « الذين أوتوا العلم (١٦ : ٢٧ ؛ ١٧ : ١٠٧ ؛ ٢٢ : ٧٤ ؛ ٢٨ : ٨٠ ؛ ٣٠ : ٥٦ ؛ ٣٤ : ٦) ، علم « الراسخين في العلم » (آل عمران ٧ ؛ النساء ١٦١) .

فاليهود ما كفروا بالمسيح ثم بمحمد « إلا من بعد ما جاءهم العلم » (٣ : ١٦ ؛ ٤٢ : ١٤ ؛ ٤٥ : ١٦) . وهذا الكفر اليهودي المزدوج دليل على ان « العلم » القرآني هو العلم « النصراني » .

اما محمد فقد جاءه « العلم » الذي مع أولي العلم المقسطين . والقرآن يحذره بتواتر من الردة أو الشك « بعد الذي جاءك من العلم » (٢ : ١٢٠) ، « من بعد ما جاءك من العلم » (٢ : ١٤٥ ؛ ٣ : ٦١) ، « بعد ما جاءك من العلم » (١٣ :

٣٩) . بهذا «العلم» النصراني يستعلي على المشركين، «من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (لقمان ٢٠؛ الحج ٨)، أما هو فإنه يجادل «بالعلم» النصراني في الكتاب المنير.

وهكذا فإنه «يعلمهم الكتاب والحكمة»، التوراة والانجيل، بحسب اسلوب «العلم» النصراني؛ ويشهد للاسلام بحسب شهادة «أولي العلم قائماً بالقسط» (آل عمران ١٨) اي «النصارى».

فاسلوب القرآن في «علم الكتاب»، وفي «الكتاب المنير»؛ كما في تعليم «الكتاب والحكمة» هو اسلوبه في «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٧).

فاسلوب «العلم» في «تفصيل الكتاب» دليل على «نصرانية» الدعوة القرآنية.

•

سابعاً: اسلوب القرآن في قصص الانبياء، وفي قصة مولد المسيح

اسلوب القصص — بالعبرية: «هاجدة» — ورثه النصارى من بني اسرائيل عن بني قومهم اليهود، الذين كانوا يقسمون تفسير الكتاب الى «الحلقة» في تفسير الاحكام الشرعية، والى «الهاجدة» في رواية قصص الانبياء، **على اساس النص والحديث**، لا للتاريخ، بل للتقوى والعبرة.

فقصص الانبياء اسلوب «نصراني» أيضاً استخدمه «النصارى» لنشر الدعوة. وهكذا كان قصص الانبياء عندهم تلمودياً أكثر منه كتابياً، يرون فيه تأييداً للدعوة الانجيلية.

ولما رأوا ان **قصة مولد المسيح** موجزة جداً في الانجيل بأحرفه الاربعة، عمدوا الى وضع أناجيل منحولة، جاءت فيها قصة المولد مفصّلة تفصيلاً يرضي فضول «المتقين».

من هذه الاناجيل «النصرانية» **الانجيل بحسب يعقوب الذي** يدافع برواية

الاحداث عن بتولية مريم في مولدها، ويرد بالاعمال والاقوال المنسوبة الى المسيح والعاملين معه على شبهات اليهود. وكذلك **الانجيل بحسب العبرانيين** الذي اعتبره علماء المسيحية الاقدمون الانجيل بحسب متى ، في نصه السرياني ، وحرفه العبراني وسموه (انجيـــل النصارى) . **والانجيل بحسب متى المنحول** تفصيل منحول للانجيل بحسب لوقا الصحيح.

فقصص الانبياء في القرآن لا ينقلها كما في الكتاب، بل كما وردت في التلمود، اي بحسب الحديث المتواتر عن الآباء والاجداد. هذا واقع أول .

والواقع الثاني أن **قصة المولد** في القرآن أقرب الى قصتها في تلك الاناجيل المنحولة، منها الى قصة المولد في الانجيل الصحيح. من ذلك ان حنة أمرأة عمران تنذر جنينها لخدمة الرب في هيكله (الانجيل بحسب يعقوب ٤ : ١ قابل آل عمران ٣٥) . ومن ذلك ان مريم الطفلة الرضيعة تقدّم للهيكل ، « والرب أنزل نعمته عليها » (الانجيل بحسب يعقوب ٩ : ٣) اي « فتقبلها ربها بقبول حسن » (آل عمران ٣٦) . وفي الهيكل «كان رزقهـــا يأتيها من الله بواسطة ملاك » (الانجيل بحسب يعقوب ٨ : ١) اي « وكفلها زكريا : كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً ؛ قال : يا مريم أنى لك هذا ! قالت هو من عند الله » (آل عمران ٣٧) . وفي خطوبتها يخاطب زكريا الكاهن بني قومها : « ليأت كل واحد منكم بقلمه ؛ ومَن منكم تظهر عليه معجزة الرب يكفل مريم » (الانجيل بحسب يعقوب ٨: ٣) اي « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، وما كنت لديهم اذ يختصمون » (آل عمران ٤٤) . وفي البشارة بالمسيح ، بينما سورة مريم تذكر ملاك البشرى مفرداً ، اذا بسورة آل عمران تنص : « اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمـــة منه » (٤٥) والتعبيران من المصدر «النصراني» ، فانجيل البشارة يذكر الملاك مفرداً ، وليس فيه لقب المسيح « كلمة الله ». وجواب العذراء في انجيل يعقوب المنحول : « اذ اني أحمل بالرب ، اله الحياة ، فهل ألد كما تلد كل امرأة »؟ قريب مـــن قوله : « أنى

يكون لي ولد ولم يمسسني بشر » (آل عمران ٤٧). فالقرآن مثل انجيل النصارى يؤكد على بتولية مريم في المولد المعجز : «موقف واحد ضد اليهود « بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » (النساء ١٥٥). هذا البهتان العظيم في كفر اليهود نلمسه في ردّ الانجيل بحسب يعقوب عليهم جملة وتفصيلاً.

فاسلوب القرآن في قصص الانبياء ، وفي قصة مولد المسيح المعجز ، هو الاسلوب «النصراني» عينه الذي نراه في اناجيلهم المنحولة.

لذلك فأسلوب القرآن في قصص الانبياء ، وفي قصة مولد المسيح ، دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

ثامناً : اسلوب الدعوة والبرهان على الايمان

كان النصارى من بني اسرائيل يؤمنون بموسى وعيسى ديناً واحداً ؛ ويقيمون التوراة والانجيل شرعاً واحداً ، في أمة وسط بين اليهودية والمسيحية. وهذا بشهادة المصادر « النصرانية » التي تنشر الدعوة ، وبشهادة المصادر المسيحية التي تجاريها.

والقرآن صريح في دعوته للايمان بموسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣)، الايمان « بما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٥ ؛ البقرة ١٣٥) ، كما هو صريح باقامة الانجيل والتوراة شرعاً واحداً : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليكم من ربكم » (المائدة ٧١).

فأسلوب الدعوة في القرآن هو الاسلوب « النصراني » عينه.

يؤيد ذلك البرهان في الايمان. فليست حجة القرآن المعجزة كالانبياء الاولين. انما حجته الكبرى هي شهادة علماء بني اسرائيل النصارى للدعوة القرآنية. ففي صحة التنزيل من زبر الاولين يقول : « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني

اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) . وفي مطابقة القرآن للامام الذي عند النصارى من بني اسرائيل يقول : «وشهد شاهد من بني أسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠).

وفي جداله مع المشركين على صحة النبوة وكيفيتها لا جواب عنده سوى احالتهم على شهادة أهل الذكر المقسطين : « فاسألوا أهل الذكر ، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ ؛ الانبياء ٧) .

وعلى صحة القرآن في « تفصيل الكتاب » يعتز بشهادة « النصارى » أولي العلم المقسطين : « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) . وبهم يتحدى المشركين : « قل : آمنوا به ، أو لا تؤمنوا ! ان الذين أُوتوا العلم من قبله ، اذا يتلى عليهم ، يخرون للاذقان سجداً » (الاسراء ١٠٧) . ويطمئن الى شهادتهم : « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربك هو الحق ، ويهدي الى صراط العزيز الحميد » (سبأ ٦) .

وايمان « النصارى » بالقرآن الذي يشهدون له مطلق : فهم يؤمنون بالمتشابه كما بالمحكم فيه : « والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، انه الحق من ربنا » (آل عمران ٧) . فهم وجماعة محمد على ايمان واحد : « لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون ، يؤمنون بما أُنزل اليك وما أُنزل من قبلك» (النساء ١٦١).

وشهادة « النصارى » ، أولي العلم المقسطين ، للقرآن تدوم الى يوم الدين : « وقال الذين أوتوا العلم والايمان: لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث» (الروم ٥٦) . فهم أهل العلم والايمان ، وأهل كتاب الله ، لذلك فشهادتهم له هي حجته الوحيدة القاطعة للبرهان على الايمان . ويوم الدين يزكون بشهادتهم حكم الله : « ثم يوم القيامة يخزيهم ويقـــول : اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم ؟ قال الذين أوتوا العلم : ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين » (النحل ٢٧).

يكفي انه يشهد للاسلام بشهادة «أولي العلم قائماً بالقسط» : «ان الدين عند

الله الاسلام» (آل عمران ١٨ — ١٩) . وذلك لان شهادتهم من شهادة الله : «قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) .

فاسلوب القرآن في دعوته ، واسلوبه في البرهان على الايمان «نصراني» .

لذلك فاسلوب الدعوة والبرهان عنده دليل على «نصرانية» الدعوة القرآنية.

تاسعا : اسلوبه في الجدال

المبدأ عنده انه لا يصح جدال أهل الكتاب المحسنين ، اي النصارى من بني اسرائيل ، إلا بالحسنى ؛ أما اليهود «الظالمون» فيصح جدالهم بالسيف : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا : آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦) . فالحسنى في جدال «النصارى» هي الشهادة معهم ان الإله واحد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد ، بين جماعة محمد و «النصارى» .

بناء عليه فهـو يجادل المشركين بالعلم «النصراني» للكتاب المنير ، وبه يستعلي عليهم : «ومن الناس من يجادل في الله بغير هدى ولا علم ولا كتاب منير» (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٨) . هـذا كان اسلوبه في المدينة كما في مكة . إنه يجادلهم «بعلم الكتاب» على الطريقة «النصرانية» : «قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) .

وهو يجادل اليهود بجدال «النصرانية» أيضاً. فاليهود يعلنون أنهم يؤمنون بما أُنزل اليهم ويكفرون بما وراءه: «واذا قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله، قالوا: نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدق لما معهم . قل : فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين» (البقرة ٩١). لذلك يعلن لهم: «قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل» (المائدة ٧١) . موضوع آخر ، الجدال في صحة الانتماء الى ابراهيم : «يا أهل الكتاب لِمَ

تحاجون في ابراهيم، وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون؟... ما كان ابراهيم يهودياً، ولا نصرانياً (اي مسيحياً)، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين » (آل عمران ٦٥ — ٦٧) . ان صفتي « حنيف ومسلم » كانتا صفتي الدعوة « النصرانية » قبل القرآن، كما رأينا، ففي وصف ابراهيم بهما دليل على جدال اليهود بجدال « النصرانية » .

وهو يجادل وفد نجران المسيحي اليعقوبي بجدال « النصرانية » ايضاً : لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ! وقال المسيح : يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم !» (المائدة ٧٦) . ويجادل أهل مشارف الشام، وكانوا على مذهب وفد نجـــران، بجدال « النصرانية » في المسيح : « وقالت النصارى (المسيحيون) : المسيح ابن الله » (التوبة ٣١) . فيرد عليهم : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق : انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ — ١٧١) . فهـــو وان كان « كلمته وروحاً منه » اي أول الملائكة المقربين، فإنما هو عبد مخلوق، لا رب .

فالقرآن « أمة وسط » (البقرة ١٤٣) بين اليهودية والمسيحية، كما كانت « النصرانية » في عقيدتها وفي شريعتها .

لذلك فاسلوب القرآن في الجدل دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية .

●

عاشراً : اسلوب النظم في القرآن

معجزة القرآن في اعجازه . « والمعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة » . واعجازه اي « خرقه العادة في اسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات[١] » . إن الاخبار بالمغيبات سبقه اليها الكتاب والانجيل، فليست ميزة له . بقي ان اعجازه في نظمه، كما يقول الجاحظ .

---

(١) السيوطي : الاتقان ٢ : ١١٦ .

بهذا الاعجاز في النظم تحدى العرب : « فأتوا بحديث مثله » (٥٢ : ٣٤) ، « فأتوا بعشر سور مثله » (١١ : ١٣) ، « فأتوا بسورة مثله » (١٠ : ٣٨)، « فأتوا بسورة من مثله » (البقرة ٢٣) — أجل « لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (الاسراء ٨٨).

والظاهرة القرآنية الغريبة ان التحدي «بمثله» توقف لمّا انتقل الخطاب من المشركين إلى أهل الكتاب . فما سرّ ذلك ؟ سرّه أن **أهـــل** الكتاب ، وعلى التخصيص «النصارى» عندهم «مثله» ، وذلك **بنص القرآن القاطع** : « وشهد شاهد من بني اسرائيل **على مثله** ... ومن قبله **كتاب موسى إماماً** ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٠ و ١٢) . بهـــذا التصريح يسقط التحدّي بالاعجاز : إن « مثل » القرآن موجود قبله .

فاعجاز القـــرآن له مثل أعلى في الكتاب ، وله مثل خاص في « المثل » النصراني . فإذا كان القرآن خارقاً لعادة العرب في نظمهم ، فهو على « مثل » نظم النبيين والزبور والانجيل في كلمات المسيح . إنه **نظم الرباعيات** . وهو يختلف عن رجز العرب وقصيدهم .

واسلوب النظم رباعيات هـــو اسلوب النظم العادي في العبرية والارامية والسريانية . وما الزجل الشعبي ، على أنواعه ، سوى أثر من اسلوب النظم الموروث عن الاجداد السوريين . وقوله : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » يجعلنا نقول : ان اسلوب النظم القرآني هو اسلوب كتابي « نصراني » ، تعلمه محمد لدى اساتذته ، خصوصاً لدى قس مكة ، ورقة بن نوفل .

١) هذا شاهد من فاتحة أشعيا (١ : ١ — ٩) :

«استمعي ايتها السموات، وانصتي ايتهـــا الارض، فالله يتكلّم !
ربّيت بنين ومكّنت لهـــم لكنهم تمرّدوا عـــليّ !

عرف الثور قانيـــه والحمـــار معلف صاحبه
لكن اسرائيـــل لم يعرف وشعبي لم يفهـــم !

ويـــل للأمة الخاطئة للشعب الموقـــر بالاثم !
ذرية المجرمـــين ، البنين الفجـــار !

انهـــم تركوا الله ، واستهانوا بقدوس اسرائيل
لقد ارتدوا على أعقابهم ! أنّى تضربون، وقد تراكمت آثامكم!

الرأس كـــله مريض ! والقلب بجملتـــه سقيم !
من أخمص القدم الى الرأس لا صحة فيه على الاطلاق !

بـــل كلوم وحَبَط وجراح مفتوحـــة ،
لم تعصر ولم تعصب ولم تليّن بـــدهن !

أرضكم خراب ! ومدنكم حريق !
حقلكم أكله الغرباء أمامكم فالكل خراب، كما بعد غزو الغرباء !

وبقيت ابنـــة صهيون مثـــل خيمة في كرمة !
وكملجإٍ في مقثئـــة ، ومثـــل مدينة محاصرة !

ولولا ان ربّ الجنـــود ترك لنـــا بقية باقية
لصرنا مثـــل سدوم وأشبهنـــا عامورة ! »

٢) **وهذا مثل من الزبور**؛ المزمور الاول :

طوبى للرجـــل الامين الذي لا يغشى مجالس الفـــاسقين
ولا يقوم في طريق الضـــالين ولا يقعد مـــع الماجنين !

بـــل في شريعة الله هواه يهذّ بهـــا نهاره وليله
كأنه شجرة قائمـــة حيث الميـــاه جارية !

تؤتي ثمارهـا في ابانها ولن تذوي اوراقهـا !
أجل ان اعماله كلهـا بالنجـاح والفلاح متسمة !
شتان ما بينه وبين الفـاسقين الذين تذروهم الرياح كالهشيم !
فلا مقام يوم الدين للفـاسقين ولا للضالين في زمرة الصالحين !
فإن الله علـيم بصراط الصـالحين
اما سبيل الفـاسقين فإلى الخسران المبين »

•

٣) **أخيراً هذه فاتحة الخطاب التأسيسي للسيد المسيح على الجبل :** « فلما رأى يسوع الجموع صعد الى الجبل . ولمـا جلس دنا اليه تلاميذه . ففتح فاه وجعل يعلمهم . قال :

طـوبى للمساكين . . . فإن لهم ملكوت السماوات !
طوبى للوديعـين فإنهـم الارض يرثون !
طوبى للبـاكين فإنّهـم يُعزّون !
طوبى للجـائعين . . . فإنهـم يشبعون !
طوبى للـراحمين فإنهـم يُرحمون !
طوبى للطـاهرين فإنهم الله يعـاينون ؛
طوبى للمسالمـين فإنهم أبنـاء الله يدعون !
طوبى للمضطهدين . . . فإن لهم ملكوت السماوات[١] !

•

أنتم ملـح الارض اذا فسد الملح، بمَ يصلحونه ؟
انه لا ينفـع لشيء بل يطرح بعيداً والناس يدوسونه!

---

(١) لاحظ التصريع بعبارة « ملكوت السماوات » التي بها يفتح ويختم المقطع .

أنتم نور العالمين — لا تخفى مدينة على جبل
ولا يوقد سراج تحت مكيال — بل على منارة ليضيء لاهل المحل
فليُضيء نوركم للعالمين — ليروا أعمالكم الصالحة
وهكذا فهم يحمدون — أباكم الذي في السماوات[1] »

هذا هو قرآن الكتاب الذي أمر محمد في رؤيا حراء ان ينضم الى المسلمين من قبله وأن يتلوه معهم (النمل ٩٠). وفي قيام الليل، بصحبة قس مكة، ورقة بن نوفل، كان كالمزمل يسمعهم «يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (آل عمران ١١٣). وأثناء النهار كان «يدرس» الكتاب (٦٨ : ٣٧) بل الكتب المقدسة (٣٤ : ٤٤) التي سيستعلي على المشركين بدراستها. خصوصاً كان يسمع قرآن الكتاب الامام في «المثل» النصراني، صورة القرآن العربي (الاحقاف ١٠). فلا عجب اذا جاء اعجاز القرآن في نظمه على مثال اعجاز «المثل» الذي أمر ان يقتدي به (الانعام ٩٠).

وفي الاستشهادات التي نقلناها لاثبات صحة «نصرانية» الدعوة القرآنية اثباتات تظهر ان اسلوب القرآن في نظمه، من اسلوب الكتاب والانجيل، خصوصاً في «المثل» الذي «جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (٤٣ : ٢٥)؛ فهو «كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير» (١١ : ١).

فاسلوب النظم في القرآن، هو أيضاً دليل على «نصرانية» الدعوة القرآنية.

●

فتلك عشرة اساليب في الدعوة القرآنية تتناول القرآن من جوانبه كلها. وهي، كما اتضح لنا، أساليب «نصرانيته».

وهكذا فإن اعتماد القرآن المطرّد لها، برهان ساطع، بنصه القاطع، في واقع الحال، على «نصرانيته» في اساليبه.

* * *

---

(١) لاحظ ايضاً النظم الفني في الانجيل، بتكرار التصريع نفسه في خاتمة المقطع الثاني.

بحث رابع

« نصرانية » القرآن في صيغ الايمان

نقدر ان نوجز **ايمان القرآن** بثلاث آيات منه : انه يشرع للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣) ، هذه دعوته العامة ؛ ودعوته الخاصة « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) فينتصر للنصارى منهم في الايمان بالمسيح على اليهود (الصف ١٤) ؛ وذلك بفرض الاسلام على الجزيرة حتى « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، وهذا الاسلام هو الذي يشهد به مع الله وملائكته «أولوا العلم قائماً بالقسط ... ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨). فالقرآن يشرع للعرب الاسلام « النصراني».

وصيغ الايمان ، في القران ، تـــدل كلها على « نصرانيته » : صيغة الايمان بالتوحيد ؛ صيغة الايمان بالله واليوم الآخر ؛ صيغة الايمان بالاسلام ؛ صيغة الايمان بالمسيح ؛ صيغة الايمان بالنبوة ؛ صيغة الايمان بالكتاب ؛ صيغة الايمان بالانجيل ؛ صيغة الايمان بالقرآن ؛ صيغة الايمان بمحمد ؛ وختام « النبوة والكتاب » . فصيغ الايمان ، في القرآن ، من « أهل العلم والايمان » .

اولاً : صيغة الايمان بالتوحيد

يتوهم بعضهم ان القرآن يشرع للعرب **توحيداً مستقلاً** ؛ كلاّ ، بل لسان حاله ومقاله انه يشرع لهم **التوحيد الكتابي** : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى: ان أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ! كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » (الشورى ١٣). دين ابراهيم ونوح في التوراة ؛ فهو يشرع لهم **دين موسى وعيسى دينا واحداً** ، وهذه

هي « النصرانية » عينها . فصيغة الايمان بالتوحيد ، في القرآن ، هي **التوحيد « النصراني »** .

وتصاريحه كلها تدل على ذلك : « هـــذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (الانبياء ٣٤) . وهو لا ينتسب الى أهل الكتاب جملة ، بل على التخصيص ، الى « المسلمين » من قبله (النمل ٩٠) الذين اذا تلي عليهم القرآن « قالوا : آمنا به ، انه الحق من ربنا : إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣).

وميزة التوحيد القرآني انه باسم **الرحمان الرحيم** : « والهكم اله واحد ، لا إله إلا هو ، الرحمان الرحيم » (البقرة ١٦٣) . ونعرف من (الاتقان ١ : ١٣٨ — ١٤١) ان اسم « الرحمان » من العبرية ، بطريق السريانية ، لغة بني اسرائيل على عهده . وفي اليمن كانوا يقولون: «باسم الرحمان ومسيحه» . وتوحيد القرآن هو باسم الرحمان ومسيحه .

وميزة التوحيد القرآني أيضاً أنه باسم **الحي القيوم** : « الله ، لا إله إلا هو ، الحي القيوم » (آل عمران ٢) اي الحي الذي لا ينام ، من اللغة الرومية ، عن طريق السريانية — بحسب (الاتقان) نفسه — وحرف « القيوم » سرياني أكثر مما هو عربي . فصفة اله التوحيد تأتي في القرآن بصيغة « نصرانية » .

وحملته على الشرك حمـــلة « نصرانية » : كان اليهود يتعبدون للملائكة ، فتحول العرب من شركهم الوثني الى هذا الشرك في التوحيد : « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً — سبحانه ، بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون » (الانبياء ٢٦ — ٢٧) . فليس الملائكة بنات الله كما يظنون، فيتكهم بهم : « فاستفتهم : ألربك البنات ولهم البنون ؟ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ! ... أم لكم سلطـــان مبين : **فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين** » (الصافات ١٤٩ — ١٥٧) . فسلطان محمد المبين هو الكتاب المقدس ، وليس فيه ان الله اتخذ الملائكة بنات أو بنين له، بل «عباد مكرمون» ... «هذا ذكر من معي وذكر من قبلي» (الانبياء ٢٦ و ٢٤) . ويحرض على التوحيد بقوله :

« فاجتنبوا الرجس من الاوثان ، واجتنبوا قول الزور (اتخذ الرحمان ولداً) ، حنفاء لله ، غير مشركين به ... فإلهكم اله واحد ، فله اسلموا : وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون » (الحج ٣٠ — ٣٥) . فهو يطلب اليهم ان يكونوا «حنفاء لله» ، وهو لقب « النصارى » عند معيريهم من المسيحيين ؛ ويأمرهم « فله أسلموا» ونعلم انها شهادة النصارى أولي العلم المقسطين (آل عمران ١٨) الذين بسببها يتعرضون للاضطهاد والقتل من قبل اليهود قاتلي الانبياء (آل عمران ٢١) وينفقون من أموالهم في سبيل الدعوة القرآنية لانها دعوتهم .

فالتوحيد الكتابي الحق ، بحسب القرآن ، هو التوحيد « النصراني » ، اي الايمان بدين موسى وعيسى ديناً واحداً . فصيغة الايمان ، بالتوحيد ، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

ثانيا : صيغة الايمان بالله واليوم الآخر

٣ — إن **الايمان باليوم الآخر** لم تكن دعوة يهودية ولا توراتية ؛ انما هي دعوة الانجيل . وهذا فاصل أول في ايمان القرآن . لكن هذا الايمان باليوم الآخر جاء بصيغة « نصرانية » ، لا مسيحية . إن النصارى مـــن بني اسرائيل كانوا يقولون « بقيامة اولى » الى « جنة أولى » ، جنة عدن ، كما في (اسراء اشعيا) المنحول ، وفي (اسراء بطرس) المنحول ، حيث القيامة الى جنة عدن تأتي بالصفة القرآنية : « مثل الجنة التي وعد بها المتقون : فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم » (محمد ١٥) ؛ حيث « ان المتقين في مقام أمين ، في جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحـــور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين »

(الدخان ٥١ – ٥٢) ؛ لان « الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار » (الزمر ٢٠) .

ونعرف ان هذه الاوصاف القرآنية «نصرانية» من الاسم المتواتر فيها: **إنها «جنات عدن يدخلونها»** (١٣: ٢٥؛ ١٦ : ٣١)، «لهم جنات عدن» (١٨: ٣١)، «طيبة في جنات عدن» (٩: ٧٣ ؛ ٦١ : ١٢ ؛ ٣٥ : ٣٣) ، « جنات عدن تجري من تحتها الانهار» (٢٠ : ٧٦ ؛ ٩٨ : ٨) ، وأدخلهم جنات عدن» (٤٠ : ٨) ، « جنات عدن مفتحة » (٣٨: ٥٠) «جنات عدن التي وعد الرحمان عباده بالغيب» (١٩ : ٦١) — فليست هي بعد فردوس الله . ونعرف ذلك من اللذات الحسية التي يتمتعون بها : فقد نقل عنهم بابياس منذ القرن الثاني « ذكَرَ لذات الطعام في يوم القيامة »[1] . ونعرف ذلك ايضاً من لذات الزواج في جنات عدن ، فينقل مؤرخ الكنيسة[2] عن لسان أحد النصارى : « يقول : بعد القيامة يكون ملك المسيح أرضياً ، والجسد الذي يعيش من جديد ، في اورشليم الجديدة ، سيكون أسير الاهواء واللذات . ويقول ، خلافاً لكتب الله ، انه سيكون مدة الف سنة عيـــد في عرس دائم » . وفي (اسراء أخنوخ الاول ١٠ : ١٧) « يظل الصديقون أحياء حتى يلد واحدهم ألف ولد » ! وهذا هو حكم العلامة جيروم[3] فيهم : «ان اليهود والابيونيين، النصارى المتهودين ، يفهمون بالمعنى الحرفي كل لذات الالف سنة » .

وهذه النظرة الحرفية للذات الحسية في جنات عدن اخذها النصارى من بني اسرائيل عن بني قومهم اليهود . ففي تفسير ملكوت شمعوني على التكوين (ف ٢٠) ينسبون الى يشوع بن لاوي وصف جنات عدن : « جنة عدن لها بابان من زمردتين ، يقف حول كل منها ستون ألف ملاك . وعندما يصل صديق

---

(١) قابل Daniélou : Judéo - christianisme p 346

(٢) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك٣ ف ٢٨ ع ٢ .

(٣) في تفسير إرميا ك ٦٢ ص ٢٠ مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٤ ص ٨٢٣ .

يقولون له : اذهب وتناول طعامك ببهجة . ويدخلونه الى مكان تجري من تحته الانهار ، وعلى جانبيها ثمان مئة نوع من الورود والياسمين . وكل واحد يستقل بغرفة بحسب منزلته . ومن كل غرفة تجري **أربعة انهار : نهر من لبن ، ونهر من خمر ، ونهر من عطر ، ونهر من عسل** . وستون ملاكاً في خدمة كل صديق ... » .

فأوصاف القرآن للجنة في اليوم الآخر أوصاف « نصرانية » .

٢ — **وصيغة الايمان بالله** نجدها في سورة الاخلاص : « قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلدْ ولم يُولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

نعرف ان الشعار « هو الله أحد » مأخوذ بحرفه عن التوراة (سفر التثنية ٦ : ٤) وعن الانجيل (مرقس ١٢ : ٢٩) . وقوله « هو الله » الذي يحارون في اعرابه انما هو ترجمة حرفية لاسم الجـــلالة في العبرانية : « يهوه » . وان « يهوه أحد » كان شهادة التوحيد ، وفاتحة الصلاة عند بني اسرائيل ، والنصارى من بني اسرائيل . ونرى أيضاً في قوله « الله الصمد » نقلاً حرفياً للعبرية « يهوه صبئوت » . والحرفية في النقل ظاهرة على تنكير « أحد » وعلى تعريف « الصمد » . فصيغة الايمان بالله في القرآن « نصرانية » بحرفها .

وبسبب هذه الشهادة التوراتية في التوحيد ، التي نقلها الانجيل ايضاً ، وقف عندها النصارى مـــن بني اسرائيل ، وفهموا التثليث الانجيلي على ضوئها ، فأنكروا كل بنوة من الله لاستحالة الولادة عليه تعالى : « لم يلدْ ولم يولد » ؛ ولاستنكار التبني نفسه عليه تعالى : « ما كان لله ان يتّخذ من ولد ، سبحانه ! اذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن ! فيكون » (مريم ٣٥) ؛ « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً ! — لقد جئتم شيئاً إدّا ، تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشقّ الارض وتخرّ الجبال هداً ، أن دعوا للرحمان ولداً » (مريم ٨٨ — ٩١) .

والنصارى من بني اسرائيل ، وان قالوا ان المسيح « كلمته القاها الى مريم وروح منه » ، فهم يفهمون التعبيرين المترادفين على انهما يجعلان المسيح أحد

الملائكة المقربين ، فيقولون : « ملاك كلمة الله » . ويقولون في الروح القدس انه « ملاك الروح القدس » وانه جبريل .

فصيغة الايمان بالله الواحد الاحد « نصرانية » بحرفها ومعناها .

وصيغة الجمع في الايمان « بالله واليوم الآخر » شعار «نصراني» رفعه النصارى من بني اسرائيل في وجه اليهود من بني قومهم . ورفعوه تجاه المسيحيين للتركيز على التوحيد من دون التثليث .

فصيغة الايمان بالله واليوم الآخر ، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

ثالثاً : صيغة الايمان بالاسلام

انها صيغة «نصرانية» بنص القرآن القاطع : « شهد الله ان لا إله إلا هو ، والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط — لا إله إلا هو العزيز الحكيم — **ان الدين عند الله الاسلام** » (آل عمران ١٨ — ١٩) . فالذين يشهدون مع الله وملائكته بذلك هم « أولوا العلم قائماً بالقسط » اي النصارى من بني اسرائيل ، بحسب اصطلاحه المتواتر ، كما بينا مراراً . فصيغة الايمان بالاسلام « نصرانية » .

يشهد بذلك ان المسلمين موجودون من قبل محمد وقد أمر بالانضمام اليهم والدعوة معهم للاسلام النصراني : « وامرت ان اكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » (النمل ٩٠) .

وبهذا الاسلام النصراني يستعلي القرآن على اليهود : « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً — او نصارى — تلك امانيهم ! قلْ : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ! بلى ، **من اسلم وجهه بالله ، وهو محسن** ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة ١١١ — ١١٢) . ان سورة البقرة جدال متواصل مع اليهود ، ولا دخل فيه للمسيحيين على الاطلاق . لذلك اذا اعتبرنا كلمة « نصارى » بمعنى المسيحيين ، فهي مقحمة على النص بلا مسوّغ من

النصّ نفسه؛ واذا اعتبرناها بمعنى النصارى من بني اسرائيل فهي تتعارض مع الآية (١١٢). فهو يجيب اليهود بأن الجنة «لمن اسلم وجهه لله، وهو محسن» وهذا التعبير «وهو محسن» اصطلاح متواتر فيه كناية عن النصارى من بني اسرائيل. فهو يقسم بني اسرائيل الى يهود ظالمين ونصارى محسنين: «وباركنا عليه (ابراهيم) وعلى اسحاق؛ **ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين**» (الصافات ١١٣). فإذا قابلناها بقوله: «فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة» (الصف ١٤)، وبقوله: «ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٧)، ثبت لنا ان «المحسنين» على التخصيص كناية عن النصارى من بني اسرائيل الذين يستشهد بهم على صحة الدعوة القرآنية (الشعراء ١٩٧؛ الاحقاف ١٠). **فالمسلم المحسن، في اصطلاح القرآن، هو «النصراني»**.

وبهذا الشعار عينه يردّ على جماعته وعلى اهل الكتاب عامة: «ومن احسن ديناً ممن **اسلم وجهه لله وهو محسن**، واتبع ملة ابراهيم حنيفاً، واتخذ الله ابراهيم خليلًا» (آل عمران ١٢٥). نعرف ان لقب «حنفاء» اطلقه المسيحيون على النصارى من بني اسرائيل. وهنا لدينا البرهان القرآني، فهو يرادف بين «ملة ابراهيم حنيفاً»، وبين «من اسلم وجهه لله وهو محسن». فالاسلام المحسن الحنيف هو الاسلام «النصراني».

يؤيد ذلك ايضاً قوله: «ان الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون» (النحل ١٢٨) ليس التعبيران لغة، بل اصطلاحاً، كناية عن جماعة محمد «الذين اتقوا» من العرب، وعن جماعة النصارى المحسنين. وهو مثل قوله: «يرفع الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات» (المجادلة ١١). لذلك فهو يطلق صفة «المحسنين» على «المتقين» من العرب، لاتباعهم في حسنى الاسلام: «ان المتقين في جنات وعيون، آخذين ما آتاهم ربهم، انهم كانوا قبل ذلك محسنين» (الذاريات ١٦).

يؤيد ذلك ايضاً مرادفته في أصل القرآن بين قوله : « وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً ، لينذر الذين ظلموا ، **وبشرى للمحسنين** » (الاحقاف ١٣) فهو انذار لليهود الظالمين ، وبشرى للنصارى المحسنين ؛ وبين قوله : « نزّله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبت الذين آمنوا ، **وهدى وبشرى للمسلمين** » (النحل ١٠٢) ، فهو تثبيت لجماعة محمد ، و « هدى وبشرى للمسلمين » اي توراة وانجيل للمسلمين ، النصارى من بني اسرائيل . فالاسلام المحسن هو اسلام النصارى المقسطين ، المحسنين ، المسلمين ، من بني اسرائيل ، **ومن** « تنصر » **معهم من** العرب . لذلك فهو يقرّر : « **ومن يسلم وجهه لله وهو محسن** ، فقد استمسك بالعروة الوثقى » (لقمان ٢٢) .

فصيغة الايمان بالاسلام ، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

رابعا : صيغة الايمان بالمسيح

في جدال وفد نجران حدّد القرآن صيغة الايمان بالمسيح . **اولاً** في قصص آل عمران (٣٣ — ٦٤) الذي « نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (٥٨) ، فهو يتلوه من انجيل النصارى . ففي البشارة به « قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين » (٤٦) . فتعريف المسيح انه ابن مريم ، « ومن المقربين » ايضاً اي الملائكة . لذلك كان تعليمه « رسولاً الى بني اسرائيل ... **ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم** » (٥١) . فالمسيح ، وان كان « من المقربين » فهو عبد لا رب .

وحدّده **ثانيا** في التعريف بالمسيح : « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق : انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ — ١٧١) . اجل ان المسيح « كلمته وروح منه »

تعالى ، لكنه عبد مثل « الملائكة المقربين » . انه « من المقربين » (آل عمران ٤٦)، لذلك كان النصارى من بني اسرائيل يقولون : « ملاك كلمة الله » . فتعريف القرآن بالمسيح « نصراني » لفظاً ومعنى .

وحدّده **ثالثاً** بالتعليق القرآني على جدال وفد نجران: «لقد كفر الذين قالوا: ... إن الله هو المسيح ابن مريم! وقال المسيح: **يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم**. ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وامه صديقة ، كانا يأكلان الطعام » (المائدة ٧٥ و ٧٨) . فهو يقول دائماً بخلق المسيح ، في كونه « كلمته وروح منه »، بناء على اعلان المسيح لبني اسرائيل : « إن الله ربي وربكم » (آل عمران ٥١ ؛ المائدة ٧٥) ؛ وبناءً على كونه « من المقربين » ، « الملائكة المقربين » (آل عمران ٤٦ ؛ النساء ١٧١). وهذه هي الازدواجية « النصرانية» ، القرآنية، في شخصية السيد المسيح .

جاء في مجلة (لواء الاسلام)[١] : «روى الشيخان عن عبادة بن الصامت ر قال : (قال رسول الله ص : من شهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ؛ وان عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته القاها الى مريم وروح منه ؛ والجنة حق ، والنار حق ؛ ادخله الله الجنة ، على ما كان عليه من عمل) . كل كائن قد نشأ بكلمته تعالى وأمره التكويني . لكن نشأة عيسى كانت بمجرد هذه (الكلمة) من غير واسطة الاسباب المألوفة : فهو بشر عجيب الشأن في التكوين ، وآية من آيات القدرة العليا التي هي فوق تلك النواميس . والاخبار عن عيسى عليه السلام بأنه (روح) مع انه مركب ككل انسان من روح وجسم ، **ذلك لان روحانيته عليه الاسلام كانت غالبة على جثمانيته** ، فكأنه روح بحت . ونفخ الروح في عيسى كان بيد التكوين الالهية الصرفة ، فلم يسبق بالمقدمات البشرية ، كما في عامة الناس» .

---

(١) لواء الاسلام صفر ١٣٨٠ الموافق يوليه ١٩٦٠ ص ٣٤٦ — ٢٤٧ .

هذا الحديث الصحيح ، برواية الشيخين ، صورة للقرآن . فالقرآن والحديث يطلبان **ايمانا واحداً بالمسيح ومحمد** ، ولا يدخل الجنة إلا صاحب هذا الايمان . ويزيدان فضل المسيح عـــلى محمد كون المسيح « كلمته وروحاً منه » ، اي كما يفسرون « ذلك لان روحانيته عليه السلام كانت غالبة على جثمانيته » . وهذا الايمان الواحد بالمسيح « كلمته وروح منه » برهان عـــلى « نصرانية » الدعوة القرآنية .

لكن تعليق الجلالة — بحسب التعبير المتواتر عندهم — على كون المسيح « كلمة الله » بأنه مثل « كل كائن قد نشأ بكلمته تعالى وأمره التكويني » ، هو من تهافت التهافت : ليس المسيح « كلمة الله » لانه نشأ بكلمة الله الخلاقة التكوينية ، إنما هو « كلمة الله » لانه « روح منه » ، فاللقبان مترادفان ، وهذا الترادف يجعل « كلمة الله » **ذاتا ، لا أمراً تكوينياً** : فهو ذات نطقية ، روحية ، منه تعالى ، يصدر « روحاً منه » كما يصدر النطق الذاتي عـــن الذات نفسها . وليس كما يفهمون « لان روحانيته عليه السلام كانت غالبة على جثمانيته » فكأنه روح بحت » . إنه « روح بحت » بصفة كونه نطق الله الذاتي ، كلامه النفساني ، « كلمة الله » ، قبل ان يلقى الى مريم ، وبعد ان القاه الله الى مريم ، في « روح وجسم » ككل إنسان .

فالخلاف ، كل الخلاف ، في شخصية السيد المسيح ، كان بين شيعة النصارى وسنّة المسيحيين ، على تفسير معنى « **كلمته وروح منه** » . والتفسير « النصراني » بأنه « من المقربين » من « الملائكة المقربين » — فهو عبد ، لا رب — جاء صيغة الايمان بالمسيح ، في القرآن .

فصيغة الايمان بالمسيح في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

خامسا : صيغة الايمان بالنبوة

سر المسيح في « النصرانية » انه النبي الاعظم الموعود في آخر الازمان ؛ وبه

يتم ختام « النبوة والكتاب » . لذلك توارت عندهم رسالة الفداء باستشهاده ، تجاه رسالة النبوة العظمى . هذا هو موضوع الكتاب « النصراني » المنحول : (بلاغات بطرس)[1].

بحسب هذا الكتاب « النصراني »، ان المسيح هــو «**النبي الحق**»؛ وهذا « النبي الحق » ظهر على فترات متواترة منذ آدم ، **أول صورة « للنبي الحق »**. لذلك كان النصارى من بني اسرائيل، في مقاومتهم لبولس الرسول « المرتد » ينكرون الخطيئة الاصلية في آدم، بسبب عصمة النبوة . في هــذا الواقع ، الناحية الاولى من « نصرانية » النبوة في القرآن : « وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (طه ١٢١ – ١٢٢)، « فتلقى آدم من ربه كلمات، فتاب عليه، انه هو التوّاب الرحيم » (البقرة ٣٧). وقصة سجود الملائكة لآدم (٢ : ٣٤ ؛ ٧ : ١٠ ؛ ١٧ : ٦١ ؛ ١٨ : ٥١ ؛ ٢٠ : ١١٦) برهان على انه التجسيد الاول « للنبي الحق » . وفي القرآن تبدأ سلسلة النبوة بآدم : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، ذريةً بعضها من بعض، والله سميع عليم » (آل عمــران ٣٣ – ٣٤). لكن ورثة الذرية المصطفاة على العالمين هم النصارى من بني اسرائيل : « اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين : من ذرية آدم، وممــن حملنا مع نوح ، ومن ذرية ابراهيم واسرائيل، وممن هدينا واجتبينا، اذا تتلى عليهم آيات الرحمان خرّوا سجداً وبكياً » (مريم ٥٨ قابل آل عمران ١١٣).

وميثاق الله للنبيين بالايمان « بالكتاب والحكمة » ومن يدعو لها، هو صورة ثانية « لنصرانية » النبوة في القرآن : واذ أخذ الله ميثاق النبيين : لما أتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم، لتؤمنن به، ولتنصرنه» (آل عمران ٨١). و «الكتاب والحكمة»، هما التوراة والانجيل، في اصطلاحه.

---

(١) Cullmann: Christologie du nouveau Testament p. 42 et 127

فمحور ميثاق النبوة هو الايمان بالتوراة والانجيل ، كما يدعو اليها النبي العربي ، وصحة نبوته في هذه الدعوة اليها. وهذه هي « نصرانية » القرآن في النبوة .

وحصر « النبوة والكتاب » في بني اسرائيل ، صورة ثالثة « لنصرانية » النبوة في القـــرآن : « ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب» (العنكبوت ٢٧). فالنبي العربي ينتسب الى «النبوة والكتـــاب» في بني اسرائيل : «وأورثنا بني اسرائيل الكتاب » (٤٠ : ٥٣) ، لكن الى المهتدين منهم ، لا الى الفاسقين ؛ اي الى الذين يؤمنون بالتوراة والانجيل ، النصارى من بني أسرائيل (الحديد ٢٦ — ٢٧) .

وانتهاء النبوة بالمسيح، صورة رابعة « لنصرانية » النبوة في القرآن : «ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧) . فقد « قفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم » (المائدة ٤٩)، لكن لم يقفّ على عيسى بأحد ، بحرف « التقفية ». وهذه التقفية استقرت في المهتدين من أهل الانجيل ، لا في الفاسقين منهم ، اي استقرت في النصارى من بني اسرائيل (الحديد ٢٧) .

وتلك التقفية التي تنتهي بالمسيح في « النبوة والكتاب » تجعله النبي الاعظم الموعود، كما في انجيل النصارى حيث روح القدس الذي يؤيده يقول له في عماده: « يا بني ، في كل الانبياء انتظرت ظهورك حتى استقر فيك ، فأنت ابني البكر المالك الى الابد » . وقول القرآن « ايدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و ٢٥٣) هو قول انجيل النصارى : « كل ينبوع الروح القدس ينزل ويحل عليه » .

وما النبوة في القرآن إلا من النبوة في الكتاب: «إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » (النساء ١٦٢) ، لكن على طريقة « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... فبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠) اي النصارى من بني اسرائيل .

فصيغة الايمان بالنبوة ، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

سادساً : صيغة الايمان بالكتاب

اليهود «يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض» (البقرة ٨٥)؛ والمسيحيون يؤمنون «بالكتاب كله»، لكنهم يقيمون أحكام الانجيل من دون التوراة. أما النصارى من بني اسرائيل ومن «تنصّر» معهم من العرب، مثل ورقة بن نوفل، كانوا يؤمنون بالكتاب كله، ويقيمون احكام التوراة والانجيل معاً.

وهذه هي صيغة الايمان بالكتاب، في القرآن، يصرّح لجماعته: «وتؤمنون بالكتاب كله» (آل عمران ١١٩)؛ ويعلن لاهل الكتاب كلهم المبدأ النصراني بضرورة إقامة التوراة والانجيل: «قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم» (المائدة ٧١). فهو لا يشرع لهم أحكام القرآن، انما يدعوهم بالدعوة «النصرانية» الى إقامة التوراة والانجيل.

ويشرع للعرب دين الكتاب، دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً (الشورى ١٣) اي «ما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (البقرة ١٣٦ و ٢٨٥). هذا هو الاسلام الذي لا يرضى الله عنه بديلاً (آل عمران ٨٥).

والنبي العربي انما جاء لكي «يعلمهم الكتاب والحكمة» (٢ : ١٢٩؛ ٣ : ١٦٤؛ ٦٢ : ٢)، «ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» (البقرة ١٥١).

لذلك فهو يسمي التوراة والانجيل «كتاب الله» (٢ : ١٠١؛ ٣ : ٢٣؛ ٥ : ٤٧؛ ٨ : ٧٥؛ ٩ : ٣٧؛ ٣٠ : ٥٦؛ ٣٣ : ٦؛ ٣٥ : ٣٩). وما القرآن العربي سوى «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٧) اي قرآن مبين لآيات الكتاب: «تلك آيات الكتاب وقرآن مبين» (الحجر ١؛ قابل ١٠ : ١؛ ١٢ : ١؛ ١٣ : ١؛ ٢٦ : ٢؛ ٢٨ : ٢؛ ٣١ : ٢). ويقسم بالكتاب أنه أنزله اي جعله قرآناً عربياً:

« والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة » (الدخان ٢ — ٣) ؛ « والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآناً عربياً ، لعلكم تعقلون » (الزخرف ٢ — ٣) .

وهذا الايمان بالكتاب يأتي عـــلى هدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠) اي على هدى النصارى من بني اسرائيل .

فصيغة الايمان بالكتاب ، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

سابعاً : صيغة الايمان بالانجيل

هذه الصيغة هي التي تجعل صيغ الايمان كلها في القرآن « نصرانية » .

لقد رأينا ان النصارى من بني اسرائيل ما كانوا يقبلون إلا الانجيل الوحيد المكتوب بالحرف العبراني . وهذا الانجيل هو الذي كان يترجمه قس مكة ، ورقة بن نوفل ، الى العربية ، بحسب الحديث الصحيح عن عائشة ، عند الشيخين ؛ وذلك على مشهد ومحضر من محمد . والقرآن لا يعرف إلا الانجيل على حرف واحد ، فيذكره دائماً مفرداً ، وعلى العلمية . **فهو لا يعرف إلا انجيل «النصارى»**.

عند المسيحيين نسخ الانجيل شريعة التوراة ؛ أما عند النصارى فالانجيل تصديق للتوراة ، وتخفيف لاحكامها . وهذا هو موقف القرآن منه : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ، مصدّقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه مـــن التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » (المائدة ٤٦) ؛ فالانجيل ، بصفة كونه مصدقاً لما قبله من التوراة ، هو « هدى وموعظة للمتقين » من العرب ، اي على الطريقة « النصرانية » .

وذلك كله لان الانجيل بالنسبة لكتاب موسى الامام **كان الحكمة** : « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه » (الزخرف ٦٣) . وهكذا تواتر التعبير عـــن التوراة والانجيل أنهما

« الكتاب والحكمة » (آل عمران ٤٨ ؛ المائدة ١١٣) ، « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » (النساء ١١٢) ، « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » (البقرة ٢٣١) . ومحمد بالقرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة »، «يعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٢: ١٢٩ و١٥١؛ ٣: ١٦٤؛ ٦٢: ٢).

وكان الانجيل ايضاً الحكمة – وبالعبرية والارامية : الحكم – بالنسبة للكتاب والنبوة . والمسيح قد آتاه « الله الكتاب والحكم والنبوة » (آل عمران ٧٩) . وأهل « الكتاب والحكم والنبوة » هم النصارى الذين على محمد ان يقتدي بهم (الانعام ٩٠) ، فقد جعله الله « على شريعة من الامر » اي أمر الدين ، التي جعل عليها « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، من بني اسرائيل الذين آتيناهم « الكتاب والحكم والنبوة » (الجاثية ١٥ – ١٧) . واحتفاظ القرآن بالحرف النصراني للحكمة – «الحكم» – برهان آخر على صيغة ايمانه بالانجيل ؛ واحتفاظه بالاصطلاح الجامع للكتاب كله ، برهان آخر .

فصيغة الايمان بالانجيل ، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

ثامناً : صيغة الايمان بالقرآن

نجدها جامعة مانعة في قوله : « قل : ارأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ... ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً ، لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » (الاحقاف ١٠ و ١٢) . فالقرآن من عند الله لانه « كتاب مصدّق » للكتاب الامام ، **على صورة « المثل »** الذي يشهد به الشاهد من بني اسرائيل النصارى ، ولا يختلف عنه إلا باللسان العربي . وكما كان « المثل » النصراني ، جاء القرآن العربي انذاراً لليهود الظالمين ، وبشرى للنصارى المحسنين . فالقرآن في ذاته ، وفي مصدره ، وفي غايته « **تأييد** » للطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، على الطائفة التي كفرت به (الصف ١٤) ، في الدين الذي يشرعه للعرب

(الشورى ١١٣) وفي الاسلام الذي يشهد به ، على شهادة النصارى ، «أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) .

فما القرآن سوى « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) على مثال « المثل » النصراني ؛ فهو « بيّنة ما في الصحف الاولى » ، « وانه لفي زبر الاولين : أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » ، النصارى (الشعراء ١٩٧) . فالقرآن دعوة « نصرانية » ، « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » ! (٢ : ١٤٦ ؛ ٦ : ٢٠) .

فصيغة الايمان بالقرآن صيغة « نصرانية » .

تاسعا : صيغة الايمان بالنبي العربي

يطلق القرآن على محمد صفة النبي ، وصفة الرسول ، ولا يميز بينهما كما فعل بعض المتكلمين ، ولكن بمعنى نذير ، كما يدل عليه **الاقتصار والاختصاص في** قوله : « ان أنا إلا نذير مبين » (٧ : ١٨٣) ؛ « إن أنا إلا نذير وبشير » (٧ : ١٨٧) ؛ « انما انت نذير » (١١ : ١٢) ، « إنما أنا لكم نذير مبين » (٢٢ : ٤٩) ؛ « إن أنا إلا نذير مبين » (٢٦ : ١١٥) ؛ « وانما أنا نذير مبين » (٢٩ : ٥٠ ؛ ٣٨ : ٧٠ ؛ ٦٧ : ٢٦) ؛ « إن هو الا نذير لكم » (٣٤ : ٤٦ ؛ ١١) « إنْ انت الا نذير » (٣٥ : ٢٣) ؛ « وما انا الا نذير مبين » (٤٦ : ٩) .

يؤيد ذلك قوله : « أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » (٢ : ١١٩ ؛ ٣٥ : ٢٤) ، « شاهداً ومبشراً ونذيراً » (٣٣ : ٤٥ ؛ ٤٨ : ٨) – اي « وما ارسلناك إلا مبشراً ونذيراً » (١٧ : ١٠٥ ؛ ٢٥ : ٥٦) . فما هو « الا نذير من النذر الاولى » (٥٣ : ٦٥) ، « **وإن من امة إلا خلا فيها نذير** » (٣٥ : ٢٤) .

وتفسرّه الصفة المتواترة لنبوته : « **صدّق المرسلين** » (٣٧ : ٣٧) ، فكان القرآن نفسه « تصديق الذي بين يديه » اي قبله (١٠ : ٣٧ ؛ ١٢ : ١١١) ، « مصدقاً لما معكم » (٢ : ٤١ ؛ ٤ : ٤٦) ، « مصدقاً لما معهم » (٢ : ٩١) ،

« مصدّق لما بين يديه » ٢ : ٩٧؛ ٣ : ٣ ؛ ٥ : ٤٩ و ٥١ ؛ ٣٥ : ٣١؛ ٤٦ : ٣٠) ؛ فهو « مصدّق لما معهم » (٢ : ٨٩ و ١٠١) ، « مصدّق لما معكم » (٣ : ٨١) « مصدق الذي بين يديه » (٦ : ٩٢). فهو « كتاب مصدق » (٤٦ : ١٢) لا يختلف عن « المثل » النصراني الا باللسان العربي (٤٦ : ١٠ و ١٢).

فالنبي العربي يؤمن بنفسه كما يؤمن به النصارى من بني اسرائيل : « أفمن كان على بيّنة من ربه — ويتلوه شاهد منه ، ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة — أولئك يؤمنون به ؛ ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده ، **فلا تك في مرية منه** » (هود ١٧) . يتلو على محمد قرآن الكتاب « شاهد منه » ، هو نفسه « شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) : فالنصارى من بني اسرائيل « الذين على بينة مـــن ربهم يؤمنون به » بخلاف احزاب اليهود والمشركين الذين يكفرون بمحمد والقرآن. وبسبب شهادة أهل البينة ، النصارى ، فما على محمد ان يكون في « مرية منه » اي من القرآن ، وما عليه ان يكون « في مرية من لقائه » (٣٢ — ٢٣) اي من لقاء الكتاب ، بواسطة ذلك « المثل » الذي يتلونه عليه . لذلك فالقول الفصل : « قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) .

« من عنده علم الكتاب » الذين يكتفي بشهادتهم ، وشهادتهم له وللقرآن وللاسلام من شهادة الله (آل عمـــران ١٨) ، الذين عليه ان يقتدي بهداهم (الانعام ٩٠) هم الامة المثالية من أهل الكتاب ، « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران ١١٣) ، « عباد الرحمان ... يبيتون الى ربهم سجداً وقياماً ... (ويقولون) واجعلنا للمتقين إماماً » (الفرقان ٧٤) ؛ كما هم إمام لمحمد نفسه : « فلا تكن في مرية من لقائه ، وجعلناه هـــدى لبني اسرائيل ، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة ٢٣ — ٣٤) وهم النصارى من بني اسرائيل : « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنو اسرائيل » (الشعراء ١٥٧) ، النصارى منهم ، لا اليهود ، « أول كافر به ».

فالنبي العربي يؤمن بنفسه ، ويؤمن بالقرآن ، بناء على **شهادة النصارى من** بني اسرائيل؛ ويشهد بشهادتهم « ان الدين عند الله الاسلام» (**آل عمران ١٨**).

فصيغة الايمان بالنبي العربي، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

عاشراً : صيغة الايمان بخاتمة النبوة والكتاب

في القرآن صفة يتيمة لا ثاني لها : محمد « **خاتم النبيين** » (**الاحزاب ٤٠**) . فسّروها بمعنى خاتمة الانبياء : ولا أصل لهذا المعنى في القرآن كله . انما المعنى المتواتر أنه «**خاتم**» **بمعنى** « **مصدّق** » ، كما رأينا .

والتعبير القرآني لمعنى الخاتمة **هو التقفية على الرسل لمن لا تقفية عليه** . وهذا المعنى لا يرد في القرآن إلا بالنسبة المسيح وحـــده ثلاث مرات : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧) ، « **وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم** » (المائدة ٤٩) ، « ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا **في ذريتهما النبوة والكتاب**، ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم **وآتيناه الانجيل** » (الحديد ٢٧). لقد قفّى الله على الرسل بعيسى ، وعـــلى النبوة والكتاب اللذين حصرهما ببني اسرائيل قفى بالانجيل . ولا يذكر القرآن **تقفية** على الانجيل ، ولا تقفية على المسيح .

ويؤيد ذلك ان فضل المسيح على المرسلين أجمعين هو **تفضيل الله له «بالبينات وتأييد روح القدس»** (البقرة ٨٧ و ٢٥٣) لا يفارقه ساعة ، ويسير معه حيث سار (الجلالان) ؛ فهو تأييد في السيرة والرسالة ، وعصمة في التنزيل والدعوة والسلوك ، واستيلاء الروح القدس على المسيح في أحواله واعماله وأقواله ، وهذا ما لا نرى له صورة لغيره ، في القرآن ، حتى لمحمد نفسه . ففي اصطلاح القرآن

ووصفه للمسيح والانجيل ، يجعل السيد المسيح بالانجيل خاتمة النبوة والكتاب. وما القرآن سوى « تفصيل الكتاب » على صورة « المثل » النصراني .

فصيغة الايمان بخاتمة النبوة والكتاب ، في القرآن ، صيغة « نصرانية » .

تلك صيغ عشر للايمان ، في محور تعليم القرآن .

وهو ينتمي فيها صريحاً الى « من عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) ، الى « علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) ، المقسطين منهم ، لا الظالمين ، اي النصارى من بني اسرائيل ، لا اليهود . فهم « أهل العلم والايمان » الذين تدوم شهادتهم الى يوم الدين (الروم ٥٦) ، « الراسخون في العلم » الذين يعتمد عليهم للايمان بمتشابه القرآن كما بمحكمه (آل عمران ٧) ، « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك » (النساء ١٦١) ؛ فالعلم والايمان واحد بين جماعة محمد والنصارى من بني اسرائيل ، الطائفة التي آمنت بالمسيح فنصرها القرآن على عدوهم اليهود (الصف ١٤) . لذلك « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) ، لان القرآن وأهله يشهدون بشهادتهم « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨) ؛ بل القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) ، فهم « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » ، معرفة الوالد لوليده (الانعام ٢٠ ؛ البقرة ١٤٦) ؛ وقد « شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) : فليس هو سوى « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) اي تعريب « المثل » النصراني .

بسبب هذا الانتماء المطلق ، ظهرت « نصرانية » القرآن في صيغ الايمان .

***

بحث خامس

« نصرانية » القرآن في عقيدته

لقد رأينا (ص ٤٦) ان « النصرانية » عند بني اسرائيل ، كانت بعد عهد الرسل الحواريين ردّة عن « حقيقة الانجيل » ، في تشيعها للتوحيد التوراتي وشريعته . فنتج عن ذلك في الكلام « النصراني » الكفر بالتثليث الانجيلي ؛ والكفر بإلهية المسيح ، وتجسد كلمة الله مسيحاً في عيسى ابن مريم ، والكفر بمعنى الفداء في استشهاده .

وهذه هي العقيدة « النصرانية » التي تفصلها الدعوة القرآنية .

وليس بين القرآن و « النصرانية » **مطابقة في العقيدة** فحسب ؛ انما القرآن ينتسب **انتسابا مطلقا** الى « النصرانية » في التوحيد المنزل بحرفه ومعناه ، سلباً: « لا إله إلا الله » ، وايجاباً : « قل : هو الله أحد » (الاخلاص ، قابل مرقس ١٢ : ٢٩ ، التثنية ٦ : ٤) : وفي الاسلام ، دين الله الاوحـــد الذي يشهد به القرآن بشهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨ و ٨٥) ؛ وفي الدعوة والجهاد الذين بها يؤيد القرآن الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، حتى ظهورها على اليهودية في الجزيرة (الصف ١٤) . فالقرآن هو الدعوة « النصرانية » عينها ، يقوم بها النبي العربي بصفة كونه « **اول المسلمين** » اي « **رئيس النصارى** » بمكة .

لذلك فالقرآن يقف في عقيدته ، مـــن اليهودية ومن المسيحية ، موقف « النصرانية » ذاته .

أولاً : عقيدة القرآن في « الروح »

ان عقيدة القرآن في « الروح » **متشابهة**، كما كانت في « النصرانية » طوال

عهد الفترة . لقد عبّرت « النصرانية » في العقيدة الانجيلية ، من تثليث وتجسد وتنزيل ، بلغة ملائكية ، لغة « الروح ». وفي ذلك حدودها وقيودها التي جعلتها شيعة ، بالنسبة الى السنة المسيحية في فرقها كلها .

يطلق القرآن اسم « روح » على الانسان والملاك والجن ، وعلى المسيح ، كلمة الله ، وعلى روح القدس اي جبريل في عرفه كما في عقيدة النصارى . فالله « روح » والملائكة « أرواح » ، لكن شتان ما بين «الروح» الخالق و «الروح» المخلوق . والارواح الملائكية لم تتجرّد من الجثمانية إلا في المسيحية التي وضعتها بالارواح « التي لا جسد لها » ، بينما ظلت « النصرانية » في كلامها على تراث اليهودية المشوب بالتشبيه .

١ — **فالانسان روح:** « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » (السجدة ٩) ؛ «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ... » (ص ٥١) . وروح الانسان لها مرادف، النفس : « خلقكم من نفس واحدة » (النساء ١ ؛ الاعراف ١٨٩ ؛ الزمر ٦ ؛ الانعام ٩٨) . ففي الانسان « روح » كما الملاك ، ولو « بدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » (السجدة ٧) . لذلك «كل نفس ذائقة الموت » (آل عمران ١٨٥) .

٢ — **والايمان بالملائكة** من أركان الاسلام (البقرة ١٧٧) . فهم أرواح مخلوقة ، حتى «الملائكة المقربون» منهم (النساء ١٧١) . فهم ليسوا أبناء الله ، او بنات الله ، بل « عباد مكرمـــون » (الانبياء ٢٦). وللملائكة، في نظر القرآن ، **جثمانية غامضة** ، فالله هو « جـــاعل الملائكة رسلًا **أولي أجنحة** ، مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء » (فاطر ١) . وهو يجسم الملائكة وعرش الله : «ويحمل عرش ربك من فوقهم يومئذٍ ثمانية» (الحاقة ١٧) ، « الذين يحملون العرش ، ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم » (غافر ٧) .

فللارواح الملائكية وظائف عند الله ووظائف في خلقه : «وهو القاهر فوق

عباده، ويرسل عليكم حفظة» (الانعام ٦١)؛ والانسان «له معقبات من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه من امر الله» (الرعد ١١)، «يتلقى المتلقيان، عن اليمين وعن الشمال قعيد» (ق ١٧)، ملاك للخير، وقرين للشر، «ان رسلنا يكتبون ما تمكرون» (يوسف ٢٠). ومن وظائفهم وفاة البشر، «الذين تتوفاهم الملائكة» (النحل ٢٨)، «حتى اذا جاءت رسلنا يتوفونهم» (الاعراف ٧)؛ ومنهم ملاك الموت: «قل: يتوفاكم ملاك الموت الذي وُكل بكم» (السجدة ١١). ومن وظائفهم حراسة جهنم: «عليها تسعة عشر! وما جعلنا اصحاب النار إلا ملائكة» (المدثر ٣٠). لكن وظيفتهم الخاصة تنزيل الوحي: «ينزّل الملائكة بالروح على من يشاء من عباده» (النحل ٢)، فهم رسل الله للبشر؛ «والله يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس» (الحج ٧٥). وهذا التعليم نجده في المصادر النصرانية[1].

٣ — وفي عالم الملائكة نجد «**الروح**». هو سيدهم في التنزيل: «ينزّل الملائكة، بالروح، على من يشاء من عباده» (النحل ٢)، كأن «الروح» منهم وليس منهم. ويتزعم الملائكة في يوم الدين، «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً» (النبأ ٣٨)، «تعرج الملائكة والروح في يوم ...» (المعارج ٤).

٤ — وهناك روح الله الذي بشر مريم، «فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً» (مريم ١٦). وروح الله الذي نفخه في مريم: «فنفخنا فيها من روحنا» (الانبياء ٩١)، «فنفخنا فيه من روحنا» (التحريم ١٢). وروح القدس الذي أيد به المسيح: «وأيدناه بروح القدس» (البقرة ٨٧ و ٢٥٣). وروح القدس الذي أنزل القرآن: «قل: نزّله روح القدس من ربك بالحق» (النمل ١٠٢). والمسيح نفسه هو «كلمته القاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠).

---

(١) قابل رسالة برنابا (١٨ : ١) هرمس : الراعي، فصل الاحكام (ك ٢ ف ٢ ع ٢—٥).

٥ — أخيراً هناك **الروح المطلق**: « ويسألونك عن الروح؟ قل: الروح من أمر ربي. وما اوتيتم من العلم إلا قليلا » (الاسراء ٨٥). فليس في القرآن إلا القليل من العلم « بالروح ». وهذا التشابه الذي يخيم على تعابير « الروح » في لغته واصطلاحه موروث عن « النصرانية » التي يدعو بها[1]. وهذا التشابه عينه هو اصل الخلاف بين النصرانية والمسيحية في العقائد المختلف فيها، وقد انتقل هذا التشابه عينه الى القرآن نفسه. وفي الحوار، في هذا الخلاف، علينا الا ننسى تقرير القرآن عن نفسه: «وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً»: « فاسألوا أهل الذكر، ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ».

فعقيدة « الروح » المتشابهة واحدة ما بين القرآن و « النصرانية ».

ثانيا: عقيدة القرآن في « كلمة الله »

ان تعبير « كلمة الله » كذات عبر من الهلنستية الى الغنوص الى الكلام الاسرائيلي. أما المعنى في « كلمة الله » كذات فهو من اصل كتابي، من **حكمة الله الخلاقة** في بدء التكوين، الى **حكمة الله** الخالقة والعاملة في الكون، والمنزلة والنازلة في الوحي الالهي.

لذلك فالتعبير كان شائعاً في كل الاوساط، في عصر المسيح، كما نجده عند معاصر المسيح، فيلون اليهودي الاسكندري، شيخ متكلميهم حينئذ.

والمسيح، وان لم يصف نفسه بهذا التعبير، فقد وجد تلاميذه وصحابته أنه أفضل وصف لسرّ شخصيته، فأخذوا يطلقونه عليه. وبسبب الانحرافات التي بدأت تتسرّب الى العقيدة في المسيح، « كلمة الله »، افتتح الانجيل بحسب يوحنا تعريف المسيح وصفته بقوله:

---

(١) قابل هرمس: الراعي: المتشابهات (٦: ٢ — ٥)؛ عهد لاوي (٣: ٥ — ٧)؛ اسراء بطرس (في مواطن مختلفة).

«في البدء كان الكلمة　　والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة　　فهو منذ البدء في الله»

وهذا اعلان صريح بإلهية المسيح، بصفة كونه «كلمة الله». والترجمة العربية والسامية للتعبير اليوناني تدخل عليه شبهة بين «كلمة الله» وكلام الله. أما الحرف اليوناني «لوغس» فيعني «**نطق الله» الذاتي**. فالمسيح في سره، قبل القائه الى مريم، هو نطق الله، من ذات الله، في ذات الله. بهذا التعريف قطع الانجيل كل انحراف في تأويل التعبير الكريم.

لكن النصارى من بني اسرائيل، المتمسكين بحرف التوحيد وظاهره، فهموا اللقب السامي على ضوء الكلام الفيلوني. إن «كلمة الله»، عند فيلون، هو «**أول خلق الله**»، و «**واسطة خلق الله**». فهو في ذاته «**ملاك كلمة الله**»[1]، «**أقدم الملائكة واول الملائكة**»[2]. وبهذا المعنى انتقل الى الكلام «النصراني».

جاء عند هرمس، في كتابه (الراعي ٨ : ٢) : «إن الله، لمّا أراد ان يخلق الملائكة المقربين، من نار، على عدد سبعة، قضى ان يجعل أحدهم ابنه». فالمسيح، بصفة كونه «ابن الله» هو أحد الملائكة السبعة المقربين، وبنوته لله مجازية، وغارقة في التشبيه: «من نار». فهو في كلامهم المتواتر: «**ملاك كلمة الله**» اي ان «أول الملائكة» اسمه «كلمة الله»: فهو «**روح منه**» تعالى.

وهذا ما يؤكده علماء المسيحية فيهم. يقول ترتليان[3] : «انهم يجعلون المسيح بشراً بحتاً، لكنه أعظم من الانبياء، من حيث فيه ملاك كما يقولون». وابيفان[4] يصرّح: «**ينكرون بأن الكلمة مولود من الآب**، لكنهم يقولون

---

(١) فيلون : كتاب «الارواح» ١ : ٢٣٩ .

(٢) فيلون : «في بلبلة الالسن» ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(٣) في جسد المسيح ك ١٤ ف ٥ .

(٤) الشامل في الهرطقات ك ٣٠ ف ١٦ .

بأنه خلق بين رؤساء الملائكة ، وهو يملك على الملائكة وعلى كل ما صنع القدير » ، فهو ميكال ، رئيس الملائكة .

وهذه هي عقيدة القرآن في المسيح « كلمة الله » .

ان القرآن يعرّف دائماً بالمسيح أنه « كلمة الله » . وهذا يرفعه عن كونه « ابن مريم » فقط . بهذا اللقب العظيم آمن يحيى المعمدان : « ان الله يبشرك بيحيى ، **مصدقا بكلمة من الله** » (آل عمران ٣٩) . كذلك « قالت الملائكة : يا مريم ان الله **يبشرك بكلمة منه** ، اسمه المسيح ، عيسى ، ابن مريم ؛ وجيهاً في الدنيا والآخرة **ومن المقربين** » (آل عمران ٤٥) . هذه هي العقيدة « النصرانية » بحرفها : ان المسيح ، وان كان « عيسى ابن مريم » ، فهو ايضاً « من المقربين » بين الملائكة .

فالمسيح في ذاته السامية هو اذن « **روح** » **اي ملاك** . هذا ما يؤكده قوله : « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الانبياء ٩١) . وقوله « من روحنا » يعني ، على الفاعل ، الملاك النافخ ؛ وعلى المفعول ، الروح المنفوخ الملقى الى مريم . وفي آية أخرى يجمع الصفة والموصوف : « ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه **من روحنا** ، وصدّقت **بكلمة ربها** وكتابه ، وكانت من القانتين » (التحريم ١٢) . هذه القراءة أصح من قراءة « كلمات ربها وكتبه » . فمريم صدقت بالمسيح « كلمة الله » وبكتابه الانجيل . والمسيح ، « كلمة الله » هو روح من الله أُلقي اليها .

ويأتي التعريف الجامع المانع في قوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق : انما المسيح ، عيسى ، ابن مريم : رسول الله ، **وكلمته القاها الى مريم وروح منه** ... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ — ١٧١) . ان المسيح بصفة كونه « كلمة الله » هو « روح منه » تعالى ، ومن « الملائكة المقربين » ، لذلك فهو « عبد » لا رب . فالقرآن يردّ على وفد نجران المسيحي بالعقيدة « النصرانية » .

ففي القرآن، كما في « النصرانية »، ان المسيح، بصفة كونه «كلمة الله» هو « **روح منه** ». إنه « **الملاك المجيد** »، « **الملاك الحميد** »، « **الملاك القدوس** »[١].
وتطور الكلام النصراني فصار «كلمة الله»: «**ميكائيل رئيس الملائكة العظيم**»[٢].
وهذا هو دوره عندهم: « فتقربوا من الله، ومن الملاك الذي يشفع فيكم، بما أنه الوسيط بين الله والناس »[٣]. انه «ملاك الله»، « الملاك العظيم»، ميكائيل»[٤].

فعقيدة القرآن في سر المسيح، «كلمته القاها الى مريم وروح منه» هي العقيدة « النصرانية » بحرفها ومعناها.

ثالثا : عقيدة القران في « روح القدس »

هنا تتجلى « نصرانية » القرآن، في عقيدته، بأجلى مظاهرها.

في علم الكلام « النصراني »، الروح القدس، أو روح القدس، هو « **ملاك الروح القدس**[٥] ». وصار اسمه **جبرائيل**، وهو معدود ومسمى بين الملائكة السبعة المقربين[٦].

ويصفه (اسراء أشعيا) المنحول واقفاً عن شمال الله: « قلت: من هذا؟ قال لي الملاك (المرافق له): اسجد له، انه ملاك الروح القدس، الذي نزل عليك، والذي نطق بسائر الصديقين » (ك ٩ ف ٢٧ ع ٣٦).

---

(١) هرمس: الراعي ٥ : ٢ ؛ ٧ : ١ ؛ ٥ : ١ ، ٧.

(٢) أخنوخ الثاني ك ١٢ ف ١١ ع ١٦ ؛ هرمس: الراعي ك ٨ ف ٣ ع ٣.

(٣) عهود الاسباط الاثني عشر: عهد دان (٦ : ٢)، عهد لاوي (٥ : ٦).

(٤) اسراء اشعيا ك ٩ ف ٣٩.

(٥) اسراء اشعيا ك ٩ ف ٢٧ ع ٣٦.

(٦) هرمس: الراعي ك ٩ ف ٧ ع ١٢.

وفي سفر (أخنوخ الثاني) المنحول نقرأ في اسرائه الى الله : « أرسل الله جبريل ، أحد الامجاد ، الذي قال لي : تشجّع يا أخنوخ ، قم وتعال معي وقف في حضرة الرب ... وحملني جبريل وأقامني في حضرة الرب » (ك ١١ ف ١٥ ؛ ك ١٢ : ف ١٣) . ووقف جبريل عن شمال الرب. وناداني الرب وأقامني عن شماله، قرب جبريل ، واخذت اعبد الرب » (ك ١٤ ف ٣ ع ٤) .

ففي الكلام « النصراني » ، ان جبريل هو « ملاك الروح القدس » .

وهذه هي عقيدة القرآن : جبريل هو روح القدس الذي نزّل القرآن على محمد . يقول : « قل : نزّله روح القدس من ربك بالحق » (النحل ١٠٢) ؛ « نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المرسلين » (الشعراء ١٩٤ — ١٩٥) ؛ « قل : من كان عدواً لجبريل ! فإنه نزّله على قلبك بإذن الله ، مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » (البقرة ٩٧) .

إن « نصرانية » القرآن في « الروح القدس » تظهر أولاً من اسمه : جبريل ؛ ثانياً من دوره في التنزيل : هو نزل القرآن على محمد ، كما اسرى بأشعيا وأخنوخ ، واوحى اليهما . فيظهر ان الوحي بواسطة روح القدس ، جبريل ، انما هو اسلوب للدعوة .

فعقيدة القرآن في اسم « روح القدس» جبريل ، وفي صفته « روح القدس » وفي دوره بالاسراء والوحي والتنزيل، هي العقيدة «النصرانية» بحرفها ومعناها.

وفي ذلك كشف الغطاء عن تسمية القرآن لروح القدس بأنه جبريل، ملاك الوحي . انها العقيدة « النصرانية » التي بها يدعو القرآن .

رابعا : ما بين التوحيد والتثليث في عقيدة القرآن

التثليث الانجيلي من صلب التوحيد . انه تفسير منزل في الانجيل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية . يقول المسيحيون المؤمنون به ان « كلمة الله » كما

حدّده الانجيل بحسب يوحنا هو «اللوغس» نطق الله الذاتي ، من ذاته ، في ذاته ، لذاته . فليس هو كلام الله الصادر عنه في الخلق او في الوحي والتنزيل . ونطق الله الذاتي ذات في ذات الله ، يصدر عن الله صدور النطق عن العقل في المخلوق ، وهو يتسلسل من ذات الله ، في ذات الله ، كما يصدر الابن عن والده في عالم المخلوق ، مع كامل التجريد والتنزيه .

وروح القدس ، على الاضافة ، الى « القدس » الذي هو الله ؛ او الروح القدس على الصفة حيث « القدس » كناية عن التجريد والتنزيه والتشبيه ، به يتميز روح الله عن كل روح مخلوق .

فالله ونطقه الذاتي وروحه أو حبه الذاتي ، في تثليث صفات ذاتية ، أو صلات كيانية ، لا هي عين الذات ، ولا هي غيرها ، هو ما يسمونه بلغة شعبية : الآب والابن والروح القدس ، الاله الواحد الاحد .

والخلاف الجوهري بين المسيحية والنصرانية الاسرائيلية هو في فهم شخصية « كلمة الله » وشخصية « الروح القدس » . لقد فهمتها المسيحية بأنهما صفتان ذاتيان كيانيتان في الله ، لا هما عين الذات ولا هما غيرها ؛ وهذا عندهم سر التثليث في التوحيد المنزل . أما النصارى من بني اسرائيل ، فبتأثير التوحيد التوراتي والكلام الفيلوني في صفة « كلمة الله » وفي صفة « الروح القدس » ، قد فهموهما بلغة ملائكية . فكان « كلمة الله » عندهم « ملاك كلمة الله » ، والروح القدس « ملاك روح القدس » : فهما روحان من الملائكة المقربين .

وقد رأينا ان « ملاك كلمة الله » صار عندهم ميكائيل ، أو ميكال ، و « ملاك روح القدس » ، جبريل . وهذه هي عقيدة القرآن في « كلمة الله » ، وفي « روح القدس » : انها العقيدة « النصرانية » بحرفها ومعناها .

كان المسيحيون في الاجيال الاولى يوجزون عقيدتهم في المسيح ، ويرمزون اليها بتعبير « إختيس » . والكلمة تعني لغة « السمكة » ، واصطلاحاً بحسب اسلوب الحروف المتقطّعة ، حيث كل حرف مقطوع من بدء الاسم المرموز

اليه . فكان تعبير « إخنيس » يعني عندهم : « يسوع المسيح ، ابن الله ، المخلص ». واسلوب الاحرف المتقطعة الرمزية يهودي، نصراني، مسيحي، وصل الى القرآن، كما في مطلع بعض سوره ، لكن لم يحفظ أحد معناها فضاعت مع كتبة القرآن.

وعبر اسم « اخنيس » الى « النصرانية » من المسيحية ، فحشروه بحسب عقيدتهم بين الملائكة المقربين الستّة فصاروا سبعة ، وبينما اسماء الستة عبرية ، بقي اسم « اخنيس » على حـــرفه اليوناني . وهذه هي اسماء الملائكة المقربين السبعة بحسب هرمس في كتابه (الراعي ك ٩ ف ٧ ع ١٢) :

« غفريل ، رئيل ، أوريل — إخنيس — ميكائيل ، جبرائيل ، عزائيل ».

فالمسيح ، إخنيس ، هو أحد الملائكة المقربين ، يتوسطهم كزعيمهم ، وينفرد عليهم باسمه . وأضاف (الراعي ٨ : ٢) : « إن الله ، لما اراد ان يخلق الملائكة المقربين، من نار، على عدد سبعة، قضى ان يجعل أحدهم ابنه ». فالمسيح هو « من المقربين » ، وصار « ابن الله » على الاخذ والاصطفاء . فصارت بنوة « اخنيس » الالهية ، عند النصارى ، بنوة مخلوقة . وبسبب هذه الشبهة ، فقد نقضها الكلام « النصراني » فيما بعد .

وبما ان الكلام « النصراني » مجمع على ان « روح القدس » هو جبريل ، كان ايضاً جبريل أحد الملائكة السبعة المقربين .

وهذه العقيدة «النصرانية» هي عقيدة القرآن في المسيح « كلمته وروح منه» وفي روح القدس ، جبريل .

ان القرآن ، مثل « النصارى » يجعل « روح القدس » الذي نزّل القرآن (النحل ١٠٢)، الروح الامين الذي جاء محمداً بتنزيل رب العالمين (الشعراء ١٩٤)، الملاك جبريل (البقرة ٩٧) . فاسمه عينه يدل على انه « روح » ، ونسبته الى « القدس » اي الله ترفعه فوق الارواح الملائكية جميعها . وبهذا الجمع القرآني بين « روح القدس » وجبريل تظهر « نصرانية » القرآن في أجلى مظاهرها .

والقرآن يحدّد ايضاً ان المسيح، «كلمة الله» هو ايضاً «روح منه» تعالى (النساء ١٧٠). قال الرازي: «قوله (روح) ادخل التنكير ليفيد التعظيم. فكان المعنى: **روح من الارواح الشريفة القدسية العالية**. وقوله (منه) اضافة لذلك الروح الى نفسه تعالى لاجل التشريف والتعظيم». فالمسيح في ذاته السامية **هو ملاك متجسد**. يؤيد ذلك قوله: «ونفخنا فيها (فيه) من روحنا» (الانبياء ٩١؛ التحريم ١٢). ان التعبير يحمل معنى الفاعل والمفعول على السواء: فالله نفخ في مريم، أو «ألقى الى مريم» «روحاً منه» هو المسيح. وهكذا تظل الثنائية «النصرانية»، لشخصية المسيح، في القرآن نفسه. وتعبير «روح منه» اي «ذو روح صدر منه تعالى» (البيضاوي) لا مثل له في القرآن، مما يرفع المسيح على سائر الارواح الملائكية، حتى «من المقربين».

ونرى أثراً لذلك في قوله: «من كان عدواً لله وملائكته ورسله، **وجبريل** وميكال، فان الله عدو للكافرين» (البقرة ٩٨). فالقرآن يكفر اليهود لكفرهم بجبريل وميكال بحسب عقيدة «النصارى» فيهم، مع انه يكفرهم على عبادة الملائكة عموماً (آل عمران ٨٠). وهذا التمييز لميكال وجبريل، مع الله، أثر من التفسير «النصراني» للتثليث الانجيلي.

وهناك آية أخرى كان يردّها النصارى من بني اسرائيل على تفسير المسيحيين للتثليث الانجيلي: «واذ قال الله: يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله!» (المائدة ١١٩). يفهمونها عادة بأن المقصود المسيح وامه مريم العذراء، بحسب الآية (٧٨) من السورة عينها. ولكن اذا رجعنا الى المصادر «النصرانية»[1] وجدنا ان «روح القدس» مؤنث عندهم؛ وانجيل

(١) روح القدس، عند جميع «النصارى» انثى، لان «الروح» في العبرية والسريانية مؤنث. نقل هيبوليت (الاشارات ٩: ١٣) عن رؤيا الكسائي لله في جلاله، وعن يمينه ملاك كلمة الله، وروح القدس. قال: «وكان (المسيح) مصحوباً بكائن انثى مقياسه كذلك كما ذكرنا (اي سما على جميع الارواح بطوله سمواً لا حد له). فالكائن الذكر هو ابن الله (على المجاز)، والكائن الانثى هو روح القدس».

النصارى يسميه صراحة « أمي » . فيكون المقصود بذاك السؤال الاستنكاري المسيح وروح القدس ، في قوله « اتخذوني وامي الهين[1] » . فالقرآن يستنكر مع « النصارى » وبلغتهم ان يكون المسيح وروح القدس « الهين من دون الله » . فهو يجادل وفد نجران بجدال « النصرانية » عينها .

وقول القرآن « كلمته القاها الى مريم وروح منه » ، مع قوله « روح القدس » ، بهذه الاضافة الخاصة الى ذاته تعالى ولا مثيل لها بحق أي روح من الملائكة في القرآن هما موضع الشبهة التي انتقلت من « النصرانية » الى القرآن .

والقرآن يجعلها من الملائكة المقربين ، على مثال النصارى من بني اسرائيل ، فينكر مثلهم التثليث الانجيلي ، في الله الواحد الاحد ؛ لكن التعبيرين « روح منه » و « روح القدس » يحملان شبهة لا تزول ، في سر شخصيتها . وبما ان القرآن في عقيدة « الروح » لم يؤت إلا « العلم » القليل (الاسراء ٨٥) ، فعلى أهل القرآن ، عملاً بأمره ، ان يسألوا أهل الذكر (النحل ٤٣ ؛ الانبياء ٧) لكشف الغطاء ، عن سرّ شخصيتها .

ان تعريف القرآن بالمسيح أنه « كلمته القاها الى مريم وروح منه » ، يعني ، في أدنى معانيه ، تجسد ملاك او سكنى ملاك في « المسيح عيسى ابن مريم ، رسول الله » (النساء ١٧٠) . وهذه هي العقيدة « النصرانية » عينها ، كما نقلها عنهم معاصرهم العلامة ترتليان[2] : « ان المسيح ، في نظرهم ، بشر بحتٌ ، لكنه أعظم من الانبياء أجمعين ، لان فيه روحاً ملائكياً » .

هذه هي الازدواجية المشبوهة في شخصية المسيح ، والتي كانت سبب اعتزال النصارى من بني اسرائيل الى شيعة ، بالنسبة لاهل السنة المسيحيين في كل

---

(١) وهذا التفسير اصح من التفسير المتواتر ، لان اتهام القرآن بأنه يقوّل المسيحيين في الهية مريم ما لم يقل به احد منهم ، امر لا تزول غرابته .

(٢) ترتليان : جسد المسيح ١٤ : ٥ .

فرقهم . وقد انتقلت هذه الازدواجية الى القرآن نفسه ، وهذه شهادة على « نصرانيته » في عقيدته . واذا سألنا اهل الذكر ، حسب الامر المكرّر ، لفهم عالم « الروح » المطلق ، أحالونا الى فاتحة الانجيل بحسب يوحنا ، التي كانت رداً على الهلنستية واليهودية و « النصرانية » الاسرائيلية ، في اعلان حقيقة « كلمة الله » في ذات الله ، من ذات الله، في وحدانية الواحد الصمد ، الذي «لم يلدْ ولم يولد» على طريقة البشر ، بل يتسلسل نطقه الذاتي من ذاته ، في ذاته ، تسلسل الابن عن ابيه في عالم الانسان ، مع فارق التنزيه والتجريد . فالابوة والبنوة ، النطقية الروحية ، استعارة للمخلوق لفهم سر الخالق ، الحي القيوم .

فالتوحيد الخالص في التوراة والانجيل والقرآن ، « الله احد » ، لا يتنافى جوهرياً مع التثليث الانجيلي ، لان التثليث ، عندهم ، تفسير منزل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية ، حيث صفاته الكيانية الثلاث ، الابوة والبنوة والروحانية ، صفات ذاتية ، **لا هي عين الذات ولا هي غيرها** ، بحسب لغة الاشعرية السنية في الاسلام .

ومن بلغ الى « العلم » الكامل في عالم « الروح » المطلق ، يقول مع القرآن: « قل : لو كان للرحمان ولد ، فأنا اول العابدين » (الزخرف ٨١) . وهذا ليس افتراض المستحيل ، فإن القرآن نفسه يقسم « بوالد وما ولد » (البلد ٣) .

فالقرآن يكفر القول « بالثلاثة » اي التعدّد الالهي ، لا التثليث الذاتي في التوحيد الالهي ، تثليث صفات كيانية ، لا هي عين الذات ولا هي غيرها . ويظل « العلم » القرآني بعالم « الروح » المطلق قليلًا ، بنصه القاطع (الاسراء ٨٥) . فالقرآن لا يكفر التثليث الصحيح ، ولا يأتي على ذكره .

فما بين التوحيد الكتابي والقرآني تعابير هي جسور قائمة لفهم التثليث

الانجيلي حق فهمه ، وان كان ظاهر القرآن ينفي ، مثل « النصرانية » ، الهية « كلمة الله وروح منه » والهية « روح القدس » .

وعلى هذا النفي الظاهري تقوم « نصرانية » القرآن في عقيدته .

خامسا : عقيدة القرآن في نزول « كلمة الله » الى مريم

كان المسيحيون ، على أثر فاتحة الانجيل بحسب يوحنا يسمون القاء « كلمة الله » الى مريم « تجسداً » أو « تأنساً » .

لكن التعبير عنه في البيئة الاسرائيلية كان « نزولاً » كما عند بولس نفسه : « وكونه (ارتفع) ألا يعني انه (نزل) أولاً » (أفسس ٤ : ٩) . وهذان هما التعبيران اللذان ظلّا في « النصرانية » لبداية المسيح على الارض وآخرته في السماء .

جاء في الكلام «النصراني»[1] : نزل الى مريم، ليخلص جنس النفوس البشرية من الضلال . فظهوره « نزول » ، ورسالته تعليم ، لا فداء .

ونزوله حجب « روحانيته » في بشريته : «لقد خفي على السماوات وعلى السلاطين . ورأيت ، فإذا هو في الناصرة كطفل ، بحسب السنة الطبيعية ، كي لا يعرفه »[2] . وهنا تظهر قصة الشبه ، ليس فقط في آخرة المسيح ، بل في سيرته كلها . وقصة الشبه في سيرة المسيح إن هي إلا نفي « نصراني » لحقيقة التجسد أو التأنس في المسيحية .

وهذه هي عقيدة القرآن . نجد فيه ثلاثة تعابير عن ظهور المسيح في عيسى ابن مريم . الاول **الالقاء** : « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) ؛

---

(١) اسراء اشعيا ١١ : ١٦ .

(٢) اسراء اشعيا ١١ : ١٧

وهذا تعبير كلامي . والثاني النفخ : « فنفخنا فيها من روحنا » (الانبياء ٩١) ، « فنفخنا فيه من روحنا » (التحريم ١٢)؛ وهذه صورة شعبية . والثالث التأييد: « وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و ٢٥٣) عـــلى حدّ أحد تفاسير الرازي لهذه الآية .

وكلها صور للحدث المعجز الذي يصفه بقوله : « قالت : أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال : كذلك ! الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن ! فيكون » (آل عمران ٤٧) . فنزول « كلمة الله » الى مريم كان بأمر الله الخلاق .

فالحدث ، وأوصافه الثلاثة ، تدل جميعها على أنه «نزول» الى مريم ، لا «تجسد» منها أو « تأنس ». وتفسير هذا « النزول » بالخلق يدفع عن المسيح صفة الالوهية والبنوة .

فنزول أو القـــاء « كلمته وروح منه » الى مريم ، في عيسى ، هي عقيدة « النصرانية » في القرآن نفسه .

•

سادساً: عقيدة القرآن في قصة مولد المسيح .

ان الاناجيل القانونية تنصّ على الحبل المعجز بالمسيح ، ولا تصرّح بالمولد المعجز . ويتضح من الانجيل بحسب لوقا ان مدّة الحمل كانت طبيعية : « وفيما كانا هناك (في بيت لحم) تمت الايام لوضعها . فولدت ابنها البكر ، فقمّطته وأضجعته في مذود » (٢ : ٦ — ٨) .

وفي الاناجيل القانونية لا تحضر الملائكة المولد المعجز ، بل تنشد له من العلاء: فقد هبط ملاك مـــن السماء وبشر الرعاة الذين في مرج المغارة بمولد المسيح ، « وانضم بغتة الى الملاك جمهور من جند السماء يسبحون بحمد الله ويقولون :

« الحمـــد لله في العلى والسلام على الارض لاهل الرضى»
(لوقا ٢ : ٦ — ٧)

لكن في القصص « النصراني » يظهر المولد معجزاً كالحبل المعجز : « وحدث أنه بينما كانا (يوسف ومريم) وحدهما أن مريم رنت بعينها فرأت طفلاً في حضنها ، فدهشت (لانها لم تشعر بولادة) . ولما زال عنها الذهول ، وُجد رحمها كما كان قبل الحبل . فسألها يوسف : ماذا أدهشك ؟ وللحال انفتحت عيناه فرأى الطفل يسوع وحمد الله ... وكثيرون قالوا : **ولدت ولم تلد** ! فلم تحضرها قابلة ، ولم يُسمع لها أنين مخاض »[1].

وتتناقل كتب «النصارى» في الكلام والقصص هذه الكلمة : «**ولدت ولم تلد**» دليلاً على المعجزة في الولادة . وفي (انجيل يعقوب) المنحول (ف ١٣) ، كما في (انجيل متى) المنحول (ف ١٩ ع ٢٠) ، قابلتان تتأكدان حسياً من بتولية مريم بعد مولد المسيح .

ويظهر من القصص «النصراني» ايضاً ان الحبل والحمل والمولد تمت في وقت واحد . ففي (أناشيد سليمان) المنحول نقرأ : « بسط الروح أجنحته على بطن مريم **فحملت وولدت** ، فكانت أماً وعذراء معاً ، من فيض الرحمة والحنان . لقد حملت وولدت بدون مخاض . ودليل ذلك انها لم تطلب قابلة « تحضرها » (النشيد ١٩ : ٦ — ٨) .

وفي (انجيل يعقوب) المنحول ، نجد **قصة المولد** المتداولة بين « النصارى » : مريم العذراء تنتبذ من أهلها الى خلوة تعتكف فيها . فيأتيها ملاك الله بشراً سوياً . فتحمل بإشارة منه . وتشعر للحال بالمخاض . فتلجأ الى جذع نخلة ، وتضع طفلها . وللحال تنفجر من دونها عين ماء ترتوي منها ، وتثمر نخلة يابسة كانت قربها ، فتأكل منها . ثم تحمل وليدها الى قومها ، فيستنكرون منها ان عذراء تصير أماً ، ويتهمونها بالزنى . وللحال ينطق الطفل الوليد ، ويبرئ امه .

هذا هو القصص « النصراني» الذي ورد بحرفه في القرآن (مريم ١٥ — ٣٣).

---

(١) اسراء اشعيا ك ١١ ف ٧ ع ١٤ .

لقد أجمع المفسرون ان الحبل والحمل والولادة قد تمت في وقت واحد، نقلاً عن ابن عباس ، ترجمان القرآن . قال الجلالان : « **الحمل والتصوير والولادة في ساعة واحدة** » . قال الزمخشري : « وعن ابن عباس : كانت مدة الحمل ساعة واحدة . وكما حملته نبذته . وقيل ثلاث ساعات . وقيل : حملته في ساعة ، وصور في ساعة ، ووضعته في ساعة، حين زالت الشمس من يومها » . وقوله : «كما حملته نبذته» يعني حملت بمعجزة وولدت بمعجـــزة ، ولم تزل بتولاً عذراء . قال البيضاوي : « وكانت مدة حملها سبعة أشهر . وقيل : ستة . وقيل : ثمانية ، ولم يعش مولود وُضع لثمانية غيره . وقيل : ساعة » . أخيراً تتكاثر الاقوال ، ضمن حدود المعجزة ، ليقتربوا من المولد الطبيعي ، فيأبى عليهم الحديث المتواتر عن ابن عباس . وزاد الزمخشري : « وما من مولود إلا يستهل ، غيره » اي يبكي عند ولادته : فعدم البكاء في مولد المسيح دليل آخر على المولد المعجز .

فقصة المولد في القران هي القصص « النصراني » عينه في (انجيل يعقوب) . ونطق المسيح منذ مولده يذكره ايضاً (انجيل الطفولة) النصراني . ومعجزتا النهر السري والنخلة المثمرة يذكرهما ايضاً (انجيل متى) النصراني . وظل النصارى من بني اسرائيل المحافظون يقولون بالمولد المعجز ، ضـــدّ المتكلمين المتهودين منهم ، حتى القرآن .

فعقيدة القرآن في قصة مولد المسيح عقيدة « نصرانية » بحرفها ومعناها .

●

سابعا : عقيدة القران في رسالة المسيح

إن الكلام الابيوني في « النصرانية » زادها تهويداً ، فأمست **لا ترى في** رسالة المسيح إلا الشهادة لدين الله ، لا الاستشهاد لفداء الانسان من الآثام . فالنصارى من بني اسرائيل « **ينكرون نظرية الفداء كلها في المسيحية** »[١] .

---

(١) Daniélou : théologie du Judéo - christianisme : ils rejettent également tout aspect soteriologique du christianisme p 75.

فالمسيح هو المخلص من الضلال ، لا من الخطيئة ؛ إنـــه منذ (بلاغات بطرس) المنحول « النبي الاوحد المولود[1] » ، « النبي الحق الاوحد »[2] .

فالصفة الاولى في رسالة المسيح ، عند النصارى من بني اسرائيل ، أنه ليس لها صفة الفداء باستشهاده ، كما نقل عنهم ايريناوس[3] : انه النبي الاعظم ، لكن ليس له صفة المخلص والفادي . وسنرى سبب ذلك بعد حين .

وبهذه الصفة عرفه القرآن : ان المسيح هو النبي ، رسول الله : « عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء ١٥٦) ، « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء ١٧٠) ، « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قـــد خلت من قبله الرسل » (المائدة ٧٤) . فبحسب « النصرانية » والقرآن تقتصر رسالة المسيح على الدعوة والتعليم . هذا اقتصار أول لرسالة المسيح .

يؤيد ذلك قوله : « ويعلمه الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل ؛ ورسولاً الى بني اسرائيل » (آل عمران ٤٨ — ٤٩) ، لكي يعلمهم «الكتاب والحكمة» أي «التوراة والانجيل» (قابل المائدة ١١٣) مع (٢: ١٥١؛ ٣: ١٦٤؛ ٦٢ : ٢) .

وفي هذه الشهادة المزدوجة اقتصار ثان : المسيح تعلم من الله ، ويعلم الناس « التوراة والانجيل » فتظل دعوته مرتبطة بكتاب موسى ؛ وما الانجيل منها سوى « الحكمة » بالنسبة للكتاب الامام . فيظل كتاب موسى إماماً للانجيل ؛ فما الانجيل سوى تصديق له ، وتفصيل : « مصدقاً لما بـــين يدي من التوراة » (آل عمران ٥٠) ؛ مع تخفيف : « ولاحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم » (آل عمران ٥٠) .

وفيها اقتصار ثالث : لقد جـــاء المسيح « رسولاً الى بني اسرائيل » (آل

---

(١) عهود الاسباط الاثني عشر ، عهد لاوي ٩ : ١٢ . μονογενὴς προφήτης

(٢) الرسائل الكلمنتية المنحولة ٣ : ١١٢ ع ١ .

(٣) الرد على الهرطقات ك ٤ ف ٣٣ ؛ ك ٥ ف ٨ .

عمران ٤٩) . وقد فصلنا هذه الظاهرة الغريبة في رسالة المسيح . وهنا تظهر « نصرانية » القرآن في عقيدته برسالة المسيح : لقد اقتصرها النصارى من بني اسرائيل عليهم ، كأنهم أهلها من دون العالمين ! وما كانوا في زمن البعثة المحمدية إلا نقطة من بحر ، انحصرت في رمال الحجاز .

مع ذلك فرسالة المسيح هي ختام « النبوة والكتاب » اللذين جعلها الله في ذرية ابراهيم من يعقوب واسحاق اي اسرائيل (٢٩ : ٢٧ ؛ ٥٧ : ٢٦) . وقد رأينا ان الله قفّى بالمسيح على سائر الرسل ، ولم يقفّ على المسيح بأحد ، في تعبير التقفية (٢ : ٨٧ ؛ ٥ : ٤٩) : « ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم » (٥٧ : ٢٧) . وهذه ايضاً نظرة « نصرانية » لرسالة المسيح .

وبرهان ختام « النبوة والكتاب » بالمسيح أنه ، من دون الرسل أجمعين ، اختصه الله بالبيّنات وتأييد روح القدس له ، يسير معه حيث سار ، لا يفارقه ساعة . وهذا فضله على الرسل ، في القرآن ، في باب المفاضلة بين الرسل (البقرة ٢٥٣) . وهو تأييد في السيرة والشخصية كما في الرسالة .

وبرهان آخر ، استجماع المسيح للمعجزات كلها على انواعها ، مما لم يذكر القرآن بعضها لائمة الرسل ابراهيم وموسى ومحمد . وقد فصلها على اربعة أنواع : الابراء ، والانباء بالغيب ، واحياء الموتى ، وخلق الطير بنفخة منه في طين (آل عمران ٤٩ ؛ المائدة ١١٣) . وهذا النوع الاخير من المعجزات ، خلق الطير ، مذكور في المصادر « النصرانية » وحدها ، مما يدل على « نصرانية » القرآن في عقيدته بمعجزات المسيح . وفي قوله : « إني **اخلق** لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله » (آل عمران ٤٩ ؛ المائدة ١١٣) ، يستخدم القرآن فعل « خلق » بحق المسيح ، وهو لا يستعمله إلا بحق الخالق وحده .

فعقيدة القرآن ، في رسالة المسيح ، « نصرانية » في كل نواحيها ، خصوصاً باقتصارها على النبوة والشهادة ، لا على الضحية والفداء .

ثامناً : عقيدة القرآن في آخرة المسيح

في شخصية السيد المسيح ، بحسب القرآن ، ثنائية ظاهرة : انه عيسى ابن مريم ، وهو بالوقت ذاته « كلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) . وبما أنه « كلمة الله » فهو « روح منه » تعالى « كالملائكة المقربين » (النساء ١٧١) بل هو « من المقربين » (آل عمران ٤٥). فليس هو « الله » (المائدة ١٩ و٧٥)، وليس هو « ثالث ثلاثة » (المائدة١٧٢) ، وليس هو « ابن الله » (براءة ٣١) . فالمسيح هو عيسى ابن مريم ، وفيه « روح منه » تعالى اي « يسكنه ملاك » كما يقول « النصارى » .

من هذه الازدواجية في الشخصية ، تنجم الازدواجية في آخرة المسيح .

فكل مرة يذكر القــــرآن آخرة المسيح يشهد بموته : « والسلام علي يوم ولدت ، ويوم أموت ، يوم أبعث حياً » (مريم ٣٢) ؛ « اذ قال الله : يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ، ومطهّرك من الذين كفروا» (آل عمران٥٥)؛ « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ؛ فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم » (المائدة ١٢٠) . لا تشذّ إلا آية (النساء ١٥٦) : « وقولهم : إنا قتلنا المسيح ، عيسى ابن مريم — وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شُبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ؛ وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً » .

ظاهر الآية يتعارض مــــع سائر القرآن . وقد رأينا في غير كتاب تهافت **اسطورة الشبه** ونقلنا (اشكالات) الرازي عليها التي نقتلها قتلاً. وفسّرنا حقيقة الآية بأنها اسلوب بياني للرد على اليهود في كفرهم، وهو الاثبات في معرض النفي. بذلك تزول شبهة التعارض .

لكن هناك **عقيدة «نصرانية»** تفسر موقف القرآن وانسجامه تفسيراً كاملاً. كان الكلام الابيوني في « النصرانية » يقول بارتفاع المسيح عن عيسى ابن مريم قبل قبض اليهود عليه ، **فقتل اليهود عيسى، لا المسيح** ؛ وبعد الاستشهاد عاد المسيح الى عيسى فبُعث وارتفع الى السماء . جاء في (اعمال يوحنا) أحد كتب

النصارى المنحول، حيث يقول المسيح للرائي: «ذاك الصليب المنير (في السماء) ليس هو بصليب الخشب الذي ستراه عندما تنزل من هنا (من السماء). فأنا لست على هذا الصليب الخشبي، أنا من تسمعني الآن ولا تراني: **لقد اخذوني من لست إياه، فانني لم ابق من كنت بين الناس**». وقد تسربت «النصرانية» الى النسطورية، وكان نسطور زعيمها يقول: «ان المسيح لما جاء الى الصلب، انفصل عنه كلمة الله، فكان المصلوب انساناً بحتاً، هو يسوع».

فقصة الشبه الحقيقية ان المسيح، كلمة الله، فارق عيسى ابن مريم، قبل استشهاده، فصلب عيسى وقتل، لكن المسيح نفسه، كلمة الله، «**ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**» **انهم فعلوا**. وهكذا «مكروا ومكر الله بهم والله خير الماكرين» (آل عمران ٥٤). بهذا التفسير «النصراني» تنسجم عقيدة القرآن في آخرة المسيح، بكل نصوصها.

فعقيدة القرآن، في آخرة المسيح، عقيدة «نصرانية».

•

تاسعاً: عقيدة القرآن في رجعة المسيح

يمتاز المسيح عن الانبياء والمرسلين، بدوره في يوم الدين: «وانه لعلم للساعة فلا تمترنّ بها. هذا صراط مستقيم» (الزخرف ٦١). الضمير يعود لابن مريم المذكور في الحديث كله (٥٧ — ٦١). ولفظ «علم» له قراءتان: «عِلْم» و «عَلَم». فالمسيح «علْم» للساعة اي «شرط من أشراطها تُعلم به، فسمي الشرط علماً لحصول العلم به» (الزمخشري). والمسيح ايضاً «علَم» للساعة اي علامة (الزمخشري). فالمسيح هو رسول اليوم الآخر، وخاتمة النبوة والكتاب على الاطلاق. إنه العلامة ليوم الدين، والمعرفة به. وهذا من الصراط المستقيم.

وهذا هو الدور الذي تجعله «النصرانية» للمسيح في اليوم الآخر، حيث يملك مع الصديقين، مدة الف سنة، في **جنات عدن**، قبل القيامة الثانية الى

السماء . وقد رأينا ان أوصاف القرآن لجنات عدن هي أوصاف « النصرانية » لها ، بكل ماديتها .

وان المسيحية تجعل المسيح **ملك يوم الدين** (متى ٢٥ : ٣١ — ٣٤) . وهذه صفة الهية تستنكرها « النصرانية » وتحولها الى **شفاعة لامته** . وهـذا هو الدور الثاني الذي يقوم به المسيح في يوم الدين : « وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين » (آل عمران ٤٥) . وقد أجمع المفسرون على ان الوجاهة في الآخرة هي الشفاعة . ويدل على ذلك كونه «من المقربين» اي الملائكة الذين لهم وحدهم في القرآن حق الشفاعة في يوم الدين ، بعد اذن من الله بها . ونرى المسيح يمارس الشفاعة « يوم يجمع الله الرسل » للحساب ؛ فبعد ان يستنكر الهيته ، يستغفر لامته التي قالت بها : « إن تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » (المائدة ١٢١) .

فعقيدة القرآن ، في رجعة المسيح ، عقيدة « نصرانية » .

•

عاشراً : جدال القرآن في عقيدته

ان القرآن يجادل في عقيدة الشرك العربي واليهودية والمسيحية ، بجدال « النصرانية » لها جميعاً .

١ — **يجادل الشرك العربي** بهدى وعلم الكتاب المنير الذي به يستعلي على المشركين : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (الحج ٨ ؛ لقمان ٢٠) . ونعرف ان تعبير « العلم » المقسط هو في اصطلاحه كناية عن «النصرانية» . وحجته الدائمة في هذا الجدال هي شهادة « من عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) : أوَلم تكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » من النصارى (الشعراء ١٩٧) .

٢ — **ويجادل اليهود** أيضاً بجدال « النصرانية » ، ويعلن سر القرآن بقوله :

« فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). لقـــد ظهرت « النصرانية » الاسرائيلية على اليهودية بالدعوة القرآنية وجدالها وجهادها .

وخلاف بني اسرائيل الى يهود ونصارى كان في **الايمان بالمسيح** . فلا يصح اسلام إلا بالايمان «بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٥ ؛ آل عمران ٨٥) . فالتوحيد الكتابي الذي لا تفريق فيه هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣) . وهذا الاسلام يشهد به القرآن بشهادة النصارى «اولي العلم قائماً بالقسط » : « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) .

والخلاف الثاني عند بني اسرائيل على الايمان « **بالكتاب كله** » اي التوراة والانجيل (آل عمران ١١٩). كان اليهود يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض (البقرة ٨٥) ، فتحداهم : « قل : يا أهـــل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم . وليزيدنّ كثيراً منهم (اليهود) ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً» (المائدة ٧١) . دعوة القرآن ستزيد اليهود كفراً بالمسيح وبمحمد ، لكنها ستزيد النصارى فرحاً : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك . ومن الاحزاب (اليهود) من ينكر بعضه » (الرعد ٣٨) .

والخلاف الثالث كان على **تلاوة الكتاب حق تلاوته** . كان اليهود يتلون الكتاب و « يحرّفون الكلم عن مواضعه » بالتأويل الفاسد (النساء ٤٤ ؛ المائدة ١٤) ، لئلا يفسّر بأنه نبوءة في المسيح : او « يكتمون الحـــق وهم يعلمون » (البقرة ١٤٦ — ١٤٧) ويجعلون الكتاب قراطيس ، « تبدونها وتخفون كثيراً» (الانعام ٩١) من المواضيع الصريحة بحق المسيح . فيدعوهم الى تلاوة الكتاب حق تلاوته، مثل النصارى : « الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته، اولئك يؤمنون به . ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (البقرة ١٢١) . وهكذا

فإن « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ؛ الذين خسروا انفسهم (اليهود) فهم لا يؤمنون » بالمسيح ، ولا بمحمد (الانعام ٢٠) .

٣ — والقرآن يجادل المسيحية بجدال « النصرانية » أيضاً .

كان الخلاف الاكبر بينهما في تأويـــل معنى المسيح « كلمة الله » . فقالت المسيحية بأن معنى « كلمة الله » نطقه الذاتي ، وهذه عقيدتهم في الهيته وأزليته . فقالت « النصرانية » ان « كلمة الله » هو « روح منه » تعالى اي ملاك من المقربين سكن في عيسى ابن مريم . وهذا هو تعريف القرآن للمسيح : « كلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) .

وبهذه العقيدة « النصرانية » كفر وفد نجران اليعقوبي :

« لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ و ٧٥) .

« لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٦) .

وما قال المسيح : « اتخذوني وامي الهين من دون الله » (المائدة ١١٩) .

مع ذلك فهو لا يسمي ذلك كفراً على الاطلاق ، بل « غلواً » في الدين : « يا أهل الكتاب **لا تغلوا في دينكم** ، ولا تقولوا على الله إلا الحق » (النساء ١٧٠) ؛ « قل يا أهل الكتاب **لا تغلوا في دينكم** غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل (المائدة ٨٠) .

وكان الخلاف الثاني بين « النصرانية » والمسيحية على إقامة التوراة والانجيل ديناً واحداً وشرعاً واحداً . فاستقل المسيحيون ، بحسب السنة الرسولية ، بإقامة أحكام الانجيل من دون شرع التوراة . اما النصارى من بني اسرائيل فأقاموا التوراة والانجيل شرعاً واحداً في « امـــة وسط » . فتحدى القرآن اليهودية والمسيحية بإعلانه : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة ٧١) .

وكان الخلاف الثالث في آخرة المسيح. قالت المسيحية بأن المسيح قتل وصلب وبعث وارتفع حياً الى السماء. وأما النصارى فجاؤوا بقصة الشبه، وقالوا بأن المسيح، كلمة الله، لا يموت؛ لذلك فالمسيح فـــارق عيسى قبل استشهاده، وعيسى هو الذي قتل وصلب؛ ولما رجع اليه المسيح بُعث حياً وارتفع الى السماء. وجاء القرآن يقول مقالة «النصرانية» في آخرة المسيح (النساء ١٥٦ — ١٥٧).

وهكذا نرى ان القرآن يجادل الشرك العربي واليهودية والمسيحية، الممثلة بوفد نجران، بجدال «النصرانية»، دين «العلم والايمان» (الروم ٥٦).

فالقرآن كله دعوة «نصرانية» في عقيدته.

⁂

خاتمة الفصل

الاسلام «أمة وسط» نصرانية، بين اليهودية والمسيحية.

يعلن القرآن عن أمته: «وكذلك جعلناكم امة وسطا لكي تكونوا شهداء على الناس» (البقرة ١٤٣). وفي هذا الفصل قد رأينا ان الدعوة القرآنية «امة وسط» بين اليهودية والمسيحية، في «نصرانيتها».

فتلك **خمسون من الدلائل الحسان** على «نصرانية» القرآن. فهي شهادة واحدة جامعة مانعة، بنص القـــرآن القاطع، لا سبيل لردّها؛ ولا عبرة بالمفردات والجزئيات، التي قد تقوم عليها شبهات وفي القسم الأول دلائل غيرها

أربعة تصاريح قرآنية توجز دعوته وعقيدته وسره:

«إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦). فغاية القرآن ان يفصل بين اليهود والنصارى من بني اسرائيل. فدعوته محصورة محدودة.

وهو يدعو جماعته ان يكونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله في دعوتهم للمسيح: «فآمنت طائفة من بني اسرائيل، وكفرت طائفة: فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤). فالقرآن دعـــوة تؤيد النصرانية على اليهودية حتى الظهور المبين. فالقرآن دعوة للمسيح، على طريقة «النصرانية»، وجهاد «النصرانية» لليهودية؛

وهذا هو الاسلام «النصراني» الذي يشهد به، على شهادة «أولي العلم قائماً بالقسط»: «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ – ١٩)، وشهادتهم من شهادة الله وملائكته.

لذلك لا يصح جدال النصارى إلا بالحسنى، وهذه الحسنى هي «قولوا: آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦). فالله واحد، والتنزيل واحـــد، والاسلام واحد بين القرآن و «النصرانية».

ولذلك ايضاً فهما «**امة واحدة**» (الانبياء ٩٢؛ المؤمنون ٥٣)، في «**امة وسط**» (البقرة ١٤٣) بين اليهودية والمسيحية.

فبكل حق يصح القول، بنص القرآن القاطع نفسه، **ان الدعوة القرآنية هي «النصرانية» عينها**: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠).

تقول العرب: «ان للكلام طياً ونشراً». وفي هذا الفصل، «الدلائـــل الحسان على «نصرانية» القرآن»، نشرنا ما كان مطوياً في القرآن. وفي الفصل التالي ننشر ما هو مطوي في المصادر الاسلامية من «مفاجاءات تاريخية».



الفصل السادس

مفاجآت تاريخية حول الدعوة القرآنية

توطئة «النصرانية» غير المسيحية

بحث اول : «النصارى» في مكة والحجاز

بحث ثان : «نصرانية» محمد

بحث ثالث : «نصرانية» القرآن

خاتمة «الامة الوسط» في القرآن هي «النصرانية»

توطئة

« النصرانية » غير المسيحية

فصل الخطاب ، في هذا الكتاب ، ان « النصرانية » التي يذكرها القرآن هي غير المسيحية : وأن الدعوة القرآنية هي تلك « النصرانية » عينها ، كما ثبت لنا من الوثائق القرآنية نفسها .

سأفاجىء المسلمين والمسيحيين ، في هذا الكتاب ، بأنهم اخوة ، على دين واحد ، وهم لا يشعرون ، وان افترقوا الى سُنّة وشيعة ، ما بين مسيحية واسلام .

لا أقصد فقط وحدة التوحيد بينهم ، وهي على حرف واحد في التوراة والانجيل والقرآن : « هو الله احد » . إنما أقصد **الوحدة المصدرية** التي تجمع الاسلام والمسيحية في الايمان بالانجيل ، « فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة ٤٩) ؛ وفي الايمان بالمسيح ، « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) ؛ في جامع واحد مشترك هو « النصرانية » القرآنية .

أبدأ بتبديد **وهم شائع** ، يقع فيه الجميع حتى اليوم ، وهو ان النصرانية والمسيحية شيء واحد ؛ فهما في الرأي العام الموهوم اسمان لعقيدة واحدة . مع ان الحقيقة والواقع غير ذلك .

وهذا الوهم المتواتر يستند الى **واقع قرآني**. فالقرآن لا يذكر اسم **« مسيحيين »** على الاطلاق ، بل يشملهم باسم « نصارى » ، مما يخلق تعارضاً في تصاريحه ، تزيله القرائن . ونعرف ان اسم « مسيحيين » كان الشامل في الجزيرة العربية وفي العالم كله ، مع تخصيص اسم « نصارى » بأتباع المسيح من بني اسرائيل (الصف ١٤) ؛ كما نعرف من علماء المسيحية في عهد الفترة ، امثال جيروم وأبيفان .

وتلك **الظاهرة القرآنية الكبرى** ليست مسألة لغة فحسب ؛ انما هي مسألة عقيدة . والخلط بين اللغة والعقيدة كان سبب تواتر الفهم الخاطىء للقرآن والاسلام .

وهــذا الفهم المشبوه كان سبب **سوء التفاهم** المتواتر ما بين الاسلام والمسيحية ، ومصدر **الصراع الاليم الاثيم** فيما بينهما عبر التاريخ .

وقد آن لنا ان نعرف الحقيقة القرآنية التي تجمع بين الاسلام والمسيحية في **أصل واحد** هو « **نصرانية** » **محمد والقرآن** ، لتقييم المفــاهيم ، وتحسين الصلات الاخوية، لفتح **حوار أخوي جديد** ما بين الاسلام والمسيحية، **طليعة عهد جديد** من الاخاء الاصيل والولاء النبيل ، لأمد طويل .

ان الدلائل الحسان على « نصرانية » محمد والقرآن ، تكشف لنـــا هذه المفاجآت التاريخية في الدعوة القرآنية .

☆☆☆

بحث اول

النصارى من بني اسرائيل في مكة والحجاز
بيئة محمد والقرآن « النصرانية »

إن هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجـــاز ، هرباً من دين الدولة ، المسيحية ، عند الروم ، تكشف لنا هذه المفاجآت التاريخية ، ما بين الاوهام السائدة والحقائق المستورة ؛ وتكشف ايضاً ان بيئة محمد والقرآن كانت « النصرانية » .

المفاجأة الاولى : هجرة « النصارى » الى مكة والحجاز

لقد اجمع المؤرخون على اختفاء النصارى من بني اسرائيل منذ منتصف القرن الخامس. وظل انحسارهم لغزاً تاريخياً الى اليوم. وفات المؤرخين الاطلاع

على حقيقة القرآن . فهو المصدر التاريخي الاكبر على وجود النصارى من بني اسرائيل في مكة والمدينة والحجاز .

يعلن بأن هدفه ، بعد فرض التوحيد الكتابي على العرب (الشورى ١٣) ، « ان هذا القرآن يقصّ على بني اسرائيـــل اكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) ؛ وهم يختلفون الى نصارى ويهود بشأن المسيح وأمه (النساء ١٥٦) . فجاءت الدعوة القرآنية انتصاراً للنصارى على اليهود : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة (بالمسيح) : فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . لقد انتصرت « النصرانية » على اليهودية ، في الجزيرة العربية ، بفضل الدعوة القرآنية . هذا هو الواقع القرآني الذي يشهد بوجود النصارى من بني اسرائيل عند ظهور الاسلام . فهم لم يختفوا ولم يذوبوا في غيرهم ، بل هاجروا الى مكة والحجاز ، لما صارت المسيحية دين الدولة عند الروم ، في الدستور التيوضوسي ، وكان اليهود قد سبقوهم الى فارس .

ولنا في السيرة النبوية خير شاهد على انسحاب « النصارى » من دولة الروم الى الحجاز في خبر سلمان الفارسي الذي يتتلمذ عـــلى يد آخر قس او اسقف « انتهى اليه علم النصرانية » في دمشق ، والموصل ، وعمورية — وكانت سوريا والعراق والاناضول كلها على المسيحية حينئذٍ — فنصحه قس عمورية بالالتحاق بالجماعة في الحجاز فقد أظلّ زمان النبي العربي الذي ينتظرون . فهاجر الى المدينة وكان من صحابة النبي . فخبر سلمان شاهد على هجرة آخر النصارى من بني اسرائيل الى الحجاز .

ويأتي الحديث الصحيح ، عند الشيخين ، فيؤكد لنا ان ورقة بن نوفل ، قس مكة ، كان يترجم الانجيل من العبرانية الى العربية ، اي يترجم (انجيـــل النصارى) للنصارى من بني اسرائيل ، والمتنصرين معهم مثله من العرب .

فالقرآن والحديث والسيرة تشهد كلها بهجرة «النصارى» الى مكة والحجاز، ووجودهم هناك واشتراكهم في الدعوة القرآنية ، لانها كانت دعوتهم .

تلك هي المفاجأة الاولى التاريخية والقرآنية .

المفاجأة الثانية : سرّ النهضة الجاهلية

مصادر الادب العربي تحكي كلها قصة النهضة الجاهلية التي سبقت الاسلام بنحو مائة وخمسين سنة . ولكنها لا تروي سبباً وافياً لقيام تلك النهضة الجاهلية في الادب والدين والتجارة .

ونحن نرى أنها تبدأ مع بدء هجرة « النصارى » الى مكة والحجاز . وليس ذلك صدفة تاريخية . فقد سبقت المسيحية الى مكة ، كما تشهد صور الملائكة والانبياء والمسيح وأمه على جدران الكعبة ؛ واليهودية الى المدينة كما يشهد القرآن والسيرة . ومع ذلك لا تبدأ النهضة الجاهلية إلا مع قدوم « النصارى »: وهذا يدل على انهم كانوا على أساس تلك النهضة الجاهلية في الحجاز .

ولنا خير شاهد على ذلك خبر ورقة بن نوفل ، قس مكة ، وزعيم الحركة الحنيفية ، فقد تحنّف مع عبد المطلب ، جد محمد ، ومع حفيده الكبير . وكانت ابنة عمه السيدة خديجة ، سيدة تجار قريش ، وكانت تجارتها تعدل تجارة قريش كلها، بشهادة السيرة. والنبي العربي تهيّأ لدعوته في كنف خديجة، وبجوار ورقة .

ونرى ان « النصارى » هم الذين جعلوا اهل الحجاز يقفون على الحياد بين دولة الفرس التي تدعم اليهود ، ودولة الروم التي تدعم المسيحيين ، بين العرب . وكان جواب أهل مكة على دعوة القرآن : « إنْ نتّبع الهدى معك نُتخطّف من ارضنا » (القصص ٥٧) ؛ بينما كان جواب « النصارى » : « إنا كنّا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) .

فالقرائن التاريخية والقرآنية تدل على ان « النصارى » كانوا على أساس

النهضة الجاهلية في القومية العربية المحايدة بين الدولتين الجبارتين، كما في التجارة والادب والدين .

تلك هي المفاجأة الثانية التاريخية والقرآنية .

المفاجأة الثالثة : سرّ الحركة الحنيفية قبل الاسلام

يتخبط المفسرون والعلماء في سرّ الحركة الحنيفية قبل الاسلام . وقد يجمعون على انها حركة توحيدية مستقلة بين اليهودية والمسيحية .

والواقع القرآني يُقرن الحنيفية بالاسلام. فهي القنوت لله : «قانتاً لله حنيفاً» (النحل ١٢٠) ، بالابتعاد عن الشرك : « حنفاء لله غير مشركين » (الحج ٣١)، واخلاص الدين لله : « مخلصين له الدين حنفاء » (البينة ٥) .

وتلك الحنيفية اسمها «**ملة ابراهيم**» (**٢ : ١٣٥ ؛ ٣ : ٩٥ ؛ ٤ : ١٢٤ ؛ ٦ : ١٦٢ ؛ ١٦ : ١٢٣**) . لكن ابراهيم «كان حنيفاً مسلماً» (آل عمران ٦٧)، لا يهودياً ولا مسيحياً ، كما ينتسب اليه اليهود والمسيحيون . فذلك الجمع بين الاسلام والحنيفية يكشف لنا سرّها .

فقوله : « أقم وجهك للدين حنيفاً » (يونس ١٠٥ ؛ الروم ٣٠)، يقابله قوله: « وأمرت ان اكون من المسلمين» (النمل ٩١). ونعرف ان اصطلاح «المسلمين» كناية عن « النصارى » ، أولي العلم المقسطين الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) .

فالحنيفية هي الدعوة « النصرانية » الاولى في مكة والحجاز . ونعرف ان المسيحيين كانوا يلقبون النصارى «الحنفاء» اي المنحرفين عن دين الامة؛ فحملوه معهم الى الحجاز وجعلوه عنواناً لدعوتهم بين العرب، الى «النصرانية»، دين الحق.

يقول الطبري على (البقرة ١٣٥) : «وكان الناس من مضر يحجون البيت، في الجاهلية ، يسمون حنفاء». وهذا دليل على اتساع الحركة الحنيفية النصرانية

قبل الاسلام. فالنصارى سمّوا الحنيفية «ملة ابراهيم» لتأليف العرب، من ولد اسماعيل، اليها؛ ونسبوا امامة البيت العتيق ومناسك الحج لابراهيم واسماعيل، كما نزل في القرآن. ونرى عبد المطلب، ثم حفيده محمد، يطوفون بالكعبة، مع ورقة بن نوفل، قس مكة «النصراني»، قبل القرآن.

فآثار القرآن، وأخبار السيرة، تدل على ان الحنيفية المسلمة هي «النصرانية»؛ **وأن الحنيفية قبل القرآن تورية «للنصرانية»**. هذا هو سرّ الحركة الحنيفية قبل الاسلام.

تلك هي المفاجأة الثالثة التاريخية القرآنية.

●

المفاجأة الرابعة: الدعوة الى الاسلام قبل القرآن

إنها لمفاجأة ضخمة ان يشهد القرآن بوجود الاسلام من قبله: «هو سمّاكم المسلمين من قبلُ، وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨).

وأهل الكتاب يشهدون، لدى تلاوة القرآن عليهم: «إنّا كنّا من قبله مسلمين» (القصص ٥٣). فليس اليهود، ولا المسيحيون، يشهدون تلك الشهادة. فلو شهدوا بها لما حمل عليهم القرآن. إنما يشهد بها «النصارى» وحدهم: فهم «المسلمون» من قبل القرآن. انهم «اولوا العلم قائماً بالقسط» الذين يشهدون مع الله وملائكته «أن الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨—١٩). يقول البيضاوي على (القصص ٥٣): «انّا كنّا من قبله مسلمين: بيان ما أوجب ايمانهم بالقرآن... **وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن**».

والمفاجأة الضخمة الاخرى ان محمداً أمر ان ينضم الى هؤلاء «المسلمين» من قبله وأن يتلو معهم قرآن الكتاب: «وأمرت ان اكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن» (النمل ٩١ — ٩٢).

فالاسلام موجود قبل القرآن العربي، وهو يشهد للاسلام بشهادة «المسلمين» من قبله، اي «النصارى»، «وأولي العلم قائماً بالقسط» (آل عمران ١٨).

فالنصارى من بني اسرائيل في مرحلة ثانية من دعوتهم دعوا العرب الى « النصرانية » باسم الاسلام . ومع النبي العربي ، في مرحلة ثالثة ، دعوا الى الاسلام بالدعوة القرآنية : « لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون ، يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك » (النساء ١٦١)؛ كما يؤمنون بمتشابه القرآن ، مثل محكمه (آل عمران ٧) . لذلك « يرفع الله الذين امنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

فالدعوة للاسلام كانت قائمة قبل القرآن ؛ وجاء القرآن ففوض هذا الاسلام « بالحكمة والموعظة الحسنة » ثم بالجهاد. وهكذا « فأيدنا الذين امنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

تلك هي المفاجأة الرابعة التاريخية القرآنية

المفاجأة الخامسة : رمضان صيام « نصراني » قبل القرآن

هذا نص القران القاطع : « يا ايها الذين امنوا ، كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم ... شهر رمضان الذي أنزل فيه القران » (البقرة ١٨٢ و ١٨٤) . فسره البيضاوي . « وقيل : معناه صومكم كصومهم في عدد الايام ، لما روي ان **رمضان كُتب على النصارى** ، فوقع في برد او حرّ شديد ، فحوّلوه الى الربيع ، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله » .

ان المسيحيين يتبعون الحساب الشمسي ، فلا يتنقل الصيام عندهم ما بين القرّ والحرّ . وهو انما يتنقل عند اهل الحساب القمري ، مثل النصارى من بني اسرائيل . وكان الصيام عندهم شهر رمضان . فاطلاق اسم « نصارى » على المسيحيين هو الذي خلق تلك الفذلكة لتفسير زيادة « عشرين كفارة لتحويله ».

ونرى من السيرة ايضاً ان **رمضان كان شهر الصيام عند النصارى** قبل القران . فالاجماع في السيرة على ان عبد المطلب ، جد محمد ، كان اول من تحنّف

من قريش ، مع ورقة بن نوفل . ثم جاء محمد فتحنّف ايضاً في رمضان مع ورقة بن نوفل . وجعْل حركة التحنّف والصيام تدور حول قس مكة ، شهـــادة متواترة على ان صيام رمضان دخل قريشاً مع عبد المطلب ، جد محمد ؛ وكان يتزعم الحركة الحنيفية ورقة بن نوفل ، قس مكة « النصراني » .

فالقرآن والسيرة يشهدان بأن رمضان كان صيام « النصارى » قبل القرآن . ولما نزل القرآن فرض على أمته رمضان « النصارى » .

تلك هي المفاجأة الخامسة التاريخية القرآنية .

•

المفاجأة السادسة : الكعبة مسجد مسيحي قبل القران

يكاد هذا التصريح ان يكون كفراً بالدين والتاريخ . مع ذلك هذا هو الواقع الذي توحي به الآثار والاخبار . فلو كانت الكعبة بيت شرك وأوثان ، لما كان ورقة بن نوفل قس مكة ، ومحمد قبل بعثته ، وبعد تحنفهما في غار حراء ، يطوّفان بالكعبة قبل الدخول الى بيتهما . وهذا خبر عليه إجماع في السيرة ، بالنسبة لمحمد نفسه .

والحوادث التاريخية تدل على تحول الكعبة الى مسجد مسيحي ، قبل الاسلام . مهّد لذلك تحويل الوثنية العربية الى ما يسميه القـــرآن « الشرك » ، بفضل الدعوات الكتابية ، من يهودية ومسيحية ونصرانية ؛ وكان توحيدهم التوحيد الاسلامي ، أو قريباً من التوحيد الاسلامي[1] .

جاء في (الاغاني ١٣ : ١٠٩) ان سادس ملوك جرهم كان عبد المسيح بن باقية ، ابن جرهم ، وكانت سدانة البيت العتيق « لاسقف عليه » . وهذه الشهادة تقطع بأن الكعبة كانت مسجداً مسيحياً عـــلى زمن بني جرهم — وهل كان الاحابيش بمكة ، اولئك الجنود المرتزقة من الحبشة ، لحماية مسيحية الكعبة ؟

يؤيد ذلك ما رواه الازرقي ، وإجماع الاخباريين عليه ، ان أهل مكة لمّا

---

(١) الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ٤٢٨ .

جدّدوا بناء الكعبة، خمس سنوات قبل مبعث محمد، رسموا على جدرانها صور الملائكة والانبياء مع صورة السيد المسيح وأمه. وهذه ليست عادة عربية، ولا يهودية، ولا نصرانية: انما هي عادة مسيحية. وعند فتح مكة أمر محمد بمسح جميع الصور، ما عدا صورة المسيح وامه. وهذا عمل «نصراني» من رواسب اليهودية في «النصرانية».

والوضع السياسي العام يؤيد ذلك ايضاً. فقد كان الحجاز تحت إمرة آل كندة المسيحيين في نجد، التابعين للتبابعة المسيحيين في اليمن. وقد قُتل والد امرئ القيس، فقام سيد شعراء الجاهلية يستنصر قيصر في دم أبيه. ومنذ هذه الحادثة قام الصراع بين المسيحية واليهودية، وزاده تأججاً هجرة «النصارى» الى مكة، للاستيلاء على البيت العتيق، وبه على الحجاز والعرب. وتجديد بناء الكعبة مع الصور على جدرانها يظهر بأن السيطرة ظلت للمسيحية حتى الدعوة القرآنية. وبفتح مكة تمت الغلبة «للنصرانية» بتأييـــد الدعوة القرآنية (الصف ١٤).

فتلك الآثار والاخبار تشهد بأن الكعبة كانت مسجداً مسيحياً قبل الاسلام.

وهذه هي المفاجأة السادسة التاريخية القرآنية.

المفاجأة السابعة: «النصرانية» في بيت محمد قبل مولده

جاء في تاريخ اليعقوبي (١: ٢٩٨): «وأما من تنصّر من أحياء العرب فقوم من قريش». ونعرف من السيرة ان عبد المطلب، جد محمد، كان «**أول من تحنّف من قريش**». وكان تحنفه مع ورقة بن نوفل، قس مكة «النصراني»، وعلى مثاله. وقد سلك محمـــد طريقة جدّه، بتحنّفه مع ورقة وعلى مثاله، قبل مبعثه.

وتلك الحنيفية على مثال ورقة، قس مكة، يجعلها حركة «نصرانية».

وهكذا تكون « النصرانية » قد دخلت بيت محمد قبل مولده . فولد محمد في بيت « نصراني » . وقد رأينا أن قرائن السيرة النبوية ، قبل البعثة ، تؤيد ذلك . فلا نزيد .

تلك هي المفاجأة السابعة التاريخية القرآنية .

فتلك الحقائق السبع تبدّد الاوهام السائدة حول الدعوة القرآنية . وهي مفاجئات تاريخية سبع ناتجة عن هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز .

تلك هي بيئة محمد والقرآن « النصرانية » .

***

بحث ثان

« نصرانية » محمد قبل مبعثه وفي دعوته

وهذه سلسلة أخرى من المفاجآت التاريخية والقرآنية تبدّد ما ترسّب من الاوهام في عقول الناس ، حول الدعوة القرآنية . إنها نتائج حاسمة لما فصّلناه في هذا الكتاب .

المفاجأة الاولى : « النصارى » إمام « المتقين » من العرب

تعبير « المتقين » صفة متواترة في القرآن ، كناية عن جماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب بالدعوة القرآنية . وهو تعبير متواتر في اليهودية و « النصرانية » للمهتدين الى التوحيد الكتابي من « الأمّيين » ، او الاممين .

يقول : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٧) .

وهذه الامة المهدية الهادية من قوم موسى يسميها ايضاً «الطائفة من بني اسرائيل» التي آمنت بالمسيح ، وجاءت الدعوة القرآنية تأييداً لها على اليهودية حتى النصر المبين (الصف ١٤) .

فتلك الامة الهادية « النصرانية » من بني اسرائيل ، هي الامة المثالية التي يعطيها القرآن مثالاً للعرب على الدين الحق الذي يشرعه لهم (الشورى ١٣) بقوله : « ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر. ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ويسارعون في الخيرات. وأولئك من الصالحين. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » (آل عمران ١١٣ — ١١٥) . فمن ميزاتهم قيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله . وهذه عادة مسيحية ونصرانية، لا يهودية ولا عربية . وبما أن القرآن انتهى الى القول بقتال المسيحيين العرب في مشارف الشام ، لانه « قالت النصارى : المسيح ابن الله » (التوبة ٣١) ، فالامة المثالية هي « النصرانية » .

فالنصارى هم «**عباد الرحمان**» ، « الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (الفرقان ٦٣ — ٦٤) . فقيام الليل ميزتهم المتواترة التي تميزهم عن سائر أهل الكتاب . والنصارى ، عباد الرحمان ، هم الذين يجعلهم القرآن إماماً « للمتقين » من العرب ، كما يطلبون من ربهم : « واجعلنا **للمتقين اماماً** » (الفرقان ٧٤) . إنهم «من الصالحين ... والله عليم بالمتقين» الذين يتبعونهم (آل عمران ١١٥) .

إنهم «إمام» جماعة محمد ، و «إمام» لمحمد نفسه : « ولقد آتينا موسى الكتاب، فلا تكن في مرية من لقائه . وجعلناه هدى لبني اسرائيل . وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة ٢٣ — ٢٤) . فما على محمد ان يشك من لقائه بالكتاب بواسطة أئمته من بني اسرائيل ، النصارى ، لا اليهود « أول كافر به » . لذلك « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... **اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده** » (الانعام ٩٠) .

فالنصارى هم إمام المتقين من العرب ، والائمة الذين على محمد نفسه ان

يقتدي بهداهم . لذلك جاءه الامر « وأمرت ان أكون من المسلمين » (النمل ٩١) ، اي « النصارى » .

تلك هي المفاجأة الاولى في « نصرانية » محمد .

المفاجأة الثانية : « نصرانية » محمد قبل مبعثه

يقطع بها قوله : « وأمرت أن أكون من المسلمين » من قبله (النمل ٩٠) اي من « النصارى » الذين وحدهم يتصفون بهذا اللقب الكريم في القرآن ؛ وقد امتد الى جماعة محمد على التبعية : «هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨). فالمسلمون قبل القران هم حصراً «النصارى» الذين انضم اليهم محمد.

ليس في القرآن على نشأة محمد سوى هذه الآيات الثلاث : «ألم يجدك يتيماً فآوى؟ **ووجدك ضالاً فهدى**. ووجدك عائلاً فأغنى » (الضحى ٦ — ٨) . إن « الهدى » في اصطلاح القرآن كناية عن هدى التوراة والانجيل : « ولقد آتينا موسى الهدى » (غافر ٥٣) ؛ « وآتيناه الانجيل فيه هـــدى ونور . . . وهدى وموعظة المتقين » من العرب (المائدة ٤٩) . فالهدى والنور هما في التوراة والانجيل (المائدة ٤٧ و ٩٧) . فما معنى « الهدى » في الصبا عند محمد ؟ لقد رأينا من قرائن الحديث والسيرة ان الهدى في الصبا عند محمد يعني « تنصّره » بعماده. وهذه حقيقة تاريخية قرآنية مطموسة .

ورأينا أن زيارة محمد لبحيرى في بصرى ، لما بلغ الثانية عشرة ، اي سنّ التكليف ، كانت حجاً الى الذي « انتهى اليه علم النصرانية » ، « وصي عيسى على دينه» ، كما تقول السيرة . يرون في تلك السفرة تجارة ، وما شأن فتى بالتجارة ؟ إنها حج « النصراني » الى رئيس دينه ، عنـــد بلوغ سن التكليف ، كما جرى للمسيح نفسه بحجه الى اورشليم ، « لما بلغ اثنتي عشرة سنة » (لوقا ٢ : ٤٢) .

وتواتر على لسان بحيرى ان محمداً سيكون « نبي هذه الامة » . وهذه هي

الكلمة التي بها جابه ورقة ، قس مكة ، السيدة خديجة ابنة عمه ، لما شاورته في زواجها من محمد : « ان كان هذا حقاً ، يا خديجة ، فإن محمداً نبي هذه الامة »[1] . يقول القس الحكيم ذلك قبل الزواج وقبل مبعث محمد بخمسة عشر عاماً.

وما كان ورقة ليسمح لثرية مكة التي تعدل تجارتها تجارة قريش بزواجها من محمد ، لولا « نصرانيته » . وقضى محمد في كنف خديجة ، وبجوار ورقة ، خمسة عشر عاماً يتدرب في « التحنف » معه ، وفي حضور ترجمة (انجيل النصارى) الى العربية ، على الدعوة والنبوة .

علّق الاستاذ دروزة[2] على آيات (الضحى ٦ — ٨) التي تقرر «**انه كان فقيراً فاغناه الله**. وأخبار السيرة التي لا اختلاف في جوهرها ولا تناقض تذكر ظروف ذلك على ما هو معروف من صلة السيدة خديجة بنت خويلد ر . عن طريق عمله لها في التجارة، واقترانه بها لهذه الصلة... وان هذه الصلة كانت **فاتحة عهد جديد**، بل **حادثاً حاسماً** في حياة السيد الرسول ص كان له أكبر الاثر في **الاتجاه النهائي** الذي اتجه اليه، وتهيأت به نفسه وقواه الروحية، لتلقي الرسالة العظمى والنهوض بها... اما الآية (ووجدك ضالًا فهدى) فإنها تقرّر ، فيما نعتقد **حالة ذات خطورة ودلالة كبيرتين** في صدد نشأة النبي ص الروحية». ويرى الاستاذ ان تلك الهداية كانت الى الحنيفية، على مثال ورقة بن نوفل. وهنا بيت القصيد. لقد كان ورقة « نصرانياً » وقس النصارى بمكة ، اي الاسقف او المطران، بلغة الروم. فهداية محمد في صباه ، ثم في زواجه كانت الى « نصرانية » ورقة بن نوفل وخديجة ، ابنة عمه . يدورون جميعهم حـــول الحقيقة التاريخية ولا يجرأون على الجهر بها . وهي الحقيقة التاريخية الضخمة التي تبدّد أوهاماً كثيرة في سر الدعوة القرآنية.

تلك هي المفاجأة التاريخية الثانية في « نصرانية » محمد .

---

(١) السيرة المكية ، بهامش الحلبية ص ١٢١ .

(٢) سيرة الرسول ١ : ٢٩ — ٣٢ .

المفاجأة الثالثة : محمد يدرس « النصرانية » على يد ورقة ، قس مكة

من الثابت تاريخياً ، بحسب كل السير النبوية ، ان محمداً قضى خمسة عشر عاماً قبل مبعثه ، في بيت خديجة ، وعلى رأس تجارتها ، في جوار القس العظيم ورقة بن نوفل ، مترجم الكتاب العبراني والانجيل « النصراني » الى العربية ، بحسب شهادة الصحيحين . وليس من المعقول ، ولا من المقبول ، أن لا يتأثر محمد بهذا الجوار الطيب ، في درس «نصرانية» المعلم ، رئيس النصارى بمكة ، وولي نعمته في زواجه الذي جلب له الغنى والهدى .

وكلمة القس ورقة لخديجة ، في تحريضها على الزواج من محمد ، بأن محمداً « سيكون نبي هذه الامة » — وذلك قبل مبعثه بخمسة عشر عاماً — تكشف لنا ان قس مكة ، تنفيذاً لاشارة بحيرى ، « وصي عيسى على دينه » ، قصد من زواج محمد بخديجة ، تهيأة محمد لخلافته ، وخلافة بحيرى على «النصرانية» . فقام محمد « يدرس » النصرانية على يد ورقة ، قبل الدعوة لها .

في القرآن يستعلي النبي على المشركين **بدرس الكتاب** : «أم لكم كتاب فيه تدرسون ... أم عندهم الغيب فهم يكتبون» (القلم ٣٧ و ٤٢) ، وهذا يشير بأنه هو يدرس الكتاب ويكتب من الغيب الذي فيه . ويرد على تحدّي المشركين « وقالوا : ما هذا إلا إفك مفترى ! وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إنْ هذا إلا سحر مبين ! — **وما آتيناهم من كتب يدرسونها** ! وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ! » (سبأ ٤٣ — ٤٤) ؛ فالبرهان عنده ان القرآن ليس بمفترى ، وحقه ليس بسحر مبين ، أن محمداً عنده كتب يدرسها ، ويأتي بالقرآن منها ، فهو « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) . فقد درس الكتب لكي « يعلمهم الكتاب والحكمة» اي التوراة والانجيل (٢ : ١٢٩ و ١٥١ ؛ ٣ : ١٦٤ ؛ ٦٢ : ٢) . وأهل مكة يتهمونه بالدرس ، فلا يرّد التهمة ، بل يبيّن غايته من الدرس : « وكذلك نصرّف الآيات — وليقولوا : درست ! — ولنبيّنه لقوم يعلمون » (الانعام ١٠٥) ، لان أهل مكة غفلوا عن دراسة الكتاب الذي نزل على طائفتين من قبلهم ، اليهود والنصارى (الانعام ١٥٦) . فشهادة القرآن بدرس محمد للكتاب والانجيل قاطعة .

ونعرف ان محمداً درس الكتاب كله على يد ابن عمه ، قس مكة ، ورقة بن نوفل ، من يأس محمد عند وفاة ورقة ، ومحاولته الانتحار ، كما جاء في الصحيحين : إنه يأس التلميذ من وفاة استاذه الاوحد !

وهذا الواقع القرآني يقضي على **اسطورة أمية محمد** التي بنوا عليها إعجاز القرآن ، معتمدين على تفسير خاطىء مفضوح لصفة محمـــد انه «**النبي الامي**» (الاعراف ١٥٦ — ١٥٧) . و «الامي» الذي يفسرونه لغة بما يهوون ، انما هو اصطلاح في القرآن ، كناية عن الذي أو الذين ليس لهم كتاب منزل ، كما يقابل القرآن بين أهل الكتاب والاميين : «وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين : أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا» (آل عمران ٢٠) . فمحمد نبي من العرب الاميين : «هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم... يعلمهم الكتاب والحكمة» (الجمعة ٢) .

فمحمد كان يقرأ ويكتب ، بنص القرآن القاطع ، في اول ما نزل عليه : «إقرأ باسم ربك الذي خلق ... الذي علم بالقلم ، علّم الانسان ما لم يعلم» (العلق ١ — ٥) . فقد علم الله محمداً بالقلم ما لم يعلم ، بواسطة استاذه ورقة ؛ وكان يكتب الغيب من الكتاب المقدس الذي يدرسه ، كما في شهادة السورة الثانية (القلم ٣٧ و ٤٢).

ولا يردّ على ذلك قوله : «نحن نقصّ عليك أحسن القصص ، بما أوحينا اليك هذا القرآن ، وإن كنت من قبله لمن الغافلين» (يونس ٧) ؛ أو قوله : «وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، **وعلمك ما لم تكن تعلم** ، وكان فضل الله عليك عظيماً» (النساء ١١٣) ؛ أو قوله : «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون ! بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون» (العنكبوت ٤٨ — ٤٩) .

ان اليهود الظالمين يجحدون بالقرآن ؛ أما الذين اوتوا العلم مقسطين اي النصارى فالقرآن نفسه آيات بينات في صدورهم ؛ وهذا هو القول الفصل بأن

الله علم محمداً ما لم يكن يعلم بواسطة اولي العلم المقسطين ، الذين القرآن نفسه آيات بينات في صدورهم ؛ وهو يشهد للاسلام بشهادتهم (آل عمران ١٨) . فتلك الآيات لا تنفي عن محمد الاكتساب العلمي ، كما لا تنفيه غيرها عن موسى .

قال دروزة (سيرة الرسول ١ : ٣٧ — ٤٨) : «هذه الآيات وأمثالها قد حملت على ما يبدو بعض علماء المسلمين على **نفي الاكتساب العلمي عن النبي ص**. ونحن لا نرى حكمة ، أو ضرورة تحمل هؤلاء على نفي الاكتساب العلمي عن النبي ص قبل بعثته، وبذل الجهد في هذا النفي . كما اننا لا نرى هذه الآيات تتعارض مع صحة القول بأن **النبي قد اكتسب معارف كثيرة مما كانت تحويه الكتب الدينية وغيرها** من مبادئ وأسس وتشريعات وقصص ، مما كان يدور على ألسنة الناس من مثل ذلك، كتابيين أو غير كتابيين، بسبب تلك **الاتصالات** التي تلهم وقوعها الآيات القرآنية ، وبسبب **الرحلات** التي أجمعت الروايات على ان النبي ص قام بها ، وبسبب طبيعة **وجوده في بيئة** تلم إلماماً غير يسير بهذه المعارف . فإن أهل بيئة النبي ص كانوا على **اتصال دائم بالامم الكتابية** وغير الكتابية ، عن طريق المستقرين منهم بالحجاز ، وعن طريق الرحلات المستمرة الى البلاد المجاورة . وان كثيراً من أخبارهم ومعارفهم وعقائدهم وأحوالهم قد تسربت الى العرب، وشاهدوا مشاهدها التاريخية والمعاصرة. وليس من الطبيعي، ولا من المعقول ، ان يبقى النبي في غفلة عن هذا كله» .

بيئة محمد العائلية، بعد زواجه من خديجة، دليل على سعة الاطلاع والمعرفة! فإن **محمداً اصبح على رأس تجارة دولية** ، في رحلتي الشتاء والصيف ، الى اليمن ثم الى الشام، هي أضخم تجارة في قريش ومكة والحجاز؛ وقيادة تجارة كبيرة دولية ناجحة مدة خمس عشرة سنة تقتضي من صاحبها اطلاعاً وافراً، واستطلاعاً كبيراً. وجوار العالم الكبير ، نسيبه قس مكة ، يكفي ليؤكد لنا ما يوحي به القرآن ، أن محمداً كان بحاثة دينياً واسع الاستطلاع ، شامل الاطلاع ، كما كان يستعلي على بني قومه : «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير»

(٢٢ : ٨ ؛ ٣١ : ٢٠) ، فقد كان خبيراً « بالبينات والزبر وبالكتاب المنير » (فاطر ٢٥) . وهو يستعلي بقوله : « وما آتيناهم من كتب يدرسونهـــا » (٣٤ : ٤٤) ؛ « أم لكم كتاب فيه تدرسون » (١٨ : ٣٧) .

وفي السيرة حادثان يدلان على ان محمداً كان يكتب . ففي معاهدة الحديبية التي كتبها علي بن ابي طالب ، شطب بذاته على كلمات منها . وقد أجمعت الآثار[1] على ان النبي، وهو على فراش الموت، قال: «**إيتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً**» .

وقد رأينا شهادة القرآن بدراسة محمد للكتاب ، وكتابة الغيب عنه (القلم ٣٧ و ٤٢) . ويؤيد هذه الشهادة اطلاع أهل مكة على ذلك : « ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشراً ! — لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » (النمل ١٠٣) . إن الآية تنفي تأليف الاعجمي المذكور للقرآن ، ولكن لا تنفي التعلم منه . قال دروزة (سيرة الرسول ١ : ٣٦) : « الآية تنفي التعلم الذي أراد ناسبوه في ادعائهم جحود نزول الوحي الرباني بالقرآن على النبي ص . غير انها لا تنفي اتصالاً ما بينه وبـــين أحد أفراد الجالية الاجنبية كما هو ظاهر . والمتبادر ان الجاحدين لم يكونوا ليقولوا ما قالوه ، لو لم يروا ويعرفوا أن النبي ص كان **يتردّد على شخص من أفراد هذه الجاهلية في مكة ، هو أهل علم وتعليم ديني** ، وله وقوف على الكتب الدينية السماوية » .

وجدّدوا التهمة وتوسعوا فيها : « وقال الذين كفروا ؛ إنْ هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ! فقد جاؤوا ظلماً وزوراً » (الفرقان ٤) . فسّرها دروزة (سيرة الرسول ١ : ٣٧) : « الآية انمـــا تنفي كذلك دعوة الاستعانة ، ولا تنفي اتصالاً او صحبة بين النبي ص وفريق من الناس . كما ان تعبير « قوم آخرون » يلهم **ان المنسوب اليهم أكثر من واحد** . وبالتالي يسوغ القول انه غير الشخص الاعجمي المعني في آية النحل . والذي يتبادر الى الذهن

---

(١) صحيح البخاري ١ : ٢٣ ؛ ٢ : ٦٢ ؛ ٤ : ٥ ؛ و ١٣٩ ؛ طبقـــات ابن سعد ٢ : ٣٦ — ٣٨ ؛ أبو الفداء في تاريخه (١ : ١٥٢) .

ان الكفار لم يكونوا ليقولوا ما حكته الآية، لو لم يروا ويعرفوا **انه كان للنبي ص حلقة او رفاق** يجتمعون اليهم، ويجتمع اليهم، ويتحدثون في الامور الدينية. وليس من المستبعد — ان لم نقل من المرجح — **أنّ هذا كان قبل البعثة، ثم امتدّ الى ما بعدها**، وأن يكون من هؤلاء الرفاق أفراد من الجالية الكتابية».

وكيف ينسون دائماً القس العلامة نسيبه ورقة بن نوفل؟ او استشهاده «بمن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥)؟ او قوله: «أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧)، بل «هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» اي «النصارى» (العنكبوت ٤٩)؛ فقد أُمر «بهداهم اقتده» (الانعام ٩٠). وكيف ينسون أن «مثل» القرآن موجود عندهم: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠)، وما كان القرآن سوى «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٧) على مثال ذلك «المثل» النصراني: «إنا جعلناه قرآناً عربياً» (٤٣: ٣)؛ «فإنما يسّرناه بلسانك» (١٩: ٩٧؛ ٤٤: ٥٨).

والحديث يشهد بأن محمداً كاد ينتحر لما توفي قس مكة، ورقة بن نوفل، في مطلع الدعوة القرآنية. فالتلميذ يكاد ينتحر لوفاة استاذه ووليّ نعمته.

فكل تلك الدلائل من القرآن والحديث والسيرة شهادة قائمة على ان محمداً «درس» «النصرانية» وكتابها و «علمها» على يدي ولي نعمته في زواجه من السيدة خديجة، ورقة بن نوفل، قس مكة. فتهيأت نفسه بالدرس، وقيام الليل للصلاة وترتيل قرآن الكتاب المنير (المزمل ١ — ٤)، والتحنّف السنوي في رمضان «النصراني» مع الامام استاذه، لتقبل رسالة السماء.

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية الثالثة في «نصرانية» محمد.

المفاجأة الرابعة: بعثة محمد للدعوة للكتاب، على طريقة «النصرانية»

ظل محمد يدرس ويتأمل، مدة خمسة عشر عاماً، في جوار نسيبه العلاّمة،

قس مكة ، ورقة بن نوفل ، حتى تلـــك الليلة المباركة (الدخان) ، ليلة القدر (القدر) من شهر رمضان (البقرة ١٨٥) ، حيث جاءه في « رؤيا » « روح من أمره » تعالى (الشورى ٥٢) ، فأراه الكتاب وأمره ثلاثا « اقرأ » (العلق ١ — ٥) ؛ ثم أمره بالدرس (القلم ١ و ٣٥) ؛ ثم بترتيل « القرآن » في قيام الليل على عادة رهبان النصارى (المزمل ١ — ٧) ، أخيراً بالدعوة والتبشير : « يا ايها المدّثر قم فأنذر » (المدثر ١ — ٢) .

وقد فسّر القرآن العربي تلك « الرؤيا » و « القرآن » الذي أُوحي الى محمد فيها بقوله : « وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ، إنه علي حكيم . وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا : ما كنت تدري **ما الكتاب ولا الايمان** ! ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ، وأنك لتُهدى الى صراط مستقيم » (الشورى ٥٢) . فالوحي المنزل على محمد في رؤيا حـــراء **هو الإيمان بالكتاب** ، بنص القرآن القاطع ، والدعوة له : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأُمرت لاعدل بينكم » (الشورى ١٥) . فرؤيا محمد كلها : « إقرأ » « تفصيل الكتاب » على العرب .

وقد أوجز القرآن نفسه الرؤيا وموضوعها بقوله : « **وأمرت ان أكون من المسلمين** ، وأن اتلو القرآن » ، قرآن الكتاب (النمل ٩١ — ٩٢) ، على مثال « المثل » الذي يشهد به شاهد مـــن بني اسرائيل ، النصارى (الاحقاف ١٠) . فالرؤيا كانت أمراً بانضمام محمد الى النصارى ، المسلمين من قبله ، والدعوة « للكتاب المنير » على طريقتهم .

فالقرآن الذي نزل على محمد في غار حراء كان بعثة محمد للدعوة للكتاب ، على طريقة « النصرانية » . هذا هو الواقع القرآني ، مهما بدا لنا مذهلاً . ويؤيد ذلك تصريحه الضخم بأنه يدعو للاسلام الذي يشهد به « أولوا العلم قائماً بالقسط » مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) ، وهم النصارى من بني اسرائيل ، ومن تنصّر معهم من العرب ، مثل قس مكة ، ورقة .

تلك رواية القرآن ، التي تؤيدها رواية السيرة .

وما أفاق محمد من رؤياه بغار حراء حتى أقبل على خديجة ترجف بوادره . فقال : زملوني ! زملوني ! فزملوه حتى ذهب عنه الروع . ثم قال لخديجة : اي خديجة ما لي ؟ واخبرها الخبر . ثم قال : « لقد خشيت على نفسي » . قالت له خديجة : « كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً : انك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » . هذا عن السيرة الهاشمية . وتضيف السيرة الحلبية[1] : «فقالت : أبشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده ، **اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة** » . فإجماع الرواية على ان محمداً لا يشعر من نفسه بالنبوة في رؤياه . لكن السيدة خديجة تردّد له ما سمعته منذ خمسة عشر عاماً من ابن عمها القس ، لما نصحها بالزواج من محمد : « سيكون نبي هذه الامة » .

وتضيف السيرة الحلبية[2] ، تعليقاً على الهاشمية : « ثم قامت فجمعت ثيابها . ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ص . فقال ورقة : قدوس ، قدوس ، قدوس ، والذي نفسي بيده ، لئن صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الاكبر ، **وانه نبي هذه الامة** ! فقولي له : ليثبت ! » — ان « الناموس » في كتب النصارى ، اسم من اسماء المسيح الحسنى : فقد جاء محمداً الوحي الانجيلي ! ويظهر من اجماع الرواية ان قس مكة ، ورقة ، يقول لمحمد منذ زواجه حتى رؤياه في غار حراء : «انه نبي هذه الامة » ! ويعلنها ورقة وخديجة قبل ان يشعر بها صاحبها محمد !

ولقي ورقة محمداً يطوف بالكعبة ، بعد رجوعه من غار الرؤيا ، فقال له : «يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيت وسمعت . فأخبره رسول الله . فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، **انك لنبي هذه الامة** ! وقد جاءك الناموس الاكبر » .

---

(١) السيرة الحلبية ٢٦٢ — ٢٦٣ .

(٢) السيرة الحلبية ٢٦٨ .

ويظهر ان خديجة استفتت ورقة ثلاث مرات، بالواسطة ثم بنفسها. وتضيف السيرة المكية[1] : «وفي بعض الروايات ان خديجة ر. قبل ان تذهب به الى ورقة، **ذهبت به الى عداس وكان نصرانياً**، من أهل نينوى، قرية سيدنا يونس عليه السلام... وعداس هذا **كان راهباً**، وكان شيخاً كبير السن، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر»...

وتضيف : «وذكر ابن دحية أنه ص لما أخبرها بجبريل، **كتبت الى بحيرى الراهب**، وقيل سافرت اليه بنفسها، فسألته... والحاصل ان خديجة ر. كانت في بدء الوحي تتردّد بين ورقة وعداس وغيرهما، ممن له علم بالكتاب، لتتثبت في الامر، لشدة اعتنائها وتثبتها في أمره ص ولتقوّي قلبه وتعينه على الحق: فنعم الوزير كانت له».

هذا هو واقع السيرة بالاجماع. فنتساءل: لماذا تستفتي السيدة خديجة، في أمر محمد، رؤساء «النصرانية»، حتى الامام الاكبر بحيرى في بصرى، «وصي عيسى على دينه»، ولا تستفتي أحداً من أبناء عمومتها، صناديد قريش وعلمائهم؟ أليس ان خديجة كانت «نصرانية» مثل ابن عمها ورقة، وتسلك في أمر الدين كما يسلك جميع النصارى، في استفتاء رؤساء دينهم!

ثمَّ لِمَ هذا التسرّع من رؤساء «النصرانية» في اعلان نبوءة محمد، قبل ان يعلنها هو، ويمضي فيها؟ أليس أنهم أعدّوا اعداد محمد للرسالة، **وقد اتته إشارة السماء للبدء بها؟**

إن اطمئنان محمد وخديجة الى فتاوي رؤساء «النصرانية» دليل على ان «روحاً من أمرنا» **قد بعثه للدعوة للاسلام «النصراني»**، بنص القرآن القاطع، ووحي السيرة: «وأمرت ان أكون من المسلمين، وأن اتلو القرآن» (النمل ٩١ — ٩٢)؛ فكانت الدعوة القرآنية شهادة للاسلام «النصراني» (آل عمران

---

(١) السيرة المكية، بهامش الحلبية ١٨٢ — ١٨٤.

١٨ — ١٩)، وتأييداً للنصرانية على اليهودية (الصف ١٤)؛ ثم على المسيحية: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون» (٦١: ٩؛ ٤٨: ٢٨؛ ٩: ٣٤).

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية الرابعة في «نصرانية» محمد.

المفاجأة الخامسة: محمد في دعوته يقتدي بهدى «النصارى»

القول الفصل في تصريحه: «أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة... أولئك الذين هدى الله، **فبهداهم اقتده**» (الانعام ٨٩ — ٩٠). فعلى النبي العربي ان يقتدي في دعوته بهدى أهل الكتاب والحكمة اي التوراة والانجيل، وهم الذين يقيمون التوراة والانجيل معاً اي النصارى، لا التوراة وحدها كاليهود، ولا الانجيل وحده مثل المسيحيين: «قلْ يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم» (المائدة ٧١). فالنصارى وحدهم يقيمون دين موسى وعيسى ديناً واحـــداً، هو الذي يشرعه القرآن للعرب (الشورى١٣). فعلى محمد في دعوته ان يقتدي بهدى «النصارى».

هذه هي «الشريعة من الامر» التي عليها جعله الله في بعثته: «ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين، وآتيناهم بينات من الامر. فما اختلفوا (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم — ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. **ثم جعلناك على شريعة من الامر، فاتبعها**؛ ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون (المشركين): إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً. وان الظالمين بعضهم أولياء بعض. والله ولي المتقين» (الجاثية ١٥ — ١٨). لقد جعل الله محمداً في بعثته على طريقة من أمر الدين، هي طريقة أهل الكتاب والحكمة، التوراة والانجيل من بني اسرائيل، اي النصارى الذين «رزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على العالمين، وآتيناهم بينات من الامر»، كما خبر محمد ذلك بنفسه لدى خديجة

وورقة ؛ فعليه ان يتبع في دعوته طريقة « النصرانية » ، لا طريقة المشركين الذين لا يعلمون ، ولا طريقة اليهود الذين اختلفوا بعد ما جاءهم « العلم » في حكمة الانجيل . والظالمون من اليهود والمشركين بعضهم اولياء بعض . والله ولي المتقين من جماعة محمد اذا ساروا معه على « شريعة من الامر » ، هي طريقة النصارى الذين «آتيناهم بينات من الامر ».

فعلى محمد ان يستقيم في دعوته على الطريقة « النصرانية » ؛ فلا يكن في مرية من أمر المشركين ، ولا من أمر المخالفين من أهل الكتاب : « فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء (المشركون) ... ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه... **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ... ولا تركنوا الى الذين ظلموا (اليهود) ... فلولا كان من القرون من قبلكم ألوا بقية ينهون عن الفساد في الارض ، إلا قليلاً ممن أنجينا منهم » (هود ١١١ — ١١٨) . هؤلاء هم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٧) ، فقد « آمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا (النصارى) على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . فالبقية الناجية من بني اسرائيل هي الامة الهادية من قوم موسى ، والطائفة المؤمنة بالمسيح من اليهود : هؤلاء هم النصارى الذين على محمد ان يستقيم في دعوته معهم كما أمر : « وأمرت ان اكون من المسلمين » (النمل ٩١). لاحظ قوة التعبير : « فاستقم كما أمرت ومن **تاب معك** » : فبعثة محمد كانت ، بنص القرآن القاطع ، **توبة الى « النصرانية »** ؛ كما كانت **هداية** الى الايمان بالكتاب على « شريعة من الامر » مثلهم (الشورى ٥٢ ؛ الجاثية ١٨) .

فالنصرانية ، بإقامة التوراة والانجيل معاً (المائدة ٧١) ، بالايمان « بما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٢ : ١٣٦ و ٢٨٥ ؛ ٣ : ٨٤) هي الدين الذي يشرعه الله للعرب ، مهما كابر المشركون ، وفارق اليهود : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً —

والذي أوحينا اليك — وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ؟ كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ... وما تفرّقوا (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . . . فلذلك **فادع واستقم كما أمرت** ، ولا تتبع اهواءهم . وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ؛ وأمرت لاعدل بينكم » (الشورى ١٣ — ١٥) . فالله يشرع في القرآن دين موسى وعيسى ديناً واحداً (وما وصى به نوحاً وابراهيم هو في التوراة) ، وهذا الدين الواحد من موسى وعيسى ، بإقامة التوراة والانجيل معاً ، هو « النصرانية » . فعلى هذه « النصرانية » يجب على محمد ان يستقيم في دعوته ، كما أمر ، ولا يتبع أهواء اليهود والمشركين المتحزبين على الدعوة « النصرانية » القرآنية .

والنصارى الذين على محمد ان يقتدي بهداهم ، سيماهم في وجوههم ، وفي قلوبهم رحمة ورأفة ، من دون الفاسقين من اليهود ، والفاسقين من المسيحيين : « ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم ، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب : فمنهم مهتد (النصارى من بني اسرائيل) وكثير منهم فاسقون (اليهود) . ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة — ورهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها — فآتينا الذين آمنوا منهم (النصارى) اجرهم ؛ وكثير منهم (المسيحيون) فاسقون » (الحديد ٧٦ — ٧٧) . فالنصارى من بني اسرائيل هم المهتدون الذين آمنوا فآتاهم اجرهم ، من دون الفاسقين في دينهم من اليهود والمسيحيين .

لذلك لا يصح الجدال مع النصارى إلا بالحسنى — من دون اليهود الظالمين — وهذه الحسنى هي الامر بالايمان **ان الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد** بين النصارى وجماعة محمد (العنكبوت ٤٦) . فالوحدة شاملة كاملة ، وجامعة مانعة بين جماعة محمد والنصارى .

وتتواتر على محمد الاوامر بأن ينضم الى هؤلاء النصارى ، المسلمين من قبله :

« وأمرت ان اكون من المسلمين » (النمل ٩١)؛ وتتنوّع : « وأمرت ان اكون من المؤمنين » (يونس ١٠٤)؛ « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين » (الحجر ٩٥ — ٩٨) ، لا مـــن المشركين المنبوذين ، ولا اليهود المقتسمين الكتاب ، « يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض » ، ويستهزئون بمحمد ودعوته . وكل هذه الاوامر المتواترة تعود الى الامر الاساسي : « **فبهداهم اقتده** » . فعلى محمد ان يقتدي في دعوته بهدى « النصارى » .

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية الخامسة في « نصرانية » محمد .

المفأجاة السادسة : محمد « أول المسلمين » اي « رئيس النصارى »

في كل مفاجأة نعود الى الامر الاساسي في بعثة محمد : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل ٩١) . فالمسلمون موجودون من قبل محمد والقرآن ، ومحمد في بعثته ودعوته قد أُمر بأن ينضم اليهم ويدعو بدعوتهم . لذلك فهو يشهد بالقرآن بشهادتهم للاسلام (آل عمران ١٨ — ١٩) . فهم « أولوا العلم قائماً بالقسط » ، « الراسخون في العلم » (آل عمران ٧) اي النصارى من بني اسرائيل ، الذين يشهدون : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) ، ولا يشهد بذلك اليهود ، ولا المسيحيون . ومن السخافة ان ينسب المفسرون هذا التصريح الى وفود من الحبشة أو الشام : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً .

ففي بعثته يعلن محمد انضمامه الى النصارى المسلمين ، ويدعو بدعوتهم . وبعد فترة يصرّح : « قل : اني أمرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين ! وأمرت لان أكون **اول المسلمين** » (الزمر ١١ — ١٢) . فلا يقصد أولية زمانية مكانية اي انه أول من أسلم في العالمين ، أو بين العرب : فالمسلمون موجودون من قبله ، وقد انضم اليهم ، والآن يعلن انه أمر بأن يكون « **أول المسلمين** » اي «**رئيس النصارى**». فهي أولية شرفية رئاسية : لقد تسلّم محمد بعد وفاة ورقة رئاسة النصارى المسلمين

بمكة ؛ وبعد وفاة بحيرى ، «وصي عيسى على دينه» رئاسة النصارى المسلمين في العالمين .

وهو يعتزّ بهذه الرئاسة على النصارى ، فهي أمر مقرّر مكرّر : «اني أمرت ان أكون أول من أسلم» (الانعام ١٤) .

وها ان أمارات رئاسة محمد على النصارى المسلمين تظهر في سيرته وعقيدته ودعوته : «قل : ان صلاتي ونسكي ، ومحياي ومماتي، لله رب العالمين ، لا شريك له . بذلك أمرت وأنا أول المسلمين» (الانعام ١٦٢ — ١٦٣) . انها صورة ايمانه في رئاسته . وكان يقتدي بأساقفة المسيحيين في إمامة الصلاة: يرتدي جبة حمراء فوق حلة حمراء ، مع عمامة سوداء .

لقد خلف محمد استاذه ورقة بن نوفل ، قس مكة ، على رئاسة النصارى والمتنصرين من العرب ، وخلف الامام الاكبر بحيرى في رئاسة النصرانية جمعاء. وقد حسنت رئاسته ونجحت ، فقد أيد النصرانية بالدعوة القرآنية حتى أظهرها على الدين كله في الحجاز والجزيرة (الصف ١٤) .

وهذا هو **شعار انتصار الاسلام «النصراني»** ، دين الحق ، على الدين كله في الحجاز والجزيرة : «هو الذي ارسل رسوله بالهدى (دين موسى) ودين الحق (دين عيسى) ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون» (الصف ٩؛ الفتح ٢٨ ؛ التوبة ٣٤) قابل (الشورى ١٣). فكان بذلك «اول المسلمين» اي رئيس «النصارى» في مكة والحجاز والجزيرة .

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية السادسة في «نصرانية» محمد .

●

المفاجأة السابعة : انتصار «النصرانية» باسم الاسلام بفضل الدعوة القرآنية

تلك المفاجآت توصلنا الى هذه المفاجأة الضخمة : ان «النصرانية» انتصرت باسم الاسلام في الدعوة القرآنية . فكل القرائن القرآنية التي جمعناها تجزم بأن القرآن دعوة «نصرانية» . والنتيجة الحاسمة ان «النصرانية» هي التي انتصرت

على اليهودية وعلى المسيحية باسم الاسلام في الدعوة القرآنية بالجزيرة العربية .
وهذا السر تكشفه لنا آية (الصف ١٤) : «يا ايها الذين آمنوا ، كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من انصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ! فآمنت طائفة من بني اسرائيل ، وكفرت طائفة ؛ **فايدنا الذين آمنوا** (النصارى) **على عدوهم** (اليهود) **فاصبحوا ظاهرين**» . لاحظ ترجمة «نصارى» بأنصار ، ولاحظ دعوة الجماعة الى ان يكونوا أنصار الله مثل «النصارى» . ويختم بالتصريح الضخم الذي هو سرّ القرآن كله : ان الدعوة القرآنية انتصار «للنصرانية» على اليهودية – ومن بعد على المسيحية ، في الجزيرة العربية .

ومنذ العهد المكي يعلن عن هدف دعوته : «ولقد كتبنا في (الزبور) من بعد (الذكر) ان الارض يرثها عبادي الصالحون[1] ... قل : إنما يوحي الي أنما الهكم اله واحد ، فهل انتم مسلمون ؟ فإن تولوا ، فقل : **آذنتكم على سواء** ... وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون» (الانبياء ١٩٥ — ١٩٩) و «عباد الله الصالحون» هم الذين يؤمنون بالانبياء بدون تفريق بينهم ، ويؤمنون بعيسى وامه آية للعالمين (الانبياء ٩٢) اي النصارى من بني اسرائيل ومن تنصر معهم من العرب . فالقرآن ينذر المشركين واليهود «**على سواء**» ان ارض العرب للنصارى المسلمين ، عباد الله الصالحين ، لا لليهود ولا للمشركين .

ومنذ مطلع العهد المدني يؤكد استعلاء النصارى المؤمنين بالمسيح على اليهود الى يوم الدين ، فلا تنفع اليهود موآمراتهم مع المشركين على محمد والنصارى : «إذ قال الله : يا عيسى ، اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا ؛ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة . ثم الي مرجعكم ، فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون : فأما الذين كفروا (بالمسيح) فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ، وما لهم من ناصرين ؛ وأما الذين آمنوا (بالمسيح)

---

(١) تفسير مادي لمعنى مجازي في الانجيل : «طوبى للودعاء (العباد الصالحين) فإنهم يرثون الارض» (متى ٥ : ٤) .

وعملوا الصالحات، فيوفيهم اجـــورهم (وهم النصارى) والله لا يحب الظالمين (اليهود) . ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (آل عمران ٥٥ — ٥٨) . فالسيطرة في الحجاز والجزيرة هي للنصارى، لا لليهود.

اجل ان الله لا يحب اليهود الظالمين ، لكفرهم بالمسيح ثم بمحمد الذي يدعو اليه : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون! كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون ! **ترى كثيراً منهم يتولون** الذين كفروا (العرب المشركين) ! لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وهم في العذاب خالدون ! ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أُنزل اليه ما اتخذوهم أوليـــاء ، ولكن كثيراً منهم فاسقون! لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا **اليهود والذين اشركوا!** ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا: إنا نصارى . . . » (المائدة ٨١ — ٨٨). لقد انقسم أهل الحجاز فريقين : فريق اليهود والمشركين ، وفريق النصارى والذين آمنوا من العرب . وسينتصر الاسلام القرآني « النصراني » على اليهود ثم على المشركين ، فتسود النصرانية باسم الاسلام .

هذا ما نراه في **نشيد النصر** الذي يردّده ثلاث مرات ، في مراحل النصر الثلاث : في النصر على اليهودية (الصف) ، وفي النصر على الشرك بمكة (الحديد والفتح)، وفي النصر على المسيحية العربية (براءة) . وتكرار النشيد نفسه في المواطن الثلاثة يدل على أنه انتصار « النصرانية » .

ان انتصار الاسلام على اليهودية في شمال الحجاز هو انتصار النصرانية على الشرك وعلى اليهودية : يستفتح بنشيد الحمد على الفتح المبين (الصف ١ — ٤) . ثم يجمع اليهود والمشركين في تحدّ واحد بالنصرانية، الهدى ودين الحق، كناية عن التوراة والانجيل : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ، ولو كره الكافرون (اليهود) ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (٨ — ٩). ويختم بإعلان انتصار النصرانية

على اليهودية بالجهاد الاسلامي : « فأيدنا الذين آمنوا (بالمسيح) عـــلى عدوهم (اليهود) فاصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

بدأ فتح مكة بصلح الحديبية ، « فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » (الفتح ٢٧) . وبهذه المناسبة كرّر نشيد النصر : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً » (الفتح ٢٨) . ولما تمّ الفتح الاكبر كان النشيد الاكبر (الحديد ١ — ٦) ؛ ثم يعرّض بالمنافقين على مثال « الذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » (١٦) ، وهم اليهود . بينما يشيد بالنصارى ، ويندّد بفسق المسيحيين ، بمناسبة غزوة مؤتة الفاشلة : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة . . . فآتينا الذين آمنوا منهم (النصارى) أجرهم ، وكثير منهم فاسقون » (٣٧) .

أخيراً جمع جيش العسرة وغزا المسيحيين العرب في تبوك والشمال ، آمراً بقتالهم كقتال اليهود ، لانهم « لا يدينون دين الحق » ، اي النصرانية ، « حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » (براءة ٣٠) . فالهدف اخضاعهم لسلطان الاسلام ، لا لدينه ، بخلاف المشركين . والسبب أنهم كاليهود « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون » (٣٣) . ويختم بترداد شعار النصر : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » (٣٤) .

جهاد واحد ، ونصر واحد ، ونشيد واحد للنصر ، سرها كلها : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . انـــه انتصار « النصرانية » باسم الاسلام بفضل الدعوة القرآنية وجهادها . تلك هي المفاجأة السابعة في « نصرانية » محمد .

وتلك هي المفاجآت السبع في « نصرانية » محمد قبل مبعثه ، وفي دعوته .

***

بحث ثالث

« نصرانية » القرآن

تظهر « نصرانية» القرآن من وجود «مثْله» عند النصارى من بني اسرائيل؛ ومن عقيدته في المسيح، وفي آخرته؛ ومن اسلامه في الايمان والدين؛ وفي تكوين جماعته « امة وسطاً » بين اليهودية والمسيحية ؛ وفي جهاده لنصرة « النصرانية » على اليهودية ثم على المسيحية العربية ؛ وفي كون الاسلام القرآني هو «النصرانية» عينها ؛ وفي موقفه من المسيحية .

المفأجاة الاولى: « نصرانية » القرآن من وجود « مثْله » عند النصارى من بني اسرائيل .

المفاجأة الضخمة في سر القرآن هي تصريحه بأن «مثله» موجود عند النصارى من بني اسرائيل ، مما يشهد بأنه من عند الله : « قلْ : أرأيتم ، ان كان من عند الله ، وكفرتم به — وشهد شاهدٌ من بني اسرائيل **على مثله** فآمن واستكبرتم — إن الله لا يهدي القوم الظالمين ! (الاحقاف ١٠) . فيرد المشركون : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا اليه ! — واذا لم يهتدوا به ، فسيقولون : هذا **إفك قديم** » ! (١١). فيردّ عليهم : « ومن قبله ، كتاب موسى إماماً ورحمة ؛ وهذا كتاب مصدّق ، لساناً عربياً : لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين (١٢) .

ان برهان المصدر الالهي للقرآن العربي هو شهادة « شاهد من بني اسرائيل **على مثله** ». فسره الزمخشري : « الضمير للقرآن[١] ؛ أي على مثله في المعنى. ويدل

(١) البيضاوي : « على مثله : مثل القرآن » .

عليه قوله تعالى: (وإنه لفي زبر الاولين)، (إن هذا لفي الصحف الاولى)، (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك)».

إن «مثْل» القرآن موجود قبله: هذا هو التقرير القرآني، بنصه القاطع. وتفسير الزمخشري «اي على مثله في المعنى» ينطبق على الاستشهادات الثلاثة التي ينقلها، لا على آية الأحقاف: «على مثله». فالقرآن يتحدى المشركين «بمثله» (الاسراء ٨٨)، «بحديث مثله» (الطور ٣٤)، «بعشر سور مثله» (هود ١٣)، «بسورة مثله» (يونس ٣٨)، «بسورة من مثله» (البقرة ٢٣): وهذا التحدي يعني حرف القرآن المعجز، لا المعنى المعجز وحده. كذلك في التصريح بالشهادة على وجود «مثله»: فإن «مثل» القرآن موجود بحرفه ومعناه من قبله، وهو يبلغه للعرب «لساناً عربياً» (١٢).

ينتج عن هذا الاعلان القرآني: اولاً سقوط التحدي بإعجاز القرآن، لان «مثله» موجود قبله؛ ثانياً الشهادة القرآنية بنصه القاطع الصريح على وجود «مثل القرآن قبله»، بحرفه ومعناه.

لكن من هو «شاهد من بني اسرائيل»؟ — تتداول التفاسير ان التعبير كناية عن ابن سلام، الحبر اليهودي الذي اسلم في المدينة، مع كعب الاحبار ليدسّا الاسرائيليات على القرآن. وهل تقوم شهادة واحدة تجاه رفض الامة كلها، وقد كانوا جميعهم «اول كافر به». «وقد روى الطبري عن مسروق أحد علماء التابعين انه قال (واللهِ ما نزلت في عبد الله بن سلام؛ وما نزلت إلا بمكة، وما أسلم عبدالله بن سلام الا بالمدينة[1])».

وفات الجميع الشهادة الاخرى الجامعة: «أوَلَم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٧)، وهم «من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٧) اي «فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح)

(١) دروزة: التفسير الحديث. الجزء الخامس ص ٢٧٣.

وكفرت طائفة : فأيـــدنا الذين آمنوا على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف١٤) ، فالقرآن يقسم بني اسرائيل الى يهود ونصارى ؛ ويعلن ان اليهود كانوا جملة «اول كافر به» ؛ بينما يستشهد على الدوام بعلماء بني اسرائيل النصارى، والقرآن « يؤيدهم » على عدوهم اليهود .

فالشاهد ، بل الشهود ، على وجود « مثل » القرآن قبله ، هو وهم النصارى من بني اسرائيل ، ومن «تنصر» معهم من العرب : **والنتيجة الحاسمة ان «مثل» القرآن موجود قبله عند النصارى من بني اسرائيل** . لذلك فقد أخطأ الاستاذ دروزة ، على غرار من سبقه ، بقوله : « ونحن نعتقد ذلك او نعتقد أنها تعني شهادة وايمان اسرائيلي في مكة » . كلّا ، بل هي شهادة وايمان نصراني من بني اسرائيل . والقرآن بتقرير الشهادة يؤيدها ويشهد بوجود «مثل» القرآن عندهم .

يردّون عليه بأن القرآن « افك قديم » على غرار « مثله » (١١) . وهـــذا تصريح بأن « مثل » القرآن عند النصارى كان أمراً مشهوراً بمكة . فيردّ عليهم بأنهما ليسا إفكاً قديماً ، لانهما تفصيل الكتاب الإمام : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ؛ وهذا كتاب مصدّق ، لساناً عربياً » . إن اجماع المفسرين على ان « لساناً عربياً » « حال من ضمير كتاب في مصدق أو منـــه لتخصصه بالصفة » (البيضاوي) . وهذه شهادة قائمة على ان القرآن العربي لا يتميّز عن « المثل » النصراني إلا باللسان العربي ؛ فهو تعريب له ، كقوله : « كتاب أُحكمت آياته ، **ثم فُصلت من لدن حكيم خبير** » (هود ١) والتفصيل بلغته يعـــني التعريب ، كقوله : « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فُصّلت آياته ، أأعجمي وعربي؟» (فصلت ٤٤). فالقرآن العربي تفصيل اي تعريب «المثل» اي القرآن النصراني.

وغاية هذا التعريب : « لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين » اي انذار لليهود الظالمين ، وبشرى اي انجيـــل للنصارى المحسنين ، بحسب الاصطلاحين المتواترين فيه . وهو تفسير لقوله : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل (من يهود ونصارى) أكثر الذي هم فيه يختلفون » .

فالشهادة على « نصرانية » القرآن مزدوجة : إن القرآن العربي هو تفصيل «المثل» النصراني « لساناً عربياً » ؛ وهو بشرى اي انجيل «للمحسنين» النصارى؛ ثم « لينـــذر الذين ظلموا » (اليهود) (الاحقاف١٢) ؛ ثم « ليثبت الذين آمنوا (جماعة محمد من العرب) وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) اي توراة وانجيل معاً للنصارى المسلمين من قبله (القصص ٥٣) .

إن المفاجأة الاولى الضخمة هي شهادة القرآن على وجود «مثله» عند النصارى من بني اسرائيل .

المفاجأة الثانية : « نصرانية » القرآن ، من عقيدته في المسيح وفي آخرته .
نوجز هنا ما فصلناه سابقاً .

عقيدة القرآن في المسيح يوجزها في هذا التعريف الجامع المانع : « انمــا المسيح عيسى ابن مريم : رسول الله ، **وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه** ... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ — ١٧١) .

أجل ان عيسى هو ابن مريم ؛ لكنه ايضاً « كلمته وروح منه » . لقد فهم المسيحيون هذا التعريف بأنه شهادة بالهية المسيح ، نطق الله في ذاته ، وروح منه تعالى قبل القائه الى مريم . فأول النصارى من بني اسرائيل لقب « كلمة الله» بأنه « روح منه » مثل الملائكة المقربين ، وجعلوه أولهم وسيدهم . وهذا هو تعليم القرآن نفسه : ان المسيح مع كونه « كلمته وروحاً منه » فهو عبد « من المقربين » (آل عمران ٤٥) ، اي « الملائكة المقربين » (النساء ١٧١) : « إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه » (الزخرف ٥٦) . اي ان المسيح هو ملاك من المقربين في عيسى ابن مريم . هذه هي الازدواجية في شخصية المسيح ابن مريم ، والتي انتقلت من « النصرانية » الى الدعوة القرآنية .

وعقيدة القرآن في آخرة المسيح نجد تحديدها في سورة النساء أيضاً (١٥٦ — ١٥٧) : « وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شُبِّه لهم ... وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً » . لا يقول : « شُبِّه له » ، بل « شبّه لهم » اي ظنوا أنهم قتلوا وصلبوا المسيح نفسه . لذلك فقصة الشبه اي البديل المصلوب عن المسيح هي اسطورة قضى عليها الرازي في اشكالاته عليها . كان النصارى ، من بني اسرائيل الذين يؤمنون بأن المسيح حي خالد لا يموت (قابل يوحنا ١٢ : ٣٢ — ٣٤) يقولون بأن المسيح ، كلمة الله وروحاً منه ، قد فارق عيسى قبل استشهاده ، فصلب اليهود وقتلوا عيسى ابن مريم ، لا المسيح نفسه الذي «رفعه الله اليه» ، قبل الاستشهاد ؛ ولما عاد المسيح الى عيسى قام من الموت والقبر ، وارتفع حيًّا الى السماء .

تلك هي قصة الشبه كما تقول بها « النصرانية » ، وكما تُستخلص من آية (النساء ١٥٦) على ضوء سائر الاقوال القرآنية في آخرة المسيح (مريم ٣٣ آل عمران ٥٥ المائدة ١٢٠) : ان المسيح كلمة الله وروحاً منه ، قد فارق عيسى قبل استشهاده ، فصلب اليهود عيسى وقتلوه ، وهم يظنون انهم يقتلون المسيح نفسه ؛ لكنهم ما قتلوا المسيح ، وما صلبوه ، بل رفعه الله اليه ؛ وانما قتلوا صلباً عيسى ابن مريم . والقرآن مثل النصرانية يعتبر موت المسيح استشهاداً ، لافداء . وهذا سبب خلوّ القرآن من فكرة الفداء في استشهاد المسيح .

«فنصرانية» القرآن ظاهرة من عقيدته في شخصية المسيح وآخرته .

المفاجأة الثالثة : «نصرانية » القرآن في اسلامه .

يظن أهل القرآن ان اسلامه ميزته في الوحي والتنزيل على الكتاب والنبوة . وفاتهم ان القرآن يشهد للاسلام بشهادة النصارى من بني اسرائيل ، الذين يسميهم « أولي العلم قائماً بالقسط» ؛ ويعتبر شهادتهم من شهادة الله وملائكته :

«شهد الله انه لا إله إلا هو، والملائكة **وأولوا العلم قائماً بالقسط**، لا اله إلا هو العزيز الحكيم، أن الدين عند الله الاسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم» (آل عمران ١٨ — ١٩). في هـــذا النص شبهتان جعلتهم ينحرفون في فهم الشهادة حق فهمها: انهم يفسرون «اولي العلم قائماً بالقسط» تفسيراً لغوياً، وهو اصطلاح قرآني متواتر؛ فأولوا العلم مرادف لاهل الكتاب؛ والصفة «قائماً بالقسط» اي المقسطين كناية عن النصارى من بني اسرائيل، بخلاف الظالمين منهم اي اليهود «الذين يقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط مـــن الناس» (٢١) اي يقتلون «النصارى» للشهادة للاسلام. والشبهة الثانية في اطلاق «الذين أوتوا الكتاب» على أهله كلهم، وهو تعميم في موطن التخصيص كما يظهر في النص كله (١٨—٢١). فاليهود يرفضون كون الاسلام هو الدين عند الله، بعد «العلم» النصراني الذي جاءهم بالمسيح والانجيل، كما رأينا في تحليل مصطلح «العلم» فيه.

وتظهر ايضاً «نصرانية» القرآن في اسلامه من ايمان هذا الاسلام «بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون: ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقابل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران ٨٤ — ٨٥). إن اسلام القرآن هو دين موسى وعيسى، ديناً واحداً، بلا تفريق؛ وهذا هو الدين الذي يشرعه للعرب (الشورى ١٣). وهذه هي «النصرانية» عينها. فالقرآن يشهد للاسلام «النصراني»، ويشرعه ديناً للعرب، وهو الدين عند الله، لا دين سواه.

«فنصرانية» القرآن ظاهرة في اسلامه وايمانه ودينه.

المفاجأة الرابعة: «نصرانية» القرآن في أمته

إن القرآن يعلن بأنه «**امة واحدة**» مع «النصارى» الذين يؤمنون بالمسيح وامه آية للعالمين: «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية

للعالمين : ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (الانبياء ٩١ ـ ٩٢)؛ لا مع اليهود ، « اول كافر به » ؛ ولا مع المسيحيين الذي «قالوا : المسيح ابن الله » (براءة ٣١) ؛ بل مع النصارى من بني اسرائيل ، والمتنصرين معهم من العرب ، الذين يؤمنون ان « ابن مريم وامه آية... وان هذه امتكم امة واحدة ، وانا ربكم فاتقون » (المؤمنون ٥١ — ٥٣) .

لذلك كانت امة محمد ، مثل « النصرانية » عينها ، امة وسطاً بين اليهودية ، الكافرة بالمسيح ، والمسيحية المغالية فيه: « وكذلك جعلناكم **امة وسطاً** لتكونوا شهداء على الناس » (البقرة ١٤٣) ، ما بين تفريط اليهودية وافراط المسيحية .

فالامة الوسط التي ينادي بها القرآن هي « النصرانية » عينها :

في الرفعة على العالمين : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) . في اصطلاحه المتواتر ، ان اولي العلم المقسطين ، الراسخين في العلم ، هم « النصارى » . فالامة الواحدة ، بنص القرآن القاطع ، هي « النصارى » وجماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب .

في غاية الدعوة القرآنية : « قل : نزّله روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) . واصطلاح « المسلمين » كناية عن « النصارى » قبل ان يصير كناية لاهل القرآن (القصص ٥٣؛ الحج ٧٨):

في جهاد القرآن لتأييد النصارى من بني اسرائيل على اليهود حتى النصر المبين (الصف ١٤) وفي اخضاع المسيحيين العرب للجزية وسلطان الامة الوسط (التوبة ٣٠) .

«فنصرانية» القرآن ظاهرة في وحدة الامة ، وفي صفتها «الوسط» بين تفريط اليهودية ، وافراط المسيحية ، بحق المسيح وأمه .

المفاجأة الخامسة : « نصرانية » القرآن في جهاده

لقد جاهد القرآن العرب المشركين ليفرض عليهم دين موسى وعيسى ديناً واحداً، بلا تفريق كما تفرق بين شرعها اليهودية والمسيحية (الشورى ١٣) . وهذه هي « النصرانية » عينها التي يشرعها ديناً للعرب (الشورى ١٣) ولاهل الكتاب : «قل: يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل» (المائدة ٧١).

لقد جاهد القرآن اليهودية حتى تصفيتها من الحجاز، **وذلك لصالح «النصرانية»** بنص القرآن القاطع : «فأيدنا الذين آمنوا (من بني اسرائيل بالمسيح) على عدوهم فأصبحوا ظاهرين» وكان جهاد اليهودية **هدف القرآن الاول**—بعد فرض التوحيد الكتابي « النصراني » على العرب — بحسب قوله: « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) . فلما ظلوا « أول كافر به » صفى وجودهم لكي «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» (المجادلة ١١) اي النصارى وجماعة محمد، الامة الوسط القرآنية .

ولم يكن جهاد القرآن للمسيحية من أهدافه الاولى، إنما ساقه الى جهاد المسيحية العربية في اليمن والشمال ضرورة وحدة الدين في الجزيرة حتى « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » بحسب وصيته الاخيرة . وهذا يظهر من اخضاعهم لسلطان الاسلام القرآني « النصراني » لا لدينه : « حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (براءة ٣٠) .

فهدف الجهاد القرآني كله هو فرض اسلام أولي العلم المقسطين (آل عمران ١٧) اي « النصارى » علــى الجزيرة العربية ، بتصفية الشرك العربي ، وتصفية اليهود ، واخضاع المسيحيين العرب : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . فظهر « ان الله يحب الذين اتقوا والذين هم محسنون» (النحل ١٢٨) ، أي جماعة محمد والنصارى، في «أمة واحدة» .

وهذا هو شعاره في جهاده: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (الصف ٩ ؛ الفتح ٢٨ ؛ براءة ٣٤) . وفي

اصطلاحه ، ان الهدى كناية عن دين موسى ، ودين الحق كناية عن دين عيسى ، وهما الدين الذي يشرعه (الشورى ١٣) ، والاسلام « النصراني » الذي يشهد له (آل عمران ١٨) ويجاهد في سبيله (الصف ١٤).

« فنصرانية » القرآن ظاهرة من جهاده كله .

المفاجأة السادسة : فالاسلام القرآني هو « النصرانية » عينها

هذه هي الخاتمة الحاسمة التي نصل اليها في كل بحث . ينكر ذلك من يجهل معنى « اولي العلم قائماً بالقسط » ، « الراسخين في العلم » الذين يشهد القرآن بشهادتهم « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ٧ و ١٧) وهم النصارى من بني اسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب بزعامة ورقة بن نوفل قس مكة ؛ فكانوا « أمة واحدة » مع محمد « ومن تاب معه » .

ينكر ذلك من يجهل ان الذين على النبي العربي ان يقتدي بهداهم هم « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الانعام ٩١) اي اهل الكتاب والحكمة ، التوراة والانجيل ، الذين يقيمونها ديناً واحداً وشرعاً واحداً ، كما يشرع للعرب (الشورى ١٣) ولاهل الكتاب : « قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة ٧١) — وهم « النصارى » وحدهم ، لا اليهود ، ولا المسيحيون . فالقرآن ، في دعوته ، يقتدي بهدى « النصرانية » .

ينكر ذلك من يجهل معنى اعلان القرآن ايمانه « بما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ ؛ آل عمران ٨٤) . وعدم التفريق بين موسى وعيسى ، هو « النصرانية » عينها التي يقول بها القرآن .

فالقرآن ينادي « بالنصرانية » في شرع دين موسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفريق للعرب (الشورى ١٣) لان ما وصى به الله نوحاً وابراهيم انتهى الى ما وصي به موسى ، ولا نجده إلا في التوراة .

والقرآن ينادي « بالنصرانية » عندما يشهد مع اولي العلم المقسطين « ان الدين عند الله الاسلام » ، كما يكفر بذلك اليهود (آل عمران ١٨ — ١٩).

والقرآن ينادي « بالنصرانية » عندما يدعو العرب واليهود والمسيحيين الى ضرورة الايمان بالمسيح والانجيل لصحة الاسلام ؛ لانه فوق الانبياء والمرسلين أجمعين « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠).

يشهد بذلك الامر الرباني لمحمد : « وأمرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن » معهم (النمل ٩١). ويشهد بذلك اعلان النصارى : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣) ، وتصريح القرآن : « ولتجدنّ اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : « إنا نصارى ... يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٥).

إنها **الوحدة المطلقة** بين جماعة محمد والنصارى ، بين الذين آمنوا والذين اوتوا العلم قائماً بالقسط (المجادلة ١١) ، في الامـــة ، وفي اسلامها ، وفي ايمانها ، وفي جهادهـــا ، وفي عقيدتها الواحدة في المسيح وامه ، ما بين تفريط اليهودية وافراط المسيحية.

فالاسلام القرآني يظهر ، من مثل هذه الدلائل ، « النصرانية » عينها ، « أمة واحدة » هي « الامة الوسط » بين اليهودية والمسيحية. فالاسلام ، في القرآن ، هو « النصرانية » عينها.

المفاجأة السابعة : «النصارى» يذوبون في الاسلام « النصراني » القرآني

ان اختفاء النصارى من بني اسرائيل في العالم المسيحي ، بدولة الروم ، ظل لغزاً تاريخياً حير المؤرخين ، حتى اكتشفناه في المصادر الاسلامية ، وفي الدعوة القرآنية ، بهجرتهم الى مكة والحجاز.

وقد رأينا في **الوثائق القرآنية** المكية فالمدنية انضمام محمد الى « النصارى »

المسلمين ، بنص القرآن القاطع : «وأمرت ان اكون من المسلمين » (النمل ٩١) وقيام «النصارى» مع محمد بالدعوة القرآنية ، والانفاق في سبيلها ، حتى الاستشهاد لاجلها (آل عمران ١٨ — ٢١) .

ويختم القرآن في سورة (المائدة ٨٥ — ٨٨) **بإعلان ذوبان « النصارى » في** الاسلام « النصراني » القرآني **الذي** قاموا بدعوته مع النبي العربي: « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا (إنا نصارى) ؛ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق. يقولون: **ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.** وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع **ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين.** فأثابهم ربهم بما قالوا جنات تجري مـــن تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين». ونعرف ان مرادفات «المحسنين ، المقسطين ، المسلمين » هي كنايات عن « النصارى » في اصطلاح القرآن. فجزاء «النصارى» المحسنين ان الله ادخلهم مع القوم الصالحين ، وكتبهم مع الشاهدين : **فذابوا في الاسلام الذي دعوا اليه .**

وهذا هو **لغز اختفائهم في** العالم الاسلامي ، بذوبانهم فيه ، حتى أصبح أهل القرآن يجهلون مصادر الاسلام . وهـــذه هي المفاجأة الاخيرة في « نصرانية » القرآن والاسلام ومحمد ، النبي العربي .

***

خاتمة الفصل

« الامة الوسط » في القرآن هي « النصرانية »

تلك هي المفاجآت القرآنية التاريخية الاحدى والعشرون في « نصرانية » البيئة ، و « نصرانية » محمد ، و « نصرانية » القرآن ، ما بين أوهام الناس وحقائق

المصادر الاسلامية في القرآن والحديث والسيرة. وكلها شاهد عدل على ان القرآن دعوة « نصرانية ».

نقول: «نصرانية»، لا مسيحية. وجهل الفارق بينهما هو سبب تخبّط القوم والعلماء في مصادر الدعـــوة القرآنية وفي ماهيتها وحقيقتها. فيجب التمييز بين النصارى من بني اسرائيل، والمسيحيين من الاميين. ومن الظلم والخيانة للقرآن اطلاق اسم «نصارى» الوارد في القرآن على المسيحيين المنتشرين في العالم.

لم يتعرض القرآن للمسيحية الرسمية على الاطلاق. ولم يتصل النبي العربي إلا بوفد نجران، وقد وزعوا حـــوار القرآن معهم على السور المدنية. واجماع المفسرين ان وفد نجران كان من أهل البدعة اليعقوبية في المسيحية: فمن الظلم والخيانة للقرآن اطلاق احكام القرآن في بدعة مسيحية على المسيحية جمعاء.

فالقرآن دعوة « نصرانية » في « أمـــة وسط » بين اليهودية والمسيحية. و « نصرانية » القرآن هي صلة الوصل الاصلية بين الاسلام والمسيحية، وسبيل الحوار الصحيح بينهما، متى زالت الاوهام وبانت الحقائق في الدعوة القرآنية، كما رأينا في تلك « المفاجآت التاريخية حول الدعوة القرآنية ».



الفصل السابع

النتائج الحاسمة من الواقع القرآني

توطئة : الظاهرة الكبرى في القران أنه قريب وبعيد من اليهودية والمسيحية

بحث اول : مصادر الاسلام في نظر الايمان والعلم

بحث ثان : القران دعوة « نصرانية »

بحث ثالث : في عرْف القران لا يصح اسلام بدون ايمان بالمسيح والانجيل

بحث رابع : « نصرانية » القران هي صلة الوصل الكيانية بين الاسلام والمسيحية

فصل الخطاب : « نصرانية » القران هي محور الحوار بين الاسلام والمسيحية

القول الفصل : القران دعوة «نصرانية» للشهادة لله وللمسيح

توطئة

الظاهرة الكبرى في القرآن : انه قريب وبعيد معاً من اليهودية ومن المسيحية

الواقع القرآني لغز حيّر العلماء: فهو قريب وبعيد في آن واحد من اليهودية؛ وهو قريب وبعيد في آن واحد من المسيحية . **فما هو سره؟**

إن القرآن **دعوة كتابية** ، بتصاريحه القاطعة :

فهو يشرع للعرب دين موسى ودين عيسى ديناً واحـــداً بلا تفريق (الشورى ١٣) .

وهو يشهد للاسلام بشهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ٧١).

وهو « امة واحدة » مع أهل « الكتاب والحكم والنبوة » (الانبياء ٩١ ، المؤمنون ٥٣) .

وفي صحة دعوته تكفيه شهادة « من عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) .

والقرآن هو «آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» (العنكبوت ٤٩).

بل هو «تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٦)؛ ويصرح ايضاً : «أنزل اليكم الكتاب مفصلاً » (الانعام ١١٤) .

وينتسب انتساباً مطلقاً الى موسى : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » (هود ١٧ ؛ الاحقاف ١٢) .

كما ينتسب انتساباً مطلقاً الى المسيح والانجيل : فالمسيح هو خاتمة النبوة والكتاب ، قفى به على الرسل ، ولم يقفّ عليه بأحد (٥٧ : ٢٧ ؛ ٢ : ٨٧ ؛ ٥: ٤٩) ؛ « وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين» من العرب (المائدة ٤٩) .

ويؤمر النبي العربي ان «يقتدي» بهدى أهل الكتاب (الانعام ٩٠) .

بل يؤمر ان ينضم الى المسلمين من قبله : «وأمرت ان أكون من المسلمين» (النحل ٩٠) .

والنتيجة الحاسمة ان القرآن واسلامه ينتسبان انتساباً مطلقاً الى اليهودية ، والى المسيحية .

لكنه يجاهد اليهود لانهم كانوا «أول كافر به» (البقرة ٤١) ، وهم قبل المشركين «شر البرية» (البينة ٦) و «أشد عداوة للذين آمنوا» (المائدة ٨٥) .

وفي آخر أمره ، في آخر سورة منه يأمر جماعته بقتال المسيحيين العرب «حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ... وقالت النصارى : المسيح ابن الله» التوبة ٣٠ — ٣١) .

فهذا هو الواقع القرآني : تراه في آن واحد قريباً وبعيداً معاً من اليهودية ؛ وقريباً وبعيداً معاً من المسيحيين . **فما هو سر القرآن الذي حيّر العلماء** ؟

بحث اول

مصادر الاسلام في نظر الايمان والعلم

إن القرآن ، بنصوصه القاطعة ، دعوة كتابية : فهو ينتسب على الدوام الى الكتاب انتساباً مطلقاً . وهذا التقرير النهائي لا يمس عقيدة الوحي والتنزيل ، لان **قضية الوحي والتنزيل قضية ايمانية لا تُمس** ؛ لكنها لا تمنع التحليل العلمي .

والوحي والتنزيل قد يكون مباشرة ، وقد يكون بالواسطة ، بل بواسطة كتاب منزل سابق ، كما يصرح القرآن نفسه (الشورى ٥١) : «أنزل اليكم

الكتاب مفصلاً » (الانعام ١١٤). والنبي ، واسطة البلاغ ، يتأثر بدهياً بعوامل بيئته الجغرافية والقومية والثقافية والدينية . والنبي العربي يتحدى بني قومه « بدرس الكتاب » (القلم ٣٧) بل « بدرس الكتب » المنزلة قبله (سبأ ٤٤) ؛ ويستعلي عليهم « بهدى وعلم وكتاب منير » (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٨) . فكما تصح دراسة مصادر الانجيل في الكتاب ، تصح دراسة مصادر القرآن في الكتاب والانجيل اللذين ينتسب اليهما انتساباً مطلقاً : فالقرآن هو « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) ، بل هو « الكتاب مفصلاً » (الانعام ١١٤) .

ففي قضية مصادر الاسلام والقرآن لدينا نظريتين : **نظرية الايمان ونظرية العلم** . وفي رأينا كلتاهما قاصرتان .

١ — نظرية الايمان في مصادر الاسلام والقرآن

أهل الايمان بالقرآن يقولون بالوحي والتنزيل .

عملت بهذه النظرية بصدق واخلاص . فوجدت ان تعابير الوحي والتنزيل في القرآن متشابهة لا تقطع بمعنى محدّد يفرض اليقين . بل يأتي تعبير التنزيل فيه مرادفاً « لتفصيل الكتاب » ، « وتفسير آياته » و « تصريفها » بلسان عربي مبين.

ووجدت القرآن ينتسب انتساباً مطلقاً ، لا الى كتاب في السماء ، بل الى الكتاب المنزل من قبله : « ومن قبله كتاب موسى إماماً » (هود ١٧ ؛ الاحقاف ١٢) ؛ وإمامه ايضاً الانجيل ، « الكتاب المنير » (آل عمران ١٥٨ ؛ فاطر ٢٥) . بل يعلن بما لا مجال فيه لريب : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) . أجل « انه لتنزيل رب العالمين » ، لكنه « لفي زبر الاولين » (الشعراء ١٩٣ و ١٩٥) .

ووجدته يؤمر بان « يقتدي » بهدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الانعام ٩٠) ؛ ويشهد للاسلام بشهادة « اولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) ؛ وينتسب في دعوته وجهاده الى « امة من قوم موسى يهدون بالحق وبه

يعدلون » (الاعراف ١٥٧) ؛ اي الى طائفة من بني اسرائيل آمنت بالمسيح ، ويؤيدها بجهاده حتى النصر المبين (الصف ١٤) . الى غير ما هنالك من دلائل وإمارات درسناها في الوثائق القرآنية .

فهذا الواقع القرآني يجعل **نظرية أهل الايمان قاصرة في** تفسير مصادر الاسلام والقرآن . يكفي قوله: « وأمرت ان اكون من المسلمين وان أتلو القرآن » (النمل ٩٠)؛ وقوله:«وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠) .

٢ — نظرية العلم في مصادر الاسلام والقران

حينئذٍ اتجهت الى النظريات العلمية والنقدية . فلم استطع ان اجدها عند أهل الاسلام ، لان نقد القرآن غير مباح كنقد الانجيل .

فاتجهت الى المستشرقين ، مع ما لنا عليهم من مآخذ . فوجدت لديهم **ثلاث نظريات في** مصادر الدعوة القرانية ، **وجدتها جميعاً قاصرة** .

نظرية اولى تقول بان مصادر الاسلام **يهودية توراتية** . فالقران ينادي « ان لا إله إلا الذي امنت به بنو اسرائيل» (يونس ٩٠) . ويجعل كتاب موسى امامه في الهدى والبيان : « ومن قبله كتاب موسى إماماً » (هود ١٧؛ الاحقاف ١٢) . وفات هؤلاء ان القران الذي يدعو الى التوحيد التوراتي والنبوي، يدعو ايضاً الى الايمان بالمسيح والانجيل ، وان جهاده كان لتصفية اليهودية من الحجاز والجزيرة . **فالنظرية قاصرة** .

نظرية ثانية تقول بان مصادر الاسلام في القـــران **مسيحية** ، لانه يؤمن بالمسيح والانجيل ، وهذا ليس من اليهودية في شيء . لكن هذه المسيحية التي يقول بها القران ليست المسيحية التي نعرفها في فرقها كلها : فجميع المسيحيين منذ الحواريين الى اليوم يؤمنون ان «المسيح ابن الله» (التوبة ٣١) مهما اختلفت نظرياتهم وتفاسيرهم . وان قامت بدع انكرت ذلك ، فقد كانت سحابة سوداء عابرة . وهذا ما يكفره القرآن (التوبة ٣١) .

ومن اصحاب هذه النظرية الثانية من رأى ان مصادره **المسيحية نسطورية** تجمع شخصين في المسيح : «كلمة الله وابن مريم» ، كما في ظاهر تعريف القران (النساء ١٧٠) . وفاتهم ان النسطورية تؤمن بالتثليث وبالهية المسيح وبالفداء . وهذا ما ينكره القران . **فالنظرية من كل جوانبها قاصرة .**

نظرية ثالثة يكاد يتم عليها اجماع العلماء المستشرقين بان مصادر الاسلام **يهودية ومسيحية معا**، في «تلفيق» بارع ، و «اسلام مصفى» من اليهودية والمسيحية ، يليق بالبيئة العربية . وهذا مـــا يفسر انتسابه الدائم الى موسى وعيسى معاً ، الى التوراة والانجيل معاً . وفاتهم ان «تلفيق» دين من دينين يتخطى علمياً وتاريخياً البيئة الجاهلية ، وصاحب الدعوة . ويتعارض مع الواقع القراني الذي ينتسب الى طائفة من بني اسرائيـل امنت بالمسيح يدعو بدعوتها ويجاهد جهادها (الصف ١٤ ؛ ال عمران ١٨) لفرضها عـــلى العرب وعلى اهل الكتاب جميعهم . وفاتهم ايضاً تكفير اليهود ، «اول كافر به» ، وتصفيتهم من الحجاز ؛ وتكفير «قالت النصارى : المسيح ابن الله» (التوبه ٣١) . ولا أثر «لتلفيق» في القران ؛ انما هـــو انتساب لطائفة من اهل الكتاب بعينها : **فالنظرية قاصرة .**

ولم اطلع على نظرية رابعة . وتلك النظريات العلمية الثلاث فيها شيء من الواقع القراني ؛ لكنها جميعاً قاصرة عن الاحاطة بواقعه وشموله .

وبقي اللغز القرآني في مصادره الكتابية قائماً يتحدى العلم والعلماء، حتى منّ الله علينا بكشف الغطاء عنه .

٣ ـ كشف الغطاء عن سر الدعوة القرانية

في نظرية تجمع بين الايمان والعلم اهتدينا الى سر الدعوة القرآنية ، كما ينبع من الواقع القرآني نفسه .

في كتاب لنا سابق ، «القرآن والكتاب» ، القسم الثاني : أطـــوار الدعوة

القرآنية » رأينا تطورها بحسب ظاهرها الى **خمسة عهود : العهد المسيحي ، فالعهد الاسرائيلي ، فعهد الامة الواحدة ، فعهد الامة الوسط ، فالعهد الاسلامي** . لكنها مظاهر لا تكشف عن باطن الدعوة .

وعلى ضوء النظرية العلمية القاصرة ، وعلى ضوء النظرية الايمانية القاصرة ، رجعت الى القرآن ودرسته ، فوجدت انه **دعوة « نصرانية »** ، في « امة وسط » بين تفريط اليهودية وافراط المسيحية ، ينادي بها القرآن مع النصارى من بني اسرائيل ومن « تنصّر » معهم مــــن العرب مثل قس مكة ، ورقة بن نوفل . فليست الدعوة القرآنية «تلفيقاً» من اليهودية والمسيحية ؛ انما هي دعوة «نصرانية» قائمة في مكة والحجاز ، **تنافس اليهودية والمسيحية** ، في فرض سيطرتها على العرب ، ينادي بها « من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٧) اي « فآمنت **طائفة من بني اسرائيل** (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . اولئك هم النصارى من بني اسرائيـــل ومن « تنصر » معهم من العرب ، **انضم اليهم محمد باشارة من السماء** ، في رؤيا غار حراء ، ودعا بدعوتهم : « وأمرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن » ، قرآن الكتاب (النمل ٩٠ — ٩١). فانتصرت «النصرانية» على اليهودية وعلى المسيحية ، في الجزيرة العربية ، بفضل الدعوة القرآنية .

فالقرآن دعوة « نصرانية » . تلك هي النظرية الصحيحة التي تجمع بين الايمان والعلم ، في سر الدعوة القرآنية .

* * *

بحث ثان

القرآن دعوة « نصرانية »

تلك هي النتيجة الحاسمة التي تظهر من تحليل الوثائق القرآنية التي درسناها ، ومن الدلائل الحسان على « نصرانية » القرآن ، التي تورث بمجموعها العلم اليقين .

١ — ومصدر الخطإ في فهم حقيقة الدعوة القرآنية يقوم على سوء فهم لغة القرآن واصطلاحها في اسم « النصارى » واسم « بني اسرائيل » .

إن «النصارى» ليسوا جميع المؤمنين بالمسيح ، وليس التعبير مرادفاً للمسيحيين كما هو شائع . فالقرآن يحصر اسم **«نصارى»** بالطائفة من بني اسرائيل (الصف ١٤) ، بالامة من قوم موسى (الاعراف ١٥٧) التي آمنت بالمسيح ، وتؤيدها الدعوة القرآنية . ويطلق اسم نصارى على المسيحيين ، على التوسع تجاوزاً (التوبة ٣١) . وهذا مصدر التشابه الذي ورّط المسلمين والمستشرقين في مرادفة نصارى بمسيحيين ؛ مع انهم في موقف الشيعة من السنة المسيحية . والقرآن يثني دائماً على النصارى ، ويندّد بالمسيحيين بسبب «غلوهم» بأمر المسيح وامه .

وتعبير « بني اسرائيل » لا يقتصر على اليهود وحدهم ، بل يشمل اليهود والنصارى من بني اسرائيل على السواء ، كما يصرّح : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة » (الصف ١٤) . فهذه الطائفة المؤمنة بالمسيح من بني اسرائيل هم « النصارى » على الحصر والقصر ؛ « وهم من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٧) . و « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦)، وما اختلفوا ، إلا في المسيح والانجيل . والقرآن بشهادته للمسيح والانجيل ينتصر للنصارى من بني اسرائيل ، فكان اليهود « اول كافر به » . لذلك فكل ثناء في القرآن على بني

اسرائيل او على اهل الكتاب فهو خاص بالنصارى منهم ؛ **وكل حملة عليهم خاصة باليهود**[١]. فقوله : « أوَلم يكن لهم آية ان يعلمه علمــاء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٧) ، « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) انما يقصد النصارى من بني اسرائيل الذين يسميهم ايضاً المحسنين ، المقسطين ، المسلمين ؛ بينما صفة اليهود المتواترة انهم « الظالمون » : « واذا ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ ، قال : اني جاعلك للناس اماماً ؛ قال . ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين » (البقرة ١٢٤) . لذلك يبيح القرآن جدال اليهود الظالمين بغير الحسنى ، أما النصارى فلا يصح جدالهم إلا بالحسنى ، وهي الشهادة معهم ان الله واحد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد (العنكبوت ٤٦) . وهذا مــا يقول به النصارى ، لا اليهود ولا المسيحيون : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

٢ — وهناك **واقعان تاريخيان** لا مجــال للريب فيهما على الاطلاق : **أولا قيام « النصرانية »** في عهد الفترة ما بين الانجيل والقرآن ، في منزلة الشيعة من السنة المسيحية بجميع فرقها ، لذلك كان المسيحيون يسمون النصارى « حنفاء » بلغة السريان ؛ **ثانيا « نصرانية » الدعوة القرآنية** كما أثبتنا ذلك في هذا الكتاب . والجامع بين الواقعين التاريخيين هو **هجرة النصارى** من بني اسرائيل الى مكة والحجاز ، حيث دعوا لنصرانيتهم باسم **الحنيفية** ، ثم باسم **الاسلام** قبل القرآن : « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » القرآن (الحج ٧٨) ، ثم **بالدعوة القرآنية** التي تزعمها محمد برؤيا غار حراء ، والتي اؤمن بها ايماناً علمياً ، كما يصفها القرآن (الشورى ٥٣ ؛ النمل ٩٠) فكان « **اول المسلمين** » اي « رئيس النصارى » بمكة والحجاز ، بعد وفاة استاذه ، ورقة بن نوفل ، قس مكة ؛ وفي الجزيرة كلها بعد وفاة بحيرى .

٣ — نوجز « نصرانية » الدعوة القرآنية بهذه **المواقف العشرة** :

الموقف الاول في الدين الذي يشرعه القرآن للعرب ، وهو هدف دعوته

---

(١) اما المسيحيون فهم اهل « الغلو » في الدين ؛ وتكفيراته للمسيحية تقتصر على وفد نجران ، من أهل البدعة اليعقوبية . فلا يجاور القرآن المسيحية الرسمية على الاطلاق .

الاول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً — والذي اوحينا اليك — وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ... وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى ١٣ و ١٥). فدين نوح وابراهيم لا نعرفـــه إلا من التوراة ، فهي تدوين وتجديد الدين الابراهيمي مع الشرع الموسوي . لذلك **فالقرآن يشرع للعرب دين موسى ودين عيسى ، دينا واحداً ،** بلا تفريق كما تفعل اليهودية والمسيحية . ولا يقول بموسى وعيسى ديناً واحداً وشرعاً واحداً إلا « النصرانية » : فالقرآن دعوة « نصرانية » ، يوجههـــا أولاً للعرب ، ثم لاهل الكتاب من اليهود والمسيحيين : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » كما يفعل « النصارى » (المائدة ٧١) .

الموقف الثاني : في هدف الدعوة القرآنية الثاني : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذين هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) . وقد اختلفوا الى يهود ونصارى لما جاءهم «العلم» بالمسيح والانجيـــل . والقرآن بشهادته للمسيح والانجيل ينتصر «للنصرانية» (الصف ١٤). ويخاطب اليهود : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأوفـــوا بعهدي أوف بعهدكم ، وإياي فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً لما معكم ، **ولا تكونوا اول كافر به »** (البقرة ٤٠ — ٤١) . لم يكفروا به لدعوته للتوراة ، بل لدعوته للمسيح والانجيل . وتعبير « يا بني اسرائيل » تعميم يُراد به التخصيص باليهود ، « أول كافر به » ، لان « الذين اتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته ، اولئك يؤمنون به ، ومن يكفر بـــه فأولئك هم الخاسرون » (البقرة ١٣١) . وهذا الفريق الثاني من بني اسرائيل المؤمن بالدعوة القرانية هم النصارى . فالقرآن دعوة « نصرانية » .

الموقف الثالث : « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ؛ ورزقناهم من الطيبات ؛ وفضّلناهم على العالمين. **وآتيناهم بينات من الامر:** فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . إن ربك يقضي بينهم

يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم **جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها** ، ولا تتبّع أهواء الذين لا يعلمون (المشركين) : انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولي المتقين » (الجاثية ١٦ — ١٨) .
ان الكتاب والحكمة هما التوراة والانجيل ، اتاهما الله بني اسرائيل فاختلفوا الى يهود ونصارى بسبب الانجيل والمسيح ، وهذا هو « العلم » الذي فيه يختلفون. وقد جعل الله محمداً على شريعة من أمر الدين بالايمان بالمسيح والانجيل ، والدعوة للكتاب والحكمة اي التوراة والانجيل ، ديناً واحداً ، « فاتبعها » ، ولا تتبع أهواء المشركين ولا اليهود المتآمرين معهم ، « وان الظالمين بعضهم اولياء بعض » . فالقران يحصر دعوته في بني اسرائيل ليفصل بينهم في « العلم » الذي فيه يختلفون . وهذا «العلم» هو الايمان بالكتاب والحكمة ، اي بالتوراة والانجيل معاً ، ديناً واحداً : وما يقول بهذا إلا النصارى من بني اسرائيل ؛ وهذه هي شريعة الدين التي أمره أن « يتّبعها » : فالقران دعوة « نصرانية » تجمع النصارى من بني اسرائيل و «المتقين» من العرب «أمة واحدة» هي «الامة الوسط» بين اليهودية والمسيحية .

الموقف الرابع في حديث النبي الامي ، حيث يرد على دعاء اليهود لربهم : « وا كتب لنا في هذه الدنيا حسنة أنا هدْنا اليك ، قال : عذابي اصيب به مَن أشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء ؛ فسأكتبها للذين يتقون ... الذين يتبعون الرسول ، النبي الامي الذي يجدونه **مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل** ..: النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلمته . . . ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٥ — ١٥٨) . فليست الحسنة لليهود ، بل للامة من قوم موسى الذين يؤمنون بالتوراة والانجيل معاً ، ويتبعون النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلمته المسيح ، وهم النصارى من بني اسرائيل ومن « تنصر » معهم من العرب « المتقين » : فالقران دعوة « نصرانية » .

الموقف الخامس : في الهدى الذي يؤمر محمد بالاقتداء به في دعوته : «اولئك

الذين اتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة... **اولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده»** (الانعام ٨٩ - ٩٠). نقــل تعبير الحكمة بحرفه السرياني النصراني «الحكم»، وهو كناية عن الانجيل في اصطلاحه المتواتر (الزخرف ٦٣). وأهل الكتاب والحكمة، التوراة والانجيل، ديناً واحداً وشرعاً واحداً هم وحدهم النصارى من بني اسرائيل، ومَن «تنصرَّ» معهم من العرب. ان القران اذن يأمر محمداً نفسه **ان يقتدي بهدى «النصرانية»**: فالقرآن دعوة «نصرانية».

الموقف السادس، في الامر الذي جاء محمداً برؤيا غار حراء: **«وأمرت ان اكون من المسلمين**، وان اتلو القران» معهم (النمل ٦٠ - ٩١). المسلمون الموجودون من قبله (الحج ٧٨) والذين يُؤمر بأن ينضم اليهم ويدعو بدعوتهم لقرآن الكتاب، ليسوا اليهود، ولا المسيحيين؛ انما هم النصارى من بني اسرائيل ومن «تنصر» معهم من العرب: فالقران دعوة «نصرانية»، «ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين» (النحل ١٠٢)، و «لينذر الذين ظلمــوا (اليهود) وبشرى للمحسنين» النصارى (الاحقاف ١٢).

الموقف السابع في تعليم القران للكتاب والحكمة. فقد جاء القرآن «يعلمهم الكتاب والحكمة» (البقرة ١٢٩ و ١٥١؛ ال عمران ١٦٤؛ الجمعة ٢)، وهو تعبير كناية عن التوراة والانجيل كما علمها المسيح (ال عمران ٤٨؛ المائدة ١١٣). لذلك فهو يدعو الى اقامة التوراة والانجيل ديناً واحداً وشرعاً واحــداً (المائدة ٧١) في «امة وسط» بين اليهودية والمسيحية (البقرة ١٤٣). ولا يقول بذلك إلا النصارى من بني اسرائيل ومن «تنصر» معهم من العرب «المتقين»: فالقران دعوة «نصرانية».

الموقف الثامن في «الامة الواحدة» التي ينادي بها، وهي التي تؤمن بالمسيح وامه اية للعالمين: «وجعلناها وابنها اية للعالمين» (الانبياء ٩١ قابل المؤمنون ٥١). هذا ما يكفر به اليهود، وما «يغلو» فيه المسيحيون. أما النصارى من

بني اسرائيل ومن «تنصر» معهم من العرب فكانوا يؤمنون مع النبي العربي ان المسيح «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠) اي روح من الملائكة المقربين اسمه «كلمة الله»؛ فليس هو «ابن الله» (التوبة ٣١) : فالقرآن دعوة «نصرانية» .

الموقف التاسع في اعلان الاسلام القراني : فهـو يشهد مع أولي العلم المقسطين — وشهادتهم من شهادة الله وملائكته — «ان الدين عند الله الاسلام» (ال عمران ١٨ — ١٩) . وأولو العلم المقسطون اصطلاح متواتر فيه مخصوص بالنصارى من بني اسرائيل ومَن «تنصر» معهم من العرب : «يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات» (المجادلة ١١) وهم المحسنون تجاه المتقين من العرب : «ان الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون» (النحل ١٢٨) ؛ وهم المسلمون تجـاه الذين آمنوا، جماعة محمد : «ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين» (النحل ١٠٢) : فالقران دعوة «نصرانية» .

الموقف العاشر في دعوة جماعته «الذين امنوا» من العرب ان يكونوا انصار الله مثـل الحواريين انصار عيسى : «فآمنت طائفة من بني اسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين امنوا (منهم) على عدوهم (اليهود) فاصبحوا ظاهرين» (الصف ١٤) . فالقران بنصه القاطع تأييد للنصرانية على اليهودية، ليظهرها على الدين كله (الصف ٩) : فالقران دعوة «نصرانية»، في «امة وسط» ما بين تفريط اليهودية وافراط المسيحية .

فالاسلام القراني هو «النصرانية» عينها؛ والقران دعوة «نصرانية» .

* * *

بحث ثالث

في عرف القرآن لا يصح اسلام بدون ايمان بالمسيح والانجيل

في رأي الناس أن القرآن يدعو الى الاسلام . وهو كذلك ، لكنه يدعو الى الاسلام « النصراني » الذي يشهد به « اولوا العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) ، الذين أمر محمد في رؤياه بحراء بالانضمام اليهم والدعوة بدعوتهم لقرآن الكتاب : « وأمرتُ أن أكون من المسلمين ، وان أتلو القرآن» (النمل ٩٠ — ٩١) . فهم جماعة قائمة بمكة والحجاز ينضم اليهم ويدعو بدعوتهم .

فالقرآن دعوة للتوحيد « النصراني » الذي يقوم على الايمان بالله والمسيح ، « كلمته وروح منه» تعالى . لذلك ففي عرف القرآن لا يصح اسلام بدون ايمان بالمسيح والانجيل .

١ — محور الدعوة القرآنية هو الايمان بالمسيح والانجيل

فمحور الدعوة القرآنية هو الايمان بالتوحيد الكتابي ؛ وهو ايضاً الايمان بالمسيح والانجيل وهذا ما يطمسه المفسرون ، ويسهو عنه العلماء .

ولو لم يكن **السيد المسيح محور الدعوة القرآنية** لمَا رده العرب الموحدون بقولهم : « إن نتبع الهدى معك نُتخطّف من ارضنا » (القصص ٥٧) لاعتبارهم ان الدين دليل الولاء السياسي ، والايمان بالمسيح دليل الولاء لدولة الروم ؛ فهم يخشون بتخويف اليهود لهم بطش الفرس بهم كما فعلوا باليمن ؛ ولمّا ردّه اليهود أيضاً وكانوا « اول كافر به » ؛ وهم لم يكفروا بالقرآن لتوحيده ، بل لدعوته للمسيح والانجيل .

فالمعارضة للدعوة القرآنية سببها دعوتها للمسيح . وهذا الواقع يجعل القرآن دعوة « نصرانية » للمسيح ، الذي هو محورها .

وفي جدال المشركين على دعوة القرآن للمسيح — وقد تحول شركهم وانتهى الى عبادة الملائكة (الانبياء ٢٦) — ردّوا عليه بتفضيل الملائكة: «ولمّا ضُرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منـــه يصدّون ... وقالوا : أآلهتنا خير أم هو » ؟ (الزخرف ٥٧ — ٥٨) اي اذا عبد المسيحيون المسيح ، فنحن أولى بعبـــادة الملائكة . فأجابهم بجواب « النصرانية » : «إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني اسرائيل» (٥٩) ، «لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون» (النساء ١٧١) .

لقد «جعلناه مثلًا لبني اسرائيل» ، بل «وجعلناها وابنها آية للعالمـــين» (الانبياء ٩١) . ولا يقول القرآن هذا بحق أحد من الرسل ، ولا في جدهم ابراهيم ؛ بل « اني جاعلك للناس إماماً» (البقرة ١٢٤) ، لا آية للعالمين .

فالمسيح يمتاز في القرآن بشخصيته ورسالته على المرسلين أجمعين . أجل انه «ابن مريم» ولكنه أيضاً « **كلمته ألقاها الى مريم وروح منه** » (النساء ١٧٠) . فهو مسيح الله وكلمة الله وروح الله ، بل « روح منه » . وهذا ما لم يقله القرآن في أحد من العالمين والمرسلين . واذا رجعنا الى التفاسير في معاني تلك الالقاب الثلاثة نرى السيد المسيح أسمى من بشر ومن ملاك ، الى صلة بالله تجعله « كلمته وروحاً منه » . فلا غرابة ان يكون مع الله محور الدعوة القرآنية .

وفي عرف القرآن ، فالمسيح هو ختام النبوة والكتاب ، قفّى الله به على الرسل أجمعين ، ولم يقفّ عليه بأحد : « ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب . ثم قفينا عـــلى آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل» (الحديد ٢٦ — ٢٧) ؛ « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس» (البقرة ٨٧) ؛ « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ... وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة المتقين» من العرب (المائدة ٤٩) . فلا ينص القرآن على ان الله قفّى عـلى المسيح بأحد . وقوله في محمد انه « خاتم النبيين » (الاحزاب ٤٠) ، كلمة يتيمة في القرآن بمعنى « صدّق المرسلين » (الصافات

٣٨)، «مصدقاً لما بين يديه» (١٦ مرة)، لا بمعنى خاتمة. إنما خاتمة النبوة والكتاب من يكون «عَلَماً – عِلْماً – للساعة» (الزخرف ٦١) اي المسيح الذي وحده تتخطى رسالته الزمن، فيكون رسول يوم الدين. لذلك يرى فيه الصوفيون ختم النبوة، وختم الولاية. فوحده بين الرسل «ايدناه بروح القدس» في شخصيته وسيرته ودعوته، «يسير معه حيث سار» (الجلالان)، بل هو نفسه «روح منه» تعالى.

٢ – القرآن يجعل الانجيل «هدى وموعظة للمتقين»

والقرآن يجعل الانجيل «هدى ونور ... **هدى وموعظة للمتقين**» من أتباع محمد. **لذلك فليس القرآن وحده كتابهم، بل الانجيل كذلك.** فمن يكتفي بمحمد والقرآن، لا يكون مسلماً بإسلام القرآن نفسه. وقصة نسخ القرآن للانجيل فرية على القرآن. إنما المسلم من يؤمن بالانجيل ايضاً ويعمل به. وقصة تحريف الانجيل فرية أخرى على القرآن. **فالمسلم الحق من يجعل المسيح محور ايمانه وحياته** في سبيله الى الله، كما جعله القرآن محور دعوته.

ولم يجعل القران محمداً محور دعوته، بل واسطتها، «جــاء بالحق وصدّق المرسلين» (الصافات ٣٧). **إنما محور الدعوة القرانية الله والمسيح**، مع الشرط المطلوب ألا يتخذوه وأمه «الهين من دون الله» (المائدة ١١٩) كما كان يفعل بعض النصارى العرب الجهال.

والقرآن يدعو الى «علم الكتاب» (الرعد ٤٥)، ويجادل «بهدى وعــلم وكتاب منير» (لقمان ٢٠؛ الحج ٨) اي الانجيل (فاطر ٢٥) لانه «هدى ونور» (المائدة ٤٩). إن «العلم» بحسب اصطلاحه، لا بحسب لغته، الذي يدعو اليه هو ما جاء به المسيح في الانجيل، وهو الذي كفر به اليهود «من بعد ما جاءهم العلم» (٣: ١٩؛ ٤٢: ١٤؛ ٤٥: ١٦)؛ وهو الذي يحرّض القرآن محمداً على التمسك به «بعد الذي جاءك من العلم» (البقرة ١٢٠)، «من بعد مــا جاءك من العلم (٢: ١٤٥؛ ٣: ٦١)، «بعد ما جاءك من العلم» (١٣: ٣٩)؛ ويشهد للاسلام بشهادة «اولي العلم قائماً بالقسط» (آل عمران ١٨)؛ ويكتفي

على صحة دعوته بشهادة الله « ومن عنـــده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) اي النصارى « الراسخين في العلم » (آل عمران ٧ ؛ النساء ١٦١) حتى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

مع ذلك عند البحث في سر الروح والله ، «يسألونك عن الروح ؟ — قل : الروح من امر ربي ، **وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً**» (الاسراء ٨٥) . هذا تقرير لا يصح ان يغفله اهل القرآن . بل عليهم ان يذكروا **امره لامته** : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ ؛ الانبياء ٧) ؛ **وأمره لنبيه** : « فإن كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤) .

فالقرآن ينتسب انتساباً مطلقاً الى الكتاب الامام ، خصوصاً الى الكتاب المنير ، الانجيل لانه «**هدى ونور... هدى وموعظة للمتقين**» (المائدة ٤٩) من أتباع النبي العربي ؛ فهو مصدر « العلم » الذي يدعو اليه القرآن بما فيه من « العلم القليل» في سر الروح والله ، المبدإ والمعاد .

٣ — لذلك لا يصح اسلام بدون ايمان بالمسيح والانجيل

لذلك، في عرف القرآن ، لا يصح اسلام إلا بالايمـــان بالمسيح والانجيل ، وليس ايماناً نظرياً كما في سائر الانبياء ، بل ايماناً حياتياً وجودياً ، في سبيلنا الى الله تعالى .

بناء عليه لا يصح للمسلم الحق الاستغناء بالقرآن عن الانجيل، ولا الاستغناء بمحمد عن المسيح ، في نظر القرآن نفسه :

لان القرآن — وان كان كتاب موسى إماماً له (هود ١٧؛ الاحقاف ١٢) — يجادل الناس «بهدى وعلم وكتاب منير» هو الانجيل (فاطر ٢٥) ؛

لان القرآن ليس اخر تنزيل الله ، انما هو «تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب» (يونس ٣٧) ، فالرجوع الى الاصل هو الاصل ؛

لان القرآن شرع لامته دين موسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفريق (الشورى

١٣) ، وايمانه المعلن الصريح هو «بما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم: لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون» (البقره ١٣٦؛ آل عمران ٨٤).

لان القرآن « تنزيل رب العالمين » لكنه «في زبر الاولين » (الشعراء ١٩٣ و ١٩٥) فهو « بيّنة ما في الصحف الاولى » (١٣٣) « **ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم** » (النساء ٢٥) ؛

لان القرآن يمنع جـــدال «النصارى»، ويأمر امته بالتسليم معهم ان الاله واحد ، والتنزيل واحد والاسلام واحد : « وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) ؛ فالايمان والعمل بما أنزل في الانجيل من صحة الاسلام القرآني ؛

لان القرآن يشهد للاسلام بشهادة النصارى ، « أولي العلم قائماً بالقسط »— وشهادتهم من شهادة الله وملائكته (ال عمران ١٨) ؛ وهذا الاسلام مبني على الايمان بالله الواحد الاحد ، والايمان بالمسيح، «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠) ؛ وشتان ما بين نبي ، «رسول الله وخاتم النبيين» (الاحزاب ٤٠) ، والمسيح «كلمته وروح منه» : فمحمد بشر من الارض اتصل بالسماء ، ومات كسائر البشر ؛ والمسيح «روح منه» تعالى اتصل بالارض ، وارتفع حياً الى السماء ؛

لان القرآن « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦) ، فقد « انزل اليكم الكتاب مفصلًا » (الانعام ١١٤) ؛ والنبي يُؤمر عند الشك من صحة التفصيل ، « **فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك** » (يونس ٩٤) ، فكم بالحري يلزم الامر امته !

لان اسلام القرآن من اسلام الكتاب ، في « أمة واحدة » بالايمان بالمسيح وامه اية للعالمين (الانبياء ٩١ ؛ المؤمنون ٥١)

لان دين القرآن من دين الكتاب : « شرع لكم من الدين ... ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » ؛ لان دين القرآن ينتهي الى الكتاب ، فهو الغاية : « وقل : امنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى ١٣ و ١٥) .

لان في القرآن «ما أويتم من العلم إلا قليلاً» (الاسراء ٨٥) ؛ والنبي العربي كان يكتفي للشهادة على صحة دعوته، بعد الله، «بمن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) ؛ وقد أمر أن يقتدي بهداهم في دعوته (الانعام ٩٠) ؛

لان دور القران يقتصر في اخر امره على تصديق الكتاب والشهادة له: «وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه» (المائدة ٥١) اي «شاهداً له» (الجلالان) ؛ وبما ان دوره يقتصر على التصديق والشهادة للكتاب، وذروته الانجيل، فالمرجع الاول والاخير هو الانجيل.

والقول الفصل ان الانجيل «فيه هدى ونور... هدى وموعظة للمتقين» من أمة محمـــد (المائدة ٤٩)، فالاستغناء بالقرآن عن الانجيل نقض صريح لامر القران الذي يجعل الانجيل هدى للمسلمين.

فالامر الذي يصح على النبي العربي يصح لامـــته: «اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة — الانجيل) والنبوّة... أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتـدهْ» (الانعام ٩٠) ؛ «فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» (يونس ٩٤).

لذلك ففي عرْف القرآن لا يصح اسلام بدون ايمان حياتي عمليّ بالمسيح والانجيل. «إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين» (الانبياء ١٠٦).

* * *

بحث رابع

«نصرانية» القرآن هي صلة الوصل الكيانية بين الاسلام والمسيحية

١ — ان القرآن دعوة «نصرانية». هذا ما ثبت لنا في هذا الكتاب.

فالاسلام القرآني هو «النصرانية» عينها، في «أمـــة وسط» بين اليهودية والمسيحية.

لقد توصلت « النصرانية » بفضل الدعــــوة القرآنية التي أطلقتها في الحجاز والجزيرة، باسم الاسلام — « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » القرآن (الحج ٧٨) — وبزعامة فتى قريش، ابن « بيت الزعامة » على مكة والكعبة، الذي صار «اول المسلمين» اي «رئيس النصارى»، الى منافسة اختيها في العالم، اليهودية والمسيحية.

حينئذ ذابت « النصرانية » في الاسلام، وزالت من الوجود كأمة مستقلة. لكنها باسم الاسلام « النصراني » احتلت مكانها تحـــت الشمس، منافسة اختها المسيحية في السيطرة على العالم.

وانتقل الصراع ما بين النصرانية والمسيحية، الى الصراع ما بين الاسلام والمسيحية (التوبة ٣٠ — ٣٥). ويا ليته ظل **تنافساً اخوياً** في «استباق الخيرات» كما يشرع القرآن في آخر أمره. فإنه يختم دعوته بهذا المبدإ الجامع المانع، الشامل الكامل، الاولي والنهائي: « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**؛ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة؛ ولكن ليبلوكم فيما آتاكم: فاستبقوا الخيرات! الى الله مرجعكم جميعاً، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» (المائدة ٥١). لو نفذ هذا الامر لتغيّر وجه التاريخ.

وآن « لاهل العلم والايمان » ان يفيئوا الى أمر الله، في عصر أصبح الالحاد فيه خطراً على كل ايمان بالله واليوم الآخر، عن طريق محمد، أم عن طريق المسيح.

وصراع المسيحية والاسلام أفسح المجال لليهودية، بحـــركتها الصهيونية، السيطرة على العالم، وتهديد المسيحية والاسلام، في دعم الالحاد.

تجاه هذين الخطرين على مصير الاسلام والمسيحية، آن لاهل القرآن وأهل الانجيل انهاء الصراع بين الاسلام والمسيحية، **للدخول في حوار اخوي** لما بينهما من « أمة واحدة » في الايمان بالمسيح والانجيل.

٢ — فما بين الاسلام والمسيحية **قربى كيانية**؛ وصلة الوصل التكوينية بين الاسلام والمسيحية هي « نصرانية » القرآن.

فقد كانت «**النصرانية» الشيعة بالنسبة للمسيحية السنّة** . فمنذ مؤتمر صحابة المسيح في اورشليم عام ٤٩ م افترق أتباع المسيح الى سنّة وشيعة . فاكتفى المسيحيون من الاميين بشرع الانجيل وإمامـــة رسل المسيح عليهم ؛ وتشيّع النصارى من بني اسرائيل للتوراة فأقاموا أحكامها مع احكام الانجيل؛ وتشيعوا لاهل بيت المسيح ، أولاد عمه ، فأمروهم قسيسين عليهم من دون صحابة المسيح .

فهذه «النصرانية» الشيعة هي التي هاجرت من دولة الروم ، لما أعلنت المسيحية فيها دين الدولة، الى مكة والحجاز. وهذه «النصرانية» هي التي تبناها القرآن باسم الاسلام في دعوته . فكان القرآن دعوة «نصرانية» .

وبما أن الاسلام القرآني هو «النصرانية» عينها ، **فالاسلام في نسبة الشيعة الى المسيحية السنّة : فهما فرعان لاصل واحد .**

وهذا ما يجهله أو يتجاهله المسلمون والمسيحيون . **فما بين الاسلام والمسيحية وحدة دينية** محورها الايمان بالمسيح «كلمته القاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠) . حرف الايمان واحد ، وإن اختلف التأويل . ومهما اختلف الخطان في تطوّرهما ، فما بين الاسلام والمسيحية أصل جامع واحد هو «نصرانية» القرآن.

فالاسلام والمسيحية — مهما بدا لنا ذلك مدهشاً — **هما دين واحد**، لكن شيعة وسنة . والشيعة والسنة في دين واحد هما في الاصل «أمة واحدة» .

لقد آن لاهل القرآن ولاهل الانجيل ان يدركوا تلك الحقيقة ، ويستفيقوا من غفلتهم ، ضنا بمصيرهم ، ومصير الايمان بالله واليوم الآخر بين الناس .

فأمام الخطر الخطير على المسيحية والاسلام، من الالحاد العالمي، والصهيونية العالمية التي توآزره ويوآزرها ، آن لاهل الانجيل والقرآن ان **يفتحوا باب الحوار الاخوي** على مصراعيه ، ويلجوا فيه بصفاء ووفاء واخاء. فإن «نصرانية» القرآن هي صلة الوصل الكيانية الجامعة بين الاسلام والمسيحية في دين واحد .

خاتمة الكتاب :

« نصرانية » القرآن هي محور الحوار بين الاسلام والمسيحية

فصل الخطاب في هذا الكتاب ان الهدف منه هو تحـــديد **حقيقة الدعوة القرآنية ، لتحديد الموقف الحق بين الاسلام والمسيحية** ، ومعرفة إمكانيات الحوار الصحيح بينهما .

لقد انتقل الصراع الذي كان قائماً بين النصرانية والمسيحية الى الاسلام « النصراني » والمسيحية ، كالصراع بين الشيعة والسنة في دين واحد . فوقف الاسلام والمسيحية حتى اليوم مـــن بعضهما البعض موقف المجابهة ، لا موقف المفاوضة — كما يقولون في لغة السياسة — اي موقف الجدال والخصومة ، لا موقف الحوار والمودة ، كما نقول في لغة الدين الحنيف والصراط المستقيم .

وفي عزو الالحاد والصهيونية للمسيحية والاسلام ، يجب ان يعودا الى نشأتهما وتكوينهما ليعرفا الروابط الجذرية الاصلية التي تجمع بينهما ، فيتفاعلان ويفعلان بموجبها ، لدرء الخطر العظيم الذي يهدّد مصيرهما . وعند الخطر على المصير يجب ان يتوقف كل صراع في « الامة الواحدة » ، ليقوم بين الابناء الحوار البنّاء .

لقد ثبت لنا في هذا الكتاب ان القرآن دعوة « نصرانية » ، فهو في منزلة الشيعة بالنسبة للسنة المسيحية . فقد بدأت « النصرانية » منذ مؤتمر صحابة المسيح في اورشليم عام ٤٩ م . فانقسم اتباع المسيح الى شيعة النصارى من بني اسرائيل وسنّة المسيحيين من الاميين . وظل التشيّع « النصراني » قائماً في عهد الفترة ما بين الانجيل والقرآن حتى هجرة النصارى من بني اسرائيل الى مكة والحجاز ؛ حيث انتهت الدعوة « النصرانية » الى قيام الدعوة القرآنية ، فتقمصّت « النصرانية » في الاسلام القرآني وذابت فيه . فكان القرآن دعوة « نصرانية » لتصفية اليهودية ، ومنافسة المسيحية . ووقف الاسلام والمسيحية وجهاً لوجه حتى اليوم .

وتجاه خطر الالحاد والصهيونية اللذين يحرفان الاسلام والمسيحية ، يجب فتح الحوار الاخوي الودّي بينهما، لاستعادة الوحـــدة الجذرية بينهما في « امة واحدة » .

وهذه الوحدة الجذرية قائمة بين الاسلام والمسيحية ، في الاصل والفصل، لان القرآن دعوة « نصرانية » . فالاسلام القرآني في منزلة الشيعة من المسيحية السنة — لا كما قيل منذ يوحنا الدمشقي بأن الاسلام « شيعة مسيحية » — فالمسيحية بكل فرقها سنّة ، والاسلام هو الشيعة بالنسبة لها كلها .

وهذا التحديد للكيان الاسلامي والمسيحي يعرض المـــوقف صافياً بين المسيحية والاسلام ، ويجعل الحوار بينهما واضحاً ميسوراً ، بل واجباً مفروضاً . ففي دين واحد في أصله، يقوم على ايمان واحد بالمسيح عليه السلام، مع اختلاف في التأويل بين شيعة وسنة ، لا يصعب الجمع بين السنة والشيعة من دين واحد ، في « أمة واحدة » . والقرآن ينتسب انتساباً مطلقاً الى المسيح وأمه اية للعالمين (المؤمنون ٥١ ؛ الانبياء ٩١)، وبهذه المناسبة يقرر ان جماعته وأهل الكتاب « أمة واحدة » .

تلك هي « نصرانية » القرآن ، التي هي محور الحوار الواجب بين الاسلام والمسيحية . ففي الحوار بينهما لا يصح ان ينسى الفريقان كلاهما ان القرآن دعوة « نصرانية » تجمعهما وحدة جذرية على دين واحد في الايمان بالمسيح ، مهما اختلفا في التاويل ؛ وهذا الايمان الواحد أن المسيح « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » .

فلا ينس أهل الانجيل قول السيد المسيح : « ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ؛ فهي ايضاً ينبغي لي ان أجيء بها ، وستسمع صوتي فيكون القطيع واحداً والراعي واحداً » (يوحنا ١٠ : ١٦) . فالمسلمون هم ايضاً على مثال المسيحيين خراف المسيح ، لايمانهم به على هذه الشهادة : « وجعلناها وابنها اية للعالمين » (الانبياء ٩١ ؛ المؤمنون ٥١) .

ولا ينس أهل القرآن تقريره عن نفسه : « وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً »

(الاسراء ٨٥) ؛ وهو يعتبر الانجيل «هدى ونوراً ... **هدى وموعظة للمتقين»** اي **للمسلمين انفسهم** (المائدة ٤٩). لذلك «فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك» (يونس ٩٤) ، اي النصارى اولي العلم المقسطين ، الراسخين في العلم ، «من عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥) .

إن «نصرانية» القرآن هي الاساس الحق ، للحوار الصحيح المفروض بين الاسلام والمسيحية .

***

القول الفصل :

بين الاسلام والمسيحية ، الشهادة لله وللمسيح على حرف واحد وتأويل مختلف

القول الفصل في هذا الكتاب ان القران دعوة «نصرانية» للشهادة لله والمسيح . بناء عليه فالاسلام والمسيحية **دين واحد** ، و «**امة واحدة**» ، على خلاف ما يظن الفريقان ، وان افترقا الى شيعة وسنة في تأويل شهادتها للمسيح .

ان الشهادة الواحدة الجامعة بين الاسلام والمسيحية هي : **اشهد ان لا إله إلا الله** ، و«**انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه**» (النساء ١٧٠) .

حرف الشهادة واحد في الانجيل والقرآن : المسيح ، وان كان ابن مريم ، هو في ذاته السامية «كلمة الله» القاها الى مريم . ولا يصح على الاطلاق تفسير «كلمته» بأنه كلام الله أو أمر الله الملقى الى مريم ؛ يمنع من ذلك ان «كلمته» هو «روح منه» تعالى : **فهو ذات روحية** حلت في مريم فكانت «المسيح عيسى ابن مريم» . هذا هو سر المسيح في شخصيته .

لكن **تأويل الشهادة** يختلف الى سنة في المسيحية ، وشيعة في الاسلام .

فالمسيحية السنة فهمت معنى «كلمة الله» على ضوء تصريح الانجيل في فاتحته:

في البدء كان الكلمة والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة فهو منذ البدء في الله
(يوحنا ١ : ١ — ٤)

ان « كلمة الله » يعني بحسب التعبير اليوناني المنزل « لوغس » ، اي نطق الله الذاتي ، يصدر عن ذات الله ، في ذات الله ، صدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق. لذلك فان « كلمة الله » ، في تعبير شعبي تفهمه الجماهير ، هو «ابن الله» ، في كامل التنزيه والتجريد عن المخلوق وأفعاله وصفاته.

وفي الله الواحد الأحد روحه ايضاً، كما فيه نطقه. فالله ونطقه وروحه، بتعبير كلامي للخاصة ، هو بتعبير شعبي للعامة: الآب والابن والروح القدس. فلا تقول المسيحية ان عيسى وامه الهان من دون الله؛ لا دخل لمريم ام المسيح في ذات الله على الاطلاق؛ هذا كفر محض لا يليق بعقل الانسان ، بله بتنزيل الله. إنما الله ونطقه الذاتي وروحه الذاتي ثالوث في وحدة الجوهر الالهي الفرد. وهذا التثليث بحسب الانجيل انما هو تفسير منزل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية. فهو تثليث لا يقوم إلا على التوحيد. لذلك فقول القرآن ، عند التعريف الوافي بالمسيح: «ولا تقولوا: ثلاثة» (النساء ١٧٠) اي ان عيسى وامه الهان من دون الله (المائدة ١١٩) لا يعني المسيحية بشيء على الاطلاق.

اما الاسلام «النصراني» فقد فسر «كلمة الله» بأنه «روح منه» تعالى ، اي «من المقربين» (ال عمران ٤٥) ، «الملائكة المقربين» (النساء ١٧١). فيكون المسيح ، في عيسى ابن مريم ، فوق البشر ، ومن الملاء الاعلى ، انها ثنائية في المسيح قائمة لا ريب فيها: ان عيسى ابن مريم هو ايضاً «كلمته وروح منه» تعالى.

وتلك الثنائية في شخصية السيد المسيح هي السر الذي حيّر الانسان ، فقسم تأويله أهل الانجيل الى مسيحية ونصرانية ، وانتقل الخلاف عينه في التأويل الى المسيحية والاسلام.

لكن الخلاف الذي يفصل الاسلام والمسيحية الى شيعة وسنة، في تأويل الشهادة الواحدة للمسيح، «كلمته وروح منه»، لا يمنع أنهما بتلك الشهادة الجامعة للمسيح هما **دين واحد**، في « **امة واحدة** » (الانبياء ٩١؛ المؤمنون ٥١) .

فالمسيحيون والمسلمون هم اخوة في الايمان، من حيث يدرون أو لا يدرون.

وهذه الشهادة الواحدة الجامعة للمسيح، في الاسلام والمسيحية، هي محور الحوار المنشود الواجب بينهما. وصلة الوصل الكيانية الجامعة بين الاسلام والمسيحية، على دين واحد، في « امة واحدة » ، هي « نصرانية » القرآن .

ان القرآن دعوة « نصرانية » .



وأختم بقول اغسطينوس العظيم، بلاغاً للناس :

« ان قارئي، اذا شاطرني عقيدتي فليرافقني
واذا شاطرني شكوكي فليبحث معي
واذا وجد نفسه على خطإٍ فليرجع عنه معي
واذا وجدني انا نفسي على خطإٍ فليردني عنه »

« قل : هذه سبيلي، أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني . وسبحان الله، وما أنا من المشركين » (يونس ١٠٨) . هذا هو اجتهادي في أساس الحوار الاسلامي المسيحي .



فهرس



تنقيح بعض أخطاء مطبعية

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٨	وايقتلون الذين يأمرون	ويقتلون
١٩	١٣	هو الدين المقيم	القيّم
٣١	١	من دون اليهود وشريعتها	اليهودية
٥٤	٣	طوطئة	توطئة
٥٥	حاشية	بحسب ضيقة النسبة	صيغة
٥٥	١٥	« عهد الفرّة »	« عهد الفترة »
٦٣	١	رسالته الاولى المسيحيين	الى المسيحيين
٦٤	١٦	فهذا يستبين	يُستبين
٧٩	١٨	كفروا بالمسيح ويكفرن	ويكفرون
٧٩	٥	منحرفين على الدين القيّم	عن الدين القيّم
٩٩	١٧	الشامل الهرطقات	الشامل في
١٤٦	٧	ويعلمكم ما لم تعلمون	ما لم تكونوا تعلمون
١٤٧	١٧	بما إنهم يريدون	بما أنهم
١٦٧	١٨	هما روحين	هما روحان
١٧١	٣	ألقى في صلبه شبهة على	شِبْهَه على
١٨٣	١٤	κανκαροι	καθαροι
١٩٠	٤		(سقط عدد ٢)
١٩٣	١٧	أعسى أن يبعثك	عسى

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٥	حاشية (١)	الملك والنحل	الملل والنحل
٢١٦	١٧	من اولئك الراهبين	الرهابين
٢٢٩	١٥	ليس بوالد ولا مولوداً	ولا مولود
٢٣٤	١٣	وقد تبنّي	تبنّى
٢٥٣	١٧	الوسم المشرك	الوسم المشترك
٢٥٧	٦	اي اسقف بالعربية	باليونانية
٢٦٠	١٠	ليس استشهاد	ليس استشهاداً
٢٦٧	٢٤	بشهادة القرآن المتوتر	المتواترة
٢٧٣	٣	الذين قُرّبا للذبح	اللذين قُرّبا
٢٧٧	٢١	فمكث به	فمكثت به
٢٨٧	٥	بين الطالب والوالي	والولي
٢٩١	٢٠	(القصص ٣٥ — ٣٨)	القلم
٢٩٥	٢١	لا تحدّث بها عن قريش	عنّي قريش
٢٩٦	١٥	على ان جبريل	على أنه
٢٩٦	١٥	وانك لتهدي	لتُهدي
٢٩٨	١	على انه « الروح » أتاه	على أنَّ
٢٩٩	١٧	لذلك « فلا تك في مرية »	فلا تكُ
٣٠٠	٥	وجعلهم معنى	وجهلهم
٣٠٦	١٠	حتى بلغوا ملة	مكة
٣٠٧	١٤	في رؤيا النار	الغار
٣٠٩	١٦	في معن الرؤيا	معنى
٣١٠	٣	ليتني أموت حيًّا	أكون حيًّا
٣١٠	٩	سؤل ورقة	سوآل

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣١٣	٧	ويعرف حتى ينحدر منه مثل الجاعات	يعرق – ينحدّر – الجمان
٣١٣	٢٠	عند حشوره فاختفى	حضوره
٣١٣	٢١	ما يغطي به الرأس	ما يُغطّى
٣١٤	٦	فلما نزل علية	نزل عليه
٣١٥	٧	أنه يفَتّ به	يُفتّ
٣١٧	١١	في ايجاد خليفة « الوصي	خليفة « لوصي
٣٢٥	٢	على التحضيص	التخصيص
٣٢٩	١	ذكر العام بالخالص	بالخاص
٣٣٨	١١	وما بينهما زيارة	وما بعدهما
٣٦٣	٨	في موضوع الدعوة : ان للرب	أنها للرب
٣٧٩	١٩	(يوسف ٣٦)	(يونس ٣٦)
٣٨٨	٣	عن بصيرة	على
٤١٣	٢٠	ثلاث دلائل	ثلاثة
٤٢٦	٣	ان في هذه الدعوة اعلان جديد	اعلاناً جديداً
٤٥١	٦	والفرس وأولياؤهم	وأوليائهم
٤٥٧	١٢	لا يصح ان يقول اليهود هذا القول بحق النصارى	ان يقول النصارى بحق اليهود
٤٦٣	١٢	أمّا « النصارى » لقد وافقوا	فقد
٥٠٠	١٠	مع ان في المسيح ناسوت كامل	ناسوتاً كاملاً
٥٠١	٩	واسمهم « المريميين »	المريميون
٥٠١	٩	ولقبهم « الكلّيريين »	الكلّيريون
٥٠٥	٢	نصارى (اي مسيحيون) تابعون	(اي مسيحيين) تابعين
٥٠٨	١٦	فتنة للمسلمين عند دينهم	عن دينهم

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢١	٣	تعبير (٧). «الراسخون في العلم»	(٧) تعبير «الراسخون»
٥٢٤	١٦	التصريح الضخم ... هي	هو
٥٣٦	٥	فالله أنزل القرآن في التوراة والانجيل	أنزل الكتاب في القرآن والتوراة...
٥٥٤		(يجب ضم الاسطر الخمسة الاخيرة الى المقطع السابق)	
٤٧٥	٥	لقوم يقولون	لقوم يعقلون
٥٨٩	١٣	المصادر المسيحية التي تجاريها	التي تحاربها
٥٩٨	١٩	فيتكهم بهم	فيتهكم بهم
٦١٥	١٠	بما أنزل اليك	بما أُنزل
٦١٧	٧	التي وضعتها بالارواح	وصفتها
٦٢٩	١٥	كي لا يعرفه	كي لا يُعرف
٦٧٤	٨	ونحن نعتقد ذلك أو نعتقد	ونعتقد



سلسلة ثالثة :

في سبيل الحوار الاسلامي المسيحي

١ ـ مدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي (ظهر)

٢ ـ القرآن دعوة « نصرانية » (ظهر)

٣ ـ القرآن والمسيحية (يظهر قريباً)

٤ ـ اسرار القرآن (قيد الطبع)

٥ ـ المسيح ومحمد في عرف القرآن (قيد الطبع)

٦ ـ ما بين الانجيل والقرآن (قيد الطبع)

٧ ـ القرآن العربي خبر عن « القرآن » (في التحضير)

٨ ـ المسيح في التوراة والانجيل والقرآن (في التحضير)

٩ ـ محمد في التوراة والانجيل والقرآن (في التحضير)

١٠ ـ أعجاز الانجيل والقرآن (في التحضير)